

(الباب الاول في الفقه)

صحيفة

- ٥ فصل في فضل القضاء والترغيب في القيام فيه بالعدل وبيان محل التحذير منه وحكم السعي فيه
- ٦ رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الاشعري فيما يتعلق بالقضاء
- ٧ فصل في الآداب التي يلزم القاضي التمسك بها
- ٩ فصل فيما يلزم القاضي في خاصة نفسه
- ٩ كتاب الرهن
- ١٢ كتاب الوكالة
- ١٤ كتاب الهبة
- ١٥ كتاب اللقطة
- ١٦ كتاب أبي يوسف الرشيد
- ١٨ فصل في النية والمراج
- ٢١ كتاب الوقف
- ٢٢ باب بيان ما يجوز وقفه وما لا يجوز وما يدخل تبعاً وما لا يدخل الخ
- ٢٥ مطلب اشتمال كتب الفقه الاسلاميه على بعض المنافع العمومية
- ٢٧ تعريف المجتهدين والنقمة والرأى
- ٢٨ مطلب أركان الاجتهاد
- ٢٩ تعريف التقليد وتجزى الاجتهاد وما قيل في اجتهاد الامام في الدين السبكي وأمثاله ومراتب الاجتهاد
- ٣٠ اجتهاد سفيان الثوري وبيان التفاوت في الرتبة بينهما وبين باقي السبكي

(الباب الثاني)

- ٣٣ في بئذ من الاحاديث والحكم والأمثال التي يقوى الشاهد بها ويعظم الاستدلال

(الباب الثالث في الاخلاق)

- ٤٤ آراء الحكماء في الخلق
- ٤٦ فضل العقل وذم الهوى

(الباب الرابع في المباحث الادبيه)

صحيفة

علم الادب	٥٣
فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران	٥٤
العلوم العقلية واصنافها	٥٥
في طسعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والخضر والغلب والسكراب والمنعاش الخ	٥٨
في العمران البشري على الجملة	٦١
في تأثير الهواء في اخلاق البشر	٦٢

(الباب الخامس في المقامات)

المقامة النيلية في الغلاء والرخاء	٦٣
مقامة الروضة	٦٧
المقامة الحلوانية	٧١
المقامة الزيدية	٧٣
مقامة أدبية لعبد الله باشا فكرى	٧٧

(الباب السادس في المراسلات والمقشات)

شجبة من كتاب أطواق الذهب في المواعظ والخطب	٨٤
مقالة أدبية في الاشتغال بعاشرة المناسبات عن الأختال بمسامرة الصديق والصاحب	٨٨
شجبة من رسائل أبي بكر الخوارزمي	٩٨
كتاب لبديع الزمان الهمداني	١٠١

(الباب السابع في التاريخ والجغرافيا)

خير مصر وبركتها	١٠٢
ذكر نيل مصر	١٠٤
ذكر الاهرام والبراني	١٠٤
ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول	١٠٥
ذكر عجائب مصر القديمة	١٠٧

صحيحة

- ١٠٩ ذكر يوم المحمل عصر
 ١١٠ ذكر كسوة الكعبة
 ١١١ في وصف منظر بحيث جزيرة العرب العام وريح الهموم ورمال الصحراء والندى والامطار الدورية ومعيشة العرب البدوية
 ١١٢ ذكر مدينة الكوفة
 ١١٤ سفر ابن بطوطه الى القسطنطينية
 ١١٧ وصف جزيرة الاندلس
 ١٢٣ في خواص مصر العامة لها
 ١٢٥ الجامع الازهر
 ١٣٢ ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية

(الباب الثامن في التاريخ)

- ١٣٥ علم التاريخ
 ١٣٦ في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للتورخين من المغالط والاهام وذكر شي من اسبابها
 ١٤٣ قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلاعصره من الانبياء والملاؤن من بني اسرائيل وغيرهم
 ١٥٠ ذكر رجل من اخبار الهند وآرائها وبيدهم الكهاوملو كها
 ١٥٢ ذكر ملوك الموصل وبنوهم وبلغ من اخبارهم
 ١٥٣ ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار
 ١٥٥ ذكر جوامع من حروب الاسكندر بارض الهند
 ١٥٩ فصل في فن الحرب عند الرومانيين
 ١٦٣ فصل في كيفية بلوغ الدولة الرومانية أعلى درجات العظم واتساع الدائرة
 ١٦٥ مطلب أن اختراع العرب لبيت الابهرة من المنافع العمومية المتأخرة التي لا يعرفها المتقدمون
 ١٦٦ خلافة أبي بكر الصديق
 ١٦٦ خلافة عمر بن الخطاب
 ١٦٧ ذكر استخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب
 ١٦٨ خلافة عثمان بن عفان

صحيفة

- ١٦٩ خلافة علي بن أبي طالب
 ١٦٩ ذكر الصحابة ومدحهم وعلي والعباس وفضلهما
 ١٧٠ ذكر حروب علي رضي الله عنه مع أهل النهر وان وما لحق بهما هذا الباب من مقتل محمد بن أبي بكر
 الصديق رضي الله عنه والاشتر النخعي وغير ذلك

(الباب التاسع في التراجم)

- ١٧٤ الامام أبو حنيفة النعمان
 ١٧٩ الامام أبو عبد الله مالك بن أنس
 ١٨١ الامام الشافعي
 ١٨٣ الامام أبو عبد الله أحمد بن حنبل
 ١٨٤ أبو محمد القاسم الحريري
 ١٨٧ أبو الفضل أحمد الميداني
 ١٨٧ أبو الحسن بن الأثير

*(تمت فهرسة الجزء الاول) *

كتاب القطع المنتخب

تأليف
حضرة يحيى أفندي إبراهيم
نائب قاضي محكمة الاستئناف

وهو
يشتمل على ثلاثة أجزاء

قررت نظارة المعارف العمومية بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٨٩٣ نمرة ٣١٣
لرؤم طبع هذا الكتاب على نفقتها واستعماله بالمدراس الاميرية

(حقوق الطبع محفوظة للنظارة)

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميرية بيولا ق مصر المحمية
سنة ١٨٩٣
افرنجيه

الجزء الاول
من كتاب القطع المنتخبه

تأليف
حضرة يحيى افندي ابراهيم
نائب قاضي محكمة الاستئناف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الاول في الفقه

فصل

(في فضل القضاء والترغيب في القيام فيه بالعدل وبيان محل التحذير منه وحكم السعي فيه)

اعلم أن أكثر المؤلفين من أصحابنا وغيرهم بالغوا في الترهيب والتحذير من الدخول في ولاية القضاء وشددوا في كراهة السعي فيها ورغبوا في الاعراض عنها والتفوق والهرب عنها حتى تقتدر في أذهان كثير من الفقهاء والصالحين أن من ولي القضاء فقد سهل عليه دينه وألحق يده بالهلكة ورغب عما هو الأفضل وساء اعتقادهم فيه وهذا غلط فاحش يجب الرجوع عنه والتوبة منه والواجب تعظيم هذا المنصب الشريف ومعرفة مكانته من الدين فيه بعث الرسل وانزلت الكتب والقيام به فامت السموات والأرض وقد جعله النبي عليه الصلاة والسلام من النعم التي يسبح الحسد عليها فقد جاء من حديث ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام لأحسد الافي اثنين رجل آتاه الله ما لا فسطه على هلكته في الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس وجاء من حديث عائشة رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال هل تدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة قالوا الله أعلم ورسوله قال الذين إذا أعطوا الحق قبلوا وإذا سئوا بذلوا وإذا حكموا المسلمين حكموا بحكمهم لأنفسهم وفي الحديث الصحيح سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه الحديث فبدا بالامام العادل وقال صلى الله عليه وسلم المقسطون على منابر من نوريوم القيامة على بين الرحمن كتابيديه بين وقال عبد الله بن مسعود لان أقضى يوما أحب إلى من عباد تسبعين سنة ومرا أنه اذا قضى يوما بالحق كان أفضل من عباد تسبعين سنة فكذلك كان العدل بين الناس من أفضل أعمال البر وأعلى درجات الاجر قال الله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين فأى شئ أشرف من محبة الله تعالى واعلم أن كل ما جاء من الاحاديث التي فيها تحذير وعيد فاعلم في حق قضاة الجور والجهال الذين يدخلون أنفسهم في هذا المنصب بغير علم ففي هذين المصنفين جاء الوعيد وأما قوله صلى الله عليه وسلم

من وفى القضاء فقد نجح بغير سكين فقد أوردنا كثر الناس في معرض التحذير من القضاء وقال بعض أهل العلم هذا الحديث دليل على شرف القضاء وعظيم منزلته وأن المتولى له مجاهد لنفسه وهواه وهو دليل على فضيلة من قضى بالحق أن جعله ذبيح الحق امتحاناً لتعظيم له التوبة امتحاناً فالقاضي لما استسلم لحكم الله وصبر على مخالفة الأقارب والأباعد في خصوصياتهم فلم تأخذه في الله لومة لائم حتى قادهم إلى أمر الحق وكلمة العدل وكفهم عن دواعي الهوى والعناد جعل ذبيح الحق لله وبلغ به حال الشهداء الذين لهم الجنة وقد وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن أبي طالب ومعاذ بن جبل ومعقل بن يسار رضى الله عنهم القضاء فتم الناجح ونعم المذبحون فالعذر الوارد من الشرع انما هو عن الظلم لا عن القضاء فإن الجور في الاحكام واتباع الهوى فيه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر قال الله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً وقال عليه الصلاة والسلام ان أعنى الناس على الله وأبغض الناس الى الله وأبعد الناس من الله رجل ولاه الله من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعدل بينهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة قاض عمل بالحق في قضائه فهو في الجنة وقاض علم الحق بخار متدياً فذلك في النار وقاض قضى بغير علم واستحيان يقول لأعلم فهو في النار فصح أن ذلك في الجاهل والجاهل الذي لم يؤذن له في الدخول في القضاء

(رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى الأشعري فيما يتعلق بالقضاء)

رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه المعروفة برسالة القضاء ومعاني الاحكام وعليها احتذاء فضة الاسلام وقد ذكرها كثير من العلماء وصدروا بها كتبهم وهذه الرسالة أصل فيما تضمنته من فصول القضاء وهي

بسم الله الرحمن الرحيم من عمر أمير المؤمنين الى أبي موسى الأشعري سلام عليك فاني أجد الله الذي لا اله الا هو أباعد فان القضاء فريضة محكمة وستة متبعة فافهم انا أدلى اليك وأتخذ اذنين لك فانه لا ينفع تكلم بحق لا تفادله سوين الناس في وجهك ومحاسنك وعدلك حتى لا يأس الضعيف من عدلك ولا يطمع الشريف في حيفك والبيئة على المدعى واليمين على من أنكر والصالح جائز بين المسلمين الا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً لا يمنعك قضاء قضيته بالامن ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه رشداً أن تراجع الحق فان الحق ومراجعته خير من الباطل والتقليد فيه والفهم الفهم فيما تليج في صدرك مما لا يبلغك في الكتاب والسنة اعرف الامثال والاشكال وقس الامور عند ذلك واعلم اني أحبه الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى

اجعل للذي خفعا بآبائنا أو بيننا أجلا ينهي اليه فان أحضر بينة أخذت بحقه والا وجهت عليه
القضاء فان ذلك أجلى للمي وأبلغ في العذر والمسلون عدول بعضهم على بعض الا مجلوا في حد
أو حجر باعليه شهادة زور أو طعينا في ولاء أو نسب فان الله تعالى وتولى منكم السرائر ورد عنكم
بالبينات والايان واياك والقلق والفجر والتأذي بالناس والتشكر والخصوم عند الخصومات
في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر فإنه من يصلح ما بينه وبين الله ولوعلى
نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله منه شأنه الله فما ظنك
بشواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام

فصل

(في الآداب التي يلزم القاضى التسلك بها)

يلزم القاضى أمور منها أنه لا يقبل الهدية من الاجنبى اذا كان لا يهدى اليه قبل القضاء لانه يحتمل
أن الاهداء لاجل القضاء حتى يعيل اليه متى وقعت الخصومة واذا قبل الهدية ماذا يصنع قالوا يرد
على المهدى ان أمكنه الرد وان لم يمكن الرد على صاحبه يضعه في بيت المال هكذا ذكر محمد في السير
الكبير وان كان يهدى اليه قبل القضاء فان كان له خصومة لا ينبغي له أن يقبل نص عليه الخصاصف
فان لم يكن له خصومة فان كانت هذه الهدية مثل تلك أو أقل فانه يقبلها لانه لا يكون آكلا بقضائه
لان سابقة المهادة دلت على أن الاهداء للتودد والتجيب لا للقضاء وان كانت أكثر يرد الزيادة
لانه انما زاد لاجل القضاء لئيل اليه متى وقعت الخصومة ويقبل الهدية من ذى الرحم المحرم
من المحيط (قلت) والاصوب في زماننا عدم القبول مطلقا لان الهدية تورث ادلال المهدى واغضاء
المهدى اليه وفي ذلك ضرر بالقضاء والقاضى ودخول الفساد عليه وقيل ان الهدية تطفئ نور
الحكمة قال ربعة اياك والهدية فانها ذريعة الرشوة وكان النبي عليه السلام يقبل الهدية وهذا
من خواصه والنبي عليه السلام معصوم مما يخشى على غيره منه ولما روى عن عبد العزيز الهمداني
قيل له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فقال كانت له هدية ولنا رشوة لانه كان يتقرب اليه
لنبوته لا لولايته ونحن يتقرب اليه بالولايه وقال عليه السلام يا فى على الناس زمان يستحل فيه
السجدة بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرى ليستغربه العامة (ومنها) أنه لا يبيع ولا يشتري في
مجلس القضاء نفسه لما روى عن عمر رضى الله عنه أنه كتب الى شرح لا تسار ولا تقار ولا تبع
ولا تشتري في مجلس القضاء ويشهد الجنارة ويعود المريض ويحجب الدعوة ولكن لا يطيل مكثه
في ذلك المجلس ولا يمكن أحدا يتكلم بشئ من الخصومات لان الخصم الآخر يتهمة ويحجب الدعوة

العامة كالعرس والختان (ومنها) أنه لا يجيب الدعوة الخاصة العشرة وما دونها خاصة وما فوقها عامة لان الدعوة العامة ما اتخذت لأجل القاضي بل اتخذت لأجل العامة ولا يصير القاضي آكلًا بقضائه (ومنها) أنه ينبغي له التزهد عن طلب الخواص من ماعون أو دابة (ومنها) أنه لا ينبغي له أن يأخذ من الناس إلا الذي ولا موحده لأن من دونه رعية (ومنها) أنه ينبغي له أن يجتنب بطانة السوء لأن أكثر القضاة انما يأبى عليهم من ذلك ومن بلى بذلك عرفه (ومنها) أن يختار له كاتبًا يكتب له ويكتب ما يقع في مجلسه بين الخصوم ولا يجعل كاتب الحكم صبيًا ولا عبدا ولا مدبرا ولا مكاتبًا ولا محدودي قذف ولا دنيا وقد ذكر بعضهم في أوصافه أربعة وهي العدالة والعقل والرأى والعفة وإن لم يكن عالمًا بالحكام الشرع فلا بد أن يكون عالمًا بالحكام الكتابة وقال بعضهم أن يكون كاتبه عدلًا فقيها يكتب بيده ثم ينظره وفيه وظاهر كلام المتقدمين أن ذلك على وجه الاستحباب ويقعد حيث يرى ما يكتب لأنه أنقى للثمة والتخليط لأنه ربما يخدع بالرشوة فيزيد أو ينقص فيما يكتب فيؤدي إلى إبطال حقوق الناس ويكتب ما جرى في مجلسه من الدعوى والانكار وقيام البيئة لاحتمال أن يقع الاختلاف فيما جرى قبل القضاء فتمس الحاجة إلى المراجعة اليه فيكتب بحضور الخصمين لكيلا يتهم بتغيير ويقرأ ما كتب على الشاهدين فإن كان فيه خلاف أخبر به ثم ينظر فيه القاضي فإن كان كجاري وقع بخطئه أغفل الكتاب شهدا عندئذ بذلك (ومنها) أنه ينبغي له أن يخضع مرتجا وإذا اختصم اليه من لا يتكلم بالعربية ولا يفهم منه فليترجم عنه ثقة مسلم مأمون والاشتان أحب اليه بعد أن يكون عدلًا عند أبي حنيفة وأبي يوسف وقال محمد والشافعي لا يجوز لأرجل أن ورجل وأمر أنان فكذلك العدل ورسول القاضي إلى العدل الواحد يكفي عندهما من المحيط (ومنها) أنه ينبغي له أن يستبطن أهل الدين والأمانة والعدالة والبراهة ليستعين بهم على ما هو بسبيله ويقوى بهم على التوصل على ما يشوبه ويحققوا عنه فيما يحتاج إلى الاستعانة فيه من النظر في الروايات والاجاباس والقسمه وأموال الأيتام وغير ذلك مما ينتظر فيه (ومنها) أنه يجب أن يكون أعوانه في زوى الصالحين فإنه يستدل على المرء بصاحبه وعلامه ويأمرهم بالرفق واللين في غير ضعف ولا تقصير فلا بد للقاضي من أعوان يكونون حوله أئبرجوا من ينبغي زجرهم من المتخاصمين وينبغي أن يخفف منهم ما استطاع وقد كان الحسن رضي الله عنه يشكر على القضاء اتخاذ الأعوان فلما ولي القضاء وشوش عليه ما يقع من الناس عنده قال لا بد للسلطان من وزعة وإن استغنى عن الأعوان أصلا كان أحسن قال بعضهم ولا يكون العون الأثقة مأمونا لأنه قد يطلع الخصوم على ما لا ينبغي أن يطلع عليه أحد الخصمين وقد يرش على المنع والأذن وقد يخاف منه على النساء إذا احتجن إلى خصام فكل من يستعين به للقاضي على قضائه ومشورته لا يكون الأثقة مأمونا . معين الحكام

فصل

(فيما يلزم القاضى في خاصة نفسه)

اعلم أنه يجب على من ولى القضاء أن يعالج نفسه على آداب الشرع وحفظ المروءة وعلو الهمة ويتوق ما يشينه في دينه ومروءته وعقله أو يحطه في منصبه وهمة فأنه أهل لأن ينظر إليه ويقترى به وليس يسهه في ذلك ما يسع غيره فالعيون اليه مصروفة ونفوس الناس على الاقتداء بهديه موقوفة ولا ينبغي له بعد الحصول على هذا المنصب سوا وصول اليه برغبته فيه وطرح نفسه عليه أو امتنحه به وعرض عليه أن يزهد في طلب الخطا لأخاص والسنة الأصح فرمما حله على ذلك استحقاق نفسه لكونه عن لا يستحق المنصب أو زهده في أهل عصره ويأسه من استصلاحهم واستبعاد ما يرجون علاج أمرهم وأمره أيضا لم يراه من عموم الفساد وقلة الالتفات إلى الخير فأنه إن لم يسع في استصلاح أهل عصره فقد أسلم نفسه وألقى يده إلى التهلكة وبس من تدارك الله تعالى عباده بالرحمة فيلجئهم لذلك إلى أن يعيش على ما مشى عليه أهل زمانه ولا يزال بأى شئ وقع فيه لاعتقاده فساد الحال وهذا أشد من مصيبة القضاء وأدهى من ككل ما يتوقع من البلاء فلما أخذ نفسه بالمجاهدة ويسعى في اكتساب الخير وبطلبه ويستصلح الناس بالرهبة والرغبة ويشدد عليهم في الحق فإن الله تعالى يفضله يجعل له في ولايته جميع أمورهم فربما يخرجوا ولا يجعل حفظهم من الولاية المباهلة بالناسه وانفاذا لأوامر والتلذذ بالطعام والملابس والمساكن فيكون ممن خطوط بقوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وليجتهد أن يكون جميل الهيئة ظاهر الأبهة وفور المشية والجلسة حسن النطق والصمت محترزا في كلامه من الفضول وما لا حاجة به كأئمة مدرسه على نفسه عدا فإن كلامه محفوظ وزاله في ذلك ملحوظ وليقلل عند كلامه الإشارة بيده والالتفات بوجهه فان ذلك من عمل المتكفين وصنع غير المتأدين ولكن ضحكة تبسما ونظرة فراسة وتوسما واطرافه تفهما وليلزم من السمات الحسن والسكنة والوقار ما يحفظه مروءته فقبل الهم اليه ويكبر في نفوس المحصور من الجرأة عليه من غير تفكير يظهره ولا عاب يستعره وكلاهما شين في الدين وعيب في أخلاق المؤمنين . معين الحكام

(كتاب الرهن)

الرهن جائز في الحضر والسفر عند كافة الفقهاء وقال داود هو مختص بالسفر وعقد الرهن يلزم بالقبول وإن لم يقبض عند مالك ولكنه يجبر الراهن على التسليم وقال أبو حنيفة والتأفقي وأحمد من شرط صحة الرهن القبض فلا يلزم الرهن الاقبضه ورهن المشاع مطلقا جزاء سواء كان (٢) القطع المنتخبة (جزء أول)

مما يقسم كعقار أولا كعبد وقال أبو حنيفة لا يصح رهن المشاع واستدامة الرهن عند المرتهن ليست بشرط عند الشافعي وهي شرط عند أبي حنيفة ومالك فتى خرج الرهن من يد المرتهن على أي وجه كان بطل الرهن الآن أبا حنيفة يقول ان عادى الراهن بوديعة أو عارية لم يطله

(فصل) وإذا رهن شيئا على مائة ثم أقرضه مائة أخرى وأراد جعل الرهن على الدينين جميعا لم يميز على الراجح من مذهب الشافعي اذا الرهن لازم بالحق الأول وهو قول أبي حنيفة وأحمد وقال مالك بالجواز وهل يصح الرهن على الحق قبل وجوبه قال أبو حنيفة يصح وقال مالك والشافعي وأحمد لا يصح

(فصل) وإذا شرط الراهن في الرهن أن يبيعه عند حلول الحق وعدم دفعه جاز عند أبي حنيفة ومالك وأحمد وقال الشافعي لا يجوز للرتهن أن يبيع المرهون بنفسه بل يبيعه الراهن أو وكيله باذن المرتهن فان أبى الزم الحاكم قضاء الدين أو يبيع المرهون والرفع الى الحاكم مستحب عند مالك فان لم يفعل وباعه المرتهن جاز وإذا وكل الراهن عدلا في بيع المرهون عند الحلول ووضع الرهن في يده كانت الوكالة عند الشافعي وأحمد صحيحة وللراهن فسحها وعزله كغيره من الوكلاء وقال أبو حنيفة ومالك ليس له فسح ذلك وإذا تراضيا على وضعه عند عدل وشرط الراهن أن يبيعه العدل عند حلوله فباعه العدل فثقل الثمن قبل قبض المرتهن فهو عند أبي حنيفة من ضمان المرتهن كما لو كان في يده وقال مالك ان تلف الرهن في يده العدل فهو من ضمان الراهن بخلاف كونه في يده المرتهن فانه بضمن وقال الشافعي وأحمد تكون الحالة هذه من ضمان الراهن مطلقا إلا أن ينعى المرتهن فان يده يدا مائة وإذا باع العدل الرهن وقبض الراهن الثمن ثم خرج المبيع مستحقا فلا عهدة على العدل عند مالك يأخذ المستحق المبيع من يد المشتري ويرجع المشتري بالثمن على موكل العدل في البيع وهو المرتهن لانه يبيع له وقال القاضي عيسى الوهاب المالكي لا ضمان عندنا على الوكيل ولا على الوصى ولا على الاب فيما يبيعه من مال ولده وهذا قول الشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة العهدة على العدل بغرم للمشتري ثم يرجع على موكله وكذا يقول في الاب والوصى وبوافق مالك في الحاكم وأمين الحاكم فيقول لعهدة عليهما ولكن الرجوع على من باع عليه ان كان مفلسا أو يتيما

(فصل) والمغصوب مضمون ضمان غصب فلورهنه مال كمك عند الغاصب من غير قبضه صار مضمونا ضمان رهن وزال ضمان الغصب عند مالك وأبي حنيفة وقال الشافعي وأحمد يستقر ضمان الغصب ولا يلزم الرهن ما لم يمس زمن امكان قبضه

(فصل) عند مالك أن المشتري الذي استحق المبيع من يده يرجع بالنقص على المرتهن لاعتق الراهن ويكون دين المرتهن في ذمة الراهن كالموكل في الرهن وكذا عند أبي حنيفة إلا أنه يقول العدل يضمن ويرجع على المرتهن وقال الشافعي يرجع المشتري على الراهن لأن الرهن عليه بيع لا على المرتهن وكذا يقول مالك وأبو حنيفة في التفليس إذا باع الحاكم أو الوصي أو الأيمن شيئاً من التركة للغرماء بطلانهم وأخذوا الثمن ثم استحق المبيع فإن المشتري عندهما يرجع على الغرماء ويكون دين الغرماء في ذمة غرضهم كما كان والسبب كله عند الشافعي واحد والرجوع يكون عنده على الراهن والمدين الذي بيع متاعه

(فصل) وإذا شرط المشتري للبائع رهناً أو ضمناً ولم يعين الرهن ولا الضمين فالبيع جائز عند مالك وعلى المبتاع أن يدفع رهناً برهن مثله على مبلغ ذلك الدين وكذلك على أن يأتي بضمين نقدة وقال أبو حنيفة والشافعي البيع والرهن باطلان وقال المزني هنا غلط عندى الرهن فاسد للجهل به والبيع جائز ولا باع الخيار إن شاء أتم البيع بل ارهن وإن شاء فسخه لبطان الوثيقة

(فصل) وإن اختلف الراهن والمرتهن في مبلغ الدين الذي حصل به الرهن فقال الراهن رهنته على خمسمائة درهم وقال المرتهن على ألف وقيمة الرهن تساوى الألف أو زيادة على الخمسمائة فعند مالك القول قول المرتهن مع عينه فإذا حلف وكان قيمة الرهن ألفاً فالراهن بالخيار بين أن يعطيه ألفاً أو يأخذ الرهن أو يترك الرهن للمرتهن وإن كانت القيمة ستمائة حلف المرتهن على قيمته وأعطاه الرهن وستمائة وحلف أنه لا يستحق عليه إلا ما ذكر وتسقط الزيادة وقال أبو حنيفة والشافعي واحد القول قول الراهن فيمليد كره مع عينه فإذا حلف دفع إلى المرتهن ما حلف عليه وأخذ رهنه

(فصل) زيادة الرهن ونحوه إذا كانت منفصلة كالولد والنمرة والصوف والوبر وغير ذلك تكون عند مالك ملكاً للراهن ثم الولد يدخل في الرهن دون غيره وقال أبو حنيفة الزيادة مطلقاً تدخل في الرهن مع الأصل وقال الشافعي جميع ذلك خارج عن الرهن وقال أحمد هو ملك للمرتهن دون الراهن وقال به بعض أصحاب الحديث إن كان الراهن هو الذي يتفق على الرهن فالزيادة له والمرتهن فالزيادة له

(فصل) واختلف العلماء في الرهن هل هو مضمون أم لا فذهب مالك أن ما يظهر هلاكه كالحيوان والعقار فهو غير مضمون على المرتهن ويقبل قوله في تلفه مع عينه وما يخفى هلاكه كالنقد والتوب فلا يقبل قوله فيه الآن بصدقه الراهن واختلف قوله فيما إذا قامت اليقظة بالهلاك فروى ابن القاسم وغيره عنه أنه لا يضمن ويأخذ دينه من الراهن وروى أشهب وغيره أنه ضامن لقيمته

والمشهور من مذهبه أنه مضمون بقيته قلت أو كثرت فإن فضل الراهن شيء من القيمة على مبلغ الحق أخذ من المرتن وقال أبو حنيفة الرهن على كل حال مضمون بأقل الأمرين من قيمته ومن الحق الذي عليه فإذا كانت قيمته ألف درهم والحق خمسمائة ضمن ذلك الحق ولم يضمن الزيادة ويكونان ثلاثة من ضمان الراهن وإن كان قيمة الرهن خمسمائة والحق ألفاً ضمن قيمة الرهن وسقطت من دينه وأخذ باقي حقه وقال الشافعي وأجد الرهن أمانة في يد المرتن كسائر الأمانات لا يضمنه إلا بالتعدي وقال شرح والحسن والشعبي الرهن مضمون بالحق كله حتى لو كان قيمة الرهن درهمين والحق عشرة آلاف ثم تلف الرهن سقط الحق كله

(فصل) وإذا ادعى المرتن هلاك الرهن وكان مما يمتحن فإن اتفق على القيمة فلا كلام وإن اتفقا على الصفة واختلفا في القيمة فقال مالك يسئل أهل الخبرة عن قيمة ما هذه صفته ويعمل عليها وقال أبو حنيفة القول قول المرتن في القيمة مع يمينه ومذهب الشافعي أن القول قول الغارم مطلقاً ولو بشرط المتبايع أن يكون بنفس المبيع رهناً قال أبو حنيفة والشافعي لا يصح ويكون المبيع مفسوخاً وقال القاضي عبد الوهاب وظاهر قول مالك كقولهم ولكنه عندي على طريق الكراهة وأنا أدل على جواز أنصر القول به وعندي أن أصول مالك تدل عليه (من كتاب رجة الأمانة في اختلاف الأئمة)

(كتاب الوكالة)

الوكالة من العتد والجائز في الجملة بالإجماع وكل ما جازت النيابة فيه من الحقوق جازت الوكالة فيه كالبيع والشراء والإجارة وقضاء الديون والنصومة في المطالبة بالحقوق والتزويج والملاق وغير ذلك واتفق الأئمة على أن إقرار الوكيل على موكله في غير مجلس الحكم لا يقبل بحال فلو أقر عليه بمجلس الحكم قال أبو حنيفة يصح إلا أن شرط عليه أنه لا يقر عليه وقال الثلاثة لا يصح واتفقوا على أن إقراره عليه بالحدود والقصاص غير مقبول سواء كان بمجلس الحكم أو غيره

(فصل) ووكالة الحاضر صحيحة عند مالك والشافعي وأجد وإن لم يرض خصمه بذلك إذ الم يكن الوكيل عدواً للنصيب وقال أبو حنيفة لا تصح وكالة الحاضر إلا برضا النصيب إلا أن يكون الموكل مريضاً أو مسافراً على ثلاثة أيام فيعوز حينئذ وإذا وكل شخصاً في استيفاء حقوقه فإن وكله بمضرة الحاكم جاز ذلك ولا يحتاج فيه إلى يئمة وسواء وكله في استيفاء الحق من رجل بعينه أو جماعة وليس حضور من يستوفى منه الحق شرطاً في صحته ولو كسبه وإن وكله في غير مجلس الحكم فيثبت وكالته باليئمة عند الحاكم ثم يدعى على من يطالبه بمجلس الحكم هذا مذهب مالك والشافعي وأجد

وقال أبو حنيفة إن كان الخصم الذي وكل عليه واحدا كان حضوره شرطاً في صحة الوكالة أو جاعة كان حضور واحد منهم شرطاً في صحة الوكالة

(فصل) ولو وكيل عزل نفسه متى شاء بحضرة الموكل وبغير حضرته عندما لك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة ليس له فسخ الوكالة إلا بحضور الموكل ولو كل أن يعزل الوكيل عن الوكالة فيعزل وإن لم يعلم بذلك على الرابع عندما لك والشافعي وقال أبو حنيفة لا يعزل إلا بعد العلم بذلك وعن أحمد روايتان

(فصل) وإذا وكله في بيع مطلقاً ذهب مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد أن ذلك يقتضي البيع بمن المثل نقداً بقدر البلد فإن باع بما لا يتعاب الناس بمثله أو نساء أو بغير نقد البلد لم يجز إلا برضا الموكل وقال أبو حنيفة يجوز أن يبيع كيف شاء نقداً ونساء وبدون عن المثل وبما لا يتعاب الناس مثله ونقداً بالدفع وغير نقد وأما في الشراء فاتفقوا أنه لا يجوز للموكل أن يشتري بأكثر من عن المثل ولا إلى أجل وقول الوكيل في تلف المال مقبول سيئة بالاتفق وهل يقبل قوله في الرد الرابع من مذهب الشافعي أنه يقبل وبه قال أحمد سواء كان يجعل أو بغيره ومن كان عليه حق لشخص في ذمته أو له عنده عين كعارية أو ودیعة فباعها إنسان وقال وكفى صاحب الحق في قبضه منك فصدقه أنه وكيله ولم يكن للوكيل بينة فهل يجبر على الدفع إلى الوكيل أم لا قال القاضي عبد الوهاب لست أعرفها منصوصة لنا والصحيح عندنا أنه لا يجبر على تسليم ذلك إلى الوكيل وبه قال الشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة وما حباه أنه يجبر على تسليم ما في ذمته وأما العين فقال محمد يجبر على تسليمها قال فيما في الذمة واختلفوا هل تسمع البينة على الوكالة من غير حضور الخصم قال أبو حنيفة لا تسمع إلا بحضوره وقال الثلاثة تسمع من غير حضوره وتصح الوكالة في استيفاء الفصاص عندما لك والشافعي على الأصح من قوله وعلى أظهر الروايتين عن أحمد وقال أبو حنيفة لا تصح إلا بحضوره واختلفوا في شراء الوكيل من نفسه فقال أبو حنيفة والشافعي لا يصح ذلك على الإطلاق وقال مالك أنه أن يتعاب من نفسه لنفسه بزيادة في الثمن وعن أحمد روايتان أظهرهما أنه لا يجوز له أن يتعاب من نفسه بزيادة في الثمن وقال أبو حنيفة وأحمد يصح وقال القاضي عبد الوهاب لا أعرف فيه نصاً عن مالك إلا أنه لا يصح وعند الشافعي أنه لا يصح والوكيل في الخصومة لا يكون وكيلاً في القبض إلا عند أبي حنيفة وحده (من كبر رجعة الأمة في اختلاف الأئمة)

(كتاب الهبة)

اتفق الأئمة على أن الهبة تصح بالإيجاب والقبول والقبض فلا بد من اجتماع الثلاثة عند الثلاثة وقال مالك لا تنفك رحمتها ولزومها إلى قبض بل تصح وتلزم بمجرد الإيجاب والقبول ولكن القبض شرط في نفوذها وتسلمها واحتراز مالك بذلك عما إذا أخرج الواهب الأقباض مع مطالبة الموهوب له حتى مات وهو مستتر على المطالبة لم تبطل وله مطالبة الورثة فإن ترك المطالبة أو أمكنه قبض الهبة فلم يقبضها حتى مات الواهب أو مرض بطلت الهبة وقال ابن أبي زيد المالكي في الرسالة ولا تتم هبة ولا صدقة ولا جنس إلا بالخيازة فإن مات قبل أن يحاز عنه فهو ميراث وعن أحمد رواية أن الهبة غلغ من غير قبض ولا بد في القبض أن يكون باذن الواهب خلافاً لأبي حنيفة وهبة المشاع جائزة عند مالك والشافعي كالبيع ويصح قبضه بأن يسلم الواهب الجميع إلى الموهوب له فيستوفى منه حقه ويكون نصيب شريك في يده وديعة وقال أبو حنيفة إن كان مما لا يقسم كالعبيد والجواهر جازت هبته وإن كان مما يقسم لم تجز هبة شئ منه مشاعاً

(فصل) ومن أعمرنا فقال أعمرك دارى فإنه يكون قد وهب له الاتفاقيات مدة حياته وإذا مات رجعت الرقبة إلى مالكها وهو المهر هذا مذهب مالك وكذلك إذا قال أعمرك وعقبك فإن عقبه لم يكتف منفعتهما فإذا لم يبق منهم أحد رجعت الرقبة إلى المالك لأنه وهب المنفعة ولم يهب الرقبة وقال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه وأحمد نصير الدار ما سلك للمهر ورثته ولا تعود إلى مالك المعطى الذي هو المهر فإن لم يكن للمهر وارث كانت لبيت المال والشافعي قول آخر كذهب مالك والرقبي جائزة وحكمها حكم العمرى عند الشافعي وأحمد وأبي يوسف وقال مالك وأبو حنيفة ومحمد الرقبى باطلة

(فصل) ومن وهب لولاد شيئاً استعجب أن يسوى بينهم عند أبي حنيفة ومالك وهو الراجح من مذهب الشافعي وذهب أحمد ومحمد بن الحسن إلى أنه ينضل المذكور على الإناث كقسمه الأثر وهو وجه في مذهب الشافعي وتخصيص بعض الأولاد بالهبة مكروه بالاتفاق وكذا تخصيص بعضهم على بعض وأما فضل فهل يلزمه الرجوع الثلاثة على أنه لا يلزمه وقال أحمد يلزمه الرجوع (فصل) وإذا وهب الولد لابنه هبة قال أبو حنيفة ليس له الرجوع فيها بحال وقال الشافعي له الرجوع بكل حال وقال مالك له الرجوع ولو بعد القبض فيما وهب لابنه على جهة الصلة والمحبة ولا يرجع فيما وهب على جهة الصدقة وإنما يسوغ الرجوع ما لم تغير الهبة في يد الولد أو يستحدث ديناً بعد الهبة أو تترقح البنت أو يخطب الموهوب له بحال من جنسه بحيث لا يميزه من غيرها فلا فليس له

الرجوع وعن اجد ثلاث روايات أظهرها للرجوع بكل حال كذهب الشافعي والثانية ليس له الرجوع بحال كذهب أبي حنيفة والثالثة كذهب مالك

(فصل) وهل يسوغ الرجوع في غير هبة الابن قال الشافعي له الرجوع في هبة كل من يقع عليه اسم ولد حقيقة أو مجازا كولد له له ولولد له من أولاد البنين وأولاد البنات ولا رجوع في هبة لاجنبي ولم يعتبر الشافعي طرق دين وتزويج البنت كما اعتبره مالك لكن شرط بقاءه في سلطنة المتبني فيمنع عند الرجوع بوقفه ويحبه لانا جازته وزهسه وقال أبو حنيفة اذا وهب لذي رحم محرم بالنسب لم يكن له الرجوع وان وهب لاجنبي ولم يعوض عن الهبة كان له الرجوع الا أن يزيد زيادة متناه أو يموت أحد المتعاقدين أو يخرج عن ملك الموهوب له وليس له عند أبي حنيفة الرجوع فيما وهب لولده وأخيه وأخته وعمه وعته ولا كل من لو كان امرأته لم يكن له أن يتزوج به الاجل النسب فاما اذا وهب لبني عمه وأولاد جانب كان له أن يرجع في هبته

(فصل) وهب هبة ثم طلب ثوابها وقال نعم أردت الثواب تطرف فان كان مثله عن يطلب الثواب من الموهوب له فذلك عند مالك كهبة الفقير للفقير وهبة الرجل لاميروه ومن هو فوقه وهو أحد قول الشافعي وقال أبو حنيفة لا يكون له ثواب الا باشتراطه وهو القول الثاني للشافعي وهو الراجح من مذهبه

(فصل) وأجمعوا على أن الوفا بالوعد في غير مطلوب وهل هو واجب أو مستحب فيه خلاف ذهب أبو حنيفة والشافعي وأحدوا كبار العلماء إلى أنه مستحب فلو تركه فاته الفضل واركتب المكروه كراهة شديدة ولكن لا يائتم ونهب جماعة أنه واجب منهم عمر بن عبد العزيز ونهبت المالكية مذهبا ثالثا أن الوعد ان اشترط بسبب كقوله تزوج ولت كذا ونحو ذلك وجب الوفا به ان كان الوعد مطلقا لم يجب (من كتاب رحمة الأمة في اختلاف الأئمة)

(كتاب القطة)

أجمع الأئمة على أن اللقطة تعرف جولا كاملا اذا لم يكن شيئا فافيا سيرا أو شيئا لا بقائه وأن صاحبها اذا جاء أحق به من ملقطةها وأنه اذا أكلها بعد الحول وأراد صاحبها أن يفتنه كان ذلك لو أنه ان تصدق به لم يلحقه بعد الحول فصاحبها مخير بين التضييع وبين الرضا بالاجر

(فصل) وأجمعوا على جواز الانتقاط في الجملة ثم اختلفوا هل الأفضل ترك اللقطة أو أخذها فعن أبي حنيفة روايتان أحدهما الاخذ أفضل والثانية تركه أفضل وعن الشافعي قولان أحدهما أخذها أفضل والثاني وجوب الاخذ والاصح استحبابه لوائق بأمانته نفسه

وقال أحد تركها أفضل فلأخذها ثم ردها إلى مكانها قال أبو حنيفة إن كان أخذها ليردها إلى صاحبها فلا ضمان والآخر قال الشافعي وأحمد يضمن على كل حال وقال مالك إن أخذها بنية الحفظ ثم ردها ضمن وإن أخذها مترددين أخذها وتركها ثم ردها فلا ضمان عليه

(فصل) ومن وجد شاة في قلاة حيث لا يوجد لمن يضمنها إليه ولم يكن يشربها شيء من العرمان وخاف عليها فله الخيار عند مالك في تركها أو أكلها ولا ضمان عليه والبقرة إذا خاف عليها السباع كالشاة وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد متى أكلها لم يضمن إذا حضر صاحبها

(فصل) وإذا عثر الملقطة سنة ولم يحضر مالكها فعند مالك والشافعي للملقط أن يحبسها أبدا وله التصديق به أو له أن يأكلها غنبا كان أو فقيرا وقال أبو حنيفة إن كان فقيرا جاز له أن يملكها وإن كان غنبا لم يجوز له ويجوز له عند أبي حنيفة ومالك أن يصدق به قبل أن يملكها على شرط أن جاء صاحبها فإن أجاز ذلك مضى وإن لم يجوز ضمن له الملقط وقال الشافعي وأحمد لا يجوز ذلك لأنها صدقة موقوفة وإذا وجد بغير إيداع وحده لم يجوز له عند مالك والشافعي أخذه فلأخذ ثم أرسله فلا شيء عليه عند أبي حنيفة ومالك وقال الشافعي وأحمد عليه الضمان

(فصل) وإذا مضى على اللقطة حول ونصرف في الملقط بنقشة أو سبغ أو صدقة فاصحابها إذا جاء أن يأخذ قيمتها يوم علقها عند أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وقال داود ليس له شيء وإذا جاء صاحب اللقطة فأعطى علامتها ووصفها وجب على الملقط عند مالك وأحمد أن يدفعها إليه ولا يكفه بيئته وقال أبو حنيفة والشافعي لا يلزمه ذلك إلا بيئته (من كتاب رجة الامة في اختلاف الامة)

(هنا ما كتب به أبو يوسف رحمه الله إلى أمير المؤمنين هرون الرشيد)

أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز في تمام من النعمة ودوام من الكرامة وجعل ما أنعم به عليه موصولا بنعيم الآخرة الذي لا ينفد ولا يزول ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم إن أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني أن أصنع له كتابا معايل به في جباية الخراج والعشور والصدقات (١) والجواري وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصالح لا مرهم وفق الله تعالى أمير المؤمنين وسدده وأعانه على ما تولى من ذلك وسله مما يخاف ويحذر وطلب أن أئين له ما سألني عنه مما يريد العمل به وأفسره وأشرحه وقد فسر ذلك وشرحه يا أمير المؤمنين إن الله وله الحمد قد قللك أمر أعظما ثوابه أعظم الثواب وعقابه أشد العقاب قللك أمر هذه الامة فأصبحت وأمسيت تبني خلق كثير قد استرعاكم الله وأثمنتكم عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم

(١) الجواني جمع جانيه وهي الجزية كجاني المصباح اه

وليس يلبيث البنين اذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهمه على من بناء وأعان عليه فلا تصنع من مقلدك الله من أمر هذه الامة والرعية فان القوف في العمل باذن الله لا تؤثر على اليوم الى غد فانك اذا فعلت ذلك أضعت ان الاجل دون الامل فبادر الاجل بالعمل فانه لا عمل بعد الاجل ان العاقمة دون الرزق ما يؤدى الرأى الى ربه فأقم الحق في اوله الله وقلدك ولو ساعة من نهار فان أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته ولا ترغ فترغ رعيتهك ويا لك والامر بالهوى والاحذ بالغضب واذا نظرت الى امر من أحدهما للاخرة والاخر للدنيا فاختر أمر الاخرة على أمر الدنيا فان الاخرة تبقى والذنية تنفى وكن من خشية الله على حذر واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد ولا تحف في الله لومة لائم واحذر فان الحذر بالقلب وليس باللسان واتق الله فانما التقوى بالتوقى ومن يتق الله يمه وعل الاجل مفضوض وسبيل مسلكه وطريق مأخوذ وعمل محفوظ ومنهل مورود فان ذلك المورد الحق والموقف الاعظم الذى تطير فيه القلوب وتقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرهم جبروته والخلق له داخرون بين يديه ينتظرون قضاءه ويحافون عقوبته وكان ذلك قد كان فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل يوم تزل فيه الاقدام وتغير فيه الالوان ويطول فيه القيام ويستتد فيه الحساب يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه وان يوما عذربك كالف سنة مما تعدون وقال تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين وقال تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وقال تعالى كانه يوم يرون ما وعدون لم يلشوا الساعة من نهار وقال كانه يوم يرونهم لم يلشوا الاعشى واضحا فيا لها من عثرة لا تقال ويا لها من ندامة لا تنفع انما هو اختلاف الليل والنهار يلبس كل جديد ويقترن كل بعيد ويأتمن بكل موعود ويحزى الله كل نفس بما كسبت ان الله سريع الحساب فانه الله فان البقاء قليل والخطب خطير والدنياها الكدة وهالكة من فيها والاخرة هي دار القرار فلا تلق الله غدا وأنت سالك سبيل المتسدين فان ديان يوم الدين انما يدن العباد اعمالهم ولا يدنهم غنازلهم وقد حذر الله فاحذر فانك لم تخلق عبثا ولن تترك سدى وان الله سائل عما أنت فيه وعما عملت به فانظر الى الجواب واعلم أنه لن تزول عدا قدام عبيد بين يدي الله تبارك وتعالى الا من بعد المسألة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدام عبيد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمله ما عمل فيه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقهم وعن جسده فيم أبلاه فاعذبا أمير المؤمنين للسألة جوابها فان ما عملت فائت فهو عليك غدا يقرأ فاذا كركشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الشهاد وانى أوصيك أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ورعاية ما استرعاك الله وأن لا تنظر في ذلك الا ليهوله فانك ان لا تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى ونعمى في عينك وتغنى رسومه

ويضيق عليك رجه وتسكر منه ما تعرف وتعرف منه ما تسكر فخاص نفسك خصوصته من يربدا الفرج
لها الاعلما فان الراى المضيع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن اماكن الهلكة باذن الله
وأوردها ما كن الحياة والنجاة فان ترك ذلك أضاعه وان تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه سرع
وبه أضرا وأذا أصحح كل أسعد من هنالك بذلك ووفاه الله أضعاف ما وفى له فاحذروا أن تضيع رعتك
فيستوفى ربحا حقها منك ويضعك بما أضعت أجرة واعلم انهم قبل أن ينهدم وانما لك
من عملك ما علمت فيمن ذلك الله أمره عليك ما ضيعت منه فلا تنسى القيام بأمر من ولادة الله
أمره فليست تنسى ولا تغفل عنهم وعما يصلحهم فليس يغفل عنك ولا ينسح حفظك من هذه الدنيا
في هذا الايام والليالي كثرة تحريك اسنانك في نفسك بذكر الله تسليحا وتهيلا وتحميدا والصلاة
على رسوله صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة وامام الهدى صلى الله عليه وسلم وان الله بمنه ورجته
وعفوه جعل ولادة الامر خلفاء في أرضه وجعل لهم نور يضيء للارعية ما أظلم عليهم من الامور
فيما بينهم وبين ما تشبه من الحقوق عليهم واضاعة نور ولادة الامرا قامة الحذور وردا حقوق الى
أهلها بالثبوت والامر البين واحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعا فان احياء
السنن من الخير الذي يحيي ولا يموت وجور الراى هلاك للارعية واستعانت به بغير أهل الثقة والخير
هلاك للعامة فاستقم ما اتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها والتس الزيادة فيها
بالشكر عليها فان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز لنن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان
عذابي لشديد وليس شئ أحب الى الله من الاصلاح ولا أبغض اليه من الفساد والعمل بالمعاصي
كفر النعم وقل من كفر من قوم قط النعمة ثم ينزعوا الى التوبة الاسلام اعزهم وسلط الله عليهم
عدوهم وانى أسأل الله يا أمير المؤمنين الذي من عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يهلكك في شئ من
أمرك الى نفسك وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه واحبائه فانه ولي ذلك والمربوب اليه فيه
وفد كتب لك ما أمرت به وشرحت لك وبنيت فتفقهم وتبدره وردد قرأته حتى تحفظه فاني قد
اجتهدت لك في ذلك ولم ألك والمسلمين نفعنا بقاء وجه الله وثوابه وخوف عقابه وانى لارجو ان عملت
بما فيه من البنيان أن يوفقه لك خارجك من غير ظلم ولا معاهد ويصلح لك رعتك فان صلاحهم
يا قامة الحدود عليهم ورفع الظلم عنهم والتنظام فيما اشتبهم من الحقوق عليهم وكتب لك احاديث
حسنة فيما ترغب وتخصبض على ما سألت عنه مما تريد العمل به ان شاء الله فوفقك الله لما يرضيه
عنك وأصلح بك وعلى يدك

(فصل في الفى والخراج) فأما الفى عيا أمير المؤمنين فهو الخراج عندنا خراج الارض والله أعلم
لان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ما أقام الله على رسوله من أهل القرى فقله والرسول واذى القرى

واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم حتى فرغ من هؤلاء ثم قال عز وجل للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - هم يشغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ثم قال تعالى والذين سموا الدار والايمن من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شغ نفسه فأولئك هم المفلحون ثم قال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم فهذا والله أعلم لمن جاس من بعدهم من المؤمنين الى يوم القيامة وقد سأل بلال وأصحابه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصة ما أفاء الله عليهم من العراق والشام وقالوا اقسام الارضين بين الذين افتمحوها كما تقسم غنمة العساكر فابى عمر ذلك عليهم وتلا عليهم هذه الايات وقال قد أشرك الله الذين يأتون من بعدهم في هذا الفى فلو قسمته لم يبق لمن بعدهم شئ ولئن بقيت يلبغن الراعى بصنعاء نصيبه من هذا الفى ودمه في وجهه قال أبو يوسف وحدثني بعض مشايخنا عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر رضى الله عنه كتب الى سعد بن ابي وقاص فافتح العراق أما بعد فقد بلغني كالك تذكريه أن الناس سألوكم أن تقسم بينهم مغائتهم وما أفاء الله عليهم فانا أناك كلبى هذا فانظر ما أجلب الناس عليك بالى العسكر من كراع وال فاقسمه بين من - حضر من المسلمين وارتل الارضين والانهار بما لها ليكون ذلك في اعطيات المسلمين فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شئ وقد كنت أمرتك أن تدعوم لقيت الى الاسلام قبل القتال ففى أجاب الى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين ماله من عليه ما عليهم وليسهم في الاسلام ومن أجاب بعد القتال وبعد الهزيمة فهو رجل من المسلمين وماله لاهل الاسلام لانهم قد أحرزوه قبل اسلامه فهذا امرى وعهدى اليك قال أبو يوسف وحدثني غير واحد من علماء أهل المدينة قالوا لما قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه جيش العراق من قبل سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه شاور أصحاب محمد عليه السلام في تدوين الدواوين وقد كانت سبع رأى أبي بكر في التسمية بين الناس فلما فتح العراق شاور الناس في التفصيل ورأى أنه رأى فاشار عليه بذلك من رآه وشاوره في قصة الارضين التى أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام فتكلم قوم فيها وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا فقال عمر رضى الله تعالى عنه فكيف عن يأتى من المسلمين فيجدون الارض بها وجهها قد اقسمت وورثت عن الآباء وحيزت ما هذا برأى فقال لعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه خال رأى ما الارض والعلاج الاما أفاء الله عليهم فقال عمر ما هو الا كما تقول ولست أرى ذلك والله لا يفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كلا على المسلمين فاذا قسمت أرض العراق ليعاوجها

وأرض الشام بعلاجها فغلب عليه النغور وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق فأكثروا على عمر رضي الله تعالى عنه وقالوا تنفق ما أتاه الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولا بناء القوم ولا بناء أبنائهم ولم يحضروا فكان عمر رضي الله عنه لا يزيد على أن يقول هذا رأى قالوا فاستشر قال فاستشار المهاجرين الأولين فاختلّفوا فاما عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه فكان رأيّه أن تقسم لهم - قوقهم - ورأى عثمان وعلي وطليحة وابن عمر رضي الله عنهم رأي عمر فارسل إلى عشرة من الانصار وخمسة من الاوس وخمسة من الخزرج من كبارهم وأشرفهم فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال في ألم أزعجكم الا لأن تشتركو في أمانتي فيما حلت من أموركم فاني واحد كأحدكم وأنتم اليوم تقرّون بالحق خالفني من خالفني ووافقني من وافقني واستأريد أن تتبعوا هذا الذي هوأي معكم من الله كتاب ينطق بالحق فوالله انني كنت نطقت بأمره ما أريد ما أريد به الا الحق قالوا قل نسع يا أمير المؤمنين قال قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم واني أعوذ بالله أن أركب ظلما لئن كنت ظلمتهم شيئا هولهم وأعطيته غيرهم لقد شقيت ولكن رأيت انه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلاجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهلها وأخرجت الخمس فوجهت على وجهه وأنا في وجبه وقد رأيت أن أحبس الارضين بعلاجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيا المسلمين المقاتلة والذرية ولني يأتي من بعدهم أرايت هذه النغور لا بد لها من رجل يانمونها أرايت هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من أن تشحن بالجيش وادراا العطاء عليهم فني أن يعطى هؤلاء انا قسمت الارضون والعلاج فقالوا جميعا الرأي رأيك فنعم ما قلت وما رأيت ان تشحن هذه النغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقوون به رجح أهل الكفر الى ملتهم فقال قذبان الى الامر فني رجل له جراحة وعقل يضع الارض مواضعها ويضع على العلاج ما يحتملون فاجتمعوا له على عثمان ابن حنيف وقالوا به انه الى أهم ذلك فان له بصرا وعقلا وتجربة فأسرع اليه عمر فولام مساحة أرض السواد فأنتجها تسواد الكوفة قبل أن يموت عمر رضي الله عنه بعام مائة ألف ألف درهم والدرهم بمئذ درهم وديناران ونصف وكان وزن الدرهم بمئذ وزن المتقال قال وحديث الليث ابن سعد عن حبيب بن أبي ثابت قال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين أرادوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقسم الشام كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وانه كان أشد الناس عليه في ذلك الزبير بن العوام وبلال بن رباح فقال عمر رضي الله تعالى عنه اذن أترك من بعدكم من المسلمين لأشي لهم ثم قال اللهم اكفني بلاوا وأحياي قال فرأى المسلمون أن

الطاعون الذي أصابهم بهوا من كان عن دعوة عمر قال وتركهم عمر رضى الله عنه مذمتهم وتدون الخراج
للمسلمين قال وحدثني محمد بن اسحق عن الزهري أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه استشار
الناس في السوادحين افتح فرأى عاتتهم أن يقسمه وكان بلال بن رباح من أشدهم في ذلك وكان
رأى عمر رضى الله عنه أن تركه ولا يقسمه فقال اللهم كفى بلالا وأصحابه مكثوا في ذلك يومين
أو ثلاثة أو دون ذلك ثم قال عمر رضى الله عنه انى قد وجدت حجة قال الله تعالى في كتابه وما آفاه الله
على رسوله منهم فإما أوجفت عليه من خيل أو ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل
شئ قدير حتى فرغ من شأن بني النضير فهذه عامة في القرى كلها ثم قال ما آفاه الله على رسوله من
أهل القرى لله وللرسول ولأهل القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين
الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب
ثم قال للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأهلهم ينتقون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ثم لم يرض حتى خطب بهم غيرهم فقال والذين تبوءوا
الدار والايمن من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فهذا فيما بلغنا والله أعلم
للاخبار خاصة ثم لم يرض حتى خطب بهم غيرهم فقال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمن ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم فكانت
هذه عامة لما جاء من بعدهم فقد صار هذا النبي هو لا جميعا فكيف تقسمه لهؤلاء وندع من
تختلف بعدهم بغير قسم فأجمع على تركه وجمع خواجه قال أبو يوسف والذي رأى عمر رضى الله عنه
من الامتناع من قسمه الارضين بين من اقتحمها عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك لوفيق
من الله كان له فيما صنع وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين وفيما رأه من جمع خراج ذلك وقسمته بين
المسلمين عموم النفع لجماعتهم لان هذا لو لم يكن وقوفا على الناس في الاعطاء والارزاق لم تكن
الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد ولما آمن بجرع أهل الكفر الى منهم اذا خلت من
المقاتلة والمرقة والله أعلم بالخبر حيث كان (من كتاب الخراج لأبي يوسف)

(كتاب الوقف)

هو قرينة بالاتفاق وهل يلزم أم لا قال مالك والشافعي وأحمد يلزم باللفظ وان لم يحكم به كما
وان لم يخرجه مخرج الوصية بعد موته وهو قول أبي يوسف فيصح عنده ويزول ملكه الواقف عنه
وان لم يخرجه الواقف عن يده وقال محمد يصح اذا أخرجه عن يده بأن يجعل للوقف ولها وبله اليه
وهي رواية عن مالك وقال أبو حنيفة الوقف عطية صحيحة ولكنه غير لازم ولا يزول ملك الواقف عن

الوقف حتى يحكم به حاكم أو بعلقه بموته فيقول إذا تمت فقد وفقت داري على كذا واتفقوا على أن مالاً يصح الانتفاع به الأبد لا يملكه كالذهب والفضة والمأكل ولا يصح وقفه ووقف الحبروان يصح عند الشافعي وأحمد وهي رواية عن مالك وقال أبو حنيفة وأبو يوسف لا يصح وهي الرواية الأخرى عن مالك (فصل) والراجح من مذهب الشافعي أن المال في رقبته الموقوف ينتقل إلى الله عز وجل فلا يكون ملكاً للواقف ولا للموقوف عليه وقال مالك وأحمد ينتقل إلى الموقوف عليه وقال أبو حنيفة وأصحابه مع اختلافهم إذا صح الوقف خرج عن ملك الواقف ولم يدخل في ملك الموقوف عليه ووقف المشاع جائز كهيئته واجارته بالاتفاق وقال محمد بن الحسن بعدم الجواز بناء على أصلهم في منافع اجارة المشاع (نصل) ولو وقف شيئاً على نفسه صح عند أبي حنيفة وأحمد وقال مالك والشافعي لا يصح وإذا لم يعين للموقف مسمى فأبأن قال هذه المأروقف فإن ذلك يصح عند مالك وكذلك إذا كان الوقف منقطع الآخر كوقف على أولادى وأولادهم ولم يذكر بعدهم الفقهاء فإنه يصح عنده ويرجع ذلك بعد انقراض من سمي إلى فقراء عصبته فإن لم يكونوا إلى فقراء المسلمين وبه قال أبو يوسف ومحمد والراجح من مذهب الشافعي أنه لا يصح مع عدم بيان المصروف والراجح صحة منقطع الآخر (فصل) واتفقوا على أنه إذا خرب الوقف لم يعد إلى ملك الواقف ثم اختلفوا في جوازيه وصرف ثمنه في مثله وإن كان مسجداً فقال مالك والشافعي يبقى على حاله ولا يساع وقال أحمد يجوز بيعه وصرف ثمنه في مثله وكذلك في المسجد إذا كان لا يرعى عوده وليس عند أبي حنيفة نص فيها واختلف أصحابه فقال أبو يوسف لا يساع وقال محمد يعود إلى ملكه الأول (من كتاب رجة الامة في اختلاف الائمة)

(باب بيان ما يجوز وقفه وما لا يجوز وما يدخل تبعاً وما لا يدخل وانكار دخول بعض الموقوف فيه ووقف ما يقطع الامام)

إذا وقف الحر العاقل البالغ أرضه أو داره أو ما جرى التعارف بوقفه من المنقولات وهو غير محجور عليه ولا مريض لا يصح لازم عند عامة العلماء وقال أبو حنيفة يجوز جواز الاعارة ولا يجوز قالوا قال أرضي هذه صدقة موقوفة لله عز وجل أبداً ولم يزد تصويرنا ويدخل فيه ما فيها من الشجر والبناء دون الزرع والثمرة كافي البيع ويدخل فيه أيضاً الشرب والطريق استحصاناً لانها انما موقوفة للاستغلال وهو لا يوجد إلا بالماء والطريق فكان كالأجارة بخلاف ما لو جعل أرضه أو داره مقبرة وفيها ما أشجار عظام وأبنية فإنها لا تدخل في الوقف فتكون له ولورثته من بعده ولو قال أرضي هذه صدقة موقوفة بحق فلان أو جميع ما فيها ومنها وعلى الشجر ثمرة فأتمه يوم الوقف قال هلال في القياس تكون الثمرة له ولا تدخل في الوقف وفي الاستحصان يلزمه التصديق بها على الفقراء على وجه النذر

لا على وجه الوقف لانه لما قال بجميع ما فيها ومنها فقد تكلم بما يجب التصديق فيازمه التصديق
بالثمة التي كانت متصلة به يوم الوقف وما يحدث بعده يصرف في الوجهه التي سماها لكونه غلة الوقف
وذكرنا طائفي رجل قال جعلت أرضي هذه وقفاً على الفقراء ولم يقل بحقوقها بدخل البناء والشجر
الغني فيها تبعاً ولا بدخل الزرع النبات فيها خطه كان أو شعيراً أو غيره وكذلك البقل والاسمين
والرياحين والخلاف والطرفاء وما في الاجنة من حطب يقطع في كل سنة والورد والياسمين
وورق الحناء والقطن والباذنجان وزهر يصل الترحس والرباط فانها لا تدخل وأما الاصول
التي تبقى والشجر الذي لا يقطع الا بعد عامين أو أكثر فانها تدخل تبعاً ولو زاد بحقوقها تدخل الثمرة
القائمة في الوقف وهذا أولى خصوصاً اذا زاد بجميع ما فيها ومنها ولو وقف داراً بجميع ما فيها وفيها
حمامات بطرن أو بيتاً وفيه كوارات غسل بدخل الحمام والتحل بما للدار والغسل كالأوقف ضيعة
وذكرنا من العبيد والدواب والبيوات الحرائث فانها تصير وقفاً بحالها وان لم يجز أصالة كالماء
والهواء والاطراف في بيع الاراضي والعبيد ونفقتهم من غلة الوقف وان لم يذكرها الواقف ولو زوج
الحاكم جارية الأوقف يجوز وعبيده لا يجوز ولو من أمة الوقف لانه يازمه المهر والنفقة ولو ضعف
بعضهم عن العمل يجوز للقيم بيعه وشراء غلام بدله وكذلك الدواب والبيوات لا يبيعه أو يشتري
بينهما ما هو أصح للوقف وليس للقيم قطع الاشجار المثمرة ولا بيعها وله بيع غيرها بعد القطع لا قبله
لانها ما دامت متصلة بالارض تكون بحالها واذا ثبت الفسيل في أصول النخل ان كان في ترك ضرر
بالنخل يقطع ويبيع وغنمه غلة للوقف كغنم السعف والابتدك على حاله واذا صار بخلاف خرج من أن
يكون غلة وصار وقفاً وهكذا الحكم سائر ما ينبت من أصول اشجار الوقف ولو كان في الكرم الوقف
شجر يضربها بثماره ان كان ثمرها يزيد على ما ينقص من ثمره لا يقطع ولا تقطع وهكذا الحكم
لو أضرت بالارض ولو وقف ضيعة له وقال شهرتها تغني عن تحديد اجاز الوقف ثم لو قال عن بعض
قطع من الارض انها غير داخله في الوقف ينظر الى حدودها فان كانت مشهورة وكانت تلك القطع
داخلها كانت وقفاً والا كان القول فيها قوله وهكذا الحكم لو وقف داراً وقال ان هذه الحجرة
لم تدخل في الوقف فانه ينظر الى حدودها وتسل الجيران عنها فان شهدوا أنهم من الدار كانت وقفاً
والا كان القول قوله فيما أشكل كونه وقفاً ولو وقف أرضاً أقطعه اياها السلطان فان كانت ملكه
أو مواتاً صح وان كانت من بيت المال لا يصح ولا يصح وقف أرض الحوز وهي ما حازها السلطان
عند جزم أصحابها عن زراعتها أو أداء مؤنتها يدفعهم اياها اليه لتكون منفعتها للسلطان مقام الخراج
ورقبة الارض على ملك أربابها فالوقفها من أدخله السلطان فيها لمارتها لا يصح لكونه من اربابها
ولو وقف أرضاً اشتراها بعد فاسد يصح ان كان بعد القبض لانه استهلكها باخراجه اياها عن ملكه

بالوقف وعليه قيمتها وان كان قبله أو كان البيع باطلا كان الوقف باطلا ولو وهبت له أرض هبة فاسدة فقبضها ثم وقفها أصبح وعليه قيمتها ولو استحق ما وقفه لا يلزمه أن يشتري بمئته الذي يرجعه على البائع أرضا ليعفها بدلا لانه وقف مال ائلاك ولو استحق بعضه مشاعا وأخذ المستحق لا يبطل الوقف في الباقي عند أبي يوسف لانه يجزئه مشاعا ابتداء فبالاولى بقاء ولو اشترى أرضا بالخيار وقبضها ثم وقفها قبل مضي مدته يصح ويكون ذلك ابطالا لخياره وهكذا الحكم في البائع اذا كان الخيار له ووقف ما باع ولو بعد التسليم ولو وقفها المشتري بعد القبض في مدة خيار البائع فامضى البيع لزم وبطل الوقف لان البات اذا طرأ على موقوف ابطاله ولو استحققت به - هذا الوقف فتمت قيمتها بائنا شراؤه ووقفه ومثله العتق لاستناد المثلث الى زمن الاستيلاء ولو اشترى أرضا فوقفها ثم اطلع فيها على عيب رجع بالنقصان ولا يلزمه أن يشتري به بدلا لعدم دخول نقصان العيب في الوقف ولو وقف ما اشتراه قبل قبضه أو ما رهنه بعد تسليمه صح ويحجبه القاضى على دفع ما عليه ان كان موسرا وان كان معسرا أبطل الوقف وباعه فيما عليه بخلاف عتق المرهون لعدم امكان رفعه به - دنزوله وبخلاف الوقف بعد الاجارة والتسليم الى المستأجر لعدم تعلق حقه بها ليتها وذ كرا البقاء في قتاويه اختلاف في جواز وقف البناء بدون الارض وذ كرعن مجرده الله انه قال اذا وقف بناءه في أرض الوقف على الجهة التي وقفت الارض عليها جاز وذ كرفى أوقاف الخصاص ان وقف حوايت الاسواق يجوز ان كانت الارض باجارة في أيدي الذين بنوها لا يخبر بهم السلطان عنهما من قبل انارأ ياتها في أيدي أصحاب البناء يتوارثونها وتقسيم بينهم لا يتعرض لهم السلطان فيها ولا ينزعهم واعماله غلظة يأخذها منهم وتداولها خفاف عن سلف ومضى علم الدهور وهي في أيديهم يتبايعونها ويؤاجرونها وتجوز فيها وصاياهم ويهدمون بناءها ويعيدون وينون غيره فكذلك الوقف فيها جاز اه وفي فتاوى الناطقي عن محمد بن عبد الله الانصارى من أصحاب زفر رحمه الله أنه يجوز وقف الدراهم والطعام والمكيل والموزون فقبل له وكيف يصنع بالدراهم قال يدفعها مضاربة ويصدق بالفضل وكذا يساع المكيل والموزون بالدراهم أو بالنابز ويدفع مضاربة ويصدق بالفضل وقبل على هذا ينبغي ان يجوز اذا قال وقفت هذا الكر على أن يقرض لمن لا بذله من الفقراء فيدفع اليهم ويذرونه فاذا احصدوا يؤخذون يقرض لغيرهم وهكذا دائما ولو وقف رب المال ضيعة من مال المضاربة يصح عند أبي يوسف مطلقا وعند محمد لا يصح ان كان في المال ربح يناءه على جواز وقف المشاع وعدمه والله أعلم (الاسعاف في الاوقاف)

(مطلب اشتمال كتب الفقه الاسلاميه على بعض المنافع العمومية)

ومن أمعن النظر في كتب الفقه الاسلاميه فظهر له أنها لا تتناول تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية حيث بنوا للامارات الشرعية أبوابا مستوعبة للاحكام التجارية كالشركة والضاربة والقرض والخبرة والعارية والصلح وغير ذلك ولا شك أن قوانين المعاملات الاورباوية استنبطت منها كالمسئجة التي عليها مبني معاملات أوروبا ولم تزل كتب الاحكام الشرعية الى الآن تنال وتطبق على الحوادث والنوازل علما لاعمالا كما ينبغي وانما الخاطات تجار الغرب ومعاملتهم مع أهل الشرق أنعمت نوعا من هؤلاء المشاركة وحدثت فيهم وازع الحركة التجارية وترتب على ذلك نوع انتظام حيث ترتب الآن في المدن الاسلاميه مجالس تجارية مختلطة لفصل الدعاوى والمرافعات بين الاهالي والاجانب قوانين في الغالب أوربية مع أن المعاملات الفقهية لها تطورت وجرى عليها العمل لما أخلت بالحقوق بتوفيقها على الوقت والحال مما هو سهل العمل على من وفقه الله لذلك من ولادة الامور المستيقنين ولكل مجتهد نصيب لاسيما في هذه الازمان التي تسكملت فيها الاسباب وتطبقت على السبلات فثبتان بين هذا العهد وعهد الصوريين الذين زاولوا في التجارة الاخطار وركوب البحار فاتقنوا المشاق في تلك الازمان فاتسعت تجاربهم على وجه عجيب حتى عرفت بلادهم بالمنافع العمومية بل خرج منها قبائل عبرت بحري قبرص وروندس وجزر في صقليا وسرديانيا ووصلوا ايضا الى بلاد الاندلس بل دخلوا البحر المحيط الغربي فصار تدبيرة قادم من ترك تجاربهم وكانوا يستخرجون من مملكة اسبانيا المكاسب العظيمة والمغانم الجسيمة لكنهم معاندها فقلوا أغراضهم بمنافع بحري العرب والجم حتى انفردوا في تلك الاعصر بفوائد التجارات وكانوا مختصين بمنافع البحر من المذكورين ينعون من سواهم من اجراء التجارة فيهما كما انفرد أهل الهند زمانا طويلا بالانتفاع بهما ويجلب منافع الهند النفيسة الى سواحل بلاد العرب ولما كثرت عند الصوريين الفضة واستغلوا جلها في بعض الاسفار اتخذوا منها هالوبا لسفنهم بدلا عن الرصاص ليكون جلها في السفن لمنفعتين

وبالجملة فيكثر الاسفار والتجارات تتفعو بمنافع غيرهم ونفائسهم وكانوا بالغون في كتم أسفارهم البحرية وعدم تعريف الطرق والمسالك مخافة أن يراهم غيرهم في اكتساب هذه المنافع فكانوا دائما يحتمدون في أن وطنهم مختص بالتجارة والملاحه ويجهلون ذلك من الحقوق الخصوصية والمزايا الاحتكارية التي لا رخصة فيها للاغراب وليس هذا التصديق كان خاصا ببلد الصوريين بل كان أصلا لجميع الدول السالفة كل فيما يخصه ويظن أنه الحق في أولوية الانتفاع به وانما دولة الصوريين كانت في تلك الازمان ملكة البحار وخيرة بالمسالك والممالك فكانت مسبوقة ذبا لعل

على التجارات وكان غير هامن الامم اذ ذلك معترفهم عسالك البحر قليلة جدا فكانوا يحز صونهم على أن لا يدعوا أحدا عليها فقد حكى بعض المؤرخين أن الصوريين كانوا يسافرون الى جزائر بحر الانكليز المسماة جزائر القزدير لاستخراج معادن القزدير والرماس منها وأن أحدا الصوريين ذهب في سفرة الى تلك الجزائر القزديرية التي لم تكن معاملة الا للصوريين دون غيرهم فلحق أن وراء سفينة سفينة أخرى رومانية تروده هذه السكة وتعرفها فاختار الصوري أن يقتذف سفينة على رصيف هناك لتغرق ويهلك أهلها وتغرق السفينة الاخرى بجانبها ففعل ذلك حتى لا تقفوا السفينة الاجنبية أثره فأتلف سفينة نفسه وغيره واجتهد في أن ينجو نفسه فنجاه وذهب الى أهل صور في شوق قطيرة فكافؤه على ذلك مكافأة عظيمة وجبروا خسارته وأغدقوا عليه بالانعام وأكرموا غاية الاكرام جزاء لما صنعه لمصلحة الوطن الصوري فعهد أن كان لسان حاله ينشد بحسرة

اذ نحن ابننا ملين بأنفس * كرام رجت أمر الخابرجاؤها

فأنفسنا خيرا لقنأنا منها * تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

عاد ينشد بحسرة

كم فرجة مطوية * لك بين أبناء النواذب
ومسرة قد أقبلت * من حيث تنظر المصائب

فكان أهالي السواحل الشامية لهم في الوطن محبة مستولية على الطباع مستديعية لشدة الحرص على ثروته وشفاء الاطماع ومن أخبار حب الوطن وأبناءه من أهل الشام لاسيما الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يوسف عليه السلام وصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه ومما يؤثر عن الصوريين ما ذكره المؤرخون أن الملك فخر بن اسمعيل كوس أمر جماعة من الصوريين البحريين أن يكشفوا الحدود افرقة بأسرها فصاروا من بحر القازم ثلاث سنين حتى طافوا حول افرقته واستكشفوا أطرافها وعادوا في آخر السنة الثالثة من البحر الابيض الشاى ودخلوا مصر من مصب النيل وكان ذلك قبل ميلاد عيسى بنحو ثمانية قرون وهو من أعجب ما وقع من الصوريين حيث استكشفوا سواحل افرقته ولابد أنهم هم وابرأس عشم الخيرة خصوصاً في زمان كان سير السفن فيه في وسط تلك البحار يكاد أن يكون مستحيلا مع أنه لم يستكشفه البورتغاليون الا في آخر القرن التاسع من الهجرة وهو برأس عشم الخيرة تفاؤلا والافهورأس التلاقيج ومع استكشافهم له فلم يروا عليه في سياحاتهم البحرية الا بعد خمس عشرة سنة

ولما أرسل البورتغاليون أناسا من أهلهم في هذا الاقليم للاقامة به ولادخله في أملاكهم الخارجية أخذ منهم الانكليز واستولوا عليه فن ذلك الوقت صار هذا الاقليم ناعلا لانكليز في سائر طرق

الهند بها بابايا وأهل ماين سود ويض على التسامف في قبضة الانكليز فقد أسسوا على هذا الرأس مدينة انكليزية تسمى مدينة الكاب وهي أبعد مدينة أفرية تقيها جهة الجنوب ترعى عليها جميع السفن المذهبة الى الهند والحاضرة منه

ومن سياحة الصوريين في أفرية بآخر ملك مصر يستنتج تيجتان عظيمتان يستدل منهما على تقدم دولتين عظيمتين وهما دولة مصر الآمرة بهذه السياحة العظيمة وهي مشروع جسيم في الاعانة على المنافع العمومية لا يخطر الا بخاطر دولة متقدمة محبة للتقدم العجيب ودولة مأمورة ذات ملاحاة وسياحة بحرية ذات سفن عظيمة تقبحم أخطار البحار وتبحث عن المنافع العامة في شاسع الاقطار وكل يدل على أن هاتين الدولتين كان عندهما في تقديم المنافع أعمال الافكار ان في ذلك لغبرة لا ولى الا بصار

(تعريف المجتهدين والفقه والرأى)

المجتهدون هم الأئمة أرباب المذاهب الشرعية والمذهب هو الطريق سميت به الاحكام الشرعية القرعية الاجتهادية التي هي طرائق المجتهدين يتركون فيها اقدام عقولهم الرابحة لتعصيل الظن بها فتمتدح على ذلك العمل الصحيح المشروع بحسب مقتضى آرائهم في مجتهداتهم وان شئت قلت المذهب ما اخص بالمجتهد من الاحكام الشرعية القرعية الاجتهادية المستفادة من الدلالة الظنية فيشمل جميع المذاهب الاجتهادية المستقلة التي يسمى صاحبها بالمجتهد المطلق لا خصامه بأحكامه الاجتهادية

فذهب الشافعي مثلاً هو ما اخص به من الاحكام الاجتهادية المضافة اليه والمراد بالاحكام الاحكام الشرعية القرعية فيخرج بقولنا الشرعية الاحكام العقلية والطبيعية ويخرج بقولنا القرعية الاحكام الاصولية كعقائد التوحيد ويخرج بقولنا الاجتهادية الاحكام الشرعية اليقينية المعروفة من الدين بالضرورة كأركان الاسلام فانهم لا تعد من الاجتهادية ولان مذهب من المذاهب بعينه وان كانت من فروع الدين اذ لا اختصاص لها بمذهب دون آخر بل نسبتها الى الكل على حد سواء لانه لو قال قائل وجوب الصلوة في كل يوم هو مذهب مالك مثلاً لتبناعه السمع وفرضه الطبع يختلف قولنا وجوب التذليل في الطهارة مذهب مالك وجوب الوتر مذهب أبي حنيفة ومسمع بعض الرأس مذهب الشافعي اذ لا تبادر في الذهن منه الاوقع الاختصاص دون ما اشترك فيه السلف والخلف

وأما الفقه فهو العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية فهو عبارة عن العلم والمذهب عبارة عن المعلوم وهو رأى المجتهد ولا يخلو واختلاف المجتهدين عن فائدة المجتهد وهو

احياء الذكر وتحصيل الاجر كالا يخالو عن فائدة لامة وهو التسهيل عليهم في الدين كما في حديث
الدين يسر ولين يساد الدين أحد الاغلبه فسددوا وقاربوا مع قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف أمتي
رجة حيث قيل ان المراد منه الاختلاف المتعلق بالفقه في أمر الدين رجة للعالمين وكل مجتهد يرى
فائدة مذهبه ولتلك قيل

مذاهب شتى للبحين في الهوى ولي مذهب فرد أقول به وحدي

وقال آخر

وما لي الا المذهب الحق مذهب وما لي الا مطلب الحق مطلب

(رفاعه يبك)

(مطالب أركان الاجتهاد)

وللاجهتادركان مجتهد ومجتهد فيه فالجتهد من اتصف بصفة الاجتهاد وهو است فراغ الوسع لتحصيل
الطن بحكم شرعي والمجتهد فيه هو حكم ظني شرعي عليه دليل ومدارك الكتاب والسنة والاجماع
والقياس وزاد الشافعي الاستصحاب عند عدم الدليل كما زاد أبو حنيفة الاستحسان وعرفوه
أي الاستحسان بأنه ما يتقدح في نفس المجتهد العالم بعلم الاحداث التي هي من أغصن الامور
وأدقها على الافهام بحيث أنهم قد ندرل ذوقا وتبحر عنها العبارات وإن مثل ذلك الاستحسان الذوقي
لا يحصل الا لا كبار الفن فلا تخذون بالاستحسان في الاجتهاد كابي حنيفة وأصحابه واشتهروا
بالاخذ بالقياس والاستحسان في الاجتهاد لا تقداح لذهله في نفس المجتهد مع انضمام الورع الى ذلك
فان الورع يقتضي أنه اذا دار الامر بين المنع والجواز فالأحوط الامسك ولذلك قال الصوفية اذا
خطر لك أمر فزنه بالشرع فاذا لم تطمئن نفسك اليه فامسك عنه وذلك كما حكى عن أبي حنيفة رضي
الله عنه أنه كان يقول لو وضعوا السيف على رأسي أن أقول ان النبيذ حرام ما قلته ولو وضعوه على
رأسي على أن أشربه ما شربته والمراد بالنبيذ عصير العنب قبل قذفه بالزبد وما ذاك الا لا تقداح
دليل الحل في نفسه الذي حمله على القول به كما حله ما عنده من الورع على الامسك عن تعاطيه
فكان ذوق تميز الادلة واستحسان ما يعيل به منها عند أهل الرأي كنوع من الالهام للوقوف على عال
الاحداث بالممارسة فكانوا يقولون هذا علم رزقنا معرفته كالصيارف في تميز الذهب من البهرج
وكالجواهرية في تمييز فض الياقوت من الزجاج فقد حصلت في نفوس أصحاب الرأي ملكة صحيحة
وهيئة نفسانية لا معدل لهم عنها تجم على قلوبهم فلا يكتنهم ردها فكانوا يستفتون في الاستحسان
قلوبهم فيظهر لهم دلائل الحل أو الحرمه ولا شك أن قلب العالم المراقب لدلائل الاحوال هو الذي
تتمح في خفايا الاحكام وما أعز هذا القلب في القلوب بخلاف قلب الموسوس والمتساهل فهو
يطمئن الى كل شيء ولا عبرة بهذا القلب

وبالجملة فإن الأحكام المستنبطة لا تكون مبنية على الدلائل القوية التي لا يدرك سرها الألقاب
سلسلة الفقهاء المجتهدين المراقين للدقائق وليست في طوق كل عالم وليس كل تدقيق بعد ورعا
ولذلك لما سأل أهل العراق ابن عمر رضى الله عنه عن دم البعوض قال أتأولون عنه وقد قتلتم
الحسين فالعبرة بالألقاب النيرة لا المحجوبة بالظلمات (رفاعة بن)

(تعريف التقليد وتجزي الاجتهاد وما قيل في اجتهاد الامام تقي الدين السبكي وأمثاله
ومراتب الاجتهاد)

ويقابل الاجتهاد التقليد وهو العمل بقول الغير من غير حجة ويقال للفقهاء مفت ومستدل وللقائد
مستفت ثم اختلف هل لا يجوز تجزي الاجتهاد يعني أنه يشترط في المجتهد كونه مجتهدا في الكل
أو يجوز التجزي فعلى الاول يكون من ليس مجتهدا في الكل مستفتيا وعلى الثاني أن المجتهد في البعض
يكون مستفتيا فيما ليس مجتهدا فيه وفيما فيه هو مجتهد فيه ولا يمنع ذلك أن شرط التقابل اتحاد
الجهات

ومع أن مدارك الاجتهاد السابقة كانت كافية في زمن الصحابة وما بعده فغصب الاجتهاد
في الأزمان التي بعد انما تحصل بعمارة الفروع الاجتهادية التي صارت من طرق الاجتهاد لاسيما
لغير المجتهد المستقل وهو المجتهد المنتسب ومع ذلك فكل من المجتهدين يختلف في التفقه بالدين
حيث ان الله تعالى يعطي كل واحد من الفقه ما أراد لان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء حتى ان غير
الصحابي قد يستنبط من كلام النبوة ما لا يحيط به بالصحابي كما يشهد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فرب مبلغ أوعى من سامع وفي هذا الحديث بشارة للشئخ
بالفقه من حيث ان فيه اعلاما بسيادته لما أن المراد بالخبر الخير الكامل الذي فيه وفي أتمه صلى الله
عليه وسلم الى يوم القيامة

فالامام تقي الدين السبكي امام مجتهد بدون ريب في اجتهاده وانما رتبة اجتهاده واجتهاد أمثاله من
بعد المجتهدين المتفق عليهم هي محل النظر فقد نقل القطب الشعراي في ميزانه عن الحلال السيوطي
أن الاجتهاد المطلق على قسمين مطلق غير منتسب كما عليه الأئمة الاربعة ومطلق منتسب كما عليه
أكابر أصحابهم قال يعني السيوطي ولم يدع الاجتهاد المطلق غير المنتسب بعد الأئمة الاربعة الا
الامام محمد بن جرير الطبري ولم يسلم له ذلك انتهى

ومع ذلك فقد ادعى الامام السيوطي الاجتهاد المطلق وأثبت هو وغيره أن الاجتهاد في كل عصر
فرض وأنه لا يتأتى الفرض الا بالاجتهاد المطلق وأن بابه لا زال مفتوحا لا يعلق وبعبارة التاج
السبكي في آية أنه بقیة المجتهدين الاجتهاد المطلق انتهى

(اجتهاد سفيان الثوري وبيان التفاوت في الرتبة بينهم وبين باقي السبكي)

قال الصلاح الصفي الناصي يقولون ما جاء بعد الغزالي مثل باقي السبكي وعندى أنهم يظلمونه بهذا وما هو عندى الا مثل سفيان الثوري انتهى وتوسيته بسفيان الثوري لا تخلو عن شيء فان سفيان كان أحد الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب المدونة ويقال ان الشيخ أبا القاسم الجندي كان على مذهبه قال سفيان بن عيينة ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري ويقال كان عمر بن الخطاب في زمانه رأس الناس وبعده عبدالله بن عباس وبعده الشعبي وبعده سفيان الثوري سمع منه الاوزاعي وابن جريح ومحمد بن اسحاق ومالك وثلاث الطبقة كلهم أئمة مجتهدون وحكي عن بعض السادة الأئمة الاكابر في الحفظ والدين انه قال اني لاحسب بجاه بسفيان الثوري يوم القيامة بحجة من الله على الخلق يقال لهم ان لم تذكروا نبيكم عليه الصلاة والسلام فقد رأيتم سفيان الثوري ألا اقتديتم به وبالجد فهو مجمع على دينه وورعه وزهده وثقته وإماميته في الحديث وغيره من العلوم وامتناعه من قضاء الكوفة وقذفه في دجلة ورقة عهد فقاتلهم الحررة له من المهدي وهريره من ذلك معلوم قال بعض الشعراء

لو أن سفيان على حفظه * في بعدهمى أنسى الماضي

نفسى وعروسى ثم ضرسى انقضى * في غربي والشيوخ والقاضى

فكيف لا ومذهب سفيان معدود من المذاهب المدونة التي كانت متبعة وأما السبكي فالظاهر انه من طبقة أخرى وقال ابنه فقلنا عن شهاب الدين النقيب صاحب مختصر الكفاية وغيرها من المصنفات جلست بحكة بين طائفتين العلماء وقعدنا نقول لو قدر الله تعالى بعد الأئمة الاربعة في هذا الزمان مجتهدا عارفاً بآدابهم أجعين يركب لنفسه مذهباً من الاربعة بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلها لازدان الزمان به وانقاد الناس له فاتفق رأينا على أن هذه الرتبة لا تعدو الشيخ تقي الدين السبكي ولا يتما لها سواء انتهى كلام التاج السبكي وهذا لا يقيد مساواة بسفيان الثوري

وأما قاضى القضاة التاج السبكي المذكور صاحب جمع الجوامع ومنع الموانع فهو أيضاً مجتهد كما به فقد نقل عنه أنه كتب ورقة الى نائب الشام ويقول فيها وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق لا يقدر أحد يرذلني هذه الكلمة انتهى قال السيوطي وهو مقبول فيما قال عن نفسه انتهى وما قيل في اجتهاده يقال فيه

ثم ان المجتهد المنتسب هو ما يطلق عليه أيضاً مجتهد المذهب كما أن المجتهد المطلق يسمى أيضاً مجتهداً مستقلاً وثمرتة ثالث في الاجتهاد وهي اجتهاد الفتوى فأعلى المجتهدين رتبة المجتهد المستقل

ثم المنتسب ثم مجتهد القسوى وجعل بعضهم بين المستقل والمنتسب المجتهد المطلق فتكون مراتب الاجتهاد أربعة وذلك أن العالم إذا استقل بقواعد أصولها وأدلة بحرها وبراهين يقررها وافرغ على ذلك وأبان المقاصد والوسائل فهو المستقل الاكمل ودرجة الاستقلال متفاوتة وان اختلفت طريقة امامه في استدلاله وتفصيل أمره في النظر واجاله ومراسد نظره ومقاصد خبره وخبره وفرع على ذلك حسب ما يؤدى اليه اجتهاده ويقوى به اعتضاده فمنتسب ويقال مذهبي أيضا ولتخصيص تلك الطريقة بالاسباع والمجل على أصول ذلك الامام في استخلاص الفروع ومحاسن الانتزاع دعى بهذين الوصفين قال بعض الكبار من أصحاب الامام الشافعي وهذا لا يخالف عن رابحة تقليد نظرا الى تقيده بطرق استدلال المستقل واقتنائه في الاحتجاج به أثر ذلك المستنبط المستدل فهذا كان مجتهدا منتسبا مذهبيا ولكن يصح أن يقع عليه اسم المطلق أيضا نظرا الى عدم تقيده بالمستقل في التفرع وعدم تقيده به في جريئات المسائل على ما يعتريها من تقسيم وتوزيع فحيث وقع اختياره لتلك القواعد الاجتهادية والطرق الاستدلالية فوافقه نظر فقط لا يلحزم عن تأسيس أدلة مستقلة يكون بها تفرعه انضبط فهو مجتهد مطلق منتسب ولا يصل الى رتبة المستقل الذي ظهر من غوصه في العلوم وجولان نظره في المنطوق منها والمفهوم استخراج درر المسائل من الحجج بحار الكتاب والسنة على أساليب دلت على انفرادها فيما تحمله من أعباء تلك المنة بخلاف الذي دعواه مطلقا منتسبا فان طباق مذهبه لتلك المستقل حيث لا يخرج عن قواعد دليل على عدم اتساع باع النظر فان ذلك المستقل كثير ما يقع لها الانفراد في قواعد وأدلة عن سابقه ولا كذلك هذا على أننا لا نيسيل في أن نجعل المطلق المنتسب معنى اطلاقا مخروجه في بعض الاحيان عن قواعد المستقل وتقيده بها في البعض وأن المنتسب فقط هو الخارج عن ترجيح ذلك المستقل وان لم يخرج عن قواعده فالمطلق المنتسب هو مطلق باعتبار ومنتسب باعتبار وهو واسطة بين المجتهد ومجتهد المذهب فهو الثالث وعليه يحمل من قيل في اجتهادهم انه مطلق وربما كان الواحد من المجتهدين مطلقا في بعض المسائل ومنتسبا في البعض بناء على أن العدة تجزى الاجتهاد ويقع ذلك كثيرا لاهحاب الوجوه في المذاهب وانما أخرج الى هذا كله ادعاء بعضهم أن الرتب أربع والاف المشهور أن ثلاث الاولى رتبة المجتهد المطلق وهو الذي يستنبط الاحكام من الكتاب والسنة قال بعضهم وقد انقطع من نحو التلغمة وان ادعى الجلال السيوطي بقائه الى آخر الزمان وكذلك ادعاء من السادة البكرية محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي الذي كان في أثناء القرن العاشر كما نقله عنه ابنه محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي الشافعي سبط آل الحسن حيث قال في كتاب له يسمى الاقتصاد في مراتب الاجتهاد وأما والذي رضى الله عنه

فانه كان المنفرد بنشر لواء هذا الولاء الاجتهادى فى زمانه والواحد بالقيام بوظيفة الاستقلال بين كافة أقرانه ومعناه يذ كر ذلك عن نفسه مرارا وشاهدنا من أمارات صدقه كيف وهو الصادق ابن الصديق آ نارا حتى قال يوما وهو يسلك فى تقريره بالمسجد الحرام من المباحث الاجتهادية أعدل المسائل أنا كشافى ومالك ولهم الله انه لكذلك فكهم من عيائه أنارها بنظره الصائب ومقفله فتحها بذهنه الشاقب ومنار آ فام صفاه ونعاض ألأح مغزاه بحيث تراه الى مرماه فى أقصى رتب الاجتهاد أسرع من سيل صافى المتحدرو السهم فافوق الوتر بل ربما يحصل لسماعه اذا كان من أحكم الفضائل حسنكمه وعدلت العالم فطرته العلم الضرورى بأنه مجتهد مستقل بلا نزاع وإمام قامت به حجة الله بلاد دفاع ثم لا ينفى ما قلناه عنه جريه فى التأليف على طرائق المتأخرين فانه انما أراد بذلك عموم النفع للمسلمين فان الهمم را كدة والظن خادمة والحسد غلب على أهل الازمان والمكابرة كثرت فى أهل الاوان على أنى ربما الأعدم منهم لمقاتلى وفى الذى رضى الله عنه جاحدا وغمرا عن الحق حائنا يقول انما جعلته الحجة لاييه ونزع به عرق العصية فى هذا التوصيف والتنويه ومعاذ الله وكيف لى بذلك وأنا عالم بالى أسئل عمارته وأحاسب فيما قلته وانما علمت أنى لولم أعترف له رضى الله عنه بذلك كنت عن كتم شهادة عنده من الله وعياد الله ثم عياد الله

وهبى قلت هذا الصحيح ليل أيعبى العالمون عن الضياء

ومع ذلك كله فقد أراد الله تعالى أنه لم يصل هذا الشيخ فى الشهرة درجة أحد من مشاهير المقلدين كالزملى وابن حجر انتهى . والثانية رتبة مجتهد المذهب وهو من يستنبط الاحكام من قواعد امامه كالزملى والبوطى والربيع الجزى من أصحاب الشافعى وان كان المزنى افسرد عن الشافعى بأمر عذها الاصحاب خارجة عن المذهب بالكلية فلهذا كان فيه شائبة الاطلاق الذى زاده بعضهم وجعله وسطا بين الاستقلال والانتساب وعلى هذا يحمل ما نقل عن الرافعى فى قوله ان المزنى صاحب مذهب مستقل . والثالثة رتبة مجتهدى الفتوى وهو المقدر على الترجيح فى أقوال امامه كالرافعى والنورى قال بعضهم وقد قطع اجتهاد الفتوى بوفاء النورى رضى الله تعالى عنه وأما أصحاب الاختلافات العسيرة كالزملى وابن حجر فانهم عالمين بغير تربة الترجيح بل هم مقلدان فقط وقال بعضهم بل لهم ترجيح فى بعض المسائل بل وللشبرا ملى أيضا فعلى ذلك يكون أمثال الزملى وابن حجر والشبرا ملى داخلين فى طبقة مجتهدى الفتيا ان لم نجعلهم مثل السادة الخنفية فى طبقة المقلدين القادرين على التمييز الصحيح والاصح والضعيف وظاهر المذهب وظاهر الرواية والا كانوا طبقة رابعة وهى طبقة محررى الاقوال والآراء وهى أيضا طبقة تملى (رفاعة بن)

(القسم الاول في نبذة من الاحاديث والحكم والامثال التي يقوى الشاهد بها)

(ويعظم الاستدلال)

اعلم أن كلام الحكماء أكثر من أن يدركه الاحصاء ويستوفيه الاستقصاء لكنني أورد في هذا القسم من الحكم المأثورة والامثال المشهورة والفقر المنظومة والمنثورة ما فيه منقطع أو كفايه وإن كنت لأدرك من ذلك غايه ولا أبلغ الى نهايه قال بعضهم من تقرب بالعلم لم يوحشه خاوة ومن تسلى بالكتب لم تفته ساقه وإن هذه القلوب تمل كآمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة والحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر في اللسان وهي موقطة للقلوب من سنة الغفلة ومنقذة للبصائر من سكرة الخيرة ومحياة لهام من موت الجهالة ومستخرجة لهام من ضيق الضلالة وقد أثنى الله سبحانه على الحكمة فقال ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ووصفهم لقمان عليه السلام فقال عزم من قائل ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب ليس فيه من الحكمة شيء كبيت خراب ولا عامر له وقال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن حيث لو وجدها قديها ثم أسبع ضالة أخرى وقال لقمان ان القلب يصيب الكلمة من الحكمة كما تصيب الارض نوابل المطر وقال أبان بن سليم كلمة حكمة من أخبك خير لك من مال يعطيك لان المال يطغيك والكلمة من الحكمة تهديك وقال بعض السلف القلوب تحتاج الى قوتها كما تحتاج الابيان الى قوتهم من الغذاء وقال بعض الحكماء الحكمة تخلص العقل وميزان العدل ولسان الايمان وعين البيان وروضة الارواح ومزاج الهموم عن النفوس وأنس المستوحش وأمن الخائف ومخبر الرامح وحظ الدنيا والآخرة وسلامة العاجل والآجل وقال بعضهم الحكمة نور الانوار وروضة الافكار ومطبخ الحلم وكنيل النجى وضمن الخير والرشد والداعية الى الصواب والسفير بين العقل والقلوب لا تدرس أنوارها ولا تعقود ربوعها ولا يهلك امرؤ بعد عمله بها قال افلاطون كما أن لهذه الدنيا سلاسل يستضاء بها ويعرف بها الليل من النهار والافات والاشخاص والاجرام فكذلك للنفس نور تزيه به بين الخير والشر وهو الحكمة فان الحكمة أشد ضياء من الشمس وان للنفس صحة وسقا وحياة وموتاً فصحة بالحكمة وسقا بالجهل وحياتها بأن تعرف خالقها وتتقرب اليه بالبر وموتها أن تجهل خالقها وتباعد عنه بالفجور وقال بقراط من اتخذ الحكمة بلحماً اتخذ الناس اماماً قال بعض الحكماء صلاح أسقام النفس أفضل من صلاح أسقام البدن لفضل النفس على البدن لان البدن آلة للنفس والنفس باقية والبدن فان مضجع ومصلحة الباقي والعناية به وتعديله أفضل من اصلاح الفاني ومع ذلك فان اصلاح أنفسنا أسهل وأخف من مؤنة اصلاح أبنائنا لان صلاح النفس أعمالها بالحكمة وتباعد الآداب (٥) القطع المنتخب (جزء أول)

العقلية ولزوم العادة الفاضلة المؤدية لمن تسلكها الى سبيل القلاح وطرق النجاح لا بدواء مشروب ولا غير ذلك من أصناف العلاجات التي لا تنهى الالبالكلفة العظيمة في البدن والمال وانما هي نتائج العقول والاذهان وفوائد التجارب في مرور العصور والازمان وأولاهها بالتقديم وأحقها بالتكريم والتعظيم ماصدور عن النبي المصطفى الكريم وكذلك أيضا للامثال مواقع في نفوس الانام ولذلك ضرب الله سبحانه الامثال في كتابه الكريم

(فصل فيما ابتدئ بان)

فن الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد النسر شرفا . ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا . ان للقلوب صداء كصداء الحديد وجلأوها الاستغفار . ان الارواح جنود مجنونة فما تعارفت منها اختلف وماتت اكرمها اختلف . ان مكارم الاخلاق من أعمال أهل الجنة . ان حسن العهد من الإيمان . ان أحساب أهل الدنيا هذا المال . ان أحسن الحسن الخلق الحسن . ان أشكر الناس لله أشكرهم للناس . ان لكل دين خلقا وان خلق هذا الدين الحياء . ان لكل ملك حجي وان حجي الله محارمه . ان الله يحب الرقي في الامر كله . ان الله يحب معالي الامور وأشرافها ويكره سفافها . ان الله لا يرحم من عباده الالرجاء . ان الله عند لسان كل قائل . ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على أخيك المؤمن . ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة من اتقاه الناس انشره . ان الله أمرني بعبادة الناس كما أمرني باقامة الفرائض . ان الله حي كريم يستحي أن يعذ العبيده اليه فيرداهن خيبة . ان الله عبادا يزرع الناس اليهم في حوائجهم أولئك المؤمنون من عذاب الله . ان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه . ان الله خزائن الخير والشر مفتحتها الرجال فطوبى لمن جعل الله مفتاح الخير مغلا فلا للشر وويل لمن جعل الله مفتاح الشر مغلا فلا للخير . ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا برفعكم الله وان العفو لا يزيد العبد الا عززا فاعفوا بعزكم الله وار الصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يغنكم الله . ان الناس لم يعطوا شيأ افضل من العفو والعافية فاسألوهما الله . ان الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه رحي تغلب غضي . ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . ان لكل ساعة غاية وغاية لكل ساعة الموت . ان الله يحب المحبين في الدعاء . ان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجهيا . ان الصبر يأتي العبد على قدر المصيبة . ان الله يغيث الخضم الا له . ان الله عند قوم نعماء يقرها عليهم ما كانوا في حوائج الناس فاذا ملوها نقلها من عندهم الى غيرهم . ان العبد ليبدى من نفسه ماستره الله حتى يمتعه الله . ان الرجل ليسكن بالكلمة يرضى بها جلساءه يهوى بها نار جهنم . ان من اجل الله اكرام ذى الشبهة المسلم . ان المؤمن اذا أتقى على أهله نفقة وهو محتسبها كانت صدقة . ان الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحيتان ليصلون على معلم الناس الخير

(ومن الحكم المأثورة عن السلف وغيرهم)

ان حب الخير فعل وان عجزت عنه المقدرة . ان الصواب في الاسد لا الاشد . ان في ذهاب
النابيين لبعرة القوم الغابرين . ان اللامور بغتات فكُن منها على حذر . ان ولاية المرء ثوبه
فان قصر عنه عرى منه وان طال عليه عثر فيه . ان من قضاء الحاجة تجبيل اليأس اذا أخطأك
قضاؤها . ان العدو الشديد الذي لا تقوى له لا ترد بأسه عليك بمثل الخضوع له . ان قديم الحرمة
وحديث التوبة يمحون ما بينهما من الاسامة . ان القدرة تصغر الامنية . ان العلم عوض عن كل
لذة ومغن عن كل شهوة . ان من السياسة للراعي أن يجز غنمه جزا لا يذهب معه الصوف ولا تضع
له الغنم . ان لك في مالك شريكين الخندان والوارث فان استطعت أن لا تكون أبخس الشركاء
حظا فافعل . ان أضعف الرأي ما سخر في البديهة . ان أحق ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلا الى دفعه .
ان المصيبة اذا نزلت انغلحي واحدة فان جزع صاحبها كانت اقتسين . ان من الدلالة على أن
الانسان مصرف مغلوب ومدبر مزبوب أن يتبلد رأيه في بعض الخطوب ويعبى عليه الصواب
المطلوب . ان لكل قوم كلبا فلا تكن كلب أصحابك . ان الله عز وجل وسع أرواق الحقاه
ليغير القلاء وليعلموا أن الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة . ان أشد الناس غما الذي نزل غيره
في المكان الذي هو أحق به منه . ان لكل فضل زكاة وازر كاه المال الصدقة على الفقير المحتاج
وان زكاة القوة المادقة عن الضعيف المظالم وان زكاة البلاغة القيام بحجة من قد عجز عن حجته
وان زكاة الجاه أن يعادبه على من لجاهه وان زكاة العلم التعليم لمن قصر علمه . ان أهل البيت
اذا كثروا كان فيهم الغرر والعرى . ان في صلاح ماله قمام عزك ونقاء عرضك . ان من علامة
المؤمن قوة في دين ومن مافي لين وإيمان في يقين وحكمة في علم وكساف في رفق وعطاء في حق وقصدا
في غنى وغنى في فاقة واحسانا في قدرة وطاعة في نصيحة وورعا في رغبة وتعففا في جهد وصبرا
في شدة . ان الرجل ليكون أمينا فاذا رأى الضياع خان . ان الوعظ الذي لا يجمع مع ولا يعمده
نفع ما بهت عنه لسان القول ويتطو به لسان الفعل . ان النفس لا تمارى بالسوء فاذا جاء العزم
من الله كانت هي التي تدعوك الى الخير . ان الآمال قطعت أعناق الرجال كالسراب غر من رآه
وأخلف من رجاه . ان الركون الى الدنيا مع ما يعاين من الموت جهل وان التقصير في حسن الاعمال
مع معرفة الثواب علم ساجز وان الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حق . ان يقال الى فناء
نقدم بقاء الذي لا يبقى لقنائك الذي لا يبقى . ان الفاسق اذا كان حسن الخلق عاش بخلقه
وخف على الناس وأحبوه وان العابد اذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس وماوه . ان المرء ينال
ما يحب حتى يصبر على كثير مما يكره

(فصل فيما يستدعي من)

(من الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله . من برد الله به خيرا يفقهه في الدين . من برد الله به خيرا يجعل خلقه حسنا . من يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه . من تأذى أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد . من يزرع خيرا يحصد رغبة ومن يزرع شرا يحصد ندامة . من أيقن بالخلف جاد بالعطية . من أحب أن يكون أكرم الناس فليستق الله . من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بمافي الله أو ثقي منه بمافي يده . من سره أن يسلم فليأزم الصمت . من رزق من شيء فليأزمه . من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير . من دعا على من ظلمه فقد انتصر . من تشبه بقوم فهو منهم . من طلب العلم تكفل الله برزقه . من لم ينفعه علمه ضره جهله . من استطاع منكم أن تكون له خبيثة من عمل صالح فليتبعل . من فتح باب خيرا فليفتحه فإنه لا يدري متى يغلق عليه . من كفلسانه عن أعراض الناس أقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة . من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة . من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . من ستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة . من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب . من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في منهي برأوتيسر عسير أعانه على إجازة الصراط يوم تدهس فيه الأقدام . من أصبح معافي في بدنه آمنافي سره عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها . من أصبح ولم ينزل أحدا سوا غفر له . من أكثر من الاستغفار رزقه الله من حيث لا يحتسب . من كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثر سقطه كثرت خطؤه . من كثر همهم سقم بدنه . من كثر ضحكهم استخف بحقهم . من حفظ ما بين يديه وبين رجله دخل الجنة . من ترك معصية مخافة الله أرضاه الله يوم القيامة . من آمن بالله وبركابه أخيه لا يبرجوه ولا يخافوه غفرا الله له . من اتصل إليه فلم يقبل لم يرد على الخوض . من قل علمه قل ورعه . من قل ماله ساء خلقه . من أكرم أخاه المؤمن فأنعم الله به عليه . من كف غضبه كف الله عنه عذابه . من أعان مسلما كان الله في عونته . من قنع بما رزقه الله دخل الجنة . من شفع شفاعة حسنة أجره الله . من لم تكن له واحدة من ثلاث فلا يحتسب بشيء من عمله تقوى تحمزه عن معاصي الله وحلم يكفه عن السفه وحكمة يعيدش بها في الناس . من أخذ الله بجمعيته في الدنيا فالله أكرم من أن يعفون عنه في الدنيا ثم يأخذنه في الآخرة . من اعتذر إليه أخوه المسلم فليقبل منه ما لم يعلم كذبه

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

من عرف قدره علا أمره . من استغنى عن الناس ولم يستغن عن نفسه فلا قدر لها عنده . من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسرو ومن نظرت في العواقب نجح ومن أطاع هواه ضل ومن لم يحكم بدم ومن صبر غنم ومن خاف أمن ومن اعتبر أنصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم . من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . من أخطأ سهم ألمنيته قبيح الهرم . من سره بنو ساءته نفسه . من استغضب فلم يغضب فأنما هو جاحر ومن استرضى فلم يرض فأنما هو شيطان . من كثر ضحك سقطت مهابته ومن لاقى الرجال سقطت كرامته . من طلب ما قبل السلطان والنساء بالغلظة لم يزد منهم ما لا بعدا من خدم السلطان بلا علم واستقلال وتجربة وكال كان بمنزلة راكب فيل صعب أو سائر في بحر قد غلب . من طلب إلى التيم حاجة كان كمن طلب صيد السمك في القفاوز . من استوضع التاجر من رأس ماله فقد استكمل حقه . من اتقى الحساب تورع في الاكتساب . من بلغ الستين فقد قطع منه الوتين . من عامل السلطان بالمكر كافأه بالعدو . من حرم خيرته وحمل مؤمنه فلا ترغب في هودنه . من أبدى إلى الناس فقره فليس له عندهم قدر . من استغنى عن الناس وقروه وعظموه من غضب على من يقدر على ضربه طال همه وخزنه . من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب ما دحا وعند الخطأ ما عارضا . من قل عقله كثر هزله . من أصح سريره أصح ولا بدعلائنه ومن أصح ما بينه وبين الله أصح الله ما بينه وبين الناس . من عمل الآخرة كف ما لله الدنيا . من استغنى بالله افتقر إليه الناس . من خان مان ومن مأن خان وتبرأ من الاحسان . من كتم سر جهل عدوه أمره . من نقض عهده ومنع رفته وأظهر حقه فلا خير عنده . من فرح بدح الباطل فقد أمكن الشيطان من نفسه . من أظهر عيب نفسه زكاه . من طاعت نفسه طاعت له غيره من أنفق عمره في جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم . من أحب الحياة لنفسه أماتها من كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينه . من سكر من خمر تالذت بها هلك في خمار الهوى . من قبل فم اللذة عضته أسنان الندامة . من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . من تجرع اللوام في موافقة الحق رد الله تلك اللوام جدا ومن آثر المحامد في موافقة الحق رد الله تلك المحامد ما من أعجب بنفسه فضيها . من وصل رحمه وصل الله ورحمه ومن أجار جاره أعانه الله وأجاره . من بسطه الأدلال قبضه الأدلال . من تنابى مساوى الإخوان يام له ودهم . من بذل ماله أدرك أماله . من عظمت مرافقه أعظمه مرافقه . من قل حياؤه قل أحباؤه . من لم يشكر لنعمة استحق قطع أنعمه . من أنكر الصنيعه استوجب القطيعه . من قل نوقسه كثرته مساويه من استغنى بآله اكتفى . من انقطع لغیر الله تعرى . من كان بقليل الدنيا لا يتقنع لم يفنه منها ما يجمع . من لم يشاء طلبه دام تبعه . من أمان شهوته أحيى رفته . من صاحب العلماء وقر

ومن جالس السفهاء حقر . من صام نفسه ساد نفسه . من رضى عن نفسه سخط عليه الناس . من استغنى برأيه ضل ومن اكتفى بعقله زل . من أفشى سره المصون كثر عليه المتأثمرون . من كثر من احد زالت هيئته ومن كثر خلافه طابت غيبته . من دام كسله خاب أمله . من أوغرت صدره استدعت شره . من أمل أمر أهله . من فعل ما شاء صبر على ما لا يشاء . من دأب الرقاد عدم المراد . من عرف معاه فلا يلزم من أعابه . من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه الموعظ من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يحز صدقه . من نجار رأسه فقد ربح . من استرعى الذئب ظلم . من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا . من أدب ولده أرغم حاسده . من عبس للوجه فلا تطلبين فضله . من كانت ولايته فوق قدره تكبر ومن كانت ولايته دون قدره تواضع من استعذب المدح احتقن القدرح ومن ترك الكبر استوجب الشكر . من ذهب ماله هان على أهله من سأل صاحبه فوق طاقته فقد استوجب الحرمان . من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة من لم يرض بالحق على أهله فهو الجواد . من لم يصبر على كلمة سمع كلمات . من أراد العز والسلامة فليأزم ثلاثا لا يسأل أحد حاجة ولا شيئا ولا يأكل طعام أحد ولا يذكر أحد أبسوه . من امتطى دواب الامل أو ردتهم واردا تلف . من ركب الجحلة لم يأمن الكبوة . من لم يؤاس الاخوان في دولته خذلوه في عزلته . من لم يسمع بالناس اقمظه بالناس . من أخطأ واعتقد أنه على صواب فقد أخطأ مرتين . من قل له استعجبه . من عرف حق أخيه دام له الخافوه . من تكبر على الناس ورجأ أن يكون له صديق فقد غر نفسه . من لم يكن عوناً على نفسه مع خصمه لم يكن عنده شيء من عقدة الرأى من أقدم على هوى وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الانس أغرت مودته بما . من كساه الحياة ثوبه ستر عن الناس عيبه . من أصلح ماله فقد صان الاكرمين والدين والعرض . من كرمت عليه نفسه لم ينهها ومن نازع بها جاهلا لم يصنها . من لم يرض من الدنيا بالقليل وقع منها في غم طويل . من كثر ما قه لم يعرف بشره . من أنس بالله استوحش من الناس . من ربح الشرج لديه كثرت غاشيته . من غضب من غير شيء فسيبرضى من غير شيء . من لم يمنع نفسه من الشهوات تسرعت اليه الهلكات من لم يتقنع بظنه لم يفتح يمينه . من زال عن أبصار المألوف زال عن قلوبهم . من ساء خلقه كثر همه ومن كذب ذهب جمال وجهه . من غض بصره عن عيوب الناس غضوا أبصارهم عنه . من نهض الى المعالي ظفر بالمكان العالي . من قصر عن شيء أعابه . من عز باقبال الدهر ذل بإدباره من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب . من ضاق صدره اتسع لسانه . من قارب الناس في عقولهم أمن من غوائلهم . من تكلف ما لا يعنيه فانه ما يعنيه . من عرف تقلب الزمان لم يركن اليه . من أحب الحمد أحسن السيرة ومن أبغضه أسأها . من أجز العفاف لم يعدم الكفاف . من كان

همه بطنه كان قدره ما يحويه . من سلك الجد آمن من العثار . من استغنى كرم على أهله . من لم
يداد المشط يتدف الحية . من ترك القهقهة أكرمه الله بالهبة . ومن ترك المزاح أكرمه الله بسما
الصالحين . ومن ترك الفضول أكرمه الله بالخشوع . ومن ترك الخلط أكرمه الله بالوقار .
ومن ترك التجسس أكرمه الله بالسنة . ومن ترك الكيفية في الرب برأ ما لله من الشريك والنفاق
ومن بحث عن عورات المسلمين فضحه الله في بيته . من غرس العلم اجتنب البهاة . ومن غرس
التزهد اجتنب العز . ومن غرس الاحسان اجتنب المحبة . ومن غرس الفكرة اجتنب الحكمة .
ومن غرس الوقار اجتنب المهابة . ومن غرس المدارة اجتنب السلامة . ومن غرس الكبر اجتنب
المقت . ومن غرس الحرص اجتنب النذل . ومن غرس الطمع اجتنب الخزي . ومن غرس الحسد
اجتنب الكبد . من رضى من صله الاخوان بلا شيء فليواخ أهل القبور . من لا واده فلا ذكر له
ومن لا اخوان له فلا أهل له . ومن لا عقل له فلا ذنب له ولا آخرة . من خوفك لثامن خير عن
أمنك الخفاف . ومن سقاك مزال تبرأ خير لك ممن سقاك حاولا لتسقم . من لاي الناس وما را هم
قلت كرامته . من أكثر من شيء عرف به . من سبب السلطان صبر على قسوته كصبر الغواص
على ملوحة بصره . من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأى . من أبطره الغنى
أذله الفقر . من أوفى نعمة فهو عبدها حتى يعتقه شكرها ومن عرفها فقد شكرها ومن شكرها
فقد استوجب مزيدا . من لم يعلك غضبه لم يزل أربه . من لم يقض حاجته لم يبلغ حاجته .
من لم تحسن خلائقه لم تؤمن بوائقه . من حسن خلقه أتتهج الى الخيرات طرقه وأدرك
في المكرمات من سبقه . من شخ على سره فقد أعان على بره . من نظرفي أحواله وعزم في أفعاله
وأفسط في أحكامه واقتصد في وفوره واعدامه أعطى الخير بتمامه . من يسر التوبة لم يمنع
المغفرة . ومن وفق للدعاء لم يحرم الاجابة . من حاكم فعدل وصبر واحتمل وأعطي وبذل
فقد احتجب بثوب الفضل واشتغل . من لم يقبل مشورة الصديق ونصيحة الشفيق استوبل
عاقبته واستوخم مغيبته وعان سوء ما قدمت يداه وذاق مرارة ما جناه . من لم يأس على ما فاته
أراح قلبه . ومن قبح بما هو فيه قرت عينه . ومن عتب على الدهر طالت معتبه ومن رضى
بالقسم طابت معيشته . ومن ضعف عقله غلبته شهوته . ومن أطاع هواه أعطى عدوه مناه .
من عزم نفسه للثم فلا يابون من أساءه الظن . من أنزل نفسه منزلتها أمن عليها سوء
الدوائر . من قلل تعلقه بالدنيا قلت حسرتة عند فراقها . من طاع عطفه تابع حقيقته . من
استقبل الامور أبصر ومن استبدرها تحير . من لم يعرف الموارد كان بالمصادر أجهل . من
أحبك نهالك ومن أبغضك أغراك . من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنابة الدهر

(فصل فيما ابتدئ بثلاثة)

(في الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم)

ثلاثة من الموبقات فاحذروهن الحرص والحسد والكبر . ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام المقسط والصائم حتى يقطر والمطاعم . ثلاثة لا يضر معهما شئ الدماء عند الكرب والاستغفار عند الذنب والشكر عند النعمة . ثلاثة لا يسئل أحد عنهم يوم القيامة ما أنفق في مرضه وفي افطاره وما أنفق في قرى ضيقه . ثلاثة من نعيم الدنيا وان كان لا نعيم لها مركب وطئ المرأة الصالحة والمتزل الواسع . ثلاثة يغضهم الله الجحيل المنان والشجي الزاني والفقير المحتال . ثلاثة معاونون الملك حتى يضم أهلهم والغازي حتى يقضى غزوه والحاج حتى يقضى حجه . لا كذب في إحدى ثلاث الاصلاح بين الناس والحرب فانها خدعة والزواج فيما يتناعه الزوج . ثلاثة لا ينصفون من ثلاثة . بر من فاجر وشريف من دنيء وحليم من سفيه . ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن الحليم عند الغضب والشجاع في الحرب والاخ عند الحاجة . ثلاثة لا يلامون على سوء الخلق المريض والصائم والمسافر . ثلاثة يطلبون المرء وان قرئ منهم الموت والرزق والمصيبة . ثلاثة من كن فيه ستر الله كنهه وأدخله جهنم رفق بالضعيف وشقة على الواالدين والاحسان الى المملوك . ثلاثة من لم يكن فيه واحدة منهم لم يجد طعم الايمان لم يرده عن جهل الجاهل وورع يحجز عن محارم الله وخلق يدارى به الناس . ثلاثة من أخلاق الايمان من اذا غضب لم يبدخه غضب في باطل واذا رضى لم يخير جهرا من حق واذا سئل لم يعط ما ليس له . ثلاثة من هذه الامة على منابر يوم القيامة من دروياقوت التاجر الصدوق في تجارته والسلطان العادل في حكمومه والبار بالديه . ثلاثة للرملة المسلم من دعوته اما خير يعجل له في دنياه واما خير يؤخره الى آخرته واما يستجاب له . ثلاث علامات لا يكسلان يتواني حتى يدرط وبشرط حتى يصيح ويضيع حتى يأثم . ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فاما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه . ثلاث ساعات للؤمن ساعة يناجي فيها ربه وساعة يروم فيها معاشه وساعة يكتلى بين نفسه ولذتها في الجحيل ويحمل . ثلاث من كن فيه فهو منافق من اذا وعد أخلف واذا حدث كذب واذا أؤتمن خان . وثلاث من كن فيه فهو مؤمن اذا قال صدق واذا وعد وفا واذا أؤتمن لم يخن . ثلاث من رزقهن فقد جرح له خير الدنيا والاخرة الرضا بالقضاء والصبر عند البلاء والدعاء في الرخاء . ثلاث يصفين لك ودأخيك تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه بأسمائه اليه . ثلاث من أعطين فقد أعطى خير

الديار والآخرة الكفاف والقنوع والورع . ثلاث لمن يرفع المرمب بعد وفاته الا هن صدقة تجرى من بعده وسنة يعمل بها من بعده ووليد يدعو له . ثلاث تتبع الميت الى قبره فيرجع عنه اثنان وتبعه واحدة أهل وماله وعمله فأما أهله وماله فيرجعان ويتبعه عمله . ثلاث تنهى الله عز وجل عنهن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال

(ومن الحكمة المأثورة عن السلف وغيرهم)

ثلاثة أشياء لا ينبغي للمأقل تركها علم بحسب على عمل نافع في المعاد وطب يكف به عن البدن الاستقام وصناعة يستعين بها على المعاش . ثلاثة لا يهتمون المخبر عن سقمه والمقرع على نفسه والذي يدعو الناس الى الأخذ بما يعمل به . العيش في ثلاث سعة المال وكثرة الخدم وموافقة الأهل . ليس ثلاث حيلة فقر يحاطل به كسل وخصومة يداخلها حسد ومرض يمازجه هوم . ثلاثة لا يستحق بهم عاقل السلطان والعالم والصدوق لأن استحق بالسلطان أفسد ذنبا ومن استحق بالمعاش أفسد دينه ومن استحق بالصدق أفسد مروءته . ثلاثة لا يأنف الكريم من القيام عليهم أي بوضعهم ودأبته . لاسفر ثلاث عقبات الأولى العزم والثانية العدة والثالثة الرحيل وأشد من العزم . ثلاثة مسهرة قرض فأروا نين مرضى ووكبيت . ثلاثة لاراحة لها لا بالفارقة السن المتأكلة المتحركة والعبد الفاسد على مولاه والمرأة الشائز على زوجها . ثلاث خصال إذا كن في الرجل فلا تشك في صلاحه إذا حده مجاره ورفيقه وقرابه . كدر العيش في ثلاث الجار السوء والولد العلق والمرأة السيئة الخلق . ثلاثة الإقدام عليها غر شرب السم التجربة وركوب البحر للغمي وإشياء السر الى النساء . ثلاثة من عازهم عادت عزه ذل السلطان والوالد القريم . ثلاثة تزيد في الموت الزيادة في الرحال والمحادثة على المواد ومعرفة الرجل حشم أخيه وخدمه . مطالع العالم ثلاثة قلب مفكر ولسان معبر وبيان مصور . ثلاث من ككن فيه فقد أصاب البرمخاء النفس والصبر على الأذى وطيب الكلام يستدل على تنوي المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم يزل وحسن الرضا بما قد نال وحسن الصبر على ما قد فات . ثلاث خلال من برئ منهن نال ثلاثة من برئ من الثر نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة . ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر . الملوكة تحفل كل شي الا ثلاثة القسح في الملك وإفشاء السر والتعرض للعرم . ثلاثة تدل على عقول أصحابها الرسول والكتاب والهدية . ثلاث من خير خصال النساء وهن من شر خصال الرجال الزهو والجبن والبخل . العيش في ثلاث إقبال الزمان وعزال السلطان وكثرة الإخوان . ثلاث من لم يرغب فيهن لم يست من لم يرغب في الإخوان بلى (٦) القطع المختبة (جزء اول)

بالعداوة والامتحان ومن لم يرغب في السلامة بلى بالشدائد والامتحان ومن لم يرغب في المعروف بلى
 بالتدانة والחסار . أولى الناس بالرحمة ثلاثة البريكون في تدبير الفاجر فهو الدهر حزين لما يرى
 ويسمع والعاقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغبون والكريم يحتاج الى التمس فهو
 خاضع ذليل . أسباب الفتن ثلاثة عين ناظرة وصورة ناشرة وشهوة فادسة . ثلاثة ان لم تظلمهم ظلوك
 عبدك وولدك وزوجتك . الكمال في ثلاثة الفقه في الدين وبر الوالدين وحسن تدبير العيشة .
 ثلاثة لا تكون الا في ثلاثة الغنى في العفة والشرف في التواضع والكرم في التقوى . عليكم
 بثلاثة جالسوا الكرماء وخالطوا الحكماء وساتلوا العلماء . ثلاثة لا يفسد فسادهم شئ من الخيل
 العداوة بين الاقارب وتحسد الاكفاء والركاكة في العقول . ثلاثة لا يفسد صلاحهم شئ من
 المكر العباد في العلماء والفتوى في المستبصرين والسخا في ذوي الاخطار . ثلاثة لا يشبع منهم
 الحياء والعافية والمال . ثلاثة أشياء تفسد العقل طول النظر في المرأة والاستغراق في الخدك
 ودوام النظر في الجعر . ثلاثة تبطل مع ثلاثة الشدة مع الحيلة والعجلة مع التأني والاسراف مع
 القصد . ثلاثة من الافعال من علامات الاحق كثرة الالتفات من غير مناد ولا مشكلم وسرعة
 الجواب والمسؤول غيره والتمحك في غير وقته . ثلاثة من حقيقة الايمان الاقتصاد في الاتفاق
 والابتداء بالسلام والانصاف في الامور . ثلاث فواظق وان كن خرسا كسوف البال دليل على رقة
 الحاك وحسن البشر دليل على سلامة الصدر والهمة الدينية دليل على الغيرة الرديئة . الرجال
 ثلاثة عاقل وفاجر واجق فاما العاقل فالكريم شر بعته والحكيم طبعته وحسن الرأى بحبيته
 وان كالم اجاب وان نطق اصاب وان سمع العلم وعاء وان اطعم ان البسه مطعم رعاء والفاجر ان
 انتمته خائف وان حاذيته شائف وان علم العلم لم يتعلم وان ذكر بالله لم يتذكر وان وثقت به لم يرتك
 وان استسكتم لم يكتم والاحق ان تكلم بحكم وان حدثت اوهم وان استنزل عن رأيه نزل وان حل على
 قبيح ركبه وان حدث لم ينقه وان حدث لم ينه . ثلاثة لا غربة معهن بمجانبة الرب وحسن
 الادب وكف الاذى . ثلاثة أشياء مع كل بها ثلاثة أشياء الحرمان على المقدم صنعته وتحمائل
 الايام على ذوى الادوات الكاملة ومعاداة العامة لاهل المعرفة . ثلاثة أشياء من أخذها من الدين
 تم بها أوبى سخاؤه وتجاعبته وغيرها . الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات طبقة من
 خاصة الاحرار تسوسهم بالعطف واللين والاحسان وطبقة من خاصة الاشرار تسوسهم بالغلظة
 والعنف والشدّة وطبقة من العامة تسوسهم باللين والشدّة لئلا تنحصر جهم الشدة ولئلا يطرهم اللين
 الرجال ثلاثة فحين عفيف يصدر الامور مصادرها وبوردها مواردها وآخرتهى الى رأى
 ذى اللب والمقدرة فياخذ بقوله وينهى الى أمره وآخر حائر بالمر لا ياتر الرشد ولا يطيع المرشد

ثلاثة متقاربة السقر والسقم والقتال فالسفر سفينة الأذى والسقم حريق الجسد والقتال
منبت المنايا. الاخوان ثلاثة أخ يحلظ لك وده ويلخ في هملك جهده وأخ ذنوبه يقتصر بك على
حسن نيته دون رفقته ومعونته وأخ يحجاملك بلسانه ويتشاغل عنك بشانه ويوسعك من كذبه
وأيمانه. الرقاب ثلاثة رقبة تلك بالمتن ورقبة تلك بالصفع ورقبة لا ينفع فيها إلا السيف. ثلاثة
ما اجتمعت في حر مباحنة الرجال والغيبة للناس والمثل لاهل المودة. ثلاثة ليس لهم رأى صاحب
الخلف الضيق وصاحب المرأة السوء وحابس البول. الانس في ثلاثة صديق تأمن منه في صداقتك
ما يرتصدك به عدوك وامرأة تسرك ان دخلت عليها وتحفظك اذا غبت وعملوك يأتي كل ما في
نفسك حتى كأنه يعلم على غيبك. ثلاث تعقب العدا والمباحنة والمفاخرة والمازحة. ثلاث
ترزى بالمرء الحسد والهيبة والطيش. الخير كله في ثلاثة في السكوت والكلام والنظر فكل
سكوت لا يكون فكرة فهو سهو وكل كلام لا يكون حكمة فهو لغو وكل نظرا لا يكون عبرة فهو لهو.
ثلاث تدل على ضعف العقل سرعة الجواب وطول التمني والاعراق في الضحك. ثلاث نفسد
المروءة الشح والحرص والغضب. الرجال ثلاثة رجل بنفسه ورجل بلسانه ورجل بعمله.
ثلاثة يصيرون أجن المجانين وان كانوا أعقل العقلاء الغضبان والغيران والسكران. الأيادي
ثلاث بيضاء وخضراء وسوداء فاليد البيضاء ابتداء بالمعروف واليد الخضراء المكافأة على المعروف
واليد السوداء المن بالمعروف. تمام المأمر في ثلاثة تهيئله وتصغيره وستره. احذر لنا الكبر
والغضب والطمع. خذ من الدنيا ثلاثا من الكنوز العلم ومن الرزاق التقوى ومن الاعمال العبادات.
تلق النعمة من الله بثلاث كثرة الشكر وزوم الطاعة واجتناب المعصية. افرغ الى ثلاث
الحياث في مهمات أمورك والى التوبة من مساوى عمالك والى أهل العلم والأدب. اهزبن ثلاث
من الكذب ومن الظالم وان كان والدك أو وللك ومن مواطن الامتحان التي تحتاج فيها الى
صبرك. من عرف بثلاث استوجب ثلاثا من عرف بالجلل استوجب الذم ومن عرف بالكذب
استوجب القتل ومن عرف بالغيبة استوجب الخزي. ثلاث هن في زهاب العقل أسرع من النار
في باس العرفج اهمال الفكرة وطول التمني والاستغراق في الضحك ومن الشعر
ثلاث بهائلت المعالي والغنى وأصبحت معتزلة بجناب عمولا
طويت على قصد المروءة باطنى وفي ظاهري أبدت فيه التجملا
وأعصيت عملي ما خلق ناظري وأبصرت ماله عندى أقصلا

اراء المحسما في الخلق

الخلق حال النفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم الى قسمين منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج كالانسان الذي يجر كنهه أدنى شئ نحو غضب ويهيج من أقل سبب كالانسان الذي يجبن من أيسر شئ كالذي يفرغ من أدنى صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خير سمعه كالذي يضحك ضحكا مفرطاً من أدنى شئ يهجه كالذي يغتم ويحزن من أيسر شئ يخاله ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب وربما كان سبباً بالروية والفكر ثم يستمر عليه أو لا فأولاً حتى يصير ملكه وخلقاً ولهذا اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم انخلق خاص بالنفس الناطقة وقال بعضهم قد يكون للنفس غير الناطقة فيه حظ ثم اختلف الناس أيضاً باختلاف أئمتنا فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه وقال آخرون ليس شئ من الاخلاق طبيعياً للانسان ولا نقول انه غير طبيعي وذلك أنا مطبوعون على قبول الخلق بل تنتقل بالتأديب والمواظع أما سراً وبطياً وهذا الرأي الاخير هو الذي يختاره لاننا شاهدنا عياناً ولان الرأي الاول يؤدي الى ابطال القوة التمييز والعقل والى رفض السياسات كلها وترك الناس همجاً همليين والى ترك الاحداث والصبيان على ما يشق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جداً وأما الباقيون فظنوا أن الناس كلهم يخلقون اختياراً بالطبع ثم بعد ذلك يصيرون أشراراً بعباسه أهل الشر والميل الى الشهوات الرديئة التي لا تقع بالتأديب فينمك فيهم ثم تتوصل اليها من كل وجه ولا يفكر في الحسن منها والقيح وقوم آخرون قبل هؤلاء ظنوا أن الناس خلقوا من الطينة السفلى وهي كدر العالم فهم لاجل ذلك أشرار بالطبع وانما يصيرون أختياراً بالتأديب والتعليم إلا أن فيهم من هو في غاية الشر لا يصلحه التأديب وفيهم من ليس في غاية الشر فيمكن أن ينتقل من الشر الى الخير بالتأديب من الصبا ثم عباسه الاخير وأهل الفضل فأما جالينوس فإنه رأى أن الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شر بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين ثم أفسد المذهبين الاولين اللذين ذكرناهما أما الاول فبان قال ان كل الناس أختياراً بالطبع وانما ينتقلون الى الشر بالتعليم فمن الضرورة أن يكون تعلمهم الشرور ايماناً أنفسهم واملأ من غيرهم فان تعلموا من غيرهم فان المعلمين الذين علموهم الشر أشراراً بالطبع فليس الناس اذا كلهم أختياراً بالطبع وان كانوا تعلموه من أنفسهم فأما ان يكون فيهم قوة تتأقون بها الى الشر فقط فهم اذن أشراراً بالطبع وأما ان يكون فيهم هذه القوة التي تتشاق الى الشر قوة أخرى تتشاق الى الخير إلا أن القوة التي تتشاق الى الشر غالبه فاهرة التي تتشاق الى الخير وعلى هذا أيضاً يكونون أشراراً بالطبع وأما الرأي الثاني فإنه أفسده يمثل هذا الحق وذلك أنه قال ان كل الناس أشراراً بالطبع فأما ان يكونوا تعلموا الخير

من غيرهم أو من أنفسهم ونعيد الكلام الاول بعينه ولما أفسد هذين المذهبين صحح رأى نفسه من الامور البينة الظاهرة وذلك أنه ظاهر جداً أن من الناس من هو خير بالطبع وهم قليلون وليس ينتقل هؤلاء الى الشر ومنهم من هو شر بالطبع وهم كثيرون وليس ينتقل هؤلاء الى الخير ومنهم من هو متوسط بين هذين وهؤلاء قد ينتقلون بمصاحبة الاخيار ومواعظهم الى الخير وقد ينتقلون بمقاربة أهل الشر واغوائهم الى الشر وأما وسطوا ليس فقديين في كآب الاخلاق وفي كآب المقولات أيضاً ان الشرير قد ينتقل بالتأديب الى الخير ولعلكن ليس على الاطلاق لانه يرى أن تكرير المواعظ والتأديب وأخذ الناس بالسلبات الجيدة الفاضلة لا بد أن يؤثر ضرراً من التأثير في ضرر من الناس فهم من قبل التأديب يتحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة بإبطاء ونحن نؤلف من ذلك قياساً وهذا كل خلق يمكن تغييره ولا شئ مما يمكن تغييره هو بالطبع فاذن لا خلق بالطبع والمقدمتان محبتان والقياس منتج من الضرب الثانى من الشكل الاول أما تصحيح المقدمة الاولى وهى أن كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه وأوضحناه وهو بين من العيان وعملاً استدلالنا به من وجوب التأديب ونفعه وتأثيره في الاحداث والصبيان ومن الشرائع الصادقة التى هى سياسة الله خلقه . وأما تصحيح المقدمة الثانية وهى أنه لا شئ مما يمكن تغييره هو بالطبع فهو ظاهر أيضاً وذلك أننا لا نشد على تغيير شئ مما هو بالطبع أبداً فان أحداً لا يستطيع أن يغير حركة النار التى الى فوق بأن يعوّدها الحركة الى أسفل ولأن يعوّدها الحركة العاوية وبذلك أن يغير حركة الطبيعة التى الى أسفل ولورامه ما صرح به تغيير شئ من هذا وما لا يجرى مجراه أعنى الامور التى هى بالطبع فقد صحت المقدمتان وصح التأليف من الشكل الاول وهو الضرب الثانى منه وصار بهاناً فأما مراتب الناس في قبول هذه الآداب التى يمينها خلقاً والمساعدة الى تعلمها والحرص عليها فانها كثيرة وهى تشهد وتعارف فيهم وخاصة فى الاطفال فان أخلاقهم تظهر فيهم منذ بدء نشأتهم ولا يسترونها بورية ولا فكر كما يفعل الرجل التام الذى انتهى في نسوه ومكاله الى حيث يعرف من نفسه ما يستقيم منه فيخفيه بضرر من الخيل والافعال المضادة لما في طبعه وأنت تتأمل من أخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الادب أو نفورهم عنه أو ما يظهر في بعضهم من القحة وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من الجود والبذل والرجة والقسوة والحسد وضده ومن الاحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة وتعلم معاً أنهم ليسوا على رتبة واحدة وأن فيهم البطلى والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشرير والمتوسطون بين هذين الاطراف في مراتب لا تنحصر كثرة واذا أهملت الطباع ولم ترع بالتأديب والتقويم نشأ كل انسان على سوم طبعه وبقي عمره كله على الحال التى كان

عليها في الطفولة وتبع ما وافقه في الطبع من الغضب أو اللذة أو الدعة أو الشر أو غير ذلك من
الطباع المذمومة والشريفة هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الانفعال المرضية وتعد نفوسهم
لقبول الحكمة وطلب النضال والبالغ إلى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم
وعلى الوالدين أخذهم بها وبأسائر الآداب الجيدة بنضروب السياسات من الضرب إذا دعت إليه
الحاجة أو التوبيخات إن صلتهم أو الاطماع في الكرامات أو غيرها مما يحلها من اليه من الراحة
أو يحذرونه من العقوبات حتى إذا تعودوا ذلك واستقروا عليه مدغم في الزمان كثيرة أمكن حينئذ
أن يعلموا براهين ما أخذوه تغليبا وينهوا على طرف النضال واكتسابها والبالغ إلى غاياتها بهذه
الصناعة التي نحن بسبيلها والله الموافق (من تهذيب الاخلاق لابن مسكويه)

باب فضل العقل وذم الهوى

اعلم أن لكل فضيلة أسسا ولكل أدب نبوعا وأس الفضائل وينوع الآداب هو العقل الذي جعله
الله تعالى للدين أصلا وللدنيا عمادا فأوجب الدين بكاله وجعل الدنيا مدبرها بحكمه وألق به بين
خلفه مع اختلاف همهم وما ربههم وتبين أغراضهم ومقاصدهم وجعل ما تعبد بهم به قسمين
قسما وجب بالعقل فأكد الشرع وقسم ما جاز في العقل فأوجب الشرع فكان العقل لهما عمادا
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدى
أو يرد عنه ردى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لكل عمل دعامة ودعامة عمل المرء عقله
فيقدر عقله تكون عبادته له أم ما سمعته قول النجار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروته خلقته وقال الحسن
البصري رحمه الله ما استودع الله أحدا عقلا إلا استغنى عنه يومئذ وما قال بعض الحكماء العقل أفضل
مرحوا والجهل أنكى عدو وقال بعض الأدباء صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله وقال بعض

البلغاء خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل وقال بعض الشعراء وهو إبراهيم بن حسان

يزن القتي في الناس صحة عقله * وإن كان محظورا عليه مكاسبه
يشين القتي في الناس قلة عقله * وإن كرمته أعراقه ومناسبه
يعيش القتي بالعقل في الناس أنه * على العقل يجري عمله وتجاربه
وأفضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الأشياء شيء يقاربه
إذا أكل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت أخلاقه وما ربه

اعلم أن العقل تعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات وقد ينقسم قسمين غريزي
ومكتسب فالغريزي هو العقل الخشيق وله حدين يتعلق التكليف به لا يجاوزهما إلى زيادة ولا ينقص

عنه الى نقصان وبه يتأز الانسان عن سائر الحيوان فاذا تم في الانسان معنى عاقلا وخرج به الى
حد الكمال كما قال صالح بن عبد القدوس

اذا تم عقل المرتة امور * وتمت أمانته وتم بناؤه

وروي الضحاك في قوله تعالى لينذر من كان حيا أي من كان عاقلا واختلف الناس فيه وفي صفته
على مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات ومن قالوا بهذا
التول اختلاف في محله فتالت طائفة منهم محله الدماغ لان الدماغ محل الحس وقالت طائفة أخرى
منهم محله القلب لان القلب معدن الحياة ومادة الحواس وهذا القول في العقل بانه جوهر لطيف
فاسد من وجهين (أحدهما) ان الجواهر متماثلة فلا يصح ان يوجب بعضها ما لا يوجب سائرها
ولو اوجب سائرها ما يوجب بعضها لاستغنى العاقل بوجود نفسه عن وجود عقله (الثاني) أن
الجوهر يصح قيامه بذاته فلو كان العقل جوهر الجاز أن يكون عقل بغير عاقل كما جاز أن يكون جسم
بغير عقل فامتنع بهذين أن يكون العقل جوهرًا وقال آخرون العقل هو المدرك للأشياء على ما هي
عليه من حقائق المعنى وهذا القول وان كان أقرب مما قبله فبعيد من الصواب من وجه واحد
وهو أن الادراك من صفات الحى والعقل عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل أن يكون متلذذا
أو متألما أو مشتها وقال آخرون من المتكلمين العقل هو جهة علوم ضرورية وهذا المدعى
محمورا نصفه من الاجال وتناوله من الاحتمال والمدعى هو بيان الحدود بما يتقيد عنه الاجال
والاحتمال وقال آخرون وهو النول الصحيح ان العقل هو العلم بالدرجات الضرورية وذلك النوعان
أحدهما ما وقع عن درك الحواس والثاني ما كان مبتدأ في النفوس فاما ما كان واقعاً عن درك
الحواس فمثل المربيات المدركة بالنظر والاصوات المدركة بالسمع والطعوم المدركة بالنوق
والزوايح المدركة بالشم والاجسام المدركة باللمس فاذا كان الانسان بمن لو أدرك بعض هذه الاشياء
ثبت له هذا النوع من العلم لان خروجه في حال تمفيض عينيه من أن يدرك بها ويعلم لا يخرج عن
أن يكون كامل العقل من حيث علم من حاله أنه لو أدرك لعلم وأما ما كان مبتدأ في النفوس فكالعلم
بان الشيء لا يتلوه من وجود أو عدم وأن الموجود لا يتلوه من حدوث أو عدم وأن من المحال اجتماع
الضدين وأن الواحد أقل من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز أن ينتفي عن العاقل مع سلامة
حاله وكمال عقله فاذا صار عالما بالدرجات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل واتم معنى
عقلا بذلك تشبها بعقل الناقة لان العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته اذا وقعت كما يمنع
العقل الناقص من الشرود اذا نفرت ولذلك قال عامر بن قيس اذا عقلك عقلك عملا لا ينبغي فانت عاقل
وقد جاءت السنة بما يؤيد هذا القول في العقل وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

العقل نور في القلب يفرق بين الحق والباطل وكل من نفي أن يكون العقل جوهرًا أثبت محله في القلب لأن القلب محل العلوم كلها قال الله تعالى أفليس يرى في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها فدلّت هذه الآية على أمرين أحدهما أن العقل علم والثاني أن محله القلب وفي قوله تعالى يعقلون بها تأويلان أحدهما يعلمون بها والثاني يعتبرون بها فهذه جملة القول في العقل الغريزي وأما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزي وهو نهاية المعرفة وصحة السيماسة وإصابة الفكرة وليس لهذا حد لأنه ينبي أن يستعمل وينقص أن أهمل

واعلم أن العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي لأنه نتيجة منه وقد ينشأ العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل كالنوك الذي لا يجده فضله واللاحق الذي قل ما يخافون ربه وقدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاحق كالتمخار لا يرفع ولا يشعب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاحق أبغض خلق الله إليه أذرمه أعز الأشياء عليه وقال بعض الحكماء الحاجة إلى العقل أقبح من الحاجة إلى المال وقال بعض البلغاء دولة الجاهل عبدة العاقل وقال أنفوس وانبرز جهر أرى الأشياء خير لى قال عتق بعديش به قال فان لم يكن قال فاحوان يسترون عيبه قال فان لم يكن قال فبال يتحبب به إلى الناس قال فان لم يكن قال فحى صامت قال فان لم يكن قال فوت جارف وقال ساور بن ازدشير العقل نوعان أحدهما مطبوع والآخر مسجوع ولا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه فاخذ ذلك بعض الشعراء فقال

رأيت العقل نوعين * فمسجوع ومطبوع
ولا ينفع مسجوع * إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

وقد وصف بعض الأدباء العقائل بحافيه من الفضائل واللاحق بحافيه من الرذائل فقال العاقل إذا والى بذل في المودة نصره وإذا عادى رفع عن الظلم قدره فيسهل له ما به يعقله ويعتصم بمعاديه بعدله أن أحسن إلى أحد ترك المطالبة بالشكر وأن أساء إليه مسى سبب له أسباب العذر أو منحه الصفيح والعفو واللاحق ضال مضل أن أوفى تكبر وإن أوحش تكدر وإن استنطق تخلف وإن ترك تكلف محالسته مهنة ومعاملته مخنة ومحاورته نعر وموالاة تضر ومقاربتة عى ومقارنته شقاو كانت ماولد الفرس إذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل واللاحق يسي إلى غيره ويظن أنه قد أحسن إليه فيطالبه بالشكر ويحسن إليه فيظن أنه قد أساء فيطالبه بالوتر فيساوى الاحق لا تنقضى وعيوبه لا تنتهي ولا يقف النظر منها إلى غاية الا لاحت ما وراءها مما هو أدنى منها وأردى وأمر وأدهى فما أكثر العبر لمن نظر وأنتهه لمن اعتبر وقال الاحنف بن قيس من كل شئ يحفظ الاحق الامن نفسه وقال بعض البلغاء من الذين يربوا أقبلى على الجاهل

بالانصاف وأدبرت عن العاقل بالاستحقاق فان أنتك منها ممة مع جهل أو فانتك منها بغية مع عقل فلا يحملنك ذلك على الرغبة في الجهل والزهد في العقل فدولة الجاهل من المسكات ودولة العاقل من الواجبات وليس من أمكنه شيء من ذاته كن استوجبه بالآله وأدواته وبعده دولة الجاهل كالغريب الذي يحسن الى النقلة ودولة العاقل كالنسيب الذي يحسن الى الوصلة فلا يفرح المرء بحالة جليله أو الهابط بعقل ومنزلة رفيعة حلها بغير فضل فان الجاهل ينزل منها ويزيل عنها ويحطه الى رتبته ويرده الى قيمته بعد أن تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه ويصير مادحه هاجبا ووليه معاديا . واعلم أنه بحسب ما ينشمر من فضائل العاقل كذلك يظهر من رذائل الجاهل حتى يصير مثالا في الغارين وحديثا في الآخرين مع هتكه في عصره وقبح ذكره في دهره كالذي رواه عطاء عن جابر قال كان في بني اسرائيل رجل له جار فقال يا ربي لو كان لك جارية لقمته مع جاري فهم به نبي من أنبياء الله فأوحى الله اليه انما أثيب كل انسان على قدر عقله . واستعمل معاوية رجلا من كلاب فذكر الجوس يوما عند فقال لعن الله الجوس يسكنون أمهاتهم والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ما مكنت أي فبلغ ذلك معاوية فقال فجع الله أنثروا ذودهم فعمل وعزله . وولى الربيع العامري وكان من النوك فأقاد كلابا بكتب فقال فيه الشاعر

شهدت بأن الله حق القاءه * وأن الربيع العامري رقيق

أقاد لنا كلابا بكتب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين نضيع

وليس لها راجل غاية ولا مضار الحق نهاية قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الا الحفاة أعيت من يداويها

(فصل) وأما الهوى فهو عن الخير صائد وللعقل منقاد لانه ينتج من الاخلاق قبائحها ويظهر من الافعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الهوى يلهي بعد من دون الله ثم تلا أفرأيت من اتخذ الله هواء . وقال عكرمة في قوله تعالى ولكم فتنتم أنفسكم يعني بالشهوات وتربصتم يعني بالتوبة وارتبم يعني في أمر الله وغرتكم الاماني يعني بالتسويق حتى جاء أمر الله يعني الموت وغرتكم بالله الغرور يعني الشيطان وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طاعة الشهوة داء وعصيانها دواء . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طاعة تنزع الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرى وان الباطل خفيف وبني وترك الخطيئة خيرا من معالجة التوبة ورب نظيرة زرع شهوة وشهوة ساعة أو رثت خرنا طويلا . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخاف عليكم اثنين اتباع الهوى وطول الأمل فان اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة

(٧) القطع المتنبه (جزء اول)

وقال الشعبي انما سمى الهوى هوى لانه هوى بصاحبه . وقال اعرابي الهوى هو ان واسكنه غلظ باسمه فآخذته الشاير وقال

ان الهوان هو الهوى قلب اسمه * فاذا هويت فقد لقيت * وانا
وقيل في منشور الحكم من أطاع هواه أعطى عدو مناه . وقال بعض الحكماء العقل صديق
مقطوع والهوى عدو مشبوع . وقال بعض البلغاء أفضل الناس من عصى هواه وأفضل منه من
رفض ديناه وقال هشام بن عبد الملك بن مروان

اذا أنت لم تعص الهوى فادلك الهوى * الى كل ما فيه عليك وبال
قال ابن المعتز رحمه الله لم يقل هشام بن عبد الملك سوى هذا البيت . وقال الشاعر
اذا ما رأيت المرء يقتاده الهوى * فقد شككته عند الذنوا كما
وقد أشمت الاعداء جهلا بنفسه * وقد وجدت فيه مقالا عواذله
وما يردع النفس اللجوج عن الهوى * من الناس الا حزم الزأى كلله

فلما كان الهوى غالباً والى سبيل المهالك مورداً جعل العقل عليه رقيباً يحجها هذا يلاحظ عثرة
غفلته ويدفع بادر سطوته ويدفع خداع حيلته لان سلطان الهوى قوى ومدخل مكره خفي ومن
هذين الوجهين أغنى قوة سلطانه وخفاء مكره يؤتى العقائل حتى تنفذ أحكام الهوى عليه فاما الوجه
الاول فهو ان يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه حتى تتوالى عليه جيوش الشهوات فيكل العقل
عن دفعها ويضعف عن منعها مع وضوح قبحها في العقل المشهور بها وهذا يكون في الاحداث
أكثر وعلى الشباب أغلب لقوة شهواتهم وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم وانهم ربما جعلوا
الشباب عذر الهوى كما قال محمد بن بشير

كل يرى أن الشباب * في كل مبلغ لذة عذر

ولذلك قال بعض الحكماء الهوى ملك غشوم ومتسلط ظالم . وقال بعض الادباء الهوى عسوف
والعدل مأوف وقال بعض الشعراء

يا عاقلاً أرى الهوى عقله * مالك قد سدت عليك الامور

أجعل العقل أسير الهوى * وانما العقل عليه أمير

وحسم ذلك أن يستعين بالعقل على النفس النيرة فيشعرها ما في عواقب الهوى من شدة الضرر
وقبح الاثر وكثرة الاجرام وتراكم الآثام . فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات أخبر أن الطريق الى الجنة احتمال المكاره والطريق الى النار اتباع
الشهوات : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه اياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم فان
عاجلها نعيم وأجلها وخيم فان لم ترها تنقاد بالتحذير والارهاب فسوف تنال التأميل والارغاب فان

الرغبة والرغبة إذا اجتمع على النفس ذلت لهما واتقانت . وقد قال ابن السكيت كن لهو والنموسا
ولعقلك مسعفا وانظر الى ماتسو عاقبته فوطن نفسك على مجابته فان زلزال النفس وماتسوى
داؤها وزلزلت موى داؤها فاصبر على الدواء كالتخاف من الماء . وقال الشاعر

صبرت على الايام حتى نلت * وأزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان طمعت نافت والا تسلت

فاذا انقادت النفس للعقل بما قد أشعرت من عواقب الهوى لم يلبث الهوى أن يصير بالعقل
مدحورا وبالنفس مقهورا ثم له الخط الاول في ثواب الخالق وثنا المخلوقين . قال الله تعالى وأما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى . وقال الحسن البصري أفضل
الجهاد جهاد الهوى . وقال بعض الحكماء أعز العز الامتناع من ملك الهوى . وقال بعض البلغاء
خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه وعصى هواه في طاعته ربه . وقال بعض الاديان من أمانت
شهوته فقد بدأ حيا مروه . وقال بعض العلماء ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة وركب
البهايم من شهوة بلا عقل وركب ابن آدم من كليهما فن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة
ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهايم . وقيل لبعض الحكماء أشجع الناس وأحرهم
بالظفر في مجاهدته فقال من جاهد الهوى طاعة له واحترس في مجاهدته من ورود خواطر
الهوى على قلبه . وقال بعض الشعراء

قد يدرك الخازم ذوال رأى المني * بطاعة الحزم وعصيان الهوى

وأما الوجه الثاني فهو ان يخفى الهوى ~~معه~~ حتى تنموه أفعاله على العقل فيتصور القبيح حسنا
والضرر نفعاً وهذا يدعو اليه أحدثيين اما أن يكون للنفس ميل الى ذلك الشيء فيخفى عنها القبيح
الحسن ظنهما وتتصوره حسناً لئلا يميلها . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمى
ويصم أى يعمى عن الرشد ويصم عن الموعظة وقال علي رضي الله عنه الهوى عمى قال الشاعر

* حسن في كل عين من نود *

وقال عبيد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

ولست براه عيب ذي الودك له * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضى عن كل عيب كليله * ولكن عين السخط تبدى المساويا

وأما السبب الثاني فهو اشتغال الفكر في غير ما تشبه في طلب الراحة في اتباع ما استسهل حتى يظن
أن ذلك أوفق أمريه وأجمل حاله اعتراها بان الاسهل محمود والاعسر مذموم فلن يعدم أن يتورط
بجذع الهوى ورؤية المكر في كل مخوف حذر ومكر وعسر ولذلك قال عامر بن الظرب الهوى

يقطان والعقل راقد فني ثم غلب . وقال سليمان بن وهب الهوى أمتع والرأى أنفع . وقيل
في المثل العقل وزرناصح والهوى وكيل فانح . وقال الشاعر

إذا المرء أعطى نفسه كل ما شئت * ولم ينهها تأقت إلى كل باطل
وساقت إليه الآثم والعار بالذي * دعت إليه من حلاوة عاجل

وحسم السبب الاول أن يجعل فكر قلبه حكما على نظر عينه فان العين رأيت الشهوة والشهوة من
دواعي الهوى والمقلب رأيت الحق والحق من دواعي العقل . وقال بعض الحكماء ننظر الجاهل بعينه
ونظرة العاقل بقلبه ونظرة ثم يهتم نفسه في صواب ما أحببت وتسين ما شئت ليصبح له
الصواب ويتبين له الحق فان الحق أنقل مجالا وأصعب مراكبا فان أشكل عليه أمران اجتنب
أحبهما إليه وترك أسهلها عليه فان النفس عن الحق أنشروا للهوى اثر . وقد قال العباس بن
عبده المطلب إذا اشتبه عليك أمران فدع أحبهما إليك وخذ أنقلهما عليك وعلة هذا القول
هو أن الثقل يبطئ النفس عن التسرع اليه فيتضج مع الانبطاء وتطول الزمان صواب ما استجيب
وظهور ما استبهم وقد قال علي بن أبي طالب من تشكر أبصر والمحجوب أسهل شيء تسرع النفس
اليه وتبجل بالادغام عليه . فقصّر الزمان عن تصفحه ونبوت استبداد كره لتقصيره فلهذا تنفع
التصفح بعد العمل ولا الاستبانة بعد القوة . وقال بعض الحكماء ما كان عنك معرضا فلا تكن له
معرضا . وقال الشاعر

أليس طلاب ما قد فات جهلا * وذكر المرء ما لا يستطيع

ولقد وصف بعض البلغاء حال الهوى وما يقاربه من محن الدنيا فقال الهوى مطية الفتنه والدنيا
دار الخنة فانزل عن الهوى تسلم وأعرض عن الدنيا تغنم ولا يغرنك هوالب بطيب الملاهي ولا
تفتنك دنسها بحسن العواري فخذ للهوتنقطع وعارية الدهر ترتجع ويبقى عليك ما تركته من
الحارم وتكتسبه من الحرام . وقال علي بن عبد الله الجعفي سمعتني امرأ بالبواطوف وأنا أشد

أهوى هو الدين والذات تهيجني * فكيف لي بهوى الذات والدين

فقال هما ماضرتان فذراهما شئت وخذ الأخرى فأما فرق ما بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما
في العلة والمعامل واتفاقهما في الدلالة والمدلول فهو أن الهوى يختص بالآرام والاعتقادات
والشهوة تختص بفيل اللغة فصارت الشهوة من نتائج الهوى وهي أخص والهوى أصل هو أعم
ونحن نسأل الله تعالى أن يكفينادواعي الهوى ويصرف عنا سبل الردى ويجعل التوفيق لنا قائما
والعقل لنا مرشدا . فقد روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام عظم نفسك فان تعظت
ففظ الناس والافاسجى منى وقال محمد بن كلسة

ما من روى أدبا فلم يعمل به * ويكف عن زيف الهوى بأديب
حتى يكون بما تعلم عاملا * من صالح فيكون غير معيب
ولعلنا تغنى أصابة قائل * أفعاله أفعال غير مصيب
وقال آخر

يأبىها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كل ذا التعليم
نصف الدوا على السقام ونى الضى * كما يصح به وأنت سقيم
ابداً بنفسك فانها عن غيا * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهنا التعذران وعظمت ويقتنى * بالتول منك ويقبل التعليم
لاتسه عن خلق وتأني مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(من أدب الدنيا والدين)

(علم الادب)

هذا العلم لاموضوع له يتطرق في اثبات عوارضه أو نقيضها وإغما المقصود منه عند أهل اللسان غرضه
وهي الاجادة في فن المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام
العرب ما ساءت به الكلمة من شعر على الطبقة وصحح متساو في الاجادة ومسائل من اللغة
والنحو ومبشورة أنما أخذت متفرقة يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر
بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة
والاخبار العامة والمقصود بذلك كله أن لا يفتنى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم
ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا يحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع
ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا أرادوا احدها الفن قالوا الادب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها
والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو الالوه الشرعية من حيث متونها فقط وهي
القرآن والحديث اذا لم يدخل غير ذلك من العلوم في كلام العرب الاما ذهب اليه المتأخرون عند
كفرهم به - ناعمة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب
هذا الفن حيث اذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها وسعما من شيوختنا في
مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب
الكامل للبيري وكتاب البيان والتميز للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي الفاي البغدادي وماسوى
هذه الاربعة فينبع لهو وفروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الاول من
أجزاء هذا الفن لهو تابع للشعر اذا الغناء انما هو تعليمه وكان الكتاب والفن من الخواص

في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم بمصر على تحصيل أساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتعاشه قاصداً حق العدالة والمروءة وقد ألف القاضي أبو الفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابه في الاغانى جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشد فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه ولم يرد أنه ديوان العرب وجامع أشعارهم الحسن التي سلفت لهم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلم وهو الغاية التي يسمونها الاديب ويقف عندها والله الهادي الى الصواب

(من مقدمة ابن خلدون)

فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر وتداولونها في الامصار تحصيلاً وتعلماً هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يمتد الى به بغيره وصنف نقلي يأخذ عنه وضعه والاول هي العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن أن يدف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بدراكه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها وانجازها برأيتها ووجوه تعليمها حتى يوقفه نظره ويبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو انسان ذو فكر والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج الى الحاق بوجه قياسي الآن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الاصل وهو نقلي فرجع هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهوؤها لا فائدة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الله وبه نزل القرآن وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبنائه منسوبة وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالاجماع أو بالأخلاق فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولاً وهذا هو علم التفسير ثم باسناد نقله وروايته الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عنده الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم باسناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها لمعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم يعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من أصولها من وجه قانوني يشيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو أصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهذا هو الفقه ثم ان التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالايمن وما يجب أن

يعتقد علم الالهيته مقدوه هذه هي العقائد الايمانية في الذات والصفات وأموار الحشر والنعيم والعذاب والقدر والجحجج عن هذه الادلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر في القرآن والحديث لادان تقدمه العلوم السياسية لانه متوقف عليها وهي أصناف فنه اعلم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الادب وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية وأهلها وان كانت كل ملة على الجملة لابد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة في الجنس البعيد من حيث انها علوم الشريعة المتصلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها وأما على الخصوص فباينة لجميع الملل لانها ناسخة له وكل ما قبلها من علوم الملل مهجورة والنظر فيها يحظر فقد غنى الشرع عن النظر في الكتب المتصلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل البنا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تيم الغضب في وجهه ثم قال ألم أنكم بها يشاء نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي ثم ان هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه الملة بما لا يزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين الى الغاية التي لا فوقها وهذا من الاصطلاحات ورتبت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتميق وكان لكل فن رجال يرجع اليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سدة العلم والتعليم وما أدري ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكسالية لكثرة عمرانه والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم بالخرافية من الاوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم والله سبحانه وتعالى هو الفعال الما يري دوسمه التوفيق والاعانة (من مقدمة ابن خلدون)

(العلوم العقلية وأصنافها)

وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذوق في غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلهم ويسترون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران الخليقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم الاول علم المنطق وهو علم بعصم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعروفة وفائدة تميز الخطا من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها اليقظ على تحقيق الحق في الكتابات بعنتي فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اما في الحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عن الحر كتنوع ذلك ويسمى هذا الفن بالعالم الطبيعي وهو الثاني منها ولما

أن يكون النظر في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحيات وسعونه العلم الإلهي وهو الثالث منها والعلم الرابع ينظر في المقادير وهو يشتمل على أربعة علوم وتسمى التعاليم أولها علم الهندسة وهو ينظر في المقادير على الإطلاق إما المنفصلة من حيث كونها معدودة أو المتصلة وهي إمادات بعدد واحد وهو الخط وأوقات بعددين وهو السطح وأوقات بعدد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها إما من حيث ذاتها أو من حيث نسبة بعضها إلى بعض وثانيها علم الارتماطيق وهو معرفة ما يعرض للكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والتغم بعضا من بعض وتقديرها بالعدد وغمرة معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة لموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها وأقبالها وإدبارها فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو القسديم منها وبعده التعاليم فالارتماطيق أولا ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تنفرع عنه في فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والثرائض والعاملات ومن فروع الهيئة الانياح وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلهما للوقوف على مواضعهما متى فسد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية واعلم أن أكثر من عني بها في الاجيال السابقة الذين عرفنا أخبارهم الامتان العظمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم فكانت أسواق العلوم نافذة لهما لما كان العمران موقورا فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام لهما فكان لهذه العلوم محور زاخرة في آفاقهم وأمصايرهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عناية بالسحر والتنجامة وما يتبعها من الطلاسم وأخذ ذلك عنهم كل من فارس ويونان فاختص بها القبط وطبعي بحر هافهم كما وقع في المتأمن من خبر هاروت وماروت وشأن السحرة وما نقله أهل العلم من شأن البرابي بصعيد مصر ثم سابت الشرائع بحظر ذلك وتحرره فدرست علومه وبطلت كأن لم تكن الا بقايا يتأقلها منه لوهذه الصنائع والله أعلم بحجتها مع أن سيوف الشرع فاقعة على ظهورها مانعة من اختيبارها وأما القرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيما ونطاقها متسعا لما كانت عليهم دولتهم من الغنامة واتصال الملك ولقد يقال ان هذه العلوم انما وصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستولى من كتبهم وعلومهم على ما لا يأخذ به الحضر ولما فتح أرض فارس ووجد فيها كتب كثيرة كتب سعد بن أبي وقاص الى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتقليها للسليين فكتب اليه عمر أن اطرحوها في الماء فإن يكن

ما فيها هدى فقد هدانا الله بهدى سنه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله فطر حوها في الماء
أوفي النار وذهبت علوم الفرس فيها فلم تصل إلينا وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان أولا وكان
لهذه العلوم بينهم بحال رجب وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم واخص فيها
المشاؤون منهم أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعاليم كانوا يقرؤون في رواق يظلمهم من الشمس
والبرد على ما زعموا واتصل فيها سنده تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم إلى تلميذه بقراط
الذي ثم إلى تلميذه افلاطون ثم إلى تلميذه ارسطو ثم إلى تلميذه الاسكندر الافرودمي وتامسطيون
وغيرهم وكان ارسطو معلما لاسكندر ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من
أيديهم وكان أرمضهم في هذه العلوم قدما وأبعدهم فيها صيتا وكان يسمى المعلم الاول فطارله
في العالم ذكر ولما انقرض أمر اليونان وصار الامر للقيصرية أخذوا بدين النصرانية هجروا تلك
العلوم كافة فتنصم الملل والشرائع فيها وبقت في صحفها ودواوينها بخدمة باقية في خزائنها ثم ملكوا
السلام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لاهله الظهور الذي لا كفالهوا ابتزوا
الروم ملكهم فيما ابتزوه للامم وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا استعمل أمر
السلطان والدولة وأخذوا من الحصار بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتقتوا في الصنائع
والعلوم تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكمة بجمعها من الاساقفة والقسس المعاهدين
بعض ما ذكر منها وبما نسحو اليه أفكار الانسان فيها فبعث أبوجعفر المنصور الى ملك الروم أن
يعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها
المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له
في العلم رغبة بما كان يتحله فانبعثت همته لهذه العلوم حرصا وأوفد الرسل على ما ولد الروم
في استخراج علوم اليونانيين واتساعها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب
وعكف عليها النظار من أهل الاسلام وخذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية أنظارهم فيها وخالقوا
كثيرا من آراء العلم الاول واخصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ودقوا في ذلك الدواوين
وأرسلوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من أكابرهم في الله الاسلامية أبونصر الفارابي وأبو
علي بن سينا بالمشرق والفاضل أبو الوليد بن رشد والوزير أبو بكر بن الصائغ بالاندلس الى آخرين
بلغوا الغاية في هذه العلوم واخص هؤلاء بالشهرة والذكر واقتصر كثير على احتمال التعاليم وما
يضاف اليها من علوم الخبائصة والسحر والطلسمات ووقفت الشهرة في هذا المنحل على مسلمة بن
أحمد الجرجيني من أهل الاندلس وتلميذه ودخل على الله من هذه العلوم وأهلها داخله واستوفت
الكثير من الناس بما جرحوا اليها وقلدوا آراءها والذنب في ذلك على من ارتكبه ولوشاء الله ما فعلوا

ثم ان المغرب والاندلس لما ركبت ربح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضجعل ذلك منهما
الاقلية الامن رسومه تجدها في تقارب من الناس وتحت رقيقة من علماء السنة ويلغنا عن أهل
المشرق أن يصانع هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم وما بعده في اوراق
الثمر وأنهم على نيج من العلوم العقلية لتوفر عمراتهم واستحكام الحضارة فيهم ولقد وقت عصر على
تأليف متعددة لرجل من عظماء هرات من بلاد خراسان يشهر بسعد الدين التفتازاني منها في علم
الكلام وأصول النطق والبيان تشهد بأن له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي أنشائها ما يدل على
أنه اطلعا على العلوم الحكيمة وقدماء عالية في سائر الننون العقلية واقه يؤيد بنصره من يشاء
كذلك بلقنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية يلاذ الافرنجة من أرض رومة ومالها من
العدوة الشمالية تناقصت الاسواق وأن رسومها هناك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها
جامعة متوفرة وطلبها متكثر والله أعلم بما هناك وهو يخلق ما يشاء ويختار

(من مقدمة ابن خلدون)

في طبيعة العمران في الخلية وما يعرض فيها من البدو والخضر والتغلب والكسب
والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس والعصيات وأصناف التغلبات للبشر
بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملائ والول وحرائها وما يتقلد البشر باعمالهم ومساعدهم
من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال
ولما كان الكذب منطر فالخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه فيها التسيجات لا آراء والمذاهب
فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمهيص والنظر حتى تبين
صدقه من كذبه واذا خاضعها لتسييع رأى أو تطلعت قبلت ما وافقته من الاخبار لا قول وهله وكان
ذلك الميل والتسييع غطاء على عين بصيرتها عن الاستقاد والتمهيص فتقع في قبول الكذب ونقله
(ومن الاسباب) القفضية للكذب في الاخبار أيضا الثقة بالناقلين وتقصيص ذلك يرجع الى التعديل
والخبر يرح (ومنها) الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عين أو سمع وينقل
الخبر على ما في ظنه وتحمينه فيقع في الكذب (ومنها) وهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر
من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل ما يداخها من التلبس
والتصنع في نقلها الخبر كراها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر
لاصحاب التجلة والمراتب بالنشأ والملاح وتحسين الاحوال واشاعة ذلك فيستعفيض الاخبار لهم

على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب النماء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاء أو ثروة
وليسوا في الاكثر براغمين في الفضائل ولا متنافسين في أهلهما (ومن الاسباب) القضية له أيضا
وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاخوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا
مكان أو فاعلا لابد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله فاذا كان السامع عارفا
بطبائع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على غير الصدق من
الكذب وهذا يبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار
المستحيلة ويتقاضيها وتؤثر عنهم كأنه المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء
الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قاع البحر
حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية التي رآها وعمل ثمانية لها من أجساد معدنية ونصب احذاه
البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعانيتها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافة
مستحيلة من قبل اتخذ التابوت الزجاجي ومصادمة البحر وأواجه بحججه ومن قبل أن الملائكة
لا تحمل أنسها على مثل هذا الفرر ومن اعتمد منهم فقد عرض نفسه للهلكة واتقاض العقدة
واجتمع الناس الى غيره وفي ذلك انلافه ولا يتظنون به رجوعه من غروره ذلك طرفه عين ومن
قبل أن الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل فتخص بها انما هي قادرة على التشكل وما يذ كر من كثرة
الرؤس لها فاعلم المراد به البشاعة والتوهم بل لأنه حقيقة وهذه كلها فادحة في تلك الحكاية
والقادح الخيل لها من طريق الوجود أي من هذا كله وهو أن الشمس في الماء ولو كان في الصندوق
يضيق عليه الهواء الشمس الطبيعي وتسخن روحه بسرعة تقلبه فيمقد صاحبه الهواء البارد
المعدل لمزاج الرئة والروح القلبي وبهلك مكانه وهذا هو السبب في هلاك أهل الحمامات اذا
أطبقت عليهم عن الهواء البارد والتدخين في الآبار والمطامير العيقة الموهوى اذا مضى هواؤها
بالعقنة ولم تداخلها الرياح فتختلجها فان المتدلي فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت
اذا قارب البحر فان الهواء لا يكتفي في تعديل رتته اذ هو حار يافراط والماء الذي يعدله بارد والهواء
الذي خرج اليه حار فيستولي الحار على روحه الحيواني وبهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين
وامثال ذلك ومن الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودي أيضا في تمثال الزرور الذي يرومه تتجمع
اليه الزرايزر في يوم معلوم من السنة حاملة لآزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما أبدى ذلك عن
الجحرى الطبيعي في اتخاذ الزيت ومنها نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر
من ثلاثين مرحلة وتشتغل على عشرة آلاف باب والمدن انما اتخذت للحصن والاعتصام كما أتى
وهذه خرجت عن أن يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم وكان نقله المسعودي أيضا في حديث

مدينة الخامس وانها مدينة كل بنائها الخامس بصحراء مجلدة اسمها نظيرهم اموسى بن نصير في غزوة الى المغرب وانها مغلقة الابواب وان الصاعد اليها من أسوارها اذا أشرف على الحائط صق وورى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث مستحيل عادة من خرافات القصاص وصحراء مجلدة اسمها قد نفضها الركب والادلاء لم يبقوا والهمزة المدينة على خبر ثمان هذه الاحوال التي ذكرها عنها كلها مستحيلة عادة منافية للامور الطبيعية في بناء المدن واختلاطها وان المعادن غابة الموجود منها ان يصرف في الآتية والنظر في وأما تشييد مدينة مناهجها فكرها من الاستحالة والبعد وامثال ذلك كثير وتخصه اغاها وتعرفه طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمييز الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التمييز بتعديل الرواة ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن أو معتمد وأما اذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح ولقد عد أهل النظر من المطاعين في الاخبار استحالة مدلول اللفظ وتأويله ان يؤول بما يقبله العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعترف في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انشائية وأوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسيل صحة الظن الثقة بالرواة بعد الله والاضبط وأما الاخبار عن الوافعات فلا بد في صدقها ومحتجها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ينظر في امكان وقوعها وصرفها ذلك أهم من التعديل ومتمد ما عليه اذ فائدة الانشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج المطابقة واذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة أن تنظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وتميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لاعتداده وما لا يمكن أن يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحيثما فاذا جمعنا عن شيء من الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما نتحكم بقبوله مما نتحكم بتزييفه وكان ذلك لنا معيارا صحيحا نقرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما يتقانونه

واعلم ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة أعثر عليه البحث وادى اليه الغوص وليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور الى رأى أو صدقهم عنه ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل والمدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحتمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه هذين الفنين اللذين ربما يتسبهنه وكان علم مستنبط التشاة وامرئ لم أقف على الكلام في مناهج الاحكام من الخليفة ما أدري لغتهم عن ذلك وليس الظن بهم أولعلمهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل اليها

فاله يوم كثيرة والحكمة في أعم النوع الانساني متعددون ومالم يصل اليئامن العلوم أكثر مما وصل
فأين علوم الفرس التي أمر عمر رضى الله عنه بمحوها عند الفتح وأين علوم الكلدانيين والسريانيين
وأهل بابل وبما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها وأين علوم القبط ومن قبلهم وانما وصل اليئاعلم
أمة واحدة وهم يونان خاصة لكلف المأمون بإخراجهم من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين
وبذل الاسوال فيها ولم نقف على شئ من علوم غيرهم وإذا كانت كل حقيقة متعاقبة طبيعياً
يصلح أن يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب أن يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم
من العلوم بمحصة لكن الحكمة العلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا انما غمرته في الاخبار
فقط كما رأيت وان كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تصحح الاخبار
وهي ضعيفة فلماذا هجره والله أعلم وما أوتيتم من العلم الا قليلا
(من مقدمة ابن خلدون)

(في العمران البشرى على الجمل)

ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان مدني بالطبع أى لا بد له من
الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران ويأنه ان الله سبحانه خلق الانسان
وركبه على صورة لا يضر حياته وبقاؤها الا بالبقاء وهذا ما الى التماسه بقطره وبما ركب فيه من
القدرة على تحصيله الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجتهم من ذلك الغنا غير
موفية له بجملة حياته منه ولوفرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الخطة مثلاً فلا يحصل
الابصلاح كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى سواعين
وآلات لاتتم الابصناعات متعددة من حديد ونجار وفاخوري هب أنه يأكله جبان غير علاج
فهو أيضاً يحتاج في تحصيله جبال الى أعمال أخرى أكثر من هدم من الزراعة والحصاد والدراس
الذي يخرج الخب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنائع كثيرة
أكثر من الاولى بكثير ويستحيل أن توفى بذلك كله أو يعرضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر
الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لا أكثر
منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بأبناء جنسه
لان الله سبحانه لما ركب الطبائع في الحيوانات كلها وقسم القدر منها جعل حظوظ كثير من
الحيوانات العجم من القدرة أكل من حظ الانسان فقدره القرم مثلاً أعظم بكثير من قدرة الانسان
وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل أضعاف من قدرته ولما كان السدون طبيعياً
في الحيوان جعل لكل واحد منها عضواً يختص بدفاعه ما يصل اليهم من عادية غيره ويجعل

للإنسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له
الآلات التي تتوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن
القرون الناحضة والسيوف النابتة عن المخالب الجارحة والقراس النابتة عن البشريات الجاثية إلى
غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الأعضاء فالواحد من البشر لا يتعاون قدرته بقدرة واحد
من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تنفع قدرته أيضا باستعمال
الآلات المعدة للدفاع لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون
عليه بآبائه جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركب الله تعالى
عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون
قريصة للحيوانات وبما جعله الهلاك عن مدى حياته ويحل نوع البشر وإذا كان التعاون حصل
له القوت للغذاء والسلاح للدفاع ونعمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع
ضروري للنوع الإنساني والأيكل وجودهم وبما أراد الله من اعتماد العالم بهم واستخلافه إياهم
وهذا هو معنى العمران الذي جعلنا موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في أنه
الذي هو موضوع له وهذا وإن لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تنظر في الصناعة المنطقية أنه
ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس أيضا من المنوعات عندهم فيكون اثباته
من التبرعات والله الموفق بقضائه ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كقريزته وتم عمران العالم بهم
فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طبائعهم الحيوانية من العدوان والظلم وأبست
الأسلحة التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كقوة دفع العدو وانهم موجودون
جميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع
الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة
والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد بينا للتبني
أنه خاصة للإنسان طبعية ولا ينالها منها وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء
كقوى النحل والجراد المستقرى فيهما من الحكم والاتباع ليس من استخدامهما متميز عنها
في خلقه وجماعته إلا أن ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة
والسياسة أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

(من مقدمة ابن خلدون)

(في تأثير الهواء في أخلاق البشر)

قدر أن يئامن خلق السودان على العوم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل
توقيع موصوفين بالجن في شكل قطار والسبب الصحيح في ذلك أنه تقر في موضوعهم من الحكمة

أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيوانى وتنفسيه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه وتقرر أن الحرارة مقسمة للهواء والبحار بخلافه زائفة في كنهه ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعها سورة الحرق في الروح من مزاجه فيتقشى الروح وتجيء طبيعة الفرح وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات ان تنفسوا في هوائها او اتصلت حرارة الهواء في أرواحهم فتسخت لذلك حدث لهم فرح ورعبا نبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على آخر جتهم وفي أصل تكونهم كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبادتهم واقليمهم فتكون أرواحهم بالقياس الى أرواح أهل الاقليم الرابع أشد حرا فتكون أكثر تنفسيًا فتكون أسرع فراحا وسرورا وأكثر انبساطا ويحيى الطيش على أثر هذه وكذلك يلحق بهم قلة أهل البلاد البحرية لما كان هوائها متضاعف الحرارة بما يعكس عليه من أضواء بسيط البحر وأشعثه كانت حصتهم من نوابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد نجد بسيرامن ذلك في أهل البلاد الجزيرية من الاقليم الثالث تتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريضة في الجنوب عن الارياض والتلول واعتبر ذلك أيضا بأهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية أوقر سائما منها كيف غالب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون قوات سنهم ولا شهرهم وعامة ما كلهم من أسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقين اطراق الحزن وكيف أنظر طوافي نظرها في العواقب حتى ان الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة ويباكر الاسواق لشرا قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيا من مدخره وتتبع ذلك في الاقاليم والبلدان تجدد في الاخلاق أثر من كفيات الهواء واقه الخلاق العظيم وقد تعرض السعوى للبحث عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعليله فلم يأت بشئ أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحق الكندي أن ذلك لصعف أدمغتهم وانشاء عنه من ضعف غفولهم وهذا كلام لا يحصل له ولا يبرهان فيه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(من مقدمة ابن خلدون)

باب في المقامات

(المقامات النبيلة في الرخاء والغلاء)

(وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد)

لما كانت سنة سبع وتسعين وثمانمائة وفي النيل في منتصف حسرى وسارت به في البلاد رسائل البشرى وأرسلت منه نعم الله على العباد تبرى وزأوا فيمن آياته الكبرى وجدوده وإن كانوا

عاجزين عن القيام بحقه شكرا ومازال يحمره البسيط المديد يروى عن ثابت وزيد الى أن زاد من الذراع الثامن عشر سبعة عشر أصبعا وذلك الى الثاني والعشرين من مسرى الموافق ليوم الأربعاء والناس من شأنه في أمان ومن رخصا السعر في اطمئنان قد انحلت عرى الاسعار وتناشدت في ذلك من الادباء الاشعار وذهب العار والشار وصار القمح كل ثلاثة أواذب دينار فوقف مد النيل عن الامتداد وبدى فيه النقص بعد الازدياد فانتظر الناس أوبته وترقبوا منه أن يفي من الزيادة نوبته فاستقر على الوقوف وانكشف لنقصه السواحل والجروف وانكشف بدهر الطالع عمارهم موجه على الارض من الجروف وتمثل أرباب الاراضى والمزارع وأصحاب المراعى والمرايع والمرابع

وأصبحت من ليلى الغداة كقبايض * على المصحاته فروج الاصابع
لا تنفتح ترع على جرى الماه منها الاوقف ولا يحسر بحجر لسقى الاكف وما وكن بكف وسكت
المنادى بزيادة ألفا ونطق خلفا وصارت الروضة النظرة بعد تلك الخضره موردة الحلقا وصب
البياس على أهل المقياس وصارت دار النحاس أنحس دار وجرت الاقدار على أهل مصر
بالا كدار وقيل بأرض ابلى ماءه وباسماء ألقى وبازيادة النيل من حيث جئت فاربعي
ونعوض الماء وانقضت السماء وقضى الامر واستوت القلوب على أحر من الجمر فحينئذ ماج
الناس موجا وارتنى سعر القمح من الجيوب أوجا

واندجحت حلقنا البطان باقوا * م وطارت ننوسهم جزعا

وأصبحوا في أمرهم حيارى وانهمك على شراء القمح المسلمون واليهود والنصارى وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى كأنما قامت عليهم القيامة أو سقطت عليهم الغمامة وكل من ورد
البحر وصدر يقول فى الشوارع يا الله السلامه وعاد بعض الناس على بعض باللامه وعض المتأخر
عن شراء القوت على يديه من الندامة وأنشد لسان الحال فى المقامه

وربما قالت قوم اجل أمرهم * من التافى وكان الحزن لوعباوا

وتذكر الناس ما يحكى عن الامامين وذلك أن مالكا أوسى الشافعى اذا سكن مصر بادخار قوت
عامين ونسوا ما تقدم فى هذا العام من هول الطاعون وذهابوا عماروا لهم الواعون وذلك لما
عندهم من حرارة الغلاء المتقدم من أحم وما قاسوه فيه من الشدايد وما بالعهدهم من قدم فحسوا
عومثل ذلك وهابوا حاول تلك الممالك وكذا أن يحف الخليج وصار الناس فى أمر مرمج وقالوا قد
شرقت البلاد وغربت العباد وشرقت الصدور حين شرقت وأظلت الابصار والبصائر وما أشرفت
ولوهم فى غلاب الناس الحريق وكبروا ولا ينكر التكبير أيام التشريق وألقى في ننوسهم الرعب
والرغب وأشربوا فى قلوبهم من الحب الحالب وتخلل البرم البر وصار أعز فى البحر ومن الدر

وزنه الوزان ونزته النزان ويقدت الاحزان وقالوا هذه أيام التشريق لكن بغير عيد وهذا السعور والطالع لكنه غير سعيد وجاءت الانفس بعد أن كانت شبعى وأصبح كل في شراء القوت كأنه حية تسعى وبذلوا فيه الذهب والمرجان وتذكرك عليهم من الزجة أتم كأنهم جان وباع من لم يجد ثمنه لشراؤه أعز ما عنده . وقال المقرئ ما هذا التفسير بعد التيسير وما لنا سعدنا تروى عن قل بن قل بعدما كان تروى عن ابن كثير ما هذا الأمر مهم وخطب لم ولا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم . وقال المحقق هذا خبر بعض عوقب به من ضل أجزعتم بما سبق اليكم انما هي أعمالكم زرع عليكم . وقال الفقيه قد شرقت كل نجوة وضافت كل نجوة وهذا زمان تأسيس متقح لافادة متجمعه . وقال الفرضي قد تكدرت المياه وتكرت المعايه ووقع العول ونقص الطول وكثر القول وقل الذول وعظم الهول فلاحول . وقال الاصولي قد ضاقت النطاق وجاءتكلف ما لا يطاق . وقال الجدل هذا البيع في الصورة مصابة وفي المعنى مصادره . وقال الصوفي لوانقيتم الله لاراح عنكم الضير ولو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير . وأصبح الحوى يلتقط الحب كأنه ابن عصفور ويقول السعر محدود والمال مقصور وأنا وكنتي للبيع جار ومجور قد كسر ناب الانافه ورفع باب الاضافه اذ دلقينا أمر الامرا وضرب زيد عرا . وقال التصرفي قد سامت الاحوال واختلت ونقصت الافعال واعانت وزاد الغم وفك المدغم ووقعنا في تفسير وصار جعنا جع تكسير . وقال الفلوي رب عجل تهبر يشا ورب غيث لم يكن غيثا ولا يدري من بسط له حال من عليه قدر وبحسب الماد طور أن كلامه طر . وقال المغنوي ترى هل ترى الارض من حقل ويقول المؤمن أنبت الربيع البقل وتعتمد من خيام الملق الاطناب ويوفى الكيل من الزرع بالمساواة والاطناب . وقال البديعي هذه براعة استهلال تؤذن بالاقبال بالاحراز ويكون للماء الى حقيقة المزارع مجاز . وقال البديعي هذه براعة استهلال تؤذن بالاقبال وتشعر بوضوح الاغلال على مخازن الغلال . وقال العروضي هذه الفاصلة الكبرى والدائرة التي دارت على الانام تترى . وقال الشاعر العربي

عسى الكرب الذي أمسبت فيه * يكون وراه فوج قريب

وقال الشاعر المولود

نيروز مصر بلا كفاء * بعد صيفا بغيزاء

وقال الكاتب قد رقت الحواشي وضعت المواشي والامر محقق متلاشى وما تنفع الطوامير ان لم يكن معها طامير . وقال الطبيب هذه أيام نجران يخشى منها الهلاك ان لم يلق الجران وان لم تنضج مادة الزيادة لم يحصل الشفا وما لم يبلغ الماء القانون المعتمد فالناس على شفا .
(٩) القطع المتنبه (جزء اول)

وقال المنطقي هذه قضايا مختلطات ورزايا غير منضبطات ماهذه الابلية قد أصبح البرمن الرسالة
كلية . وقال الموسيقى قد خفا الجواز ونجز بين الماء والصعيد جناز . وقال المقاتي قد خفت
المقنطرات وانتشفت المقطرات ونقد ما في الجنب والمرجو ما في الغيب وصبرنا كمثل السائر شهرة
في العالم ومثله وان داره هنا الغلاء الدائر لم يبق معه فضله . وقال المؤذن يا قوم ماهذا التبريح
وشحن طائفة تهنش بالتسبيح ودام التوقف سبعة عشر يوما بها ونقص فيها سبعة عشر أصعبا
فبينما الناس في لباس مترقمين حاول البأساء والباس لم يشجأهم الأهل النعمة وقد أهلت ومجبت
الرحمة وقد أهلت ومن يزاد الجبر البر الرحيم ونادى النادى زاد النيدل المبارك ثلاثة أصابع
من عند الكريم فانشرح الصدر وأيقنت بالخيور والخبور وتبدلت الشرور بالسرور
وتبشرا خلق بالرخاء وسجعت الانفس بالسجاء وفاح عرف الزيادة بالارح . وقال لسان الحال
لامير المقياس حدث عن الجبر ولا خرج . وقال المقرئ قد بلغنا الانمية من النيل وهو حذر الزاماني
وهنئنا بتوجه الزيادة وذلك وجه التهاى وصبرنا تروى حديث البحر والبلاد والمزارع عن ابن
كثير وابن عامر ونافع وظهر مصداق ما تلاوه كرا فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا .
وقال الحمدت اشكروا الله على بلائكم وانما تصرون وترزقون بضعنا نكم قد زال الرين
وصبح ماروى لن يغلب عسر يسرين فقيدها هذه النعمة بسلسلة لطاعة وصالوات بتقوى الله
تأمّنوا انقطاعه . وقال النقيسه قد جاوز الماء القلتين وتلاطمت أمواج الحرتين وتيم الماء
الصعيد اللطيب وصاب على الشرق والغرب منه صيب . وقال القرئى قد صلح الرد وصح العذ
وقاسم الجذ وصارت الانصبا مستقرقه وقسم الماء على الفروض طبقه . وقال الاصولي هذا
العام المراد به الخصوص وهذا الظاهر القاضى على النصوص وقال الجدلى الا تافرح المناط
وأغنى هذا الواد عن الاستنباط . وقال الصوفي من انقطع الى الله آواه ومن توكل عليه كان
حسبه وكفاه . وضم النوى اليه كسبه وقال استوى الماء والخشب قد زال الغم والههم وصار
البر الكرفين بدهم وسئل أشعير ا تريد أم برا فقال كايها وترا . وقال التصريفى قد زال الرلك
وطاح التلك وقوى الفك وزاد المذ وخف الشد وحسن الرد . وقال اللغوى هذا المقبل المقبل
واذا جاءه راقه بطل نهر معقل قد بان البيان والتقى الثريان ورويت الربى وبلغ الماء الربى وكفى
القيث على العرشفه وأيقن بكل ألوان بهجة ودعه يعيث ولا تبلى فالغيث يصلح ما خيل . وقال
المعنى ما أحسن هذا الاسناد المقصور علينا قصر افراد . وقال البيهقي ما أحسن هذا الامداد
المؤذن بكثرة الرماذ فليتنبه المثنى وفي التاويج ما يغنى . وقال البديعى قد زال الابهام والايهام
وحسن التوشيح والاستخدام فالحمد لله على حسن الختام . وقال العرونى قد زحف المديد والوافر

وجزت السفن حيث يقرع الخفاقر وقصر الطويل وسكن العويل والزويل وحصل اللطف
المتدارك بقل الله وتبارك . وقال الشاعر العربي

وقد يجمع الله الشيتين بعدما * بظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقال الشاعر المولد

زادت أصابع نبينا * وطمت فأكدت الاعادي

وأنت بكل مسرة * ما ذى أصابع ذى أيادي

وقال الكاتب قد شربت البقاع وسيرت الرقاع وأيقن بالرى كل قاع ونسج غلاء القبح والشعير
واخط السعير نحو الثلث والثلث كثير . وقال الطبيب قد صلح النبض وحصل البسط بعد القبض .
وقال المنطقي قد وضع الجدة وصنع الرسم والحدة . وقال الموسيقي قد صرنا في عراق وصفي الوقت
وراق . وقال الميقاتي قد دخل أربع المصيطرات وامتلأ أربع القنطرات . وقال المؤذن
سبحان فائق الاصباح وما حق ذلك الديجور بهذا الصباح ونادي في الناس حي على الفلاح
وأعلن بالصلاة على النبي والسلام واقتفى نداء كل خطيب وامام وابتهل سائر الخلق بالدعاء
ودعوا ربهم تضرعا وقالوا اللهم قنا العيث واسقنا الغيث وأبنت لنا الزرع وأدرتنا الضرع
وأنزل لنا من بركات السماء وأخرج لنا من ركات الارض وابسط لنا من خزائن رحمتك
ما يزول به القبض وثلاسان الحال على المؤمنين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
ولانه سدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوا خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين

(مقامة الروضة روضة مصر)

قال الله تعالى وآتيناهم الى ربوذنات قرار ومعين نطق الكتاب والسنة بان أرض مصر أحسن
البقاع وتظافت على ذلك آثار العناية والانتفاع وانعقد عليه الاجماع وشهد الحسن بان
الروضة منها كمر كز الدائرة فهي لها كالقطب والاساس وقام النظر على أنها أزر بقمه فيها فانتج
أنهم أحسن بقاع الارض بما جمع فيها من القياس

شوقتنا الى الجنان فردنا * في اجتناب الذنوب والاسنام

روضتنا محاسن فيها أنهار من ماء غير آسن وأشجار تنبت أفانين الاحسن وأزهار ما بين
مفتوح العين ووسن وأطيار ترزح بلغات يعجب منها كل فصيح ولسن

في روضة نصبت أغصانها وغنا * ذيل الصباين مرفوع ومحروور

قد جعت جمع نصيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير

والريح قد أطلقت فيه العنان به * والفن ما بين تقديم وتأخير

والربح تجرى رخاء فوق بجزرتها * وماؤها مطلق في زى مأسور
والربح ترقم في أمواجه شبكا * والغسيم يرسم أنواع التصاوير
والماء ما بين مصروف وتمنع * والنطل ما بين ممدود ومقصود
والربح الجس الغض لم تغض نواظره * فزهرة بين منفض ومزورور
كانه ذهب من فوق أعمدة * من الزهر في أوراق ككافور
روضة أبيضه عيون أزهارها من يسه وأنواع البركت من نهرها مفيضه ونوازع الهموم والغوم
بها مفيضه

بلد أعارته الجمامة طوقها * وكساء حلا ريشه الطاوس
روضة هي مجمع البحرين ومختار تقابل مطلع البدرين ومنهاج يسير فيه كل فلق من النواير وبدر
فهى على كل الأحوال ذات النورين

يا حبذا في الحسن ناعورة * كانها من فلاك الشمس
تحمي حى الروضة من مائها * وشكلها بالسيف والترس
ذات وجهين غير ما يجرى فيها بالنقل والتخريج فأريت على السبعة الأوجه بما حوت من كل منظر
بهيج لم يفز غير ما يحسن الا وكان لها منه قسم قسم ولم تقابل وجوها المناظر الا وكان وجهها
وسيم فلا غرو ان كانت ملكة المتزهات فانها أوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم
من مات فيها وهو مغفورة * فن الجنان الى حنان ينقل

ان فاخرتها مصر بانها القديمة قالت أبا الجديدة ولكل جليله أوناظرتها الجزيرة الوسطى قابلتها
بالكسر وقالت أنا فى ملازمة النيل الفردة البنة وان تطاولت فحوها البحر بركة الكبرى أعرضت
عن القال والقيل وقالت أنا فى يقاس بخرطومي المشتى زلومة القيل وان قال التاج أنا المرفوع
على الروس قالت أنا عروسة الحسن لاسمى فى عرس النيل والتاج فى خدمة العروس وان قالت
السبعة الأوجه فتعددت عنا الوجوه والمناظر قالت رب واحد كالف أوزيد عند المناظر

أرى المشتى فى روضة الحسن قد بدا * على رصدا المشوق فالقلب واجد
لمسر ما للسمع الوجوه اذا بدت * بمغنية عن وجهه وهو واحد
كانها بدرو النيل حولها حاله أو شمس فى وسط سمه ليس عليها سحابة أو غلالة أو وجه دار عليه
طيلسان أو سر ملك نصب فى ميدان أو قلب جيش له مصر والجزيرة جناحان تبحرت بأنواع
الازهار الهبة لبالشيخ والقيصوم وناداهالسان الربيع يا روضة سنمك بالخضرة على الخرطوم
ونغير الاسلوب ونقول نثرت السماء على أغصانها التجوم وارثق من خرطومها زلال الريق
والرحيق فلم يحجج كلال الحالين الى خرطوم

ونحن البزم منها كل خص * وعم بروضها الزاهي أكله

فقلت وقد شقي الخراطوم علا * أنخرطوم بدلى أم مدامه

كانت دار ملك وخلافه وسرير سلطنة ورتبة اتافه ومسكن علماء أعلام ومجلس قضاة وحكام
ومقر صلحاء وعباد ومقر صوفية وزهاد ويكنى في الرد على المعارض قول الشيخ عمر بن الفارض

خلق حنة من ناه وبهاها * برهاها غيرها لولا وبهاها

قال غال بردى كوثرها * قلت غال برداها برداها

وطنى مصر ونمها وطرى * ولنفسى مشتهاها مشتهاها

ولعبي غيرها ان سكنت * يا خيلى سلاها ما سلاها

وكم سكن به لمن خلفاء واولاد وأمرء وكباب ورؤساء ووزراء وقراء وأولياء وفقراء وأغنياء
وأذكاء وأغنياء وذوى هنات وأتقياء تلاوة قرآن وتدريس أفنان وشعائر وأذان ونغمات
والحان وقضاء وأطوار وضرب أوتار كل نفس بما كسبت رهينة وعلى ما حلت من أمانة دينها
أمانة فهذا يسى فى خلاص نتمه وأداء أمانته وهذا يوقه القدر فى حبال جنائمه بغيته
قل كل يعمل على شاكلته فكان لسان الحال يقضى بأن الخوبرى انما عنا حاجت قال

بها ما شئت من دين ودنيا * واخوان تأسوا فى المعاني

فشغوف بأيات المثاني * ومفتسون برنات المثاني

ومضطلع بتلخيص المعاني * ومطلع الى تخلص عاني

وكم من قارئ فيها وقار * أضرا بالحقون وبالخفان

وكم من معلم العلم فيها * ونادى لندى حلول الجاني

فصل ان شئت فهمان يصل * واما شئت فادن من الذنان

ودونك حصبة الاكياس فيها * أو الكاسات منطلق العنان

هذا يعدها عوناً على تقواه وهذا يعدها لعبه ومباهاة هذا يرى فيها التجموع ويتأجج الى القيوم
وهذا ينقل ليله الى الصباح أو يقطعه بما هو عليه معلوم هذا ينظر اليها بعين الفكرة والتبصر
في عجائب القسمة وهذا ليس لهنها الا ابتهاج بضاورة الزهرة هذا يشهد فيها ما شهدته وده
وهذا يسعد قوم غيره أفضل من سهوده

رأيت رياض القدس فى روضة الرضى * على نيل مصر بين تلك المناظر

منظرها لناظرين مشارق * وفيها وجوه كالسدور البوارد

حكين شمساً فى السحاب وقد بدت * وجوه الاناني فى سطور الاعاجير

وتشبه آفاق السموات في الدجى * وفيها مصابيح التجوم الزواهر
وتحكى طيور العاليت رؤسها * على النيل فيها ساججات الشخائر
وشبه سيب الماء فيها صوامر * بأيدي الهناسلت لسلب التواظر
عليها جلال الله جل جلاله * وفيها سرير السرير السرائر

يؤكل فيها حيوان البحر زكيا وصيد البحر طريا وثمر الاشجار حنيا ويشرب فيها الماء من شوائب
الاقدار عمريا ويمر فيها التسميم صحبها هليلا فيبرئ من الاسقام غليلا ويشقى من الاوار غليلا
ساكنها قدوق السموم والحرور وأعني من شعث الكيمان والبرور وهي خفضة في ربوة وجمعية
في حلوه ترى المارين في البر والجروأنت عنهم في بعد وتشاهد وأنت معتزل من كان في الشجار
أوصعد وأنت مقصص من الثقلاء بقلعة حولها من الماء خنادق ومن غمام حسنها تعدد أبواب
بيوتها فيها المخلص عند مجيء الطارق وكم لله على ساكنها من من لا يحصى العاذ ضبطه وكم تلا
عليه لسان النعمة أن اشكروا الله على ما أولاكم وزادكم في الخلق بسطه فان قيل لها من الناموس
شين فقل لا يدمنه لدفع العين

يالية غردت فيها البعوض وقد * طاروا الى زرافات ووجدانا
بصر عن ذاللب حتى لاسر الثيبه * وهن أضعف خلق الله أركانا
فان قيل ويخلفه عند انقضائه أذى البراغيث وذلك اذا البراغيث فقل
لا تكروا البرغوث ان اسمه * بر وغوث لك ان تدرى
فسيبر مص دم فاسد * والغوث ايقاظك في الفجر

ويحيط بارجائها النيل وما أدراك ما النيل سيد الانهار والمسخر له جميع مياه الارض غله
في الزيادة كما ورد في الآثار أصل منبعه من الجنة وسمى في القرآن بانه مدون غيره ونطقته به
السنة وهو في الجنة نهر العسل ويرفعه جبريل عند رفع القرآن ومن لم يعرف فيلسل وهو الذي
كتبه عمر بن الخطاب لما جمل أهل مصر الاصر فكتب اليه بطاقة صدرها من عبد الله عمر أمير
المؤمنين الى نيل مصر

ديار مصر هي الدنيا وساكنها * هم الامم فتقابلها بتفضيل
يا من يباهي بغيره دود جلها * مصر مقدمة والشرح للنيل
وله أصابع ليس في الايادي من يطاولها ومتى رامت عيون الشام أن تفاخره كان لكل عين اصبع
منه يقابلها والله درالقائل

زادت أصابع نيلنا * وطمت فاكدت الاعادى
وأنت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أبادى

وتختص الروضتين بين سائر الاقطار يوم هو لها عيد طالعه في برجي السنبلة والحوث للشترى سعيد وهو يوم الزينة وما أدراك ما يوم الزينة يوم يحشره الناس ويحجج فيه الى الميادين وتطيب من خلقه وتحية الانفاس ويسبل فيه ستر الوفا العفو وفي الحقيقة هو خلعة رضى ولباس وتكدي الحساد وتجتمع الاضداد فيحصل الصناء اذا انكدر والجر اذا انكسر ويبلغ الخلق من النيل غاية النيل ويسحب الماء على ساط الارض الذيل ويركب اليه الملك والجنود وتعقد الألوية والبسود ويكون للناس من مائه ولونه المحرر ورود ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وله في كل سنة أجل معدود

تتوهم الوفا والناس قد جعوا * كل روض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق غسلاً الدنيا بشأره
(من مقامات العلامة جلال الدين السيوطي)

(المقامة الثانية الخوانية)

حكى الحرث بن همام قال كلفت من ميط عن التمام ونيط في العمام بان أغشى مغاني الادب وأنضى اليه ركاب الطلب لعلق منه بما يكون في زينة بين الانام ومزينة عند الاوام وكنت لفرط الهمج باقتباسه والطمع في نقص لباسه أباحث كل من جل وقل وأستسق الويل والطل وأتمل بعضي ولعل فلما حلت حلوان وقد باوت الاخوان وسبرت الارزان وخبرت ماشان وزان ألفت بهما أبا زيد السروجي يتقلب في قوالب الانتساب ويحبط في أساليب الاكتساب فيسدى تارة أنه من آل سلسان ويعتري مرة الى أقبال غسان ويبرظورا في شععار الشعراء ويلبس حيناً كبير الكبرياء يبدأه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومدارة ودراية وبلاغة رائقة وبديهة مطاوعة وآداب بارعة وقدم لاعلام العلوم فارعة فكان له حسان آله يلبس على علانه ولسعرة روايته يصبى الى رؤيته وتخلابة عارضته يرغب عن معارضته ولعدو به ارادة يسعف بجراده فتعلقت به اهدابه لخصائص آدابه ونافست في مصافاته لنفائس صفاته

فكنت به أجاوه ومي وأجتلى * زمانى طلق الوجه ملتقى الضبا
أرى قريه قري ومغناه غنية * ورؤيته ربا ومحياه في حيا
ولبتنا على ذلك برهة ينشئ في كل يوم زهرة ويدرأ عن قلبي شبهة الى أن جدحت به يد الاملاق
كس الفراق وأغراء عدم العراق بتطيق العراق ولقنته معاوز الارفاق الى مفاز الآفاق
ونظمه في سلك الرفاق خفوق راية الاخفاق فتجهد للرحلة غرار عزيمته وظعن يشناد القلب بأزمته

فأراقني من لاقني بعد بعده * ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذنته لفضله * ولا ذو خلال حاز مثل خلاه

واستسرعني حيناً لأعرف له عرشاً ولا أجد عنه مبيناً فلما أتت من غربتي إلى منبت شعبي
حضرت دارك بها التي هي منتدى المتأدين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخلت ذولية كثة
وهيئة رثة فسلمت على الجلوس وجلس في أخريات الناس ثم أخذ يسدي مافي وطابه ويحجب
الحاضر من بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان أبي عبادة المشهود
لها بالاجادة فقال هل عثرت له فيما تحته على بديع استملجته قال نعم قوله

كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضداً وبرد أواقاح

فانه أبديع في التشبيه المودع فيه فقال له يا اللجب ولضعة الأدب لقد استسمجت يا هذا ذاورم
ونفخت في غير ضرر أين أنت من البيت الندر الجامع مشبهات النغر وأشد

نفسى القداء لنغر راق مبسهه * وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حجب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستعلاه وسئل من هذا البيت وهل حي قائله
أوميت فقال أيم الله الحق أحق أن يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع انه يا قوم لنحيكم هذا اليوم
قال فكأن الجاعة ارتابت بعزونه وأبت تصديق دعونه فتوحس ما يحس في أفكارهم وفطن
لمباطن من استنكارهم وحاذر أن يفطر اليه ذم فقرأ أن بعض الطن ان ثم قال يا رواة القريض
واسأنا القول للمريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع ردا الشك وقد قيل
فيما غبر من الزمان عند الامتحان بكرم الرجل أويهان وهأنأ قد عرضت خبيثي للاختبار
وعرضت حقيبي على الاعتبار فاستدرا أحد من حضر وقال أعرفي بيتاً لم ينسج على منواله
ولاسمعت قريحاً بمثاله فان أثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وأشد

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن الا كلعج البصر أو هو أقرب حتى أنشد فأغرب

سألها حين زارت فنصبر قعها الـ * قاني وايداع سمعي أطيب الخبر
فزخرحت شققاً غشى سنقر * وساقطت لؤلؤاً من خام عطر

فأما الحاضر من لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصباهم إلى شعب
اكرامه أطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين وأشد

وأقبلت يوم جلد الين في حبل * سود بعض بنان النادم المحصر
فلاح ليل على صبح أفلهما * غصن وضرت الباور بالدر
حينئذ استسنى القوم قيمته واستغزروا دينته وأجلوا عشرته وجلاوا قشرته (قال المخبر بهذه
الحكاية) فلما رأيت تلهب جذونه وتألق جأونه أمعنت النظر في يومه وسرحت الطرف في يومه
فإذا هو شيخنا السروجي وقد أقر ليله الدجوي فنهأت نفسي بعوده واستدريت استلام يده
وقلت له ما الذي أحال صفتك حتى جهلت معرفتك وأى شئ شيب لحيتك حتى أنكرت حليتك
فأنشأ يقول

وقع الشوايب شيب * والدهر بالناس قلب
ان دنان يوما لشخص * ففى غسدي تغلب
فلا تشق بوميض * من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو أضرى * بك الخطوب وألب
فما على التبرعار * فى النار حين يقرب
ثم نهض مفارقا موضعه ومستحبا القلوب معه (من مقامات الحريري)
(المقامة الرابعة والثلاثون الزيدية)

(أخبر الحرث بن همام) قال لما جئت البيد الى يزيد صحبني غلام قد كتب ريشته الى أن بلغ أشده
وثقفته حتى أكمل رشده وكان قد أنس بأخلاقه وخبر بحال وفاق فلم يكن يقضى مرأى ولا
يخطئ في المرامى لاجرم أن قر به الناطب بصفري وأخلصته لحضري وسفري فألوى به الدهر المبيد
حين نمتنا يزيد فلما شالت نعماته وسكنت نامته بقيت عامما لأسبغ طعاما ولا أريغ غلاما
حتى ألبأتى شوايب الوحده ومتاعب القومة والقعدة الى أن اعتاض عن الدر الخرز وأرتاد
من هو سد امن عوز فقصدت عن بيع العبيد بسوق يزيد فقلت أريد غلاما يحب اذا قلب
ويحمد اذا جرب وليكن بمن خرج به الاكياس وأخرجه الى السوق الافلاس فاهتز كل منهم
لمطلي ووثب ويند تحصيله عن كتب ثم دارت الاهل دورها وتقلب ككورها وحورها
وما نجز من وعودهم وعد ولا سمع لها رعد فلما رأيت التماسين تاسين أو متماسين علمت أن ليس
كل من خلق يفرى وأن لن يحك جلدى مثل ظفري فرفضت مذهب التفويض وبرزت الى
السوق بالصغر والبليص فاني لاستعرض الغلمان وأستعرف الاثمان انذارضى رجل قد
اختظم بلثام وقبض على زند غلام وقال

من يشتري مني غلاما صنعا * في خلقه وخلقته قد برعا
بشكل ما قطت به مضطلعا * يشفيك ان قال وان قلت وعي
وان تصببك عثرة يقبل لعا * وان تسمه السعي في النار سعي
وان تصاحبه ولو يوما رمي * وان تقعه بظلف قنعا
وهو على الكيس الذي قد جعا * ما فاقه قط كاذبا ولا ادعي
ولا اجاب مطمعا حين دعا * ولا استجازنت سرا ودعا
وطالما ابدع فيما صنعا * وفاق في النثر وفي النظم معا
واقه لولا ضحكك عيش صدعا * وصيبه انجبروا عراه جوعا
ما بعته بملك كسرى اجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا
ان هذا الاملك كريم ثم استنطقته عن اسمه لارغبة في علمه بل لانظر أين فصاحته من صباهه
وكيف لهجمته من بهجته فلم ينطق بحقا ولا مره ولا فاه فوهة ابن أمة ولا حره فضربت عنه
صفحا وقلت له قبيل العيد وشقيا فغار في الضحك وأنجد ثم أنفض رأسه الى وأنشد
يا من تلهب غيظه اذ لم أبح * باسمي له ما هكذا من نصف
ان كان لا يرضيك الا كشفه * فأصبح له أنا يوسف أنا يوسف
ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن * فطنا عرفت وما خالاك تعرف

قال فسر عني بشعره واستب لي بسحره حتى شددت عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف
الصديق ولم يكن لي هم الامساومة مولا فقه واستطلاع طلع الثمن لا وفيه وكنت أحسب أنه
سينظر شرا الى ونغلي السمعة على فما خلق الى حيث خلقت ولا عتلق عبدا عتلت بل قال
ان الفلام اذ انزعتنه وخفت مؤنه تبرك به مولاة والتحف عليه هواه واني لا ورث تحبيب هذا
الغلام اليك بان أخفف عنه عليك فزن مائتي درهم ان شئت واشكر لي ما حبيت فنقدته
المبلغ في الحال كما نقد في الرخيص المال ولم يخطر لي يال أن كل من رخص غال فلما تحققت
الصفقة وحققت الفرقه هملت عيننا الفلام ولا همول دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال
خلالك الله هل مشلي يساع * لكما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الانصاف آني * أكف خطة لا تستطاع
وأن أبل يروع بعد روع * ومشلي حين يبلى لا يرايع
أما جرعتني خسرت مني * نصالح لم يمان بها خداع

وكم أرصدتني شركا لصيد * فعدت وفي جبالتي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع
وأى كريمة لم أبل فيها * وغنم لم يكن لي فيه باع
وما أبدت لي الايام جرما * فيكشف في مضارعتي القناع
ولم تعثر بمحمد الله منى * على عيب يهكم أو يناع
فأنى ساع عندك تبذعهدى * كما نبذت برايتها الصنع
ولم سمعت قسروك بامتنانى * وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضى عنه صوفى * حديثك يوم جذبنا الوداع
وقلت لمن يساوم فى هذا * سكا ب ما يعار ولا يباع
فما نادون ذلك الطرف لكن * طباعك فوقها تلك الطباع
على أنى سأشدد عندى يعى * أضعونى وأى فى أضعوا

قال فلما وصى الشيخ أبنائه وعقل منافعته تنفس الصعداء وبكى حتى أبكى البعداء ثم قال لى انى
أحل هذا الغلام محل ولدى ولا أميزه عن أفلاذ كبدى ولولا خلوص راحى وخبو مصباحى للمادح
عن عشى الى أن يستع نعشى ولقد رأيت منازلهم من لوعة البين والمؤمن هين لى فهل لك فى
تسليته قلبه وتسرية كربى بان تعاهدنى على الاقامة فيه متى استقلت وأن لا تستقلنى اذا نقلت
فى الآثار المنتقاة المروية عن النقاة من أقال ناد ما بيعته أقاله الله عشرته قال الحرث بن همام
فوعده وعدا أبرزه الحماة وفى القلب أشياء فاستلنى حيث قد الغلام اليه وقبل ما بين عينيه
وأشدد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فذلك النفس ما تلاقى * من برطاء الوجد والاشفاق
فما تطول مدة الفسراق * ولا تبنى ركائب التلافى
بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له أستودعك من هونم المولى وشمر ذبه وولى قلبك الغلام فى زفير وعويل ريثما يقطع مدى
ميل فلما استفاق وكشف قدمه المهرق قال أتندى لم أعولت وعلام عولت فقلت أظن
فراق مولاك هو الذى أبكاك فقال انك لى وادوا بأفى واد ولكم بين مر يدومراد ثم أنشد
لم أبك والله على الفزح * ولا على قوت نعيم وفرح * واتما سمد مع أبحفانى سفح
على غنى لحظه حين طمح * ورطه حتى تعنى واقضح * وضع المنقوشة البيض الوضع
ولك أمانا اجتكتها تيك الملح * باني حوى يسبحى لم يبح * اذ كان فى يوسف معنى قد وضع

قال فمثلت مقالته في مرآة الملاحب ومعرض الملاعب فتصلب تصلب المحق وتبرأ من طينته الرق
فخلدني في مخاصمة اتصلت بملاكمة وأفضت الى محاكمة فلما أوضعت للقاضي الصورة وتلوا عليه
السورة قال ألا ان من أنذر فقد أعذر ومن حذر كن بشر ومن بصير فله قصر وان فيما شرحتاه
لدليل على أن هذا الغلام قد نبهك فإرا عويث ونصح لك فلو عيت فاسترداء بلهك واكتفه
ولم نفسك ولا تلته وحذار من اعتلاقه والطمع في استرقاقه فانه حوالا ديم غير معرض للتقويم
وقد كان أحضره أبوه أمس قبيل أفول الشمس واعترف بأنه فرعه الذي أنشاه وأن لا وارث له سواه
فقلت للقاضي أو تعرف أباه أخراه الله فقال وهل يجهل أبوزيد الذي جرحه جبار وعند كل قاض
له أخبار واخبار فصرقت حينئذ وحوقلت وأفقت ولكن حين فات الوقت وأيقنت أن لناعه
كان شرك مكيدته وبنت قصيدته فنكس طرفي ما لقيت وأليت أن لأعامل ملثما ما بقيت
ولم أزل أناؤه لخسر صفقتي واقتضاج بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى امتعاضى وتبين
جراحتى أنى يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك ولا أجرم اليك من أينفلك فانهظ بما نابك
وكاتم أصحابك ما أصابك وتذكر أبدا مادهمك لتقى الذكري درا همك وتحقق بخاق من ابتلى فصر
وتجلت له العبر فاعتبر (قال الحرث بن همام) فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن ساحبا ذيل
الغبين والغبن ونويت مكاشفة أبي زيد بالهجر ومصارمته بيد الدهر فجعلت أنسكب عن ذراه
وأعجب أن أراه الى أن غشيتني في طريق ضيق خفاني تحية شقيق فإزدت على أن عسيت
وما نيسيت فقال ما بالك شغفت بأنفك على القفك فقلت أنسبت أنك احتلمت وختلت وفعلت
فعلتك التي فعلت فأضربني متأزيا ثم أنشد متلافيا

يا من يدامنه صددو * دموحش وتجههم
وغدا يرش ملاوما * من دونهن الاسهم
ويقول هل حريسا * ع كاياع الادهم
أقصر فئا أنافيه بد * عا مثل ماتوهم
قد باعت الاسباط قبلى يوسفا واهمهم
هذا وأقسم بالتي * يسرى اليها المتهم
والطائفين بها وهم * شعبا النواصى سهم
ماقت ذلك الموقف الشجرى وعندى درهم
فاعذرا خلك وكف عنه ملام من لا يقهم

ثم قال أما معذرتي فقد لاحت وأما درا همك فقد طاحت فان كان اقشع رارك منى
وازورارك عنى لفرط شفتك على غير نفقتك فلست بمن يلسع مرتين ويوطئ على جرتين

وان كنت طوبت كسحك وأطعت شحك لتستقذما على بشر اكي فلتبك على عقلك البواكي
(قال الحرث ابن همام) فاضطروني بلقائه الخالب وصهره الغالب الى أن عدت له صفيا وبه حنيا
ونبت فعلته ظهريا وان كانت شيا فريا (من مقامات الحريري)

أحدوثه طرب تزري بالانشأت الفاضليه وأطروقة أدب تمزأ بالنقذات البابليه

بقلم - علة عبد الله باشا فكري وهي

حدثني صاحب مبارك ليس في فضله يشارك قال كان يعض الاصمار فيلعضى من الاصمار
رجل من التجار ذو شرف ونجار قدر زق سعة الغنى وحبى ثمرات المني وكان حسن العمله
كثيرا الجماله سليم القواد حاول اوداد قطار صيته في الاقطار وصار في جميع الاصمار فانسخ
نطاق تجارته واتسعت دائرة ادارته وكثرت أحبابه وأحبابه وغصت باخوانه وخلان له رحابه
ورزق بولدرته سيرته وحسنت علانيته وسيرته فكان له رفيقا وعلى أهله شقيقا

نعم الله على العباد كثيره * وأجلهن نجابه الاولاد

وعاش الرجل مدة على هذه الحال رضى العيش ناعم البال قرير العين بكثرة المال وبوغ الأمال
حتى قارب مدى المرحه وقد بلغ ابنه المذكور أشده فلما أظله يومه الموعود وأحسن بانقضاء
أمده المحدود دعا ابنه في خلوة عن الاغيار وأوصاه بوصايا البره الاخيار وقال فيما أودعه معفه
وأراد به نفعه يا بني أرى الشمس أذنت بالاقول وقد عزم الغريب على القبول واليوم قد أرف
الرحيل والبقا في هذه الدار مستحيل

كل ابن أذى وان طالت سلامته * يوما على آلة حديد محمول

وأنا مكاشفك بخصيئة في الضمير ومخبرك بأمر خطير ولا ينبغيك مثل خبير ان عندي كنز أذلك
عليه ترجع بعدى عند الحاجة اليه فيكون لك ظهرا في شدائد الايام وظهيرا في مكابد الايام
فافتح لما أقول أفعال بسك واحفظه كسواد عينك وسويدا قلبك ومأردت كنز مال مدفون
ولا تفسد جوهر مكنون فان مالى لديك وتجارى بين يديك والعقار كاعلمت واليسار مثل ما فهمت
والرزق متيسر وأمر التجاره غير متعسر ولكن قصدت ما هو أعلى وأعلى وأجدر بالرعاية والعناية
وأولى وما هو الا صاحب عرقته قديما وعكفت على وده مستديما فدهنته البالي بجرها وجرته
كؤس حاوها ومرها وكنت جريته في خيرها وشرها وبأوتيه في نفعها وضرها وكررت اختباره مرارا
فزاد اختباري اختيارا وطول تجربتي منزلة عندي ومقدارا وكلني كما قيل

ان أهلك الحق من يسبح معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذاريب الزمان صدعك * شئت فيك شمس له ليجمعك

وأنت ترى كثرة الاحباب حولنا واكثرهم من الزيارة لنا ولكن كل ألف لاتعد واحد
واذا صفنا لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذلك الواحد

وهذا الرجل الذى ذكرنا لا يتردد كما يترددون ولا يندى من ظاهرا لجمال والتجمل بالمقال مثل
ما يدون وأنا أزور المرأة والمرتين فى الاسبوع والود فيما ينشأ غير متطوع ولا ممنوع فانا الحب
فى الصدور لافى الثغور وفى شغاف الجنان لافى أطراف اللسان

وايس أخى من ودنى بلسانه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب

ومن ماله مالى اذا كنت معهما * ومالى ان أعوزته النوائب

فهذا هو الكثر الذى قصدت والحرز الذى أردت فأشد على محبته العرى ولا تنبذ جوده
فى العرا وأتبع هذا القول نصابا وأمورا مضاهيا وكأنها كانت حاجة فى نفس يعقوب
قضاها ثم انه ودعه وودع الدنيا معه ونزل مع أعماله فى رسمه والتحق حاضريه بغير أمسه
فأقام ابنه مراسم الماتم وقضى من مقتضيات العادة الجارية اللازم وأخذ فى إدارة التجارة
كالاول وصار عليه المعول وكان الحال ما تحول الى أن اجتمع عليه جماعة من أئداده
وأظهروا التحق بوداده وتملكوا بحسن ملاطفتهم أزمة قواده وكانوا أتبع له من طلاؤه وأطوع
من يمينه لشماله وانكف عنه بالضرورة أصحاب الولد الواحد بعد الواحد حيث رأوه لهؤلاء
الاقربان أميل ومكانتهم لديه أمثل وامتزاجهم بهم أجل وأكل وأعطاه هؤلاء الجلساء وزموا
بيته صباح مساء فلما خلا لهم الجو ولم يبق فى الصحبة ليت ولألو أخذوا يذرون الشرب والحان
ويتذكرون الطرب والالخان والمثالث والمثانى والغواني والاعانى والصاحب يقتدى بصاحبه
ويسرق من طباع مصاحبه

عن المرأة تسأل ولس عن قريشه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

فخر كوامن زغبته الساكن وجروء لما يكون فيه ذلك من الاماكن فخرى معهم فى فنون المحون
ومجالسة الزرجون فما زال حتى قصر على هذه الشؤون ميله وحصر قريشاته وويله فلا جرم
اختلفت تجارتها واختلفت ادارته قال على المال الموجود فى خزينة النقود فبسط الراح للانسياط
والراح يكل بالقدح ولا يلى عن ذم أو مدح حتى فئت الصنفراء والبيضاء واشتبه بحوف
صناديقها والقضاء فوضع يده فى الجواهر وأحضر الخاثر يبيع ويضيع ويصرف ويتلف
ويحقد فيها بائعها حتى أتى على آخرها ثم انشأ العقار يبيع على العقار ويضيعه فى تحصيل
لذاته ورضى لذاته وقضاء شهواته ثم أتبعه المزارع والضيايع فجمعها بالضيايع وتفرق عنه
الاباع والخدم وكان يباع الدواب فيما تقدم فلم يبق عنده ماضى ولا ناهى ولا صامت ولا ناطق

اللهم الا دار واحدة كان يسكنها مع الاهل والوالدة وكان حين أخذني انخطا الحلال وأشرف على الاقلال صارت جوع اخوانه وزمر أخدمائه وخلائه يتسللون قوما بعد قوم ويقولون يوما بغديوم

الناس اخوان من دامت لهم نعمة * والويل للزنازلت به القدم

وما زالوا كذلك حتى ذهب آخرهم مع آخر المال ولم يبق في صحبته غير الهم والغم والمال وسوى الندم والسدم والبلال فضاقت الدنيا في عينه وبقى قرب حينه فجلس الى أمه حزينا باكيا ساخطا على دهره شاكيا

نادما سادما بعض يديه * حسرة واستكانة ومهانة

وقال يا أماء قبلت الفاقة غايتها وتجاوزت الشدة نهايتها ولم يكن عندنا ما يمسك الرمي ويطفئ هذه الحرق فهل ترين أن ينفع هذه النار كما في البيوت ونصرف من غناها على القوت وتجترى بعضه على بركة الحى الذى لا يموت فقالت يا بنى أذابت ما وانا فأين يكون مثوانا وقدرتنا في العز والسعادة ولم تسبق لنا بالخرج في الاذقة نأده على أنهم موقوفون من الاجداد على الاهل والاولاد والاحفاد ولكن أين أنت من صديق الوالد الذى فضله على الطريف والتاد وأخبرك عند مماته في الاخيرين أنفاس حياته أنه صديق جهم وكثر عظيم فامض يا بنى لداره واستضى في ليل هذه الشدة بأنواره فعسى أن يساعدك بترأه أو يسعدك بآرائه فليست وصية الوالد سدى وإن طال عليها المدى فقال لعن الله النسيان لقد كنت أنسىته منذ أزمان ولقد أشرت بالرأى السديد وقربت من الخير كل بعيد وهذا هو الوقت الذى يدخر مثله لامثاله ويحتاج فيه الى فضله وافضاله وقد ضاقت النفوس ولا تحب أن يطربعد عروس ثم قطع حب المقال ونهض كأنه ناشط من عقال ومضى يحدث نفسه بياوغ الآمال ويستبشر بخير الحال والمآل ويقول جزى الله الوالدة خيرا وفيها فقد أد كرني خلا وفيها ويرحم الله الوالد فإنه كان بى خفيا

سأبلغ أسباب العلا باحتجاده * فليس مقال الوالد ينضج

ويقول في نفسه الآن أقول له وأقول وأبلغ بفضلته وحسن همته المأمول فليس بيني وبين المني الارؤية تحياه حياه الله تعالى وبياه وهم حرام من هذه الاماني وما تصدق به نفس العاني من المعاني اذا ما خلا العاني الضعيف بنفسه * أنه الاماني من جميع الجوانب وكان قد زار مرهات في أثناء الخطوط والمسرات رعايه لابييه لارغبه فيه وذلك حين كان في غمر طبعه وسكرته وهوى وطربه فكان كلما رأى بحله ويعلم عنده بحله ويلقاه بصدر حبيب ويقابل به بيشرو وترحيب فلما ضربه الدهر بمخالبه وعضه بآيل نوابيه قصده لكي يجتلى أنواره

ويجنى من روض فضله الوارف الظلال أنواره ويشكو اليه من القلة ويستجير به من المذلة وهو واثق بالجراح جازم بالفلاح مستيقن بأن صباح اليسر من ليل العسر قد لاحت فوصل الى داره في حالة رديئة وهيئة مميّنة يكاد يرى لها الحسود وتصفوها القلوب السود وكان يجي في تجمل وجمال وأبهة وكمال بين أنصار وأسياع وخدم وأتباع والحاصل أنه تقدم البدار ودخل الدار وخدمها عنه متقبضون مغضون ومعرضون لم يخاطبه أحد بذنت شفة وكانهم ليس لهم به معرفة

ما الناس الامع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أعا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

تفجل من أوضاعهم وسخط من طباعهم الآتة قال هؤلاء قوم لئام ليس على أمثالهم ملام والآن يعلم المترل فيبادرونيزل ولا بد أنه يؤدهم والغالب أنه يضربهم ووقف ينتظر من اقبله واستقبله سالف عواشه ويترب تحقيق ما كان وعاءه من قول والده فما كان الا أن أخرج الرجل رأسه من شبالة قصي وأرسل اليه على لسان غلام خجاني يقول أنا غير منبسط للكلام فاذهب بسلام فله سمع الفتى ماسع كاد فؤاده يخلع حتى تخيل أن الأرض ابتلعت أوالريح اقتلعت أوالسماء انطبقت عليه أوالبحر انثرت حواياه فان النعمة من محل النعمة أضمر والصبر من حيث يربى الشهدا أمر

وانذا الشرجاء من حيث يربى * كل خير فذاك شر البلاء

والفتى وان حسه الضر وأصابه الفقر المر الآتة ابن نعمة وخير تأتي نفسه الضر فكاد أن يسقط على الأرض صغفا ونشق صدره حنقا وقلقا الآتة غاسك غماسك ذوى الالباب وأسرع بالخروج يبتدر الباب ويسار ودومه تسبقه وزفراته تكاد تحرقه وهو يقول بالهذا الغادر فانه الأثم من مادر أهذا الذي كنت أرجوه ألا شأهت الوجوه وترب فوه فقد كذب واصلوه

يا ليتني قبل مت جوعا * ولم أقتل ندى لثيم

فالوت في نعمة وعز * خير من النل للكريم

وليت رجلا جلتي له قطعت وعينا هدتني سبيله فقلت

يا ليتني مت قبل هذا * أوليتني لم أكن خلقت

ورجع تضرع نيران فؤاده وتقل مراجل أحقادته فقص على الوالدة ماجرى من الرجل وخدمه وما كان من خيبة سعيه وندمه فسأته ببغض الكلام وحكايات ماجرى على الكرام وقالت يا بني على المرء أن يسعى لمغنيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

فلا تجزع من تقلب الدهور وبجائب المقدور واصبر على ما أصابك فأنت بالصبر مأثور ولن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور

دع المقادير تجرري في أعنتها * ولا تيسبنن الاخالي الببال
ما بين غفوة عين واتباعها * يغلب الله من حال الى حال

وما أحسن ما قيل

فاصبر وانتظر بلوغ الاماني * فالرزايا اذا نالت نالت
واذا وهنت قسواك وحلت * كشفت عنك جلة وتجلت

وما قيل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأحسن أخلاق الرجال التصبر
ثم قالت قم فبيع لنا الآن هذه الأنواب وانتظر اللطف من مسيب الاسباب فغيض من عبراته
وخفض من زفراته ونهض فباع الثياب وصار يصرف من أثمانه بالحساب وفي خلال ذلك
أقبلت عجوز تسأل عن داره وتتقصى من الحيران عن أخباره ثم دخلت على والدته فسلت
واستغفرت لوالده المرحوم وترجت وقالت حضرت من الغرب منذ أيام وكنت قد حضرت مرات
قبل أعوام وأحضرت بعض حلى بعته على يد المرحوم وأخذت ما يسر الله من الربح المقسوم
والآن جئت لثل ذلك الأمر ومعى من نفيس الياقوت والماس والدر وفي ابن المرحوم أن شاء الله
الخبر وهو على كل حال أحق وأولى من الغير فودة الآباء تنتقل للأبناء وقصدي حج البيت المحرم
وزيارة قبر النبي المكرم صلى الله عليه وسلم

واذا المطى يسألهنما مجدا * فظهورهن على الرجال حرام

وأريد أن أجور في الحرم المطهر وأعود أن شاء الله بعد عام أو أكثر وسأترك ما معى لبيع الى أن
أعود من تلك البقاع فحضر القتي فكله هاو أكرمها وأمنها بيمان كدها وأبرمها فسلمته قدرا
صالحا من الاجار الغالية وقومتها بثمان مناسبة غير عالية ليقتفع بما يقسم من الربح المقسود
ويحافظ لها على أصل الثمن المقرر وكتبهم اوثيقة بالاستلام ثم ودعته وانصرفت بسلام فبعد
القي الى دكان فاكترها والى بعض ملابس يسيرة فاستراها وجلس في دكانه يبيع حتى أتى على
الجميع فعزل أصل الثمن جانبيا وكان للخيانة محجبا وصار يعجز في الربح المتاح وفتح عليه
الكريم الفتاح وكان في البيع والشراء عازما وللصدق والامانة ملازما فأنتمته التجار على
نمائس الاموال وانتطمت له الامور واستقامت الاحوال وفتح الله له أبواب الاكتساب واقه
برزق من يشاء بغير حساب فلم يرض عليه فحوسه الا وقد صار في حالة حسنة وهينة متعسنة
وكأنها كانت الشدة غفوة أو سنة

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاقرب الامر أدنا ما الى الفرج

وما زال على هذه الحال حتى استحال فساداً حواله سلاحا وعادت خيبة آماله فلا حلا فصار يشتري
كل ما أمكنه مما كان باعه من الامكنه ويستبد بعض ما أضع من القرى والضيع والانعام
(١١) القطع المنتبّه (بخه اول)

والدواب والادوات والآواب وتأنحضورا المحجوز حمله أعوام وهو يدعولها بالخبر والسلامة على الأوام ويرى أن طلعها كانت له طالع سعود وينتظرها السنة بعد السنة أن تعود ولا يعلم لها من خبر يورث ولا يرى لها من عين ولا أثر ثم أتت لما حسنت حاله وفارقه المحالة وزالت نقبته وزادت نعمته ونسى النعمه وأذكر بعد أمد تذكر ما كان من أمر الرجل الذي ساء وحشايا الغيظ والحقد أحشاءه فالتفتت نار غيظه الكامن وبدأت نار غضبه من المكامن وقال لا بد أن أقصده وأعرف مقصده وأعنفه على ما حصل وأعرفه بما وصل من لطف الله واتصل وأشفي النفس من ذلك القهر ثم لا أعود إليه مدى الدهر فلبس أنفرا ثوبه وركب أحسن دوابه ومضى له على غلوائه في زينتته وورائه فقام له الخدم تبجيلا وبأدروا يديه تقييلا

إذا كنت ذا أثر وفي الوري * فانت المعظم في العالم

وحسبك من نسب صورة * تخبر أنك من آدم

وقابل الرجل بقبول وإقبال واستقبله بالترحيب أحسن استقبال والفتى عباس المحيا ومسلم ولا حيا بل قال تعلم أنني ما جئت لسلاام ولا كلام ولا قصد لك إلا أن رغبة في حرام ولكن لا ذكرك بسوء صديقك معي حين خاب فيك رجاؤي ومطعمي حيث قلت ما قلت وفعلت فعلتك التي فعلت ألم تر قول النبي المرسل أكرموا عزير قومك ولم تحفظ ما رواه عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس أنفعهم للناس أولم يردك يوما على خاطر أنه ما عبد الله بشئ أفضل من جبر الخواطر أولم تسمع قول الشاعر

لا تقطعن يد الإحسان عن أحد * مادمت تقدر والأيام تارات

واشكر فضيلة صنع الله إذ جعلت * اليك لالا عند الناس حاجات

وهلا ردتني الردا الجليل إذا لم تكن موضع التأميل قال الرجل مهلا يا بني مهلا وأهلا بعنايتك وسهلا

لعل عتبك محمود وعواقبه * فرعا صحت الأجسام بالعلل

قال أنتي ليس هنا عتاب محبة ولا استبقاء لمحبة ولكنه اللوم ولا اجتماع بعد اليوم وماذا ينفع العتب على الجفا إذا لم يكن في أصل الطبيعة وفا ويرحم الله من يقول

إذا أنا عاتيت المساليل فأنما * أخط بأفلاحي على الماء أحرفا

ومن يقول

وإذا ما القارب لم تضم الود * فلن يعطف العتاب القلوبا

قال الرجل يا بني الصلح خير ولا ضرر في العفو ولا ضرر

من ذا الذي مأساه قط * ومن له الحسنى فقط

وأى جواد لا يكتو وأى صارم لا ينبو

ومن يبغي الصديق بغير عيب * سيق الدهر ليس له صديق

فانشد الفتى

جريت دهرى وأهليه فتركت * لى التجارب فى ود امرئ غرضاً

وقال لله در أبى العتاهية حيث قال وما أوقفه لصورة الحال

أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه

فاذا احتجبت اليه * ساعة محبك فوه

لورأى الناس نبيا * سائلا ما وصاله

وأى نفع لصديق لا يصدق فيه رجائي وصاحب لا يعجبني فى شدتي ورجائي

انذا لم تكن ان أدبر الدهر صاحبي * فكل الورى ان أقبل الدهر أخصائي

فقال الرجل يا بنى لا تؤلم بهذا القول مسهمى وراع طول محبة الوالد معى فطالما اتفقنا فى الاشياء

وتقبلنا من حالتي شدة ورخاء

انذا لم تجئنى للودة موضعا * فراع وداد من أيتك تقدما

فقال الفتى وهل غرت بك وضرتى من جانبك الاما كن حكاى أبى من مناقبك حتى

حسبت الجمر تمرا وظننت التراب تمرا فأوردتني شر الموارد وعاملتني بذلك الوضع البارد

وكنت كالتمنى أن يرى فرجا * مع الصباح فلما أن رآه عى

فلا أحب أن تظرعينى لعينك وهذا فراق بينى وبينك فقال الرجل سأبشك بتأويل ما لم تستطع

عليه صبيرا وأكاشفك بما لم تعرف له خبرا ولا خبرا ان عندى لك خبيثة فاعلمها وأمانة فقم فتسلها

فظن الفتى أنها خبيثة فنقود من مال الوالد أو الحدود فقام معه وسار وتبعه فأنهيا المحجرة فى الدار

فيها امرأه فى خمار فاستقبلته حين أقبل بالسلام وتأمل الفتى جرس صوتها فى الكلام فاذا هى

العجوزة المعهودة صاحبة الجواهر المدودة فوقف باهتا متحيرة ساكنا وقال الرجل خذا ما نلتك

أيها الامين وأعطاه الوثيقة التى كان كتبها بخط الامين وأشهد فيها على نفسه باستلام ذلك الخلق

الأمين وقال هذه المرأة أم عيالى وتلك الجواهر التى أعطتك من مالى وما كان ما رأيته من سوء

المعاملة التى ذكرتها وردى لك بالصورة التى أنكرتها الا لاقامة أودك وإرادة رشدك فأتى لما

رأيتك فى ثوب رث وفى حال غث علمت انك أتلفت التليد والطارف وخلفت الذى علمك الوالد

من المعارف فاقننت أن نصحك وقتها لا يفيد وأن كل ما أعطيك بالسهوة لا يفيد فأنك ربما قضيعه

كلانى كان لديك ولا يبقى منه آخر الامر شئ فى يديك فاردت بتلك المعاملة تتقوم طبعك وراعت

من بعد ذلك تيمم فعك ففعلت ما فعلت وأرسلت لسمع هذه المرأة ما أرسلت فهذه حقيقة ما صار ان في ذلك لبرة لاؤلى الابصار فأكب الفتى على يده قبلها وابلتها وأقبل على المرأة يدعو لها ويعظمها وقال للرجل والله لقد أجلت فأجرت وأكرمت فأكرمت وصيرتني لك عبدًا رقيقًا ولا أقول صاحبًا وصيدًا ولقد صدقت فراسة أبي نيك ولست أقدر على أنى أ كفيك وهذا نحن الحلى عظمى في الكين وأنا عليه الى الآن حافظ أمين فهل فاستلم مالك بلغك الله آمالك بل جميع ما في يدى ملكك ان أردت أن ينظمه سلكك

ولا شكرتك ما حيت فان أمت * فلتشكرتك في التراب عظامي

ولست أصلي فأقول لك اتخذني ولدا فاتخذني خادمًا عندك وعبدًا ولئن أحباي الله بعده هذا عرا فسجدتني صابرًا ولا أعصى لك أمرا فقال الرجل سأخذك ابنا ولدا وان لم أصلي فخير وما وسيدا فقال كيف لا تصلي لثناك وأنت السيد المالك ولم يكن للرجل أولاد فبناه وشاركه بعد ذلك في غناه ومناه وأقاما في غبطة وسرور وحبور وحضور حتى بلغ العرحد النهاية وكل شئ ينتمى لغاية

باب في المراسلات والمنشآت

نخبة من كتاب أطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري

اللهم انى أجلك على ما زلت الى من نعمتك وعلى ما زلت عني من تقنك على أنى لم أكن أهلا للاولى وكتب بالثانية اولى لولا فضل منك سابق حمد الحامد ورائه يقطف وان أعنت فكانه مصفو ويرسف وكرم باسقى شكر الشاكرين وعتقه بجناح مهيض وان حلق فكانه لا صق بالحضيض ثم انى أجلك حمدا بعد حمد عودا على بدء وأجل توفيقك معي رد أو كفي به من ردة على صنع ما هميس في ذمير نفس ولا اتصل يوم ابظن ولا حدس من تفسير القصة التي باحسانك المتظاهرة حذبت المهابضى وسلطانك لقاهر قسرت علم اطبعي وبظرك الصادق خففت على عجانها المتعبه وسلمت تكاليفها المتعبه وفككت من رقالتبعات عنتي ومننت بجل اسارى وعنتى ورقبتى الى رتبة القناعة وهى الرتبة العليا وزهدتى فى الحرص على زخرف الدنيا وطبعت نفسى بغوارز اخلاقها عن الغزار وترقيتها بعد الدرّة بالغزار

(المقالة الاولى) ما يخفض المرء عدمه ويتمه اذا رفع دينه وعلمه ولا يرفع ماله وأهله اذا خفضه بخوره وجهه العلم هو الابل بل هو لناى أربأ والتقوى هى الام بل هى الى اللسان أنهم فاحرز نفسك فى حرزهما واشدد يدك بغرزهما يستق الله نعمة صيبة ويحيك حياة طيبة

(المقالة التاسعة) يا ابن آدم أصلك من صلصال كالفخار وفيك ما لا يسعك من التيسر والفقر تارة بالاب والجد وأخرى بالدولة والجد مأولاً بان لا تصغر خديك ولا تقصّر بجديك تبصر خليي هم مركبك والى من منقلبك تخفض من غلوائك وخل بعض خيلائك

(المقالة الثامنة) ما أسعدك لو كنت في سلامة الضمير كسلاسة الماء النير وفي النقاء عن الريسة كمرآة الغريسة وفي نفاذا الطيبة كصدر الخطيبة وفي أخنأ لاهية كالواقع في النوبة لكنك ذو تكدير كمرجحة الغدير ومطلطح بالخبائث كالكتير المحاث وذو عجز ووثاق ككسالك الغواني وتارك للاستعداد كالشاك في المعاد

(المقالة العاشرة) استمسك بحبل مواخيرك ما استمسك بأواخيرك واحببه ما أحبب الحق وأدعن وحل مع أشياعه وطقن فان تكسرت أعضائه ورشح بالباطل انأؤه فتعوض من محبته وان عوضت الشسع واصطرف بحبله وان أعطيت التسع فصاحب الصدق أتع من الترياق النافع وقبرين السوء أضرم من السم النافع

(المقالة الحادية عشرة) التهم الحذر بعيد مطارح الفكر غريب مسارح النظر لا يرفد ولا يكرى الا وهو يقظان الذكري يستنبط العظمة من اللحم الخفي ويستحلب العبرة من الطرف القصي فانما تفرقت الى نبات نعش فاستحلب عبرتك واذا رأيت غي نعش فاستحلب عبرتك واعلم أن من الجواهر أن تروح غدا على الجنائز

(المقالة السادسة عشرة) الكريم اذاريم على الضيم بنا والسرى متى سيم الخسف أبى والرزق المحتجب بحماله الحلم ينفر نفرة الوحش عن الظلم اشفاقا على ظفروه أن يقلم وعلى ظفوره أن يكلم وقلماعرف الالفة والاباء في غير من شرفت منه الآباء ولا خير فيمن لم يطبله عرف وذنب الكلب مابه طرق

(المقالة السابعة عشرة) الوجه ذو الوقاحة من وجوه الرفاحة يبق على صاحبه الانتال ويضع الاقوال ويلقطه الارطاب ويلقعه ما استطاب ويحسره على قول المنطيق ويسرله فعل الما لا يطبق وكل ذى وجه سبي ذولسان عبي معتقل لا ينسبط لمقال ولا ينشط من عقال ولا يزال ضيق الذرع بكى الضرع يشمخ غيره وهو طيان ويعطش هو وصاحبه ريان ولكن لا مكان من يتوقع لاجل أن يترقه ويتفرغ فلهى ما النائل الوثق الامان له الوقوع وأيم الله ان الرشعة في الجبين أحسن من الشم في العرين ولان تفر عرضك وما في سقائك جرعة خير من أن تغلب البحر وما في وجهك مزعة

(المقالة الثامنة عشرة) عزة النفس وبعد الهمة الموت الاحمر والخطوب المدلهمة ولكن من عرف منهل الذل فدافه استعذب فقيع العز ودافه ومن لم يصطل بحرا الهيباء لم يصل الى بر الدامع ومن لم يصبر على برائن أسد اللقاء لم يصب أطرافا كالعلم وتحت علم الملك المطاع ذكر السيوف والانتاع ومن لم يقض عليه عسر بقده لم يقض له يسر ينقذه وه الحكمة الالهية الالهى وهى القاعدة التى أمر عليها العبد ونهى اليوم عزاء فى كاف وكرب وغدا جراء بر قلب وقرب

(المقالة الحادية والعشرون) خل عن يدك الباطل واللد واعشق الجدد والزم الجدد ان الله تعالى خلقك حقاً لاعبنا وفطرك ابريراً لاختبنا لولا أن نفسك بكسيها الخبيث خبتك وبلطخ عملها السيئ لوئتك فأرخت عنائك فيما أنت عنه من جور وتوليت بركتك عما أنت عليه من جور القادى بك الى التهلكة واضاعة لحظك فى عظيم المهلكة

(المقالة الثانية والعشرون) لا تشفع بما لا تبنى أن تبني ربتى وتعنى بغرس ما لا تحبني هلم الى استشارة عقلك فتبصر والى استخارة ذهنك فتدبر وقل لى اذا شق بصرك واشتد حسرك وعانيت الجدد فشفك عن ددك وأوحشك تغريطك فسقط فى يدك ما يغنى حينئذ عنك بياتك وماذا يجدى عليك قنيانك وهل ينفعك تخيلك الصنوان وغير الصنوان أم يدفع عنك ما يخرج من طلعها من الصنوان

(المقالة الرابعة والعشرون) من لعل كالظهر الدبر ومن قلب كالجرح الغبر دورى بكل دواء فلم ينفع واحتيل عليه بكل حيلة فلم ينفع متى رفوت منه جاسبا انتقض عليه آخر واذا سددت من فسادك منخر اجاش منخر ضاقت عن تديره فطن الاناسى وأعضل علاجه على الطبيب النطاسى فيا ويلنا من هذا السقام وباعوثا من هذا الداء العظام وما أحق بمثل أن يبت بليلة سليم كلما تليت الامن أنى الله بقلب سليم

(المقالة الخامسة والعشرون) احرص وفيك بقية على أن تكون لك نفس تقيه فلن يسعد الاتق وكل من عداه فهو شقى قبل أن ترى الشيب الججل والصلب المهمل والجلد المتشعبن والرأى المتفتن والتواء التخاذل والوطء المتناقل والرغبة فى المفاسل ناهضة والعشة للانامل نافضة وقبل أن لا تقدر على ما أنت عليه قادر ولا تصد عما أنت عنه صادر

(المقالة الحادية والثلاثون) قلبك آمن وجاشك متطامن ورأيك فى الشهوات باتر وشوقك الى ما عند الله قاتر وأنت مترفع مترف أطيح قطف لك محترف فى أككاف السعة رافع ولا خلاف الدعرة راضع وفيه الغفلات عائم كأنك احدى البهائم ما هذا خلق المؤمن ولا هكذا صفة الموقن المؤمن راهب راغب مساعب لاغب ذوهية بقية محتم من كل لثة ان رأى من نفسه جاحاً ألجم وجحر وان أحس منها مطمعا ألتهلج

(المقالة الثالثة والثلاثون) يا عبد الدينار والدرهم متى أنت عتيقهما ويا أسير الحرص والطمح متى أنت طليقهما هيات لاعتناق الآن تكاتب على دينك الممزق ولا إطلاق أو تفادي بخيرك الممزق بامن يسجعه القرض ما هذا الحرص ويا من تزويه الجرع ما هذا الجزع ستعلم غدا اذا تنمت أن ليس لك الا ما قدمت واذا لقيت المنون لم ينفعك مال ولا ينون ما يصنع بالقناطير المقنطرة عابر هذه القنطرة وما يريد من البهجة والفرحة نازل نزل هذه السرحة

(المقالة الثامنة والثلاثون) لم أفر من رهان مثل الحق والبرهان لله درهمان متخاصرين ولا عديمهما من متخاصرين اصطحابا غير مباتين اصطحابا بآياتين من شديده بغرهما فقد اعتر بعزهما ومن زل عنهما فهو من الزلة أزل ومن القلة أقل

(المقالة التاسعة والثلاثون) أيها الشيخ الشيب ناهيك به ناهيا فلك أراك ساهيا لاهيا انق على نفسك واربع فهذه أخرى المراحل الأربع ومن بلغ رابعة المراحل فقد بلغ من الحياة الساحل وما بعدها الا المورد الذي ليس لاحد منه مصدر ولا زبد من عمرو بوروده أجدر هولاء ان يمشى سريع جميع الناس في مشرع وأحقهم بالاستعداد له من شارفه وأولاهم بالاشفاق منه من قارفه

(المقالة الثالثة والاربعون) ما العلماء السوء جعوا عزائم الشرع ودقونها ثم رخصوا فيها الامراء السوء وهوونوا ليهم اذ لم يرعوا شروطها لم يعوها واذا لم يسمعوها كما هي لم يسمعوها انما حفظوا وعلموا وصفوا وحلقوا ليقرروا المال ويسروا ويفقروا الايام ويوسروا اذا أشبوا أنظارهم في نسب فمن يخلص وان قالوا لا تفعل أو براد كذا فن ينقص دراربع ختالة ملوها دراربع قتالة وأكام واسعة فيها اصلاص لاسعة وأقلام كأنها أزلام وفتوى يعمل بها الجاهل فيستوى فان وازنت بين هؤلاء والشرط وجدت الشرط أبعد من الشطط حيث لم يطلبوا بالدين الدنيا ولم يشيروا بالنسبة بالقيا

(المقالة الرابعة والاربعون) هب أنك اتقيت الكبار التي نصت وتجنبت العظائم التي قصت ورضت نفسك مع الراضين على أن لا تخوض مع الخائفين فما قولك في هات توحيدهم منك وأنت ذاهل وفي هفوات تصدر عنك وأنت غافل ولعلك تمزق السلوما كول والى المؤاخنة باقرارها موكول مثل الريال في محامات مع الاشبال يصنع التصدي لها البطل الجيس بل يرد عن مرابضها الخيس ثم يصبح أبو الشبل والنمل الى ابنه كل خيل وهي بأوصاله مطيفة كأنها كسته مطيفة فما أغنى عنه زياده حتى تم للنمل كايه

(المقالة السابعة والاربعون) الحازم من لم يزل على جده لم يزل عنه الى ضده وذو الرأي الجزل من ليس في شيء من الهزل وكيف يكون حازما من هو مازح هيات البون بينهما نازح وكفالة

أن المزعج مقابو الحزم كما أن الحزم مقابو المزعج رب كلمة غمستك في الذنوب وأفترغت على أخيك ملء الذنوب فان كان حراز رعت الغمر في سويدائه وان كان عبدا نزع المهابة من أحشائه وتقول انها مزاحة وعليك في أن تقول لها مزاحة ويحك يا قلعابه لو علمت ما في الدعا به لاطعت في اطراحها نياتك ولم اغرغرت بها الهاتك أسرك أن داعبت الرجل فضحك ولم تشعر أنه بذلك فضحك حيث أعلم لوفظنت لاعلامه انك الشيخ المخحول من كلامه وذلك ما ليس به خفاء أنه من صفات السخفاء

(المقالة الرابعة والستون) شبت وعرامك ما وخط عارضيه مشيب وشخت وغرامك رداء شبابه قشيب مالي أراك صعب المراس جامع الراس كأن وافد المشيب لم يخطمك وكأن ارتقاء السن لم يحطمك الشيخوخة تكسب أهلها سمنا وأنت ما أكسبتك الأمتا لو علمت أي وقد حصل بقودك لتبرعت حيا من وفدك ولكن بحياك لم تعلم الحياء ولم يتج من حروفه الحياء ولا الهياء تلبي الشر كما تلب الظباء وتلهث الى اللهو كما يلهث الظماء ان حجم الباطل فاسمع من سمع وان همهم الحق فكانك بلا سمع حملت نفسك على الرياض وهي رياضة ومن يخطب اللباء من البهية المغيضة

مقالة أدبية

(في الاشتغال ببشارة المناصب عن الاحتفال بمسامرة الصديق والصاحب)

نقلت من خزنة الاسرار باحدى مدن الآثار عن جبرأخبار وجهينة أخبار عبارة بالحروف مرقومه تحت صورة في الكتاب مرسومه تشييع باحدى يديها الى المقسة والوفاق وبالأخرى الى المقت والسحاق وهي مع ما فيها من اللطافة تعد في ذاتها خرافة وندهما انه كان يوجد بمدينة تلسان كهل من عقاة بني ساسان أنهم كت جسمه النافق ولم يقابلهم دهره بالطلاقة وكان له وليد نجيب أو حفيد زكي لبيب انما الى مؤدب صبيان ومعلم أطفال وفتيان فتعلم منه القراءة والكتابة وأبدى في حفظ دروسه العناية وأخذ عن غير النحو والصرف وجال في ميدان الادب بأسبق طرف وبلغ من المتطق والبيان والبديع ما يرتفع به قدر الوضيع واستحوذ من العروض والانشاء واللغة وسائر الفنون والحديث والفقه والتوسيد وآداب البحث على ما تقر به العيون ويرع في معرفة الهنئة والحبر والهندسة والحساب وحل بغيره والوفاد في كل من مسائل الصعاب حتى أصبح لا يجاريه بحجار ولا يباريه في مجال المبار وهاجر في طلب العلم الى أكثر البلاد وكانت آخر مدينة انتهى اليها بغداد فاجتمع فيها بأفبال البراعة وأبطال البلاغة والبراعة وركب معهم

سفينة المناقشة ورفع في بحر هاشراعه ومدينهم في كل فرع من العلوم باعه فلما تبين لهم انه فارس الميدان وأنه أوجد زمانه في المعارف بين الأخدان مالوا اليه وكثرت في المدينة خلانه وأثنت على أخلاقه بكل سامان جبراته وشاع بين البرية ذكر معاليمه الخارجة عن حد القياس حتى طرق مسلمع وزير أحد خلفاء بني العباس حيث قيل له وهو في محفل من نبلاء الخلاس ان هذا الاستاذ أفصح من قس وأدكم من اياس فقال الوزير لحاجبه ابن جرير أقصد في غددار هذا المناضل الذي دونه في المباحث كل مناضل والقس من جنابه أن يزورنا بركله اعلى أتخذته كاتباً ومسيراً وحاسباً بالديوان وسميراً فقبل الحاسب الارض وأجاب بلييك وقال انه سيكون عندك وبين يديك فلما كان في صبيحة يوم الجمعة هداً بقله عظيمة السرعة وسعى اليه وسأل عن داره من وجبهه كان ساكناً في جواره ومذلقه وجامه الى مولاه قربه وأكرم موياه وأثرت له برواق من مأواه ورفع درجته على من سواه ولما كان هذا المتفنن حالاً في الحكمة حسن المسامرة تجازى النباهة خلب العقول بفصاحته وسلب الالباب بسحر بلاغته وتثبت من عهد نشأته بما ينشر بين الملأ أعلام شهرته ويذهب عنه السر والبأس ويحجب له السر بين الناس ويحذب اليه قلوب الوري ويطيع له أسداً الشرى ويرغب فيه العباد ويحبب فيه ذوى الرشد وقد احسنه نسل يملك في السر والعلن حتى نال بهيمة وفاز بالذ كرا الحسن ولم يدع من أفعال الخير شيئاً الاسراع اليه وانقض بلائاً وانقضاض العقاب عليه فكنت تارة تراه بالساجد كاسك راكع ساجد وتارة يمدو في المجالس بوجه بشوش غير عاس وطواريز زين الاقران في حللة الرافة والاحسان وطالاً أحرز قصب السبق في مضى انصرة الحق وعمادى على هذا العمل بلا فتور ولا كسل الى أن تقرب بمثل هذا السائل من هذا الوزير الذي تفخيره الملوك فقلده في ديوان الخليفة بوظيفة كاتب الانشا المنيفة ثم تنقل من ايوان الى ايوان حتى استوى على مرتبة رئيس كتاب الديوان وصار يركب في المواكب بعداً نظامه في سلك ذوى المراتب ويتقلب في أودية النعم ويتصرف التصرف التام فيما يتعلق بآرباب السيف والقلم ولا زال في كل يوم يعاون مناره وينمو على الدوام فخاره ويزداد بين الامراء اعتباره ويفرس في أفئدة قلوب زراء وقاره الى أن نال من زمانه الامل ووصل بالارادة لازلية الى ما وصل ولا حظ له عيون السعادة فباز بالحسن وزياه

ألا رب راح حاجة لا ينالها * واخر قد تقضى له وهو جالس

يجول لها هذا وتقضى لغيره * وتأنى الذي تقضى له وهو آس

وبعد ان تقلد هذه الوظيفة الرفيعة وتأهل من شات أعيان المدينة بحجرة في حسن بنايعة أقبلت عليه الدنيا بخيرات الجزيلة وامتلأت عليه دار من الخدم والجواري الروميات الجميلة

واشتغل بعبادة المناصب عن الاحتفال بمسامرة الصديق والصاحب فنارت عليه طوائف
الحساد من كل جانب واتهموه بالانحراف عن أقوم المذاهب وقال فيه شاعرهم النبيه
انارفع الزمان وضع أصل * وألبسه ثياب الاعتبار
فسالمن أريدت سواها وانظر * له أبدأ بعين الاحتثار

وزعوا أن يشاشته تبدلت بالتقطيب والعبوس وان فظاظته وعدم استقامته قد اشأزت منها
النفوس وانه اعتزل الاشراف وطاع عن طريق الانصاف وبالفوافي ذمه وثبت الوافي هجاءه
وقال بعضهم في مجلس الوزير ان سوء فعله من الادلة القائمة على ذنابه وخسة أصله وأنه مبير
كذاب ومشير للفتن مرتاب وانه لما نال بغيته بغى وضل بعد الهداية وطنى وتاه على أسياء
جنسه ولم يذكري يومه ما لقيه في أمسه وقال آخرون انه بتمسقه من قوم عاد وان حياته مضرة
بالانام على القرب والبعاد وانه ظهير لذوى المعاييب ونصير للعاكفين على الذناب وليس الباءث
لهم على اذاعة هذه الافاويل الكاذبة واشاعته هذه الاباطيل التى سهامها به صابئة سوى الغيرة
والحسد الذى وماهم بنبال الكمد

واذا خشيت من الامور مقدرًا * وفرت منه فكم هو تنوجه
وبالجملة فانهم أقاموا على هذه التورية مدّة من الزمن غير قصيرة ونسبوا الى بعض أصحابه أنه
هجا بقوله من يديع أشعاره

ما الى أراك عدلت لالضرورة * عن سنة الاشراف والامجاد
أنسيت أنك قد نشأت بلاأب * فى فاقسة من معشر أوغاد
من أين كان لك التقدم عنوة * لاعن أيسك ولاعن استعداد

وكان كلما ذكر في محفل قال أدناه وأعلاه مشيراً الى كبره لو كان فيه ما آلهة الا الله وحيث ان كل
ذى نمة عليها محسود اجتمعوا فى تقييد سيره المحمود حتى أوغروا عليه صدورولى أمره بعد أن
أقاموا له البراهين على اعتزاله وكفره فتشكر له وعزله وعن وتطبيقه السامية فصله فلما انزوى
عقب الطرد بقصره لم يتركوه بلا أذى فى حصره بل اعتدوا عليه وهدموا اليه

أسميت يا طير مقصوص الجناح وقد * ألقاك صيادك المختال فى القفص
لا فرج الله عنك الكرب فيه ولا * أخلاك فيه مدى دنياك عن غصص
وأنت لاسك بعد الموت فى سقر * بنص ما أنزل الجبار فى القصص

وكان قد اكتسب من الرزق الحلال بالهمة ما لا يحصى من الاموال الوافرة بالجمه وادخرها
فى داره المضاهية فى زينتها المدينة ارم التى كانت آهلة بالسرار والجمال والحشم ولولا شغفه

بحب الرئاسة ولولعه بأحوال السياسة لعاش عيشه راضية في سار وثرثرة ولذة وافية وزبادة حظوة وكيف لا وقد كن في هذه الدار المزخرفة الرصينة الأوار مانشئى الانفس وتبحر عن وصفه اللسن مما يشرح الصدور ويسر الاعين من عرب أتراب تسحر بمجاله الالباب وجور عين حسان لم يطمسهن انس قلوبهم ولا جان وهو معهن آنا الليل وأطراف النهار في خناات تجري من تحته الانهار ولما توارى عن ذوى الاسقاد وانقطعت عنه السنة الحساد كن لا يسمع ما يكدر منه الخاطر أو يحرك ما انطوت عليه الضمائر من غيظ وحق على من نارا النعمة احترق فلأنه دام على هذا الحال لتسم منه الببال لكنه لما طال عليه المدى وتذكر شمانة العدا عاف الشراب والطعام وانجم لسانه عن الكلام وضاق منه الخناق وكادت روحه تليغ التراق وهجر الكواعب وبسر في وجه ذوى الملاعب وبعج معه الانعام والاعاني وأعرض عن مشاهدة الغواني وتوهم أن بسناته النصير الواسع ورضه المزهري البائع قد أمسى لتقارب الاطراف أضيئ من سم الخياط بلا اختلاف وأظلمت الدنيا في عينيه وصار لا يصر ما بين يديه وساءت منه الاخلاق واعترض في سره ولا نيته على الخلاق مع انه كان يستقيح الفسق والفجور ويمقت منكرا البعث والتشور ويقضي بكه راشق أبناء معرة النعمان حيث قال وهو معرة النعمان

أترك لثة الصهباء عمدا * بما وعدوك من لبن وخمر

حياة ثم موت ثم نشر * حديث خرافة يأم عمرو

وكان لا يحباه عن اقتشاق نسيم الاخبار يصبح ويسعى في اختناق على مقالى النار ولقد عيل منه الاصطبار بعد طول الانتظار وأضحى لا يقر له قرار باى كان من الدار حتى انه في خلال الدوران دخل قاعة من خرفة البنيان ووقف تجاه شبلك مشرف على شارع ابن الجبال فوق بصره على شيخ كبير كأنه لفخامة بعيد وهو يتوكأ على عصاه وقد كشف رأسه وقفاه وشرع في طلب الصدقة من ذوى المروعة والشفقة بقوله يا أهل المراحم والمروة والمكارم السلمة والنفوة تصدقوا على بل الشجة أم طبق بما يستر العورة ويسد الرمي فلما رآه وهو على ما به من الاضطراب الى سؤال الجائز والمار حسده على غدوه ورواحه وتنى أن يحظى مثله باطلاق سراحه وقال لعلامه وائل على بهذا السائل فانطلق على الفور يهرع خلفه فادركه قبل الانسياب في أول عطفه وقال له أيها السائل المضطر أجب الرئيس أو حدا الدهر فصل للشبح من شدة الارتياح ضرب من الخدر والصداع وأوجس منه في نفسه خيفة لتوهمه أنه من الاعوان الموكلين بضبط كل سائل من الرجال والنسوان وقال له سألتك بالله يا ابن الحلال الاما تركتى أسبى في طلب رزق العيال فتأطفت به حتى لان وأجاب وسار معه وهو على غاية من الارتياح

وأدخله القصر بعده ليلة العصر فاعتراه من هيبه المكان ما زلزل منه الأركان وكاد عقه لمن
رأسه يطير عند رؤيته لاعتوان هذا الرئيس انطير ومن شدة ما نال من الذهول هب بالرجوع من
قبل الوصول فتمعه الخادم أبو خف عمارا ديلين ولذاف ولا زال يسكن عنده بعض روعه وينهاه
عن رجوعه ويعده عن مولاه بزوال البوس وامتلاء كبسه بهد الافلاس بالقافوس حتى وقف به
أمام سيده بالبستان وقال له أذن من مولانا وقبل راحته بامان فلما عاينه الشيخ جاعلى ركبته
وبادرائى تقبيل مواطى قدميه فقامه وعلى متكبأ بجواره أجاسه وبش فى وجهه وبمذوبة
ألفاظه أنه وسأله عن أحواله وعن مقر زوجته وعياله ثم أمر غلامه ابن بسام بالتوجه به الى
الحمام وبعدتظيف بدنه وازالة ما عليه من درنه خاع عليه له تليق بحاله ونغمه من الاحسان
بما كفه عن سؤاله وحله بعد خلق رأسه وقص شاربه الى مولاه فأكرمه وأجلسه بجانبه وقال له
أيها الشيخ الذى ألبسه الشيب من الوفا رابى ثياب أنت صرت الآن عندنا من أجل الاصدقاء
والاحباب وقدر بطنا لك ولعيالك من المراتب ما يستقيم يد أو ذكالك ورفعتنا ما بيننا وبينك من
الحجاب فادخل علينا بدون استئذان من أى باب وأتحفنا بما تلتقط من الاخبار ولا تحف بعد
اقبالنا عليك عائلة الادبار فقال الشيخ متمثلا بماراق وحلا

يا أيها البر الكريم ومن له * من حلان من الزمان وثاق

من شاكور عى نالك فانه * من عظم ما وليت ضاوق خناق

من تحف على يدك وانما * ثقلت مؤنتها على الاعناق

وحضرت المائدة لاطمة فدعاه اليها وعلى سواه قدمه فامتنع عنها الشيخ وتأخر وأجهم عند
الاقدام وتقهقر وقال معاذ الله أن يأكل السائل المسكين مع حضرة الرئيس الاجل المكين لانه
لا يسوغ للصعلوك الذى لا يساوى قلامة ظفر عما لك أن يتجارى على الأكل مع الممالك ولوساقه
الجوع الى مهاوى المهالك وكيف يجلس معه على خوان يتعذر الدنو منه على الوجوه والاعيان
فقال له الرئيس النبل هذه عادتنا مع الحقير والليل ولا زال يدعو الى الزاد وهو يتبع ولونه
من شدة الجبل ينتقع الى أن تقدم لكن على رغم أنفه لانهم كانوا يقولونه من أمامه وبسوقه
من خلفه ولما قعد لاكل ولم يتفق له ذلك من قبل متيذمه وهى فى غاية الارتعاش وتاول أول
لحمة فستطت على الفراش وهكذا كان يأكل بخوف ووجل وكان حلقة مسدود بخمرة من
جبل مع أنه كان يتأقلى فى غير هذا الخوان ابتلاع مائة رغيص وخمسة خرفان ولا شك أنه
ما تحصل من هذه المائدة الكثيرة على شبع بل قام وهو جائع وكان يفتى أن يأكل مرة أخرى
مغ التبع الا أنه قد جعل ينسبه وبين المرام لخوفه من التوبيع واللام ولم يفرغ من غسل يديه

وانصب أمام الرئيس على رجليه أشار عليه بالتعود فأجاب بالركوع والسجود فالج عليه حتى
جلس فوق بساط منقوش في قاعة مجاورة قاعة المائدة مفروش وبعد أن شرب القهوة ازداد رجا
ونشوه وبات الى الصباح في سرور وانسراح ثم خرج من القصر ولسان حاله يقول وهو في
طريقه يجول

تملح عسري يسر وقد * بلغت من الدهر كل المنى
فيارب زدني قبولابه * أعيدش سعيدا حليف القنى

وكان برفقته أحد غلمان الدار فأخدمه في السير الى جهة اليسار حتى أوصله في عطفه موصله
الى المنزل الذي نقلت اليه العائلة ثم تركه وانصرف من حيث أتى ودخل هو على زوجته فسمعها
تقول لاحد أولادها يا بنى أين أبوك الا فرح بن شعلان فانه لو رأى ما نحن فيه من الخير والاحسان
لزال عنه الهم والترح ولبكي من شدة الفرح ناله الله يا قره العين وحياة أخك أم بطنين انى أظن
أننا الآن في منام والذي نحن فيه أضغاث أحلام فقال لها وادلاحت منه التفاتة الى جهة الباب
هذا أبى قد أقبل رفق في أبهى أثواب فعند ذلك هزلت الشيخة بملاسلها الجديدة اليه وقبلت يديه
وسلت باشتياق عليه وقالت يا أبى الاطفال من أين لنا هذا الاقبال فقال لها يا بنت عبد الله
هون عند الله ثم قص عليها ما جرى له من أوله الى آخره وأوقفها على باطنه وظاهره وقال لها
وأنت أخبريني كيف كان الانتقال من دورتنا الحفيرة الى هذا المنزل العال فقالت جاني جماعة
من الغلمان باقشة صالحة للنبات والصبيان وقالوا ان الشيخ بعث بها اليكم فاليسوا منها ما شتم
فانه فصلها عليكم وسيروا بنا الى الدار التي اشتراها ربكم وأعدها مجاورة قصور الاعيان
والامراء لكم فلما توسطناها وطفنا بجانبها من المناظر والمخادع والاروقة الواسعة المظلة على الدور
والجوامع وكان طوافنا فيها بالذكور والاثاث وجدناها بديعة الهندمة كاملة الاثاث والفيئانها
من الحفظة والسمن والعسل والقول والزيت والزيتون والثوم والبصل ما يكفي بلا تردد في القول
مدة لا تقص عن نصف حول وهماي أمامك وبين يديك فطف بها ان لم يكن في الطواف مشقة
عليك فقال لها وقد تبسم وهو مدح المتعم عليه يترنم قولى معنى في الابتغال بعد الصلاة على
النبي والآل اللهم بارك لنا فيما أعطيت ومتعنا بزيارة ساكن طيبة ووج البيت واظفر عين الرضى
واقبول والرعاية الكاملة والشمول الى من عمنان بحركمه واغفره بانه ونعمه وكان الليل
بظلامه أقبل والنهار بضياءه فتحول فأكلوا حتى اكتفوا مما همهم من الطعام الفاخر وجدوه
سجانه على ما اغترفوا من بحر جوده النادر وباواف مسرات وأفراح الى أن أشرق غرة الصبح
الوضاح ثم نهض من فومه كتمان شط من عقالي وصلى المكتوبة وأفرغ عليه ملايسه في الحال

وأكل مع أولاده ما يسر وخرج من داره واكسرى من السوق حماراً أخضر فركبه وانساب في الازقة والشوارع فالتقط كل خبر شائع وسارع بما جاع الى- ولاء فقص عليه ما سمع من الافواه وباليستباع كما يشري بل أضاف الى كل لفظة من أمثالها عشرة خفي عنده بأعلى منزله وبالبغ في احترامه وبجمله وقال له أيها الشيخ المعمر ومن هو نم السير المدبر اركض بخيالك وروحك ولو في الدواوين والمصالح وأتحفنا بأخبار التميم والغادى والرائح وان لاح لك في مدحى فرصة فنتهزها عسى تزول بها عن الغصه لاعود يا أباي كما كنت الى منصبى فأجاب الشيخ بالطاعة والسمع لطعمه في الحصول منه على النفع ثم ودعه وانقلب الى داره وأمر كلاً من زوجته وأولاده بالتجرد عن أطماره وصعدهم في الثلث الاخير من الليل على السطح وكان يحفظ من القرآن الشريف سورة الفتح فتلاها بسكينة وخشوع وقد تناثر من عينه الدروع وقال يا أولادى أتمتعوا بما كفاكم من النقر وعرى البدن والفاقة التى تقصم الظهر وان هذا الرجل المحسن تكفل لنا بالمؤنة والكسوة ودفع عننا بما وصلنا به من الاحسان ما كان للزمن من الجفوة فارفعوا أكف الضراعة باخلاص واطلبوا منه جل وعلا نقاذ من ضيق الاقناس وعودته الى ما كان عليه من الاقبال وامتياز في الدرجة عن الاقران والامثال وقد استمر معهم على ذلك نحو سنة لا يأخذهم فيما عند السحر نوم ولا سفة فلما كان في أول ليلة من شهر الصيام خلعوا ملابسهم والناس نيام ودعوا وعليهم أممت الوالدة وكانت أبواب الدعاء مفتحة والايام مساعده فاستجيب دعاء الوالد والافراخ واقتل الرئيس من وحلة الطرد وماله من الاوساخ وقد كرمه الوزير بخير في الديوان فامر برده الى منصبه وانجلبت عنه غياهب الحرمان وعند فراغ الشيخ في صبيحة هذه الليلة من عبادته سعى الى خدمته على حسب عادته فتعذر عليه الوصول الى الجنباب بسبب ازدحام الحجير والبغال وانجلي على الباب ولم أعياه ذلك وضاعت عليه المسالك قال له بعض الخدم وكان اسمه كعب بن قدم كيف السبيل الى لقاء السيد الجليل فقال مستهزئاً به وقد رجه بالخصى وضربه على كتفيه بالعصى من أنت أيها الحقير حتى تحظى بمقابلة الرئيس الخطير انى أظن يا سخييف العقل أنك مجرد عن حلية الفضل أيخطر يالك أنه باقى على عهد القديم أو أنه يجيد وقتاً يستغرقه في منادمة النديم أما علمت يا خرفان أنه تحول من شان الى شان وأنه أماًط عنه جلياب التواضع والفتور واستهمل مباشرة الامور وكان به وقد أهمل الرفيق وتغافل الاعن الرحيق فقال له الشيخ كذبت فيما ادعيت ولا جرم أنك عليه اقتربت وسأقص عليك خبرك ليقطع من الدنيا أثرك فقال الخدام يا شيخ الضلال سترى أن مثلى ما كذب ولا فترى وكان الاقرب قد تعبت من طول مدة الوقوف فرجع الى داره بالحبية والكسوف وبمجرد دخوله من العتبة

قال له ابنه أبو رقية يا أبتى ان الراتب ما أتى به في هذا اليوم وانه لا قدرنا في الليل والنهار على الصوم فسكت الشيخ على مضض وقد اعتراهم من شكوى ولده المرض لان عائته لما كانت كثيرة العدد كان لا يقيم من مرتبها اليومى أدنى شئ الى غد ويقال انهم بولوا في هذه الليلة بلا زاد وان أحوالهم قد تبدلت بعـ الصلاح الفساد ثم اتته الشيخ من قومه ونهض في يوم الاحد الى ملاقاته مولاه الا وحده فلم يصل بأى حيلة اليه لكثرة الازدحام عليه وقد استمر على ذلك أربعة أيام مضت عليه كلهم الطولها أربعة أعوام وخطير سبالة في اليوم الخامس أن يندخل عليه وهو في الديوان جالس لعله يفوز من الاجتماع معه بعد الوحشة بالاستئناس فانتظر فرصة استراحة الحراس وأيقن أنه برزعه أمقن الحيل وان دفع في قاعة جلوسه على عجل وتأمل فم افوجدها مولاه الحدران واسعة وهى لانواع الظرفاء والزخوة جامعة وشاهد في صدرها شجرا كأنه أسد أو آدميا مشوا الحلقة كالرصد وقبل أن يدنونه ويفوز بالقصد سمع منه صيحة هائلة كالرعد فانقلب على ظهره وسحبوه وطرحوه على الارض وشربوه وقال له زعيم الاعوان نذير موجبه على فعله التكبر للآويل يا غيبر يا مهن يا فيج المنظر كيف خاطرت بنفسك وتجارت على ارتكاب ما يسوقك الى رمسك ثم نقل في وجهه وصفعه وقال على أيبك اللعنة عليك مغسه اذهب لا كنت من حيث أتيت وان رجعت بعدها الى هذا البيت أشبعنا ضربا ودفناك بالحياة غصبا تبالا يا سلالة الاندال ويا خنالة آسافل الجهال كيف تنسى بقدملك الى اراقه دمك فلما انتقلت الشيخ من أيدي الاعوان اللثام وقد خفف عنه بعض ما كان يجرد من الآلام أخذ يشئ الهوينى حتى انتهى الى منزله عند الغروب وهو في ارتباك وقد أشرف من الضرب بالسبياط على الهلاك ودخل على زوجته وشقه مائل والدم من رأسه سائل فقالت له من فعل بك هذا يا ابن شعلان قال فعله جماعة من الاعوان بعدما أفرطوا في السب واللعن وأوعدوني ان لقيني أحدمتهم بالطنع فقالت له لعلك ما عرفت لرعيهم حقهم ولا استعملت معهم في كلامك الرقة فعوقبت على قلة أدبك بما أوردى بك الى سوء منقلبك وانه يجب عليك مع فقرك وزيادة فافتك وعسررك أنك يا أقرع بالزور السبير تقنع فقال لها اني دخلت في قاعة الرئيس الهمام لرعي أنى له من جملته الخدام فسمجوني على وجهى قهرا وعاملوني بضد عدل كسرى هنالك نسيت بما ناله من العذاب الاليم ما كانت فيه مع عائلتها من النعيم وتمثلت وهى على جراح النضا بقول من مضى

أباويح دهر فيه قد عدم الوفا * فما ينقضى فيه لراحه ما رُب
يكدر عين المرء بعد صفائه * وان ما كسا ثوبا من العز سلب

ثم قال لها احييتي ويا صاحيتي وخليقتي ان هذا الرجل قد غدر بي ومكر وجعلني عبرة لمن اعتبر
وانقطع عنا كالتعين الراتب وزحفت الينا جنود النواذب فاخلعي مع البنات ما عليكن من
اللباس ولنقل باجمعنا اللهم يا شديد لباس اشد وطأتك عليه وافصله عن منصبه ولا تنظر اليه
وليكن ذلك سر يعام مجلا لا يبطئنا مؤجلا

لعن الله من يرى الضر لنا * س ويسعى في كشف طحال الخلائق
رب فانزل عليه سوط عذاب * وارمه الآن في أشد المضايق
وأدقه نكال بطشك واضرم * عسره في دياره بالصواعق
يا شديد المحال شدد عليه الـ * كرب وانصب له شباك العوائق

وكان دعاؤهم عليه كل ليلة في وقت الفجر فاستجاب الله منهم في عامهم وقضى الامر ومنع عن
مباشرة وظيفته بعدا حالها على خليفته وكان السبب في ابداءه على ما قيل في هذه المرة هو أن رموه
بقتل خادمه سكران بن خنجر لادعاء بعضهم عليه أنه جمع ما جمع من الرشوة وصرفه في سبيل الله
والصبرة ولما عاد الى ما كان فيه من الضيق والكرب وكان في هذه الدفعة قد انتقم من الحساب
بالضرب أغضب الصديق والجار وفي حكمه على الجميع جار فازداد عليه حنق العاقل والاحق
ونظر اليه كل واحد منهم بعين العدو والازرق وبعد أن مكث في سجنه نحو شهر يتقلب وحده
على الجرح تذكر الاقرع زئجرا لعل الذي كان يأتيه بالاخبار في بعض الاحيان وكان هذا الشيخ
عند ذلك يقول ويحسمه من السغب في فحول ليت شعري هل يسمع الزمان الذميم بالقرب
من سدة الرئيس الكريم ويسألني بعد ما فعل فعلته وغير في عبادة الاخلاص قبلته وأبي الآن
يصفعي بخنفسه ويطأ عني نطقه ويتحول معي من الادب الى السفاهة والقباحة ومن اللين
الى الصعوبة والوقاحة وينفله ويلهج بكيت وكيت ويتعلل بلو ليت ويقول هيئات هيئات
أن يرجع ما فات اندخل عليه بشير غلام الرئيس الخطير وكان قد بعث به الى هذا الاقرع
فانطلق الى منزله كبح البصر أو أسرع وقال له بعد السلام والتحية أجب مولانا صاحب السدة
السنية وكان الشيخ لا يعرف هذا الغلام مليح الصورة رشيق القوام فقال له ومن هو هذا الأمير
الذي تدعوني لمقابلته واليه تشير فقال هو سيدك ونصيرك وعدتك في شدتك ومجيرك والى أيها
الشيخ الفقير أعنت ذلك عنة في التقصير وقد جاء معي أخي عنبر وهو واقف أمام بابك الأكبر
فلتم الشيخ بذهاب العين وقال له مرحبا بك أيها الامين وكان الغلام قد هيج فيه شهوة الطمع
وأعطاه من النقود كية اندفع بها عنه الوجع ووعد به أموال وضياع ورفاهية أحوال ومتاع
فلم تكن الاهنية من الزمن وأولظه حتى نال الشيخ من هذا المطلب حظه وبمرافقة الغلام

الى مولاه سمح وعفان دهره المسمى بوصفح وبعد صلاة الظهر لبس أطماره البالية وتمنى مفارقة
عيشته غير الخالية وسار مع الرسول ولسان حاله يقول

سامح زمانك ان أتى * بعد العناد مسالما
واقبل مغاذير اضرت * أولاً منه مكارما

فلما دخل عليه في قاعة الجاوس ودنا منه بوجه غير عبوس وانكب على القندين وقبلهما بعد
اليدنين قال له ما الذي قطعك عني وأنت بمنزلة الروح مني فقال له قطعتني عنك السباط وحرمانى
أنا وعيالى من المرتب السماط فتأسف عليه وتأم وقال يا الله يا أبا مريم انى مارأيتك من منذ عدة
شهور مع احتياجى لك في بعض الامور وانى ما أشرت الى أحد بضربك ولا أغريته على شتمك
وسبك ولا أمرت بقطع الراتب بعد قيده في سجن الكاتب فقال له يا سبحان ربى أمأنت الذى
أشرت بضربى وأمرت بقطع معاشى وقصر ريش ريشى فقال لا وجرمة مالك على من الخدمة
ما وقع منى في حقك ما يوجب الملامة فان كان قد أصابك من الالهة ما يقضى بالانخفاض بعد
عالم الكرامة فلا تحمله على الاستخفاف بمن هو دونك ولومن الاجلاف بل احمله على رداء ابليس
الذى يستربه عين كل رئيس عند قيامه بوظيفة جليلة لينسبه صديقه وخليفه وبضرب الخبايا
بينه وبين العدو والحبيب حتى لا يعزاليه يبعد من القريب فلما سمع منه الشيخ مقالاه عرف أنه
صادق المقالة وصفاه وقبل عذره وانقلبه وامثله أمره وشرع على جرى عادته في تخافه
بالاخبار فزال عنه بعض ما تزل به من الاكدار وضاعف له أرزاقه وحل من الفقر وثاقه
وكساه حلة جديدة وملا بطنه الجائع بالثريد والعصيدة وأقطعته ضبعة خضبة ذات بساين
وعيون عذبة يقال ان غلتها لا تنقص في كل سنة عن مائتين من الدنانير المستحسنة ووعده أنه
ان عاد الى منصبه الفخيم وانجلت عنه دياجى العزل الوخيم كان أول داخل عليه وآخر خارج من
عنده وشاركه في أمره ونوحيه وحله وعقده فعند ذلك قال له الشيخ بعد أن أخذ عليه العهد سترجع
لنصيبك على رغم الحسود ثم تركه ومضى الى البيت يعدو على رجله كالجلود الكيت وقال لزوجته
أيتها الوليفة ان الرجل ناق الى الوظيفة فاستعدى للدعاء له لا عليه عسى يعود من منصبه اليه
فقالته انه ما عرفك هذه المنقبة لماسلته الايام وجلس على المرتبة واتى بالارزاق خير ما دام
هو في خير وقد رأيت بالامس ما فعله فقال لا تثرىب عليه يغفر الله له ثم دعا فاجيب بعد مدة
من الزمن الى ما طلب وفاز الرئيس من دعائه بالارب وكان الشيخ قد احتال حتى خرق سقف
مخدع نظريف في الطريق الموصلة الى الديوان المتين وانتظره الى أن ركب ومن تحتها عبر
فأدى من الخرق رداء حجب بصره عن النظر فانزعج الرئيس وقال وهو في حالة الخوف ما هذا الملم

الذي حرّك مني الجوف فقال له الشيخ يا مولاي لا بأس عليك هذارثي قد سبقت به اليك حتى لا يتمكن ابليس من وضع رثائه على وجهك المهلب وأعود أنا إلى ما كنت فيه من العذاب فلما عرفه ذهب عنه الروع والاضطراب وأثر له من الخدع وقر به منه كل الاقتراب ووصله واتصل به غاية الاتصال وعاش معه في أرغد عيش بلا انفصال حتى أدركه الحجام بعد ثمانية أعوام ولم يرزل أولاد هذا الشيخ من بعده واثني عند الرئيس في حال رفده ناطقين بشكره إلى أن تولى بقبوره فحمد الله برحمته وورضوانه وأسبغ عليه النعمة السرمدية في جنانه ومتعه فيها بما من القصور بوصول الحور الفاتكة في الحسن على تمام البدور
(لحضرة السيد صالح)
بجدي بك

نخبة من رسائل أبي بكر الخوارزمي

كتب إلى تليسنه قطع في مجلس وكمابر واختلط
بلغني أنك ناظرت فلما توجهت عليك الحجة كبرت ولما وضع نير الحق على عنقك فخرت وتضاجرت وقد كنت أحسب أنك أعرف بالحق من أن تعقه وأهيب لحجاب الانصاف والعدل من أن تشقه كأنك لم تعلم أن اسنان الفجر ناطق بالهجر وأن وجه الظلم مبرقع بالقبح وأنت إذا استدركت على نقد الصيرفة وتبعبت خطأ الحكماء والفلاسفة فقد طرقت إلى عيبك لعائبك ونصرت عدوك على صاحبك وقد عجبت من حسن ظنك بك وأنت انسان والله المستعان

وكتب إلى الرئيس طوس يعزيه عن شقيقه

كأنني عن سلامه وماسلامه من يرى كل يوم ركاهم هودا ولحدا لمهودا وأخام نفودا وحوضا من المنية مورودا ويعلم أن أيامه مكتوبة وأنفاسه محسوبة وأن شهابك المنان اله منصوبة أف لهذه الدنيا ما كدر صافيا وأخيب راجيا وأغدر أيامها ولياليها وأنقص لذاتها وملاهيها تفرق بين الاحياء والاحباب بالقنوات وبين الاحياء والاموات بالرفات ورد على خبر وفاة فلان فدارت في الارض حيرة وأظلمت في عيني الدنيا حسرة وملا أوله والوهل قلبي وساسوس وفكره وتذكرت ما كان يجمعني وإياه من سكرى الشباب والشراب فعلت أنه شرب بكأس أنا شراب من شرابها ورعى بسهم سوف أرعى بها فبكيت عليه بكاء على نصفه وحزنت عليه حزنا لنفسى شطره وسألت الله تعالى فإنه أكرم مسئول وأعظم مأمول أن يفيض عليه من رحمته ما يتم به سهم من نعمته وأن يتخذ كل زلة ارتكبا برحمته ويضاعف له كل حسنة كسبا بمنته وأن يذكره تلك الاخلاق الكريمة وتلك المروءة الواسعة العظيمة فإن الله تعالى يحب السخاء في المهد

فكيف في الموحّد وان نضاع النفس ونصب المائدة خلق من أخلاق الصديقين وشعبة من شعب
النبيين ثم ذكرت منازل بسيدى من الوحشة لقلبه والمنة من بعده والتحصن على قربه يبعده
نخلص الى قلبى وجمع ثان أنسانى للماضى وثالث أنسانى للثانى حتى استفرغ ذلك ما فى صبرى
بل ما فى صدرى وحتى صار الوجود وجعين والمصاب اثنين ثم رجعت الى أديب الله تعالى فقلت
انا لله وانا اليه راجعون اللهم لاشكايه لقضائك ولا احتباطا لخزائلك ولا كفران لنعمتك
ولا انما صبة لقدرتك اللهم ارحم الماضى رحمة تحبب اليه محله وابنى الحى بقاءه يمينه حياته
واطبع على قلبه حتى لا يطبع داعية الخزع ولا يضع عنه يد الهلع ولا ينلم جائب الاجر والذخر
بالاثم والوزر ولا يجده دوه الشيطان سيلا اليه ولا سلطانا عليه اقتصرت من تعزية سبى
على هذا المقدار لاجر يا على مذهبي فى الاقتصار والاختصار ولكنى لم أجد من لسانى بسطة
ولا فى قريحتي فضله ويحق لهذه الفادحة الحادثة أن تدع اللسان محصورا والبيان مقصورا
أو أن يتحدث فى العقل خلال وفى السنان شلالا وليعرفنى سيدى خبر ما هدا الله اليه من جيل العزا
الذى لم يعد من جيل الخزا ليكون سكوفى الى ما أعرفه من سوانه أضعاف قلق كان بما طنته من
حرقته وان كنت أعلم أنه لا يخفى ساحة الحلم والعلم ولا يخفى بالواجب من القسك بالخزم ولا يخفى
عقدة صبره ولا تتداعى أركان صدره ولا يعنى الرشد فى جميع أمره وهذه شريطة الكمال
وصحبة الرجال

وكتب الى أبى محمد العلوى جوابا عن كتابه

ورد كتاب السيد مبشرا من خبر سلامته بالبشرى التى تنسى كل بشرى وبالنعمى التى تلقى كل نعمى
وبالفائدة التى تفطم فوائد الاولى والاخرى وفهمته ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار عن تأخر
كتابه عنى وشعول النعمة بامثاله للنامس دونى امتلا بعبجا ورأيت فى كل جراحة قلبا
ورأيت السيد قد سالتى من التواضع طريقا قد رفعه الله تعالى عنها وجعله بنحوه منها وتكلف
ما لو تكلفته له لكانت سالك طريق الافراط وراكما طية الغلو والاشتطاط وكيف به هو وانما
كلامه لنا معشر شيعته كز وذر وعز وخر ومال ووفر وكبر وكر وحياة وعمر فكيف
كتابه اليانا وسلامه علينا والرئيس اذا أعطى المروءس فوق حقه فقد استرجع منه واذا باسطه
بما لا يسعه قدره فقد انقص عنه والاشياء اذا أفرطت الى الرجمان عادت الى النقصان
ذكر السيد أنه لا يرضى لكاتبى عفو كتابته ولا ينزل فيها على حكم بلاغته وهذا كلام لولائه
قد جرى به بانه ونطق به لسانه قلت تكاد السموات يتقطرن منه وتشق الارض وتخر الجبال هتا
ولقد جئتم شيئا إذا الكتابة أيد الله تعالى السيد صناعة مجانستى بها مجانسة النور للظلام

ومناسبتى لها مناسبة الاوزان نعم ولم أفرغ بابها ولم أعلق بابها ولم أعشر أربابها أو أصحابها ولا دعيتها بقلى ولا بلانى ولا دعاهالى أصدقائى وأخوانى ولا تلميتها اذ كان المتنى انما يتعلق بذنب الامكان ويشى فى طريق الكيان ولا احتلت بها اذ كان الانسان انما يتوهم وهو وسنان ما يتفكر فيه وهو يقظان ولا دعوت الله تعالى بها لانه أمرنا أن نساءه ما لا ينقض العادة ولا يفسد التكليف والمصلحة ولو كنت أجوز على نفسى شيئا منها لجوزته من طريق اتصالى بجانب السيد فان المواصلة ربما صارت مقاربه والمقاربة ربما جابت مشاركة ومناسبة وهب أن ذلك كان فكلمكم مقدار ما يتعلق بذيل المعايير من دراهم الصبرى وما عسى أن يعقب بنىاب الجليس من طيب العطار والسيد لاني وكفى حصصى فى الكتابة على بحال سنة السيد فى كل أسبوع ساعة وعلى روايتى له فى كل شهر كتابة أو رقعة اللهم الآن يكون السيد أرا بعد ذكره رياضتى لا تنهت والتعرض لى بذكر الكتابة لكى أكتب فان هذا من أبواب الحث والبعث وصنف من أصناف الرق والنقث فديقول الأستاذ تلميذه أحسنت ياسيدنا لادباء وأصبت يا واحد العلماء ليلظه طم التقدم وليرقيه فى درجات العلم بالتعلم فان كان ذلك هذا السيد أراد فقد بلغ المراد وهأنأنا بعد اليوم أفرع باب الكتابة واتسق على خبطان البلاغة وأجمع ما أقدر عليه من رسائل السيد فاخفظها صدر اصدرا بل سطر اسطر وأردد كل واحد منها خمس مرات بل عسرا فان خرجنى ذلك فالحمد لله تعالى الذى رزقنى ثم للسيد الذى حركنى وان تكن الاخرى تبلغ نفس عذرها مثل من مخ ذكر السيد أن اعتداده فى اعتبار العاوى بالشيعى والمعتزلى بالمعتزلى وأنا أقول مكافيا لامباريا ومتابعا لاموازيا اعتدادي بعارزقيه الله من اعتداد السيد فى اعتداد العصابة بالنبي (عليه السلام) واعتداد الشيعة بالوصى واعتداد المعتزلة بالحسن البصرى واعتداد الخازين بالشافعى واعتداد الزيدية بزيد بن على رضى الله تعالى عنه واعتداد الامامية بالمهدى لابل اعتداد العاشق بالفاء والظمان بالرى لابل هو اعتداد محمد بن العباس الطبرى بالسيد ابن محمد العاوى وهذا ميدان يحتمل الفرسان وفصل يسع للتصرف والجولان ولكنى أكره أن أسق على السيد فى الجواب وأنأ كلفه دخول هذا الباب ذكر السيد أن تكفاءه السنا قد قرب وأن حجم الغيبة قد صغر وذرعها قد قصر وأنا أسأل الله تعالى أن يصدق هذا المقتل ويحقق هذا القاتل ويرى تلك الطلعة اتى اذا رأيتها لم أتخص بغيبة الغائبين واذا فقدتها لم أنهنأ بحضور الحاضرين واذا نظرت اليها فوى سعيد بل عيد وفصلى مريع بل ربيع واذا تصبجت بها تصبجت بالنظر الى النبي والوصى عليهم ما السلام والى البتول ابنة الرسول والى السبطين الشهيد بن الحسن والحسين والى السجادة بن العليدين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين

سالى السيد أن أسأله بفض هذا باتلاك الناحية لا والله ما أعرف نفيسة ولا طرفه خطيرة تعدل عندى وجهه فليهدى الى وليخلق نظرى اليه على وليعلم أنه اذا فعل ذلك فقد ذرف الى الدنيا فى معرض الجمل وأهدى الى السعوديين طبق ومكبة من الاقبال ولم يدع لعين التمنى بعد ذلك مطعفاً ولا لقوس الاقتراح ولا التحكيم بعد هامت زعا لا يكتب الى السيد بخط غيره لاني اذا قرأت كلامه من آثاره فإنه فقد جنب الورود من أغصانه وقليل لمن أدلى بمنزل وسيلتى واتسم على سميتى أن تبعث له البيان والاقلام وأن ينق له الخط والكلام وأن ينزل على حكمه والسلام

(كاتب بلديع الزمان الهمداني الى أبي عامر عدنان الصبي يعز به بعض أقاربه)

اذما الدهر حر على أناس * حوادثه أناخ باتحينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلي الشامتون كالمقنا

أحسن ما فى الدهر عوم به بالزائب وخصوصه بالزائب فهو يدعوا الجفلى اناساء ويختص بالنممة اناساء فليظن الشامت فان كان أقلت فله أن يشت ويتظر الانسان فى الدهر وصورفه والموت وصنوفه من فاتحة أمره الى خاتمة عمره هل يجد أترافى نفسه أم لتدبيره عون على تصويره أم لعمله تقديراً لأمه أم لحيله تأخيراً لاجله كلابل هو العبد لم يكن شيئاً مذكورا خلق مقهوراً ورزق مقدورا فهو يحيا جبراً ويهلك صبراً وليأمل المرء كيف كان قبلاً فان كان العدم أصلاً والوجود فضلاً فليعلم الموت عدلاً والعاقل من رفع من حوائل الدهر ماساء ليدع بماضه عما نفع وان أحب أن لا يحزن فليظن بمنه هل يرى الاحنة ثم ليعطف بسرة هل يرى الاحسرة ومثل الشبح الرئيس من تظن لهذه الاسرار وعرف هذه الديار فاعدا لهنم ما صدرا لا يملؤن فرحاً وليؤسها قلباً لا يطير به جزعا وسحب الدهر برأى من يعلم أن للجنة حداً وللعارية رداً ولقد نعى الى أبوقبيصة قدس الله روحه وبردضريحه فعرضت على أمانى فعودوا وأمانى سودا وبكى والسخى بما يملك ومحكمت وشر الشدا تدا بضحك وعضضت الاصبع حتى أفنته وذهبت الموت حتى تنقته والموت خطب قد عظم حتى هان وأمر قد خشن حتى لان ونكر قد عم حتى عاد عرفا والديك قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجنت حتى صار الصغر نوفرها وأضمرت حتى صار أسير عيوبها وأجمت حتى صار أظهر عيوبها ولعل هذا السهم آخر ما فى كنانها وأركى ما فى خزانتها وشقى معاشر التبع تعلم الادب من أخلاقه والجمل من أفعاله فلا تحب على الجميل وهو الصبر ولا ترغبه فى الجزيل وهو الاجر فليرفق ما رآه ان شاء الله تعالى

في التاريخ والجغرافيه

خير مصر وبركانها

قال بعض من اتصب بفضيل دمشق لكونها وطنه على مصر عرفنا طيب الديار المصرية ورقة هوائها ولكن نحن لانجفو الوطن حيث جبه من الايمان ومع هذا فلا تشكر أن مصر اقليم عظيم الشان وأن مقلها كثير وأن ماءها كثير وأن ساكنها ملك أو أمير وأن الذهب فيها لا يؤزن بالمناقل ولكن بالقناطير وأن دمشق يصلح أن تكون بسنا للمصر ولا شك أن أحسن ما في البلاد الستان وهل دمشق الا مصر مثل الجنان

وقال عبد الله بن عرأهل مصرأ كرم الاعاجم كلها وأسمعهم بدا وأفضلهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبشريش خاصة يشعير هذا الى هاجر أم اسمعيل عليه السلام فانها من قرية أم دينار أو قرية أم دنين وكلاهما بمصر أو يقال انها من بلدة بقرب القرمأ والى مارية أم إبراهيم فانها من قرية بصعيدها من اقليم الحيرة . وقدرى عن أبي ذر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستفجئون أرضيذ كرمها القيراط فاستوصوا بها لها خيرا فان لهم ذمة وحرصا فاذا رايت رجلا ينقتلان في موضع لبنة فاحر حوامتها قال فربربعة وعبد الرحمن ابني شرجيل يتنازعا في موضع لبنة فخرج منها . ويرى عن عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صحرار ذمة . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما دعافوح عليه الصلاة والسلام لولده ولولده مصرىم الذى به سميت مصر فاقال اللهم انه قدأ جاب دعوفى قبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الارض الطيبة المباركة التى هى أم الدنيا فلهدا يقال ان مصر هى اختيار نوح عليه السلام لولده وكذلك صارت اختيار الحكماء لأنفسهم واختيار عمرو بن العاص لنفسه واختيار ضرى وان بن الحكيم لايته عبد العزيز وهكذا كيف لا وهى بلد العلم والحكمة من قدم الدهر وحديثه ومنها خرج العلماء والحكماء الذين عمروا ممالك الدنيا بتدبيرهم وحكمتهم وفنونهم وصنائعهم ولم تزل الى الآن يسير اليها طلبة العلم وأصحاب الفهم من سائر الاقطار لتحصيل درجة الكمال وكذا هانقرأ أنها تسمى خزائن الارض كما حكاه الله تعالى عن يوسف عليه السلام فى قوله للمصر ابعلى على خزائن الارض انى حفيظ عليم ولذلك قال بعضهم ان مصر خزائن الارض كلها وسلطانها سلطان الارض كلها يعنى أن يوسف لما تمكن من أرض مصر تيقوا منها حيث يشاء كان بسلطانهم سلطان جميع الارض كلها اناجهم اليه والى ما تحت يديه حتى فى أيام الخلفاء كانت مغربة بالمال ثرو والمكالم تقضى الوافد عليها والقادم

ومحمّد لعل أيضا على أنها كانت بمكانة من التمدن في قديم الأزمان قوله تعالى مخبر عن موسى عليه السلام أنه قال ربنا انك أتيت فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا وكذا قوله تعالى مخبر عن فرعون أنه قال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون قال بعض المفسرين ولم يكن في الأرض ملك أعظم من ملك مصر وكان جميع الأرضين يحتاجون إلى مصر وأما الأنهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى إن الماء يجري من تحت منازلها وأقنيته فيصبونه كيف شاؤوا انتهى وهذا عين التمدن إذ لا يكون ذلك إلا بقدوم الصنائع والفنون ويؤيده بقايا الآثار المشاهدة التي لا كان مثلها في غير مصر ولا يكون مع ما نجي منها شهادة قوله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقد قنع المأمون بهذه الآية حين استصغر مصر في عينه وذهل عن حقيقة الدار والرواية فأدرك بهم من الحكمة الغاية

وبالجملة فهي فرضة الدنيا يحمل خيرها إلى ماسواها فيحمل منها من طريق بحر القلزم إلى البحرين واليمن والهند والصين والسند وبلاد أفريقية ومن جهة بحر الروم إلى بلاد الروم والقسطنطينية والأناضول وسواحل الشام والقفقاز إلى حدود العراق وإلى صقلية وكريد وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد إلى بلاد المغرب والنوبة والسودان والحبشة والجزائر واليمن ولا سيما الآن بوصل البحرين الأبيض والأحمر واتصال أفريقيا ساعلى وجه أظهر فهذا يقرب النقل منها واليهام سائر الاقطار المعمورة والمنظورة أنها تصير عنافع جميع ممالك الدنيا مغمورة وتكثر مخاطرهم مع جميع الأمم فلا غرو أن يأتي لها زمان يصير فيه تمدنها راسخ القدم فان لطالعت المدن دورا مخصوصا من أدوار الجماعات التأسيسية عند حضور الأوان تسطع أنوار على سائر الأقاليم والبلدان فكل مملكة تأخذ حظها الاوفر من نير التمدن مدّة قرون وأزمان بحمّة أهلها ومغالاتهم في حب الاوطان فقد شبه بعضهم حب الاوطان الحقيقي والغيرة عليها بحرارة جديدة محلية متسكنة من الابدان الالهية متى حلت بيد الإنسان غلبت على الحرارة الغريزية فلذلك اذا ظهرت الحمية الوطنية في أبناء الديار المصرية ولعبت بالمنافع التمدنية فلا جرم أن تذكو نهارها وتغلب على القوة الاولى فيحصل لهذا الوطن من التمدن الحقيقي والمعنوي والمادى كمال الامنة فيدح زناد الكند والكندح والنهض بالحركة والنقلة والاقدام على ركوب الاخطار تنال الاوطان بلوغ الاوطار

في خدمات المنافع متفرقة في الجهات فلتسكن الهم في تحصيلاهم من جهات اقضايا موجهات فلا بد لكل انسان وكل مملكة من الحصول على المادة الكافية لبلوغ الوطن لاسيما التي لا يعرى منها بشر قال تعالى وما جعلناهم جسدا لآبأكلون الطعام وما كانوا خالدين فاذا انعدمت المادة التي هي قوام النفس تمدم الحياة ولم تستعم الدنيا لاهلها فاذا تعذر على الانسان شئ من معاش الدنيا حقها الوهن والاختلال في خياله بقدر ما تعذر من المادة عليه لان الشئ القائم بغيره بكل بكائه ويحتمل باختلاله (منهاج الابواب)

ذكر نيل مصر

ونيل مصر يفضل أنهار الأرض غلبة مذاق واتساع قطر وعظم منفعة والمدن والقرى بضيقه منتظمة ليس في المعمور مثلها ولا ينهر يزرع عليه ما يزرع على النيل وليس في الأرض نهر يسمى بحرا غيره قال الله تعالى فإذا خفت عليه فألقيه في اليم فسعاها وهو البحر وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل ليلة الأسراء إلى سدره المنتهى فإذا في أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسأل عنها جبريل عليه السلام فقال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفي الحديث أيضا أن النيل والفرات وسيحان وجيحان كل من أنهار الجنة ويجرى النيل من الجنوب إلى الشمال خلافا لجميع الأنهار ومن عجائبه أن ابتداء زيادته في شدة الحر عند نقص الأنهار وجفافها وابتداء نقصه حين زيادة الأنهر وفيضها ونهر السند مثله في ذلك وأول ابتداء زيادته في حزيران وهو يونيو فإذا بلغت زيادته ستة عشر ذراعا تم خراج السلطان فإذا زاد ذراعا كان الخصب في العام والصلاح التام فإذا بلغ ثمانية عشر ذراعا أضر بالضياع وأعقب الوباء وإن نقص ذراعا عن ستة عشر نقص خراج السلطان وإن نقص ذراعا عن اثنين من الناس وكان الضرر والشديد والنيل أحد أنهار الدنيا الخمسة البكار وهي النيل والفرات والبلجة وسيحون وجيحون وتماثلها أنهار خمسة أيضا نهر السند ويسمى بيج آب ونهر الهند ويسمى الكنك واليه تصبج الهنود وإذا حرقوا أمواتهم رموا برماهم فيه ويقولون هو من الجنة ونهر الجون بالهند أيضا ونهر أتيل بحيرة قنقري وعلى ساحله مدينة السرا ونهر السر وبأرض الخطا وعلى ضفته مدينة خان بالق ومنها ينحدر إلى مدينة الخنسا ثم إلى مدينة الزيتون بأرض الصين والنيل يفرق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام ولا يعبر نهر منها إلا في السفن شتاء وصيفا وأهل كل بلد لهم خيلان تخرج من النيل فإذا مدت رعاها فاضت على المزارع (لابن بطوطة)

ذكر الاهرام والبرابي

وهي من العجائب المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها ويرغمون أن جميع العالم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ويسمى خنوخ وهو أديس عليه السلام وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجده الله تعالى فيها وأنه أئذ الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الاهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة ويقال إن دار العلم والملايك بمصر مدينة متوف وهي على برديمن القسطنطاط

فلما نبت الاسكندرية انتقل الناس اليها وصارت دار العلم والملا إلى أن أتى الاسلام فاخط عمرو ابن العاص رضي الله عنه مدينة القسطنطين فهدم مصر إلى هذا العهد والاهرام بناء بحجر الصلدا المنحوت منهاهي السحوم مستدير متسع الاسفل ضيق الاعلى كالشكل المخروط ولأبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها وبما يذكر في شأنها أن ملكا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا حالته وأوجبت عنده أنه بنى تلك الاهرام بالجانب الغربي من النيل لتكون مستودعا للعلوم وخبثه المأخوذ وأنه سأل النجمين هل يفتح منها موضع فأخبروا أنها تفتح من الجانب الشمالي وعينوا له الموضع الذي تفتح منه ومبلغ الاتفاق في فتحه فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه يتفق في فتحه واشتد في البناء فأنتم في ستين سنة وكتب عليها سينا هذه الاهرام في ستين سنة فلم يدعها من يريد ذلك في ستين سنة فأن الهدم ليس من البناء فلما أفضت الخلافه إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مضر أن لا يفعل فليج ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي فكانوا يوقدون على النار ثم يرشونها بالثلج ويرمون بالحنين حتى فقت الثلة التي بها إلى اليوم ووجدوا بابا للنقب ما لا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق في النقب فوجد ههما سواء فطال بعينه من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا (لا ينبطوطه)

ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول

هذا الصنم بين الهرمين عرف أولا ببلهيب وتقول أهل مصر اليوم أبو الهول قال القاضي صنم الهرمين وهو بلهيبه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا ينظر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بابي الهول ويقال ببلهيب ويقال أنه طلسم الرمل لا لا يغلب على ابله الجيرة وقال في كتاب عجائب البنيان وعند الاهرام رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم تسميه الناس بأب الهول ويرغمون أن جنته مدفونة تحت الارض ويقتضى القياس بالنسبة إلى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصادف وفي وجهه حرة ودهان يلح عليه رونق الطراوة وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يتخلل تسميا وشل بعض الفضلاء عن بعيب ما رأى فقال تناسب وجه أبي الهول فان أعضا وجهه كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان أنف الطفل مثلا متناسبة وهو حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان مشوها وكذلك عنق الرجل لو كان لصبي تشوّهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ما يمتد به القياس إلى الصورة وعلى نسبتهما والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب للأعضاء عظمها وأنه ليس في أعماله الطبيعة ما يحاكيه ويقابله في مصر قريسا من دار الملوك (١٤) القطع المنتخبة (جزء اول)

صنم عظيم الخلقة والهيئة متناسب الاعضاء كما وصف وفي حجره مولود وعلى رأسه ما جاور الجنيح
صوان مائع رزح الناس أنه امرأة وأنم أسرى به أي الهول المذكور وهي بدرب منسوب إليها ويقال
لوضع على رأس أي الهول خيط ومدا على سريره لكان على رأسها مستقيما ويقال إن أبا الهول
طلسم الرمل يمنع عن النيل وأن السرية طلسم الماء يمنع عن مصر وقال ابن المتوجح زقاق الصنم
هو الزقاق الشارح أوله بأول السوق الكبير بجوار درب عمار ويعرف الصنم بسرية فرعون وذکر
أنه طلسم النيل لتلايغاب على البلد وقيل إن بلهيب الذي عند الأهرام بقابله وأن ظهر بلهيب
إلى الرمل وظهر هذا إلى النيل وكل منهما مستقبل الشرق وقد نزل في سنة إحدى عشرة وسبع مائة
أمير يعرف بيلاط في نفر من التجارين والقطاعين وكسروا الصنم المعروف بالسرية وقطعوه أعتابا
وقواعد فلما أن يكون تحتها مال فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة فخر فتحته إلى الماء فلم يوجد
شيء وجعل من حجر قواعد تحتانية للأمد الصوان التي بالجامع المستجيد بظاهر مصر المعروف بالجامع
الجليل الناصري وأزيل عين هذا الصنم من مكانه والله أعلم وفي زماننا كان شخص يعرف بالشيوخ
محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخائفة الصلاحية سعيد السعداء قام في نحو من سنة ثمانين
وسبع مائة لتغيير أسياسه المنكرات وسار إلى الأهرام وشوه وجهه أي الهول وشقته فهو على ذلك إلى
اليوم ومن حينئذ غلب الرمل على أرض كثيرة من الخيرة وأهل تلك النواحي يرون أن سبب غلبة
الرمل على الأرضي فساد وجهه أي الهول ولله عاقبة الأمور وما أحسن قول ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وأعجب * وبينهما أبو الهول العجيب

كهاريتين على رحيل * بمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل تحت ما دموع * وصوت الریح عندهما نجيب

وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب

وقال إن أتريب بن قبط بن مصر بن يصر بن حام بن نوح أوصى أخاه صا عند موته أن يحميه
في سفينة ويدفنه بحيز برقي وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير أن يعلم به أهل مصر فأتته الناس
بقتل أتريب وجاروه تبع سنين فلما مضى من حريم جنس سنين مضى بهم حتى وقفهم على
قبر أتريب فحفره فلم يجدوا به شيئا وقد نقلته الشياطين إلى موضع أبي الهول ودفنته هناك
بجانب قبر أبيه وحده يصير فازدادوا له تهمة وعادوا إلى مدينة منف وصحاروا قاتلهم إبليس
فدلهم على قبر أتريب حيث نقله فأخرجوه من قبره ووضعوه على سرير فتكلم لهم الشيطان
على لسانه حتى اقتنتوا به ومجدوا له وعبدوه فيما عبدوا من الأصنام وقتلوا صا ودفنوه على
شاطئ النيل فكان النيل إذا زاد ليعا قبره فافتتن به طائفة وقالوا قد قتل صا ظلما وصاروا

يسجدون لقبه كما يسجد أولئك لارتب فهد آخرون إلى حجر فحتوه على صورة اشعوم وكان يقال له أبو الهول ونصبوه بين الهرمين وجعلوا يسجدون له فصار أهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابئة تعظم أبو الهول وتقرب له الديكة البيض وتجذب الصندروس (المقرزي)

ذكر عجائب مصر القديمة

قال الجاحظ وغيره عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة عشرة منها بسائر البلاد وهي مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطرة طنجة وقصر عمان وكنيسة رومية وصنم الزيتون وأوان كسرى بالمدائن وبيت الريح يدمر والخورق بالحيرة والثلاثة أحجار يعلبك والعشرون الباقية بمصر وهي الهرمان وهما أطول بناء وأعجبه ليس على الأرض بناء أطول منهما وإذا رأيتما ظننت أنهما جبلا ن موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس شيء إلا وأنا أرحم من الدهر إلا الهرمان فأنأ أرحم الدهر منهما وصنم الهرمين وهو بلهويه ويقال بلهيب وتسميه العلامة أبو الهول ويقال أنه طلسم الرمل لئلا يغلب على الحيرة وبري سمهود قال الكندي رأيت به وقد خرب فيه بعض العمال قرطا فرأيت الجبل إذا دنا منه بجملة وأراد أن يدخله سقط كل وثيب من القرط ولم يدخل منه شيء إلى البري ثم خرب عند النجسين وثلاثمائة وبري انجم كان فيه صور الملوك الذين يملكون مصر قال صاحب مباح الفكر وهي مبنية بحجر المرمر طول كل حجر خمسة أذرع في سمك ذراعين وهي سبعة هاليز ويقال إن كل دهلز على اسم كوكب من الكواكب السبعة وجدرانها منقوشة بعالم الكيمياء والسيما والطلسمات والطب ويقال أنه كان بها جميع ما يحدث في الزمان حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان مصورا فيها راكبا على ناقه وبري دندار كان فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ثم الثانية ثم الثالثة حتى تنتهي إلى آخرها ثم تكرار جعة إلى موضع بدأت وحائط العجوز من العريش إلى اسوان محيط بأرض مصر شرقا وغربا وقدر مذكوره والقيوم وهي مدينة دبرها يوسف عليه الصلاة والسلام بالوحى وكانت ثلثمائة وستين قرية تبر كل قرية منها مصر يوما وكانت تروى من اثني عشر ذراعا وليس في الدنيا بلد بى بالوحى غيرها قاله الكندي ومنف ومافيا من الابنية والدفائن والكنوز وآثار الملوك والانباء والحكماء وكان فيها البري الذي لا نظير له الذي ينتسه الساحرة لعلوكة وقد تدمر ذكره وجبل الكهف وجبل الطيلون وجبل الساحرة فيه حاققة ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل إليها أحد يابوح فيه خط مخلوق باسمك اللهم وجبل الطير يصعد مصر الأدنى طل على النيل مقابل منية ابن خصيب قال في السكر دان فيه أعجوبة لم ير مثلها في سائر الأقاليم وهي باقية إلى يومنا هذا

وذلك أنه إذا كان آخر فصل الربيع قدم إليه طيور كثيرة بلق سودا لعناق معطوفات الحواصل سودا
أطراف الاجنحة في صياحها بجراحة يقال لها طير الجعج لها صياح عظيم يسد الأفق فتقصد مكانا
في ذلك الجبل فينفرد منها طائر واحد فيضرب بمنقاره في مكان مخصوص في شعب الجبل عال
لا يمكن الوصول إليه فان علق تفرق الطيور عنه وان لم يعلق تقدم غيره وضرب بمنقاره في ذلك
الموضع وهكذا واحد بعد واحد الى أن يعلق واحد منهم بمنقاره فتفرق عنه الطيور حينئذ
وتذهب الى حيث جاءت فلا يزال معلقا الى أن يموت فيضمحل في العام القابل فيسقط فتأتي الطيور
على عادتها في السنة القابلة فتعمل العمل المذكور قال صاحب السكردان وقد أخبرني به هنا غير واحد
من المصريين عن شاهد ذلك وهو مشهور معروف الى يومنا هذا قال أبو بكر الموصلي سمعت من
أعيان أهل الصعيد أنه إذا كان العام محضاً قبض على طائرين وان كان متوسطاً قبض على واحد
وان كان جدياً لم يقبض على شيء قال في السكردان وحكي بعضهم أنه رأى في بعض السنين طيراً
تعلق بمنقاره وتفرقت عنه الطيور ثم اضطرب اضطراباً شديداً وأطلق نفسه والتحق بالطيور
فدارت عليه وجعلت تتقرع بمناقيرها الى أن عاد وتعلق بمنقاره في ذلك الموضع وعين شمس وهي
هيكल الشمس قال صاحب مباحج الفكر وقد خربت وبقي منها عودان من حجر صلد فكان طول
كل عود منهما أربعاً وعشرين ذراعاً على رأس كل عود منهما صورة إنسان على دابة وعلى رأسهما
شبه الصومعة من تجاس فإذا جرى النيل قطرن من رأس كل واحد منهما ما لا يجب وز نصف العود
والموضع الذي يصل اليه الماء لا يزال أخضر طيباً قال وقد وقع العودان في عصرنا بعد الحسين
وستمائة ونشرت حجارتهما وفرشت بها الدور وصنمن من لحاس كان على باب القصر الكبير
عند الكنيسة المعلقة على خلقه الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامة متسكب قوساً وفي رجله
فعلان كانت الروم والقبط وغيرهم إذا تطلوا بينهم واعتدى بعضهم على بعض جاؤا اليه فيقول
المطاورم للظالم انصفني قبل أن يخرج هذا الراكب الجمل فيأخذ الحق لي منك فيعنون بالراكب الجمل
مجداً صلى الله عليه وسلم فلما قدم عروبن العاص غيب الروم ذلك الجمل لتلايكون شاهداً عليهم
والنيل وسأني خبره بمسوطاً وحوض كان مقدوراً من حجر كعب فيه الواحد والاربعه ويحرقون
الماء شيء فيعدون في البحر من جانب الى جانب لا يعلم من عمله فاحضره كانوا لا خشيدى الى مصر
فظفر اليه ثم أخرجه من الماء وألقى في البر وكان في أسفه له كآبة لا يدرى ما هي ثم أعيد الى البحر ففرق
وبطل فقهه والاسكندرية فانها مدينة على مدينة على مدينة ثلاث طبقات وليس على وجه الارض
مدينة على مدينة على مدينة على هذه الصفة سواها ويقال انها الروم ذات العباد سميت بذلك
لان عبدوا ورؤسها من الديجنا والاصطقيدس المخطط طولاً وعرضاً والمنازة التي بها ومنازة بناحية

أبويط من بلاد الهند ساحكة البناء اذا هزها الانسان مالت يمينا وشمالا لا يرى ميلها نظارها وفي عظمها في الشمس والمغرب الذي كان بالاسكندرية يجتمعون فيه فلا يرى أحد منهم شيئا سوى صاحبه وكل منهم يلقي وجهه الآخر ان عمل أحدهم شيئا أو تكلم أو قرأ أو كتب أو لعب أو نام من الألوان سمعه الباقيون ونظر القريب والبعيد فيه سواء وكذا لو أيترا مون فيه بالكرة فمن دخلت كره وفي مصر قال صاحب مباحج الفكر وقد بقيت منه بقايا عمدة تكسرت غير عمود منها يسمى عمود السواري في غاية الغلظ والطول من حجر الصوان الأحمر والمسلتان وهما شخصان من صوان طول أحدهما ثلاثمائة وعشرون ذراعا وهما مسلتان فرعون الشمس منصوبتان فإذا حلت الشمس أول درجة من الجدى وهو أقصر يوم في السنة انتهت إلى المسلة الجنوبية وطلعت على قعر أسفها ثم إذا حلت أول درجة من السرطان وهو أطول يوم في السنة انتهت إلى المسلة الشمالية وطلعت على رأسها وهي منحنى المسلتين وخط الاستواء في الوسط بينهما ثم تتردد بينهما ذاهبة وجائبة سائر السنة فهذه عشرون أعجوبة ويقال أنه ليس من بلدي شي غريب الا في مصر شبهة أو مثله ثم تفضل مصر على البلدان بعجائبها التي ليست في بلد سواها

(حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي)

ذكر يوم المحمل بمصر

وهو يوم دوران المحمل يوم مشهود وكيفية ترتيبهم فيه أنه يركب قضاة القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب ويركب معهم أعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة ويقصدون جميع أبواب القلعة دار الملك الناصر فيخرج إليهم المحمل على جمل وأمامه الأمير المعين لسفر الحجاز في تلك السنة ومعه عسكره والسقاؤون على جمالهم ويجمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء ثم يطوفون بالمحمل وجميع من ذكرنا معه بحدائق القاهرة ومصر والحدائق يحشدون أمامهم ويكون ذلك في رجب فعند ذلك تهيج العزيمات وتنبعث الاشواق وتحرك البواعث ويلقى الله تعالى العزيمة على الحج في قلب من يشاء من عباده فيأخذون في التأهب لذلك والاستعداد ثم كان سفرى من مصر على طريق الصعيد يرسم الحجاز الشريف فبنت إليه خروجى بالرباط الذي بناه الصاحب تاج الدين بن حنا بدير الطين وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وأما ذكرية أو دعها فيه وهي قطعة من قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذي كان يكتمل به والدفش وهو الاشفا الذي كان يخصف به نعله ومعحف أمير المؤمنين على بن أبي طالب الذي بخط يده رضى الله عنه ويقال ان الصاحب اشتري ما ذكرنا من الآثار الكريمة النبوية بمائة ألف درهم وبني الرباط فجعل فيه الطعام للوارد والمصادر والجراية لطلحام تلك الآثار الشريفة نفقه الله تعالى بقصد ملاباته

ثم خرجت من الرباط المذكور ومرت بجنبة القائد وهي بلدة صغيرة على ساحل النيل ثم سرت منها إلى مدينة بوش (وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين مجهم) وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كثرة سكانا ومنها يجلب إلى سائر أديار المصرية وإلى أفريقيا ثم سافرت منها فوصلت إلى مدنيته دلاص (يقع الدال المهملة وآخرها صاد مهملة) وهذه المدينة كثيرة السكان أيضا كمثل التي ذكرنا قبلها ويحمل أيضا منها إلى ديار مصر وأفريقية ثم سافرت منها إلى مدنيته بيا (بباءين موحدين أو لاهما مكسورة) ثم سافرت منها إلى مدينة البنسنة وهي مدينة كبيرة وبساتينها كثيرة (يقع الباء واسكان الهاء وفتح النون والسين) وتصنع هذه المدينة ثياب الصوف الخفيفة ومن لقيته بها قاضيه العالم شرف الدين وهو كريم النفس فاضل ولقيت به الشيخ الصالح أبا بكر العجمي وزلت عنده وأضافني ثم سافرت منها إلى مدينة منية ابن خصب وهي مدينة كبيرة واسعة مسعدة المساحة مبنية على شاطئ النيل وحق تحقيق لها على بلاد الصعيد التفضيل به المدارس والمشاهد والزوايا والمساجد وكانت في القديم مدينة خصب عامل مصر (الابن بطوطه)

ذكر كسوة الكعبة

وفي يوم النحر بعثت كسوة الكعبة الشريفة من الركب المصري إلى البيت الكريم فوضعت في سطحه فلما كان اليوم الثالث بعد يوم النحر أخذ الشيبون في اسبيلها على الكعبة الشريفة وهي كسوة سوداء محالكة من الحرير مبطنه بالكنان وفي أعلاها طائر مكتوب فيه بالبياض جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما الآية وفي سائر جهاتها طائر مكتوبه بالبياض فيما آيات من القرآن وعليها نورائح مشرق من سوادها ولما كسبت شمرت أذيلها صونا عن أيدي الناس فالملك الناصر هو الذي يتولى كسوة الكعبة الكريمة ويعت من بيت القاضي والخطيب والأئمة والمؤذنين والقرايين والقومة وما يحتاج له الحرم الشريف من الشمع والزيت في كل سنة وفي هذه الأيام تقف الكعبة الشريفة في كل يوم للعراقيين والحراسانيين وسواهم ممن يصل مع الركب العراقي وهم يقفون بمكة بعد سفر الركين الشامي والمصري أربعة أيام فيكون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلا في لقوفهم في الحرم من المجاورين أو المكيين أعطوه الفضة والنياب وكذلك يعطون للشاهدين الكعبة الشريفة وربما وجدوا انسانا نائما فجعلوا في فيه الذهب والفضة حتى يفيق ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين من فعلوا من ذلك كثيرا وكثروا الصدقات حتى رخص سوم الذهب بمكة وانتهى صرف المئقال إلى ثمانية عشر درهما قهرا لكثرة ما صدقوا به من الذهب وفي هذه السنة ذكر اسم السلطان أبي سعيد ملك العراق على المنبر وقبة زمزم (الابن بطوطه)

(في وصف منظر بحيرة العرب العام وريح السموم ورمال الصحراء والندى
والامطار الدورية ومعيشة العرب البدوية)

أقول حيث كانت بحيرة العرب منقسمة على الكيفية السابقة كان منظرها في جميع امتدادها
كهيفة واد مثل الشكل زاوية رأسه تنتهي بجبل طوروس (أي طورسينا الذي في زكية آسيا
بين نهرها ليس المسمى الآن بطوصا ونهر اللادقية) ونهر الفرات من كعب ضلعاه من سلسلتي
جبال احدها ممتدة وسط الشام وفلسطين وتسمى جبل لبنان ومقابل لبنان ثم ترجع الى
داخل بحيرة العرب فتمتد على ساحل البحر الاحمر الى بوغاز باب المنسحب والاخرى توازى
مجرى نهر الفرات والخليج الفارسي وتنتهي الى بوغاز هرمز والضلح الثالث من ذلك المثلث يتم بخط
من أراضى من نفعة جدا واصل بين البوغازين وأما داخل ذلك الوادى فهو سهل منخفض جدا
وحر قطره أضر من حر السواحل وذلك أن بعض الجهات كالسواحل اذا نزل بها الامطار الغصبة
تكون الجهات الاخرى لا يقاوم سلطنة حرارتها ويوسستها شئ وجو ذلك الوادى مما وفى الغالب
بالبحر والصفوات المتعاضدة من البحار الميتة (أى بحيرة اسفلتيت) ومن بحيرات أخر ملحمة
وتهم بفسح مبهولة تسمى بريح السموم ويزعم العرب أنهم يعرفونها عند هبوبها بريح
كبرية تفوح منها فتتلف النباتات التي لم تكن أشعة الشمس قدأ يستعمل بالكلية وحيث كانت
لا تبقى على الناس ولا على الحيوانات لشدة حرارتها كانت تتخفق كل من لا يعرف الاحترام من
تأثيراتها المهلكة وتغطي جثثهم الميتة بالمال ولا وجود لتلك الريح فيما قرب من سواحل الاقياوس
الهندى ولا سيما في اليمن فان الهواء هناك دائم النقاوة وفصل شدة الحرارة هو عين فصل الامطار
فان لم تنزل الامطار بها كان من سعادة يجتها أن يسلم مسدها ندى غزير جدا وأرضها من ابتداء
شواطئ البحر ترتفع بالتدريج فيتنوع مزاج الحرف في جميع بقاعها بسبب تناوت ارتفاعها ويسهل
هرى من ارضها وتأثير الشمس الساقطة أشعتها عامودية في زمن الانقلاب الصيفي يلف عوارض
كبيرة من أرضها وكانت تلك القوائد الطبيعية تقتضى توطن سكان جزيرة العرب في هذه السواحل
اليمانية دون غيرها ومع ذلك فلم يغادروا السكنى في الصحرا مطلقا وبعثتهم البدوية التي جبالوا
عليها محاسن تجذب قلوبهم اليها فلا يستطيعون تركها وكانهم قد منحوها في مقابلة المهالك المائعة
التي تحقد بهم فان أرض البادية رملية محقرة لا تنفع ذرة شامية ولا أرزا ولا برا وشر بهم من
صحاريها يارب فيض مأوها كل وقت وبها بعض تخيل يتجنى ثمارها في أقرب زمن ومراع تنضر
سر بها ومع ذلك فلا شئ يحول أجلاف العربان رعاة الجبال عن تلك المعيشة التي اختاروها

قال المؤلف هرود (١) ان جميع جزيرة العرب التي هي من أشهر الايلات على الكرة الارضية يترأى منها أنهم معدية الفطرة الالهية لان تكسب أقوامها طبعاً مخصوصاً فان صحراها الكبرى المشابهة لجنوب بلاد التار والممتدة من حلب الى نهر الفرات ما بين مصر والشام تبدي كثيراً من الغلوات الواسعة والقفار الرحبة لا قوام البدو والرعاة واذ تأملت في عيشة هذه الامة التي ترى كل مدينة سجناً وفي تكبرها المؤسس على أقدمية أصلها وعلى عظمة أهلها وسعة لغتها وأشعارها وخفة خيلها وعلى بوارقشوا كرهاورماحها التي تعتقد أنهم متوارثة لديها وأنها كالأمانة المقدسة عندها قلت ان جميع هذا الاشياء قديماً منهم قديم الزمان لان تظهر بالمظهر العظيم الذي سبق لها في علم الغيب أن تظهر به ذات يوم في ثلاثة أقسام من الدنيا ظهوراً مغايراً جديداً اظهر للتار من شمال آسيا انتهى (من كلب غاية الارب في خلاصة تاريخ العرب)

مدينة الكوفة

وهي احدى أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية منوى الحماية والتابعين ومنزل العلماء والصالحين وحضرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين الآن الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي البدوان التي امتدت اليها وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها فانهم يقطعون طريقها ولا سورها عليها وبناؤها بالآجر وأسواقها احسان وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك وجامعها الاعظم جامع كبير شريف بلاطه سبعة فائمة على سوارى بحجارة ضخمة منحوتة قد صفت قطعاً ووضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص وهي فطرطة الطول وبهذا المسجد آثار كريمة فتمايت ازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال ان الخليل صاوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع وعلى مقربة منه محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع وهو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهناك ضربه الشق بن بلجم والناس يقصدون الصلاة فيه وفي الزاوية من آخر هذا البلاط مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج يذكر أنه الموضع الذي فار منه النور حين طوفان فوج عليه السلام وفي ظهره خارج المسجد بيت يزعمون أنه بيت فوج عليه السلام وازاءه بيت يزعمون أنه متعباد درس عليه السلام ويتصل بذلك فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد

(١) راجع من صحيفة ٣٩١ الى صحيفة ٤٣٣ من الباب الرابع والباب الخامس من المقالة التاسعة عشرة من الترجمة الفرنسية لكاتب هرود المسمى بالمحفوظات على فلسفة علم التاريخ وكذلك ذكرها المؤلف السنية النفيسة الملقبة بتأثيرين بمحدثي القرون الثلاثة الاولى بعد تأسيسه في كل من عقول العرب الذين نشأ عنهم هذا الدين وأخلافهم وحكمومتهم حتى صارت على كيفية أخرى وكان طبع هذه التذكرة في مدينة ياريس سنة ١٨١٠ ميلادية أي سنة ١٢٢٠ هجرية

يقال انه موضع انشاء عينة فوح عليه السلام وفي آخر هذا الفضاء تار على بن أبي طالب رضى الله عنه والبيت الذى غسل فيه ويتصل به بيت يقال أيضا انه بيت فوح عليه السلام والله أعلم بصفة ذلك كله وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع يصعد اليه فيه قبر مسلم بن عقيل ابن أبي طالب رضى الله عنه وبقرية منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة بنتي الحسين عليه السلام وأما قصر الامارة بالكوفة الذى بناه سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه فلم يبق منه الا اساسه وانقرت من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقى منها وهو منتظم بحدائق النخل اللتفة المتصل بعضها ببعض ورأيت بغرب حياكة الكوفة موضعاً مسوداً شديداً بالسواد في بسيط أبيض فأخبرت أنه قبر الشقي ابن الحليم وأن أهل الكوفة يأتون في كل سنة بالحطب الكثير فيؤقدون النار على موضع قبره بجهة أيام وعلى قرب منه قبة أخبرت أنها على قبر الخزاز بن أبي عبيد ثم رحلنا ونزلنا بمراحة وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل ونزلات بخارجها وكهنت خولها لأن أهلها روافض ورحلنا منها الصبح فنزلنا مدينة الحلة وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع القرات وهو بشرقها ولها أسواق حسنة جامعة للرافض والصناعات وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منتظمة بها داخلها وخارجها ودورها بين الحدائق ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيمابين الشطين تحف بهم من جانبها سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل وأهل هذه المدينة كلها أممية اثنا عشرية وهم طائفتان احدهما تعرف بالأكراد والاخرى تعرف بأهل الجامعين والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم أبداً وبقرية من السوق الاكظم بهذه المدينة مسجد على باب مستر حرم مسدول وهم يسمونه مشهد صاحب الزمان ومن عادتهم أن يخرج في كل ليلة مائة رجل من أهل المدينة عليهم السلاح وبأيديهم السيوف مشهورة فيأتون أسير المدينة بعد صلاة العصر فيأخذون منه فرساً مسرجاً ملجماً أو بغلة كذلك يضربون الطبول والانتار والبوقات أمام تلك الدابة ويتقدمها خيوسون منهم ويتبعها مثلهم ويمشي آخرون عن يمينها وشمالها ويأتون مشهد صاحب الزمان فيقفون بالباب ويقولون باسم الله يا صاحب الزمان باسم الله اخرج قد ظهر الفساد وكثر الظلم وهذا أو آخر وجك فيفترق الله بين الحق والباطل ولا يزالون كذلك وهم يضربون الابواق والطبول والانتار الى صلاة المغرب وهم يقولون ان محمد بن الحسن العسكري دخل ذلك المسجد وغاب فيه وانه سيخرج وعوا الامام المنتظر عندهم وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الامير أجد بن رمية ابن أبي تقي أمير مكة وحكمها أعواماً وكان حسن السيرة يحمله أهل العراق الى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق فعذبه وقتله وأخذ الاموال والذخائر التي كانت عنده ثم سافرنا منها

الى مدينة كربلاء مشهدها الحسين بن علي عليه السلام وفي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل
ويسقيها ماء الفرات والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام
للوارد والصادر وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحد الا عن اذنهم فقبيل العتبة
الشريفة وهي من النضة وعلى الضريح المقدس قنديل الذهب والقضة وعلى الابواب أستار
الحرير وأعل هذه المدينة طائفتان أولاد خيك وأولاد فائز وفيهم القتال أبدأوهم جميعاً أمامية
يرجعون الى الأب واحد ولاجل فتنهم تخربت هذه المدينة ثم سافروا منها الى بغداد
(لابن بطوطه)

سفر ابن بطوطه الى القسطنطينية

وسافرنا في العاشر من شوال في صحبة الخاقون ياون وتحت حرمها ورحل السلطان في تسعينها
مراحله ورجع هو والملكة وولى عهدهم سائر الخواتين في صحبتهما رحلة ثانية ثم رجع
وسافر صحبها الامير يدرة في خمسة آلاف من عسكره وكان عسكر الخاقون نحو خمسة آلاف فارس
منهم خدامها من الممالك والروم نحو مائتين والباقي من الترك وكان معهم من الخواري نحو
مائتين أكثرهم روميات وكان لها من العربات نحو أربع مائة عربية ونحو ألفي فرس لجرها
والركوب ونحو ثلاث مائة من البقر ومائتين من الجمال لجرها وكان معهم من الفتيان الروميين
عشرة ومن الهندين مثلهم وقادهم الاكبر يسمى بسنبال الهندي وقائد الروميين يسمى بمخايل
ويقول له الزائر لؤلؤة ومن الشجعان لكباد وتركك أكثر جوارهم وأتقاهم بالجملة السلطان
اذ كانت قد توجهت برسم الزايرة ووضع الجبل وتوجهنا الى مدينة اكك (وهي بضم الهمزة وفتح
الكاف الاولى) مدينة متوسطة حسنة العمارة كثيرة الخيرات شديدة البرد وبينها وبين السمر
حضره السلطان مسيرة عشرة وعشرون يوماً من هذه المدينة جبال الروس وهم نصارى شقرا الشعوب
زرقي اللون قباح الصور أهل غدر وعندهم معادن القضة ومن بلادهم بؤق بالصوم وهي
سبائك القضة التي يباع ويشترى في هذه البلاد ووزن الصومة منها خمسة أواق ثم وصلنا بعد عشر
من هذه المدينة الى مدينة تسرداق (بضم السين المهملة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وآخره قاف)
وهي من مدن دشت فقنقج على ساحل البحر ومن ساها من أنظم المراسي وأحسنها وبخارجها
البساتين والمياه وينزلها الترك وطائفة من الروم تحت ذمتهم وهم أهل الصنائع وأكثر سيوتها
خشب وكانت هذه المدينة كبيرة تخرب معظمها بسبب فتنة وقعت بين الروم والترك وكانت
الغلبة للروم فانتصر لترك أصحابهم وقتلوا الروم شرقية ونفقوا أكثرهم وبقي بعضهم تحت الذمة
الى الآن وكانت الضيافة تجعل الى الخاقون في كل منزل من تلك البلاد من الجبل والغنم والبقر

والدوق والتمز وألبان البقر والسفر في هذا البلاد مضى ومعنى وكل أمير تلك البلاد يصحب
الخاتون بعساكر ما إلى آخره جلادته تعظيمها لالاخوفا عليها لان تلك البلاد آمنة ثم وصلنا إلى البلدة
المعروفة باسم بالسلطوق وبإحدى عدهم بعثناه عند البربر سواء الأتراك ففهمون البقاء (وسلطوق
بفتح السين المحلة واسكان اللام وضم الطاء المهملة وآخره قاف) ويزكرون أن سلطوق هذا
كان مكاشفا لكن يذكرونه أشياء يشكرها الشرع وهذه البلدة آخر بلاد الأتراك وبينها وبين
أول عمالة الروم ثمانية عشر يوما في برية غير معورة منها عايشة أيام الامام بهاسن وزود لها الماء
ويحمل في الروايا والقرب على العربات وكان دخولنا إليها في أيام البرد فلم نخش إلى كثير من الماء
والأتراك يرفعون الألبان في القرب ويحطون بها الدوق المطبوخ ويشربونها فلا يعطشون
وأخذنا من هذه البلدة في الاستعداد للبرية واحتجت إلى زيادة أفراس فأثبت الخاتون فأعلمنا بذلك
وكنتم أسلم عليها صابحا ومساء ومتى انتهت ضيافة تبعنا إلى بالفرسين والثلاثة وبالغنم فكنت
أترك الخيل لأذبحها وكان من معي من الغلمان والخدم يأكلون مع أصحابنا الأتراك فأجمع على
نحو خمسين فرسا وأمرت إلى الخاتون بخمسة عشر فرسا وأمر وكيلها ساروجة الرومي أن يختارها
حما من خيل المطبخ وقالت لا تحق فإن احتجت إلى غيرها زدناك ودخلنا البرية في منتصف
ذي القعدة فكان سيرنا من يوم فارقتنا السلطان إلى أول البرية تسعة عشر يوما وأقامتنا خمسة
ورحلنا من هذه البرية ثمانية عشر يوما مضى ومعنى ومارأينا إلا خيرا والحمد لله ثم وصلنا بعد ذلك
إلى حصن مهتولى وهو أول عمالة الروم (بفتح الميم وسكون الهاء وضم التاء المنناة وواو مد ولام
مكسورة وياء) وكانت الروم قد سمعت بقدوم هذا الخاتون على بلادها فوصلها إلى هذا الحصن
كفأى تقوله الرومي في عسكر عظيم وضيافة عظيمة وجاءت الخواتين والدايات من دار أبيها ملك
القسطنطينية وبين مهتولى والقسطنطينية مسيرة ثنتين وعشرين يوما منها ستة عشر يوما
إلى الخليج وثمانية منه إلى القسطنطينية ولا يسافر من هذا الحصن إلا بالخيول والبغال وتترك العربات
به لأجل الوعر والجبال وجاء كفأى الملك كوريفقال كثيرة وبعثت إلى الخاتون بستة منها
وأوصت أمير ذلك الحصن بمن تركته من أصحابي وغلماننا مع العربات والانتقال فأمر لهم بدار
ورجع الأمير بصدرة بعساكره ولم يسافر مع الخاتون إلا ناسها وتركتم مسجدها بهذا الحصن
وارتفع حكم الأذان وكان يؤتى إليها بالبحور في الضيافة فنشر بها وبنا الخنازير وأخبرت بعض خواصها
أنها أكلت ولم يبق معها من يصلي إلا بعض الأتراك كان يصلي معنا وتغيرت البواطن لدخولنا
في بلاد الكفر ولكن الخاتون أوصت الأمير كفأى بأكرامى ولقد ضرب مرة بعض عمالكم كمالا فاحمل
من صلاتنا ثم وصلنا حصن مسلمة بن عبد الملك وهو بسفح جبل على نهر زخار يقال له اصطميلي

ولم يبق من هذا الحصن إلا آثاره وبخارجه قرية كبيرة ثمس بناو من ووصلنا إلى الخليج وعلى ساحله
 قرية كبيرة فوجدنا فيه المد فاقنا حتى كنا لجزر وخصناه وعرضه نحو ميلين ومشيئنا أربعة أميال
 في رمال ووصلنا الخليج الثاني فخصناه وعرضه نحو ثلاثة أميال ثم مشينا نحو ميلين في حجارة ورمل
 ووصلنا الخليج الثالث وقد ابتدأ المد فعبنا فيه وعرضه ميل واحد فعرض الخليج كله ما بينه
 وبابيه اثنا عشر ميلا ونصير ما كان في أيام المطر فلا يتجاوز إلا في القوارب وعلى ساحل هذا الخليج
 الثالث مدينة الفينكة (بقضاء مفتوحة ونون وباء مدوكاف مفتوحة وهي صغيرة لكنهم أحسنه مانعة
 وكائسها وبنارها حسن والآنم ارتخوها والبساتين تحفها ويدخل بها العنب والاجاص والتفاح
 والسفرجل من السنة إلى الأخرى وأقنابهم هذه المدينة ثلاثا والخاتون في قصر لا يها منها لك ثم قدم
 أخوها شقيقها واسمه كفال قراس في خمسة آلاف فارس ساكنين في السلاح ولما أرادوا لقاء
 الخاتون ركب أخوها المذكور فرسا شهب وابس ثيابا بيضاء وجعل على رأسه مظلا مكلا
 بالجوهر وجعل عن يمينه خمسة من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم لابسين البياض أيضا وعليهم
 مظلات مزركشة بالشهب وجعل بين يديه مائة من المشائين ومائة فارس قد اسبقوا الدروع على
 أنفسهم وخيلهم وكل واحد منهم يقود فرسا مسرجا مدرعا عليه شكة فارس من البيضة المخوهره
 والدرع والتركش والقوس والسيف ويده رمح في طرف رأسه راية وأكثرت الرماح مسكوة
 صنائع الذهب والفضة وتلك الخيل المقوده هي مراكب ابن السلطان وقسم فرسانه على أفواج
 كل فوج فيه مائة فارس ولهم أمير قد قدم أمامهم عشرة من الفرسان ساكنين في السلاح وكل واحد
 منهم يقود فرسا وخلفه عشرة من العلامات مائة بأيدي عشرة من الفرسان وعشرة مابل
 يتقلدها عشرة من الفرسان ومعهم ستة يضربون الاوق والانتار والصرنايات وهي الغيظات
 وركبت الخاتون في ممالكها وجوارها وقبيلانم او خدامها وهم نحو خمسمائة عليهم ثياب الحرير
 المزركشة بالذهب المرصعة وعلى الخاتون - له يقال لها الخنم ويقال لها أيضا التسبيح مرصعة بالجواهر
 وعلى رأسها تاج مرصع وفرسها مجمل مجل حرير مزركش بالذهب وفي يديه ورجليه خلاخل
 الذهب وفي عنقه قلادة مرصعة وعظم السرج مكسو ذهبيا مكلل جواهر او كان النقاوها في بسط
 من الارض على نحو ميل من البلد وترجل لها أخوها الله أصغر سننا منها وقبل ركابها وقبلت رأسه
 وترجل الاسراء أو اولاد الملوك وقبوا جميعا ركابها وانصرفت مع أخيها وفي غد ذلك اليوم وصلنا
 إلى المدينة الكبيرة على ساحل البحر لا تبعد إلا ثمانية أميال وأنشجارنا لنا بخارجها ووصل
 أخوان الخاتون إلى الهدى في ترتيب عظيم وعسكر نخم من عشرة آلاف مدرع وعلى رأسه تاج
 وعن يمينه نحو عشرين من أبناء الملوك وعن يساره مثلهم وقد رتب فرسانه على ترتيب أخيه

سواء الآن الحفل أعظم والجمع أكثر وتلاقت معها أخته في مثل زعيم الاول وترجل جميعه أو أوفى
بجبا، حير فدخلانية فلا أعلم كيفية سلامهما ونزنا على عشرة أميال من القسطنطينية فلما كان
بالفد خرج أهلها من رجال ونساء وصبيان وبكبان ومشاة في أحسن زى وأجل لباس وضربت
عند الصبح الطبول والابواق والاذنار وركبت العساكر وخرج السلطان وزوجته أم هذه الخاتون
وأرباب الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحمل جله من الفرسان ورجال بأيديهم عصى
طوال في أعلى كل عصا شبه كرم من جلد يرفعون بها الرواق وفي وسط الرواق مثل القبة يرفعها
الفرسان بالعصى ولما أقبل السلطان اختلطت العساكر وكثر الججاج ولم أقدر على الدخول في أيديهم
فلزمت أفتال الخاتون وأصحابها خوفا على نفسى وذكرى أنهم لم يقربت من أبوابها ترجأت
وقبلت الأرض بين أيديهما ثم قبلت حافرى فرسهما وفعل بكار أصحابها مثل فعلها في ذلك وكان
دخولنا عند الزوال أو بعده إلى القسطنطينية العظمى وقد ضربوا نواقيسهم حتى ارتجت الأفاق
لاختلاط أصواتها ولما وصلنا الباب الاول من أبواب قصر الملك وجدنا به مائة رجل معهم قائد لهم
فوق دكانه وسعهم يقولون سرا كنوسرا كنوسر ومعناه المسلمون ومنعونا من الدخول فقال لهم
أصحاب الخاتون انهم من جهتنا فقالوا لا يدخلون الا بالاذن فأقننا بالباب ونهب بعض أصحاب
الخاتون فبعث من أجلها بذلك وهي بين يدي والدها فذكرت له شأننا فأمر بدخولنا وعين لنا دارا
بقرية من دار الخاتون وكتب لنا أمر ابان لا نعترض حيث نذهب من المدينة ونودى بذلك
في الاسواق وأقننا بالدار ثلاثا فبعث اليها الضيافة من الدقيق والخبز والغنم والدجاج والسمن
والفاكهة والحب والاراهم والفرش وفي اليوم الرابع دخلنا على السلطان (لا بن بطوطه)

وصف جزيرة اندلس

أقول محاسن الاندلس لاستوفى بعبارته ومجاري فضلها لا يشق غباره وأنى تجارى وهي حاضرة
قصب السبق في أقطار الغرب والشرق قال ابن سعيد انما سميت بالاندلس بن طوليب بن يافث
ابن نوح لانه زلها كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدو المقاتلة لها واليه تنسب سبتة قال وأهل
الاندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لانهم اما عرب أو معربون انتهى
وقال ابن غالب الله أندلس بن يافث والله أعلم خص الله تعالى بلاد الاندلس من الريع وغدق السقيا
ولذا ذلة الاقوات وفراحة الحيوان ودور القواكه وكثرة المياه وتجر الممران وجودة اللباس
وشرف الانية وكثرة السلاج وصحة الهواء وايضا ألوان الانسان ونبل الازدهان وفنون
الصنائع وشهامة الطبائع ونفوذ الادراك واحكام المدن والاعمار يحلهمه الكثير من الاقطار
مما سواها انتهى

وقال أبو عمار السلي في كتابه المسمى بدر القلائد وغرر القوائد الاندلس من الاقليم الشامي وهو خير الاقاليم وأعدلها هواؤها وزيادها أعذبها ماء وأطيبها هواؤها وحيوانها أنبأ وأهواؤها وسط الاقاليم وخير الامور وأساطها انتهى

قال أبو عبيد البكري : الاندلس شامية في طبيعتها وحيوانها يمانية في اعتدالها واستوائها هندية في عطرها وذو كائنها اهوازية في عظم جبابتها صينية في جواهر معادنها عذنية في منافع سواحلها فيها آثار عظيمة للمونانيين أهل الحكمة وحاملو الفلسفة وكثمن ملوكهم الذين آثروا الآثار بالاندلس هرقلس وله الآثار في الصنم بجزيرة قانس وصنم جليقية والآثر في مدينة طركونة الذي لا نظيره

قال المسعودي بلاد الاندلس تكون مسيرة عمارها ومدينتها نحو شهرين ولها من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى باختصار ونحوه لابن اليسع اذ قال طولها من اربونة الى اشبونة وهو قطع اثنين يوم الفارس المجد والتقدير بأمرين أحدهما أنه يقتضي أن اربونة داخلية في جزيرة الاندلس والصحيح انها خارجة عنها والثاني أن قوله ستين يوما لا نارس المجد اعياها وافرط وقد قال جماعة انه شهر ونصف قال ابن سعيد وهذا يقرب اذا لم يكن للفارس المجد والصحيح مانص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر وكذا قال البخاري وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمرحل الجيدة أفضى الى نحو شهر ونصف قليل

قال البخاري في موضع من كتابه ان ما ول الاندلس من المجاز الى اشبونة ألف ميل ونصف انتهى وبالجملة فالمراد ان تقرب من غير مساحة كما قاله ابن سعيد وأطال في ذلك ثم قال بعد كلام ومسافة المجاز الذي بين بحر الزقاق والبحر المحيط أربعون ميلا وهذا عرض الاندلس عند رأسها من جهة الشرق ولقلة سميت جزيرة الافليس بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس في موسطها عند طلبة طلة ستة عشر يوما

قال الشيخ احمد بن محمد بن موسى الرازي بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كرم البقعة طيب التربة خصب الجنب منجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام ذوات السموم معتدل الهواء والجو والتسيم ربيع وخريفه ومشتاه ومضيفه على قدر من الاعتدال وسطه من الحال لا يتولد في أحدها فصل يتولد منه فيما يتولدوا تقاص تتصل فوا كهم أكثر الازمنة وتدمر متلاحقة غير مفقودة أما الساحل منه فواحيه في بادريا كوره وأما النغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فيأخر الكثير من عمره فداثة الخيرات بالبلد متملاية في كل الاحيان وفوا كهم على الجملة غير معدومة في كل أوان وله خواص في كرم النبات توافق في بعضها

أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره منها أن الحلب وهو المتقدم في الافاويه والمفضل في أنواع الاشنان لا ينبت بشئ من الارض الا بالهند والاندلس ولاندا لاس المدن الحصينة والمعقل المنيعه والاع الحريرة والمصانع الجليلة ولها البر والبحر والسبل والوعر وشكلها مثلث

وهي ممتدة على ثلاثة اركان الاول هو الموضع الذي فيه صم قادن المشهور بالاندلس ومنه يخرج البحر المتوسط الشامي الاخذ قبلي الاندلس والركن الثاني هو بشرق الاندلس بين مدينة برنونة ومدينة برديل مما بآيدى القرنجة اليوم بازاجزى رقى ميورقة ومنورقة بمجاورة من البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط وبينهما البر الذي يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلاد الاندلس من الارض الكبيرة على بلدنا فحجة مسافة بين البحر من مسيرة يومين ومدينة برنونة تقابل البحر المحيط والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حين جليقية حيث الجبل الموق على البحر وفيها الصنم العالى المشبه بصنم قادن وهو الطالع على بلد بريطانية

قال والاندلس أندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وبحريان أنهارها أندلس غربي وأندلس شرقي فالغربي منها ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربي ويمطر بالرياح الغربية ومبتدأ هضبا الحوز من ناحية المشرق مع المنازة الخارجة مع الجوف الى بلد ستمارية طالع الى حوز أغرطة المجورة لطليطة ماء الى الغرب ومجاورة للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الخلفاء التي من بلد لورقة والحوز الشرقي المعروف بالاندلس الاقصى وتجري أوديته الى الشرق وأمطاره بالرياح الشرقية وهو من حد جبل البشكنش هابطا مع وادى ابرة الى بلد ستمارية ومن جوف هذا وغربه البحر المحيط وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجرى البحر المتوسط الخارج الى بلد الشام وهو البحر المسمى ببحر تيران ومعناه الذي يشق دائرة الارض ويسمى البحر الكبير انتهى

قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكيم المعروف بابن النظام بلد الاندلس عند علماء أهله أندلسان فالاندلس الشرقي منه ما صبت أوديته الى البحر الرومي المتوسط المتصاعدين أسفل أرض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة تدمير الى سر قسطة والاندلس الغربي ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب فالشرق منهما يطر بالرياح الشرقية ويصلح عليها والغربي يطر بالرياح الغربية وبها صلاحه وجباله باطية الى الغرب جباله د جبل وانما قسمته الاوائل جزئين لاختلافهما في حال امطارهما وذلك انه مهما استحكمت الرياح الغربية كثرت مطر الاندلس الغربي وقط الاندلس الشرقي ومن استحكمت الرياح الشرقية كثرت مطر الاندلس الشرقي وقط الغربي وأوديته هذا القسم تجرى من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس الغربي تمتد الى الشرق جبال بعد جبل تقطع من الجوف الى القبلة

والأودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها إلى القبلية وبعضها إلى الشرق وتنصب كلها إلى البحر المحيط بالاندلس القاطع إلى الشام وهو البحر الرومي وما كان من بلاد جوف الاندلس من بلاد جليقية وما يليها فإن أوديتها تنصب إلى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف وصفة الاندلس شكل مكن على مثال انشكل المثلث ركنها الواحد في ما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع البحر عند صنم قانس وركنها الثاني في بلاد جليقية حيث الصنم المشبه بمنم قانس مقابل جزيرة بريطانيا وركنها الثالث بين مدينة برونوة ومدينة برديل من بلاد الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط فيكاد ان يجتمعان في ذلك الموضع فيصير بلد الاندلس جزيرة بينهما في الحقيقة لولأنه يبقى بينهما برزخ برية صحرا وعامرة مسافة مسيرة يوم للراكب منه المدخل إلى ارض الكبيرة التي يقال لها الابواب ومن قبله يتصل بلد الاندلس بتلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة ذات اللسان المختلفة

قال ابن سعيد وميزان وصف الاندلس أنها جزيرة قد أحدها قديم البحار فأكثر فيها الخصب والعمارة من كل جهة حتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من المارة ما بين قرى ومياه ومزارع والصحارى فيها معدومة ومما اخصت به أن قراها في نهاية من الجبال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبعضها الثلاث تسمى العيون عنها فهي كما قال الوزير ابن الجندب

لاحت قراها بين خضرة أيكها * كالدرين زبرجد مكنون

وتدريجيت للدخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التي تكدر العين بسوادها ويضيق الصدر بضيق أوضاعها وفي الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة المصرة من مثلها والمثال في ذلك أنك إذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر مدينة نرديش وهي في نهاية من الحضارة والنضارة ثم إليها الجزيرة الخضراء كذلك ثم مالقة وهذا كثير في الاندلس ولهذا كثرت مدنها وأكثرها موزون من أجل الاستعداد للعدو فحصل لها بذلك التشديد والترين وفي حصونها ما يقي في محاربة العدو ما ينفى على عشرين سنة لا تمناع ما قلها ودربة أهلها على الحرب واعتيادهم لمحاربة العدو بالطين والضرب وكثرة ما تخزن الغلة في مطاميرها فتها ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة قال ابن سعيد ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح إلى الآن وإن كان العدو قد نقصها من أطرافها وشارك في أوضاعها ففي البقية متعة عظيمة فأرض بقى فيها مثل اشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وما يضاف إلى هذه الحواضر العظيمة المصرة الرجا فيها أقوى بحول الله وقوته انتهى وقال بعضهم في اشبيلية أنها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب واللهو والطرب وهي على ضفة النهر الكبير عظمية الشأن طيبة المكان لها البر المديد والبحر الساكن والوادي العظيم

وهي قرية من البحر المحيط الى أن قال ولولم يكن لها من الشرف الانوضع الشرف المقابل المثل عليها المشهور بالزيتون الكثير المتسد فراسخ في فراسخ لكفى وبها منارة في جامعها بناها يعقوب المنصور ايس في بلاد الاسلام أعظم بناعتها وعسل الشرف يقي حيناً لا يتمل ولا يتبدل وكذلك الزيت والتين وقال ابن مفلح ان اشيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفي عنقها سمط النهر الاعظم وليس في الارض أتم حسناً من هذا النهر يضاهي دجلة والفرات والنيل تسير القوارب فيه للترفة والسيور والصيد تحت ظلال الثمار وتقرب الاطيار أربعة وعشرين ميلاً ويتعاطى الناس السرخ من جانيه عشرة فراسخ في عارة متصلة ومنارات من رنة وأبراج مشيدة وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى وبالجملة فهي قد حازت البر والبحر والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس وقصب السكر ويجمع منها القرمز الذي هو أجل من اللؤلؤ الذي وزيتونها يحزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى انتهى ملخصاً

ولما ذكر ابن السبع الاندلس قال لا يزدونها أحداً حيث سلك لكثرة أنهارها وعمورها وربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى وهي بطاح خضر وقصور يرض قال ابن سعيد وأنا أقول كلاماً فيه كفاية منذ خرجت من جزيرة الاندلس وطفت في البر العذوة ورأيت مدنها العظيمة كراش وفاس وسبته ثم طفت في أفريقية وما جاورها من المغرب الاوسط فرأيت بجاية ونوتس ثم دخلت النصاريا المصرية فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلب وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الاندلس في مباهها وأشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام وفي حامة مسحة أندلسية ولم أر ما يشبهها في حسن المباني والتشييد والتصنيع الا ما شيد بمراسك في دولة بني عبد المؤمن وبعض الاماكن في نوتس وان كان الغالب على نوتس البناء بالحجارة كالاكندرية ولكن الاسكندرية أفسح شوارع وأبسط وأبدع ومباني حاب داخلها فيما يستحسن لانها من حجارة صلبة وفي وضعها وترتيبها الققان انتهى

ومن أحسن ما جاء من النظم في الاندلس قول ابن سقر لربني والاحسان له عادة

في أرض أندلس تلتذ نعيم * ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس في غيرها بالعيش منتفع * ولا تقوم بحق الانس صهايا
وأين يعدل عن أرض تحض بها * على السدامة أمواه وأفياء
وكيف لا يهيج البصار رؤيتها * وكل روض بها في الوشي صنعاء

(١٦) القطع المختبة (جزء اول)

أنهارها فضة والمسك ترتبها * وانلخر روضتها والدر حصباء
ولله سواء بها لطف يرق به * من لا يرق ويسدومته أهواء
ليس النسيم الذي يهفوها محرا * ولا انتشار لآلى الطفل أنداء
وانما أروح النسد استثار بها * في ماء ورد قطابت منه أرجاء
وأين يبلغ منها ما أصنفه * وكيف يحوى الذى حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض حين بدت * فسريرة وتولى ميزها الماء
دارت عليها ناطقا بأبحر خفت * وجدلها اذ تبدت وهي حسناء
لذلك يسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللأغصان اصغاء
فيها خلعت عذارى ما به اعوض * فهي الرياض وكل الارض صحراء
ولله در ابن خفاجة حيث يقول

ان العنسة بالاندلس * مجتملى مرآى ورياقس
فنبصبتها من شنب * وذبحى ظلمتها من لعن
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشواقى الى الاندلس

قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذا الايات وهو بالمغرب الأقصى في بر العدة ومزله في شرق
الاندلس بجزيرة شقر وقال ابن سعيد في المغرب ما نصه قواعد من كتاب الشهب الناقبة في الانصاف
بين المشاركة والمغاربة أول ما تقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالاندلس فنقول إنها مع ما أبدي
عبدا الصليب منها أعظم سلطنة كثرت بحالكها وتشعبت في وجوه الاستظهار للسلطان أعانتها
ونزع كلامنا في هذا الشأن وثقل ما قاله ابن حوقل النصيب في كتابه لما دخلها في مدة خلافة
بني مروان بن أبي السائب الرابعة وذلك أنه لما وصفها قال وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها
دون الشمر في عرض نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الحارية والشجر والنمر والرخص
والسعة في الاحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر الى أسباب التملك الفاسية فيها ولما هي به
من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته تلك ذلك منهم مهيمنهم وأرباب صنائعهم لقلته مؤتمهم وصلاح
بلادهم ثم أخذ في عظم سلطانهم او وصف وفورجباياته وعظم مرافقه
وقال في أثناء ذلك ومما يدل بالقليل منه على كثيره أن سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها في
كل سنة ما شاء ألف دينار وصرف الدينار سبعة عشر درهما هذا الى صدقات البلد ورجباياته ونزاجاته
وأعشاره وخدماته والاموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك وذكر ابن
بشكوال ان جباية الاندلس بلغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأر بعائة
ألف وثمانين ألفا من السوق والمستخلص سبعائة ألف وخمسة وستون ألف دينار

ثم قال ابن حوقل ومن أعجب ما في هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية وبالسالة ولقاء الرجال ومراس الاتحاد والابطال مع علم أمير المؤمنين بحملها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها وذلالتها قال علي بن سعيد لم أريد أن أثبت هذا الفصل وإن كان على أهل بلدى فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة وليت شعري ان سلب أهل هذه الجزيرة العقول والاراء والمهم والشجاعة من الذين دبروها بآرائهم وعقولهم مع مرارعة أعدائها المجاورين لها من خمسة سنة ونيف ومن الذين جوهها بسبب التهم من الامم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصر الصليب وانى لا يجب منه اذا كان في زمان فدلغت فيه عباد الصليب الى الشام والجزيرة وعانوا كل العيش في بلاد الاسلام حيث بالجهور والقبه العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب وما أدراك ففعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بهم من كل جهة الى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التواريخ ومن أعظم ذلك وأشدهم كانوا يتغلبون على المحسن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بساط بلادهم فيسجون وبأسرون فلا يجتمع هم الملوك المجاورة على حسم الماء في ذلك وقد يستعين به بعضهم على بعض فيمكن من ذلك الماء الذي لا يطب وقد كانت جزيرة الاندلس في ذلك الزمان بالاضمن البلاد التي تركها ورأى ظهره وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره (من كتاب فتح الطيب)

في خواص مصر العامة لها

ان أرض مصر من البلاد المحيطة الآثار الغربية الاخبار وهي وادي كسنة بجبلان شرقي وغربي والشرقي أعظمهما يتدآن من اصوان ويقاربان باسنا حتى يكادان يقاسان ثم ينفر جان قبله قليلا وكلاهما سدا ولا انفرجا عرضا حتى اذا حاذيا القسطاط كان بينهما مسافة يوم فادونه ثم يقبعا دنأ أكثر من ذلك والتيل ينساب بينهما ويتشعب باسافل الارض وجميع شعبه نصب في البحر الملح

وهذا النيل له خاصتان الاولى بعد مرمه فانا لانعلم في المجرورة نهرا أبعد مسافة منه لان مبادئه عيون تأتي من جبل القرو زرعوا أن هذا الجبل ورام خط الاستواء باحدى عشرة درجة وعرض اصوان وهي مبدأ أرض مصر اثنتان وعشرون درجة ونصف درجة وعرض دمياط وهي أقصى أرض مصر احدى وثلاثون درجة وثلاث درجة فتكون مسافة النيل على خط مستقيم اثلاثا وأربعين درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسعمائة فرسخ هذا سوى ما يأخذ من التعرج والتوريب فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا

والخاصة الثانية أنه يزيد عند نزوب سائر الانهار ونشيش المياه لانه يتبدى بالزيادة عند انهما طول
النهار وتناهى زيادته عند الاعتدال الخريفى وحينئذ تفتح الترع وتفيض على الاراضى وعلة
ذلك أن موادر زيادته أمطار غزيرة دائمة وسيول متواصلة تتمده في هذا الاوان فان أمطار الاقليم
الاول والثاني انما تغزر في الصيف والقيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خواص منها أنه لا يقع بها مطر الا ما لا احتفال به وخصوصا صعيدا
فاما أسافلها فقد يقع بها مطر وجود لكنه لا يفي بحاجة الزراعة وأما دمياط والاسكندرية وما
دناها فهي غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى النيل
ومنها أن أرضها ميلة لا تصلح للزراعة لكنه يأتيها طين اسود علك فيه دسومة كثيرة يسمى الابلز
يأتيها من بلاد السودان محتلا طينها النيل عند مدمه فيستقر الطين وينضب الماء فيعثر ويزرع
وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يراعى شئ منها كما يفعل في العراق والشام
لكنها تختلف عليها الاصناف وقد خلطت العرب ذلك فانه تقول اذا كثرت الرياح جادت الحرارة
لانها تأتي بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت الماؤن فكات زكا الزرع ولهذا العلة تكون أرض
الصعيد زكية كثيرة الاناواربع اذ كانت أقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير
بخلاف أسفل الأرض فانه اسافة (١) مضيوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها الماء
وقدر أقل وصفا ولا أعرف شيئا بذلك الا ما حكى لي عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه
وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيسلبد فيمحور ويزرع فاذا حصد جاءه تراب آخر
فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا

ومنها أن الفصول بهم اقل من غيرها عن طبيعتها التي لها فان أخص الاوقات باليبس في سائر البلاد أعنى
الصيف والخريف نكثرت فيه الرطوبة بمصر بحد نيلها وفيه لانه يمد في الصيف ويطبق الأرض
في الخريف فاما سائر البلاد فان مياهها تنش في هذا الاوان وتغزى في أخص الاوقات بالرطوبة
أعنى الشتاء والربيع ومصر اذ ذلك تكون في غاية القحولة واليبس ولهذا العلة تكثر عقوباتها
واختلاف هوائها وتقلب على أهلها الامراض العنيفة الحادة عن أخلط صفراوية وبلغية
وقلما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى في الشبان والمخمرورين وكثيرا
ما يكون مع الصفراء خام وأكثر أمر اضمهم في آخر الخريف وأول الشتاء لكنها تغلب عليها حميد
العاقبة وتقل فيهم الامراض الحادة والنموية الوحيدة وأما أسافلهم فيغلب عليهم الترهل
والكسل وشحوب اللون وكودته وقلما ترى فيهم مشبوب اللون ظاهر الدم وأما صبيانهم فضاويون

(١) أسافة أرض أسافة أي رقيقة أو لا تبت كافي القاموس

يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وانما تحدث لهم البسادة والقمامة غالباً بعد العشرين وأما ذكائهم ونوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلهذا بلدهم الذاتية لأن رطوبته عرضية ولهذا كان أهل الصعيد أقل جسموا وأجف أخرجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنوا القسطنطين الى دمياط وأرطب أبداً والغالب عليهم البياض

ولما رأى قدماء المصريين أن عمارة أراضهم انما هي ينيلها جعلوا أول سنتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيادة

ومنها أن الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرقى المسمى المقطم فانه يستريح عنه اهذه الريح القاضية ولما تمب عليهم خالصة اللهم الاتكاء ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها محمية عن هذا الجبل الشرقى الى الغربى واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا موضع القسطنطين لقربه من المقطم فان الجبل يستريح على خلفه أكثر مما يستريح عليه منه ثم ان الشمس يتأخر طابعها عليهم فيقل في هوائهم النضج ويبقى زمانا على غم واللبل وانك تجد المواضع المنكشفة للصبان أرض مصر أحسن حالاً من غيرها ولكثرة رطوبته يتسارع العفن اليها ويكثر فيها الفأر ويتولمن الطين والقاربتكثر بقوص وكثيرا ما تقتل بلسبها والبق المتن والغناب والبراغيث تدوم زمانا طويلا

ومنها أن الجنوب اذا هبت عندهم في الشتاء الريح وفيما بعد ذلك كانت باردة جدا ويسمونها المريسى لمرورها على أرض المريس وهى من بلاد السودان وسبب برد هاهمورها على برك ونقاائع والدليل على صحة ذلك أنها اذا دامت أياما متوالية عادت الى حرارتها الطبيعية وأسخت الهواء وأحدثت فيه يبسا (من كتاب الافاده والاعتبار لعبد اللطيف البغدادى)

(الجامع الازهر)

هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولى الامام أبى تميم معدا خليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله لما خطط القاهرة وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لست بقين من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة فوجع فيه وكتب بدار القبة التى فى الرواق الاول وهى على عينة الهراب والمنبر ما نصه بعد البسلة مح أمير بيتنا عبد الله ووليه أبوتميم معدا الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صارت الله عليه وعلى آله وبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك في سنة ستين وثلثمائة وأولى جمعة جعت فيه في شهر رمضان المسبع خلون منه سنة احدى وستين

وثلاثمائة ثم ان العزيز بالله أيام منوز ابن العزيز بن الله جدد فيه أشياء وفي سنة ثمان وسبعين
 وثلاثمائة سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلث الخليفة العزيز بالله في صلته رزق جماعة من
 الفقهاء فأطلق لهم ما يئكل كل واحد منهم من الرزق الناض وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت
 بجانب الجامع الأزهر فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلي
 العصر وكان لهم أيام من مال الوزير صلت في كل سنة وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلاً وخلع
 عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحلهم على بقلات ويقال إن هذا الجامع طلس ما فلا يسكنه عصفور
 ولا يفرخ به وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره وهو صورة ثلاثة طيور منقوشة كل صورة
 على رأس عمود فتم صورته في مقدم الجامع بالزوايا الخامس منها صورة في الجهة الغربية
 في العمود وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من استقبل سدة المؤذنين والصورة الأخرى
 في الحصن في الأعمدة القبلية بمقابل الشرقية ثم إن الحاكم بأمر الله جدد ووقف على الجامع الأزهر
 وجامع القس والجامع الحامكي ودار العلم بالقاهرة وبها جامع وضع ذلك كتابا سنه هذا كتاب
 أبيه قاضي القضاة مالك بن سعيد بن مالك القاري على جميع مناسب إليه مما ذكر ووصف فيه
 من حضر من اليهود في مجلس حكمه وقضائه بفسطاط مصر في شهر رمضان سنة أربع مائة شهدهم
 وهو يومئذ قاضي عبد الله ووليته المنصور أبي على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن الإمام
 العزيز بالله صلوات الله عليهم ما على القاهرة العزيزة ومصر والاسكندرية والحرمين حرسهما الله
 وأجناد الشام والرقوة والرجة وفواحي المغرب وسائر أعمالهن وما فتحه الله ويفتحه لأمير المؤمنين
 من بلاد الشرق والغرب بمحض رجل منكم أنه سمعت عنده معرفة للمواضع الكاملة والخصص
 الشائعة التي يذكر جميع ذلك ويحدد في هذا الكتاب وأنها كانت من أملاك الحاكم إلى أن حبسها
 على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة والجامع براسدة والجامع بالقس اللذين أمر بانشائها
 وتأسيس بنائها وعلى دار الحكمة بالقاهرة المحروسة التي وقفها والكتب التي فيها قبل تاريخ هذا
 الكتاب منها ما يخص الجامع الأزهر والجامع براسدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة مشاعا
 جميع ذلك غير مقسوم وهما ما يخص الجامع بالقس على شرائط يجزى ذكرها فمن ذلك ما تصدق
 به على الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة والجامع براسدة ودار الحكمة بالقاهرة المحروسة جميع الدار
 المعروفة بدار الضرب وجميع القيسارية المعروفة بقيسارية الصوف وجميع الدار المعروفة
 بدار الخرق الجديدة الذي كله بفسطاط مصر ومن ذلك ما تصدق به على جامع القس جميع أربعة
 الجوانب والمنازل التي عليها والخزائن الذي كله بفسطاط مصر بالإيد في جانب الغرب من الدار
 المعروفة كانت بدار الخرق وهاتان الداران المعروفتان بدار الخرق في الموضع المعروف بمحامي الفار

وفى ذلك جميع الحصص الشائعة من الاربعة الخوانيت المتلاصقة التى بفسطاط مصر بالراية
 أيضا بالوضع المعروف بمحمام القار وتعرف هذه الخوانيت بمحصى القيسى بمقدود ذلك كله وأرضه
 وبناؤه وسقاه وعلاه وغرفه ومر تقائه وخوانيته وساحاته وطرقه وعماراته وبحار مياهه وكل حق
 هو له داخل فيه وخارج عنه وجعل ذلك كله صدقة موقوفة بحجرة محبسة بته تلة لا يجوز بيعها
 ولا هبتها ولا تعليقها بأقضية على شروطها جارية على صلبها المعروفة فى هذا الكتاب لايونها تقدم
 السنين ولا تغير بمحدث حدث ولا يستثنى فيها ولا يتأول ولا يستثنى بتجدد تعيينها مدي الاوقات
 وتسقر شروطها على اختلاف الحالات حتى يرث الله الارض والسموات على أن يؤجر ذلك
 فى كل عصر من ينتهى اليه ولايتها ويرجع اليه آخرها بعد مر اقضية الله واجتلاب ما يوفى من قضايتها
 من انهارها عند ذوى الرغبة فى اجارة أمثالها فينتدأ من ذلك بمصار ذلك على حسب المصلحة
 وبقاها العين ومهرته من غير اجحاف بما حبس ذلك عليه وما فضل كان مقسوما على ستين سهما
 فى ذلك الجامع الازهر بالقاهرة المحروسة المذكور فى هذا الاشهاد الخامس والثلث ونصف السدس
 ونصف التسع بصرف ذلك فيما فيه عمارة ومصلحة وهو من العين المعزى الوزان ألف دينار
 واحدة وسبعة وستون دينارا ونصف دينار وعشرون دينار من ذلك الغطيب بهذا الجامع أربعة
 وعشرون دينارا ومن ذلك لثمن ألف ذراع حصر عبدانية تكون عمدة له بحيث لا ينقطع من حصره
 عند الحاجة الى ذلك ومن ذلك لثمن ثلاثة عشر ألف ذراع حصر مظفورة لكسوة هذا الجامع
 فى كل سنة عند الحاجة اليها مائة دينار واحدة وعشيرة دينار ومن ذلك لثمن ثلاثة قناطير زجاج
 وفراخها اثني عشر دينارا ونصف وربع دينار ومن ذلك لثمن عود همدى البخور فى شهر رمضان
 وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع خمسة عشر دينارا ومن ذلك لنصف قنطار شع
 بالقفلى سبعة دنائير ومن ذلك لكس هذا الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وعش الخيط
 وأجرة الخياطة خمسة دنائير ومن ذلك لثمن مشاققة لسرج القناديل عن خمسة وعشرين رطلا
 بالرطل القنطاري دينار واحد ومن ذلك لثمن فحم البخور عن قنطار واحد بالقفلى نصف دينار
 ومن ذلك لثمن أردنين لمال القناديل ربع دينار ومن ذلك ما قدر لثمنه الخماس والسلاسل والتناير
 والقباب التى فوق سطح الجامع أربعة وعشرون دينارا ومن ذلك لثمن سلب ليف وأربعة أجبل
 وست دلا مائة نصف دينار ومن ذلك لثمن قنطارين خرقا لمسح القناديل نصف دينار ومن ذلك
 لثمن عشر قفاق الخشمة وعشرة أرطال قنب لتعليق القناديل ولثمن مائتي مكندسة لكنيس هذا
 الجامع دينار واحد وربع دينار ومن ذلك لثمن أريان خار تنصب على المصنوع ويصب فيها الماء
 مع أجرة حملها ثلاثة دنائير ومن ذلك لثمن زيت وفود هذا الجامع راتب السنة ألف رطل

وما يشارطل مع أجرة الحمل سبعة وثلاثون ديناراً ونصف ومن ذلك لارزاق المصلين بعسى الأئمة
 وهم ثلاثة وأربعة قومة وخمسة عشر مؤذناً وخمسة دينار وستة وخمسون ديناراً ونصف
 منها المصلين لكل رجل منهم ديناران وثلاثون ديناراً وعشرون ديناراً في كل شهر من شهر راس السنة والمؤذنون
 والقومة لكل رجل منهم ديناران في كل شهر ومن ذلك للشرف على هذا الجامع في كل سنة أربعة
 وعشرون ديناراً ومن ذلك لكس المصنع هذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ دينار
 واحد ومن ذلك لمرمة ما يحتاج إليه في هذا الجامع في سطحه وأترابه وحياطته وغير ذلك مما قدر
 لكل سنة ثمانون ديناراً ومن ذلك لثمن مائة وثمانين جل ثمن ونصف جل جارية للعلف رأسى بقر
 للمصنع لهذا الجامع ثمانية دنانير ونصف دينار وثلاثون ديناراً ومن ذلك لثمن مخزن يوضع فيه بالقاهرة
 أربعة دنانير ومن ذلك لثمن فدانين قرط لتربيع رأسى البقر المذكورين في السنة تسعة دنانير
 ومن ذلك لأجرة متولى العلف وأجرة السقا والحبال والقواديس وما يجرى مجرى ذلك خمسة عشر
 ديناراً ونصف ومن ذلك لأجرة قيم الميضأ ان عملت بهذا الجامع اثني عشر ديناراً والى هنا انقضى
 حديث الجامع الازهر وأخذ في ذكر جامع راشد ودار العلم وجامع المقس ثم ذكر أن ثمانية الفضة
 ثلاثة دنانير وتسعة وثلاثون قنديلا فضة فلجامع الازهر ثوران وسبعة وعشرون قنديلا
 ومنها لجامع راشد ثوران واثنا عشر قنديلا وشرط أن تعلق في شهر رمضان وتعد الى مكان جرت
 عاداتها أن تحفظ به وشرط شروطا كثيرة في الاوقاف منها أنه اذا فضل شيء واجتمع يشتري به ملك
 فان عازى أو استبدم ولم يفرع بعارته بيع وعمره وأشياء كثيرة وجبس فيه أيضا عدة أدر
 وقياسر لا فائدة في ذكرها فانها مما حرت بعصر قال ابن عبد الظاهر عن هذا الكتاب ورأيت منه
 نسخة واتت الى قاضى القضاة تقي الدين بن رزدين وكان يصدر هذا الجامع في محرابه منطقة فضة
 كما كان في محراب جامع عمرو بن العاص عصر قلع ذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب في حادى عشر
 ربيع الاول سنة تسع وستين وخمسمائة لانه كان فيها انتهاء خلفاء الفاطميين فجاء وزنها خمسة
 آلاف درهم نقرة وقلع أيضا المناطق من بقية الجوامع ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضا
 وجدده المحافظ لدين الله وأنشأ فيه مقصورة لطيفة تجاور الباب الغربى الذى في مقدم الجامع
 بناخل الرواقات عرفت بمقصورة فاطمة من أجل أن فاطمة الزهراء رضی الله تعالى عنها رويت بها
 في الامام ثم انه جدد في أيام الملك الظاهر بغير السند قد ارى قال القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر
 في كتاب نسبه الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين
 وسمائه أقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك أن الامير عز الدين أيدهم الحلج كان جار
 هذا الجامع من مدته سنين فرعى وفعده الله خرمه قجار ورأى أن يكون كاهوجاره في دار الدنيا

أنه غدا يكون نوابه جاره في تلك الدار ورسم بالنظر في أمره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها في أيدي جماعة وحاط أموره حتى جمع له أشياء صالحة وجرى الحديث في ذلك فتبرع الأمير عز الدين له بمجملته مستكثرة من المال الخزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع في عمارته فعمر الواهي من أركلته وجدرانها ويضيه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه وكساه حتى عاد حراما في وسط المدينة واستجده مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الأمير بيلين الخازن دار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محمد بن اسمعيل الحديث النبوي والرفائق ووقف على ذلك الاوقاف الدارة ورتب به سبعة لقراءة القرآن ورتب به مدرسا تأيها الله على ذلك ولما اكمل تجديده تحدث في اقامته بجمعة فيه فنودي في المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا وأقيمت الجمعة فيه في اليوم المذكور وحضر الاتابك فارس الدين والصاحب بماء الدين علي بن حنا وولده الصاحب نحر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الأمير عز الدين الحلبي والatabك والصاحب وقرئ القرآن ودعى للسلطان وقام الأمير عز الدين فدخل الى داره ودخل معه الامراء فقدم لهم كل ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين وانفساوا وكان قد جرى الحديث في أمر جواز الجمعة في الجامع وما ورد فيه من أقاويل العلماء وكتب فيها فتيا أخذ فيها بخطوط العلماء يمجوا الجمعة في هذا الجامع وأقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها وأقيمت صلاة الجمعة واستمرت ووجد الناس به رفقاً وراحة لقربه من الممارات البعيدة من الجامع الحاكبي قال وكان سقف هذا الجامع قد بنى قصيرا فزيده بعد ذلك وعلى ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتى بنى الجامع الحاكبي فأنشئت الخطبة اليه فان الخليفة كان يحضرب فيه خطبة وفي الجامع الازهر خطبة وفي جامع ابن طولون خطبة وفي جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعي فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة بالجامع الحاكبي من أجل أنه أوسع فليزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى أن أعيدت الخطبة في أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت الزلزلة بدمار مصر في ذي الحجة سنة اثنين وسبع مائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكبي وجامع مصر وغيره فتقاسم أمراء الدولة عمارة الجوامع فنولى الأمير دكن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكبي ونولى الأمير سلاسل

عمارة الجامع الأزهر وبنى الأمير سيف الدين بكه الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا بهانيها وأعادوا مآتمهم منها ثم جددت عمارة الجامع الأزهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن خسين ابن علي الأسعري محتسب القاهرة في سنة خمس وعشرين وسبعمائة ثم جددت عمارة في سنة إحدى وستين وسبعمائة عند ماسكن الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري في دار الأمير نخر الدين أبا نزال زاهدي الصالحى النجمي بقط الأبارين بجوار الجامع الأزهر بعدما هدمها وعمرها داره التي تعرف هناك إلى اليوم بدار بشير الجامدار فأحب لقربه من الجامع أن يؤثر فيه أثر أصلها فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في عمارة الجامع وكان أنبرا عنده خصيصا به فأذن له في ذلك وكان قد استجد بالجامع عدة مقاصير ووضعت فيه ضناديق ونزائن حتى ضيقته فأخرج الخزائن والصناديق ونزع تلك المقاصير وتبع جدرانها وسقوفه بالإصلاح حتى عادت كأنهم جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مسجدا وجعله قارئاً وأنشأ على باب الجامع القبلى حائطا لتسديل الماء العذب في كل يوم وعمل فوق مكتبة سبيل لآراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز ورتب للقراء المجاورين طعاما يطبخ كل يوم وأنزل اليه قذورا من نخاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مدرسه لهم لآلقاء الفقه في المحراب الكبير ووقف على ذلك وأفاض عليه باقية إلى يومنا هذا ومؤنوا الجامع يدعون في كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن إلى هذا الوقت الذي نحن فيه وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة ولى الأمير الطواشي بهادر المقدم على المماليك السلطانية نظير الجامع الأزهر فتنجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق بأن من مات من مجاورى الجامع الأزهر عن غير وارث شرعى وترك موجودا فإنه يأخذ المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند باب الكبير البحرى وفي سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعمرت أطول منها فبلغت الثقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم فخره وكانت في ربيع الآخر من السنة المذكورة فعلقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأوقدت حتى اشتعل الضوء من أعلاها إلى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتلاوا ختمه شريفة ودعوا للسلطان فلم تزل هذه المأذنة إلى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهدمت ليل ظهر فيها وعمل بدلهامنارة من حجر على باب الجامع البحرى بعدما هدم الباب وأعيد شؤا به البحرى وركبت المنارة فوق عقده ، وأخذ الحجر لها من مدرسة الملك الأشرف خليل إلى كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين التاج الشوبكى وإلى القاهرة ومحتسبها إلى أن تمت في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تبق غير قليل ومات حتى كانت تسقط فهدمت في صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت

وفي سؤال منها ابتدئ بعلم الصبر ربح الذي في وسط الجامع فوجد هناك أكثاف سقية ماء ووجد
أيضاً رم أموات وتمتد في ربيع الاول وعمل باعلاء مكان مرتفع له قبة يسبل فيه الماء
وغرس بعض الجامع أربع شجرات فلم تقطع وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميسأة عندما بنى
تم عملت ميسأته حيث المدرسة الاقباعية الى أن بنى الامير أقباع عبد الواحد مدرسته المعروفة
بالمدرسة الاقباعية هناك وأما هذه الميسأة التي بالجامع الآن فان الامير يد الرحين جنشك بن البابا
بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشرة وعاشمائة ميسأة المدرسة الاقباعية وفي سنة ثمان عشرة وعاشمائة
ولي نظره هذا الجامع الامير سودوب القاضي حاجب الحجاب فحرق في أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها
وذلك أنه لم يزل في هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلزمون الإقامة فيه وباتت عندهم
في هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلاً ما بين عجم وزيا لعه ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة
رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسه وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم
الفقه والحديث والتفسير والتخو ومحاسن الوعظ وحلق الذكر فيجد الانسان اذا دخل هذا الجامع
من الانس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره وصاروا باب الاموال يقصدون هذا
الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفوس اعانة للجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قليل
تحمل اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم فأمر في جادى الاولى من هذه السنة
بأخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الإقامة فيه وأخرج ما كان لهم فيه من مسناديق
وخزائن وكراسى المصاحف زعمانه أن هذا العمل مما يشاب عليه وما كان الامن أعظم الذنوب
وأكثرها ضرراً فانه محل للفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعدوا الا ما كن عليهم فساروا
في القرى ونزلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة القرآن ودراسة العلم
وذكر الله ثم لم يرضه ذلك حتى زاد في التعدي وأشاع أن أناساً يبيتون بالجامع ويقعون في منكرات
وصككت العادة قد جرت بحيث كثير من الناس في الجامع ما بين تاجر وفقه وجندى وغيرهم
منهم من يقصد بمعية البركة ومنهم من لا يجد مكاناً يأويه ومنهم من يستروح بمعية هناك خصوصاً
في ليالى الصيف وليالى شهر رمضان فانه يعتلى صحنه وأكثروا قاته فلما كانت ليلة الاحد
الحادى عشر من جادى الآخرة طرق الامير سودوب الجامع بعد العشاء الآخرة والوقت صيف
وقبض على جماعة وضرهم في الجامع وكان قد جاء معهم الاعوان والتمنان وغوغاء العامة
ومن يريد التهب جماعة خلق كان في الجامع أنواع البلاء ووقع فيهم النهب فأخذت فرشهم
وعاشمهم وقتشت أوساطهم وسلبوا ما كان موطأ عليهم من ذهب وفضة وعمل ثوباً أسود للنبير
وعلمان من وقين بلغت الفققة على ذلك خمسة عشر ألف درهم على ما بلغني فعاجل الله الامير سودوب
وقبض عليه السلطان في شهر رمضان ومجنه يعشق

ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية

وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالاً وأتقن صناعته وأبدعها حسناً وبهجته وكلاً ولا يعلم له نظير ولا يوجد له مثله وكان الذي تولى بناءه وأتقنه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان ووجه إلى ملأ الروم بقسطنطينية بأمره أن يبعث له الصناع فبعث إليه اثني عشر ألف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه من إحدى جهات باب السيف فأنهى إلى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صلحاً فأنهى إلى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجداً وبقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم أن يبيعوا منه كنيسة منهم تلك بما شاؤوا من عوض فأبوا عليه فأنزعها من أيديهم وكافأروا عن أن الذي يهدمها يبحن فذكروا ذلك للوليد فقال أنا أول من يبحن في سبيل الله وأخذ الناس وجعل يهدم نفسه فلما رأى المسلمون ذلك تنابعا على الهدم وأكذب الله زعم الروم وزير هذا المسجد بقصص الذهب المعروف بالقسيهساء تخالطها أفرع الاصبغة الغربية الحسن وذرع المسجد في الطول من الشرق إلى الغرب ما تخطوة وهي ثلثمائة ذراع وعرضه من القبلة إلى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائة وأربعون ذراعاً وعرضه من القبلة إلى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة من شرق إلى غرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثماني أرجل حصية تتخللها وست أرجل من حمة مرصعة بالرخام المازن قد صور فيها أشكال محاريب وسواها وهي ثقل قبلة الرصاص التي أمام المحراب المسماة بقبة النسر كأنهم شبهوا المسجد بنسر طائر والقبلة رأسه وهي من أعجب معاني الدنيا ومن أي جهة استقبلت المدينة ببيت القبلة النسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد وتستدير بالعنبر بلاطات ثلاث من جهاته الشرقية والغربية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطاً وبها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الأرجل أربع عشرة وسعة العنبر مائة ذراعاً وهو من أجمل المناظر وأنها حسنة وبها يجتمع أهل المدينة بالعشايا فن قارئ ومحمد وذاهب ويكون أنصرافهم بعد العشاء الأخيرة وإذ التي أحد كبارهم من النخهاء وسواهم صاحبها أسرع كل منهم أنصرف صاحب وحط رأسه وفي هذا العنبر ثلاث من القباب أحداها في غريبه وهي أكبرها وتسمى بقبة عائشة أم المؤمنين وهي قائمة على ثمان سواري من الرخام من خرفة بالقصوص والاصبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال إن مال الجامع كان يمتد بها وذكر لي أن فوائده مستغلات الجامع وبجايه نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهباً في كل سنة والقبلة الثانية

من شرق الحكن على هيئة الاخرى الا انها اصغر منها فاقم على ثمان من سوارى الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبة الثالثة في وسط الحكن وهي صغيرة مئذنة من رخام عجيب يحكم الاصاق قائمة على أربع سوارى من الرخام الناصع وتحتها شبالة حديد في وسطه أبواب نحاس يفتح الماء الى اعلو فيرتفع ثم ينقى كأنه قصب يلين وهم يسمونه قفص الماء ويستحسن الناس وضع أفواههم فيه للشرب وفي الجانب الشرقي من الحكن باب يقضى الى المسجد يدببع الوضع يسمى مشد على ابن أبي طالب رضى الله عنه ويقابل من الجهة الغربية حيث يلتقي البلاطان الغربي والجنوبي موضع يقال ان عائشة رضى الله عنها سمعت الحديث هنالك وفي قبة المسجد المقصورة العظمى التي يؤتم فيها العلم الشافعية وفي الركن الشرقي منها اراما محراب خزانة كبيرة فيها المحف الكرم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه الى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على انهم ذلك المحف الكرم وهناك يحلف الناس غرامهم ومن ادعوا عليه شيئا وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر أهل التاريخ أنه أول محراب وضع في الاسلام وفيه يؤم امام المالكية وعن يمين المقصورة محراب الحنفية وفيه يؤم امامهم ويليه محراب الحنابلة وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احدها بنا شرقه وهي من بناء الروم وبها داخل المسجد وباسفلها مطهرة وسيوت للوضوء يغتسل فيها المفسكون والمؤمنون للمسجد يتوضؤون والصومعة الثانية بغريسه وهي ايضا من بناء الروم والصومعة الثالثة بشماله وهي من بناء المسلمين وعدد المؤمنين به سبعون مؤذنا وفي شرق المسجد مقصورة كبيرة فيها صرح مجامع وهي لطائفة الزيالة السودان وفي وسط المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت معترض بين اسطوانتين مكسوتين بوبر أسود معلم فيه مكتوب بالايض (يا زكريا انا نبشرك بكلاما ميميا) وهذا المسجد شهر الفضل وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري أن الصلاة في مسجد دمشق ثلاثين ألف صلاة وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يعبد الله فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله هو عليه السلام وأن قبره وقد رأيت على مقربة من مدينة طغاراين بموجب يقال له الاسقاف بنية فيها قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عامر صلى الله عليه وسلم ومن فضائل هذا المسجد أنه لا يحتاجون قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من الزمان والناس يجتمعون به كل يوم لثلاثة الصبح فيقرؤون سبعين القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكثرية فيقرؤون فيها سورة الكوثر الى آخر القرآن وللمجتمعين على هذه القراءة مربات تجرى لهم وهم نحو ستمائة انسان ويدوز عليهم كتاب الغيبة فن غاب عنهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبتة وفي هذا المسجد

جماعة كبيرة من الجوارين لا يخرجون منه مقبلين على الصلاة والقراءة ولا يفترون عن ذلك ويتوضئون من الطاهر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلديعنيونهم بالمطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيئا من ذلك وفي هذا المسجد أربعة أبواب قبلي يعرف سباب الزبادة وباعلاء قطعة من الرح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضي الله عنه ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم ومنه يذهب إلى دار الخليل وعن يسار الخارج منه حمام الصقارين وهي سوق عظيمة تمتد مع جدار المسجد القبلي من أحسن أسواق دمشق ويوضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضره فهدمها بنو العباس رضي الله عنهم وصار مكانها سوقا وباب شرقي وهو أعظم أبواب المسجد ويسمى باب جبرون وله دهليز عظيم يخرج منه إلى بلاط عظيم طويل أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبه ماء جار وقد انتظمت أمام البلاط درج ينحدر رقم إلى الدهليز وهو كل فندق العظم يصل باب عظيم الارتفاع تحت أعمدة كالجذوع طوال ويجاني هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين اليازير وغيرهم وعلم اشوارع مستطيلة فيمحوانيت الجوهرين والكئين وصناع أوافى الزجاج العجيبة وفي الرحبة المتصلة بالباب الأول دكاكين لكبار الشهود منها دكانان للشافعية وسائرهم أصحاب المذهب يكون في الدكان منها الخمسة والستون العدول والعادلان كمنه من قبل القاضي وائر الشهود ومفترون في المدينة وبقرية من هذا الدكاكين سوق الوراقين الذين يبيعون الكاغذ والاقلام والنداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لاسقف لها نفلها أعمدة رخام وفي وسط الحوض أبواب نحاس يزعم الماء بقوة فيرتفع في الهواء أزيد من قامة الانسان بهونه القوارة منظر عجيب وعن يمين الخارج من باب جبرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صفار مفتحة لها أبواب على عدد ساعات النهار والابواب مصبوغ باطنها بالخرقة وظاهرها بالصفرة فإذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا ويقال بان بداخل الغرفة من يتولى قلبها يده عند مضى الساعات والباب الذي يعرف باب البرد وعن يمين الخارج منه مدرسة للشافعية وله دهليز فيه حوانيت الشماعين وسماط لبس القواكه وباعلاء باب يصعد اليه في درج له أعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج ستاين عن يمين وشمال مستديرتان والباب الجوفي يعرف سباب النطفاين وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج منه حانة تعرف بالشمعية في وسطها صهر يجع ماء ولها ماء يجرى فيها الماء

ويقال انها كانت دار عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه وعلى كل باب من أبواب المسجد الاربعين دار
وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تحرى فيها المياه الكثيرة (الابن بطوطة)

علم التاريخ

ان قول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر
وأودعوها وخطتها المتطفلون يدسائس من الباطل وهذه واقفا أو استدعوا وزخارف من
الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها واقتنى تلك الآثار الكثير من بعدهم واتبعوها وأدوها اليها
كاسمعوها ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الاحاديث
ولادفعوها فالتحقين قليل وطرف التنقيح في الغالب قليل والغلط والوهم نسيب للاخبار
وخليل والتقليد عريق في الآميين وسليل والتطفل على الفنون عريض وطويل ومرعى
الجهل بين الانام وخيم وبيس والحق لا يقاوم سلطانه والباطل يقذف بشباب النظر شيطانه
والناقل انما هو على ويقل والبصيرة تنقل الصبح اذا تغلظ والعلم يجاوز لها صفحات الصواب
ويصقل هذا وقد دون الناس في الاخبار وأكثروا وجمعوا تواريخ الامم والدول في العالم وسطروا
والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة المعتبرة واستفرغوا دواوين من قبلهم في مصنفهم المتأخرة
هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل ولا حركت العوامل مثل ابن اسحاق والطبري
وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير
المتميزين عن الجاهير وان كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغز ما هو معروف عند
الابنات ومشهور بين الحفظة النقات الا ان الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم واقتفاء سنتهم
في التصنيف واتباع آثارهم وانا قد البصير قسطا من نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم
فلهم ان طبائع في أحوالهم ترجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والامم انما كثر التواريخ
لهو ولا عناية المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام في الآفاق والممالك وتناولها البعيد
من الغايات في المآخذ والمشارك ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الله من الدول والامم والامر العجم
كل المسعودي ومن فحماخته وجاهن بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقيد ووقف في العموم
والاحاطة عن الشأو البعيد فليشوار عصره واستوعب أخبار أرقفه وقطره واقتصر على
أحاديث دولته ومصره كما فعل أبو حيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن الرقيق مؤرخ
افريقية والدولة التي كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعده هؤلاء الملقدون بل بالاطبع والعتل
أومة بلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمال ويذهل عما حالته الأيام من الاحوال
واستبدلت به من عوائد الامم والاجيال فيجلون الاخبار عن الدول وحكايات الوقائع

في العصور الاول صوراً قد تجردت عن موادها وضمناً انتضيت من اعتمادها ومعارف تستنكر للجهل بطارقتها وتلاذها انما هي حوادث لم تعلم أصولها وأنواع لم تعسبراً جناسها ولا تحققت فصولها يكررون في موضوعاتهم الاخبار المتداولة ناعياً منها اتباعاً لى عنى من المتقدمين بشأنها وبغفلون أمر الاجيال الناشئة في ديوانها بما عوز عليهم من ترجيحها فتستجيم صحتها عن بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة تسقوا أخبارها نسقاً محافطين على نقلها وهما أوصداً لا يتعرضون لبدائيتها ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايها وأظهر من آيتها ولا علل الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعاً بعد الى افتقار أحوال مبدئى الدول ومراتبها مقتضات عن أسباب تراجها أو نفاقها بائناً عن المقنع في بيانها أو تناسبها ثم جاء آخرون بفرط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء بأسماء الملوك والاختصار مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها أعداداً يأملهم بحروف الغبار كما فعل ابن رشيقي في ميزان العمل ومن اتقى هذا الآثر من الهمل وليس يعتبر لهؤلاء بمقال ولا يعدلهم بثبوت ولا انتقال لما أذهبوا من القوائد وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد (ابن خلدون)

(في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والادهام
وذكر شئ من أسبابها)

اعلم أن فن التاريخ من عزير المذهب جم القوائد شريف الغاية اذ هو يوقفتنا على أحوال الماضين من الامم في اخلاقهم والانياس في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرويه في أحوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ما تختمت عدة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت يفضيان بهما الى الحق وينبكان به عن المذلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمدت فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانسانى ولا يقس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالمذهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والجدع بصدق وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غناً أو سميماً لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بانسابها ولا سبروها بمجاري الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلاً عن الحق وتاهوا في سدهاء الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني اسرائيل وأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من يطبق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها

فكانوا سقائه ألفاً أو يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعها مثل هذا العدد من الجيوش لكل ملكة من الممالك حصه من الحامية تسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عياقوقها تشبه بذلك العوائد المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغه الى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينهما زحف أو قتال لضيق مساحة الارض عنها وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً أو أزيد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفيين وشئ من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من المعاملات ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلبة مختصر لهم والتهامه بلادهم واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال ملكه فارس يقال انه كان من رباب المغرب من نخومها وكانت محالكمهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب أوسع من عمال بني اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قرياب منه وأعظم ما كانت جوعهم بالقادسية مائة وعشرون ألفاً كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في اتباعهم أكثر من مائتي ألف وعن عائشة والزهرى أن جوع رستم التي زحف بها عن القادسية انما كانوا ستين ألفاً كلهم متبوع وأيضاً فالويلع بنو اسرائيل مثل هذا العدد لا تسع نطاق ملكهم وانسفع مدى دولتهم فان العالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القاطنين بها في قلتها وكثرتها والقوم لم يتسع محالكم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وأيضاً فالذي بين موسى واسرائيل انما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن بصهر بن قاهت بن فتح الهاء وكسر ها بن لاوى بكسر الواو وفتحها بن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبه في التوراة والمدة بينهم على ما نقله المسعودي قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط وأولادهم حين أتوا الى يوسف سبعين نفساً وكان مقامهم عصر الى ان خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة تتداولهم ماوله القبط من القراعنة ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا أن عدد تلك الجيوش انما كان في زمن سليمان ومن بعده فبعد أيضاً اذ ليس بين سليمان واسرائيل الا أحد عشر أباً فانه سليمان بن داود بن ايشابن عوفيد ويقال ابن عوفيد بن باعز ويقال بعز بن سلون بن نحشون بن عيمثوب ويقال جينا ذاب بن زرم ابن حصرون ويقال حصرون بن نارس ويقال بيرس بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والا لاف فرعا يكون وأما أن يجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعد واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب

المعروف تجدز عهدهم باطلا وتقلهم كلنا والتي نبت في الاسرا بيليات أن جنود سليمان كانت
اثني عشر ألفا خاصة وأن مقر بانه كانت ألفا وأربعمائة فرس من بطة على أبوابه هذا هو الصحيح
من أخبارهم ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم وفي أيام سليمان عليه السلام ومملكه كان
عنفوان دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من أهل هذا العصر إذا فاضوا في الحديث
عن عساكر الدول التي لعدهم أو قري سامته وتفاوضوا في الاخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى
أو أخذوا في احصاء أموال الجبابرة وخارج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء الموسرين
توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس الاغراب فإذا استكشفت أهباب
الدواوين عن عساكرهم واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجلبت
عواشيل المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يغدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة
التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمنشد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يبالها
في الخبر توسط ولا عدالة ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش فيسر عنانه ويسيم في مراتع الكذب
لسانه ويتخذ آيات الله هزوا ويشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بما صفقة خاسرة
ومن الاخبار الواهية للورخين ما يتقافوه كافة في أخبار التباينة ماوله العين وجزيرة العرب أنهم
كأنوا يغزون من قراهم بالعين إلى أفريقيا والبربر من بلاد المغرب وأن أفريقش بن قيس بن صبيح
من أعظم ملوكهم الأول وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله قبل غز أفريقيا وأنخس في البربر
وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانهم وقال ماهذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا
به من حينئذ وأتمل أنصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من جبر فأقاموا بها واختلطوا بأهلها
ومنهم صنهاجة وكلمة ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبسلي إلى أن
صنهاجة وكلمة من جبر وتأباه نسبة البربر وهو الصحيح وذكر المسعودي أيضا أن ذا الانعار
من ملوكهم قبل أفريقش وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله
عن ياسر ابنه من بعده وأنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع
وكذلك يقولون في تسع الآخرة هو أسعد أو كرب وكان على عهد ستاسف من ملوك الفرس
التيانية انه ملك الموصل وأنزريجان ولقي الترك فهزمهم وأنخس ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك
وأنه بعد ذلك غزا ثلاثة من بني بلاد فارس وإلى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك وراء النهر وإلى بلاد
الروم فلما الأول البلاد إلى سمرقند وقطع المفازة إلى الصين فوجد حاملا السائق الذي غزا إلى
سمرقند قد سبقه إليها فأنخس في بلاد الصين ورجع جاعا بالغنائم وتركوا بلاد الصين قبائل
من جبر فهم بها إلى هذا العهد وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع

وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عرفت في الوهم والغلط وأشبه بأحدث القصص الموضوعة وذلك أن ملك التبابعة انما كان يجزرة العرب وقرادهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحرين ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابطة منه الى البصرة من المشرق وبحر السويس الهابطة منه الى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب كاتراه في مصور الجغرافيا فلا يجد السالكون من اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس والمسالك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدرهم حلتين فلدونهما ويعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير أن نصير من أعماله هذا تمتنع في العادة وقد كان تلك الاعمال المعالقة وكنعان بالشام والقطب بمصر ثم ملك المعالقة بمصر وملك سواسا راسل الشام ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحداهم هؤلاء الامم ولا ملكوا شيئا من تلك الاعمال وأيضا فالشقعة من البحر الى المغرب بعيدة والازودة والمعروفة للعساكر كثيرة فانما ساروا في غير أعمالهم احتاجوا الى انتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيما يرون عليه ولا يكتفي ذلك للازودة والمعروفة عادة وان قالوا كفايتهم من ذلك من أعمالهم فلا تقي لهم الواحد ينقله فلا بد وأن يمر في طريقهم كلها بأعمال قدمل كوها ودوخوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العساكر تغربهم هؤلاء الامم من غير أن تهيجهم فتفصل لهم الميرة بل الملة فذلك أبعد وأشد امتناعا فدل على أن هذه الاخبار واهية أو موضوعة وأما وادي الرمل الذي يهجر السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة سالكيه ومن يقص طريقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ماذكروهم من الغرابة تتوافر الدواعي على نقله وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وان كانت طريقه أوسع من مسالك السويس الآن الشقة هنا بعد وأمم فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وانما كانوا يبحرون أهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والحيمة والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما من الاعمال وقد وقع ذلك بين ذى الانذار منهم وكيكلاس من ملوك الكيانية وبين سبع الاصغر أبوكوب ويستأسف عنهم أيضا ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم مجاوزة أرض فارس بالغزو الى بلاد الترك والتبت وهو تمتنع عادة من أجل الامم المعتضة منهم والحاجة الى الازودة والمعوقات مع بعد الشقة بخاصة فالأخبار بذلك واهية مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك فادحاقها فكيف هو لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن السني في خبر يثرب والاسوس والخزرج ان تبعه الاخرسار الى المشرق محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم اليها بوجهها تقرر فلا تنقن بما يلقي اليك من ذلك وتأمل الاخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تعجبهم بالاحسن وجه والله الهادي

الى الصواب . ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاحيال تبدل
 الاعصار ومرور الايام وهو بادوى شديد الخفاء اذ لا يقع الا بعداً - قباب متطاولة فلا يكاد
 يتقطن له الا الا حتم من الخليفة وذلك أن أحوال العالم والامم وعوائدهم وشغلهم لا تقوم على وثيرة
 واحدة ومنهاج مستقر وانما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون
 ذلك في الاشخاص والاوقات والامصار فكذلك يقع في الآفاق والاقطار والازمنة والدول
 سنة الله التي قد دخلت في عبادته وقد كانت في العالم أم الفرس الاولى والسريانيون والنبط
 والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكلوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم
 وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر شاكلتهم مع أبنائهم جنسهم وأحوال اعمارهم للعالم
 تشهد بما آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال
 وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسها أو يشابهها والى ما يساينها أو يبعدها ثم جاء الاسلام
 بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال أجمع انقلاباً أخرى وصارت الى ما أكره متعارف لهذا العهد
 يأخذ الخلق عن السلف ثم درت دولة العرب وأيامهم وذهبت الاسلاف الذين شيدوا عزمهم
 ومهدوا مملكتهم وصار الامر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك بالشرق والبربر بالمغرب والفرشجة
 بالشمال فذهبت بغيرهم أمم وانقلبت أحوال وعوائد نسي شأنها وأقبل أمرها والسبب
 الشائع في تبدل الاحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الامثال
 الحكيمية الناس على دين الملك وأهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد
 وأن يفزعوا الى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغيروا عوائد جيلهم مع ذلك فيقع
 في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الاول فانما جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت
 من عوائدهم وعوائد خالفت أيضاً بعض الشيء وكانت للاولى أشد مخالفة ثم لا يزال التدرج
 في المخالفة حتى ينتهي الى المباشرة بالجملة فخلات الامم والاحيال تتعاقب في الملك والسلطان
 لا تزال المخالفة في العوائد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط
 غير ما مونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعيجه عن مرامه فربما يسمع السامع
 كثيراً من أخبار الماضين ولا يتقطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجري بها الاول وهلة على
 ما عرف ويقسم بما يشهد وقد يكون الفرق بينهما كثيراً فيقع في مهواة من الغلط . فمن هذا
 البلب ما يبقه المؤرخون من أحوال الخجاج وأن أباه كان من المعلمين مع أن التعليم لهذا العهد
 من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز أهل العصبية والمعلم مستضعف مسكين منقطع
 الخدم فيتشوق الكثير من المستضعفين أهل الحرف والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا

لها بأهل وبعدونهم من الممالك لهم فتذهب بهم وسوا من المطامع ورعا انقطاع جبلهم من أيديهم فسقطوا في هوان الهلكة والتلف ولا يعاون استعانتهم أحق حقهم وأهم أهل حرف وصنائع العاش وأن التعليم في صدور الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة إنما كان نقلا لمسمع من الشارع وتعليم الجاهل من الدين على جهة البلاغ فكان أهل الانساب والعصية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الخبري لاعلى وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هداياتهم والاسلام دينهم فانزلوا عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون على تبليغ ذلك وتفهمه للامة لاتصدهم عنه لائمة الكبر ولا يزعمهم عاذل الانفة وبشهادته بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار أصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من أصحابه العشرة فمن بعدهم فاستقر الاسلام وشجبت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من أيدي أهلها واستحالت بمرور الايام أحوالها وكثرت استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطأ وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فأصبح من جملة الصنائع والحرف واشتغل أهل العصية بالقيام بالملك والسلطان فدفع العلم من قام به من سواهم وأصبح حرفة للعاش وشجعت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص اتصاله بالمتضعفين وصار متحفظا محتقرا عند أهل العصية والملك والخارج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرفهم ومكانهم من عصية العرب ومناخضة قريش في الشرف ماعلمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا العهد من أنه حرفة للعاش وإنما كان على ما وصفنا من الامر الاول في الاسلام . ومن هذا الباب أيضا ما يتوهم المتصفحون لكتب التاريخ اذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرئاسة في الحروب وقود العساكر فتعراى بهم وسوا من الهم الى مثل تلك الرتب يحسبون أن الشأن في خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليهم من قبل وينظنون بان أبي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف باشيئية اذا سمعوا أن أباهم كانوا قضاة أنهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لموقع في رتبة القضاء من مخالفة العوائد وابن أبي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القاطنين بالدولة الاموية بالاندلس وأهل عصيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلهم لها الوهن الرئاسة والملك بخطة القضاء كما هي لهذا العهد بل إنما كان القضاء في الامر القديم لاهل العصية من قبيل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالغرب وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف وتقليد عظماء الامور التي لا تتقارن الا بالافعى فيها بالعصية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال على غير ما هي وأكثرا ما يقع في هذا الغلط

ضعف البصائر من أهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ أعصار بعيدة لفناء العرب ودولتهم باوخر وجههم عن ملكة أهل العصبية من البربر بقيت أنسابهم العربية محفوظة والذريعة الى العزم والعصبية والتناصر مفعولة بل صاروا من جلة الرعايا المتخالفين الذين تعبد لهم القهرو رغبوا للذلة يحسبون أن أنسابهم مع مخالطة الدولة هي التي تكون لهم بها الغلبة والتحكم فتجد أهل الحرف والصنائع منهم متصددين لذلك ساعين في نيله فاما من باشر أحوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقلما يغفلون في ذلك ويخطئون في اعتباره . ومن هذا الباب أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ماوكلها فيذكرون اسمهم ونسبهم وأبائهم ونسبهم ولقبهم وخالقهم وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفتن في ما صدرهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون نوابجهم لاهل الدولة وأبناءؤهم منشوفون الى سيرة أسلافهم ومعرفه أحوالهم ليقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم - في قوام طناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد انطط والمراتب لابتداء صنائعهم وذويهم والقضاء أيضا كانوا من أهل عصبية الدولة وفي عداد الوزراء كذا كرامات فيحتاجون الى ذلك كله وأما حين تبانت الدول وتبعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة المالك بأنفسهم خاصة ونسب الدول بعضهم بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يناهضها من الامم أو يقصر عنها فما القائدة للصف في هذا العهد في ذكر الابناء والنساء ونسب الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين والذهول على تحرى الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على المالك أخبارهم كالخلاج وبني المهلب والبرامكة ونسب بن فويحت وكافور الاخشيدي وابن أبي عامر وأمثالهم فغير تذكير الاسماع بأبائهم والاشارة الى أحوالهم لا تنظامهم في عداد المالك . ولندكر هنا فائدة تخدم كلامنا في هذا الفصل بها وهي أن التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر أو جيل فاما ذكر الاحوال العامة للاآفاق والاجيال والأعصار فهو أسهل للورخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتبين به أخباره وقد كان الناس يفردون بالتأليف كما فعله المسعودي في كتابه مروج الذهب شرح فيه أحوال الامم والآفاق لعهد في عصر الثلاثين والثلاثمائة غر باوشرقا وذكركم لهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اماما للمؤرخين يرجعون اليه وأصلا يعولون في تحقيق الكثيرين من أخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة قدود غيرها من الاحوال لان الامم والاجيال لعهد لم يقع فيها كثير انتقال

ولا عظيم تغير وأمال هذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهده وتبدلت بالجملة واعتاض من أجيال البر برأهله على القدمين طرأ فيه من اذن المائة الخامسة من أجيال العرب على كسروهم وغلبوهم وانزعوا منهم عامة الاطمان وشاركوهم فيما بقي من البلدان الملكهم هذا الى منازل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي نحيف الامم وذهب باهل الجبل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء الدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال أحوالها وانقص عمران الارض بانتقاص البشر فخرت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكافى بالشرق قد نزل به مثل منازل المغرب لكن على نسبة ومقدار عمرانها وكأما نادى لسان الكون في العالم بالجهل والانتباض فيبادر بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها واذا تبدلت الاحوال بجهة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأله خلق جديد ونشأ مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدقن أحوال الخليقة والافاق وأجيالها والعواشد والحل التي تبدلت لاهلها ويقفومسلك المسعودى لعصره ليكون أصلا يقتدى به من يأتي من المؤرخين من بعده والله الموفق للصواب بعنه وفضله (من مقدمة ابن خلدون)

(ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلاعصره من الانبياء والملوك من بني اسرائيل وغيرهم) ولما نشأ ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة الى كل بها وتأمل آفاق الارض والعالم وما فيه من دلائل الخدود والتأثير نظر الى الزهرة واشراقها فقال هذا ربى فلما رأى القمر انور منها قال هذا ربى فلما رأى الشمس أبهى عمارأى قال هذا ربى هذا أكبر وقد تنازع الناس في قول ابراهيم هذا ربى ففهم من رأى أن ذلك كان على طريق الاستدلال والاستحضار ومنهم من رأى أن ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ومنهم من رأى غير ذلك فاتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه الله نبيا وخليلا وكان قد أوتى رشده من قبل ومن أوفى رشده فقد عصم من الخطأ والزلل وعبادة غير الواحد الصمد فعاب ابراهيم عليه السلام على قومه ما وادى من عبادتهم واتخذهم الجوفات آله قلمهم فلما كثر عليهم ذم ابراهيم لا كهمهم واستفاض ذلك فيهم اتخذوه الخروذا والنار والقامعها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وحدث النار على سائر بقاع الارض في ذلك اليوم وولد لابراهيم اسماعيل عليه السلام وذلك بعد أن مضى من عمره ست وعشرون سنة وسبع وثلاثون سنة وقيل سبعون سنة من هاجر جارية كانت لسارة وكانت سارة أول من آمن بابراهيم عليه السلام وهى ابنة بتو ايل بن ناحور وهى ابنة عم ابراهيم وقد قيل غير هذا وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور وهو ابن أخى

ابراهيم عليه السلام وأرسل الله لوط الى سدوم وقراها الخمر وهي ضيقة وعمره وادماها وصوبغ وبالغ وان قوم لوط هم أصحاب المؤتفكة وهذا الاسم مشتق من الاثك وهو الكذب على رأى من ذهب الى الاستساق وقد حرهم الله في كتابه بقوله والمؤتة ككة أهوى وهذه بلاد دين تقوم الشام والحجاز بميل الى الاردن وبلاد فلسطين الآن ذلك في حيز الشام وهي مبقاة الى وقتنا هذا وهوسنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة خرابا لأحدها والحجارة المسومة موجودة فيها يراها الناس السفار سواد فأقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم الى الله فلم يؤمنوا فاخذهم العذاب على حسب ما أخبر الله من شأنهم ولما ولدنا اسماعيل هاجر الى مكة فاسكنهم بها وذلك قوله عز وجل يخبر عن ابراهيم ربا في أسكنك من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فأجاب الله دعوته وأنسى وحشهم بجرهم والملك وجعل أئمة من الناس تهوى اليهم وأهلك الله قوم لوط في عهد ابراهيم لما كان من فعلهم وانضم من خبرهم ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتلا للجبن ففداه الله بذبح عظيم ورفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ثم ولد لابراهيم من سارة اسحاق عليه السلام وذلك بعد مضي عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس في الذبيح فمنهم من ذهب الى انه اسحاق ومنهم من رأى انه اسماعيل فان كان الامر وقع بالذبيح بالحجاز فالذبيح اسماعيل لان اسحاق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبيح وقع بالشام فالذبيح اسحاق لان اسماعيل لم يدخل الشام بعد أن حل منه . وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقبطوراء فولد له منها ستة ذكور وهم مرق وقنس ومدن ومدن وسنان ومسرح ووفى ابراهيم بالشام وكان عمره الى أن قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسة وستين سنة وأنزل الله عليه عشرين من العصف وتزوج اسحاق بعد ابراهيم يوحنا ابنة سوايل فولدت له العيص ويعقوب في بطن واحد وكان البلاء منهم الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحاق في وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحاق ندعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنسبة في ولده ودعا العيص بالملك في ولده وكان عمر اسحاق الى أن قبضه الله مائة وخمسة وعشرين سنة ودفن مع أبيه الخليل ومواضع قبورهم مشهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه وقد كان اسحاق وأمر ولده يعقوب بالسير الى أرض الشام وبشره بالنسبة وأولاده الاثني عشر وهم لاوى ويهوذا ويوساخ وزبولون ويوسف وبنامين ودان ونفتالي وكان واسار وشمعون وروبل هؤلاء الاسباط والنسبة والملك في عقب أربعة منهم لاوى ويهوذا ويوسف وبنامين وكثر جزيه بقرب من أخيه العيص فأمنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فأعطى يعقوب لأخيه العيص العشر من غنمه استكفاء للشر وخوفا من سطوته من بعد أن آمنه الله

عز وجل من خوفه وان لاسيل له عليه فعاقبه الله في ولده فخاقتهم لوعده فأوحى الله تعالى اليه
 ألم تظمن الى قولى فلا جعلن ولدا العيص على كون ولدك خمسة مائة وخمسين عاما وكانت المدة مئة
 أثرب الروم بيت المقدس واستعبدت بنى اسرائيل الى أن فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 بيت المقدس وكان أحب ولد يعقوب اليه يوسف فحسده اخوته على ذلك وكان من أمرهم مع اخوته
 ما قص الله عز وجل فى كتابه وأخبر على لسان نبيه واشهر ذلك فى أمته وقبض الله عز وجل يعقوب
 بيلا دمصر وهو ابن مائة وأربعين سنة فعمله يوسف قد نهى ميلاد فلسطين عند قرية ابراهيم واسحاق
 وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة وجعل فى تابوت من الرخام وسدبا لصاص
 وطلى بالاطمية الدافعة للهوا والماء وطرح فى نيل مصر نحو مدينة منف وهناك مسجد يوسف وقيل ان
 يوسف أوصى أن يحمل فيدفن عند قبر أبيه يعقوب فى مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام.
 وكان فى عصره أيوب النبي صلى الله عليه وسلم وهو أيوب بن موص بن زراح بن عوايل بن العيص
 ابن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام وذلك فى بلاد الشام من أرض حوران والبتية من بلاد
 دمشق والحيانية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله فى نفسه وماله ولده فصرور الله عليه ذلك
 وأقاله عشرته واقتصم ما اقتصم من أخباره فى كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده
 والعين التى اغتسل منها فى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة مشهوران بيلا دنوى
 والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة أميال من مدينة
 نوى وشو ذلك والحجر الذى كان يأوى اليه فى حال بلائه هو وزوجته واهله حجرة فى ذلك المسجد
 الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان موسى ابن ميثاء بن يوسف بن يعقوب نبى قبل
 موسى بن عمران وأنه هو الذى طلب الخضر بن لمكان بن فالغ بن عابور بن شالح بن ارغشذين بن سام بن
 نوح وذكر بعض أهل الكتب أن الخضر هو خضر بن عيمائيل بن النضر بن العيص بن اسحاق بن
 ابراهيم وأنه أرسل الى قومه فاستجابوا له فكان موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بمصر
 فى زمن فرعون الجبار وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي غير بن الهاواس بن ليث بن هران بن عمر
 ابن عمار وهو الرابع من فراعة مصر وقد كان طال عمره وعظم جده وكان بنو اسرائيل قد استرقوا
 بعلم مضى يوسف واشتد عليهم البلاء وأخبر أهل الكهانة والتجريم والسحر فرعون أن مولودا
 سيولد وينيل ملكه ويحدث بيلا دمصر أمورا عظيمة فخرج لذلك فرعون وأمر بئذج الاطفال
 وكان من أمرهم موسى ما أوحى الله عز وجل الى أمه فى أمره أن اذنيه فى الميم الى آخر
 ما اقتصم من خبره وأوضحه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الزمان شعيب صلى الله
 عليه وسلم وهو شعيب بن نوب بن زعويل بن همر بن عتقاء بن مدين بن ابراهيم فكان لسانه عربيا

وكان معه وامن أهل مدين فلما خرج موسى عليه السلام هاربا من فرعون هرب بشعب النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أمره معه وتزوجها ابنته ما قد ذكرناه عز وجل فكلما الله موسى نكحها وشدد عضده بأخيه هارون وبعثهما الى فرعون فخالفهما فاغرق الله عز وجل فرعون وأمر الله عز وجل بالخروج ببنى اسرائيل الى التيه وكان عددهم ستمائة ألف بالغ دون من ليس بالغ وكانت الألواح التي أنزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمردأ خضر فيها كتابة بالذهب فلما نزل من الجبل رأى قوما من بني اسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم فارعد فسقطت الألواح من يده فتكسرت فجمعها وأودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعل في الهيكل وكان هارون كاهنا وهو قويم الهيكل وأتم الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو في التيه وقبض الله هارون في التيه فدفن في جبل مهران من نحو جبل الشراء على الطور وقبره مشهور في مغارة عادية يسمع منها في بعض الليالي دوى عظيم يحزع منه كل ذكر روح وقيل أنه غير مدفون بل هو موضوع في تلك المغارة ولهذا الموضع خبر عجيب وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة أشهر وقبض الله هارون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة وقيل أنه قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل ان موسى قبض بعد وفاة هارون بثلاث سنين وأنه خرج الى الشام وكان له محارب من سرايا كافر يسمى رومان ابن البراء العماليق والعرب يسمونهم غنم كان بالشام وغيرهم من اللواتي على حسب ما في التوراة وأنزل الله عز وجل على موسى عشر صحف فاستم مائة صحيفة ثم أنزل الله عليه التوراة بالعبرية وفيها الأمر والنهي والتحريم والتحليل والسنن والاحكام وذلك في خمسة أسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب من ستمائة ألف مثقال وسبع مائة وخمسين مثقالا فصار الكاهن بعده هارون ويوشع بن نون من سبط يوسف وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم يحدث لموسى ولا هارون شيء من الشيب ولا حلا عن صفة الشباب ولم يقبض الله عز وجل موسى بن عمران سائر يوشع بن نون ببنى اسرائيل الى بلاد الشام وقد كان غلب عليها الجبار من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام فأسرى اليهم يوشع بن نون سرايا وكانت لهم بهم وقائع فافتتح بلاد أرمية من أرض الغور وهي أرض البعير المنتنة التي لا تقبل الغرقاء ولا يتكون فيها نور وح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليه ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الأردن وبه ماء بحيرة طبرية من بحيرة كقول فرعون من أرض دمشق فإذا انتهى مصب نهر الأردن الى البحيرة المنتنة خر فيها وانتهى الى وسطها مقيزاعن مائها فيغوص في وسطها وهو نهر عظيم فلا يدري أين نفاص من غير أن يذمن البحيرة ولا يتقبص منها ولهذه البحيرة أعني المنتنة أخبار عجبية

وقضت طويلا وقد ذكرت في كلب أخبار الزمان عن الامم الماضية والملاوك الدائرة وذكر أخبار الاجار التي تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ويعرف الواحد منها بالجر اليهودي وذكره ان فلاسفة واستعملته في الطب بل به وجع الحصى في المثانة وهو نوعان ذكر وأُنثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة يخرج الغبار المعروف بالجره وليس في الدنيا والله أعلم بحقيقة لا يتكون فيها ذور من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة ركبها سيلاداذر يبحان بين مدينة أرمينية ومنازة وهي المعروفة هناك بكوندان وقد ذكر الناس عن تقدم عذر عدم تكون الحيوان في البحيرة المنتنة ولم يتعرضوا لبحيرة كنودان وينبغي على قياس قولهم أن تكون عندهما واحدة وسار ملك الشام وهو السيدع ابن هور بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى أن قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعماليق وشن الغارات بارض الشام وكانت مدن يوشع بن نون في بني اسرائيل بعد وفاة موسى بن عمران تسعا وعشرين سنة وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدء محارب بملك العماليق وهو السيدع سيلادايه نحو مدين وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلم بن باعورا بن سنور ابن وسيم بن ناب بن لوط بن هاران وكان مستجاب الدعوة فحمله قومه على الدعا على يوشع بن نون فلم يأت له ذلك وعجز عنه فأشار على بعض ملائكة العماليق أن يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فقتلوا يوشع بن نون فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام في بني اسرائيل بعد يوشع بن نون كالب ابن يوقنا بن بارض بن يهوذا ويوشع وكتب الرجال اللذان أنعم الله عليهما وقد قيل ان القائم في بني اسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون وشن الكعري وأنه أقام فيهم ثمانين سنة وهلك وملك عماليل ابن قائم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل كوش جبار كان في آب من أرض البلقاء وابن اسرائيل كفت بعد ذلك فحلف الله عليهم كنعان عشرين سنة وهلك فكان على بني اسرائيل علان الاخبارى أربعين سنة ثم قام سمويه الى أن ولهم طلوت وخرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين قال المسعودي فاما على الرواية الاولى التي تقدم ذكرها فالقائم بعد يوشع في بني اسرائيل والمدير لهم فخصاص بن العازر بن هارون بن عمران ثلاثين سنة وكان عمدا الى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها في ناحية شحاس ورصص وأسها وأقربها بحفرة بيت المقدس وذلك قبل بناءه فانفريحت فاما مغارة فيها بحفرة ثمانية فوضع الخايفة فيها وانضمت الحفرة على ذلك ككونها أولا ولما هلك فخصاص بن العازر دبر أمرهم كوشان بن لاسم ملك الجزيرة فتعبد بني اسرائيل وأخذهم البلاع ثمان سنين ثم دبرهم عتيل بن قنار أخو كلاب عن سبط يهوذا أربعين سنة ثم دبرهم علقون

ملك هاب بجهد شديد ثمان عشرة سنة ثم دبرهم أهوز من ولدا فرأى خمسا وعشرين سنة ونحس
وثلاثين سنة خلت من أيامه ثم للعالم أربعة آلاف سنة ثم دبرهم ساعان بن أهوز خمسا وعشرين سنة
ثم دبرهم يابن الكنعاني ملك الشام عشرين سنة ثم دبرهم امرأه يقال لها دورا وقيل انها ابنته
وضمت اليها رجلا من سبط نفتالي يقال له بازاق أربعين سنة ثم تداولتهم رؤساء بني اسرائيل وهم
عريب وريب ورمونا ودارع وصلنا ع تسع سنين وثلاثة أشهر ثم دبرهم كذعون من آل ميسا
أربعين سنة وقيل ملك مدين ثم أباه أبعال ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم قوع من آل فراين ثلاثا
وعشرين سنة ثم سابه من آل ميسا اثنتين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثمان وعشرين سنة وثلاثة أشهر
ثم يحشون من بيت لحم سبع سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين أربعين سنة ثم على الكاهن بعد ذلك
أربعين سنة وفي زمانه ظفر البابليون بني اسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو اسرائيل يستحقون به
خمساهم الى بابل وأخرجوهم من ديارهم وأبناهم وكان ما كان من أمر قوم حرقيل وهم الذين
أخرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وكان قد أصابهم الطاعون
فبق منهم ثلاثة اسباط فلحق فرقة بالرمل وفرقة بشواقي الجبال وفرقة بجيزة من جزائر البحر
وكان لهم خبر طويل حتى رجعوا الى ديارهم فقالوا لحرقيل هل رأيت قوما أصابهم ما أصابنا قال لا
ولا سمعت بقوم فروا من الله فراركم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة أيام فماتوا عن آخرهم. ودفن
اسرائيل بعد غلام الكاهن شمويل بن برحان بن ناحور ابني فكث فيهم عشرين سنة ووضع الله
عز وجل عنهم القتال وصلى عليهم فخلطوا بعد ذلك فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا فقال معنا
في سبيل الله فأمره بقليل طالوت وهو ساودين بشر بن اينال بن طرون بن بحرون بن أفيج بن مبيداح
ابن فالج بن بنيامين بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام فلكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك
مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر الى أن ملك على بني اسرائيل
طالوت خمسمائة سنة واثنان ومبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دينا تابع لادم فأخبرهم نبيهم
شمويل ان الله فليبتلكم طالوت ملكا فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل في كتابه أن يكون له الملك
علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاد بسطة في العلم
والجسم وأخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتكم التابوت فيه سكين تمزقكم بريقه ثم تترك آل موسى
وآل هارون تحمها الملائكة وكان مدة ملكه التابوت ثمان سنين فسمعوا عند الفجر
خفيف الملائكة تحم التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بني
اسرائيل الى طالوت فبصر جالوت من فلسطين باجناس من البربر وهو جالوت بن ياول بن ريان بن
حطال بن خازن قتل بساحة بني اسرائيل فأمر شمويل طالوت بالمسير ببني اسرائيل الى حرب جالوت

فابتلاههم الله عز وجل بنهرين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد قص الله ذلك في كتابه وأمر وا كيف يشربون من النهر فوقعه أهل الرية ولفغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فضل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجلا وذب طالوت الناس وجعل لمن يخرج إلى جالوت ثلث ملكة ويتزوج ابنته فبرز داود فقتله بجحر كان في مخلاة رماه بمقلاع فخر جالوت مينا وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد ذكر أن الجحر الذي كان في مخلاة داود كان ثلاثة أحجار فاجتمعت وصارت حجرا واحدا وهي التي قتل بها جالوت وإن القوم الذين ولغوا في الماء وظالغوا أمر وابنه كان القاتل لهم طالوت وقد أتى على خبر الدرع التي كان أخرهم نبيهم أنه لا يقتل جالوت إلا من صلحت عليه تلك الدرع إذا لبسها وإنما صلحت على داود ورفع الله ذكرا داود وأجل ذكر طالوت وأبي طالوت أن نبي داود بما تقدم من شرطه فلما رأى ميل الناس إليه زوجته ابنته وسلم إليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك فأغناه فبعه الله عز وجل من ذلك فابى داود أن ينافسه في ملكه ونما أمر داود فبات طالوت على سرير ملكه فمات من يلبته كذا وانقادت بنو إسرائيل إلى داود عليه السلام وكانت مدة طالوت عشرين سنة وذكر أن الموضع الذي قتل فيه جالوت نيسان من أرض الغور من بلاد الاردن ولأن الله عز وجل لداود الحمد فعمل منه الدروع وسخره الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود أهل موات من أرض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة وجعله ثلاثة أثلاث فثلث ما يكون مع بخت نصر وما يكون من أمره في المستقبل وثلث ما يقون من أهل أاور وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهى ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الأمور لداود وطلقت الخواص من الأكراد أطراف الأرض لهيبة داود وبني داود بيتا للعبادة باورشليم وهي بيت المقدس وهو البيت الباقي وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يدعى عيراب داود عليه السلام وليس في بيت المقدس أعلى منه في هذا الوقت وقديرى من أعلاه البحيرة المتقنة ونهر الاردن المقدم ذكره وكان من أمر داود مع الحصين ما قص الله عز وجل في كتابه من خبره وقوله لاحدهما قبل استماع من الآخر لقد ظنك وقد تنازع الناس في خطيئة داود فذهبهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الانبياء المعاصي وتعمد الفسق وانهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا وذلك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ومنهم من رأى أن ذلك كانت قضية أرويان بن حيان ومقتله وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها صائغا باكيًا وتزوج داود عاياه السلام مائة امرأة ونشأ سليمان بن داود عليه السلام وبرع وداخل أبا في قضائه

فأتم الله فصل الخطاب والحكم على ما أخبر الله عز وجل عنهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ولده سليمان وقبض فكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين ألفاً أصحاب سيف جردا مرءا أصحاب بأس وشجعة . وكان يلا مدني وأيلة في عصر داود عليه السلام لقمان الحكيم وهو لقمان بن عتقاء بن هر بن صاوون وكان نفي يماولى للقين بن حسر ولد على عشر سنين من ملأ داود عليه السلام وكان عبدا صالحا فحن الله عز وجل عليه بالحكمة ولم يرل بافيا في الارض مظهر الحكمة والبر في هذا العالم الى أيام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل . ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده سليمان بالنبوة والحكم وغر عدله رعيتيه واستقامت له الامور واتقادت له الجيوش وأبدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الأقصى الذي بارك الله عز وجل حوله فلما استتم بناؤه في نفسه بيتا وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القمامة وهي الكنيسة العظمى بيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غير هامة عظيمة بيت المقدس منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود عليه السلام والكنيسة المعروفة بالجمسانية ويرعون أن فيها قبر داود عليه السلام وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لاحد من خلقه وسخر له الجن والانس والطير والريح على حسب ما ذكر الله عز وجل في كتابه وكان ملك سليمان بن داود على بني اسرائيل أربعين سنة وقبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة والله ولي التوفيق

(ذكر جل من أخبار الهند وأرأها وبدا عملها وما وكمها)
 ذكر جماعة من أهل العلم والنظر والبحث الذين وصنوا الغاية بتأمل شأن العالم وبنته أن الهند كانت قديم الزمان الفترة التي فيها صلاح والحكمة فانه لما تحيلت الاجيال وتحزبت الاحزاب حاولت الهند أن تنضم المملكة وتستولى على الحوزة وتكون الرياسة فيهم فقال كبارهم نحن أهل البدء وقينا التناهي ولنا الغاية والصدر والانتباه ومنامرى الاب الى الارض فلان دع أحدا شاقنا ولا عائدنا وأراد بنا الاعتصام الا تمناع عليه وأبدنا ما يرجع الى طاعتنا فازعمت على ذلك ونصبت لها ملكا وهو البرهمي الاكبر والملا الاعظم والامام فيها المقدم ظهرت في أيامه الحكمة وتقدمت العلماء واستخرجوا الخلد من المعادن وضربت في أيامه السيوف والخناجر وكثيرا من أنواع القتال وشيد الهياكل وصرعها بالجوهر المشرقة المنيرة وصور فيها الافلا لمثل البروج الاثني عشر والكواكب وبين بالصورة كيفية العالم وأورد بها الصورة أيضا أفعال الكواكب في هذا العالم واحداها للاختصاص الحيوانية من الناطقة وغيرها وبين حال المدبر الذي هو الشمس وأثبت في كتابه براهين بجميع ذلك وقرب الى عقول العوام فهم ذلك وغرس في نفوس الخواص ذراية ما هو أعلى من ذلك

وأشار إلى المبدأ الأول المعطى سائر الموجودات وجودها الفاضل عليها بجهوده وانقاده الهند وأخصبت بلادها وأراهم وجهه صالح الدنيا وجمع الحكماء فأحدثوا في أيامه كلب السنه هند وتفسيره دهر الدهور ومنه فرعت الكتب ككتاب الازجهر والمجسطى وفرع عن الازجهر الاركنند ومن المجسطى كتاب بطليموس ثم عمل منهما بعد ذلك الزيجات وأحدثوا التسعة الاحرف المحيطة بالحساب الهندى وكان أول من تكلم في أوج الشمس وذكره يقيم في كل برج ثلاثة آلاف سنة ويقطع الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة والواج على رأى البرهمن في وقتنا هذا هو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة في برج النور وانه اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العام خرابا واضراب عامرا والشمال جنوبا والجنوب شمالا ورتب في بيت الذهب حساب الدور الاول والتاريخ الاقدم الذى عليه علمت الهند في تواريخ البردة وتظهرها في أرض الهند دون سائر الممالك ومن الهند من يذكر ان ابتداء العالم في كل سبعين ألف سنة هازروان وأن العالم اذا قطع هذه المدد عاد الكون فظهر النسل ومرحت البهائم وتغفل المامودب الحيوان وبطل العشب وخرق النسيم الهواء فاما كثر الهند فانهم قالوا بكرور منصوبات على دوائر يتبدى القوى متلاشية الشخص موجودة القوة متصبة الذات وحدوا ذلك أجلاض ربه وقتنا صبروه وجعلوا الدائرة العظمى والحادة الكبرى وسموا ذلك بحر العالم وجعلوا المسافة بين البده والانهاء مئة وست وثلاثين ألف سنة مكررة في اثني عشر ألف عام وهذا عندهم الهازروان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدير لها وان الدوائر تقبض وتبسط جميع المعاني التي تستودعها وان الاعمار تطول في أول الكبر لانفساح الدوائر ويمكن القوى من المحال وتقصّر الاعمار في آخر الكبر لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من الاكدار البائرة للاعمار وذلك أن أقوى الاجسام وصقوها في أول الكبر يظهر ويسرح وان الصقوساكن الكدر والصابى يادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لتعاصر اخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائيات وان آخر الكبر الاغظم وغاية البده الاكبر تظهر الصور منسوبة والنفوس ضعيفة والامرجة مختلطة وتنقص القوى وتبيد المواسل وترد الموادف الدوائر منعكسة من درجة فلا تحظى ذوى الاعصار تمام الاعمار وللهند في ذلك كراعل وبراهين في المبادئ الاول وفيما بسطنا من تفرع يقيم في الدوائر الهازروانات ورموز واسرار في النفوس واتصالها باعلام العوالم وكيفية بدئها من أعلى الى أسفل وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن في بده الزمان وكان ملك البرهمن الى أن هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة الى وقتنا والهند تعظمهم وهم أعلى اجناسهم وأشرفهم ولا يغندون بشئ من الحيوان وفي رقاب الرجال والنساء خيوط صفراء يتقلدون بها حكمائل السيوف فراقينهم

وبين غيرهم من أنواع الهند وقد كان اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهم سبعة من حكماءهم
المنظور اليهم في بيت الذهب فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتى تتناظر فتنظر ما قصة العالم وما سره
ومن أين أقبلنا وإلى أين نغز وهل خروجنا من عدم إلى وجود محكمة أو ضد ذلك وهل خالقنا المخرج لنا
والمنشئ لأجسامنا يجلب بخلقنا منفعته أم هل يدفع بفناءنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل
يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا أم هل هو غنى من كل وجه عن إبقائه أيا نأوا واعدنا
بعد وجودنا وآلامنا ولاذنا فقال الحكميم المنظور اليهم أنهم أترى أحدا من الناس أدرك الأشياء
الحاضرة والغابضة على حقيقة الادراك فظفر بالبغيه واستراح إلى الثقة قال الحكميم الثاني
لو تناهت حكمة البارئ عز وجل في أحد العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك
وكان التقصير مانعا من الادراك قال الحكميم الثالث الواجب علينا ان نتدبى بعمق أنفسنا
التي هي أقرب الأشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا من قبل أن نتفرغ إلى علم ما بعدنا
قال الحكميم الرابع لو شاء وقوع أمر وقع وقوعه واحتاج فيه بنفسه قال الحكميم الخامس من ههنا
وجب الاتصال بالعلماء المهدودين بالحكمة قال الحكميم السادس الواجب على المرء المحب لسعادة
نفسه أن لا يقفل عن ذلك لاسيما إذا كان المقام في هذه الدنيا ممتعا والخروج منها واجبا قال الحكميم
السابع ألا أدري ما تقولون غير أني أخرجت إلى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها
مكرها فاختلف الهندس من سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم وبعين مذهبهم ثم
تفرعوا بذلك في مذاهبهم وتنازعوا في آرائهم والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة
(من كتاب مروج الذهب)

(ذكر ملوك الموصل وبنوهم ولعنهم من أخبارهم)

ينوى هي مقابلة الموصل وبينهما دجلة وهي بين قردى ومازندى من كور الموصل وينوى
في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة مدينة خراب فيها قرى ومزارع لأهلها وإلى أهلها
أرسل يونس بن متى وأثار الصور فيها من أصنام في حجارة مكتوبة على وجوهها وظاهر المدينة تل
عليه مسجد وهما عين تعرف بعين يونس النبي عليه السلام ويأوى إلى هذا المسجد التسالك والعباد
والزهاد وكان أول ملك بني هذه المدينة وسور سورهما ملك عظيم قد انت له الملوكة ودانت له البلاد
ويقال له سينوس بن يالوس فكانت مملكة اثنتين وخمسين سنة وكان بالموصل رجل آخر محارب
لهذا الملك وكانت بينهما حروب ووقائع ويقال أن ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن مالك
رجل من اليمن ثم ملك أهل ينوى عليهم بعده أمره يقال له اسميخون فأقامت عليهم أربعين سنة
تحارب ملوك الموصل وملوكها من شاطي دجلة إلى بلاد أرمينية ومن بلاد نهر بيجان إلى حد الجزيرة

والجودي وجبل التيل الى بلاد الزوزان وغيرهما من أرمينية وكان أهل نينوى من سميثانيين وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة وانما بان النبط عنهم بأحرف يسيرة في لغتهم والمقالة واحدة ثم ملك بعده المرأة (رئيس) ويقال انه كان انبها وكان ملكه نحو امان أربعين سنة ورجعت اليه الارمن وقد كانت الحروب بينهم سجالا في ملكه ثم غلبوا على أهل نينوى فكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل ويقال ان هذا الملك آخر ملوك نينوى وكان يؤدى الضريبة الى ملك أرمينية ولهؤلاء الملوك أخبار وسيرة وبعده كورد في كتاب أخبار الزمان (من كتاب مروج الذهب)

(ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار)

ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا فسألهم ما الخبر فأخبروني ان كافرين الهنود مات وأبجت النار لرقه وامر أنه تحرق نفسه معهم ولما احترقوا جاء أصحابي وأخبروا أنهم ماتت الميت حتى احترقت معه وبعد ذلك كتبت في تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهنود متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر والطبول والابواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبار الهنود واذا كان ذلك يلاذ السلطان استأذوا السلطان في احراقها فبأذن لهم في حرقها ثم اتفق بعد مدة اني كنت بمدينة في كثير سكان الكفار تعرف بالبحري وأميرها مسلم من ساهرة السند وعلى مقربة منها الكفار العصاة فقطعوا الطريق يوما وخرج الأمير المسلم لقتالهم وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار وقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات فافقن على احراق أنفسهن واحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب اليه غير واجب لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيته شرفا بذلك ونسبوا الى الوفاء ومن لم تحرق نفسها البست خشن لثياب وأقامت عند أهلها بائسة ممثلة لعدم وفائها ولكنها لا تنكر على احراق نفسها ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللائي ذكرناهن على احراق أنفسهن أثن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناه وطرب وأكل وشرب كلهن بوعدن الدنيا وبأني اليهن النساء من كل جهة وفي صبيحة اليوم الرابع أتت كل واحدة منهن بفرس فركبته وهي متزينة متطرة وفي غناها جوزة ارجيل تلعب بها وفي يسرها امرأة تطرقها وجهها والبراهمة يحفون بها وأقاربهام معها وبين يديها الطبول والابواق والافتار وكل انسان من الكفار يقول لها أبلغي السلام الى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي وهي تقول نعم وتضحك لهم وركبت مع أصحابي لا ارى كيفية صنعهم في الاحراق فسرنا معهم نحو ثلاثة أميال وانتينا الى موضع مظلم كثير المياه والاشجار متكاثف الظلال وبين أشجاره أربع قباب في كل قبعة صمن من الحجارة وبين القباب صهر يجمعا (٢٠) القطع المختبة (جزء اول)

قد تكاثفت عليه الظلال وتراجت الاشجار فلا تظلمها الشمس فكان ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم أعانها الله منها ولما وصلنا الى تلك القباب زرنا الى الصهر يجر وانفسن فيه وجردن ما عليهن من ثياب وحلى فتصدقن به وأتيت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط فربط بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكفيا والبران قد أضمرت على قرب من ذلك الصهر يجر في موضع منخفض وصب عليها زوغن كتبت (كجد) وهو زيت الجلمان فزاد في شته الها وهناك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ومعهم نحو عشرة قبا بأيديهم خشب بكار وأهل الطبول والابواق وقوف ينتظرون محجي المرأه وقد تجيت النار لمخفة عكسها الرجال بأيديهم ثلاثا يدسها النظر اليها فرأيت احدا من لما وصلت الى تلك المخفة نزعتهما من أيدي الرجال بعنف وقالت لهم مارا متريسا اناطس (اتن) من ميدان اواطس استرها كني مارا وهي تفحك ومعنى هذا الكلام ان النار تخوفوني انما أعلم انها محرقة ثم جعت يديها على رأسها خدمة للنار ورمت بنفسها فيها وعند ذلك ضربت الطبول والانتار والابواق ورى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها وجعل الآخرون تلك الخشب ن فوقها ثلاثا تحركه وارتفعت الاصوات وكثر الضجيج ولما رأيت ذلك كدت أسقط عن فرمي لولا ان محباي تداركوني بالماء ففسلوا وجهي وانصرفت وكذلك يفعل أهل الهند أيضا في الغرق يفرق كثير منهم أنفسهم في نهر الكنك وهو الذي اليه يجعون وفيه ربحى برما دهولاه المحرقين وهم يقولون انه من الجنة واذا ألقى أحدهم ليغرق نفسه يقول لمن حضره لا تنظروا اني أغرق نفسي لاجل شيء من أمور الدنيا ولقاة مال انما قصدى التقرب الى كساي (وكساي بضم الكاف والسين المهملة) اسم الله عز وجل بلسانهم ثم يغرق نفسه فاذا مات أخرجوه وأحرقوه ورموا برما ده في البحر المذكور ولنعبد الى كلامنا الاول فنقول سافروا من مدينة أجود هن فوصلنا بعد مسيرة أربعة أيام منها الى مدينة سرتي (وضبط اسمها بسنتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة ثم تاعمتا مكسورة وياء) مدينة كبيرة كثيرة الارز وأرزها طيب يحمل الى حضرة دهل ولها محبي كثير جدا أخبرني الحاجب شمس الدين البوشنجي بمقداره ثم سافروا من الى مدينة طانسي (بفتح الحاء المهملة وألف وون ساكنة وسين مهملة مكسورة وياء) وهي من أحسن المدن وأقنم أو أكثرها حمارة ولها سور عظيم ذكره وأن بابيه رجل من كبار سلاطين الكفار يسمى توره وله عندهم حكايات وأخبار ومن هذه المدينة هو كال الدين صدر الجهان قاضي قضاء الهند وأخوه قطلوجان معلم السلطان وأخواهما نظام الدين وشمس الدين الذي انقطع الى الله وجاور بمكة حتى مات ثم سافروا من طانسي فوصلنا بعد يومين الى مسعودا بادوهي على عشرة أميال من حضرة دهل وأقنمها ثلاثة أيام وطانسي ومسعودا بادهما اللذان المعظم هو شنجي (بضم الهاء وفتح الشين المحجمة وسكون النون وبعدهما جيم)

ابن الملك كمال كرك (وكره بكافين معقودتين وأولاهم مضمومة) ومعناه الذئب وكان سلطان الهند الذي قصدنا حضرته غائباً عنها بناحية مدينته قنوج وبينها وبين حضرته دهلِي عشرة أيام وكانت بالحضرته والدته وتدعى المخدومة جهان وجهان اسم الدنيا وكان بها أيضاً وزيره خواججهان المسمى بأحد بن أبياس الرومي الأصل فبعث الوزيرنا أصحابه ليلتقونا وعين اللقاء كل واحد منا من كان من صفه فكان من الذين عنيتهم للقاء الشيخ البسطامي والشريف المازندراني وهو حاجب الغرباء والفقهاء علاء الدين المتألفي المعروف بقره (بضم القاف وفتح النون وتشديد هاء) وكتب إلى السلطان يخبرنا وبعث الكتاب مع الدواة وهي بريد الرجالة فوصل إلى السلطان وأناما الجواب في تلك الأيام الثلاثة التي أقفأها بمسعود آباد وبعد تلك الأيام خرج إلى لقاءنا القضاة والفقهاء والمشايع وبعض الأمراء وهم يسمون الأمراء أملاكاً فحبب يقول لأهل ديار مصر وغيرها الأمير يقولون نعم الملك وخرج إلى لقاءنا الشيخ فظهر الدين الزنجاني وهو كبير المنزلة عند السلطان ثم رحلنا من مسعود آباد فتركتنا بقره بمن قره يسمى بالمر (يقع الباء المعقودة وفتح اللام) وهي للسيد الشريف ناصر الدين مطهر الأوهري أحد بني ماء السلطان وعين له عندما الحظوة التامة وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى حضرته دهلِي قاعدة بلاد الهند (وضبط اسمها بكسر الهمزة وسكون الهاء وكسر اللام) وهي المدينة العظيمة الشأن الخشنة الجامعة بين الحسن والحصانة وعلينا السور التي لا يعلم في بلاد الدينا نظير وهي أعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالمشرق (ابن بطوطه)

(ذكر جوامع من حروب الاسكندر بأرض الهند)

(قال المسعودي) لما قتل الاسكندر فهو صاحب مدينة المنكبر من ملوك الهند وانقاد اليه جميع ملوك الهند من جل الاموال وانفراج اليه بلغه أن في أقصى أرض الهند ملكا من ملوكهم ذاحكة وسياسة وديانة وانصاف للرمية وانه قد أتى عليه من عمره ثون من السنين وانه ليس بأرض الهند من فلاسفتهم وحكامهم مثله يقال له كند وكان قاهر النفس بممات صفاته من الشهوة الغضبية وغيرها حاملها على خلق كريم وأدب زائن فكتب اليه كتاب يقول فيه أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائما فلا تقعد وإن كنت ماشيا فلا تلتفت والامرقت ملكك وألحقك من مضى من ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر بإحسن جواب وخطبه على الملوك وأعلمه أنه قد اجتمع له قبله أشياء لا يجمع عند غيره مثله الا من صارت اليه عنه في ذلك انبته له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تنساه لحدة مزاجه وحسن فريخته واعتدال بينه وانشاعه في عمله وطيب لانتخبي معه داء ولا شيئا من العوارض الا ما يطرأ من الفناء والنور والواقع بهذه البنية وحل العقدة التي عندها المبدع لها الخلق عليها

الجسم الحسى وإن كانت فيه الانسان وهيكله فلنصبت في هذا العالم غرضالات والخوف
والبلايا وقدح عندي إذا تأملنا مشرب منه عسكرك بجمعه ولا يتقص منه شئ ولا يزيد الوارد
عليه الا ذاقا وأنا منذ جئيت ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف على
ما فيه قال تكون هذا الاشياء الاربعه عندي ونجاة هذا الحكيم من صولتى أحب الى من أن
لا تكون عندي وبيك فأنفذ اليه الاسكندر بجامع من حكايا اليونانيين في عديم الرجال وتقدم
اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاجاؤ ذلك الى ودعوا الرجل في موضعه وان تبينتم أن الامر
يختلف ذلك وأنه أخبر عن الشئ على خلاف ما عوبه فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الى
فخض القوم حتى انتهوا الى الملك فتلقاها بأحسن لقاء وأترلهم أحسن منزل فلما كان في اليوم
الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكمة منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء
لبعض ان مدقنا في الاولى صدقنا فيما بعد ما ذكر فلما أخذت الحكماء امراتها واستقرت بها
بجالسها أقبل عليهم مباحثا لهم في أصول الفلاسفة والكلام في الطبيعات وما فوقهما من الالهيات
وعلى شملها جماعة من حكاية وفلاسفته فطالت الخطبة في المبادئ الاولى وتشاح القوم ونظروا
في موضوعات العلماء وتزيينات الحكماء على غير ما اعتناهم بهم الحكماء الى غاية كان اليها صدهم
من العلويا ثم أخرج الجارية فلما ظهرت لا بصارهم رمقوها بأعينهم فلم تقع طرف واحد منهم
على عضائها مما ظهروا مكنه أن يتعدى يصيرها الى غيره وشغلها تأمل ذلك وحسنه
وحسن شكلها واتقان صورتها تخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر اليها ثم ان
كل واحد منهم رجع الى نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودعا طبعه ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم
الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم وشيعهم مساقمت من أرضه
فلما وردوا على الاسكندر أمر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فخار عندهم مشاهدتها
وبهرت عقله وأمر قبة جواربه بالقيام عليها ثم صرف همه الى الفيلسوف والى علم ما عنده
والى علم الطبيب ومجمله من صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكمة عليه ما جرى لهم من المباحثة
مع الملك الهندي ومن أحضره من فلاسفته وحكاية ما أعجبهم ذلك وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم
والغاية التي اليها كانوا صديهم وأقبل ينظر الى مطاردتها الهند في عللها ومعلولاتها وما يصقه
اليونانيون من عللها وصحة قياسها من أوضاعها ثم أراد مخنة الفيلسوف على حسب ما أخبر عنه
فخلاب نفسه وأجال فكره فسخر له سابع من الفكر بايقاع معنى يختبر به فعدا بقدر فلا سمنا
وأدته ولم يجعل للزيادة عليه سيلا ودفعه الى رسول له وقال له امض به الى الفيلسوف ولا تختبره
بشئ فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال بصحة فهمهم وتبينه للامور المتقنة

الحكمة في نفسه لا امر متابع هذا الملك الحكيم هذا السمن الى وأجل فكره وسر المراد به ثم دعا
بنحو القابرة نقرنا أطرافها في السمن وأنقذها الى الاسكندر فأمر الاسكندر بسبكها كرمه مدورة
مملئة متساوية الاجزاء وأمر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها الفيلسوف وتأمل فعل الاسكندر
فيها أمر يده طهاو بأن يتخذ منها امر آة يحضرته وصقلها فصار جسمها صقلا لا تزدهر من قابلها
من الاشخاص لشدة صفاتها وزوال الدرن عنها وأمر بردها الى الاسكندر فلما نظر اليها وتأمل
حسن صورتها فيها دعا بطست فجعل المرأة فيه وأمر باراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وأمر
بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك أمر بالمرأة فجعل منها مشربة كالطرحهارة
وجعلها في الطست فوق الماء فطفة فوقه وأمر بردها الى الاسكندر فلما نظر الاسكندر الى ذلك
أمر بتراب ناعم فخلت منه وردها الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وجزع
وتغيرت صفاته وأسبل دموعه على خده وكثر شيقه وطال آينه وظهر حنينه وأقام بقية يومه
غير منتفع بنفسه ثم أفاق من ذلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها كالعاب لها وقال ويحك
يا نفس ما الذي كذفت بك في هذه السدفة وسار بك الى هذه التمه ووصلك بهذا الظلمة أنسيت
وأنت في النور وترحين وفي العلوم وترحين وتظنرين في الضياء الصادق وتفسحين في العالم
المشرق أنزلت الى عالم الظلم والمعاودة والغشم والمفاسد تخطئك الخواطف وتنهرك العواصف
قد حرمت علم الغيوب والكون في العالم المحبوب ودميت بشدائد الخطوب ورفضت كل مطالب
أين مصادر لك الطيبه وراحتك القويه حللت في الاجساد فتوى عليك الكون والفساد
حللت يا نفس بين السباع القاتلة والافاعي المهلكة والنيران المحرقة والريخ العاصفة وصيرتك
الاعمار في قرارات الاجسام لا تشاهد في الاعاقل ولا ترين الاجاهلا قد زهد في الطيرات وزغب
عن الحسنات ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهرف فقال بأعلى صوته يا لك من نجوم سائرة
وأجسام زاهرة من عالم شريف طلعت ولشيء ما وضعت انك من عالم نفيس قد كانت النفس
في أعاليه ساكنة وفي أكافه قاطنة فقد أصبحت عنه طاعنة ثم أقبل على الرسول وقال خذوه
الى الملك يعني التراب ولم يحدث فيه حادثة فلما ورد الرسول على الاسكندر أخبره بجميع ما شاهد
فتعجب الاسكندر من ذلك وعلم امرى الفيلسوف ومقاصده وغاية امر اده فيما وقع بالفوس
من النقلة مما علم من العوالم الى هذا العالم ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر
حلاوسا خاصا ودعاه ولم يكن رآه قبل ذلك فلما أقبل ونظر الى صورته وتأمل قامته وخلقه
نظر الى رجل طويل الجسم رجب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه هذه بنية تضادنا الحكمة
فاذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أو حذر مانه ولست أشك أن هذا الشخص قد علم

كل ما راسلته به وأجابني عنه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة . فليس في وقته أحد يدنيه
في حكمته ولا يلحقه في علمه . وتأمل الفيلسوف الاسكندر فأدار أصبعه السبابة على وجهه
ووضعه على أرنبة أنفه وأسرع نضوا الاسكندر وهو جالس على غير سرر ملوكه خفية بضيئة الملوكة
فأشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث أمره فقال له الاسكندر ما بالك حين نظرت الى
ورسيت بطرفك نحوي أدركت أصبعك حول وجهك ووضعته على أرنبة أنفك . قال تأملت
أيها الملك بنوانية عقلي وصفاء مزاجي فتبينت فكرتك في وتأملك لصورتي وأنا فقلنا تجتمع
مع الحكمة فإذا كان ذلك كان صاحباً وحذو مائه فأدركت أصبعي مصداقاً لما سمعك وأريت
مثلاً لاشهدا كما أنه ليس في الوجه الأنف واحد فكذلك ليس في دار ملكة الهندغري ولا يلحق
أحد من الناس في حكمتي فقال له الاسكندر ما أحسن ما أتاني لك ما ذكرت وانتظم لك بحسن
الخطار ما وصفت فدع عنك هذا ما بالك حين أنفقت اليك قد علموا أني غررت فيه ابراً وردته
الى قال الفيلسوف علمت أيها الملك أنك تقول ان قلبي قد امتلأ وعلى قد انتهى كملته هذا الاناء
من السم فليس لأحد من الحكماء فيه مستزاد فأخبرت الملك أن على يستزيد في علمه ويدخل فيه
دخول هذه الابرة في هذا الاناء قال فأخبرني ما بالك حين عمل من الابرة كرهت أن تفنتها اليك صيرتها
من أنور ردتها الي صقيلة قال علمت أيها الملك أنك تريد أن قلبك قد قسما من سفك الدماء والتغل
بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب في فهم الغايات والعلوم والحكمة
فأخبرت أنك مجيباً بتمتلا بسبب الكرة والحيلة في أمرها بجعل منها امرأه صقيلة مودية الى الاجسام
عند المقابلة لحسن الصفاء قال له الاسكندر صدقت قد أجبتني عن مرادى فأخبرني أيها
الفيلسوف حين جعلت المرأة في الطست ورسيت في الماء جعلتها قد حاقق الماطافية ثم رددتها
الى قال الفيلسوف علمت أنك تريد بذلك أن الايام قد انقضت وقصرت والاجل قد قرب ولا يدرك
العلم الكثير في المهل القليل فأجبت الملك عملاً في سأل عمل الحيلة في ايراد العلم الكثير في المهل
القليل الى قلبه وتقريبه من فهمه كاحتمالي للآمن بعد كونها راسية في الماء حتى جعلتها طافية
عليه قال له الاسكندر صدقت فأخبرني ما بالك حين ملأت الاناء ترا باردته الى ولم تجفد فيه
حادثة كغفلك فيما سلف قال علمت أنك تقول ثم الموت وأنه لا بد منه ثم لحوق هذه البنية بمنا
العنصر البارد اليابس المعتل الذي هو الارض ودورها وتفرق أجزائها ومفارقة النفس الناطقة
الصافية الشريفة الطيفة لهذا الجسد المرن قال الاسكندر صدقت ولا حسن الى الهند من
أجلك وأمر له بمجواثر كثيرة وأقطعهم طائع واسعة فقال له الفيلسوف لو أحببت المال لما أردت
العلم ولست أدخل على على ما يصادموني فيه واعلم أيها الملك أن الفينة توجب الخدمة ولستنا

تجدها قلام من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه والذي يصلح النفس الفلسفة وهي مقالها وغذاؤها وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضلها والحكمة سبيل الى العلو وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من باريه واعلم أيها الملك أن بالعدل ركب جميع العالم بالجزئية ولا يقوم بالجور والعدل ميزان البارئ جل وعز فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل وزلل وأشباه الأشياء من أفعال الناس بأفعال بارئهم الاحسان الى الناس وقد ملكك أيها الملك بسيفك وصوله تملكك وتأنيك في أمورك وانتظام سياستك أجسام رعيته فكفر أن تلك قلوبهم باحسانك اليهم وانصافك لهم وعدلك فيهم فهي خزنة سلطانك فانك ان قدرت أن تقول قدرت أن تفعل فاحترز من أن تقول تأمن من أن تفعل فالملك السعيد من تمت له رئاسة أيامه والملك الشقي من انقطع عنه فمن تحرى في سيرته العدل استنار قلبه بعدوبة الطهارة (قال المسعودي رحمه الله) وخلا الاسكندر عن الفيلسوف لا يمكنه المقام معه فخلق بأوضه وللاسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة في أنواع من العلوم ومكاشات ومراسلات جرت بين الاسكندر وبين كندملك الهند وأما الفتح فامتحنه حين أدهقه بالمه وأورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه وكان معمولاً بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع التامة والتوهم وغير ذلك من العلم بما يدعيه الهند وقد قيل انه كان لآدم أي البشر علمه السلام يارض سرديب من بلاد الهند مباركة لفتحها فورث عنه وتداوله الملوك الى أن انتهى لكند هذا الملك العظيم سلطاناً وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الفحوه والطبيب معه أخباراً طريفة ومناظرات عجيبه في أوائل المعرفة وصنعة الطبيب وترقيته الى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها وقد كان للاسكندر في أسفاره وبوسطه الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكام مع تنافذ ثباتهم وبعداً وطائفتهم واختلاف لغاتهم وبجائب صورههم وبما ينهم في شيمهم وأخلاقهم أخبار كثيرة من حروب ومكاييد وجيل وفنون من السيرة وما أحدث من الآفنة (من المسعودي)

(فصل في فن الحرب عند الرومانيين)

لما كان الرومانيون دائماً متبشرين بالحرب ويرون أنه لا فني غير من القنون بذلوا جهدهم وصرفوا قريحتهم في التجريبه والبلague أعلى درجات الكمال فقد قال المؤرخ ويجيس ان فن الجوع العسكرية المؤلفة من البيادة والخيالة الغير المنتظمة يظهرون أنهم اختراعهم بالهام الهى وكانوا اسهونه اللحيون يعنى الاى المركب

وقد حكاوا انه يجب تسليح عساكر الاى المذكور بأعظم أسلحة المهاجمة والمدافعة ثقلاً ومناورة حتى لا يساوهم في ذلك شيء من أسلحة أمة أخرى يا كانت

ولكن لما كان في وقت الحرب أشياء يبدو عملها ونظهر لزومها ولا يمكن للإلايات المتقلة فعلها أرادوا أن اللجون يكون محتوي على عساكر مشاة خفيفة بحيث يمكنها الخروج من الإلاي لتبتدئ في التحام القتال وإخادعت الضرورة إلى رجوعهم رجعوا إليه وأرادوا أن يكون ذلك الإلاي محتوي أيضا من الخيالة على أناس متسلحين بالسهم والحرب وضرايين بالمقالبع ليجسدوا في طلب الهاربين ويتموا النصر وأن يكون ذلك الإلاي محميا ومحصنا بجميع أنواع آلات الحرب التي تكون بجمعته وأن يحصن دائما حتى يكون كاهل المؤلف ويجبس أشبه بمدينة حصينة

ولاجل أن يكون لهؤلاء الرومانيين أسلحة أثقل من أسلحة غيرهم من محاربي الامم الاخر لزم أن يخرجوا عن طور البشر إلى طور أعلى منه في اليأس والشهامة فتشبثوا بالشغل الدائم الغير المنقطع لتزديده قوتهم وبالرياضات التي تكسبهم النشاط والتحصيل على الامور الحربية واليقظ والتنبه إلى الفنون الجهادية التي ليست في الحقيقة الا صرف قواهم فيما أعدت له

وأما نحن فأننا لاحظ في عهدنا هذا أن جيوشنا تلك كثير بسبب شغل العساكر الخارج عن حد العادة لاسيما حفر الاراضي لاستخراج ما في باطنها مع أن حفظ الرومانيين لادبارهم وسياسة تقويمهم انما هو من كثرة شغلهم العظيم ولعل الفرق أن كدهم كان لا ينقطع أبدا بخلاف عساكرنا فانها تتقل دائما من شغل عظيم إلى بطالة أعظم منه وهذا أشد الاشياء اعانة على هلاكهم وأخطر ما يكون في اتلافهم

ولابأس أن نوردهما ما نقله المؤلفون في شأن تربية العساكر الرومانية وتأديبهم فنقول انهم كانوا يعرفونهم على الخطوات العسكرية بمعنى أن الانسان عشي عشرين ميلا في خمر سلمات وأحياتا أربعة وعشرين في هذه المدة وفي مدة مشيهم يلزمونهم بحمل مقدار ستين رطلا ويعودونهم على العدو والوثب متسلحين فكانت أسلحتهم في التعليم هي السيوف والاسنة والسهم وكانت ضعف الاسلحة المعتادة وكانت تلك الرياضات دائمة لا تنقل عنهم أبدا

ولم يكن التعليم العسكري مقصورا على العرضي فقط بل كان يوجد أيضا في المدينة في محل يذهب اليه الاهالي لاجل التعليم (وهو ميدان المريج) وبعد التعليم ينزلون في خمر (التيرة) وهو خمر (رومة) ليأخذوا في أسباب تعلم العوم والسباحة ويغتسلوا مع الحقهم في التعليم من الغبار والعرق وأما نحن فلا نعرف حق المعرفة قيمة رياضات البدن بل نحقر ونزدري من الناس من يعتنى بها اعتناء كاملا وذلك لأن أغلب تلك الرياضات لم يكن الباعث عليه الا التزهة والتسلي بخلافها عند القدماء فكانت كاهل اجرام من فن العسكرية حتى ان الرقص كان جزءا منه

وقد حصل عندنا أيضا أن خفة اليد العظيمة في استعمال الاسلحة التي تستعملها عند الحرب صارت من قبيل الهز فكان فن اللعب بالاسلحة والمصارعة في أوروبا مشهورا بأنه علم الاشرار

وأرباب الخصام منذ ادخال عاقدا لحروب القريية ولعل الذين شنعوا على أومبروس في مدحه عادة أبطال اليونان على قوتهم وخفتهم وسرعة حركتهم ونشاط أبدانهم لا بد أن يهزوا بعد أن عظم المؤلف ساوسطه في جملة أمير الرومانيين بأنه كان يعدو ويذب الوثبات العظيمة ويحمل الاثقال كأحد الناس وكلما خطر في بال الرومانيين أنهم على خطر عظيم أو أرادوا تمريض بعض خسارات اجتهدوا عادة في تقوية التربية العسكرية التي هي أهم الأشياء عندهم أوليس أنهم لما اقتضى الحال حرمهم مع اللاتينيين الذين هم أمم عارفون بأحوال الحرب والقتال مثلهم عزم منليوس على الزيادة في قوة الحكومة العسكرية والضبط والربط والتربية تقتل والعدا حارب واستمر بلا انقضاء منه ولما غلبوا وانزمو في واقعة مدينة فومنتة حرمهم منليوس ألبا فوس أولا من جميع ما كسبهم الفتنور والرخاوة (حيث باع جميع الحيوانات التي كانت معدة لحل أدوات العرضي وأمر أن كل إنسان يحمل من البرما بكفيه ثلاثين يوما) ولما وقعت الالايات الرومانية أسيرة في بلاد الخزاير بقرقة محاميلوس هذا العار حين أرجعهم إلى تساع القواين القديمة ولما أدام يوس أن يعارب السبرانيين والتوتوتيين ابتداء بتحويل الانهار عن مجاريها وقاصص الأمير سبله عسا كرجيشه الذين اعتراهم الفرع الأكبر من حرب ميريدياوس بالاشغال الشاقة حتى طلبوا منه الحرب لينتهي به تعيهم في الاشغال

وشغلهم بيلوس نازيقه بإنشاء عمارت سفن حربية من غير أن يكون هناك ضرورة تقتضي ذلك وانما كانوا يفرعون من البطالة أكثر من العدو انهي أعدى الاعداء عندهم

وقد وجه أولو حيله بتوجيهات غير صحيحة عادة الرومانيين من أنهم كانوا يعاقبون من ارتكب ذنبا من العسا كرفصده حيث قال ان غرضهم بذلك اضعافه وتقيص قوته والصواب في التوجيه أن يقال ان القوة هي أعظم صفات العسكري الاصلية وغرضهم من عقابه بذلك هو ان يخطأ قدره بين أقرانه لا تنقص قوته واضعاف بنيته كاذ كرهنا المؤلف

وهو لا العسا كرا المتعدون على مكابدة المشاق والشدائد كانوا دائما على غايقة الصحة وسلامة البنية فلا ترى في التواريخ ما يفيد أن الجيوش الرومانية التي كثر ما حاربت في أغلب أقطار الارض هلك منها كثير بسبب الامراض بخلاف الآن فانك ترى في الغالب أن جيوشا كاملة تهلك في سفرها إلى غزوة قبل أن تعارب

والهروب في هذا العهد بلغ في الكثرة حدا لا مزيد عليه وذلك لان عسا كرا كل أمة تجتمع في الغالب من رعاها واستوت سائر الامم في ذلك فقل أن اعتقدت أمة أن لها مزية على الأخرى في الماضي أو المستقبل بخلاف الرومانيين فكان الهروب عندهم نادرا جدا لان العسا كرا التي تجتمع من أمة (٢١) القطع المتعبد (جزء اول)

عظيمة ذات كبر وفعالهم متيقنة أنها تحكمهم من عداها من الام لا يصلح أن تفعل ما يقضى به الى المذلة والهوان حتى لا يكونوا رومانين

ولما كانت جيوشهم محصورة كان يسهل عليهم تحصيل الراد وغيره مما به قوام حياتهم وكان أميرهم يعرفهم حتى المعرفة ولا يحاط بالسهولة ما يقع منهم من الذنوب والهفوات وما يتخالف قانون الضبط والربط والتربية العسكرية

وكثرة ممارستهم للتعليمات العسكرية والطارق العظيمة التي أحدثوها أهلهم لكونهم يقطعون المسافات الطويلة مع غاية السرعة فكان قدومهم الى محل على حين غفلة يدهش العقول ويرعبها لاسيما اذا انهزموا فانهم يكررون على عداتهم كرمزة مخفية يكون العدو على غرة ووقوف النصر عليهم وينقضون عليهم كالعقبان

وفي عصرنا هذا لا يثق أحد بقوته الا اذا كان في جمعية كبيرة وجم غفير من العساكر بخلاف الرومان فانهم لفرط قوتهم وصلابة أجسامهم وعزيمتهم على مكابدة أهوال الحرب والقتال أكثر من اعدائهم كان الرجل منهم لا يثق الا بشجاعته ولا يعول الا على نفسه حيث انه شجاع بالطبع بمعنى أن هذه الصفة العظيمة ذاتية له

ولما كانت جيوشهم دائماً تفتوق غيرهم في النظام والضب والربط كان لا يعسر عليهم بعدلهم عنهم وتشتتهم أن يجتمعوا ثانياً وينضموا الى بعضهم ويحتل نظام عساكر العدو في التواريخ ما يدل على انهم كثيراً ما اختلسوا بذلك النصر من اعدائهم بعد أن ظهر بها العدو عليهم لكثرة عدده وشدة جسده وشجاعته

وكان أول شيء يلتفتون اليه هو البحث عما يفضلهم العدو به فإذا وقفوا على شيء من ذلك تداركوه وسعوا في تحصيله وكانوا يعودون أنفسهم على معانسة الدم والجراحات في ميادين المصارعة وقد أخذوا هذه العادة عن الاطروسقيين فلم تلحقهم الدهشة والعجب عن سيوف الفلين الحادة الصارمة ولا من فيله تيروس ملك أسيرا وهي بلاد لا تروا طوا الأمة واحدة ثم جبروا لخل ذلك كما ذابوا وضعف خيالهم حيث تزعموا من الخيل ألجتها حتى لا ترد عن حيثيات العدو والرخص ثم ضمو الى خيالاتهم عساكر خفيفة السلاح (وهم عساكر شبان بالسلحة خفيفة وكانوا أخف عساكر الطيور حيث كانوا) بمجرد اشارة الامير اليهم بالتحمل على العدو ينقضون عليه كالعقبان فرساناً ورجالا ولما اختبروا السيوف الاندلسية واستحسنوها رغبوا فيها عن سيوفهم كإرغوا عما تعودوا عليه من الاشتغال بفن معرفة الاهتداء الى طريق النصر بابتراع الآلة التي تكلم عليها المؤرخ بولوبس وبالجلجلة فلم يكن الحرب عندهم كذا كالمؤرخ يوسف الا مجرد فكر وتظنر ولا الصلح الا رياضة وتعلما

فاذا كانت أمة من الامم عندها بعض فوائد خاصة بها وهيبة كانت أو كسبية بادر الرومان اليها ونسجوا على منوالها ألم تر أنهم يذلولوا وسعهم حتى جلبوا من البلاد الاجنبية انطبول المغريسة والسهام الاقريطشية نسبة الى اقريطش وهي جزيرة كريد الآن والمقالبخ البليارية (وبليارهي جزيرة تامايرقه ومينورقه) ببلاد اسبانيا والسفن الرودية وقصارى الامراته ليس ثم أمة من الامم نستعمل الحرب مع غاية الحزم وسداد الراى وتقدم عليه مع الجسادة النامة وقوة الصولة مثل الامة الرومانية (من كتاب برهان البيان وبينان البرهان)

(فصل فى كيفية بلوغ الدولة الرومانية أعلى درجات العظم واتساع الدائرة)

لما كانت أمة بلاد أور وبا في ذل العصور تكاد أن تكون متفقة فى الفنون والاسلحة والترسية العسكرية وكيفية الاستعداد للحرب ظهر لنا أن بلوغها الدرجة القصوى فى السعادة وقوفاتها على غير هافى العظم وعملوا الشان من الامور العجيبة التى تستغربها العقول ويقفدون ادراكها أذكاء الفحول وأما الآن فلا موافقة بين الدول فى الشوكة والعظم بل تراها متباينة فى ذلك تباينا تاما بحيث لا يمكن لدولة صغيرة كدولة الرومان فى الصدر الاول أن تخرج بواسطة قواها الذاتية دون شئ آخر أجنبي منها من حيز الانحطاط والانخفاض الذى قضت به لها الحكمة الالهية وتبعد الى أوج العلاء والعظم

ومثل هذا الامر يستدعى من هذا التأمل وامعان النظر ولولا ذلك لا يمكن أن نطلع فى التواريخ على حوادث ووقائع من غير أن نقف لها على حقيقة فان الانسان اذا لم يدرك الفرق بين أحوال الامم قد عاينها فانه عند معطالته للتاريخ القديم يتعيل أن أهل ذل العصور مبانيون لاهل عصرنا هذا بالكلية

فقد استبان بكثرة التجربة فى بلاد أور وبا أن الملك اذا لم يكن عنده من الرعايا الا قدر مليون لا يمكنه أن يقوم بمعايش أكثر من عشرة آلاف من العساكر بدون أن يلحقه ضرر فى نفسه وبملكه فاذن لا يمكن أن تتكاثر العساكر الا فى الدول الكبيرة

وهذا بخلاف ما كان فى الجمهوريات السالفة فان نسبة العساكر الى الاهالى التى هى الآن كنسبة واحد الى مائة كانت فى ذل العصور كنسبة واحد الى ثمانية وزيادة على ذلك كان مؤسسون تلك الجمهوريات القديمة يقسمون الاراضى بين الناس على السوية فكان ذلك بمفرده يزيل فى شوكة الاممة وقوتها والمردب الامة هنا الجمعية الجيدة النظام والترتيب كما أنه كان يترتب عليه تجديد جيش عظيم لهجية شديدة فى الذب عن المملكة والمدافعة عنها حيث ان لكل فرد من أفرادها مصلحة تبعه على ذلك بالطبيعة

ولما كان يقع منهم التساهل في المحافظة على القوانين ولا يراعونها حق المراجعة كان يقول أمرهم إلى الحالة التي عليها أهل عصرنا هذا وذلك لأنه كان يترب على بخل بعض واسراف آخرين نقل تلك الاراضى بالبيع ونحوه إلى قليل من الناس فكان أول ما نشأ عن ذلك ادخال القنون والصنائع في المملكة لما قام بهم من الضرورة واحتياج الاغنياء والفقراء إلى بعضهم فاجب ذلك أن صار لا وجود لارباب الوطن الا قليلا ولا العساكر في المملكة الاماندر لما أن ملك الاراضى الذى كان أولا معدا المؤنة العساكر ومربياتهم صار ايراده يصرف في مؤنة الارتقاء والصنائع الذين كانوا الاصحاب الاراضى الذين اشترروها بمنزلة ما يتخذ للزينة والرفاهية ولولا ذلك لتلاشت المملكة فان هذا الامر وإن كان من قبيل الاختلال وعدم النظام الا أنه صار به قوامها وعليه مداربقتها وكانت محصولاتها قبل هذا الاختلال توزع على العساكر وكافواهم الذين يزعمون الاراضى فلما وقع هذا الخلل في الجمهورية انتقلت تلك المحصولات إلى أغنياء الناس وصاروا يصرفونها على أرفاقهم وعلى الصنائع وكان يؤخذ منها جزء كالخراج ليصرف على العساكر

فذلك كانوا غير صالحين لأن يكونوا من أرباب الحرب والقتال لما حدث فيهم من الجبن والرخاوة باقراطهم في الرفاهية والزينة ولا زمتهم للدين بل كان ذلك باشتغالهم بصنائعهم فهي في الغالب التي أوجب تافهم وفساد أخلاقهم وزيادة على ذلك لم يكن هناك ما يابزهم بالافامة بلادهم بحيث يتأسفون على ضياعه أو يهتمون بحفظه لأنه لم يكن لهم وطن حقيقى يأوون إليه بل كانوا يهتمون بثمرات حرقهم وصنائعهم في أى بلدة تزولوا بها

وقد أحصى بعضهم أهالى مدينة رومه بعد اجلاء الملوك عنها عدة يسيرة فكان عددهم مساويا تقريبا لأهالى مدينة أثينا الذين أحصى عدتهم دمتريوس دوقالير حيث كان أهالى رومه أربعين ألفا وأربعين ألفا وأهالى أثينا أربعين ألفا وأحد وثلاثين ألفا غير أن احصاء الرومانيين وقع في مدة انتظامهم ومحافظتهم على قوانين دولتهم بخلاف الاثينيين فان ذلك لم يقع الا في زمن اختلالهم وفساد أخلاقهم بالكلية وعدم التفاتهم إلى قوانين دولتهم وقد تبين من الاحصاء المذكور أن عدد البالغين بالسن من أهل رومه على الربع من مجموعهم وأما عدد البالغين من أهل أثينا فلم يبلغ نصف عشر مجموعهم فعلى ذلك تكون نسبة شوكة رومه إلى شوكة أثينا في ذلك الزمان المختلفة كنسبة الربع إلى نصف العشر تقريبا بمعنى أن الرومانيين كانوا أضعاف الاثينيين خمس مرات ومما يدل على ذلك أن اناجيس وقلبيومينوس وهما من ملوك أسبرطة لما رأوا أن أهل تلك المدينة الذين كانت عدتهم في عهد دليكور غفقت القوانين اليونانية تسعة آلاف لم يبق منهم الا سبعمائة فقط منهم مائة فأقل أصحاب أملاك وأرض والستمائة لم يكونوا الارعا عاضعا لا يملكون شئيا

من الاراضى اخذوا في وضع قوانين لجبر هذا الخلل فيذلك عادت لتقديموه (اسيرطه) شوكتهم الاولى وصار يخشى بأسها جميع بلاد اليونان

ومما أخرج رومة من حيز الحضارة والانخفاض قسمة الاراضى بين أهلها ولم يشعروا بذلك الا بعد فساد أخلاقهم واختلال نظامهم بترك هذا القسمة وسواوهم مسلط الجور والتعدى

وكان الرومانيون جمهورية صغيرة حين امتنع اللاتينيون أن يعطوا اليهم العساكر التي كانوا ملازمين بها لاجل اعانتهم ومع ذلك جمعوا من مدنيهم قورا عشر أليات ممن له خبرة بالقنون العسكرية قال المؤرخ يتلموه قل أن يخرج في عهدنا هذوقت فساد الاخلاق من هذه المدينة التي تضيق عن أهلها بلادا دنيا بأسرها ذلك القدر من العساكر المستعدة اذا جفاها العدو ودهمها على حين غفلة وهذا أقوى دليل على اتساع نكسب شيئا من العظم وقوة الشوكة وانما ازدنا

في الرفاهية وجمع الاموال التي هي الباعنة لتافي الواقع ونفس الامر على الجدوالاجتهاد انتهى

وكان طبريوس غرافوس يخطب أشرفهم ويحثهم على الرجوع الى الحالة الحربية قائلا هل يستوى ابن البلد المتأصل بها صاحب الوطن ومسقط الرأس والرفيق المضروب عليه بطابع الرق والعبودية أم هل يستوى العسكري والصانع الذي لا نفع له في الحرب أو ضيقم بالتقاعد عن فتح بلاد الدنيا ورغبتم عن الاستيلاء عليها بتغلبكم على عدة قدامين من الاراضى نائنة ام تترجم عن بقية الالهاتى وهل يحسن عندكم أن يأتى العدو ويستولى على الاراضى التي تسندون بها وتقعوا بذلك في أشد الخطر انتهى (من كتاب برهان البيان وبيان البرهان)

(مطلب أن اختراع العرب لبيت الابر من المنافع العمومية المتأخرة التي لا يعرفها المتقدمون)
فاختراع العرب للبوصلة من المنافع العمومية المتأخرة التي كان لا يعرفها المتقدمون ومع ذلك فاهتدوا كغيرهم بالنجم ووصلوا الى الاقطار القاصية كالصوريين الذين نحن يصدهم وذلك أنه لما ظهر الاسلام واستولى العرب بالفتوحات على ممالك الدنيا برا وبحرا تأهلوا لقبول الهدن الذي كانتا ناره لم تزل موجودة في الدنيا عقيب انقراض دولة الروم قصدوا الاسفار البحرية وأظهروا الحروب وقازوا بنظر الفتوح وكلوا كل رومانين في مبدأ أمرهم فركبوا السفن وبنجدوا الجنود وشنوا الغارات واستداموا في الازمان والاماكن على تحميم الاخطار واقصام البحار للتمتع بالتجارة واخترعوا بيت الابر التي أعانت على الاسفار فكانت تجارتهم في القرن الثالث في الاقطار الشرقية تنمو وتزيد في البحر المتوسط وقد لاخت أعلام الخلق على بحر الهند فتصدى تجار العرب للتجارة في جميع البلاد فامتدت تجارتهم الى جبل الطارق ومثلهم تجار القرس وجسمت معاملتهم التجارية في الهند والصين وصار لهم مراكن تجارية في تلك الاقاليم حتى ان من العريم من أقام

في جزيرة سيلان وفي المدن الهندية والصينية وانتشروا في أماكن عديدة وفي عهد الدولة العباسية تهذب العلوم وحسن التقدن وأسست القصبات الجديدة على نهر الدجلة وانتظم أمر التجارة وصارت المراكب الغربية الخفيفة تجول في البلدان وتسير إلى جزائر الهند وبوغاز ملقة فكانت تجازتهم في كل جهة وكل مكان وكانت المراكب الكبيرة تتوجه إلى جهة سيراف في بحر العجم وكثرت السياحات العربية في سائر البلاد البرية فارتفع شأن التجارة عند العرب حتى كانت أعظم شئ يشتغل به في إصلاح المعاش وتأسس في أمور التجارة أصول في أيام الخلافة المشرقية والمغربية وعقدت المعاهدات مع الدول الأجنبية لاوروبا وفي شأن الملاحة ببلادهم لحسن استقامة أهل الإسلام في المدن الأجنبية لاسيما مع الممالك التي على البحر واستمر الأمر على ذلك حتى حصل حرب أهل الصليب فاضع ذلك فلما انتهت الحروب المسيحية بين الإسلام والأفرنج عادت التجارة بين الطرفين على حالها ومن المعلوم أن التجارة في أيام الخلفاء أعلنت أحوال الصنائع كلها عند العرب وصار جلب المصنوعات العربية من مصانعها إلى أطراف الدنيا جميعها (من المرشد الأمين)

خلافة أبي بكر (من سنة ٦٣٣ إلى سنة ٦٣٥)

ثم اجتمع المهاجرون والانصار للبيعة فارتفعت الاصوات وكثر اللغط فلما أشفق عمر من الاختلاف قال انا والله ما وجدنا أمر اهرأ أقوى من مبايعة أبي بكر ثم قال لا يبصر كرا بسط يدك فابايعك فيسطيه فبايعه وبايعه المهاجرون وبايعه الانصار ولما بيع أبو بكر ضرب بعنا على أهل المدينة ومن حولهم وأمر أسامة بن زيد فقال له الناس ان هؤلاء اجل المسلمين على ما ترى نخم فيهم التناق وانقضوا بان فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين فقال والنبي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لا فقتلت بعث أسامة إلى الشام ولولم يبق في القرى غيرة لانفذته ثم خرج أبو بكر إلى البعث حتى أتاهم فاشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة ركب فقال له أسامة يا أمير المؤمنين والله لتركن أو لاتزلن فقال لاتزلن ولا أركب وما على أن أغبر قد في سبيل الله ساعة (تاريخ الملوك للطبري)

خلافة عمر بن الخطاب (من سنة ٦٣٥ إلى سنة ٦٤٥)

ثم قام بالامر بعده عمر بن الخطاب بوجع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر فقام بعده بمثل سيرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الخشن والقناعة بالسير وفتح الفتوحات الكبار والاقاليم الشاسعة وهو أول من سعى بأمر المؤمنين فأرخ التواريخ ودون الدواوين ومصر الامصار وشهد بدرا وهو أول من عس في عمله لحفظ الدين والناس وهاهنا الناس هيبة عظيمة وزاد في الشدة

في مواضعها والذين في مواضعه ولم يولوا الامر لم يكن له هممة الا العراق فعد لابي عبيد بن مسعود على زهاء ألف رجل وأمره بالمسير الى العراق فعبروا اليها فزحف اليهم العجم قسنا جزوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب فحمل العرب حملة رجل واحد وقتلوا مهران قائدهم فانهم زعم العجم لاحقين بالمدائن ثم ولي يزيد بن جندب عظيمامن عظماء مرزبانته لسن وتجربة فقال له رسم وعقد أيضا رجل آخر يسمى الهرمزان في جنود كثيرة وعندما لالتقاء قتل هذان المرزبانان ومرت العرب في اثر العجم يقتلون من أدركوا منهم

(ابن خلدون)

(ذكر اختلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب)

لم ينزل أبي بكر رضي الله عنه الموت دعاء عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر فقال انه أفضل من رأيك الا أنه فيه غلظة فقال أبو بكر ذلك لانه يرى رقيقا ولو أفضى الامر اليه لترك كثيرا مما هو عليه وقد رفته فكنت اذا غضبت على رجل أرا في الرضا عنه واذا نلت له أرا في الشدة عليه ودعائهم بن عفان وقال له أخبرني عن عمر فقال سريره خير من علانيته وليس فينا من له فقال أبو بكر له ما لا تذكر مما قلت لك شيئا ولو تركته ما عدت عثمان والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئا ولو ددت أن كنت من أموركم خلوا وكنتم فيمن مضى من سلفكم ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه وكيف به اذا خلاهم وأنت لا قريب فساألك عن رعينك فقال أبو بكر أجلسوني فأجلسوه فقال أباؤه يخوفني اذا لقيت ربي فسألتني قلت استخلفت على أهلاً خيراً أهلاً ثم ان أبا بكر أحضر عثمان بن عفان خالبا لي كتب عهد عمر فقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة الى المسلمين أما بعد ثم أغنى عليه فكتب عثمان أما بعد فاني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيرا ثم أفاق أبو بكر فقال اقرأ علي فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال أرا لك خفت أن يختلف الناس ان امت في غشيتي قال نعم قال جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر فكان عمر يقول للناس أنصتوا واسمعوا الخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يالكم نصحا فسنك الناس فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال أترضون من استخلفت عليكم فاني ما استخلفت عليكم ذاق رابة واني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا فاني والله ما ألوت من جهد الرأي فقالوا سمعنا وأطعنا ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له اني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصاء بقوى الله ثم قال يا عمر ان الله يحق بالليل ولا يه في النهار وحقاني النهار لا يقبله بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم ترى يا عمر انما تقل موازين من ثقلت موازينه

يوم القيامة بالساعة الحق وثقله عليهم وحق ليزان لا يوضع فيه غدا الا حق أن يكون ثقيلا
 ألم تر يا عمر انما خفت موازين من خفت موازين يوم القيامة بالساعة الباطل وخفته عليهم
 وحق ليزان لا يوضع فيه الا باطل أن يكون خفيفا ألم تر يا عمر انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة
 وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا زاهيا لا يرغب رغبة يتقى فيها على الله ما ليس له ولا
 يرهب رهبة يلقى فيها يديه ألم تر يا عمر انما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فاذا ذكرتهم قلت اني
 لا رجوان لأكون منهم وانما اخذوا أهل الجنة بأحسن أعمالهم لانه تجاوز لهم عما كان من شيء
 فاذا ذكرتهم قلت اني عمل من أعمالهم فان حفظ وصيبي فلا يكون غائب أحب اليك من حاضر
 من الموت ولست بعجزه ووفى أبو بكر فلما دفن سعد بن الخطاب فخطب الناس ثم قال
 انما مثل العرب مثل جبل آسف اتبع قائده فليظفر قائده حيث يقوده وأما أنا فو رب الكعبة
 لا حملتكم على الطريق وكان أول كتاب كتبه الى أبي عبيدة بن الجراح تولية جند خالد وعزل خالد
 لانه كان عليه ساءل في خلافة أبي بكر كلها لوقعته بأبن نورية وما كان يعمل في حربه وأول ما تكلم
 به عزل خالد وقال لا يلي في عملا أبدا وكتب الى أبي عبيدة ان أكتب خالد نفسه فهو الامير على
 ما كان عليه وان لم يكذب نفسه فأت الامير على ما هو عليه وانزع علمته عن رأسه وقاسمه ماله
 فذكر ذلك لخالد فاستشار أخته فاطمة وكانت عند الحرث بن هشام فقالت له والله لا يحبك عمر أبدا
 وما يريد الا أن تكذب نفسك ثم ينزعك فقبل رأسها وقال صدقت فأبى أن يكذب نفسه فأمر
 أبو عبيدة فنزع علمته خالد وقاسمه ماله ثم قدم خالد على عمر بالمدينة وقيل بل هو أقام بالشام
 مع المسلمين وهو أصلي

خلافة عثمان بن عفان (من سنة ٦٤٥ الى سنة ٦٥٧)

يبيع له بالخلافة في أول يوم من سنة أربع وعشرين وكانت له شفقة ورأفة بالبيعة وافتحت في
 أيامه أفر ببيعة وغزاهما وبيعة قيس وأنقرة فافتحها أصليا وانتزع عثمان عروبن العاص عن
 الاسكندرية فأمر عليها أخاه لامة ثم ان الناس أنكروا على عثمان أشياء منها كلفه بأقارب فخفت
 العرب على ذلك وجعلوا الجوع ونزلوا فرضا من المدينة ويعتوا الى عثمان من يستعبه ويقول له
 إيمان تمتدل أو تعزل وكان أشد الناس على عثمان طلحة والزبير وعائشة وكتب عثمان اليهم كتابا
 يقول فيه اني أنزع عن كل شيء أنكرتموه وأتوب الى الله فمقبولوا منه ثم اشتد عليه الحصار
 عشرين يوما حتى تسور محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط عثمان فصره أحدهم بمشقص في أوداجه
 وقتله الا تسورا المحصف في حجره وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وعمره ثمانون سنة (لادميري)

خلافة على بن أبي طالب (من سنة ٦٥٧ إلى سنة ٦٦١)

ولما قتل عثمان اجتمع طلبة الزبير والمهاجرون والانصار وأتوا عليا بيا بونه فابى وقال والله لأن أكون وزير لكم خير من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيت فالحوا عليه وقالوا لا نعم أحق منك حتى غلبوا في ذلك ثم ادعى الزبير بن العوام وطلحة الأكرام بعد ذلك وقالوا على نقض أمارته على فلحق على بهم وناجزهم الحرب وقتل الزبير وطلحة وميت هذه الواقعة وقعة الجمل ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا أهل الشام إلى القتال فخرج على من الكوفة واقتتلوا قتلاً شديداً في صيفين ثم هادنا واقتربا ثم تعاهد شيب وابن ملجم على قتل على وكنا في المسجد فلما خرج على ونادى بالصلاة علاه شيب بالسيف وضربه بن ملجم على مقدم رأسه فدعا على قبل موته الحسن والحسين ابنيه وصاهما فقالا وصيكم بقوى الله ولا بغيا الدنيا لو ان يقتلكا ولا تسفعا على شيء نؤى منها عنكما وقول الحق وإرجاء اليتم وكونا للظالم خصما وللنظام مناصرا ولا تأخذ بكافي الله لومة ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم قبض وصفه ضرار بن ضمرة فقال كان على بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته غزير العبرة طويل الفكرة يجتمع من اللباس ما خشن ومن الطعام ما حشيب وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأينا إذا دعونا ونحن مع تقريسه لانكنا كنكمه هيبه لا يطمع القوى في باطله ولا يأس الضعيف من عدله (الابن خلدون)

(ذكر الصحابة ومدحهم وعلى والعباس وفضلهما)

دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجه قريش فلما سلم وجلس قال له معاوية اني أريد أن أسألك عن مسائل قال سل عما بدا لك قال ما تقول في أبي بكر قال رحم الله أبي بكر كان والله للقرآن تابيا وعن المنكر ناهيا وبذنبه عارفا ومن الله خائفا وعن الشبهات زاهيا وبالمعروف آمرا وبالليل قائما وبالنهار صائما قال أوصيهم زهدا وعفافا فغضب الله على من بغضه وطعن عليه قال معاوية يا ابن عباس ما تقول في عمر بن الخطاب قال رحمه الله أباحص عمر كان والله حليف الاسلام ومأوى الايتام ومنتهى الاحسان ومحل الايمان وكهف الضعفاء ومعقل الخلفاء قام بحق الله عز وجل صابرا محتسبا حتى أوضع الدين وفتح البلاد وأمن العباد فاعقب الله على من ينقصه اللعنة إلى يوم الدين قال فما تقول في عثمان قال رحمه الله أباعمر وكان والله أكرم الجعده وأفضل البررة هجاء بالامصار كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة سباقا إلى كل منحة حيا يا وفيا صاحب جيش العسرة وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم وألفه فاعقب الله على من ينقصه لعنة اللاعنين إلى يوم الدين قال فما تقول في علي (٢٢) القطع المختبة (جزء اول)

قال رضى الله عن أبى الحسن كان والله علم الهدى وكهف التنقى ومجمل الحنجر ومجمل الندى وطود النهى وكهف العلى للورى داعيا إلى المحجة العظمى متمسكا بالعروة الوثقى خير من آمن وانقى وأفضل من تقص وأردنى وأبر من استعل واسعا وأفصح من تنفس وقرأ وأكثر من شهد النجوى سوى الانبياء والتبى المصطفى صاحب القبلتين فهل يوازيه أحد وأبو السبطين فهل يقارنه بشر وزوج خير النساء فهل يفوقه قاطن بلد للاسود قتال وفى الحروب خيال لم تر عني مثله ولن ترى فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد إلى يوم التناد قال إياه يا ابن عباس لقد أكثرت فى ابن عمك قال فأتقول فى أيسك العباس قال رحم الله العباس أبا الفضل كان صنو نبي الله صلى الله عليه وسلم وقره عين صني الله سيد الاعمال له أخلاق أبائه الاجواد وأحلام أجداده الامجاد تباعدت الاسباب فى فضيلته صاحب البيت والسقاية والمشاءع والتلاوة ولم لا يكون كذلك وقد ساسه أكرم من دب فقال معاوية يا ابن عباس أنا أعلم أنك كلما فى أهل بيتك قال ولم لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهم فى الدين وعلمه التأويل ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام يا معاوية إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خص محمدا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثر وعلى الانفس والاموال وبذلوا النفوس دونه فى كل حال ووصد بهم الله فى كتابه فقال رجاء بينهم الآية فاموا بمعامال الدين وناصحوا الاجتهاد للسليين حتى تهذب طرقة وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضعت أعلامه وأذل الله بهم الشرك وأزال روحه وعادعائه وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصاوت الله ورجته وبركانه على ثلاث النفوس الزاكية والارواح الطاهرة العالية فقد كانوا فى الحياة لله أولياء وكانوا بعد الموت أحياء أجمعين رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها ففقط عليه معاوية الكلام وقال إياه يا ابن عباس حديثا فى غير هذا (من كتاب مروج الذهب)

(ذكر حروب على رضى الله عنهم أهل النهر وان وما لحق بهذا الباب)

من مقتل محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه والاشترى التخنق وغير ذلك)

واجتمعت الخوارج فى أربعة آلاف فبايعوا عبدا لله بن وهب الراشنى ولحقوا بالمدائن وقتلوا عبدا لله بن خباب عامل على علبا اذ بجوه وناجوا بقرى اطن امرأته وكانت حاملا وقتلوا غيرهما من النساء وقد كان على انفصل عن الكوفة فى خمسة وثلاثين ألفا وأنعم من البصرة من قبل ابن عباس وكان عامله على عشرة آلاف فيهم الاحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدى وذلك فى سنة ثمان وثلاثين فقتل على التبار والتأمت إليه العساكر فغاب النامس وحرصهم على الجهاد وقال سبيروا

الى قتله المهاجرين والانصار قوم طالماسعوا في اطفاء نور الله وحرصوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الا ان رسول الله امر في بقتال القاسطين وهم هؤلاء الذين سرقنا اليهم والناس كثرين وهم هؤلاء الذين قربنا منهم والمارقين ولم نلقهم بعد فمسيروا الى القاسطين فهم اهلهم علينا من الخوارج سيروا الى قوم بقاتونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس اربابا ويتخذون عباد الله خولا ومالهم دولا فأبوا أن لا يبدؤا الا بالخوارج فسار على اليهم حتى أتى النهروان فبعث اليهم بالحرث بن مرة العبدى رسولا يدعوهم الى الرجوع فقتلوه ويعدوا الى على ان تنبت من حكومتك وشهدت على نفسك يا بعنالك وان أبيت فاعز لنا حتى نختار لا نفسنا مالمنا فانامذك برأفبعث اليهم على أن ابغضوا الى بقتله اخوانى فاقتلهم ثم انا ركنكم الى أن أفرغ من قتال أهل المغرب ولعل الله يقلب قلوبكم فبعثوا اليه كنانة له أصحابك وكلنا مستحل لدمائهم مشتركون في قتلهم وأخبره الرسول وكان من يهود السواد أن القوم قد عبروا نهر طبرستان في هذا الوقت وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طبرستان بين حلوان وبغداد من بلاد خراسان فقال على والله ما عبروه ولا يقطعونه حتى تقتلهم بالريلة دونه ثم وارت عليه الاخبار بقطعهم لهذا النهر وعبروهم هذا الجسر وهو بأبي ذلك ويحلف أنهم لم يعبروه وأن مصارعهم دونه ثم قال سيروا الى القوم فوالله لا يقلت منهم الا عشرة ولا يقتل منكم عشرة فسار على فأشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالريلة على ما قال لأصحابه فلما أشرف عليهم قال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصاف القوم ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه فقتل له قدمونا فقال كفوا فكروا القول عليه نالا وهو يأمرهم بالكف حتى أتى رجل قيسل متشمط بدمه فقال على الله أكبر الآن حل قتالهم اجلوا على القوم فحمل رجل من الخوارج على أصحاب على فخرج فيهم وجعل يغشى كل ناحية ويقول

أضربهم ولو أرى عليا * ألبسته أبيض مشرفيا

فخرج اليه على رضى الله عنه وهو يقول

يا أجهذا المبتغى عليا * انى أراك جاهلا شقيا

قد كنت عن كفاحه غنيا * هلم فابرز ههنا اليا

وجل عليه على فقتله ثم خرج منهم آخر فحمل على الناس فقتل فيهم وجعل يكر عليهم وهو يقول

أضربهم ولو أرى أبا حسن * ألبسته بصارى ثوب غبن

فخرج اليه على وهو يقول

يا أجهذا المبتغى أبا حسن * اليك فانظرا أين يلقى الغبن

وجل عليه على وشكه بالرمح وزلزاله رحمه فانه صرف على وهو يقول لقد رأيت أبا حسن فرأيت
ماتكره وجل أبو أيوب الأنصاري على زيد بن حصن فقتله وقتل عبد الله بن وهب الذي قتل هاني
ابن حاطب الأزدي وزيد بن حفصة وقتل خرقوص بن زهير السعدي وكان جله من قتل من أصحاب
علي تسعة ولم يفلت من الخوارج الا عشرة وأتى علي على القوم وهم أربعة آلاف فيهم المخدج
ذو النديبة الامن ذكرنا من هؤلاء العشرة وأمر علي بطلب المخدج فطلبوه فلم يعثروا عليه فقام علي
وعليه أثر الحزن لفقد المخدج فانتهى الى قتلى بعضهم فوق بعض فقال أفرجوا ففرجوا عينا وشمالا
واسقبحوه فقال علي رضي الله عنه الله أكبر ما كذبت علي محمد وانه لنا فاص اليليس فيه اعظم
طرفها حلة مثل ندى المرأة عليها خمس شعرات أو سبع رؤسها معقفة ثم قال اتوفوني به فنظر الى
عصفه فاذا الحلم مجتمع على منكبه كندى المرأة عليه شعرات سودا اذا مدت الحمة امتدت حتى
تحمذي بعن يده الاخرى ثم ترك فتعود الى منكبه فني رجله ونزل وخرقه ساجدا ثم ركب ومريمهم
وهم مسرع فقال لقد صرعتكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وانفس السوء فقال أصحابه
قد قطع الله دابرهم الى آخر الدهر فقال كلا والذي نفسي بيده انهم لن يأسلاب الرجال وأرحام
النساء لا يخرج خارجة الا خرجت بعد داهمها حتى تخرج خارجة بين القرات ويدخله مع رجل
يقال لها لا سمطي يخرج اليه رجل منا أهل البيت فيقتلهم ولا يخرج بعدها خارجة الى يوم القيامة
وجمع على ما كان في عسكر الخوارج فقسم السلاح والدواب بين المسلمين ورد المتاع والعبيد
والاماء الى أهلهم ثم خطب الناس فقال ان الله قد أحسن اليكم وأعز نصركم فتنوحوهم من فوركم
هذا الى عدوكم فقالوا يا أمير المؤمنين قد كنت سيوفنا ونفدت بنالنا ونصبت أسنة رماحنا فدهنا
نستعبد باحسن عدتنا وكان الذي كلمه بهذا الاشعث بن قيس فمسكركم على بالتحيلة فجعل أصحابه
يتسللون ويلحقون باوطانهم فلم يبق معه الا نفر يسير ومضى الحرث بن راشد الناجي في ثلاثمائة من
الناس فارتدوا الى دين النصرانية وهم من ولسمامة بن لؤي من عند أنفسهم وقد أتى ذلك كثير من
الناس وذكروا أن سمامة بن لؤي ما أعقب وقد حكى عن علي فيهم ولست ترى ساميا الا منحرفا عن
علي من ذلك ما ظهر عن علي بن الجهم الشاعر السامي من التعصب والانحراف ولقد بلغ من انحرافه
وتعصبه العداوة لعل عليه السلام انه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك وهم استحقق اللعن منه فقال
بسمية اباي عليا فسرحت عليهم علي معقل بن قيس الرياحي فقتل الحرث ومن معه من المرتدين
بسيف الجروسي عيالهم وذراريهم وذلك بساحل البحرين فقتل معقل بن قيس بعض كور الاهواز
بسي القوم وكان هنالك مصقلة بن هيرة الشيباني عاملا لعل في فصاح به النسوة آمن علينا فاستراهم
بثلثمائة ألف وأعتقهم وأدى من المال مائتي ألف وهرب الى معاوية فقال علي قبح الله مصقلة

فعل فعل السيد وفر فرار العبد لو أقام أخذنا ما قدرنا على أخذه فان أعسر أنظرناه وان عجز
لم نؤاخذه بشئ وأنفذ العتق وفي سنة ثمان وثلاثين ووجه معاوية عمرو بن العاص الى مصر في أربعة
آلاف ومعه معاوية بن خديج وأبو الاعور السلي واستعمل عرا عليه حياته وفيه بعثنا قسدهم من
ضلته فالتقوا هم ومحمد بن أبي بكر وكان عامل على عليا بالوضع المعروف بالمنشاء فاقبلوا فانهم زم
محمد لا سلام أصحابه اباه وتركهم له وصار الى موضع عصر فاخفى فيه فاحيط بالدار فخرج اليهم محمد
ومن معه من أصحابه فقاتلهم حتى قتل فاخذهم معاوية بن خديج وعمرو بن العاص وغيرهما فجعلوه
في جلد حمار وأضرموه النار وذلك بوضع في مصر يقال له كوم شريك وقيل انه فعل به ذلك وبه
شي من الحماة وبلغ معاوية قتل محمد وأصحابه فاطهر الفرح والسرور وبلغ عليا قتل محمد وسرور
معاوية فقال جرعا عليه على قدر سرورهم فاجرعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جرعى
عليه كان لي ريبا وكنت أعهده ولما كان بي برا وكان ابن أخي فعلى مثل هذا نحن ونعند الله فحتمه
وولى على الاشترا على مصر وأنفذ اليها جيش فلما بلغ ذلك معاوية دس الى دهقان وكان العريش
فأرغبه وقال أتزل خراجك عشرين سنة فاحتل للاشتري بالسقم فطعمه فلما نزل الاشترا العريش
سأل الدهقان أى الطعام والشراب أحب اليه قيل العسل فأهدى له عسلا وقال ان من أمره
وشأه كذا وكذا ووصفه للاشترا وكان الاشترا صاعدا فساوول منه شربة فاستقرت في جوفه حتى تلف
وأقمن كلن معه على الدهقان ومن كلن معه وقيل كلن ذلك بالقنزم والاول أثبت فبلغ ذلك عليا
فقال لليلدين وللقم وبلغ ذلك معاوية فقال ان الله جندنا من العسل وقبض أصحابه عن على في هذه
السنة ثلاثة أرزاق على حسب ما كان يجعل اليهم المال من أعماله ثمور عليه مال من اصبهان
نخطب الناس وقال اغدوا الى عطا عرافع فواقه ما أنالكم بمخان وكان في عطائه يأخذ كيا يأخذ
الواحد منهم ولم يكن ين على ومعاوية من الحرب الاما وصفنا بصفين وكان معاوية في بقية أعمال على
يعتسر ابتاعه وكذلك على كان يعتن من يمنع صرايا معاوية من أذية الناس
(قال المسعودى رحمه الله) وقد تكلم طوائف من الناس عن سلف وخلف من أهل الآراء
في انشراح وغيرهم من فعل على يوم الجمل وصفين وتبين حكمه فيما وقين قتل من أهل صفين
مقبليين ومدرين واجهازه على جرحاهم ويوم الجمل لم يسع موليا ولا أجهز على جريح من ألقى
سلاحه أو دخل داره مكان آمننا وما أجهزهم بشيعة على في تباين حكمه على في عذبن اليومين
لاختلاف حكمهما وهو أن أصحاب الجمل لما انكشفوا لم يكن لهم فئة يرجعون اليها وانما يرجع القوم
الى منازلهم غير محارين ولا منابذين ولا لامر مخالفين فرضوا بالكف عنهم وكان الحكم فيهم
رفع السيف اذ لم يطلبوا عليه أعوانا وأهل صفين كانوا يرجعون الى فئة مستعنة وامام منتصب
يجمع لهم السلاح ويسنى لهم الاعطية ويقسم لهم الاموال ويجبر كسبرهم ويحمل زاجلهم ويردهم

فيرجعون الى الحرب وهم الى امامتهم نقادون ولرأيه متبعون وغيره مخالفون ولا مامته تاركون
وطبقه ياحدون وبآيه طلب ما ليس له قايون فاختلف الحكم لوصفنا وتباين حكاهما بكاذرنا
ولكل فريق من السائل والجيب كلام يطول ذكره ويتسع شرحه فبدأت على استيفائه وما ذكره
كل فريق منهم فيمأسلف فأغنى والله أعلم
(من مروج الذهب)

باب في التراجم

(الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه بن زوطي بن ماما الامام الفقيه الكوفي
مولي نيم الله بن ثعلبة وهو من رهط خزاعة)
(سنة ٨٠ الى سنة ١٥٠ هجره)

كان خزانة ابي يع انظر وجدته زوطي من أهل كابل وقيل من أهل بابل وقيل من أهل الانبار
وقيل من أهل نسا وقيل من أهل ترمذ وهو الذي سمى الرق فاعتق وولد ثابت على الاسلام وقال
اسماعيل بن جلد بن أبي حنيفة أنا اسماعيل بن جلد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان
من أبناء فارس من الاحرار والله ما وقع علينا رق قط ولحقني سنة ثمانين وذهب ثابت الى على
ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو صغير فدعاه بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو أن يكون الله تعالى
قد استجاب ذلك لعلينا والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلني بن أبي طالب رضي الله
عنه الف الذبيح في يوم مهران فقال مهران كل يوم هكذا قال الخطيب في تاريخه والله تعالى أعلم
وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبي
أوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وأبو الطفيل عامر بن واثله بجكة ولم يلق أحد منهم
ولأخذ عنه وأصحابه يقولون لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل
وذكر الخطيب في تاريخ بغداد أنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وأخذ الفقه عن جلد بن أبي
سليمان وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا بصير السبيعي ومخارب بن ثار والهيثم بن حبيب المصرافي
ومحمد بن المكندر ونافع المولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهم وهشام بن عروة وسماك بن حرب
وروى عنه عبد الله بن المبارك وكيع بن الجراح والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني
 وغيرهم وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثيرا للخشوع دائم التضرع الى الله تعالى
ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة الى بغداد فأراد على أن يولي له القضاء فأبى خلف عليه ليفعله
خلف أبو حنيفة أن لا يفعل خلف المنصور ليفعله خلف أبو حنيفة أن لا يفعل وقال اني لن أصلي
لقضاء فقال الريس بن يونس الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يخلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين
على كفارة أيمانه أقدروا على كفارة فأبى فأمر به الى الحبس في الوقت والعوام يدعون أنه يوتى

عدد الذين أيا ما يكفر بذلك عن عيونه ولم يصح هذا من جهة النقل وقال الرضيع رأيت المنصور
ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول اتق الله ولا ترع في أمانتك الا من يخاف الله والله ما أنا
مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ولما نجاه الحكم عليك ثم تهدنى أن تعرفني في الفرات
أوتلي الحكم لا خرت أن أغرق ولت حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ولا صلح لذلك فقال له
كذبت أنت تصلي فقال له قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لك أن تولى قاضيا على أمانتك
وهو كذاب وحكي الخطيب أيضا في بعض الروايات أن المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي
في الجانب الشرقي وبني مسجد الرصافة أرسل الى أبي حنيفة فجي به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى
فقال له ان لم تفعل ضربت بالسياط قال أو تفعل قال نعم فقعد في القضاء يومين فلم يأت به أحد فلما
كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لي على هذا درهمان وأربعة دنانير عن
ثور صفر فقال أبو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار قال ليس له على شيء فقال أبو حنيفة
لصفار ما تقول فقال استخلفه لي فقال أبو حنيفة للرجل قل والله الذي لا اله الا هو فجعل يقول
فلما رآه أبو حنيفة معتمدا على أن يقول قطع عليه وضرب يده الى كفه في صرة وأخرج درهمين
ثقلين وقال للصفار هذان الدرهمان عوض عن باقي ثورك فتظار الصفار اليهما وقال نعم فأخذ
الدرهمين فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فرض ستة أيام ثم مات وكان يزيد بن عمر بن هبيرة
الفرزاري أمير العراقيين أراد أن يلبى القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأبى
عليه فصر به مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلما رأى ذلك
خلى سبيله وكان أحد بن حنبل رضي الله عنه اذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة وذلك بعد
أن ضرب أحد على القول بخلق القرآن وقال اسماعيل بن جلد بن أبي حنيفة مررت مع أبي
بالكاسة فبكى فقلت له يا أبت ما يبكيك فقال يا بني في هذا الموضوع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام
في كل يوم عشرة أسواط على أن يلبى القضاء فلم يفعل والكاسة بضم الكاف موضع بالكوفة
وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه وكان ربعة من
الرجال وقيل كان طويلا لا تلو سمة أحسن الناس منطلقا وأحلامهم نعمة وذكر الخطيب
في تاريخه أن أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينس قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث من سأل
ابن سيرين فقال ابن سيرين صاحب هذا الرؤيا ينير علمنا بسبقه اليه أحد قبله قال الشافعي رضي الله
عنه قيل لما لك هل رأيت أبا حنيفة فقال نعم رأيت رجلا لو كلمته في هذه السارية أن يتبعها ذهابا
لقام بحجته وروى سمرية بن يحيى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال الناس عيال على هؤلاء الخمسة
من أراد أن يتجرف في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه ومن أراد
أن يتجرف في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى ومن أراد أن يتجرف في المغازي فهو عيال على محمد

ابن اسحاق ومن أراد أن يتجرف في الخوف فهو عيال على الكسافي ومن أراد أن يتجرف في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان هكذا نقله الخطيب في تاريخه وقال يحيى بن معين القراءة عندى قرأه جزئة والفقهاء فى أبى حنيفة على هذا أدركت النسل وقال جعفر بن ربيع أفتت على أبى حنيفة خمس سنين فأرأيت أطول صمتا منه فإذا سئل عن الفقه تفتح وسأل كل وادى وسعت له دوا وبجهرارة فى الكلام وكان اماما فى القياس وقال على بن عاصم دخلت على أبى حنيفة وعنده حمام يأخذ من شهره فقال للحمام تنسج مواضع البياض فقال الحمام ولا تزدق قال ولم قال لئلا يكثر قال فتتبع مواضع السوداء له يكثر وحكى لشريك هذه الحكاية ففعلك وقال لوزنك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحمام وقال عبد الله بن رجاء كان لابي حنيفة جار بالكوفة أسكاف يعمل نهاره أجمع حتى إذا خذه الليل رجع الى منزله وقد جعل الحما في طبعه أو سمكة في شوبها ثم لا يزال يشرب حتى اذا دب الشراب فيه غر بصوت وهو يقول

أضاعوني وأى فتى أضاعوا • ليوم كربة وسدد اندثر

فلما زال يشرب ويرد هذا البيت حتى يأخذه النوم وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة وأبو حنيفة كان يصلى الليل كله ففقدا أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه الغس مندليال وهو محبوب من فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من الغد وركب بغلته واستأذن على الامير فقال الامير انذوه وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يظا البساط يغلته ففعل ولم يزل الامير يوسع له فى مجلسه وقال ما حاجتك فقال لى جارا أسكاف أخذما الغس مندليال يأمر الامير بتخليته فقال نعم وكل من أخذ فى تلك الليلة الى يومنا هذا فأمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة والاسكاف عشي وراهم فلما نزل أبو حنيفة مضى اليه وقال بافتى أضعناك فقال لابل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الحوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد الى ما كان عليه وقال ابن المبارك رأيت أبا حنيفة فى طريق مكة وقد شوى لهم فصل سمين فاشتروا أن يأكلوه فجعل يحدوا شيئا يصبون فيه النخل فقهره وافرأيت أبا حنيفة وقد حفر فى الرمل حفرة وسط علم السفارة وسكب النخل على ذلك الموضع فأكلوا الشوا بالخل فقالوا نحن كل شئ فقال عليكم بالشكر فان هذا شئ الهمة لكم فضلا من الله عليكم وقال ابن المبارك أيضا قلت لسفيان الثوري يا عبد الله ما بعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط فقال هو أعقل من أن يسلط على حسنة ما يذهبها وقال أبو يوسف دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة فقال لى مع صاحب المنصور وكان يهذى أبا حنيفة يأمر المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جلدك كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول اذا حلف على اليمين ثم استنى بعد ذلك يوم أو يومين جاز الاستثناء وقال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء الامتصلا باليمين

فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك سبعة قال وكيف قال
يخلفونك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستقنون فتبطل أيمانهم ففعلك المنصور وقال بالربيع
لا تعرض لأبي حنيفة فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع أردت أن تسيط بدي قال لا ولكنك
أردت أن تسيط بدي فخلصت نفسك وخلصت نفسي وكان أبو العباس الطوسي سبي الرأى في أبي حنيفة
وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي اليوم أقتل
أبا حنيفة فأقبل عليه فقال يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل
لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه فقال يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل
فقال بالحق قال أفنذا الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه أن هذا أراد
أن يوثقني فربطه وقال يدين الكيت كان أبو حنيفة شديدا يخوف من الله تعالى فقرا ينادي على
ابن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الأخيرة سورة أنازلت وأبو حنيفة خلقه فلما قضى الصلاة
وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت أقوم لا يشغل قلبه بي
فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل فحُثث وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ
بلحية نفسه وهو يقول يا من يجزي بمثل ذرة خيرا ويا من يجزي بمثل ذرة شررا أجر النعمان
عبدل من النار ومما يقرب منها من السوء وأدخله في سعة رجتك فأردت وإذا القنديل ينهر
وهو قائم فلما دخلت قال لي تريد أن تأخذ القنديل قلت قد أدت لصلاة الغداة فقال اكتم على
ما رأيت وركع ركعتين وجلس حتى أقت الصلاة و صلى معنا الغداة على وضوء أول الليل وقال أسد
ابن عمر صلى أبو حنيفة فيما حفظ عنه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة ليلة
يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرجه جيرانه وحفظ عليه أنه ختم
القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف ختمه وقال اسمعيل بن جلدب أبي حنيفة عن أبيه
لمامات أبي سألنا الحسن بن عمار أن يتولى غسله ففعل فلما غسله قال رجل الله وغفر لك لم تقطر
منذ ثلاثين سنة ولم تنس عييتك في الليل منذ أربعين سنة وقد أتعت من بعدك وفتحت القراء
ومناقبه وفضائله كثيرة وقد ذكرنا الخطيب في تاريخه منها شيئا كثيرا ثم أعقب ذلك بذكر ما كان
الائق تركه والأضراب عنه فقل هذا الإمام لا يشك في دينه ولا في ورعه وتحفظه ولم يكن يعاب
بشيء سوى قلة البرية فمن ذلك ما روي أن أبا عمرو بن العلاء المقرئ الكوفي سأله عن القتل بالقتل
هل يوجب القود أم لا فقال لا كما هو قاعدة مذهب خلافا لإمام الشافعي رضي الله عنه فقال له
أبو عمرو ولوقتله بحجر المتخنيق فقال ولوقتله بأقبيس يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى
وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول إن الكلمات الست المعربة بالحروف
وهي أبوه وأخوه وجوه وفود ومال أعرابهم يكونون في الأحوال الثلاث بالالف وأنشدوا في ذلك
(٢٣) القطع المنتهية (جزء أول)

أن أباه وأبأباه * قبل بغاى المجد غايتاه

وهى لغة الكوفيين وأبو حنيفة من أهل الكوفة فهى لغته والله أعلم وهذا وإن كان خروجاً عن المقصود لكن الكلام ارتباط بعضه ببعض فانتشر وكانت ولادة أبى حنيفة سنة ثمانين للهجرة وقيل سنة إحدى وستين والاول أصح وتوفى في رجب وقيل في شعبان سنة ثمان وخسين ومائة وقيل ثلاث وخسين والاول أصح وكانت وفاته ببغداد في السجن ليل القضا فلم يفعل هذا هو الصحيح وقيل انه لم يمت في السجن وقيل توفى في اليوم الذى ولد فيه الامام الشافعى رضى الله عنهم - ما ودفن في مقبرة الخيزران وقبره هناك مشهور بزار وزوطى يضم الزاى وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها ألف مقصورة وهو اسم بنطى وكابل يفتح الكاف وضم الباء الواحدة بعد الالتصاق وبعدها لام وهى ناحية معروفة من بلاد الهند نسب اليها جماعة من العلماء وغيرهم وأما بابل والاسرار فهما معروفان فلا حاجة الى الكلام عليهما وبني شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمى مستوفى عمدة السلطان ملك شاه السلجوق على قبر الامام أبى حنيفة مشهدا وقبة وبني عنده مدرسة كبيرة للحنفية ولما فرغ من عمارة ذلك ركب الهافى جماعة من الاعيان ليشاهدوها فيمناهم اذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضى الشاعر وأئسده

ألم تر أن العلم كان مبسدا * فجعله هذا المغيث في اللحد

كذلك كانت هذه الارض ميتة * فأنشروا فعل الحميد أبى سعد

فأجازة أبو سعد جائزة معتدة ولا بى سعد هنا مدرسة بمدينة مرو وله عدة ربط وخانات في المفاوز وكان كثير الخيرة وعمل المعروف وانقطع آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته وكانوا يرجعون في الامور وتوفى في المحرم سنة أربع وستين وأربع مائة بأصهان رحه الله تعالى وكان بناء المشهد والقبة في سنة تسع وخسين وأربع مائة ويحكى أن محمد والى السلطان ملك شاه بنى مشهدا على قبر الامام أبى حنيفة وكذلك وجدته في بعض التواريخ وقد غاب عن الاتى من أين نقلته ثم وجدت بعد ذلك ان الذى بنى المشهد والقبة أبو سعد المذكور والظاهر أن أبى سعد بنىها نيابة عن البارسلان المذكور وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم فنسب العمارة اليه بهذه الطريق ويدل على ذلك أن تاريخ العمارة في أيام البارسلان وأبو سعد كان معسوف فى أيامه ثم استمر على وظيفة في أيام ولده الملك شاه وهذا التماس كونه لجمع بين التقلين وائق أعلم

(من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

الامام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحرث بن غنيان بغين معجمة وباء تحتها
نقطتان ويقال عثمان بعين مهملة وناء مثناة ابن جليل يحيم وناء مثناة وباء سا كثة تحتها نقطتان
وقال ابن سعد وهو خليل بنحاء معجمة ابن عمرو بن ذى أصح واسمه الحرث الاصبي الدفي
(سنة ٩٥ الى سنة ١٧٩ هجرية)

امام دار الهجرة وأحد الأئمة الاعلام أخذ القراعة عن نافع بن أبي نعيم وسمع الزهري ونافع
مولي ابن عمر رضي الله عنهما وروى عنه الاوزاعي ويحيى بن سعيد وأخذ العلم عن ربيعة الرأي
وأفتى معه عند السلطان وقال مالك قل رجل كنت أعلم منه مات حتى يبحث ويستخفي
وقال ابن وهب سمعت مناديا ينادي بالمدينة ألا لا يفتي الناس الا مالك بن أنس وابن أبي ذئب وكان
مالك اذا أراد أن يتحدث فوضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحينه وتمكن في جلوسه بقار وهيئة
ثم حدث ف قيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به
الامتكان على طهارة وكان يكره أن يتحدث على الطريق أو قائما أو مستججلا ويقول أحب أن
أنفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لا يركب في المدينة متعجفا وكبر سنه
ويقول لأركب في مدينة فمباحثة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة وقال الشافعي قال لي
محمد بن الحسن أمهم أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعني أبا حنيفة وما الكارضي الله عنهما قال قلت على
الانصاف قال نعم قال قلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم
قال قلت ناشدتك الله من أعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال قلت
ناشدتك الله من أعلم بالقوانين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم
قال اللهم صاحبكم قال الشافعي فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء فعلى أى
شئ تقيس وقال الواقدي كان مالك يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعودنا المرضى
ويقضى الحقوق ويجلس في المسجد ويجمع اليه أصحابه ثم ترك الجلوس في المسجد فكان يصلى
ويتصرف الى مجلسه وترك حضور الجنائز فكان يأتي أهلها فيعزهم ثم ترك ذلك كله فلم يكن
يشهد الصلوات في المسجد ولا الجمعة ولا يأتي أحد يعز به ولا يقضى له حق أو يحتمل الناس له ذلك حتى
مات عليه وكان رعا قليل له في ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره وسعى به الى جعفر
ابن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وهو عم أبي جعفر المنصور وقالوا له انه
لا يرى أيمان يبعثكم هذه بشئ فغضب جعفر ودعا به وجرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى
اتخذت كتفه وارتكب منه امر أعظما فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكأنا كانت
تلك السياط جليا حتى به وذكر ابن الجوزي في شذور العقود في سنة سبع وأربعين ومائة وفيها ضرب

مالك بن أنس سبعين سوطا لجل فتوى لم يوافق غرض السلطان والله أعلم وكانت ولادته في سنة
خمس وتسعين للهجرة وحل به ثلاث سنين ووفى في شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة
رضي الله عنه فعاش أربعاً وعشرين سنة وقال الواقدي مات وله تسعون سنة وقال ابن الفرات
في تاريخه المرتب على السنين توفي مالك بن أنس الاصحبي لعشر مضين من شهر ربيع الاول سنة تسع
وسبعين ومائة وقيل انه توفي سنة ثمان وسبعين ومائة وقبل ان مولده سنة تسعين للهجرة وقال
السمعاني في كتاب الانساب في ترجمة الاصحبي انه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين والله أعلم بالصواب
وحكي الخافض أبو عبد الله الجبدي في كتاب جذوة المقتبس قال حدث القعنبی قال دخلت على
مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيت يميني فقلت يا أبا عبد الله ما الذي
يكيلك فقال لي يا ابن قعنب وما لي لا أبكي ومن أحق بالبكاء عني والله لو دنت أذن ضربت بكل مسألة
أفتيت فيها برأيي سوطاً وقد كانت لي السفة فيما قد سبقت اليه وليني لم أفت بالرأي أو كما قال وقد
كانت وفاته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ودفن بالبقيع وكان شديد البياض الى
الشقرة طويلاً عظيم الهامة أصلع يلبس الثياب العذمية الجلياد ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه
من المنلة ولا يغير شيبه ورثاه أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج بقوله

سقى جدنا ضم البقيع لمالك * من المزن مر عاد السجائب مبراق
امام موطاه الذي طبقت به * أقاليم في الدنيا فراح وآفاق
أقام به شرع النبي محمد * له حذر من أن يضام واشفاق
له سند عال صحيح وهيبه * فللكل منه حين يرويه اطراق
وأصحاب صدق كلهم علم فصل * بهم انهم ان أنت ساءلت حذاق
ولو لم يكن الا ابن ادريس وحده * كفاه ألابان السعادة ارزاق

والاصحبي يفتح الهمزة وسكون الصاد الملهمة وفتح الباء الموحدة وبعدها طعمه مله هذه النسبة الى ذي
أصبح واسمه الحارث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة وهو من يعرب بن قحطان وهي قبيلة
كبيرة باليمن واليهما تنسب السباط الاصبحية وقال هشام بن الكلبي في جهمرة النسب ذو أصبح
هو الحارث بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس
ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن القوث بن قطن بن غريب بن زهير بن أيمن بن هميم
ابن جابر بن سبابة بن شجوب بن يعرب بن قحطان واسمه يقطن بن عابر بن شالح بن ارنخشد بن سام
ابن نوح عليه السلام والذي ذكرناه أولاد كرم الحجازي في كتاب النجالة والله أعلم بالصواب

(من كلب وفيلان الاعيان لابن خلكان)

الامام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد ربه بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلب الشافعي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف المذكور وباقي النسب الى عدنان معروف (سنة ١٥٠ الى سنة ٢٠٤ هجرية)

أتى جده شافع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مترعر وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر فأسر وفدى نفسه ثم أسلم فقبل له لم تسلم قبل أن تفدى نفسك فقال ما كنت أحرم المؤمنين مطعمهم في وكان الشافعي كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرن اجتمع فيه من العلوم بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة رضي الله عنهم وأقاربهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين ما لم يجتمع في غيره حتى قال أحمد ابن حنبل رضي الله عنه ما عرفت فاسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي وقال أبو عبد القاسم بن سلام ما رأيت رجلاً قط أكمل من الشافعي وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لأبي أي رجل كان الشافعي فاني سمعتك تكلم من المعاملة فقال يا بني كان الشافعي مثل الشمس للدينا وكالعافية للبدن هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض وقال أحمد مات منذ ثلاثين سنة الا وأنا أذكره للشافعي وأستغفره وقال يحيى بن معين كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي ثم استقبلته بمواوال الشافعي راكب غلته وهو عشي خلفه فقلت يا أبا عبد الله تنها بآعنه وعشي خلفه فقال اسكت ولزمت البغلة لا تنفعت وحكي الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن عبد الحكم قال لما جلت أم الشافعي به رأيت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض عصر ثم وقع في كل بلد منه شظية فتأول أصحاب الرأي أنه يخرج منها عالم يخص علمه أهل مصر ثم يفرق في سائر البلدان وقال الشافعي قدمت على مالك بن أنس وقد حفظت الموطأ فقال لي أحضر من قرأ لك فقلت أنا فأقارئ فقرأت عليه الموطأ حفظاً فقال انيك أحد يفلح فهذا الغلام وكان سفيان بن عيينة اذا جاءه شيء من التفسير أو الفقهيا التفت الى الشافعي فقال سألوا هذا الغلام وقال الحميدي سمعت الربيع بن خالد يعني مسلماً يقول للشافعي أفت يا أبا عبد الله فقد والله أن لك أن تفني وهو ابن خمس عشرة سنة وقال محفوظ بن أبي توبة البغدادي رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام فقلت يا أبا عبد الله هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث فقال ان هذا يفتوت وذال لا يفتوت وقال أبو حسان الزينادي ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحدا من أهل العلم تعظيمه للشافعي ولقد جاءه يوما فلقبه وقد ركب محمد بن الحسن فرجع محمد الى منزله وخاله به يومه الى الليل ولم يأنذ لاحد عليه

والشافعي أول من تكلم في أصول الفقه وهو الذي استنبطه وقال أبو ثور من زعم أنه رأى مثل محمد ابن ادريس في علمه وقصاحته ومعرفته وثباته وعظمته فقد كذب كان منقطع القرنين في حياته فلما مضى لسبيله لم يعثر منه وقال احمد بن حنبل ما أحدم من يده محبرة أو ورق الا والشافعي في رقبته منة وكان الزعفراني يقول كان أصحاب الحديث رقبودا حتى جاء الشافعي فأيقظهم فسيقظوا ومن دعائه اللهم باللطيف أسألك اللطيف فيما لم يجرب به المقادير وهو مشهور بين العلماء بالاجابة وأنه مجرب وفصائله أكثر من أن تعد ومولده سنة خمس ومائة وقد قيل أنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الامام أبو حنيفة وكانت ولادته بحدينة غزوة قبل بعثته بثمانين وثمان مائة وأصله من غزوة إلى مكة ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهرا ثم خرج إلى مصر وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة وقيل إحدى ومائتين ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى وقبره يزار بها بالقرب من المقطم رضى الله عنه قال الريح بن سلمان المرادي رأيت هلال شعبان وأنا راجع من جنازته وقال رأيت في المنام بعد وفاته فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك فقال أحسن على كربي من ذهب وتبر على اللؤلؤ والطيب وذكر الشيخ أبو اسحق الشيرازي في كتاب طبقات الفقهاء من له وحكي الزعفراني عن أبي عثمان بن الشافعي قال مات أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة وقد انفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والاصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدلته وزهده وورعه وزنازه عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعاف قدره وسخائه وللامام الشافعي أشعار كثيرة في ذلك ما نقلته من خط الحافظ أبي طاهر السلفي رحمه الله تعالى

ان الذي رزق اليسار ولم يصب * حمدا ولا اجرا لغير موفق
الجسد ينفى كل أمر شاسع * والجسد يفتح كل باب مغلق
وانا سمعت بان مجدودا حوى * عودا فأحمر في يديه فصندق
وانا سمعت بأن محمروا ألقى * ماء ليشربه ففاض فحقيق
لو كان بالحيل الغنى لو جدتني * بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحرام الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضاء وكونه * يؤمن الليب وطيب عيش الاجت
(وفيات الاعيان لابن خلكان)

الامام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حبان بن عبد الله
ابن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر
ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد
ابن عدنان الشيباني المروزي الأصل (سنة ١٦٤ الى سنة ٢٤١ هجرية)

هذا هو الصحيح في نسبه وقيل انه من بني مازن بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاية وهو غلط لانه من
بني شيبان ابن ذهل لا من بني ذهل بن شيبان وذهل بن ثعلبة المذكور هو عم ذهل بن شيبان فليعلم ذلك
والله أعلم . خرجت أمه من مرو وهي حامل به فولدته في بغداد في شهر ربيع الاول سنة أربع وستين
ومائة وقيل انه ولد بعرو وجعل الى بغداد وهو رضيع وكان امام المحدثين صف كتابه المسند وجمع فيه
من الحديث ما لم يتفق لغيره وقيل انه كان يحفظ ألف ألف حديث وكان من أصحاب الامام الشافعي
رضي الله تعالى عنهم واخو صاه ولم يزل مصاحبه الى أن ارتحل الشافعي الى مصر وقال في حق
خرجت من بغداد وما خلفت هم أتني ولا أفقه من ابن حنبل ودعي الى القول بخلق القرآن فلم يجب
فضرب وجلس وهو مصر على الامتناع وكان ضربه في العشر الاخير من شهر رمضان سنة عشرين
ومائتين وكان حسن الوجه ربعة مختضب بالحناء خضبا ليس بالقاني في لحية شعيرات سود أخذ عنه
الحديث جماعة من الاماثل منهم محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري ولم يكن
في آخر عصره مثله في العلم والورع توفي ضحوة ثمانية عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول
وقيل بل ثلاث عشرة ليلة بقتين من الشهر المذكور وقيل من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين
ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب وباب حرب منسوب الى حرب بن عبد الله أحد أصحاب
أبي جعفر المنصور والى حرب هذا تنسب الحلة المعروفة بالحريسة وقبر أحمد بن حنبل مشهور بها
يزار رحمه الله تعالى وحزن من حضر جنازته من الرجال فكانوا غما غما ألف ومن النساء ستين ألفا
وقيل انه أسلم يوم مات عشرون ألفا من النصارى واليهود والجموس وذكر أبو الفرج بن الجوزي
في كتابه الذي صنفه في أخبار بشر بن الحرث الحنفي رضي الله عنه في الباب السادس والاربعين
ما صورته حدث إبراهيم الحري قال رأيت بشر بن الحرث الحنفي في المنام كأنه خارج من باب
مسجد الرصافة وفي كعشي تعبرك فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وأكرمني فقلت ما هذا
الذي في كعك قال قدم علينا الباردة روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت فهذا
مما انقطعت قلت ما فعل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل قال تركتهما وقد زار رب العالمين ووضعت
لهما المواثيق فلم تأكل معهما أنت قال قد عرف هو أن الطعام على قنابح النظر الى وجهه
الكريم وفي أجاده حبان بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الالف نون

وبقية الاجداد لاجابة الى ضبط اسمائهم لشهرتها وكثرتها ولولا خوف الاطالة لفقدتها
ورأيت في نسبه اختلافا وهذا أصح الطرق التي وجدت فيها وكان له ولدان عالمان وهما صالح
وعبد الله فأما صالح فقد مات وفاته في شهر رمضان سنة ست وستين ومائتين وكان قاضي اصبهان
فمات بها ومولده في ثلاث ومائتين وأما عبد الله فانه بقي الى سنة تسعين ومائتين وتوفي في يوم الاحد
لثمان بقين من جادى الاولى وقيل الآخرة واليسع وسبعون سنة وكنية أبو عبد الرحمن وبه كان
يكنى الامام أجدد جههم الله أجمعين (من كلب وفيات الاعيان لابن خلكان)

. أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحرري البصري الحرابي صاحب المقامات

(سنة ٤٤٦ الى سنة ٥١٥ هجرية)

كان أحد أئمة عصره ورزق الخطوة التامة في عل المقامات واشتملت على شئ كثير من كلام العرب
من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ومن عرفها حق معرفتها استدلبها على فضل هذا الرجل
وكثرة اطلاعه وغزارة مادته وكان سبب وضعه لها ما سكاها ولده أبو القاسم عبد الله قال كان أبي
جالسا في مسجد بني حوام فدخل شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر رثا الحال فصيح الكلام
حسن العبارة فسألته الجماعة من أين الشيخ فقال من سروج فاستخبروه وعن كنيته فقال أبو زيد
فهل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي التامنة والاربعون وعزاها الى أبي زيد المذكور واشتهرت
فبما خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أئشروا بن محمد بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام
المستبردين فلما وقف عليها أعجبته وأشار على والدي أن يضم اليها غير هافتها تخسين مقامة والى
الوزير المذكور أشار الحرري في خطبة المقامات بقوله فاشار من اشارته حكم وطاعته غم الى أن
أنشئ مقامات أنا وفيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شأو الصليح هكذا وجدت في عدة نواريخ
ثم رأيت في بعض شهر سنة ست وخمسين وسثمائة بالقاهرة المروسة نسخة مقامات وجميعها بخط
مصنفها الحرري وقد كتب بخطه أيضا على ظهرها انه منصفها الوزير جمال الدين عبد الله أبو علي
الحسن بن أبي العزلي بن صدقة وزير المسترشد أيضا ولا شك أن هذا أصح من الرواية الاولى لكونه
بخط المصنف وتوفي الوزير المذكور في رجب سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة فهنا كان مستنده
في نسبتها الى أبي زيد السروجي وذو القاضى الاكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني
القطعي وزير حلب في كتابه الذي سماه أيام الرواة في أبناء النخاة أن أبا زيد المذكور اسمه المطهر بن سلام
وكان بصريا نحويا صاحب الحرري المذكور واشتغل عليه بالمصرة وتخرج به وروى عنه
وروى القاضى أبو الفتح محمد بن أحمد المندائي الواسطي عنه ملحة الاعراب الحرري وذكر أنه سمعها
منه عن الحرري وقال قدم علينا واسط في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة فسمعت منه وتوجه منها
معه الى بغداد ونصليها وأقام بها مدة يسيرة وتوفي بمارجعه الله تعالى وكذا ذو القاضى في الذيل

والعماد في الخريدة وقال لقبه فخر الدين وولي صدرية المشان ومات بها بعد سنة أربعين وخمسمائة وأما تسمية الراوي لها بالحرث بن همام فاعني به نفسه هكذا وقفت عليه في بعض شروح المقامات وهو ما خون من قوله صلى الله عليه وسلم كلكم حارث وكلكم همام فالحارث الكاسب والهمام كثير الاهتمام ومامن شخص الا وهو حارث همام لان كل واحد كاسب ومهتهم باموره وقد اعتنى بشرحها خلق كثير فنتهم من طول ومنهم من اختصر ورأيت في بعض المجاميع أن الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها أربعين مقامة وجلها من البصرة الى بغداد وادعاها فلم يصدقه في ذلك جماعة من أدياء بغداد وقالوا انه ليست من تصنيفه بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه اليه قاعاها فاستدعاها الوزير الى الديوان وسأله عن صناعته فقال أنا رجل من مشي فافتخر عليه انشامر سالفه في واقعة عنها فانفرد في ناحيته من الديوان وأخذ الدواة والورقة ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله سبحانه عليه بشي من ذلك فقام وهو خجلان وكان في جملة من أنكروا هوائه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر المقدم ذكره فلما رجع الحريري الى الديوان التي اقترحها الوزير أنشد ابن أفلح وقيل ان هذين البيتين لابي محمد بن احمد المعروف بابن جكين الحريري البغدادي الشاعر المشهور

شيخ لنا من ربيعة القرس * ينتف عنتونه من الهوس

أنطقه الله بالمشان كما * رماه وسط الديوان بالخرس

وكان الحريري يزعم أنهم من ربيعة القرس وكان مولعا ينتف لحيشه عند الفكرة وكان يسكن في مشان البصرة فلما رجع الى بلده عمل عشر مقامات آخر وسيرهن واعتذر من عيه وحصره في الديوان بحالهم من المهابة والحريري تأليف حسان متهاذرة القواص في أوهم الخواص ومنها ملحمة الاعراب المنظومة في الخو وله أيضا شرحها وله ديوان رسائل وشعر كثير غير ما نقلني في المقامات فن ذلك قوله وهو معنى حسن

قال العواذل ما هذا الغرام به * أما ترى الشعر في خديه قد نبنا

فقلت واقه لو أن المفضلني * تأمل الرشد في عينيه مائنا

ومن أقام بارض وهي مجدبة * فكيف ير حل عنها والزيغ أقي

وذكره عماد الدين الاصبهاني في كلب الخريدة

كم نطباء بجابر - فنتت بالجابر * ونفوس نفائس - خدرت بالخادر

وتنت الخاطر - هاج وجدنا لخطر * وعذار لاجله - عاذل عاذا ذرى

* وشجون تصافرت - عند كشف الضفائر *

(٢٤) القطع المتخبة (جزء أول)

له قصائد اشتمل فيها التجنيس كثيرا ويحكى أنه كان دميما في جميع المنظر فحاده شخص غريب يزوره
ويأخذ عنه شيئا فلما رآه استزرى شكله ففهم الحريرى ذلك منه فلما التمس منه أن يلى عليه
قال له اكتب

مائت أول سار غره قصر * ورائد أعجبت به خضرة الدمن
فاخترت نفسك غيرى انى رجل * مثل المعيدى فاسمع بي ولا ترفى

تجبل الرجل منه وانصرف وكانت ولادة الحريرى فى سنة ست وأربعين وأربعمائة ووقى سنة
ست عشرة وقيل خمس عشرة وخمسمائة بالبصرة فى سكة بنى حرام وخلف ولدين وقال أبو المنصور
ابن الجوالقى أجازنى المقامات نجم الدين عبد الله وقاضى قضاء البصرة ضياء الاسلام عبيد الله
عن أبيهما منسهما ونسبته بالحرارى الى هذه السكة رجه الله تعالى وهى بفتح الحاء المهملة والراء وبعد
الالف ميم ونحوهم قبيلة من العرب سكنوا فى هذه السكة فنسبت اليهم والحريرى نسبة الى
الحرر وعمله أربعه والمشان بفتح الميم والسين المجعوبة وبعد الف نون بليدة فوق البصرة كثيرة
التخل موصوفة بشدة الوخم وكان أصل الحريرى منها ويقال انه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة
وانه كان من ذوى اليسار والوزير أنوشروان المذكور كان نبيلًا فاضلا جليل القدر له تاريخ لطيف
سماه صدور زمان الفتور وقتور زمان الصدور نقل منه العماد الاصبهانى فى كتاب نصره الفترة
وعصره الفطرة الذى ذكر فيه أخبار الدولة السلجوقية نقلا كثيرا ووقى الوزير المذكور سنة اثنين
وثلاثين وخمسمائة رجه الله تعالى وأما ابن المندائى المذكور فهو أبو الفتح محمد بن أبى العباس أحمد
ابن يختيار بن على بن محمد بن ابراهيم بن جعفر الواسطى المعروف بابن المندائى وقد أخذ عنه جماعة
من الاعيان كالخافظ أبى بكر الخازمى وغيره وكانت ولادته فى شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة
وخمسمائة بواسطة ووقى فى النام من شعبان سنة خمس وستمائة رجه الله تعالى والمندائى بفتح
الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ومدا المهملة والمعيدى بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون
الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة مكسورة وياعشدة وقد جافى التل تسع بالمعيدى
لأن تراه وجاء أيضا تسع بالمعيدى خير من أن تراه وقال المفضل الضبي أول من تكلم به المندرين
ماء السماء قاله لشقة بن ضرة التميمى الدارى وكان قد سمع ذكره فلما رآه اقحمته عينه فقال له هذا
المثل وسار عنه فقال له شقأيت اللعن ان الرجال ليسوا بجوزير ادم منها الاجسام انما المرء باصغره
قلبه ولسانه فأعجب المندمر رأى من عقله وبيانه وهذا المثل يضرب لمن له صيت وذكره ولا منظر له
والمعيدى منسوب الى معد بن عدنان وقد نسبوا بعد أن صغروا وخففوا منه الدال

(من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري الأديب

(سنة ٥١٨ هـ بمجزيه)

كان أديبا فاضلا عارفا باللغة اختص بصحبة أبي الحسن الواحد صاحب التفسير ثم قرأ على غيره وأتقن فن العربية خصوصا اللغة وأمثال العرب وله فيها التصانيف المفيدة منها كتاب الأمثال المنسوب إليه ولم يعلم مثله في بابيه وكتاب السامى فى الاسامى وهو حديث فى بابيه وكان قد سمع الحديث ورواه وكان يشد كثيرا وأظنهما

تنفس صبح الشيب فى ليل عارضى * فقلت عساه يكنى به ذارى

فلما فتى عاتيتسه فأجابنى * أيا هبل ترى صبجا بغير نهار

وفى يوم الاربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وخمسمائة بنيسابور ودفن على باب ميدان زياد والميداني بفتح الميم وسكون الياء المئنة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعد الالف نون هذه النسبة الى ميدان زياد بن عبد الرحمن وهي محله فى نيسابور وابنه أبو سعد سعيد بن أحمد كان أيضا فاضلا دينيا وله كتاب الاسما فى الاسماء وفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة رحله الله تعالى (من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن عبد الواحد الشيباني

المعروف بابن الانبىاء الجزرى الملقب عز الدين

(سنة ٥٥٥ الى سنة ٦٣٠ هـ بمجزيه)

ولمبا الجزيرة ونشأ بها ثم سار الى الموصل مع والده وأخويه وسكن الموصل وسمع بهم من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي ومن فى طبقة وقدم بغداد مرارا لحاجا ورسولا من صاحب الموصل وسمع بهم من الشيخين أبي القاسم يعنى بن صدقة الفقيه الشافعى وأبى أحمد عبد الوهاب ابن على الصوفي وغيرهما ثم رحل الى الشام والقدس وجمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل ولزم يثمه منقطع على التوفر على النظر فى العلم والتصنيف وكان يثمه مجمع الفضل لاهل الموصل والواردين عليها وكان اماما فى حفظ الحديث ومعرفة وما يتعلق به وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وغير ما انساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم من فى التاريخ كتابا كبيرا سماه الكامل ابتدأ فيه من أول الزمان الى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو من خيار التواريخ واختصر كتاب الانساب لابن سعد عبد الكرم السمعاني واستدرك عليه فيه مواضع وبه على أغلاط وزاد أشياء أهملها وهو كتاب مفيد جدا وأكثر ما يوجد اليوم بأيدي الناس هذا المختصر

وهو في ثلاث مجلدات والاصل في ثمان وهو عزيز الوجود ولم أره سوى مرة واحدة بمدينة حلب ولم يصل الى الغيار المصرية سوى المختصر المذكور وله كتاب أخبار الصحابة رضوان الله عليهم في ست مجلدات كبار ولما وصلت الى حلب في أواخر سنة ست وعشرين وسبعمائة كان عز الدين المذكور مقيما في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طقيريل الخادم أتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب وكان الطواشي كثيرا لأقبال عليه حسن الاعتقاد فيه مكرما له فاجتمعت به فوجدته رجلا مكافيا للفاضل وكرم الاخلاق وكثرة التواضع فلا زمت التردد اليه وكان بيننا وبين والادرجه الله تعالى مؤانسة أكيدة فكان يسديا بالغ في الرعاية والاكرام ثم انه سافر الى دمشق في أثنائه سنة سبع وعشرين ثم عاد الى حلب في أثنائه سنة ثمان وعشرين فغريت معه على عادة التردد والملازمة وأقام قليلا ثم توجه الى الموصل وكانت ولادته في رابع جادى الاولى سنة خمس وخمسين وخمسائة بجزيرة ابن عمرو ومن أهلها ويقف في شعبان سنة ثلاثين وسبعمائة رحمه الله تعالى بالموصل والجزيرة المذكورة كثيرا الناس يقولون انها جزيرة ابن عمرو ولا أدري من ابن عمر وقيل انها منسوبة الى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين ثماني ظفرت بالصواب في ذلك وهو أن رجلا من أهل برقيس من أعمال الموصل بناها وهو عبد العزيز بن عمر فأضيفت اليه ورأيت في بعض التواريخ أنها بنيت برقيس بن عمرو وأوس وكامل ولا أدري أيضا من هما ثم رأيت في تاريخ ابن المستوفي في ترجمة أبي السعادات المبارك بن محمد أخى أبي الحسن المذكور أنه من جزيرة أوس وكامل بنى عمر بن أوس النعلبي (من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

(تم الجزء الاول من كتاب القطع المنتخبه ويليها الجزء الثاني وأوله الباب الاول في الفقه)

(الباب الاول في الفقه)

صحيفة

٣	معرفة عدالة الشاهد
٣	القضاء بالصلح بين الخصمين
٤	القضاء بما يظهر من قرائن الاحوال والامارات
٦	القضاء بالسياسة الشرعية
٧	كتاب الحوالة
٧	كتاب الشركة
٨	كتاب التفليس والحجر
١٠	كتاب الشفعة
١١	كتاب الوصايا
١٤	فصل كيف كان فرض عمر لصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨	فصل في موات الارض والصلح والعنوة وغيرها
٢٠	فصل يبيع السمك في الآجام
٢١	فصل في غرس الواقف أو غيره أشجارا وبناءه في الوقف
٢٢	فصل وقف المنقول أصالة
٢٣	بيان طبقات فقهاء الحنفية والمقابلة بينهم وبين فقهاء الشافعية في مجرد العدد
٢٤	الكلام على قول بعضهم ان العصر خلا عن الجهد
٢٥	الكلام على اتعاء الحلال السيوطي الاجتهاد المطلق ومستنده في ذلك
٢٦	الكلام على المجددين لهذه الامة أمرا الدين
٢٩	الكلام على الاجماع على تقليد الاربعة المجتهدين دون غيرهم
٣١	الكلام على الانتقال من مذهب الى آخر
٣٢	(الباب الثاني في الاحاديث والحكم)
٣٢	في السؤدد والمروءة ومكارم الاخلاق ومداراة الناس والتأديب معهم في حال الغنى والاملاق
٣٩	فصل في المروءة

مصحفة	
٤٦	(الباب الثالث في الاخلاق)
٤٦	أدب العلم
٥٣	أدب النفس
	(الباب الرابع في المباحث الادبيه)
٥٦	في أن الغنم ملكة صناعه
٥٧	في أن العلم والتعليم طبيعي في البشر
٥٧	في أن التعليم للعلم من جهة الصنائع
٦٠	في أن البدو أقدم من الحضرة وسابق عليه
٦١	في أن أهل البدو أقرب للشجاعة من أهل الحضرة
٦٢	في أن الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء
	(الباب الخامس في المقامات)
٦٣	المقامة العاشرة وتعرف بالكوفية
٦٦	المقامة الثلاثون وتعرف بالطيبة
٧٠	شرح المقامة الثلاثين الصورية للشرنخ
٨٧	(الباب السادس في المراسلات والمشاآت)
٨٧	في وصية عبد الحميد الكاتب لطايفة الكتاب
٨٩	وصية طاهر لابنه عبد العزيز
٩٥	رسالة ودادية
٩٦	كتاب لسلطان المغرب
٩٧	كتاب لسلطان زنجبار
٩٨	كتاب حن العساكر في جزيرة كريد
١٠٠	كتاب الى من ياتروا واقعة أرقازي من الضباط الجهادية وافراده العساكر المصرية
١٠١	كتاب الى ملأ دارفور
١٠٢	(الباب السابع في الجغرافيا والتاريخ)
١٠٢	ذكر منارة الاسكندرية
١٠٦	ذكر عمود السواوي
١١١	ذكر القياس

صحيحة

- ١١٢ ذكر البشارة بوفاء النيل
 ١١٦ جامع عمرو
 ١١٩ جامع الخاكم
 ١٢٧ جامع ابن طيلون
 ١٣٤ ذكر ملوك الروم المنتصرة وهم ملوك القسطنطينية
 ١٣٩ ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام
 ١٤٠ ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار ملوكها
 ١٥١ ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر
 ١٥٣ ذكر ملوك اليونانيين وبلغ من أخبارهم
 ١٥٧ ذكر ملوك السوريين وبلغ من أخبارهم
 ١٦١ ذكر الاسكندرية
 ١٦٦ الكلام على بلاد اليونان ومقدونيا ومصر بعد انحلال القرطاجيين وانحطاط دولتهم
 ١٧٣ ذكر طباريس
 ١٧٦ في أصول جزيرة سلكها الرومانيون
 ١٨١ ذكر فضل علي بن أبي طالب
 ١٨٤ ذكر بلغ من أخباره وكلامه
 ١٨٧ خلافة عمر بن عبدالعزيز
 ١٨٧ ذكر بلغ من أخباره وسيره وزهده
 (الباب الثامن في التراجم)
 ١٩٠ أبو يوسف صاحب الامام أبي حنيفة
 ١٩٧ الامام البخاري
 ١٩٨ حجة الاسلام الغزالي
 ٢٠٠ جابر الله الزنجشري
 ٢٠٤ الشريشي صاحب شرح المقامات
 ٢٠٤ أبو الفدا صاحب التاريخ
 ٢٠٥ ابن بطوطة صاحب الرحلة

الجزء الثاني
(من كتاب القطع المنتخبه)

تأليف
خزنة بحبي أنندي إبراهيم
قاضى بمكة الاستئناف

قررت نقابة المعارف العمومية بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٨٩٣ غرة ٣١٣
لرؤم طبع هذا الكتاب على نفقتها واستعماله بالمدارس الاميرية

(حقوق الطبع محفوظة للنظارة)

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٨٩٣
افرنجيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الاول في الفقه

(في معرفة عدالة الشاهد)

للعادلة شرائط منها أن يكون معروفًا بصحة المعاملة في الدينار والدرهم لأن الرجل انما يعرف بالمعاملة لقول عمر رضي الله عنه لا يفرنكم طنطنة الرجل في صلاته انظروا الى حاله عند درهمه وديناره ومنها أن يكون مؤديا للامانة غير مخون فيها لان الشهادة عند الشاهد امانة فيستدل باداء سائر الامانات على اداء هذه الامانة على وجهها ومنها أن يكون صدوق اللسان قليل اللغو والهيذان حتى اذا اعتاد الكذب وتعود الهذلي لا تقبل شهادته لانه لا يؤمن من أن يكذب في الشهادة متى اعتاد الكذب في المقالة فأما اذا كان يقع فيه أحيانا قبلت شهادته لانه لا يسلم أحسن الذنوب ومنها أن لا يكون معاقرا للنيبذ يعني مداوماله وهو أن لا يشرب مع الناس فأما اذا كان يشرب وحده في السر لا ستره الاطعام لا تسقط عدالته لانه هذا لا يصير تاركا للرؤية فلا يعمل الى الكذب مخافة ذهاب ما وجهه ومنها أن لا يلعب بشئ من المالا هي وهذا ينظر ان كانت مستشفعة بين الناس كالزامر والطاير لم تجز شهادته وان لم تكن مستشفعة نحو الحداء وضرب القصب جازت شهادته الا أن يتفاحش بان يرقصوا به فيدخل في حد المعاصي والكبائر فيبطل تسقط العدالة ومنها أن لا يكون فاذا فالحصنات لان فاذا فالحصنات ملعون بالنص فمن كان ملعونا في الدنيا والاخرة كيف يكون مقبول الشهادة (المحيط)

(في القضاء بالصلح بين الخصمين)

الصلح مشروع لقوله تعالى فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وقوله عليه الصلاة والسلام الصلح بين المسلمين جائز الاصلحا أحل حراما أو حرم حلالا أي الا شرط أحل حراما أو حرم حلالا فان صالح على خير لم يجز لانه أحل حراما وكذلك لو صالح على عبد على أن لا يبيعه ولا يستخذه فهذا صلح حرم حلالا فكان حراما دوننا ولأن الصلح سبيل دفع الخصومة وقطع المنازعة والمشاجرة والمنازعة متى امتدت أدت الى الفساد فكان الصلح دفعا لسبب الفساد واطفاء لثائرة

الفن والجناد وتحقيقا لسبب الاصلاح والسداد وهو الاتفاق والموافقة فكان حسنا مندوبا اليه شرعا وركنه الايجاب والقبول لانه معاوضة وشرايط جوازها أن يكون المال المصالح عليه مملوكا ان كان يحتاج الى قبضه بان مصلح على مال في يد المدعى عليه ففي كان البدل مجهولا تقع بينهما منازعة مانعة من التسليم وأن يكون البدل المصالح عنه حقا يجوز الاعتياض عنه مالا أولا لم يكن مالا كالقصاص معلوما كان أو مجهولا فالأجور الاعتياض عنه كحق الشفعة وحده القذف والكفالة بالنفس لا يجوز الصلح عنه وحكمه وقوع المثلث في البدل وثبوت المثلث في المصالح عنه ان كان مما يحتمل التملك كالمال ووقوع البراءة عنه للمدعى عليه ان كان لا يحتمل التملك كالقصاص هذا اذا كان الصلح على الاقرار وفي الصلح على انكار ثبوت المثلث في البدل ووقوع البراءة للمدعى عليه ممن الدعوى سواء كان المصالح عنه مالا أولا لم يكن مالا وانما خشي القاضي من تفاقم الامر بين المتخاصمين أو كانوا من أهل الفضل أو بينهما رحم سوى بينهما أو أمرهما بالصلح وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ردوا القضاء بين ذوي الارحام حتى يصطلحوا فان فصل القضاء ثورث الضغائن (تنبيه) ولا يأمر بالصلح اذا تبين له وجه الصلح لاحدهما رجاء أن لا يصطلحا الا أن يرى لذلك وجهه مثل أن يرى الحكم يوقع فتنة وتهمرا جارا (قرع) قال ويبنى للإمام أن يندب الى الصلح اذا أشكل عليه وجه الحكم فان أيسأ أو أرى أحدهما لم يبلغ عليهما الحاشية الا لئلا يفل بينهما ما بالواجب أو يترك الحكم بينهما (تنبيه) قال بعضهم انما يجوز للقاضي أن يأمر بالصلح اذا تقاربت الجحنتان بين الخصمين غير أن أحدهما يكون ألحن بحجته من الآخر أو تكون الدعوى في أمور درست وتقادمت ونشابت وأما اذا تبين للقاضي الظالم من المظالم فلا يسعه من اقله الافضل القضاء (معين الحكام)

(في القضاء بما يظهر من قرائن الاحوال والامارات وحكم الفراسة والدليل على ذلك من الكتاب والسنة وعلى سلف الامة)

قال بعض العلماء على الناظر أن يلحظ الامارات والعلامات اذا تعارضت فترجح منها قاضى بيجاز الترجيح وهو قوة التهمة ولا خلاف في الحكم بها وقد جاء العمل بها في مسائل اتفق عليها الطوائف الاربع من الفقهاء الاولى ان الفقهاء كلهم يقولون بجواز وطء الرجل المرأة اذا أهديت اليه هليلة الزفاف وان لم يشهد عنه عدة عدلان من الرجال أن هذه فلا تبت فلان التي عقدت عليها وان لم يستطع النساء أن هذه امر أنه اعتمدا على القرينة الظاهرة المنزل منزلة الشهادة الثانية أن الناس قد عذبوا وحديثا لم يرالوا يعتمدون على قول الصبيان والاماء المرسل معهم بالهدايا وأنها امرسلة اليهم يقبلون أقوالهم ويأكلون الطعام المرسل به الثالثة أنهم يعتبرون اذن الصبيان في الدخول الى المنزل الرابعة أن الضيف يشرب من كوز صاحب البيت وشكى على وسادته ويقضى حاجته

في حاضره من غير استئذان ولا يعقد في ذلك متصرفاً في ملكه بغير اذنه الخامسة جواز أخذ ما يسقط من الانسان اذا لم يعرف صاحبه مما لا يتبعه الانسان كالفلس والتمر والعصا التافهة الثمن ونحو ذلك السادسة جواز أخذ ما يبقى في الحوايط والاقرحه من الثمار والحب بعد انتقال أهله عنه وتخليفه وتسليمه السابعة جواز أخذ ما يسقط من الحب عند الحصاد مما لا يقتضي صاحب الزرع بقطه الثامنة أن صاحب المنزل اذا قدم الطعام للضيف جاز له الاقدام على الاكل وان لم يأذن لفظاً اذا علم أن صاحب الطعام قدمه له خاصة وليس ثم غائب ينظر حضوره اعتباراً بدلالة الحال الخارجية مجرى القطع التاسعة أنه صلى الله عليه وسلم جاز للشارب بغير الغيران يأكل من غره ولا يحمل منه شيئاً وجل ذلك بعضهم على غير المحوط وماليس له حارس العاشرة جواز فضله الحاجة في الاقرحه والمزارع التي فيها الطرقات العظام بحيث لا ينقطع منه المارة وكذلك الصلاة فيها وان كانت مملوكة ولا يكون ذلك غصباً لها ولا تصرفاً ممنوعاً الحادية عشرة الشرب من المصانع الموضوعة على الطرقات وان لم يعلم الشارب أن ربابها في ذلك لفظاً اعتماداً على دلالة الحال ولكن لا يتوهم أنها لان العرف لا يقتضيه الآن يكون هناك شاهد حال يقتضي ذلك فلا بأس بالوضوء حينئذ الثانية عشرة قولهم في الركاز اذا كان عليه علامة المسلمين ككلمة الشهادة سمى كنزاً وهو كالقطعة وان كان عليه شكل الصليب أو الصورة واسم ملك من ملوك الروم فهو ركاز ونص كلام صاحب الهداية هنا وان وجد ركاز أي كنز وحب الخمس عليه ثم قال في آخره ثم ان كان على ضرب أهل الاسلام كالكتوب عليه كلمة الشهادة فهو عنزة لا القطعة وقد عرف حكمه وان كان على ضرب أهل الجاهلية كالنقوش عليه اسم الصنم ففيه الخمس على كل حال انتهى فهذا عمل بالعلامات فتأمل ذلك الثالثة عشرة اذا استأجر دابة جاز له ضربها اذا قصرت في السير وان لم يستأذن مالكيها وكذلك ركوبها بالمهاميز الرابعة عشرة جواز اذن المستأجر للدال لا ضيفه وأصحابه في الدخول والمبيت وان لم يضمن ذلك عقداً لاجارة الخامسة عشرة جواز غسل المستأجر الثوب المستأجر اذا اتسخ وان لم يستأذن المؤجر في ذلك السادسة عشرة اذا وجد ناهداً مشعراً نهوراً وليس عنده أحد جاز الاكل منه للقرينة الظاهرة السابعة عشرة لو شرب طعاماً أو حبا في دار رجل فله أن يدخل داره من الدواب والرجال من يحول ذلك وان لم يأذنه المالك الثامنة عشرة القضاء بالنكول واعتباره في الاحكام وليس الارجوع الى مجرد القرينة الظاهرة ففتت على أصل براءة الغنة التاسعة عشرة قال أصحابنا اذا تنازع الزوجان في متاع البيت فان للرجل ما يعرف الرجال وللرأة ما يعرف النساء العشرون معرفة رضاء البكر بصمتها اعتماداً على القرينة الشاهدة بذلك الحادية والعشرون قال أصحابنا اذا دخل الرجل بامرأة أو أرغى الست عليها ثم طلق وقال لم أمسها وقالت قد وطئني صدقت

وكان عليه الصداق كاملا الشائبة والعشرون اذا وجد في تركه أليه بخط أبيه أن له عند زيد كذا
خازنه الدعوى بذلنا اعتمادا منه على صحة ما يكتبه أبو مليا ليعلمه من صدقه وتبنته فيما يصح به خطه
الثالثة والعشرون اذا صاد بازيا في رجله سامان أو طيسا في أنسه قرطان أو في عنقه سلك جوهر
فليس لواجده فيه شيء وعليه أن يعترفه كالقطة لأن ذلك قرينة على أنه عاقل لغيره الرابعة والعشرون
لو اشترى سمكة فوجد في بطنها جوهر مثقوبه فعليه تعريقها وان كانت غير مثقوبه مما يعلم أن
الملاك لم يتداولها فقال في المحيط عن التواد لو اشترى صدفة أو سمكة فوجد فيها اللؤلؤ فهي للشترى
لأنها تتولد من الصدف فصارت كالبيضة في بطن الدجاجة والسمك يأكل ما في البحر فصارت بحاله
كاللؤلؤ وجمعه في بطن سمكة ولو اشترى دجاجة فوجد في بطنها اللؤلؤ فهي للبائع لأنها لا تتولد
من الدجاجة بل ابتلعها من مالك الغير (المحيط)

(في القضاء السياسية الشرعية)

اعلم أن السياسة نوعان سياسة ظالمة فالشرعية تحرمها وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم
وتدفع كثيرا من المظالم وتزجأ أهل الفساد ويتوصل بها إلى المقاصد الشرعية للعباد فالشرعية
يجب المصير إليها والاعتماد في اظهار الحق عليها وهي باب واسع تضل فيه الانهزام وتزل فيه الاقدام
واهماله يضيع الحقوق ويعطل الحدود ويجري أهل الفساد ويعين أهل العناد والتوسع فيه
يفتح أبواب المظالم الشنيعة ويوجب سفك الدماء وأخذ الاموال الغير الشرعية ولهذا سلك فيه
طائفة سلك الترفيط المذموم فقطعوا النظر عن هذا الباب الا فيما قل ظنا منهم أن تعاطي ذلك
مناف للقواعد الشرعية فسدوا من طرق الحق سبلا واخفوه وعدلوا إلى طريق من العناد فافضحة
لأن في انكار السياسة الشرعية رد للنصوص الشرعية وقطيعة للخلفاء الراشدين وطائفة سلكت
في هذا الباب مسلك الاقراط فتعدوا وحدوا الله وخرجوا عن قانون الشرع إلى أنواع من الظلم
والبدع السياسية ووقعوا أن السياسة الشرعية فاصرة عن سياسة الحق ومصالحة الامة وهو
جهل وغلط فاحش فقد قال عزم من قائل اليوم اكملت لكم دينكم فدخل في هذا جميع مصالح
العباد الدينية والدنيوية على وجه الكمال وقال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم ما ان تحبكم به
لن تضلوا كتاب الله وسنتي وطائفة توسطت وسلكت فيه مسلك الحق وجعوا بين السياسة والشرع
ففعوا الباطل ودحضوه ونصبوا الشرع ونصروه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
(معين الحكم)

كتاب الحوالة

اتفق الأئمة على أنه إذا كان لانسان على آخر حق فاحاله على من له عليه حق لم يجب على المحال قبول الحوالة وقال داود يلزمه القبول وليس للمحال عليه أن يمنع من قبول الحوالة عليه ولا يعتبر رضاه عند أبي حنيفة والشافعي وقال مالك إن كان المحال عدوا للمحال عليه لم يلزمه قبولها وقال الأصمطي من أئمة الشافعية لا يلزم المحال عليه القبول مطلقا عدوا كان المحال أم لا ويحكى ذلك عن داود فإذا قبل صاحب الحق الحوالة على من لم يملكه على المحال على كل وجه وبه قال الفقهاء أجمع إلا زفر فقال لا يبرأ (فصل) واختلف الأئمة في رجوع المحتال على المحيل إذا لم يصل إلى حقه من جهة المحال عليه فذهب مالك أنه إذا غره المحيل بفلس بعلمه من المحال عليه أو عدمه فإن المحال يرجع على المحيل ولا يرجع في غير ذلك ومذهب الشافعي وأحمد أنه لا يرجع بوجه من الوجوه سواء غره بفلس أو تجدد الفلس أو أنكر المحال عليه أو جحدته لتقصيره بعدم البحث والتفتيش فصار كأنه قبض العوض وعن أبي حنيفة أنه يرجع عند الانكار (من كتب رجعة الائمة في اختلاف الائمة)

كتاب الشركة

شركة العنان جائزة بالاتفاق وشركة المفاوضة جائزة عند أبي حنيفة ومالك إلا أن أبا حنيفة يخالف مالك في صورتهما فيقول المفاوضة أن يشترك الرجلان في جميع ما يملكانه من ذهب وورق ولا يبق لواحد منهما شيء من هذين الجنبين الا مثل ما صاحبه فإذا زاد مال أحدهما على مال الآخر لم يصح حتى لو ورث أحدهما مالا بطلت الشركة لأن ماله زاد على مال صاحبه وكل ما ربحه أحدهما كان شركة بينهما وكل ما ضمن أحدهما من غصب وغيره ضمن الآخر ومالك يقول يجوز أن يزيد ماله على مال صاحبه ويكون الربح على قدر المالكين وما ضمنه أحدهما مما هو لتجارتهما فبينهما وأما الغصب ونحوه فلا ولا فرق عند مالك بين أن يكون رأس المال معروضا أو دراهم ولا بين أن يكونا شركتين في كل ما يملكانه ويجعلانه للتجارة أو في قبض مالهيهما وسواء عنده اختلط مالهيهما حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر أو كان متميزا بعد أن يجمعهما وتقسيرا يديهما جميعا عليه في الشركة أو أبو حنيفة قال تصح الشركة وإن كان مال كل واحد منهما في يده وإن لم يجمعهما ومذهب الشافعي وأحمد إن هذه الشركة باطلة (فصل) وشركة الابدان جائزة عند مالك وأحمد في الصنائع إذا اشتركا في صنعة واحدة وعملا في موضع واحد وقال أبو حنيفة يجوزهما وإن اختلقت صناعتهما وافترق موضعاهما وجوزها أحمد في كل شيء ومذهب الشافعي أنها باطلة (فصل) وشركة الوجوه جائزة عند أبي حنيفة وأحمد وصورتهما أن لا يكون لهما رأس مال ويقول أحدهما للآخر اشتركا

على أن ما اشترى كل واحد منافي الذمة كان شركة والربح بيننا ومذهب مالك والشافعي أنها باطلة (فصل) ولا يصح عند الشافعي الاشتراك العنان بشرط أن يكون رأس مالهما قواعداً واحداً ويحفظ كل حتى لا يتميز عن أحدهما من عين الآخر ولا تعرف ولا يشترط تساوي قدر المالين وإذا كان رأس مالهما متمساكاً واشترط أحدهما أن يكون لهما من الربح أكثر مما صاحبه فالشركة فاسدة عند مالك والشافعي وقال أبو حنيفة يصح ذلك إن كان المشترط لذلك أحذق في التجارة وأكثر عملاً (من كتاب درجة الأمة في اختلاف الأئمة)

(كتاب التغليس والحجر)

اتفق الثلاثة مالك والشافعي وأحمد على أن الحجر على المفلس عند طلب الغرماء وإحاطة الديون بالدين مستحق على الخاتم وأن له منعه عن التصرف حتى لا يضرب الغرماء وأن الخاتم يبيع أموال المفلس إذا امتنع من بيعها ويقسمها بين غرمائه بالحصص وقال أبو حنيفة لا يجبر على المفلس بل يجبس حتى يقضى الديون فإن كان له مال لم يتصرف الخاتم فيه ولا يبيعه إلا أن يكون ماله دراهم ودينه دراهم فيقبضها القاضي بغير أمره وإن كان دينه دراهم وماله دينار يباعها القاضي في دينه (فصل) واختلفوا في تصرفات المفلس في ماله بعد الحجر عليه فقال أبو حنيفة لا يجبر عليه في تصرفه وإن حكم به قاض لم ينفذ قضاؤه ما لم يحكم به قاض ثان وإذا لم يصح الحجر عليه صح تصرفاته كلها سواء احتمل الفسخ أو لم يتمتع فإن نفذ الحجر قاض ثان صح من تصرفاته ما لا يتمتع الفسخ كالتسكاح والطلاق والتدبير والعق والاسْتِيلاد وبطل ما يتمتع الفسخ كالبيع والإجارة والهبة والصدقة ونحو ذلك وقال مالك لا ينفذ تصرفه في أعيان ماله ببيع ولا هبة ولا عتق وعن الشافعي قولان أحدهما وهو لا يظهر كذهب مالك والثاني تصح تصرفاته وتكون موقوفة فإن قضيت الديون من غرض نقص التصرف نفذ التصرف وإن لم تنقض الانتقضة فسخ منها الأضعف فالأضعف فيبدأ بالهبة ثم البيع ثم العتق وقال أحمد في أظهر روايته لا ينفذ تصرفه في شيء إلا في العتق خاصة (فصل) ولو كان عند المفلس سلعة وأدركها صاحبها ولم يكن البائع قبض من غناها والمفلس حتى قال مالك والشافعي وأحمد صاحبها أحق بها من الغرماء فيفوز بأخذها دونهم وقال أبو حنيفة صاحبها كأحد الغرماء يقامونه فيها فلورجدها صاحبها بعد موت المفلس ولم يكن قبض من غناها شيئاً قال الشافعي ورحمه هو أحق بها كالمالوك المفلس حياً وقال الثلاثة صاحبها أسوة الغرماء (فصل) الذين إذا كان مؤثراً لاهل يحل بالحجر أم لا قال مالك يحل وقال أحمد لا يحل وللشافعي قولان كلذين وأصحهما لا يحل وأبو حنيفة لا يجبر عنه مطلقاً وهل يحل الذين بالموت الثلاثة على أنه يحل وقال أحمد وحده لا يحل في أظهر روايته إذا وثق الورثة ولو أقر المفلس بدين

بعدا لم يعلق الدين بزمته ولم يشارك المقر له الغرماء الذين حجر عليه لاجلهم عند الثلاثة وقال الشافعي يشاركونهم (فصل) هل تباع دار المناس التي لا غنى له عن سكانها وخادمه المحتاج اليه قال أبو حنيفة وأجلد لا يباع ذلك وزاد أبو حنيفة فقال لا يباع عليه شيء من العقار والعروض وقال مالك والشافعي يباع ذلك كله (فصل) وإذا ثبت اعساره عند الحالك فهل يحول الحالك منه وبين غرمائه أم لا قال أبو حنيفة يخرجها الحالك من الحبس ولا يحول بينه وبين غرمائه بعد خروجه بل يلزمونه ولا يمنعونهم من التصرف يأخذون فضل كسبه بالخصص وقال مالك والشافعي وأجلد يخرجها الحالك من الحبس ولا يفتقر إخراجها إلى إذن غرمائه ويحول بينه وبينهم ولا يجوز حبسه بعد ذلك ولا ملازمته بل ينظر إلى ميسرته (فصل) واتفقوا على أن البيعة تسمع على الاعسار بعد الحبس واختلفوا هل تسمع قبله فقال مالك والشافعي وأجلد تسمع قبله وظاهر مذهب أبي حنيفة أنها لا تسمع إلا بعده وإذا أقام المفسس بينه باعساره فهل يحلف بعد ذلك أم لا قال أبو حنيفة وأجلد لا يحلف وقال مالك والشافعي يحلف بطلب الغرماء (فصل) واتفقوا على أن الأسباب الموجبة للعجز الصغير والرق والجنون وأن الغلام إذا بلغ غير رشيد لم يسلم إليه ماله وأخته ولو أفي حد البلوغ فقال أبو حنيفة يلوغ الغلام بالاحتلام والآنزال إذا وطئ فإن لم يوجد ذلك ففي يومه ثمان عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة وبلوغ الجارية بالحيض والاحتلام والحبل أوحى يومها سبع عشرة سنة وأما مالك فلم يحكمه حدا وقال أصحابه سبع عشرة سنة وثمان عشرة سنة في حقها وفي رواية ابن وهب خمس عشرة سنة وقال الشافعي وأجلد في أظهر روايته حده في حقها خمس عشرة سنة أو خروج المني أو الحيض أو الحمل ونسأت العانة هل يقتضى الحكم بالبلوغ أم لا قال أبو حنيفة لا وقال مالك وأجلد نعم والراجح من مذهب الشافعي أنه يحكم بالبلوغ به في حق الكافر لا المسلم (فصل) وإذا أونس من صاحب المال الرشد دفع إليه ماله بالاتفاق واختلفوا في الرشد ما هو فقال أبو حنيفة ومالك وأجلده في الغلام إصلاح ماله ونمائه لتمييزه وعدم تبذره وإبراء أوعاده فلا فسقا وقال الشافعي هو صلاح المال والدين وهل بين الغلام والجارية فرق قال أبو حنيفة والشافعي لا فرق بينهما وقال مالك لا ينفك الجحر عنهما وإن بلغت رشيدة حتى تنزوج ويدخل بها الزوج وتكون حافظة لما لها كما كانت قبل التزويج وعن أجد روايتان المختارة منهما لا فرق بينهما والثانية كقول مالك وزاد حتى يحول عليها حول عنده أو تلد ولدا واتفق الثلاثة على أن الصبي إذا بلغ وأونس منه الرشد دفع إليه ماله فإن بلغ غير رشيد لم يدفع إليه ماله ويسترحم بحجور عليه وقال أبو حنيفة إذا انتهى منه إلى خمس وعشرين سنة دفع إليه المال بكل حال وإذا طرأ عليه السفه بعد ثمانين سنة هل يحجر عليه أم لا قال الشافعي

ومالك وأجدى بحجر علمه وقال أبو حنيفة لا يجبر عليه وإن كان مبذرا ويجوز للاب والوصى أن يشتري بالنفس مائة من مال اليتيم وأن يبيع مائة أنفس مائة من مال اليتيم إذا لم يجبا بأكثر من مائة من مالهم عند مالك (من كتاب رجة الامنة في اختلاف الأئمة)

كتاب الشفعة

ثبت للشريك في الملك بائناق الأئمة ولا شفعة للجار عند مالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة تجب الشفعة بالجوار والشفعة عند أبي حنيفة وعلى الرابع من مذهب الشافعي على الفور فن آخر المطالبة بالشفعة مع الامكان سقط حقه كخيار الرد والشافعي قول آخر أنه يبقى حقه ثلاثة أيام وله قول آخر أنه يبقى أبدا لا يسقط الا بالتصريح بالاستعانة وأما مذهب مالك فإذا بيع المشفوع والشريك حاضر يعلم بالبيع فله المطالبة بالشفعة متى شاء ولا تنقطع شفته الا باحداً من بين الاولين مدة يعلم أنه في مثلها قد أعرض عن الشفعة ثم روى عن مالك أن تلك المدة سنة وروى خمس سنين الثاني أن رفعه المشتري الى الحاكم ويلزمه الحاكم بالاخذ أو الترك غير أن الحاصل من مذهب مالك أنهم ليست على الفور وعن أحمد روايات اجدادها على الفور والثانية مؤقته بالجلوس والثالثة على التراخي فلا تبطل أبدا حتى يعفوا ويطلبه (فصل) والفرق اذا كانت على الخذل وهي بين شريكين فباع أحدهما حصته فهل لشريكه الشفعة أم لا اختلف في ذلك قول مالك فقال في رواية له الشفعة وقال في أخرى لا شفعة له وقال أبو حنيفة له الشفعة وقال الشافعي وأحمد لا شفعة له (فصل) واذا كان غن الشفعة مؤجلا فلا شفع فيه عند مالك وأحمد الاخذ بذلك الثمن الى ذلك الاجل ان كان مليا فقة والا في بقية ملي ضمن الثمن الى ذلك الاجل وبهذا قال الشافعي في القديم وقال أبو حنيفة والشافعي في الجليل الرابع من مذهبهم لا شفعة الخبارين أن يبيع الثمن أو يأخذ الشقص المشفوع أو يصبر الى حلول الاجل فيزن الثمن ويأخذ بالشفعة (فصل) والشفعة مقسومة بين الشفعاء على قدر حصصهم في المال الذي استوجبا من جهته الشفعة فيأخذ كل واحد من الشريكين المبيع بقدر ملكه فيه عند مالك وهو الاصح من قول الشافعي وقال أبو حنيفة هي مقسومة على الرأس وهو قول الشافعي وأخذاً من المزي وعن أحمد روايتان (فصل) والشفعة تورث عند مالك والشافعي ولا تبطل بالموت فإذا وجبت له شفعة فمات ولم يعلم بها أو علم ومات قبل التمكن من الاخذ انتقل الحق الى الوراث وقال أبو حنيفة تبطل بالموت ولا تورث وقال أحمد لا تورث الا أن يكون الميت طالب بها (فصل) ولو بى مشتري الشقص أو غرس ثم طلبه الشفيع فليس له عند مالك والشافعي وأحمد مطالبة المشتري بهدم ما بى

ولا قلع ما غرس مضافاً إلى الثمن وقال أبو حنيفة الشافعي أن يجبر المشتري على القلع والهضم قال في عيون المسائل وذهب قوم إلى أن للشفيع أن يعطيه ثمن الشقص ويترك البناء والقراس في موضعه (فصل) وكل ما لا ينقسم كالجم والبر والرحى والطريق والباب لا شفعة فيه عند الشافعي واختلف قول مالك فقال فيه الشفعة وقال لا شفعة فيه واختار القاضي عبد الوهاب الأول قال وهو قول أبي حنيفة وعهدة الشفيع في المبيع على المشتري وعهدة المشتري على البائع عند جمهور العلماء فإذا ظهر المبيع مستحقاً أخذته مستحقة من به الشفيع ورجع الشفيع بالثمن على المشتري ثم يرجع المشتري على البائع وقال ابن أبي ليلى عهدة الشفيع على البائع بكل حال (فصل) اختلف الأئمة هل يجوز الاحتياط لاسقاط الشفعة مثل أن يبيع سلعته متجهولة بمنه من يرى ذلك مسقطاً للشفعة أو أن يقر له ببعض الملك ثم يبيع الباقي أو يهبه له فقال أبو حنيفة والشافعي له ذلك وقال مالك وأحمد ليس له ذلك فإذا وهبه من غير عوض فلا شفعة فيه عند أبي حنيفة والشافعي وكذلك يقول أحمد بل لا بد أن يكون قد ملك بعوض واختلف قول مالك في ذلك فقال لا شفعة فيه وقال فيه الشفعة (فصل) وإذا وجبت له الشفعة قبل له المشتري دراهم على ترك الاحتياط للشفعة جاز له أخذها وتلكها عند الثلاثة وقال الشافعي لا يجوز له ذلك ولا يملك الدراهم وعليه مردها وهل تسقط شفعتهم بذلك لأصحابه وجهان (فصل) وإذا ابتاع ثلثان من الشراك نصيبهما مضافة واحدة كان للشفيع عند الشافعي وأحمد أخذ نصيب أحدهما بالشفعة كالأخذ نصيبهما جميعاً وقال مالك ليس له أخذ حصصه أحدهما دون الآخر بل إما أن يأخذهما جميعاً أو يتركهما جميعاً وبه قال أبو حنيفة (فصل) ولو أقر أحد الشريكين أنه باع نصيبه من رجل وأنكر الرجل الشراء ولاينة وطلب الشفيع الشفعة قال مالك ليس له ذلك إلا بعد ثبوت الشراء وقال أبو حنيفة ثبتت الشفعة وهو الأصح من مذهب الشافعي لأن إقراره يتضمن إثبات حق المشتري وحق الشفيع فلا يسل حق الشفيع بانكار المشتري وثبتت الشفعة للذي كانتت للمسلم عند مالك وأبي حنيفة والشافعي وقال أحمد لا شفعة للذي

(من كتاب رجة الامة في اختلاف الأئمة)

(كتاب الوصايا)

الوصية عليك مضاف إلى ما بعد الموت وهي جائزة مستحبة غير واجبة بالإجماع لمن ليست عندما مائة يجب عليه الخروج منها ولا عليه دين لا يعلم به من هوله أو ليست عنده وصية بغير إ شاهد فان كانت نعمته ملقة بشئ من ذلك كانت الوصية واجبة عليه فرضاً وهي مستحبة لغير وارث بالإجماع وقال الزهري وأهل الظاهر إن الوصية واجبة للأقارب الذين لا يرثون المييت سواء كانوا عصبة

أو ذوى رحم إذا كان هنالك وارث غيرهم (فصل) والوصية لغير وارث بالثلث جائزة بالإجماع ولا تنقصر إلى اجازه والوارث حائز تموقفه على اجازه الورثة وإذا أوصى بأكثر من ثلثه وأجاز الورث بذلك فذهب مالك أنهم إذا أجازوا في مرضه لم يكن لهم أن يرجعوا بعد موته أو في صحته فلهم الرجوع بعد موته وقال أبو حنيفة والشافعي لهم الرجوع سواء كان في صحته أو في مرضه (فصل) ومن أوصى له بجمل أو بعير جاز عند الثلاثة أن يعطى أنى وكذلك إن أوصى له بدينه أو بقرة جاز أن يعطى ذكرًا فالذكر والآنى عندهم سواء وقال الشافعي لا يجوز في البعير إلا الذكر ولا في البقرة إلا الأنثى (فصل) اجازه الورثة هل هي تنفيذ لما كان أمر به الموصى أم عطية مبتدأة الثلاثة تنفيذه وللشافعي قولان أحدهما كالجماعة وهل يكلف الموصى له بموت الموصى أم بقبوله أم موقوف ثلاثة أقوال للشافعي أرجحها أنه موقوف وعند الثلاثة بقبوله وإذا أوصى بشئ لرجل ثم أوصى به لآخر ولم يصرح برجوع عن الأول فهو بينهما منصفين بالاتفاق وقال الحسن وعطاء وطاووس هو رجوع ويكون للثاني وقال داود وهلال (فصل) والعنق والهبة والوقف وسائر العطايا المنجزة في مرض الموت معتبرة من الثلث بالاتفاق وقال مجاهد وداود هي منجز من رأس المال واختلف فيما إذا قدم ليقص منه أو كان في الصف بإزاء العدو وأجاء للعامل الطلاق أو هاج المويج بالبحر وهو راكب سفينة فأعطى فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد في المشهور عنه أن عطايها هؤلاء من الثلث وعن الشافعي قولان أحدهما من الثلث والثاني من جميع المال وحكى عن مالك أن الحامل إذا بلغت تسعة أشهر لم تصرف في أكثر من ثلث مالها (فصل) ولا وصى أن يوصى بما أوصى به إليه غيره وإن لم يكن الموصى جعل ذلك إليه هذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه ومالك ومنع من ذلك الشافعي وأحمد في أظهر الروايتين وإذا كان الوصى عدلًا لم يحتج إلى حكم الحاكم وتنفيذ الوصية إليه ويصح جميع تصرفه عند الثلاثة وقال أبو حنيفة إن لم يحكم له حاكم فجميع ما يشترطه ويبيعه للصبي مردود وما ينق عليه فقولاه فيه مقبول (فصل) ويشترط بيان ما يوصى به وتعيينه فإن أطلق الوصية فقال أوصيت إليك لم يصح عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد وكان ذلك لغوا وقال مالك يصح وتكون وصية في كل شئ وعن مالك رواية أخرى أنه لا يكون وصيًا فيما عينه وإذا أوصى لأقاربه أو عقبه لم يدخل أولاد البنات فهم عند مالك فن أولاد البنات عنده ليسوا بعقب ويعطى الأقرب فالأقرب وقال أبو حنيفة أقاربه وذو رحمه ولا يعطى ابن الم ولابن النخال وقال الشافعي إذا قال لأقاربه دخل كل قرابة وإن بعد لأصلا وفرعا وأنا قال لذريتي وعقبى دخل أولاد البنات وقال أحمد في إحدى روايته من كان يصله في حياته فيصرف إليه والأقارب الوصية لأقاربه من جهة أبيه ولو أوصى بطيرانه فقال أبو حنيفة هم الملاحقون وقال الشافعي حد الجوارأربعون دارا

من كل جانب وعن أحد روايتان أربعون وثلاثون ولاحد ذلك عند مالك (فصل) والوصية لبيت
عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد باطله وقال مالك بتحيتها فان كان علي دين أو كفارة صرفت فيه
والا كانت لورثته ولو أوصى لرجل بألف ولم يكن حاضر الألف وباقى ماله غائب أو باقى ماله عتار أو
دين وشع الورثة وقالوا لا تدفع الى الموصى له الاثلث الا لث الف عند مالك ليس لهم ذلك وقال أبو حنيفة
والشافعي وأحمد له ثلث الألف ويكون باقى حقه شريكا في جميع ما خلفه الموصى يستوفي حقه
(فصل) واذا أوصى غلام لم يبلغ الحلم وكان يعقل ما وصى به فوصيته جائزة عند مالك وقال
أبو حنيفة بعدم الجواز واختلف قول الشافعي والاصح من مذهبه أنها لا تصح وهو مذهب أحمد
(فصل) ولو اعتقل لسان المريض فهل تصح وصيته بالاشارة أم لا قال أبو حنيفة وأحمد لا تصح
وقال الشافعي تصح والطاهر من مذهب مالك جواز ذلك (فصل) واذا قبل الموصى اليه الوصية
في حياة الموصى لم يكن له عند أبي حنيفة ومالك أن يرجع بعد موته قال أبو حنيفة ولا في حياة
الموصى الا أن يكون الموصى حاضرا وقال الشافعي وأحمد له الرجوع على كل حال وعزل نفسه
متى شاء قال النووي الا أن يتعين عليه أو يغلب على فائته تلف المال باسئلا غلام عليه (فصل)
واذا كتب وصية بخطه ويعلم أنه خطه ولم يشهد فيها فهل يحكم بها كما يحكم لو أشهد على نفسه بها
الثلاثة على أنه لا يحكم بها وقال أحمد يحكم بها ما لم يعلم رجوعه عنها ولو أوصى الى رجلين وأطلق
فهل لاحدهما التصرف دون الآخر قال الثلاثة لا يجوز مطلقا وقال أبو حنيفة يجوز في ثمانية أشياء
مخصوصة شراء الكفن وتجهيز الميت واطعام الصغار وكسوتهم ورد وديعة بعينها وقضاء دين
وانفاذ وصية بعينها وعق عبد بعينه والخصومة في حقوق الميت (فصل) واختلفوا هل يصح
التزويج في مرض الموت فقال الثلاثة يصح وقال مالك لا يصح للمريض الخوف عليه فان تزوج
وقع فاسد أو فسخ سواء دخل بها أو لم يدخل ويكون الفسخ بالطلاق فان برئ من المرض فهل يصح
ذلك النكاح أم يبطل عنه في ذلك روايتان ولو كان له ثلاثة أولاد فأوصى لآخر بمثل نصيب
أحدهم قال الثلاثة له الربع وقال مالك له الثلث ولو أوصى بجميع ماله ولا وارث له قال أبو
حنيفة الوصية صحيحة وهي رواية عن أحمد وقال الشافعي ومالك في رواية عنه وأحمد في الرواية
الآخرى لا يصح الا في الثلث ولو وهب أو أعتق ثم أعتق في مرضه ومجوز الثلث فقال الثلاثة
يتحصان وقال الشافعي يبدأ بالاول وهي رواية عن أحمد (فصل) هل يجوز للموصى أن يشتري
لنفسه شيئا من مال اليتيم قال أبو حنيفة يجوز زيادة على القيمة استحسانا فان اشترا بمثل قيمته لم يجوز
وقال مالك أنه أن يشتريه بالقيمة وقال الشافعي لا يجوز على الاطلاق وعن أحمد روايتان أشهرهما
عدم الجواز والاخرى اذا وكل غيره جاز (فصل) واذا ادعى الوصى دفع المثل الى اليتيم يعايلونه

قال أبو حنيفة وأحمد القول قول الوصي مع يمينه فيقبل قوله كما يقبل في اتلاف المال وما يدينه من الاتلاف لكونه أميناً وكذا الحكم في الأب والحاكم والشرىك والمضارب وقال مالك والشافعي لا يقبل قول الوصي الابنية (فصل) والوصية للقاتل صحيحة عند أبي حنيفة ومالك وأحمد والشافعي قولان أحدهما الصحة ولو أوصى لمسجد قال مالك والشافعي وأحمد تصح الوصية وقال أبو حنيفة لا تصح إلا أن يقول يثوق عليه ولو أوصى لبنى فلان لم يدخل إلا الذكور بالاتفاق ويكون بينهم بالسوية ولو أوصى لولد فلان دخل الذكور والإناث بالاتفاق بينهم بالسوية (فصل) والوصي مع الغنى هل يجوز له أن يأكل من مال اليتيم عند الحاجة أم لا مذهب أبي حنيفة لا يأكل بحال لأقرضا ولا غيره وقال الشافعي وأحمد يجوز له أن يأكل بأقل الأمرين من أجره عمله وكفايته وهل يلزمه عند الوي حود رد العوض للشافعي قولان ولا جدر وإيتان وقال مالك إن كان غنيا فليستعفف وإن كان فقيراً فليأكل كل المعروف بمقدار نظره وأجره مثله (من كتاب راحة الأمة في اختلاف الأئمة)

(فصل كيف كان فرض عمر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم)
قال أبو يوسف رحمه الله تعالى وحديثي ابن أبي نعيم قال قدم علي أبي بكر رضي الله تعالى عنه مال فقال من كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم عنة فليأت بخاءه جابر بن عبد الله فقال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا يشير بكفيه فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه خذ فاخذ بكفيه ثم عده فوجه خمسمائة فقال خذ إليها ألفاً فاخذ ألفاً ثم أعطى كل إنسان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده شيئاً بقي بقية من المال فقسّمها بين الناس بالسوية على الصغير والكبير والحر والمملوك والذكور والإناث فخرج على سبعة دراهم وثلاث لكل إنسان فلما كان العام المقبل جاء مال كثير هو أكثر من ذلك فقسّمه بين الناس فأصاب كل إنسان عشرين درهماً قال بخاءنا من المسلمين فقالوا يا خليفة رسول الله أنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس ومن اتأس أناس لهم فضل وسوابق وقدم فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم قال فقال أأما ما ذكرت من السوابق والقدم والفضل فأعرفني بذلك وأخبرني بذلك قال نعم علي الله جل ثناؤه وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وجاء الفتوح فضل وقال لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كن قاتل معه ففرض لاهل السوابق والقدم من المهاجرين والأنصار من شهد بدراً خمسة آلاف خمسة آلاف ولين لم يشهد بدراً أربعة آلاف أربعة آلاف وفرض لمن كان له اسلام كاسلام أهل بدر دون ذلك أنزلهم

على قدر منازلهم من السوابق قال أبو يوسف وحدثني أبو عمر قال حدثني مولى عمر وغيره قال لما جاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الفتوح وجاءت الأموال قال إن أب بكر رضي الله تعالى عنه رأى في هذا المال رأيا ولي فيه رأى آخر لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل معه ففرض للمهاجرين والانصار عن شهادتين خمسة آلاف وخمسة آلاف وفرض لمن كان اسلامه كاسلام أهل بدر ولم يشهد بدر أربعة آلاف وأربعة آلاف وفرض لزوج النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفا اثني عشر ألفا الاضحية وجوبية فانه فرض لهما مائة آلاف ستة آلاف فأبنا أن يقبل فقال لهما انما فرضت لهن للهجرة فقالتا لا انما فرضت لهن لمكانن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لهما مثله فعرف ذلك عمر ففرض لهما اثني عشر ألفا وفرض للعباس عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفا وفرض لاسامة بن زيد أربعة آلاف وفرض لعبد الله ابن عمر ابنه ثلاثة آلاف فقال يا أبت لم زدته على ألفا ما كان لايه من الفضل ما لم يكن لابي وما كان له ما لم يكن لي فقال ان أبنا مائة كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أليك وكان أسامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك وفرض للحسن والحسين خمسة آلاف وخمسة آلاف لحقهما بأبيهما فكانهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض لبناء المهاجرين والانصار ألفين ألفين غربة عمر بن أبي سلمة فقال زيدوه ألفا فقال له محمد بن عبد الله بن جهم ما كان لايه ما لم يكن لا أبنا وما كان له ما لم يكن لنا فقال اني فرضت له بأبيه أبي سلمة ألفين وزدته بأمه أم سلمة ألفا فان كان لك أم مثل أم سلمة زدتك ألفا وفرض لاهل مكة والناس ثمانمائة خفاء طلحة بن عبد الله باخيه عثمان ففرض له ثمانمائة غربة النضر بن أنس فقال عمر افرضوا له ألفين فقال له طلحة جئت بك بمثله ففرضت له ثمانمائة وفرضت لهذا ألفين فقال ان أباهذا القيني يوم أحد فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما أراه الا قد قتل فسل سيفه وكسر رمحه فقال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فان الله حي لا يموت فقاتل حتى قتل وأبو هذا يرى الشاة في مكان كذا وكذا ففعل عمر بهذا اخلاقه قال وحدثني محمد بن اسحق عن أبي جهم أن عمر رضي الله عنه لما أراد أن يفرض للناس وكان رأيهم خيرا من رأيهم قالوا له أبدأ بنفسك قال لا فبدأ بالاقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض للعباس ثم لعلي رضي الله تعالى عنهما حتى والى بن خمس قبائل حتى انتهى الى بني عدى بن كعب قال وحدثنا الجاهل بن سعيد عن الشعبي عن شهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لما فتح الله عليه وفتح فارس والروم جعنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما ترون فاني أرى أن أجعل عطاء الناس في كل سنة وأجمع المال فانه أعظم للملكة قالوا اصنع ما رأيت فانك ان شاء الله موفق قال ففرض الاعطيات

فدعا بالوحي فقال ابن أبدأ فقال له عبد الرحمن بن عوف أبدأ بنفسك فقال لا والله ولكن أبدأ ببني هاشم ربه النبي صلى الله عليه وسلم فكتب من شهد بدرا من بني هاشم من مولى أو عربى لكل رجل منهم خمسة آلاف خمسة آلاف وفرض العباس بن عبد المطلب اثني عشر ألفا ثم فرض لمن شهد بدرا من بني أمية ابن عبد شمس ثم الاقرب فالاقرب الى بني هاشم ففرض للبسردين أجمعين عربهم ومولاهم خمسة آلاف خمسة آلاف وفرض للانصار أربعة آلاف أربعة آلاف فكان أول أنصارى فرض له محمد بن مسلمة وفرض لازواج النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف وفرض لعائشة رضى الله عنها اثني عشر ألفا وفرض للمهاجرة الحبشة أربعة آلاف أربعة آلاف لكل رجل منهم وفرض لعمر بن أبي سلمة لكان أم سلمة أربعة آلاف فقال محمد بن عبد الله بن جحش لم تفضل عمر علينا ألهجرة آييه فقد هاجر آباؤنا وشهدوا بدرا فقال عمر رضى الله تعالى عنه أفضله لكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيأت الذى يستعيب بام مثل أمه أعقبه وفرض للسنن والحسين خمسة آلاف خمسة آلاف لكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فرض للناس ثلاثمائة ثلاثمائة وأربعمائة أربعمائة للعربى والمولى وفرض لسااء المهاجرين والانصار ستمائة ستمائة وأربعمائة أربعمائة وثلاثمائة ثلاثمائة وما تثنى ما تثنى وفرض لانس من المهاجرين والانصار ألفين ألفين وفرض للرجال حين أسلم ألفين وقال له دع أرضى في يدى أمرها وأؤدى عنهم من الخراج ما كانت تؤدى ففعل قال بجاذف كانت عملى أعطاهما ما تثنى فلما أمر سعيد بن العاص على الكوفة ألقى أحدهما فلما قدم على كرم الله وجهه دخل على عائدة الخدي فكلتمه فمها فأنبتاها قال أبو يوسف وحديث محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قلت من البحرين بخمسمائة ألف درهم فأبى عمر بن الخطاب رضى الله عنه محسبا فقلت يا أمير المؤمنين اقبض هذا المال قال وكم هو قلت خمسمائة ألف درهم قال وتدرى كم خمسمائة ألف درهم قال قلت نعم مائة ألف ومائة ألف خمس مرات قال أنت ناعس اذهب فبنا الليلة حتى تصبح فلما أصبحت أتيت فقلت اقبض منى هذا المال قال وكم هو قلت خمسمائة ألف درهم قال أمن طيب هو قال قلت لا أعلم الا ذلك فقال عمر رضى الله عنه أيها الناس انه قد جاءنا مال كثير فان شئتم أن نكيل لكم كلنا وان شئتم أن نعدلكم عددا وان شئتم أن نزن لكم وزنا لكم فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين دون للناس دواوين يعطون عليها فاشتغى عمر ذلك ففرض للمهاجرين خمسة آلاف خمسة آلاف وللانصار ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف وللازواج النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفا قال فلما أتى زينب ابنة جحش مالها قالت غفر الله لأمير المؤمنين لقد كان في صواحباتى من هو أقوى على قسمة هذا المال منى فقيل لها ان هذا كله لك فأمرت به

فصب وغطته بثوب ثم قالت لبعض من عندها ادخلي يدك لآكل فلان وآل فلان فلم تزل تعطى لآل فلان وآل فلان حتى قالت لها التي تدخل بها لآل فلان تذكريني ولي عليك حق فقالت لك مات تحت الثوب قال فكشفت الثوب فإذا خسة وعماون درهمها قال ثم رفعت يدها فقالت اللهم لا بدركني عطاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد ما عصى هذا أبدا قال فكانت رضى الله تعالى عنها أول أزواج النبي طوفا به عليه السلام وذكروا أنها كانت أسخى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاهن وجعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه اليزيد بن ثابت عطاء الانصار فبدأ بأهل العواك فبدأ ببن عبد الاشمل ثم الاوس وبعد منازلهم ثم الخزرج حتى كان هو آخر الناس وهم بنو مالك بن النجار وهم حول المسجد قال أبو يوسف وحدثني عبد الله بن الوليد المدني عن موسى ابن يزيد قال جل أبو موسى الأشعري الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ألف ألف فقال عمر بكم قدمت فقال بألف ألف قال فأعظم ذلك عمر وقال هل تدري ما تقول قال نعم قدمت بمائة ألف ومائة ألف حتى عد عشر ممرات فقال عمران كنت صادقا يا ابن الراعى نصيب من هذا المال وهو باليمن ودمه في وجهه قال أبو يوسف وحدثني شيخ من أهل المدينة عن اسمعيل بن محمد بن السائب عن زيد بن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول والله الذي لا اله الا هو ما أحد الا وله في هذا المال حق أعطيه أو منعه وما أحد احق به من أحد الا عبد مولك وما ناقة الا كأحدكم ولكل على منازلنا من كتاب الله عز وجل وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل ولاده في الاسلام والرجل وقدمه في الاسلام والرجل وغناؤه في الاسلام والرجل وحاجته في الاسلام والله لئن بقيت ليا تين الراعى يجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمر وجهه يعني في طلبه قال وكان ديوان جبر على حدة وكان يقرض لاهراط الجيوش والقرى في العطاء ما بين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قدر ما يصلحهم من الطعام وما يقومون به من الامور قال وكان للنفوس اذا طرحت أمه مائة درهم فاذا ترعرع بلغ به مائتين فاذا بلغ زاده قال ولما رأى المال قد كثر قال لئن عشت الى هذه الليلة من قابل لا لحقن أخرى للناس بالوا له هم حتى يكونوا في العطاء سواء قال تنوفى ربه الله قبل ذلك قال أبو يوسف وحدثني علي بن عبد الله عن الزهري عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه قال لما قدم على عمر رضى الله تعالى عنه بانخاس فارس قال والله لا يجتنها سقف دون السماء حتى أقسمها بين الناس قال فامرهم فوضعت بين صفى المسجد وأمر عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم فباعا عليها ثم غدا عمر رضى الله تعالى عنه بالناس عليه فأمر بالجلابيب فكشفت عنها فنظر عمر الى شئ لم تر عيناه منه من الجوهر واللؤلؤ والذهب والفضة فبكى فقال له عبد الرحمن بن عوف هبنا من مواضع الشكر فما يسبك فبكى فقال لأجل

ولكن الله لم يعط قوما هذا الا لئلا ينهم العداوة والبغضاء ثم قال انمخولهم اؤنكيل لهم بالصاع قال ثم اجمع رأيك على ان يمشولهم فقل لهم قال وهذا قبل ان يدون الدواوين قال اؤيوسف وحدنا الاعمش عن ابي اسحق عن جارية بن مضرب ان عمر رضى الله تعالى عنه سأل كم يكن العيل قال وامر بيجرب يكون سبعة اقفز تخبز وجمع عليه ثلاثين مسكينا فاشبعهم وفعل بالعشى مثله قال فن ثم جعل للعيل جرسين في الشهر قال وحدثني شيخ لنا قدم قال حدثني اشياخ قالوا كان لعرب انخطاب رضى الله تعالى عنه أربعة آلاف فرس موسومة في سبيل الله تعالى فاذا كان في عطاء الرجل خفة او كان محتاجا اعطاه الفرس وقال له ان اعيته اوضيعته من علف او شرب فانت ضامن وان قاتلت عليه فاصيب او اصاب فليس عليك شيء (من كتاب انخراج لابي يوسف)

(فصل في موات الارض وفي الصلح والعنوة وغيرهما)

وسالت يا امير المؤمنين عن الارضين التي افتتحت عنوة او صلح عليها اهلها وفي بعض قراها أرض كثيرة لا يرى عليها أثر زراعة ولا شبه لاحد ما الصلاح فيها فاذا لم يكن في هذه الارضين أثر بناء ولا زرع ولم تكن قيا لاهل القرية ولا مسرجا ولا موضع مقبرة ولا موضع محتطهم ولا موضع مرعى دواجم ولا غناتهم وليست بملك لاحد ولا في يد احد فهي موات فن احياها واهايا منها شيئا فهي له ولثان تقطع ذلك من احببت ورايت وتواجر وتعمل فيه بما ترى فيه أنه صلاح وكل من احيا أرضا مواتا فهي له وقد كان ابو حنيفة رحمه الله يقول من احيا أرضا مواتا فهي له اذا اجازها الامام ومن احيا أرضا مواتا بغير اذن الامام فليست له وللامام ان يخرجهم من يده ويضع فيها ما رأى من الاجارة والاقطاع وغير ذلك قبل لابي يوسف ما ينبغي لابي حنيفة ان يكون قد قال هذا الا من شيء لان الحديث قد جاء عن النبي عليه السلام أنه قال من احيا أرضا مواتا فهي له فبين لنا ذلك الشيء فانما نرجو ان تكون قد سمعت منه في هذا شيئا يحججه قال ابو يوسف حجته في ذلك أن يقول الاحياء لا يكون الا باذن الامام رأيت رجلا من اهل اكل واحد منهما ان يختار موضعا واحدا او كل واحد منهما منع صاحبه أي ما أحق به رأيت ان أراد رجل أن يحيي أرضا مئة بقاء رجل وهو مقر أن لا حول له فيما قال لا تحيا فانما ينبغي في ذلك يضرب في فاعلم جعل ابو حنيفة اذن الامام في ذلك ههنا فصلايين الناس فاذا اذن الامام في ذلك لا ناس كان له أن يحياها وكان ذلك الاذن جائزا مستقيما واذا منع الامام أحدا كان ذلك المنع حازرا ولم يكن بين الناس التسامح في الموضوع الواحد ولا الضرار فيه مع اذن الامام ومنعه وليس ما قال ابو حنيفة برد الاثر انما رد الاثر أن يقول وان احياها باذن الامام فليست له فاما من يقول هي له فهذا اسباع الاثر ولكن باذن الامام ليكون اذنه فصلايين بينهم من خصوماتهم واضرار بعضهم ببعض قال ابو يوسف اما انافاري اذا لم يكن فيه ضرر على أحد

والاحد فيه خصومة أن اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاز إلى يوم القيامة فإذا جاء الضر فهو على الحديث وليس لعرق ظالم حق قال أبو يوسف حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحيأ أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق قال وحدثنا الخفاف بن أروطة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحيأ أرضاً ميتة فهي له قال وحدثني محمد بن اسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحيأ أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق قال عروة خذني من رأي ذلك الخفاف بن أروطة في أصله القوس قال وحدثني ليث عن طاووس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادى الأرض الله والرسول ثم لكم من بعد فن أحيأ أرضاً ميتة فهي له وليس لمخبر حق بعد ثلاث سنين قال وحدثني محمد بن اسحاق عن الزهري عن سالم بن عبد الله أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر من أحيأ أرضاً ميتة فهي له وليس لمخبر حق بعد ثلاث سنين وذلك ان رجلاً قالوا لمخبرون من الأرض ما لا يعلمون قال وحدثني الحسن بن عمار عن الزهري عن سعيد بن السيب قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أحيأ أرضاً ميتة فهي له وليس لمخبر حق بعد ثلاث سنين قال وحدثني سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال من أخطأ حائطاً على أرض فهي له قال أبو يوسف معنى هذا الحديث عندنا على الأرض الموات التي لاحق لاحد فيها ولا ملك فن أحيأها وهي كذلك فهي له يزرعها وينزعها وينزعها ويؤجرها ويكرى منها الانهار ويجمعها بغير مصطلحها فان كانت في أرض العشر أذى عنها العشر وان كانت في أرض الخراج أذى عنها الخراج وان احتقر لها بئراً أو استنبط لها فناة كانت أرض عشر قال أبو يوسف وأما قوم من أهل الحرب بادوا فلم يبق منهم أحلو بقيت أرضهم معطلة ولا يعرف أنها في يد أحد ولأن أحدنا يدعى فيها دعوى وأخذها رجل فجعها وحرثها وغرس فيها وأدى عنها الخراج والعشر فهي له وهذه الموات هي التي وصفت لك في أول المسئلة وليس للامام أن يخرج شيئاً من يد أحدنا لا يحن ثابت معروف وللإمام أن يقطع كل موات وكل ما كان ليس لاحد فيه ملك وليس في يد أحد ولا يعمل في ذلك بالذي يرى أنه خير للمسلمين وأعم نفعاً ومن أحيأ أرضاً مواتاً تماماً كان المسلمون اقتحوا بما كان في أيدي أهل الشرك عنه وقد كان الامام قسمها بين الجند الذين افتتحوها ونسبها فهي أرض عشر لأنه حين قسمها بين المسلمين صارت أرض عشر فيؤدي عنها الذي أحيأها شيئاً العشر كما يؤدي هؤلاء الذين قسمها الامام بينهم وان كان الامام حين افتتحتها تركها في أيدي أهلها ولم يكن قسمها بين من اقتحمها كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ترك السواد في أيدي أهله فهي أرض خراج يؤدي عنها الذي أحيأها شيئاً الخراج كما يؤدي الذي كان الامام أقرها في أيديهم

وأما رجل أحيا أرضا من أرض الموت من أرض الحجاز أو أرض العرب التي أسلم أهلها عليها وهي أرض عسرة فهي له وإن كانت من الأرضين التي افتتحها المسلمون مما في أيدي أهل الشرك فإن أحياها وساق إليها الماء من السماء التي كانت في أيدي أهل الشرك فهي أرض خراج وإن أحياها بغير ذلك الماء سيرا حفرها فمأوى عين استخرجها منها فهي أرض عسرة وإن كان يستطيع أن يسوق الماء إليها من الأنهار التي كانت في أيدي الأعاجم فهي أرض خراج ساقه أو لم يسقه وأرض العرب مخالفة لأرض العجم من قبل أن العرب انما بقاؤنا على الإسلام لا تقبل منهم الجزية ولا يقبل منهم إلا الإسلام فإن عني لهم عن بلادهم فهي أرض عسرة وإن قسمها الإمام ولم يدعها لهم فهي أرض عسرة وليس يشبه الحكم في العرب بالحكم في العجم لأن العجم بقاؤنا على الإسلام وعلى إعطاء الجزية والعرب لا بقاؤنا على الإسلام فاما أن يسلموا واما أن يقتلوا ولا نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا أحد من الخلفاء بعده أخذوا من عبدة الاوثان من العرب جزية انما هو الاسلام والقتل فاذا ظهر عليهم سبي النساء والذراري كما سبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ذراري هوازن ونساءهم ثم عفا عنهم بعدوا أطلقهم وانما فعل ذلك باهل الاوثان منهم فاما اهل الكتاب من العرب فهم بمنزلة الأعاجم تقبل منهم الجزية كما ضعف عمر رضي الله عنه على بني تغلب الصدقة عوضا من الخراج وكما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل حاكم يشارا أو عدله مغافرة في أهل اليمن فهذا عندنا كاهل الكتاب وكما صالح أهل نجران على فدية وأما العجم فتقبل الجزية من أهل الكتاب منهم والمشركون وعبدة الاوثان والنيران من الرجال منهم وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس أهل هجر والمجوس أهل شرك وليسوا باهل كذب وهو لا عندنا من العجم ولا تنكح نسأؤهم ولا تؤكل ذبايحهم ووضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مشرك العجم بالعراق الجزية على رؤس الرجال على الطبقات المعسر والموسر والوسط وأهل الردة من العرب والعجم بالحكم فيهم كالحكم في عبدة الاوثان من العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام والقتل ولا نوضع عليهم الجزية (من كتاب الخراج لأبي يوسف)

(فصل في بيع السمك في الآجام)

وسألت أبا مريم المؤمنين عن بيع السمك في الآجام ومواضع مستنقع الماء فلا يجوز بيع السمك في الماء لأنه غرر وهو الذي يصيده فإن كان يؤخذ باليد من غير أن يصاد فلا بأس ببيعه ومثله إذا كان يؤخذ بغير صيد كمثل سمك في جب والافاذا كان لا يؤخذ باليد من غير أن يصاد كمثل نطي في البرية أو طير في السماء ولا يجوز بيع ذلك لأنه غرر وهو الذي صاده وقد رخص في بيع السمك في الآجام أقوام فكان الصواب عندنا والله أعلم

(في قول من كرهه)

حدثنا العلاء بن المسيب عن الحرث العكلي عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال لا تتبعوا السمك في الماء فإنه غرر وحدثنا يزيد بن أبي زياد عن المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تتبعوا السمك في الماء فإنه غرر قال وحدثنا عبد الله بن علي عن اسحق بن عبد الله عن أبي الزناد قال كتبت الى عمر بن عبد العزيز في بحيرة يجمع فيها السمك بأرض العراق أنوآجرها فكتب أن افعلوا قال وحدثنا أبو خنيفة رضى الله تعالى عنه عن حماد قال طلبت الى عبد الحميد ابن عبد الرحمن فكتب الى عمر بن عبد العزيز يسأله عن بيع صيد الأجام فكتب اليه عمر أن لأبأس به وسما الحديس قال وحدثنا الحسن بن عماره عن الحكم بن ابراهيم قال ان اشتريته صيدا محصورا ورأيت بعضه فلا بأس وقد بلغنا عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه وضع على أجرة برس أربعة آلاف درهم وكتب لهم كتابا في قطعة آدم وانخل ففعلها اليهم على معاملتي قصها قال أبو يوسف حدثنا ابن أبي ليلى عن عاصم الشعبي قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر (من كتاب الخراج لأبي يوسف)

(فصل في غرس الواقف أو غيره الاشجار أو بنائه في الوقف)

رجل غرس فموقوف أشجارا أو بني بناء أو نصب بابا قالوا ان غرس من غلة الوقف أو من ماله وذكر أنه غرسها الموقوف تكون وقفا ولو لم يذ كر شيأ وغرس من ماله تكون ملكا له ولو غرس في المسجد تكون المسجد لانه لا يغرس فيه ليكون ملكا ثمان كان لها ثمرة كالتفاح مثلاً أباح بعضهم للقوم الاكل منها والصحيح أنه لا يباح لانها صارت للمسجد فتصرف في عمارته بخلاف شجرة على طريق العامة جعلت وقفا عليهم ويستوى فيها الغنى والفقير كلها الموضوع في القلاوت وماء السقاية وسرير الحنطرة والمحفف الوقف ولو كانت الثمار على أشجار رباط المارة قال أبو القاسم أرجو أن يكون النزاع في سعة من تناولها الآن يعلم أن غرسها جعلها للفقراء وقال أبو الليث الاحوط أن يجتزأ عن تناولها من لم يكن سا كافيها الآن تكون ثمرة لاقية لها كالتوت مثلا ولو غرس رباطى شجرة في وقف الرباط وتعاهد ما حتى كبرت ولم يذ كر وقت الغرس أنها للرباط قال الفقيه أبو جعفر ان كان اليه ولاية الارض الموقوفة فالشجرة وقف والا فهي له وله فرعها ولو طرح سرقينافي وقف استأجره وغرس فيه شجرا تم مات يكون لورثته ويؤمرون بقلعه وليس لهم الرجوع فيما زاد السرقين في الارض عندنا ولو وقف شجرة باصلها على مسجد معين أو على الفقراء فان كان لها ثمرة أو ورق ينفع به كشجر الفرساد لا تقطع الا اذا سبت أو ليس بعضها فإنه يقطع اليابس ويترك غيره لانه لا ينفع باليابس وينفع بالاخضر وان لم يكن لها ثمرة تقطع ويصرف ثمنها في عمارة المسجد

أو يتصدق به مقبرة فيها أشجار عظام وكانت فيها قبل اقتناء الأرض مقبرة ان علم مالك الأرض تكون الاشجار له باصوله ايصنعها ما يشاء وان كانت مواتا واتخذها أهل القرية مقبرة فلا اشجار باصولها على ما كانت عليه قبل جعلها مقبرة ولونبت بعد ذلك فهي للغارس ان علم والا فالأرض فيها للقاضي ان رأى بيعها وصرف ثمنها في عمارة المقبرة تجاز له ذلك وهي في الحكم كأنهم وقف ولوجعل أرضه أو داره مقبرة وفيها أشجاراً أو بناءً فهي ومقرها له ولورثته من بعده لان مواضع الاشجار أو البناء كانت مشغولة فلا تدخل في الوقف ولو غرس أشجاراً في ضفة حوض قرية أو في جاني طريق العامة أو على شاطئ نهر العامة كانت له فان قطعها ثبت من عروقها أشجار تكون له أيضاً لوجودها من ملكه أشجار على حافتي نهر في الشارع اخنصم فيها الشربة ولم يعرف الغارس وهو يجري أمام باب رجل في الشارع قالوا ان كان موضع الاشجار ملكاً للشربة فثبت فيه ولم يعرف غارسه يكون لهم وان لم تكن الأرض لهم بل للعامة وللشربة حق التسييل فقط فان علم أن الاشجار كانت موجودة في ذلك المكان حين اشترى الدار صاحبها فانها لا تكون له والا تكون له لان ما ثبت في فناء داره يكون له ظاهراً والله أعلم

(فصل في وقف المنقول اصابة)

اختلف أبو يوسف ومحمد رحمهما الله في وقف المنقول مستقلاً فعن أبي يوسف في النواذر لا يجوز الوقف في الحيوان والرقيق والمتاع والنياب ما خلا الكراع والسلاح الا بطريق التبع كما تقدم والصحيح ما روى عن محمد رحمه الله من أنه يجوز وقف ما جرى فيه التعارف كالصاحب والكتب والفاس والقلم والمشار والقدر والجنابة لوجود التعارف في وقف هذه الاشياء وبه يترك القياس كافي الاستصناع بخلاف ما لا تعارف فيه كالنياب والامتعة لان من شرطه التأييد كما بينا ولكن تركاه فيما ذكرنا للتعارف وفي السلاح والكراع للجهاد بالنص فان خالد بن الوليد رضي الله عنه وقف دروعاً له في سبيل الله فجاز له النبي صلى الله عليه وسلم وجعل رجل ناقص في سبيل الله فأرادت امرأته أن تعج عليه فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحج من سبيل الله وطلحة رضي الله تعالى عنه حبس سلاحه وكرعه في سبيل الله أي خيله والابل كأخيل لان العرب تقاتل عليها وتحمل عليها السلاح فبقى فيما وراءه على الاصل ولو وقف بقرة على رباط بأن يعطى ما يخرج من لبنها أو غيرها أو سبيل الله لانه لا يسيل ان كان في موضع تعارف أو ذلك يصح كافي ماء السقاية والا فلا ولو وقف ثوراً على أهل قرية ليزى على بقرهم لا يصح لانه ليس فيه عرف ظاهر ولا هو قرية مقصودة ولو وضع حباتي مسجد أو عاق فيه قنديل لا أن يرجع به لانه لا يترك فيه دائماً ولو كثرت الدواب المربوطة للراطين وعظمت مؤثمتهم يجوز للتولى بيع ما كبرت سنهم أو خرجت عن صلاحية

ماربطته وعين الصالح منها ولوباع أهل المسجد نقضه أو غلّه ووقعه يجوز أن يكن ثمة فاض
وان كان فالصحيح أنه لا يصح إلا بأذنه وقد تقدم أن محمد بن عبد الله الأنصاري من أصحاب زفر
رحمته تعالى قال يجوز أن يوقف الدرهم والطعام والله اعلم (من كتب الاسعاف)

(بيان طبقات فقهاء الحنفية والمقابلة بينهم وبين فقهاء الشافعية في مجرأ العدد)
قد نقل بعض مؤلفي الحنفية عن ابن كمال بإشاعة قسم الفقهاء إلى سبع طبقات الأولى طبقة المجتهدين
في الشرع كالأئمة الأربعة ومن سلك مسلكهم في تأسيس قواعد الأصول واستنباط أحكام الفروع
عن الأدلة الأربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس على حسب تلك القواعد من غير تقليد
لا حد في الفروع ولا في الأصول والثانية طبقة المجتهدين في المذهب كآبي يوسف ومحمد وسائر
أصحاب أبي حنيفة القادرين على استخراج الأحكام من الأدلة المذكورة على مقتضى القواعد التي
قررها امامهم أبو حنيفة وإن خالفوه في بعض أحكام الفروع لكن يقدرون في قواعد الأصول
وبيعتازون عن المعارضين في المذهب ويقارونهم كالأئمة الثلاثة المخالفين له في اجتهاده والثالثة
طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب كالطحاوي وقاضي خان وأمثالهم
من لا يقدرون على المخالفة لشيخ لا في الأصول ولا في الفروع لكن يستنبطون الأحكام من المسائل
التي لا نص عنها فيمضي على حسب أصول قررها ومقتضى قواعد بسطها والرابعة طبقة أصحاب
التخريج من المقلدين كالرازي الحنفي وأضرابه فانهم لا يقدرون على الاجتهاد أصلاً لكنهم
لا حاطهم بالأصول وضبطهم لما أخذ يقدرون على تفصيل مجمل ذي وجهين وحكم بهم بمقتضى
الامر من منقول عن صاحب المذهب أو عن أحد من أصحاب المجتهدين برأيهم ونظرهم في الأصول
والقياس على أمثاله ونظراته في الفروع ومن هذا القبيل ما وقع في بعض المواضع من الهداية من
قوله كذا في تخريج الكرخي وتخريج الرازي والخامسة طبقة أصحاب الترجيح من المقلدين
كآبي الحسين القدوري وصاحب الهداية وشأنهم تفضيل بعض الروايات على بعض بقولهم هذا
أولى وهذا أصح رواية وهذا أرفق بالناس والسادسة طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين
الاقوى والقوى والضعيف وظاهر المذهب وظاهر الرواية والرواية النادرة كأصحاب المتنون
المعتبرين المتأخرين مثل صاحب الكنز وصاحب الدر المختار وغيرهما ممن شأنهم أن لا ينقلوا
في كتبهم الاقوال المردودة والروايات الضعيفة والسابعة طبقة المقلدين الذين لا يقدرون على ما ذكر
ولا يقررون بين الغث والسمين انتهى ملخص ما نقل عن ابن كمال بإشاعة
وفي الحقيقة هذه الطبقات السبع ترجع إلى الطبقات الشافعية الثلاث والأربع تدخل بعضها
في بعض كما يفهم بالتأمل فالتقسيم لها جعلي كمن قسم الفقهاء المشتغلين بالفتنة إلى ست مراتب
الأولى رتبة البندى وهو من لا يقدر على تصور المسألة والثانية رتبة المتوسط وهو من قدر على

تصورها ولم يقدر على إقامة الدليل عليها والسائلة رتبة المنتهى وهو من قدر على تصور المسألة وعلى إقامة الدليل عليها والرابعة رتبة مجتهد الفتوى وهو من قدر على ترجيح الأقوال كالنوى والرافعى والخامسة رتبة مجتهد المذهب وهو من قدر على استنباط القروع من قواعد امامه كالنوبختى والمزنى والسادسة رتبة المجتهد المستقل وهو من قدر على استنباط الاحكام من الكتاب والسنة بشر وطها المذكورة في الاصول وان زيد المجتهد المطلق المنتسب المنفرد بآراء خاصة به كانت سبعة كالحنفية (من كتاب القول السديد لرفاعة بن)

(الكلام على قول بعضهم ان العصر خلا عن المجتهد)

قال الغزالي والقائل ان العصر خلا عن المجتهد فقال ابن دقيق العيد أما قول الغزالي والقائل خلا عن المجتهد فالتظاهر أنه خلا عن المجتهد القائم بالقضاء فانه لا يمكن الحكم على الاعصار بخلافها عن المجتهد والقائل نفسه يقول للسائل في مسألة الصبرة أتسألني عن مذهب الشافعي أم ما عندي وقال هووا الشيخ أبو علي والقاضي الحسين والاستاذ أبو إسحق وغيرهم ليسنا مقلدين للشافعي بل وافق رأينا رأيها فلهذا كلامهم يدعى زوال رتبة الاجتهاد قال ابن الرفعة لا يختلفان في أن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد بلغا رتبة الاجتهاد انتهى وحل ابن دقيق العيد كلام الغزالي في قوله كالقائل ان العصر خلا عن المجتهد أي عن مجتهد القضاء ولعل الاظهر من ذلك أن يقال ان مراده المجتهد بمعنى الاكل الذي هو المجتهد المستقل المطلق وفي الحقيقة لا بدعي أحدان الزمان لا يتناولن مجتهد على تلك الصفة لاسبابا وان من المعلوم أن مثل الامام الغزالي لا يقول ذلك ولا يحزم بهذا الحزم الا بعد التبع والتفحص أو على حسب ما بلغه أو يحتمل كلامه على مجتهد مذهب الناس بمذهبه على أن القائل قال كما نقله عنه الشيخ محمد الشورى في حاشيته على شرح الرملي على المنهاج انه لا يوجد في زمانه المجتهد المطلق وأما المجتهد المقلد فهو الذي ينتحل مذهب واحد من الأئمة وقد عرف مذهبهم وصار حاد فانيه بحيث لا يشذ عنه شيء من أصول مذهب أي منصوصاته بحيث اذا سئل عن مسألة لا يعرف فيها نصا لمامه اجتهد فيها وخرجها على أصوله وأفتى فيها بما أدى اليه اجتهاده فهذا أعز من الكبريت الاحمر انتهى نقل الشورى في فهمهم كلامه أن المجتهد المتبحر الذي هو مجتهد المذهب أو مجتهد الفتوى له وجود الآن وجود منادر فلا عبرة بمن يجترئ على الشريعة. ويكذب نسبة هذا المقام الاجتهادي لبعض أئمتها ويخوض في حق من نسب الاجتهاد لمن حيث هو للتأهيل للقيام بهن الرتبة من علمها الشريعة فلم يزل هذا المقام معروفا بالناس ومعروفا به الناس ومختلف الرتبة تختلف ما بين الشمس وشعلة النيران وادعاء لنفسهم أقوام ظهرت أماره ضد فهم ظهورهم من الظهيرة وأصبحت أوطار هذه الرتبة العلمية بهم مستنيرة ومن آخرهم الحافظ الجلال السيوطي (من كتاب القول السديد لرفاعة بن)

(الكلام على ادعاء الجلال السيوطي الاجتهاد المطلق ومستنده في ذلك)

قد ألف الجلال السيوطي في حجة الاجتهاد في أي عصر من الاعصار كتبنا وبيننا ذلك من صادق الاستدلال سببا حتى قال لمن شدد عليه النكير من الحساد ممن جلته المعاصرة على الخصام والداد انك من انكار الاجتهاد على إمكان وترغم أنه في حيز الاحالة وعدم الامكان وهذا كلام من خلا عن العلم صدره والقواد ومن بينه وبينه ألف واد فان نصوص الأئمة بقرينة الاجتهاد في كل عصر طائفة وتأيم أهل العصر اذا قصر وافي القيام به لأئمة وقد جمعها في الكتاب الذي سميت الرد على من أخلد الى الارض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض وقالوا لا تأتي الفرض الا بالاجتهاد المطلق وأن يستمر به مفتوحا لا يغلق فان قلت ان أحدا الآن لن يناله فقد نسبت كل من في الارض الى المعصية لآله والامة منزهة عن ذلك للعديد الصحيح ان الله عصم هذه الامة من أن تجتمع على ضلال ثم أين أنت من قول سيد المرسلين وامام المتقين ان الله يعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذا امر الدين وفسر العلماء هذا المبعوث برجل يقوم بالاجتهاد ويحيي ما خفا نور دين العباد فان آمنتم بان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتخلف بعده وأهله لا بد لكل قرن من مجتهد يهره فقد زلت الحجة وسكنت منك الضجة وعرفت خصوصية هذه الامة الشريفة حيث لم تنقرط في هذا الواجب ولا يجها عنه حاجب بخلاف جملة التوراة فانهم قصر وافيه حتى انقرضت منهم المجتهدون وخلا زمانهم عن امام به يقتدون ويحذون وان زعمت خبره . ول الله أخلف وأنه في هذا القرن تخلف فنستفتيك من نفسك على نفسك ان تعرف فرق ما بينك وبين أبناء جنسك ثم اذا اعترفت بوجود الاجتهاد فيما مضى وأنت كرتة الآن وقلت انه قد انقضى فمالك الاجاب الشيخ أبي الحسن السالفي اذ قيل له هنا قوم بكرامات الاولياء السابقين يعترفون ويشكرونهم المان هو موجود ولا يصفون فقال انما هم اسرايميلية فان بنى اسرايل صدقوا نبوة موسى ومن تقدم من الانبياء قبل اوانهم وكتبوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليكون موجودا في زمانهم انتهى المقصود من كلامه

ولما ادعى الجلال السيوطي رحمه الله مقام الاجتهاد وكان يقف الناس بالاربع من مذهب الامام الشافعي قالوا له لا نفتيهم بالاربع عندك قال لم يسألوني ذلك وانما سألتوني عما علمه الامام وأصحابه ومستند ادعاء السيوطي الاجتهاد بناء على بقاءه الى آخر الزمان حديث يعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة امر دينها أي ما ندرس من أحكام الشرع ووهي من معالم السنن وخفي من المعالم الدينية الظاهرة والباطنة ومستند منع الاستدلال بهذا الحديث أن المراد بمن يجدد أمر الدين من يقرر الشرائع والاحكام لا المجتهد المطلق (من كتاب القول السديد لرفاعهيك)

(الكلام على المحدثين لهذه الامة أمر الدين)

يظهر من كلام العلماء أن المحدث على رأس المائة الاولى عمر بن عبدالعزيز وعلى رأس المائة الثانية محمد بن ادريس الشافعي وعلى رأس المائة الثالثة أحمد بن عمر بن سريج البزاز الشهب قاضي شيراز أفضل أصحاب الشافعي الذي قويت به كل سنة وضعفت به كل بدعة وعلى رأس المائة الرابعة القاضي أبو بكر محمد بن لطيف الباقلافي وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد محمد بن محمد الغزالي وعلى رأس المائة السادسة أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ويوازيه الرافعي وعلى رأس المائة السابعة ابن دقيق العيد وعلى رأس المائة الثامنة السراج البلقيني ويوازيه الحافظ العراقي وعلى رأس المائة التاسعة شيخ الاسلام ذكريا الانصاري والسيوطي وعلى رأس المائة العاشرة شمس الدين الرملي كسبافي قال السيوطي

والشرط في ذلك أن قضى المائة * وهو على حياته بين الفئسة
بشار بالعلم الى مقامه * وينصر السنة في كلامه
وأن يكون جامع لكل فن * وأن يتم علمه أهل الزمن
وأن يكون في حديث قدرى * من أكيب المصطفى وهو قوى
وكونه فردا هو المشهور * فنطق الحديث والجهور
وهذه تاسعة المئين قد * أنت ولا يختلف ما الهادي وعد
وقدر جوت أنني الجدد * فيها ففضل الله ليس يحدد

وفي خلاصة الاثر نقل عن عبد الله بن محمزة عن علماء الدين أنه قال ويقر عندى أن المحدث للقرن التاسع الذي يرجو السيوطي أن يكون مجده القاضي زكريا الشهرة الانتفاع به وتصانيفه واحتجاج غالب الناس اليه لاسيما فيما يتعلق بالفقه وتحريم المذهب بخلاف كتب السيوطي فانها وان كانت كثيرة فليست بهذه المثابة على أن كثيرا منها مجرد جمع بلا تحرير وأكثها في الحديث من غير تمييز الطيب من غيره بل كان خاطب ليل وساحب ذيل والله تعالى برحم الجميع ويعمد علينا من بركاتهم انتهى وكلامه لا يخول من البراعة في الخوض في حق الامام السيوطي وان كان في موقعه في حق شيخ الاسلام

وقال بعضهم في مناسبة حديث ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها بدت بهر وخفت بهر يريد بدت بهر بن عبدالعزيز وخفت بشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني مجتهد عصره وعلم المائة الثامنة فانه كان له ترجيحات في مذهب الامام الشافعي خلاف مابحجبه النووي وله اختيارات خارجة عن المذهب كافتائه بجواز اخراج الفايوس في الزكاة

وله تصنيف في الفقه والتفسير والحديث منها حواشي الروضة وشرح البخاري وشرح الترمذي وحواشي الكشاف ويلقب به قول الشاعر

في رأس كل مائة يحيى من * يجدد الدين بحسن الوصف
ومثل ذا مجدد للدين لا * يحيى الا واحد في الالف

وكان أحق الناس من أهل زمانه بالتجديد وقد توفي في سنة خمس وعثمانية على رأس القرن ٨١٠ بعض تصرف ولكن هذا القول لا بلائم منطوق الحديث المؤذن بالتجديد في كل قرن والمفيد لتناوب دور المجددين الآن يحمل على أنه لا يوجد بعد البقيني مثله وأن المجددين الخلف لا يصلون إلى درجة السلف ولا شك أن مرتبة التجديد كرتبة الاجتهاد متناهية فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أن الامام شمس الدين الرملي المنوفي المصري الانصاري الشهير بالشافعي الصغير بمجدد القرن العاشر ووقع الاتفاق على المبالغة في مدحه وأنه يحيى السنة وعدة الفقهاء في الاتفاق وفيه يقول الشهاب الخفاجي وهو أحد من أخذ عنه

فضائله عدا المال في يطق * ليحوى معشار الذي فيه من فضل
فقل لغير رام احصاء فضله * تربت استرح من جهده ذلك للرمل

واختلف في رأس المائة المذكور في الحديث هل يعتبر من المولد النبوي أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة قال بعضهم ولو قيل بأقرية الثاني لم يعد انتهى ولعل ترجيحه كونه صلى الله عليه وسلم هو الذي جامع هذا الدين القويم وهدى إلى الصراط المستقيم وكان تقوية هذا الدين بعده بحسبه الكرام والتابعين فصار هذا القرن يعد منسوباً إليه صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ورأس القرن الحقيقي الاتي سانه وافق عهد عمر بن عبد العزيز الذي هو خامس الخلفاء الراشدين أو سادسهم فان عمر بن عبد العزيز كان موجوداً في رأس القرن بالحساب من الهجرة وعلى ذلك ففرق القرن بين البعثة والهجرة نحو ثلاث عشرة سنة فكان على رأس القرن يعني انتهت المائة حال وجوده واحتياج الدين التجديد بعد العهد من الصدر الاول فيكون موافقاً لما قاله بعضهم ان المراد بالبعث في كل قرن بعث من انقضى القرن يعني المائة سنة وهو حي عالم مشارك اليه فانما حاسبنا من البعثة نجد أن عمر بن عبد العزيز عاش بعد القرن زمان طويلاً ودخل عليه القرن الثاني وهو حي عالم مشارك اليه فهو مجدد لكن منيع السبكي وغيره مصرح بان المراد اعتبار القرن من الهجرة وعلى كلا القولين فيوافق بالكلية تجديد عمر بن عبد العزيز وقال بعضهم ان تخصيص الرأس انما هو لكونه منظمة انخراط علمائه غالباً وظهور أهل البدع والخارجين والافقيديكون في أثناء المائة من هو كذلك موصوفاً بالتجديد بل قد يكون أفضل من المبعوث على رأس القرن ولذلك قيل بتعدد المجددين

المقيمين للجمع على تعصّب الدين وفي بعض الروايات زياد من أهل بيتي قال التاج السبكي وفيها دقيقة ينبغي التنبيه عليها وهي أن عمر بن عبد العزيز والشافعي قرشيان تصدق عليهما الرواية المذكورة قال وبذلك يتعين عندي أن المحدث بعد الشافعي يكون شافعي المذهب فانه هو الذي من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولا حائل بعضهم أن المراد بكونه من أهل البيت أهل البيت المعنوي كحديث سليمان من أهل البيت ولا شك أن الشافعي انما كمل علمه وتقرر ملدين في آخر المائة الثانية وأول المائة الثالثة فكان صالحا لان يكون هو المراد بهذا الحديث لانطباقه عليه من وجوه الاول أن الحديث الذي ذكرناه يدل على أنه لا بد على رأس المائة من امام يسمي في تقوية الدين مع حديث الأئمة من قريش ولم يظهر في رأس المائة امام قرشي يسمي في تقوية الدين ونصرته غيره وهذا في غاية الظهور لان علم مالك وأبي حنيفة لم يظهر في أول المائة الثالثة وأما علم أبي يوسف ومحمد بن الحسن وأحمد بن حنبل فهى وان ظهرت في أول المائة الثالثة الا أنهم لم يكونوا من قريش الثاني وهو يقوى ما ذكرناه أن قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث الى آخره لا يليق به الامن كل نه تصرف في علم الدين واستقلاله بتقوية أصوله وفروعه وقد علمنا أن مالكاً وأحمد بن حنبل خارجان عن هذا الحديث لظهور علمهما في وسط المائة فبقى معنا أبو يوسف ومحمد وزفر وسائر أصحاب أبي حنيفة ومالك فخل هذا الحديث لا يتناول مثل هؤلاء لانهم أتباع للجمهورين فالأقرب أن لا يتناول الامن كل مستقلاً بنفسه في وضع المذهب والاقوال مستبداً باجتهاده وهو الامام الشافعي وأما الامام أحمد بن حنبل فانه وان كان موجوداً في أول المائة الثالثة الا أنه ما كان صالحاً لان يكون هو المراد وبما نه من جهات الاولى أنه كان مقراً بان المراد بهذا الحديث هو الشافعي فقد روى البيهقي في كتاب المناقب ذلك عنه بطرق كثيرة والثانية أنه ما كان في علم أصول الفقه كالشافعي فان الشافعي كان له أيضاً مذهب في الأصول بل هو أول من وضع علم أصول الفقه ودونه أيضاً وقال الامام أحمد بن حنبل لولا الشافعي لبقيت أفقه أصحاب الراى أى الاجتهاد فلما ثبت بالدليل أن من سوى الشافعي من الفقهاء لا يصلح واحدهم أن يكون مراداً بالحديث ثبت أن المراد به ليس الا الامام الشافعي القرشي المطلي والثالثة أن الائتم قبل الشافعي كانوا فريقين أصحاب الحديث وأصحاب الراى أى الاجتهاد فكان أصحاب الحديث خارجين عن المناظرة والمجادلة لما قضته مريقة أصحاب الراى فما كان يحصل بسببهم قوّة الدين ولا نصرة للكتاب والسنة على وجه تام وكان أصحاب الاستحسان سعيهم برأيهم وترتيب فكرهم في الغلب فما كان جهدهم واجتهادهم مصر وفاق الى نصرة التصووص فلما ظهر الشافعي قوى جانب أهل الحديث وجعل الحديث على قدر التصووص أولى لان جل لفظ الدين على النص أولى من الاستحسان

وبهذا كان الحديث أشد انطباقاً على من كان أقوى معرفة بالنصوص من القرآن والاحبار وبأصول الفقه وشرائط الاستدلال بتلك النصوص وهو الامام الشافعي فهو الذي وضعها ورتب أصولها وفتح فصولها وكان أيضاً قويا في المناظرة والمجادلة وقد رجع كثير من أسباع المذاهب الى مذهبه ولولا ذلك لامتنع في مجاري العادات أن يرجع كثير من الناس عن قول أبي حنيفة وقول مالك بسبب مخالفتيهما فإذا كان الامر كذلك فقد ثبت أنه رضي الله تعالى عنه متعين لأن يكون مراداً بهذا الحديث والذي يقوى ذلك أن أصحاب الاجتهاد أظهر وأما ذهابهم وكانت الدنيا ملوثة من المحدثين ورواة الاخبار ولم يقدر أحد منهم على الطعن في أقاويلهم ثم انه لما قوى مذهبهم واشتهر وعظم وقعد في القلوب اتفق اتصال أبي يوسف ومحمد بخدمة هارون الرشيد فعظمت تلك القوة جدا في نفوذ العلم والسلطنة معا فلما جاء الشافعي وأظهر ما كان معه من الدلائل والبيانات رجع كثير من أنصارهم وأشياعهم وما جاء من ذلك الوقت الى الآن من قدر أن يطعن في مذهب الشافعي أو من يمين ضعف قوله في مسألة واحدة ولولا أن الله تعالى قد خص الشافعي بالبيانات الواضحة والدلائل اللامعة لكان هذا الامر كلته مذكراً فثبت أن الشافعي هو الذي قوى الحق بسبب بيانه وقوة برهانه فوجب الجزم بأنه هو المراد بهذا الحديث لا غيره وأنه المجدد للقرن وكونه هو المجدد لا يقدح شيئاً في مراتب غيره من أصحاب المذاهب لاسيما وأن فيهم من أشباهه فأكابر المجتهدين أرباب فضائل ومزايا وخصائص مع ما سأتق في تبيين التجديد

(الكلام على الاجماع على تقاليد الاربعة المجتهدين دون غيرهم)

أكابر المجتهدين المستقلون الذين انعقد الاجماع على تقليدهم دون غيرهم هم الائمة الاربعة الذين انتشرت مذاهبهم وضبطت بالتدوين وانعقد الاجماع على تقليدها وجواز العمل بها حيث اختبرت لذلك وهم الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان والامام مالك بن أنس والامام الشافعي محمد بن ادریس والامام أحمد بن حنبل وسبب الاختصار علم انقراض للمذاهب ما عداها مما ترتب عن قتل التتار الخليفة المعتمد سنة ٦٥٩ من الهجرة بمكة وزيره ابن العلقمي من نكبة بغداد والقاء كتب الائمة المجتهدين وغيرهم في نهر البجلة فاما أبو حنيفة رجه الله تعالى فهو امام تقي قه ل أدرك في زمانه أربعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله ابن أبي أوفى بن علفة ومهل بن سعد الساعدي وأبا الطفيل عامر بن واثلة وأبا جهم فقد قيل انه تابعي وكفاه بذلك فضيلة وانه صاحب ذكاء وفطنة وتوفي ببغداد سنة تسعين ومائة وهو ابن سبعين ودفن في مقبرة الخيزران رجه الله تعالى ورضي عنه وأما الامام مالك بن أنس فهو امام تقي مجتهد قد أخذ العلم عن أربعة بن عبد الرحمن وجلس اليه أكثر ممن كان يجلس الى ربيعة فكانت حلقة مالك

في زمن ربعة مثل حلقة ربعة وأكثر روى أن المهدي قدم المدينة فبعث إلى مالك بن النضر أوسنة آلاف دينار ثم أتاه الربيع بعد ذلك فقال له أمير المؤمنين يجب أن تعادله إلى مدينة السلام فقال له مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والمال عندى على حاله وبالجملة فهو نعيم السنة النبوية وفضائله كثيرة فوق الوصف وفى سنة تسع وسبعين ومائة وولادة سنة إحدى وأربع أو سبعة وتسعين وأما الامام محمد بن ادریس الشافعى فهو امام جليل القدر عظيم قد أخذ الفقه عن مسلم بن خالد الزنج وغيره وهو صاحب الفتوى والتقوى وله مناقب لا تعد ولا تحصى وفى رحمة الله ليله الخليل آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين بمصر ودفن يوم الجمعة بعد العصر وصلى عليه أميرها وولادة سنة خسين ومائة وأما الامام أحمد بن حنبل فهو امام تقي مجتهد محدث قال عبد الرزاق ما رأيت أفقه ولا أروع من أحمد بن حنبل وقال أبو زرعة كان يحفظ ألف ألف حديث وكان كثيرا ما يقول در كل صلاة اللهم كما صلت وجهي عن السجود لغريك فص وجهي عن المسألة لغريك وبالجملة فتابعه كثيرة جدا وفى بغداد سنة إحدى وأربعين ومائتين وولادة سنة أربع وستين ومائة رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة وكان بمنزلة هؤلاء المجتهدين أبو عبد الله سفيان بن سعد الثوري الكوفي مات بالبصرة ودفن في الأحدي وستين ومائة ولم يزل مقلدوه إلى القرن السادس ومن الناس من يعد من أصحاب المذاهب سفيان بن عيينة والأوزاعي امام الشام وإسحاق بن إبراهيم وداود الظاهري والليث بن سعد بل ومحمد بن جرير الطبري فان قيل كيف يعد منهم داود الظاهري وامام الحرمين يقول ان المحققين لا يقيمون للظاهرة وزنا وان خلافتهم لا يعتبر فاجواب عن ذلك أن ابن السبكي حل قول امام الحرمين علي بن حزم وأمثله قال وأما داود فعلاذ الله أن يقول امام الحرمين أو غيرهم ان خلافة لا يعتبر فلقد كان جبالا من جبال العلم والدين ولهم سند النظر وسعة العلم ونور البصيرة والاحاطة باقوال الصحابة والتابعين والقدرة على الاستنباط ما بهظم وقعه وقد وثقت كسبه وكثرت أتباعه وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقاته من الأئمة المتبوعين في الفروع وقد كان مشهورا في زمن الشيخ وبعد بكثير لاسيما في بلاد فارس شيراز وما والاها إلى ناحية العراق وفي بلاد المغرب وأما ابن حزم فقد قال فيه بعضهم عن نسبة تحليله آلات اللهو واللعب

فأجزم على التعريم أى جزم * والرأى أن لا تتبع ابن حزم

فقد أبحث عند الأوتار * والعود والطنبور والزمار

والظاهر أنه بعض تجرى كقوله في حق أبي حنيفة وأصحابه البيهقي المشهورين وهما

ان كنت كاذبة الذى حدثتني * فعليك انتم ابي حنيفة أو زفر
الواثين على القياس تمردا * والراغبين عن التمسك بالآثر
حتى اضطر بعض الحنفية الى الرد عليه بقوله

ما كان يحسن يا ابن حزم من * حاز العلوم وفاق فضلا واشهر
فأبو حنيفة فضله متواتر * ونظيره في الفضل صاحبه زفر
ان لم تكن قد تبنت من هذا فني * ظني بانك لا تساعد عن سفر
وقياسه لامع وجود أدلة * للعكم من نص الكتاب أو الخبر
لكن مع عدم تقاس أدلة * وبذلك قد وصى معاذ اذا أمر

(الكلام على الانتقال من مذهب الى آخر)

هل لقلدا امام من الأئمة الاربعة الانتقال من مذهب الى آخر أو ليس له ذلك قال الامام الشعراوى
في ميزانه رأى بتجسط الجلال السيوطى مانصه الذى أقول به لانتقل من مذهب الى آخر أحوال
أحدها أن يكون الحامل له على الانتقال أمر ادنى أو اقتضاه الحاجة الى الرافعية للاتقة كحصول
وظيفة أو مرتب أو قرب من الملوك أو أكابرا الدنيا فهذا حكمه حكم مهاجر قيس لانه لا عزم من
مقامه ثانيا أن يكون الحامل له على الانتقال أمر ادنى أو كذلك لكنه عامى لا يعرف النقه
وليس له من المذهب سوى الاسم وانما انتقل الى هذا المذهب لكونه عليه العمل حتى يدخل في قتاده
أو تدرس أو نحو فقل هذا أمر خفيف اذا انتقل عن مذهب الذى كان يزعم أنه متعدي به ولا يبلغ
الى حد التحريم لانه الى الآن عامى لا مذهب له فهو كن أسلم جديدا فله التذهب باى مذهب شاء
من مذهب الأئمة ثانيا أن يكون الحامل له أمر ادنى أو كذلك ولكنه من القدر الزائد عاده على
ما يليق بجعله هو فقيه في مذهبه وأراد الانتقال لغرض الدنيا الذى هو من شمول نفسه المذمومة
فهذا أمره أشد وربا وصل الى حد التحريم لتلاعبه بالاحكام الشرعية لجرده غرض الدنيا
مع عدم اعتقاده في صاحب المذهب الاول أنه على كمال هدى من ربه اذ لو اعتقد أنه على كمال هدى
ما انتقل عن مذهبه رابعا أن يكون انتقاله لغرض دينى ولكنه كان فقيها في مذهبه وانما انتقل
لترجيح المذهب الآخر عنده لما رآه من وضوح أدلته وقوة مداركه فهذا يجب عليه الانتقال
أو يجوز له كما قاله الراغبى وقد أقر العلماء من انتقل الى المذهب الشافعى حين قدم من مصر وكان
خلفا كثيرا من قبلين للإمام مالك كحمد بن الحكم وأمثاله خامسها أن يكون انتقاله لغرض دينى
لكنه كان عاميا من الفقه وقد اشتغل بمذهبه فلم يحصل منه على شئ * ووجد مذهب غيره أسهل عليه
بحيث يرجو سهرا عذرا كهو الفقه فيه فهذا يجب عليه الانتقال قطعا ويحرم عليه التخليق لان تفقيه

مثله على مذهب امام من الأئمة الاربعة خير من الاستمرار على الجهل لانه ليس له من المذهب سوى الاسم والاقامة على الجهل نقص عظيم في المؤمن وقل أن تصح منه عبادة قال الجلال السيوطي وأظن أن هذا هو السبب في تحول الطحاوي خفياً بعد أن كان شافعيًا فإنه كان يقرأ على خاله الامام المزني فتعسر بوما عليه الفهم خفف المزني أنه لا يجي منه شيء فانتقل الى مذهب الامام أبي حنيفة ففتح الله تعالى عليه وصف كتابا عظيما شرح فيه المعاني والآثار وكان يقول لو عاش خالي ورأى اليوم لكفر عن يمينه انتهي ما سها أن يكون انتقاله للفرض ديني ولا دنوي بان كان مجرد داعي القصدين جميعا فهذا يجوز للعالمى أما الفقيه فيكره له أو يمنع منه لانه قد حصل فقه ذلك المذهب الاول ويحتاج الى زمن آخر ليحصل فيه فقه المذهب الآخر فيشغله ذلك عن الامر الذي هو العمل بما اعله قبل ذلك وقد عوت قبل تحصيل مقصوده من المذهب الآخر فالاولى لمثل هذا ترك ذلك انتهى كلام الجلال السيوطي بصرف (من كتاب القول السديد)

(الباب الثاني في الاحاديث والمحكم)

(في السوء والرموزة ومكارم الاخلاق ومداراة الناس والتأديب معهم في حالي الفنى والاملاق)
اعلم أنه يجب على الانسان أن يتخلق بالاخلاق الموجبة للسيادة ويعتنى في طلب المكارم والمجادة
وأن لا يتشاغل عنها بسواها ولا يصرف همته الى ما عداها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أسرع به علمه ليطيق به حسبه ومن أبطأ به علمه لم يسرع به حسبه قال حكيم حكيم ما للسوء
فتنا اصطناع العترة واحتمال الجيرة قال في الشرف فقال كف الاندى وبذل الندى قال
في النساء فقال استعمال الادب ورعاية الحسب قال في المجده فقال احتمال المغارم واقتناء المكارم
قال في المروة فقال عرفان الحق ونفاها الصنعة قال في السماحة فقال حب السائل وبذل النائل
قال في الكرم فقال صدق الاخاء في الشدة والرخاء قال بعض العلماء الكرم هو اسم واقع
على كل نوع من أنواع الفضل وانظروا جامع لمعان السماحة والبذل فكل خصلة من خصال الخير
وخلة من خلال البر وشيعة تعزى الى مكارم الاخلاق وسجية تضاف الى محاسن الطباع والاعراق
فهي واقعة على اسم الكرم فانكم رأوا واقع على كل فعل من الافعال المرصية لازم لكل حال من
الاحوال الجليلة السنية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل
ولا تكون في ابنته وتكون في الابن ولا تكون في أبيه وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها
الله تعالى لمن أراد به السعادة وهي صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه
جائعان واعطاء السائل والمكاتب الصنائع وحفظ الامانة وصله الرحم والتذم للصاحب
وقرى الضيف وأسهن الحياء ومن المنقول عن الحكمة الواجب على ذى النسب الشرف

والمجد الرفيع أن لا يجعل ذلك سلباً الى التراخي عن الاعمال الموافقة لنسبه والالتكال على آباءه
فان أشرف الانساب يحض على أفضل الاعمال والشريف هذا أولى ان كان الشرف يدعوى الى
الشرف كما أن الحسن يدعوى الى الحسن وأكثر المدوحين انما مدحوا بأعمالهم دون أنسابهم
وقد قال الشاعر في هاشم بن عبد مناف وهو امام ذوى الانساب

عمر والذي هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مستنون بحاف

فدحه بفعله وان كان شريفاً رفيها واعلم أن الناس أشد تحفظاً على السيد الشريفي في قومه
وأكثر اجتناء لافضاله وتصفحا لاخلاله وتقيراً عن خصله منهم عن حامل لابعابه وساقط
لا يكثر اليه فيسر عيب الرجل الجليل يقدح فيه وصغير الذنب يكبر منه قال بعضهم وشرف
الوالد جزء من ميراثه منتقل الى ولده كانه قال ماله فان رعى وحوس بث وازداد وان أهمل وضيع
هلك وباد وكذلك شرف الولد يعم القبيلة والوالد منه الخط الأكبر والقسم الاوفر قال أبو علي
حسن بن رشيح والذي يقع عليه الاختيار عندهم قول المتوكل الليثي

انا وان أحسبنا كرم * لسنا على الاحساب تسكل

نبني كما كانت أو اناس * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقول عامر بن الطفيل

واني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشمور في كل موكب

فما سودتني عامر عن ورائه * أني الله أن أسمو بأمر ولأب

ولكنني أحبي حاشا وأنتي * أذاها وأرجى من رماها بمقنب

وأشداً بوحياناً لنصور أي عامر محمد بن عامر المعافري

واني لقتاد الجيوش الى الوغى * اسودنا نالقيها اسود خواد

فسللت بنفسى أهل كل سيادة * وفانرت حتى لم أجدمن أفاخر

وما شئت بنيانا ولكن زيادة * على ما بنى عبد الملك وعامر

رفعتا العالي بالعوى الى حديثه * وأورثناها في التقديم معافر

ومن يديع الافتخار بالسودد وحفظه قول السموأل بن عادي

صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا * اناث أصابت جملنا وبعلول

علونا الى خير الظهور وروحنا * لوقت الى خير البطون نزول

اذا سيدنا خلا قام سيد * قوول لما قال الكرام فعول

قال أبو علي حسن بن رشيح وقد أنكر قدامة أن يدح الانسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه

قال والذي ذهب اليه حسن وأنكر الجرجاني على أبي الطيب المتنبي قوله

(٥) القطع المختبة (جزء ثاني)

ما بقوى شرفت بل شرفواي * وبشقي نخرت لا يجودى

قال وهذا معنى سوء بقصر المدوح وبغض من نفسه ويحقر من شأن سلفه وانما طريقة المدح أن يجعل المدوح بشرف آبائه والآباء تزداد شرفه فيجعل لكل منهم في الفخر حظا وفي المدح نصيبا قلت واذا كان هذا لا يجمل ولا يحسن في الشعر وبعد نقصا في معناه وهو من قبيل المجازات والتخيلات فكيف يجمل بالعاقل أن يرضى ذلك حقيقة في ذاته ويهمل تأديب نفسه ويدع اكتساب المحامد واقتناء المكارم انكالا على حسب آبائه واعتمادا على كرم أسلافه ولولم يسع أبوه في طلب الجود كانوا كسالى عن ذلك لم يكن لهم نخر ولا حسا لهم ذكر قال

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففي صالح الاخلاق نفسك فاجعل

وقال بعضهم

تزين الفتى أخلاقه وتثنيه * وتذكر أفعال الفتى حيث لا يدري

فالافعال المحمودة والاخلاق الجميلة توجب السؤدد والرئاسة والافعال المذمومة والاخلاق الذميمة تنزع من ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالي الاخلاق ويكره سفاسفها قال الامام أبو بكر الطرطوشي واعلم أن زهر القضايل وحسن المناقب وبهاء المحاسن وما ضا ذلك من قبح المثالب وخس الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوثقه من علو المنزلة وشرف الخلوة فيكون حسنك أحسن ما يكون فجعل أقبح قلت فيجب على المرء أن يجهد نفسه في الاقتداء بصالح سلفه ويرغب في الاعمال اللائقة بمجده وشرفه وينافس في المعالي ويسارع الى المكارم ليحفظ منزلة آبائه الرفيعة لأن يجعل تلك المنزلة للثقة سيذريعه قال أبو الطيب

ولم أرفى عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام

وقال ابن الملقى لانه تشبه باهل الفضل تكن منهم وتصنع للشرف تدرك واعلم أن كل امرئ حيث يضع نفسه وحسب الحديث الوارد من تشبه يقوم فهو منهم قال بعضهم اعلموا أن مجدهم الذي بناء أبائكم متى لم تمهروه بافعالكم خرب وذهب قال الشاعر

المجد ان خان التليد طريقه * للسدعى نخره خوان

حسب الفتى عارابه أن لا يرى * الا بذكر قديمه يزدان

وكفاه نبلا أن يكون لذاته * ان شال وزن قديمه رجحان

وأتم ذلك مفخرا ما طابقت * في طهرن أرومها الاغصان

قال الامام أبو بكر بن أبي حمزة وما أجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد اذا الشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء يقال رجل شريف ورجل ماجد اذا كان له آباء متقبعون في الشرف

وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء كرام لهم شرف يقال رجل حسيب
ورجل كريم بنفسه فينبغي للرجل أن يطلب خلال آياته المحمودة ويتبعها ويتعلمها ويعلمها
والاصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فإن آباءكم كلان رابيا وإذا كان هذا
في الرمي فما ظنك بغيره قال الله تعالى ما كان ابن الكرم ابن الكرم وأتبعته آباء إبراهيم
واسحق ويعقوب وعلى الجملة ففي معارج النطق على مدارج السالكين الشرف وذلك معتبر
في النسب عند العجم والعرب وفي الخبر المرفوع من نعمة الله على الرجل أن يشبهه والده ذكر
أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أن عمرو بن سعيد دخل على معاوية بعد موت أبيه وعمرو
يومئذ غلام فقال لمعاوية إلى من أوصى بك أبو ليلى عمرو قال أن أبي أوصى إلى ولم يوصني فقال يا
شيء أوصاك قال أوصاني أن لا يفقد اخوانه منه الا شخصه فقال معاوية لاصحابه ان ابن سعيد هذا
لا شرف قال مسلم بن الوليد

وإذا جهلت من امرئ أعراقه * وقديمه فانظر إلى ما يصنع

وقال ابن الرومي

إذا شئت تعرف أصل الفتى * أجل لحظ طرفك في منظره
فإن لم يكن لك فانظر إلى * أفاعيله فهي من جوهره
وإن غاب عنك جهنم وذا * فلا تطلبن سوى محضه
فإن المحاضر سب الرجال * بهما يعرف النذل من مخبره
باوت الرجال وأخبارهم * فكل يعود إلى عنصره

وقال أبو الفتح كشاجم

وإذا افتخرت بأعظم مقبورة * فالناس بين مكذب ومصدق
فأقم بنفسك لاتسألك شأهنا * بجديد محمد للقديم محقق

قال بعض الحكماء من جمع إلى شرف أصله شرف نفسه فقد استدعى الفضل بالجملة ومن أغفل نفسه
واعتمد على شرف آباءه فقد عقمهم واستحق أن لا يقدمهم على غيرهم والافتخار فوعان فخرا الإنسان
بنفسه وغیره بسلفه والكمال في الجمع بين الأمرين قال الشاعر

ما السودا المكسوب الا دون ما * يوي إليه السودا المولود
فانهاما اجتماعا تكسرت القنا * ان غولبا وتضعع الجلود

أما خرا الانسان بنفسه فهو الذي تسميه العرب بالخارجي يريدون أنه خرج من أولية كانت له
قال كثير في الخارجي

أباهم وان لست بخارجي * وليس قدیم مجدك بانتقال
وكل من كان لخارجية ليس له قدیم قيل له عصامى وكذلك من يفخر بالآباء وليس بشرف في نفسه
يقال له عظامى وذلك قالوا كن عصاميا لا عظاميا أى افتخر بنفسك لا بآبائك الذين ماؤا وبقيت
عظامهم قلت وهذا ترغيب في الافعال الحميدة والاخلاق الجميلة وهو الذى أراد أبو الطيب بقوله

ولست بقانع من كل فضل * بان أعزى الى جده - مام
وأنف من أخى لاي وأمى * اذا ما لم أجده من الكرام
وعصام المذكور هو عصام بن شهر جالب النعمان الذى يقول فيه النابغة الذبياني
فانى لألام على دخول * ولكن ما وراعى يا عصام

وقيل فيه

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته السكر والاقدام
* وجعلته ملكا هماما *

أى انه انما شرف بهمته وقدره لا بقدیم كان له قال المأمون لرجل سمعه يفخر بنفسه أنت عظامى
لاعصامى أراد المأمون قول الشاعر * نفس عصام سودت عصاما *
وقول الآخر

اذا ما الحى عاش بعظم ميت * فذلك العظم حى وهو ميت
ومن وصية الرشيد للمأمون لا تتسكل على أن تقول كان أبى الرشيد واعل على ما يتسكل عليه
من يقول كان أبى المأمون وذ كرأبوعثمان الجاحظ أن زياد بن ظبيان التميمي قال لابنه عبيد الله
ابن زياد وزياذ يومئذ يجود بنفسه وعبيد الله غلام بابى الأوصى بك الأمير قال لا قال ولم قال
اذا لم يكن للعى الأوصية المبت فالحى هو الميت قال أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل قال الكلبي
قال لى خالد بن عبد الله القشيري ما تعدون للسودد فقلت أما فى الجاهلية فإلى راسة وأما فى الاسلام
فالولاية وخير من ذا وذلك التقوى فقال لى صدقت كان أبى يقول لم يدرك الاول الشرف
الا بالافعل ولا يدرك الآخر الا بما أدركه به الاول وانتسب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى بلغ عشرة آباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسب الا بالتواضع ولا نسب الا بالتقوى
ولاعل الابنية ولا عبادة الا باليقين قال الشاعر

لعمرك ما الانسان الا بدنيسه * فلا تترك التقوى اتكالا على التسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس * وقد وضع الشرك الشريف أبا الهب

وقال الراعي

لم أجد دعوة اخلاق الا للذين لم يختبروا والحسب

وقال منصور الفقيه

إذا جع الفتى حسبا ودنيا * فلا تعدل به أبدا قرنا

قال أبو عمرو بن العلاء كان أهل الجاهلية لا يوردون الأمن كانت فيه ست خصال وتقام في الاسلام سبعة السخا والنجدة والصبر والحلم والبيان والحسب وفي الاسلام زيادة العفاف وقيل لقيس ابن عاصم سم سودك قومك قال بكف الأذى وبذل الندى ونصرة المولى قال وجهه الدين أبو المطاع ابن خندان

وما يدعى باسم السيادة سيد * إذا لم تكن فيه خلأ ثلث أربع

يعن الى العليا ويغضى على القذى * ويسخر عما يحوى يدها ويشجع

وقال الأشعث بن قيس وما لثومنا غما أنار جل منكم ليس لي فضل عليكم لكني أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالي وأقضى حقوقكم وأحيط حريمكم فن فعل مثل فعلى فهو مثلى ومن زاد على فهو خير منى ومن زدت عليه فانا خير منه قيل له يا أبا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام قال حضهم على مكارم الاخلاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت لاتم مكارم الاخلاق ولما أتى صلى الله عليه وسلم بسبأ طي كانت في السبأ اجابة جميلة فصيحفة فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغب الوافد فان رأيت أن تخلى عني ولا تشمت بي أحياء العرب فاني بنب سيد قومي كان أبي يغك العاقى ويحكي الزمار ويقرى الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ولم ير دساة لاقط أبانت حاتم طي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك مسلما لترجت عليه خلوا عمنان أباهما كان يحب مكارم الاخلاق ولما توفى عبد الله بن طاهر صلى الله عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفعه وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقة من غلمانه وفعل ذلك اخوته ودفع كل رجل منهم الى كل غلام خم مائة درهم وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولدا ذكرا فقال أبو العيشل الاعرابي الشاعر لمصعب بن عبد الله وكان يختص بطاهر ويناديه الألدك على شيء ففعله فتقدم به سائر اخوتك عند الأمير طاهر قال بلى فانشد هذه الايات وقال اكتب بها الى الأمير

يا من يحاول أن تكون خلاله * كخلل عبد الله أنصت واسمع

فلا تصدك بالنصيحة والذى * حج الحج اليه فاقبل أو دع

ان كنت تطمح أن تجل محله * في الجحد والشرف الاسم الارفع

فاصدق وعف وروانصر واحمل * واحلم ودار وكلف واصبر واخشع

والطف ولن وتأن وارفق واتشد * واحزم وجد وحام واجل وادفع
هذا الطريق الى المكارم مهيما * فابصر فقد أسلكت قصدا المهيح

فاستحسن طاهر الايات وقال والله لقد أدتني بما يجب به شكرك على فقلده نيسابور وأعمالها
ثلاث سنين وأكسبه ألف ألف درهم وقد جمعت هذه الايات خلال المكارم وموجبات السودد
وتفارق المروءة وكان سلم بن نوفل سيد كاتبة قوئب رجل على ابنه وابن أخيه فخرهما فأتى به اليه
فقال له من أمك من اتقاه قال ما سودناك الا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الزلة وتحمل عن الجاهل
وتحمل المكروه قال صدقت وخلى سبيله وفي علم هذا يقول الشاعر

نسود أقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعلوم سلم بن نوفل
قيل لعرابة الاوسى بمسودك قومك قال باربوع خلال أتخضع لهما في مالى وأذل لهما في عرضي
ولأحقر صغيرهما ولأحسد كبيرهم وفي عرابية الاوسى يقول الشاعر
رأيت عرابية الاوسى يسمو * الى الخيبرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابية باليعمين

وقال بعضهم

ان السيادة فاعلن مؤنة * لولا صغوبتهم السلاخلزل
ما كل من طلب السيادة نالها * ما نالها الا الجواد المفضل
يسعى ويسعى بالهموم موكلا * وأخو المكارم بالهموم موكل
وتراه من طلب المعالي ناحلا * وكذا لمن طلب المعالي يضل

وقال أبو الطيب

اذا لم يكن للراء فضل ولم يكن * يدافع عن اخوانه لم يسود
وكيف يسود الناس من كان دهره * بلا منة منه علمهم ولا يد

وكان أسما من خارجة الفزارى سيد أهل الكوفة فقال له يوم أعبد الملك بن مروان ما أشياء
تلغني عنك يا أسماء فقال يحذرك غيري عني يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك وعلى ذلك
فأحب ان أسمعهامنيك يا أسماء فقال نعم يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط
مخافة أن يرى أنني تكبرت عليه ولا سألتني رجل قط حاجة فكان أكبرهم من الدنيا الا قضاء
 حاجته ولا كل رجل عندي قط كلمة الا كان له الفضل على أيام حياتي ولا ظنني رجل قط بمظلة
الارأيت عقوبته العفو عنه فقال عبد الملك حسبك بهذا شرفا يا أسماء ثم أنشد عبد الملك يقول
اذا ما مات خارجة بن حصن * فلا مطررت على الارض السماء

ولارجع الوفود بغير عيش * ولا جلت على الطهر النساء
ليوم منك خير من أناس * ككثير حولهم نعم وشاء
فيورك في نيك وفي بينهم * اذاذكروا ونحن لك النداء
وهذه الايات لعبد الله بن الزبير الاسدي في مدح أسماء بن خارجة المذكور ولها حكاية تتعلق بها
ليس هذا الباب موضع ذكرها قال الشاعر
والابن شاعر على ما كان والده * ان العروق عليها نبت الشجر
قال جبل بن معمر

أرى ككل عودنا تنافي أرومة * أبي منبت العيسدان أن يتغيرا
يتوالصالحين الصالحون ومن يكن * لأباء صديق يلقيهم حيث صبرا
وقال زهير بن أبي سلمى في قصيدته التي مدح بها قوم سنان بن حارثة المري
لا رنحان بالفجر ثم لا دأبن * الى الليل الآن يعرفني طاب
الح معشر لا يورث اللؤم جدتهم * أصاغرهم بل كل مجده شجل
فمايك من خير أتوه فاقما * نوارثه آباء آبائهم قبيل
وهل ينبت الخطي الا وشجيرة * ونفوس الأفي منابتها النخل
وهذا البيت من أشعره مثل قيل في شبه النبي بالآباء ان مجدا فجد وان لؤم فلوهم

(فصل في المروءة)

اعلم أن المروءة دالة على كرم الاعراق باعثة على مكارم الاخلاق وهي مراعاة الاحوال التي يكون
الانسان على أفضلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم وحلثهم
فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو بمن كملت مروءته وظهرت عدلته ووجبت أخوته
وقال عليه السلام لادين ابجروءة وقال عليه السلام المروءة في الاسلام استخاء المرء من الله أولا
ثم من نفسه آخر قال ابن سلام حمل المروءة على مساعي البر ورفع دعوى الضر والطهارة من
جميع الأدناس والتخلص من عوارض الالتباس حتى لا يتعلق بحملها لوم ولا يلحقه ذم
وما من شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا ويعت على شرف المات والنحيا الا وهو داخل
تحت المروءة قيل لبعض الحكماء المروءة قال طهارة البدن والفعل الحسن وقال بعضهم من
سلك المروءة مسيلا أصاب الى كل خير دليل وسئل بعضهم أي الخلال أجمع للخير وأبعد من
الشرا حمل العشي فقال الجفوح الى التقوى والتضي الى فتن المروءة وقال بعض العلماء اتق مصارع
الدنيا بالتمسك بحبل المروءة واتق مصارع الاخرى بالتعلق بحبل التقوى فتزبح الدارين وتحمل
أرفع المنزلتين وقال بعضهم اذا طلب رجلان أمر اطفر به أعظمهما مروءة قال الشاعر

كمال المروءة صدق الحديث * وست القبيح عن الشامتينا

قيل للاحنف بن قيس ما المروءة قال صدق اللسان ومواساة الاخوان وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال رفع رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في جرم اقترفه فاراد معاقبته فاجبر أن له مروءة فقال استوهبوه من صاحبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن عقوبة ذى المروءة ما لم تبلغ حدا وانما أنا كم كريم قوم فأكرموه وأسباب المروءة انما هي مرتبطة بشرف النفس وعلا الهمة اذا اجتمعا ولم يتفرقا قال بعض الحكماء المروءة بحسبه جبلت عليها النفوس الزكية وشيم طبعها عليها الهمم العلية وضعت عنها الطبايع الذنينة فلم تنطق بجل أشرافه السنية وقال غيره لا يدرك المروءة الا من حوى خصالها وجع خلالها وفي ذلك يقول الشاعر

ان المروءة ليس يدركها امرؤ * ورث المكارم عن أب فاضاعها
أمرته نفس بالدناءة وانحنا * ونهته عن سبيل العلا فاطاعها
فاذا أصاب من المكارم خلة * بينى الكرم بها المكارم باعها

قال ابن عائشة القرشي لولا أن المروءة صعب محلها الملتزم الاثام للكرام منها بئرة ليلته ولأروءة وجوه وآداب لا يحصرها عدد ولا خصل وقيل اجتمعت شروطها فاق في انسان ولا اكملت وجوهها في بشر فان كان في الانبياء صلوات الله عليهم دون سائرهم وأما الناس فيها فاعلى مراتبها رما أحرز كل واحد منهم من خصالها واحتوى عليه من خلالها قال بعض الحكماء لا تفارق الصبر فتعظم عليك البلوى ولا المروءة فتشمت بك الاعدا قال الشاعر

من فارق الصبر والمروءة * أمكن من نفسه عدوه

قيل لعبد الملك بن مروان كان مصعب بن الزبير يشرب الطلاء قال لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه قال الشاعر

أعف عن الامر القبيح تكريما * وان لم أكن حبرا ولا متخشا
وأمنع نفسي ما تلذ وتشتى * اذا أنا لو ما خفت عينا ومقرعا
ولولت أن الماء يوما يشينى * لمت ولم أجرع من الماء مجرعا

قيل لسفيان بن عيينة قداس تبطت من القرآن كل شئ فابن المروءة فيه فقال في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الاخلاق فجمع في قوله خذ العفو صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين ودخل في قوله وأمر بالعرف صلة الارحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الابصار

والاستعداد لدار القرار ودخل في قوله وأعرض عن الجاهلين الحض على التخلق بالحلم والاعراض
عن أهل الظلم والتزعم من منازعة السفهاء ومساواة الجاهلة والانبياء وغير ذلك من الاخلاق
الحيدة والافعال الرشيدة وقال الله عز وجل حكاية عن قوم قارون وابتغ فيما آتاك الله
الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض
وفيها عين المروءة وحقيقتها وقال بهرام بن بهرام المروءة اسم جامع للبحاسن كلها وقال أنوشروان
المروءة أن لا تعمل عملا في السر تسخى منه في العلانية وكان يحيى بن خالد يقول المروءة سعة المنزل
وكرمة الخدم ووطاة القرش وطيب الرائحة والاحسان الى الحاشية والافضال على الاخوان
وكان الحسن بن سهل يقول المروءة والشرف في البشر ولا يصلح للصدر الا واسع الصدر وكان الفضل
البلخي يقول المروءة الجمع بين الدين والدنيا والتوفى من مخط الخالق وذم الخلقين وكان عبد الله
ابن أحمد بن يوسف يقول المروءة الكبرى اطعام الطعام ومجالسة الكرام وقال المهلب المروءة
عشرة أجزاء تسعة منها في المائدة وجزء منها في سائر الاشياء وقال يحيى اذا أردت أن تنظر مروءة
المرء فانظر الى مائدته فان كانت حسنة فاحكم له بالشرف وان رأيت نقصيرا فمأوراها خيز
وقال أبو منصور النعالي لاهم وقلن لا يجمع الاخوان على خوانه ولا تقع الاجفان على جفانه
وقال بعضهم المروءة ادامة الاهداء وترك الاستبداء قال بعض السلف المروءة اصلاح المال وحسن
التدبير وتعاهد الصنيعة والافضال على الاخوان وقال أبو منصور المروءة أن تكون بمالك متبرعا
وعن مال غيرك متورعا قال مسلمة بن عبد الملك ما أعان على مروءة المرء كالأمة الصالحة قال الشاعر

إذا لم يكن في منزل المرءرة * مدبرة ضاعت مروءة داره

وسئل عبد الله الفارسي عنها فقال هي التألف والتظرف والتعطف وترك التكلف وأنشد أبو بكر
الاسماعيلي

وإذا جلست وكان مثلك قائما * فغن المروءة أن تقوم وإن أبي

وإذا تكاثرت وكان مثلك جالسا * فغن المروءة أن تزيل المنكا

وإذا ركبت وكان مثلك ماشيا * فغن المروءة أن مشيت كما مشى

قال الامام أبو الحسن الماوردي الفرق بين العقل والمروءة أن العقل يأمر بالانفع والمروءة تأمر
بالاجل ولا يتقادر المروءة الا من مهلت عليه المشاق رغبة في الحد ولذلك سيد القوم أشقاهم
قال أبو الطيب

ولولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يقرقر الاقدام قتال

وقال أيضا

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام

(٦) القطع المتنبية (جوزقاني)

والداعي الى استسهال المشاق علو الهمة وشرف النفس فعلا الهمة يستعمل على التقدم وبشرف النفس يكون قبول التأديب والتعذيب وبه تعرف النفس قدرها وشروط المروءة وحقوقها الاتكاد تحصى لا تشاؤها وخفاء أكرها ولكن الاظهر منها ينحصر في قسمين شروط مروءة المروءة في نفسه وهي العفة والزهادة والصيانة وشروط مروءة المروءة في غيره وهي المعاونة والمياسرة والافضال

(العفة)

وهي اما عن المحارم واما عن المآثم فالعفة عن المحارم ضبط الفرج وكف اللسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من في شر ذنبه وقلقه وقببه فقد دوى والذنب الفرج والقلق اللسان والقبب البطن وقال عليه السلام أحب العفاف الى الله عفاف البطن والفرج والعفة عن المآثم كالكف عن الظلم والحماية والمكر ولا يبحى المكر السيئ الا بأهله والباعث على الظلم الجراءة والقسوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح ولم يمتظلم أحد غفر له ما جترم وقال لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه اتق دعوة المظلوم فانه يسأل الله وان الله لا يسمع ذائق حقه والحماية مما يجعل عقوبتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الامانة الى من انتمك ولتخن من خائن وقال خالد الربيعي قرأت في بعض الكتب ان مما تجل عقوبته الامانة تخيان والاحسان يكفر والرحم تقطع والبغى على الناس

(الزهادة)

وهي اما عن المسامحة الدنيا وعن مواقف الرياسة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني أعوذ بك من طمع يهدي الى طبع وفي المعنى قال الشاعر
لا تضر عن مخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه * فاعملوا بين الكاف والنون

وبالباعث على الطمع الشره وقله لا تفتة فلا يفتن عاؤى ولا يستكف مما منع وحسم الطمع بالأس والقناعة ومواقف الرياسة التردد بين منزلتي جدوئم والوقوف بين حالتي سلامة وسقيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريك الى ما لا يريك والمنازع مما يريب الحياء والخذر وقد تنقى الرياسة بحسن الثقة وترفع التهمة بطول الخبرة والصالح كما حكى أن بعض الخوارجين رأى عيسى عليه السلام وقد خرج من منزل ذات فجور فقال يا روح الله ما تصنع هنا قال الطبيب انما يداوى المرضى ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجته صفية ذات ليلة على باب مسجد يحدتها وكان معتكفا فربهم ما رجلا من الانصار فأسرعا فقال لهم ما على رسولك انهم انصفية بنب حبي فقالا سبحان الله انما نحن اخفاك شك يا رسول الله فقال له ان الشيطان يجري من ابن آدم

يجرى له ودمه خشيت أن يثقف في قابو كاسواً وقال صلى الله عليه وسلم إذا لم يشن المربى مع ال
فقد سعد قال أبو بكر الصولى

حسن ظنى بأهل دهرى * فحسن ظنى بهم دهاق
لا آمن الناس بعدهذا * ما تخوف الامن الامان

(الصيانة)

وهي اما بالاعتصام بالاسئغاء عن الناس أما الاعتصام فلان المحتاج مهتضم ولكن لا بد مما يسد
الخلل وشروطه ثلاثة أحدها أخذ من حله الثانى عدم ابتذال العرض فيه لان العرض لا يتبدل
فى كسبه الثالث حسن التدبير لان سوء التدبير فساد وقيل الكمال فى ثلاث الفقه فى الدين
والصبر على النوائب وحسن التدبير فى المعيشة وما فضل من الكفاية مجلبة للشغب والتعب
وأما الاستغناء عن الناس فلان تحمل من الناس ذل والاستمرار فى الاستعانة بهم تثقيل عليهم
قال بعضهم من قبل صلتك فقد ابتاعك مروءته وأذل لك عزته وأنشد نعايب

من عفت خف على الصديق لقاءه * وأخوال الحوائج وجهه بمنزل
وأخوك من وفرت ما فى كيسه * فاذا استغنت به فأنت ثقيل

ومن دعاها الى الاستعانة اضطراراً لم أوحادثهم فلا لوم على مضطر وقد اقترض رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قضى فأحسن وقال من أعيابه رزق الله حلالا فليستدنى على الله ورسوله
قال البخارى

ان لا يكن مال ففضل عطية * يبلغ بها باغى الرضى بعض الرضى
أولا تكن هبة فقرض يسرت * أسبابه وكواهب من أقرضا

(المعاونة)

تكون بالجاء والمال والبدن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله فأحب خلق الله
اليه أحسنهم صنيعا العيال وقال عليه السلام من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه
فمن لم يحمل تلك المؤونة عرض الزوال تلك النعمة وعلى المعاونة التلقى بالبشر وبمجانبة الامتنان
وترك التعرض للتقديح عما كان وقال الشاعر

ألم تعلم أن الملامة تفهمها * قليل اذا ما الشئ ولى قادرا

قال عليه السلام أقبلوا ذوى الهيات عثراتهم قال عدى بن زيد

كنى زاجرا للراء أيام دهره * تروح لها بالواعطات وتغضى

وقال عليه السلام خير من الخير عطية وشر من الشر قاعله والمعاونة واجبة للاهل والاخوان
والجيران وتبرع لغيرهم

(الميلسورة)

وهي العفو عن الهفوات والمسامحة في الحقوق والواجبات فأما العفو عن الهفوات فمسيمة أهل الفضل وعنوان ذوى العقل وقد قيل لأصديق لمن أراد صديقاً لا يعيب فيه وقيل لأنوشروان هل من أحد لا يعيب فيه قال من لا موت له قال أبو العتاهية

وشر الاخلاء من لم يزل * يعاتب طورا وطورا يذم

يريك النصيحة عند الالتقا * ويريك في السر يرى القلم

والهفوات صفات روكباثر فالصغار مغفورة لتعذرا لاحترا من منها والكبار منها ما يقع سهوا وهو هدر ومنها ما يقع عدا فان كان مجازاة فاللائمة على البادي قال بعض الحكماء من نالته اساءة نك همة مساة نك وان كان لكف عدو فالشر لا يطفأ الا بالشر وان كان اطفأؤه بالخير اولى قال جعفر بن محمد كفا من الله نصرا أن ترى عدوك يغصى الله فيك وقال الجعفي

فأقسم لا أجزى بك بالشر مثله * كنى بالذي جازى تني لك جزا

وان كان لكف اتيم كان التغافل اولى وقيل شرف الكريم تغافله عن اللثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كشجرة ذات جنى ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوك ان نأقدهم نأقذك وان هربت منهم طلبوك وان تركتهم لم يتركوك قبل يا رسول الله وكيف الخرج قال أقرضهم من عرضك اليوم فاتك وقال شرماني الكريم أن ينعمك خيره وخير ما في اللثم أن يكف عنك شره قال ابن بقله

والخير والشر مقر وان في قرن * فالخير ميسع والشر محذور

وان كان تشكر من صديق عوج بالاغضاء ويقال دواء المودة كثرة التعاهد قال كشاجم

أقل ذا الود عنتره وقضه * على سنن الطريق المستقيمة

ولا تسرع بهتة اليه * فقسدي فهو ونيتيه سلمه

ومن الناس من يرى مشاركة من تشكر كالمعضو يقطع اذفسد لان رغبته في من يزهد فيك ذل وزهدك في من يرغب فيك صغر همة قيل للهلبن بن أبي صفرة ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بأهم ما شئت ومن حقوق الصفيح الكشف عن سبب الهفوة وهو امام الله أو زلل فالملل مودة صاحبه فلن نعام وحلم منام فيترك الله فسيل ويرجع والزلل ينبغي أن يؤزل كما فعل خالد بن صفوان وقد مر به صديقان عرج أحدهما وطوا والآخر فقيل له في ذلك فقال عرج الواحد لن فضيلته وطوا أنا الآخر لثقتته فان لم يقبل الزلل تأويلا ووقع عليه ندم فالندم نوبة ولا نذنب لتائب ولا يكاف التائب عذرا وقال عليه السلام ياكم والمعاذر فانهم انما يجز

وقال علي رضي الله عنه كفى بما يعتذر منه تهمة ومن يحمل العذر قبل توبته قبل عذره فالعذر توبة
قال الشاعر

اقبل معاذير من يأتبك معسذرا * ان برّ عندك فيما قال أو جفرا
فقد أطاعك من برضيك ظاهره * وقد أجلت من بعصيك مستترا
واحمل عن الناس اذا كنت مقتدرا * فالسيد الحر من يعفو اذا قدرا

وتارك التوبة والاعتذار ان كف عن الاساءة فالكفا حدى التوبتين والاقلاع أحد العذرين
وان استمر على اساءته فان أمكن استصلاحه استصلح والا فآخر الداء الكى ومن سل سيف البغي
أعمد في رأسه وأما المسامحة في الحقوق الواجبات فلان الاستقصاء منفر وذلك لقت الطباع لمن
شاحها وحب من سامحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجابوا في طلب النبي فان كلابيسر
لما كتب له منها وقال عليه السلام ألا أدلكم على شئ يحببه الله ورسوله قالوا بلى يا رسول الله
قال التغابن في الضعيف واشترى عمرو بن عبس زارا الحسن البصرى وكان بستة دراهم ونصف
فاعطى التاجر سبعة دراهم فقال التاجر انما غنمه ستة ونصف قال هول رجل لا يقاسم أخاه درهما
والمسامحة في الاموال اسقاط وتحقيق وانتظار وفي كلاها حسن التناهي جزيل الاجر قال محمود
الرب بعد الموت احدوثه * يفنى وتبقى منه آثاره
فأحسن الحالات حال امرئ * تطيب بعد الموت أخباره

(الافضل)

وهو اصطناع واستكفاف فاما الاصطناع فهو ما أعطاه المرء لغيره الشكور أو تألف به نبوة تنفور
ومن قلت صنائعه في الشاكرين وأعرض عن تألف الشاكرين بقي محتورا وفردا مهجورا
قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما طأوعني الناس على شئ أردته من الحق حتى بسطت لهم
طرفا من الدنيا قال اصحاب بن ابراهيم الموصلي

يتى النشاء ونذهب الاموال * ولكل دهر دولة ورجال
ما نال محمدا الرجال وشكرهم * الا الجواد بماله المفضل
لا ترص من رجل جلاوة قوله * حتى يصدق ما يقول فعبال

قال الاخنف ما أدتزل الآيات للابناء ولا أبقت الموقد للاحياء أفضل من اصطناع المعروف عند
ذوى الاحساب وأما الاستكفاف فكل ما كفيه لسانه حاسد واستدفع به ضرر معاند وقال
عليه الصلاة والسلام ما وفى المرمية عرضه فهو صدقة وامتنح الزهرى رجل فاعطاه قصه
فقيل له تعطى في مثل هذا فقال ان من يتغافل خير انقاء الشر وشرط عطاء الاستكفاف اخفاؤه

حتى لا يطمع في مثله السفهاء وأن يظهر المعلى لما يعطيه وجهاء يقرن الاعطايه وليفتن المرء غناه
وليأخذ من دينه لا آخره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتنم خصال قبل خمس شبائك قبل هرمك
وحصتك قبل سقمك وغنائك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك
(من كتاب عين الادب والسياسة ووزن الحسب والرئاسة)

(الباب الثالث في الاخلاق)

أدب العلم

اعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلب وجتد فيه الطالب وأنفع ما كسبه
وأقنائه الكاسب لأن شرفه يتم بأصاحبه وفضله ينمى لطالبه قال الله تعالى قل هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فتقضى المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم وقال
تعالى وما يعقلها الا العالمون فتقضى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمرا أو يفهم منه زجرا وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أوحى الى ابراهيم عليه السلام انى علم أحب كل علم
فروى أبو امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين أحدهما عالم والاخر عابد فقال
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أذننا كرجلا وقال على بن أبى طالب
رضى الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقال مصعب بن الزبير تعلم العلم فان يكن لك مال كان لك
جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بنى تعلموا العلم فان كنتم
سادة فقمتم وان كنتم وسطا سددتم وان كنتم سوقة عسستم وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قدرته
والادب مال لا خوف عليه وقال بعض الأدباء العلم أفضل خلف والعمل به أكمل شرف وقال
بعض البلغاء تعلم العلم فانه يقومك ويسد لك صغيرا ويقدمك ويسودك كبيرا ويصلح زيفك
وفاسدك ويرغم عدوك وحاسدك ويقوم عوجك وميلك ويصح همك وأمالك وقال على
رضى الله تعالى عنه قيمة كل امرئ ما يحسن فاخذنا الخليل فنظمه شعراف قال

لا يكون العلى مثل الدنى * لا ولا ذو الد كأمثل الغنى
قيمة المرء قدر ما يحسن المر * ء قضاء من الامام على

وليس بجعل فضل العلم لأهل الجهل لأن فضل العلم انما يعرف بالعلم وهذا أبلغ في فضله لأن فضله
لا يعلم الا به فلما عدم الجهال العلم الذى به يتوصون الى فضل العلم جهوا فضله واستزادوا أهله
ووهو أن ما تميل اليه فتوسمهم من الاموال المقننة والطرف المشتبهة أولى أن يكون اقبالهم عليها
وأحرى أن يكون اشتغالهم بها وقد قال ابن المعتز في منشور الحسك العالم يعرف الجاهل لانه كان

جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما وهذا صحيح ولاجله انصرفوا عن العلم وأهله
انصرفوا الزاهدين وانصرفوا عنه وعنهم انصرف المعادين لأن من جهل شيئا عاداه وأنشدنى
ابن نسكك الابى بكر بن دريد

جهلت فعاديت العالم وأهله * كذا لي يعادى العلم من هو جاهله
ومن كان بهوى أن يرى متصدرا * ويكره لأدري أصيبت مقفاهه
وقيل لبرز جهر العلم أفضل أم المال فقال بل العلم قيل فباب التانى العلماء على أبواب الاغنياء
ولانكا دنى الاغنياء على أبواب العلماء فقال ذلك لعرفه العلماء بخفة المال وجهل الاغنياء
بفضل العلم وقيل لبعض الحكماء لم لا يجمع العلم والمال فقال لعز الكمال فأنشدت لبعض أهل
هذا العصر

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله * فاجسامهم قبل القبور قبور
وان امرأ لم يبحى بالعلم ميت * فليس له حتى التشور نشور
ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى فصدقوا علينا بما لا يعيب ضرسا ولا يسقم نفسا فخرج له
طعاما ونفقة فقال فاقنى الى كلامكم أشد من فاقنى الى طعامكم انى طالب هدى لاسائل ندى
فأذن له العالم وأفاده من كل ما سأل عنه فخرج جذلا فرحا وهو يقول علم أو ضل بسا خير من مال
أغنى نفسا واعلم أن كل العالم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة بجميعها محال قيل لبعض
الحكماء من يعرف كل العالم فقال كل الناس وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ظن
أن العلم غاية فقد بخصه حقه ووضع في غير منزلته التى وصفه الله بها حيث يقول وما أولئك ممن
العلم الا قليلا وقال بعض العلماء لو كان طلب العلم لنبلى غايته كما قد بدأ العلم بالنقيصة ولكن كان طلبه
لنقص في كل يوم من الجهل وزداد في كل يوم من العلم وقال بعض العلماء المتعمق في العلم كالسائح
في البحر ليس يرى أرضا ولا يعرف طول ولا عرضا وقيل لجمادى الراوية أمانت شبح من هذه العلوم
فقال استغرق غناها المجهود فلم يبلغ منها الحدود فحن كما قال الشاعر * اذا قطعنا علما بدأ العلم *
وأشدد الرشيد عن المهدي يبتين وقال أظنهما له

يا نفس خوضي بحار العلم أو غوصي * فالناس ما بين معموم ومخصوص
لا شيء في هذه الدنيا يحيط به * الا احاطة منقوص بمنقوص
واذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة أهمها والعناية بأولها
وأفضلها وأولى العلوم وأفضلها علم الدين لان الناس بمعرفته يرشدون وبجهلها يضلون اذ لا يصح
أداء عبادته جهلا فاعلمها صفات آدابها ولم يعلم شروط اجرائها ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضل العلم خير من فضل العباداة وانما كان كذلك لان العلم يبعث على فضل العباداة

والعباد مع خلوها فالعلم بها قد لا تكون عبادة فليزم علم الدين كل مكلف ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فرضة على كل مسلم وفيه تاويلان أحدهما علم ما لا يسع جهله من العبادات والثاني جملة العلم اذا لم يقم بطلبه من فيسه كفاية وانا كن علم الدين قد اوجب الله تعالى فرض بعضه على الاعيان وفرض جميعه على الكافة كان أولى مما يجب فرضه على الاعيان ولا على الكافة قال الله تعالى فاولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وروى عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو مجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى والاخر يتفقهون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير وأحدهما أحب الى من صاحبه أما هو لا عيبا لأن الله تعالى يذكرونه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما المجلس الاخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل وانما بحث معلما وجلس الى أهل الفقه وروى مروان بن جراح عن يونس بن ميسرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان خير عادة والشر حاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خيار أمتي علماؤها وخيار علمائها فقهاؤها وروى معاذ بن رفاعه عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المطبلين وتأويل الجاهلين وبين الشافعي رضي الله عنه فضيلة كل واحد منهما فقال من تعلم القرآن عظم قيمته ومن تعلم الفقه نيل مقداره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم العربية طرق طبعه ومن لم يرض نفسه لم ينفعه عمله ولعمري ان صيانة النفس أصل الفضائل لان من أهمل صيانة نفسه ثقة بعلمه العلم من فضيلته ولو كلال على ما يلزم الناس من صيانه سلبوه فضيلة عمله ووسموه بقميجه بئذ قل يفا ما أعطاه العلم على سلبه التبذل لان القبيح أنم من الجليل والذليل أشهر من الفضيلة لان الناس لما في طابعهم من البضة والحسد وزناغ المنافسة تنصرف عيونهم عن الحسن الى المساوي فلا ينصفون محسنا ولا يجابون مسيئا لاسيما من كان بالعلم موسوما واليه منسوب فان زلته لا تقال وهوقته لا تعذر اما القبح أثرها واعترا كثير من الناس بها وقد قيل في منشور الحكم ان زلة العالم كالسيفنة تفرق ويفرق معها خلق كثير وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام من أشد الناس قسنة قال زلة العالم اذا زلزل بزلة عالم كثير ولما لان الجاهل بالذمة أغرى وعلى تنقصه أخرى ليسلبوه فضيلة التقدم ومنعوا مبادئة التخصيص عناد الجاهل به ومقتل الما بينوه لان الجاهل يرى العلم تكلفا ولوما كان العالم يرى الجهل تخلفا ونما وأنشدت عن الربيع الشافعي رضي الله عنه

وميزة السفيه من الفقيه • كمنزلة الفقيه من السفيه

فهذا زاهد في قرب هذا * وهذا فيه أزهد منه فيه
إذا غلب الشقاء على سقيه * تقطع في مخالفة الفقيه
وقال يحيى بن خالد لابنه عليك بكل نوع من العلم فغنمته فإن المرء عدو ما جهل وأناأ كره أن تكون
عدو شي من العلم وأشد

تفتن وخدمن كل علم فاتها * يفوق امرؤ في كل فن له علم
فانت عدو للذي أنت جاهل * به ولعلم أنت تقنه سلم

وإذا صان ذوالعلم نفسه حق صيانتها ولازم فعل ما يازنها أمن نعيم الموالى وتنقص المعادى
وجمع إلى فضيلة العلم جميل الصيانة وعزال زاهة فصار بمنزلة التي يستحقها بفضائله وروى
أبو الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم مورثة الأنبياء لأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما
وأنما ورثوا العلم وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأنبياء على العلماء فضل
درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة وقال بعض البلغاء إن من الشريعة أن تجل أهل
الشريعة ومن الصنعة أن تربح حسن الصنعة فينبغي لمن استدلى بقطره على استحسان الفضائل
واستباح الرذائل أن ينفي عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم وغفلة الإهمال باستيقاظ المعاناة
ويرغب في العلم رغبة متحقق له فضائله واثني بمنافعه ولا يلهمه عن طلبه كثرة مال وجمده ولا نفوذ
أمره ولو منزلة فإن من نفذ أمره فهو إلى العلم أحوج ومن علت منزلته فهو بالعلم أحق وروى
أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الحكمة تزيد الشريفا وترفع العبد
المملوك حتى يجلسه مجلس الملوكة وقد قال بعض الأدباء كل عز لا يوطده علم مذه وكل علم لا يؤيده
عقل مضله وقال بعض علماء السلف إذا أراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ما لو كهم والملا في علمائهم
وربما استع الإنسان من طلب العلم لكبرسه واستحيائه من تقصيره في صغره أن يعلم في كبره فرضى
بالجهل أن يكون موسوما به وأثره على العلم أن يصير مبتدئا به وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل
لأن العلم إذا كان فضيلة فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى والابتداء بالفضيلة فضيلة ولأن يكون شيئا
متعلما أولى من أن يكون شيئا جاهلا حكى أن بعض الحكماء رأى شيئا كبيرا يحب النظر في العلم
ويستحي فقال له يا هذا أنت ستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوله وذكر أن إبراهيم
ابن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال يا عم ما عندك فيما يقول
هو لاء فقال يا أمير المؤمنين شغلوني في الصغر واشتغلنا في الكبر فقال لم لا تعلم اليوم قال أويحسن
بمثلي طلب العلم قال نعم والله لأن تموت طالب العلم خير من أن تعيش فانا بالجهل قال والى متى يحسن
في طلب العلم قال ما حسنت بك الحياة ولأن الصغير أعذر وإن لم يكن في الجهل عذر لانه لم تطل به

مدة التفريط ولا استمرت عليه أيام الاهمال وقد قيل في مشهور الحكم جهل الصغير معدور وعلمه محذور فالما الكبير فالجهل به أقبح وقصه عليه أنفصح لأن علوا السن إذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما وكانت أيامه في الجهل ماضيه ومن الفضل خاليه كان الصغير أفضل منه لأن الرجاء له أكثر والامل فيه أظهر وحسبك نقصا في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل أفضل منه وأشدت لبعض أهل الادب

إذا لم يكن من السنين متربعا * عن الفضل في الانسان مميته طفلا
وما تنفع الأيام حين بعدها * ولم يستفد فيهن علما ولا فضلا
أرى الدهر من سوء التصرف مائلا * الى كل ذي جهل كأن به جهلا

وربما امتنع من طلب العلم لتعذر المادة وشغله اكتسابها عن التماس العلم وهذا وان كان أعذر من غير مع أنه قلما يكون ذلك الا عند ذي شره وعيب وشهوة مستعبدة فينبغي أن يصرف الى العلم خطا من زمانه فليس كل الزمان زمانا لكسب ولا بد للكسب من أوقات استراحة وأيام عطلة ومن صرف كل نفسه الى الكسب حتى لم يترك لها فراغا الى غيره فهو من عبدة الدنيا وأسراء الحرص وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لكل شيء فترة فمن كانت قدرته الى العلم فقد شجيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كوفوا علماء صالحين فإن لم تكونوا علماء صالحين بخالسوا العلماء واسمعوا لعلمائكم على الهدى ويردكم عن الردى وقال بعض العلماء من أحب العلم أحاطت به فضائله وقال بعض الحكماء من صاحب العلماء وقر ومن جالس السفهاء حقر وربما امتنع من طلب العلم ما يظنه من صعوبته وبعدها عنه ويخشى من قلة ذهنه وبعده فطنته وهذا الظن اعتذار ذوى النقص وخيفة أهل العجز لأن الاخبار قبل الاختبار جهل وانفسية قبل الابتلاء عجز وقد قال الشاعر

لا تكونن للامور هيويا * فالى خيبة بصير الهيوب

وقال رجل لابي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كني بترك العلم اضاعته وليس وان تفاضلت الازهار وتفاوتت القطر ينبغي لمن قل منها حظه أن يأس من نيل القليل وادرك البسر الذي يخرج به من حدا الجاهلة الى أدنى مراتب التخصيص فان الماسع لينة يؤثر في صم العصور فكيف لا يؤثر العلم الزكي في نفس راغبة شهي وطالب خلى لاسيا وطالب العلم معان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ويرجع لمن ذا السقاها من طلب العلم أن يصور في نفسه سوفة أهله وتضابق الامور مع الاشتغال به حتى يسهوهم بالادبار ويوسهم بالحرمان فان رأى محبة تطير منها وان رأى كذا أعرض عنه

وان رأى متخليا بالعلم هرب منه كأنه لم ير عالما مقبلا وجاهلا مدبرا ولقد رأيت من هذه الطبقة جماعة ذوى منازل وأحوال كنت أخفى عنهم ما يصحبنى من محبة وكذب لئلا أكون عندهم مستقلا وان كان البعد عنهم مؤثرا ومصلحا والقرب منهم موحشا ومفسدا فقد قال بزرجمهر الجهل فى القلب كالترقى الارض يفسد ما حوله لكن اتبعت فيهم الحديث المروى عن أبى الاشعث عن أبى عثمان عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خاطوا الناس باخلاقهم وخالفوهم فى أعمالهم ولذلك قال بعض البلغاء رب جهل وقت به علما وسفه حيت به علما وهذه الطبقة ممن لا يرجى لها صلاح ولا يؤمل لها فلاح لان من اعتقد أن العلم شين وان تركه زين وان الجهل اقبالا يجديا وللعلم ادبارا مكديا كان ضلاله مستحكما ورشاده مستبعدا وكان هو الخامس الهالك الذى قال فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه أغد عالما أو متعلما أو مستقلا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك وقد رواه خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مسندا وليس لمن هذه حاله فى العدل نفع ولا فى الاصلاح مطمع وقد قيل لبزرجمهر ما لكم لاتعابون الجهال فقال لا ان تكلف العنى أن يصروا ولا الصم أن يسمعوا وهذه الطائفة التى تنثر من العلم هذا النور وتعاين أهله هذا العناد ترى العقل بهذه المثابة وتنقر من العقلاء هذا النور وتعتقد أن العاقل محارف وأن الاحق محظوظ وانهيك بضلال من هذا اعتقاده فى العقل والعلم هل يكون نظيرا هلا أو لفضية موضعا وقد قال بعض البلغاء أخب الناس المساوى بين المحاسن والمساوى وعلة هذا انهم يرمعون ربحا ربا واعاقلا غير محظوظ وعالما غير مرزوق فظنوا أن العلم والعقل هما السبب فى قلة حظهم ووزقه وقد انصرفت عيونهم عن حرمان اكثر النوكى وادبارا اكثر الجهال لان فى العقلاء والعلماء قلة وعليهم من فضلهم شمة ولذلك قيل العلماء غر بالكثر الجهال فاذا ظهرت شمة فضلهم وصادف ذلك قلة حظ بعضهم تنوهوا بالتمييز واشتهروا بالتعيين فصاروا مقصودين بإشارة المتعنتين ملحوظين بالجماء الشامتين والجهال والحقى لما كثروا ولم يتخصصوا انصرفت عنهم النفوس فلم يلاحظ المحروم منهم بطرف شامت ولا قصدا لمجد ودمهم بإشارة عائب فلذلك غلن الجاهل المرزوق ان الفقر والضيق يختص بالعلم والعقل دون الجهل والحق ولو قسست أحوال العلماء والعقلاء مع قلة قوتهم لوحبت الاقبال فى أكثرهم ولو اختبرت أمور الجاهل والحقى مع كثرة قوتهم لوحبت الحرمان فى أكثرهم وانما يصير ذوا الحال الواسعة منهم ملحوظا مشتهرا لان حظهم عجيب واقبالهم مستغرب كما أن حرمان العاقل العالم غريب واقلاله عجيب ولم تزل الناس على سالف الدهور من ذلك متحيزين وبه معتبرين حتى قيل لبزرجمهر ما أعجب الاشياء فقال نفع الجاهل واكداء العاقل لكن الرزق بالخط والجد لا بالعلم والعقل حكمة فمنه تعالى يدلهم على قدرته وابعاد الامور على مشيئته وقد قالت الحكماء لو حرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهائم فنظمه أبو تمام فقال

ينال الفتي من عيشه وهو جاهل * ويكلى الفتي من دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تجري على الجبى * هلكن اذن من جهلهم البهائم

وقال كعب بن زهير بن ابي سلمى

لو كنت أعجب من شئ لا أعجبى * سعى الفتي وهو محبوبه القدر
يسعى الفتي لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر

على أن العلم والعقل سعادة واقبال وان قل معهما المال وضافت معهما الحال والجهل والحق
حرمان وادبار وان كثر معهما المال واتسعت فيهما الحال لان السعادة ليست بكثرة المال فكف
من مكثرت شئ ومقل سعيد وكيف يكون الجاهل الغنى سعيد والجهل يضعه أم كيف يكون العالم
الفقر شقيا والعلم يرفعه وقد قيل في منثور الحكم كم من ذليل أعزه علمه ومن عز برأئه جهله وقال
عبد الله بن المعتز الجاهل كروضة على حربة وقال بعض الحكماء كل صاحب نعمة الجاهل ازداد فقرا
وقال بعض العلماء البني ميا بنى تعلموا العلم فان لم تناولوه من الدنيا حظا فلا ينذم الزمان لكم أحب
الى من أن ينذم الزمان بكم وقال بعض الادباء من لم يقبل العلم مالا كسب به جالا وأنشد بعض
أهل الادب لابن طباطبا

حسود مريض القلب يحقق أئنه * ويضحي كتيب البال عندى حزينه
يلوم على أن رحت للعلم طالبا * أجمع من عند الرواة فنونه
فاعرف أبتكار الكلام وعونه * وأحفظ مما أسستفيد عونه
ويزعم ان العلم لا يكسب الفنى * ويحسب بالجهل الذم فطنونه
فيا لائمى دعنى أعالي بقميتى * فقيمة كل الناس ما يحسنونه

وأنا استعبد بالله من خدع الجول المذله وبوادى الحق المظله وأسأله السعادة بعقل رادع يستقيم به
من زل وعلم نافع يستهدي به من ضل فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سئرت لى الله
عبدا خطر عليه العلم فينبغى لمن زهد فى العلم أن يكون فيه راغبا ولن يرغب فيه أن يكون له طالبا
ولن طالبه أن يكون منه مستكثرا ولن استكثرمه أن يكون به عاملا ولا يطلب لتركه احتجا
ولا للتقصير فيه عذرا وقد قال الشاعر

فلا تعذرا فى الاساءة انه * شرار الرجال من يسى فيه عذر

ولا يسوف نفسه بالمواعيد الكاذبة ويمتها باقطاع الاشغال المتصلة فان لكل وقت شغلا ولكل
زمان عذرا وقال الشاعر

نروح ونغدو لمجاننا * وحاجة من عاش لا تقضى
تتمون مع المرحاجاته * وتبقى له حاجة ما تبقى

(أدب النفس)

اعلم ان النفس مجبولة على شيم مهمة وأخلاق مرسله لا يستغنى محمودها عن التأديب ولا يكتفى بالمرضئ منها عن التهذيب لان لمجودها اضداد مقابلة يسهلدها هوى طاع وشهوة غالبه فان أغفل تأديبها تفريطا الى العقل أو ولو كلاً على أن تنقاد الى الاحسن بالطبع أعدمه التفويض درك المجتهدين وأعقبه التوكل بدم الخائبين فصار من الادب عاطلا وفي صورة الجهل داخل لان الادب مكتسب بالتجربة أو مستحسن بالعادة ولكل قوم مواضع وذلك لا ينال بتوقيف العقل ولا بالتقييد للطبع حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة ويستفاد بالدربة والمعاينة ثم يكون العقل عليه قياما وركى الطبع اليه مسما ولو كان العقل مغنيا عن الادب لكان أنبياء الله تعالى عن أدبه مستغنيين ويقولهم مكفين وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت لأتكم مكارم الاخلاق وقيل لعيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام من أدبك قال ما أدبى أحد ولكني رأيت جهل الجاهل خبايته وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلايينهم وبينكم فحسب الرجل أن يتصل من الله تعالى بخلق منها وقال أنزشير بن بلك من فضيلة الادب انه عودح بكل لسان ومتزين به في كل مكان وبأذ كره على أيام الزمان وقال مهود شبه العالم الشريف العديم الادب بالبيان الخراب الذي كلما سلكه كان أشد لو حشته وبالنهر اليابس الذي كلما كان أعرض وأعرق كلما أشد لو عورته وبالأرض الجيدة المعطلة التي كلما طال خرابها ازداد نباتها غير المتفتح به التقافا وصار للهوام مسكنا وقال ابن المقفع ما نحن الى ما نتقوى به على حواسنا من الطعام والمشرب بأحوج منا الى الادب الذي هو لقاح عقولنا فان الحبة المدفونة في الثرى لا تقدر أن تطلع زهرتها وانضارتها الا بالماء الذي يعود اليها من مستودعها وحكي الاصمعي رحمه الله تعالى أن اعرايا قال لا سمياني الادب دعامة أيدي اللهم الا للباب وحلية زين الله هم اعواطل الاحساب فالعاقل لا يستغنى وان صحت غريزته عن الادب المخرج زهرته كما لا تستغنى الارض وان عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها وقال بعض الحكماء الادب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت وقال آخر العقل بلا أدب كالشجر العاقر ومع الادب كالشجر المثمر وقيل الادب أحد المنصين وقال بعض البلغاء الفضل بالعقل والادب بالاصل والحسب لان من ساء أدبه ضاع نسبه ومن قل عقله ضل أصله وقال بعض الأدباء ذلك قلبك بالادب كما تذكي النار بالخطب ولتحذا الادب غملا الحرص عليه خطأ يرتجيك راغب ويخاف صوتك راهب ويؤمل شعك ويرجى عدك وقال بعض العلماء الادب وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل شريعة وقال بعض الفقهاء الادب يسترقيم السبب وقال بعض الشعراء فيه

فما خلق الله مثل العقول * ولا اكتسب الناس مثل الادب
وما كرم المرء الا التقى * ولا حسب المرء الا النسب
وفي العلم زين لاهل الجبا * وآفة ذى الحلم طيش الغضب

وأشد الاصرى رجه الله

وان يك العقل مولودا فلست أرى * ذا العقل مستغنيا عن حادث الادب
انى رأيتهم ما كلاله مختلطا * بالترب تظهر منه زهرة العشب
وكل من أخطأه في مسوالة * غريرة العقل حاكى البهم في الحسب

والتأديب يلزم من وجهين أحدهما ما يلزم الوالد لولده في صغره والثانى ما يلزم الانسان في نفسه عند نشوئه وكبره فاما التأديب اللازم للاب فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشغلها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمبادئها في الصغر لان نشو الصغير على الشئ يجعله متطبعاً به ومن أغفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيراً وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما نخل والدولده نخلة أفضل من أدب حسن يفده اياه أو جعل فيم يكفه عنه وعنمه منه وقال بعض الحكماء ادروا بتأديب الاطفال قبل تراكم الاشغال وتفرق البال وقال بعض الشعراء

ان الفصون اذا قومتها اعتدلت * ولا يلين اذا قومته الخشب
قديمفع الادب الاحداث في صغر * وليس يتنع عند النشبة الادب

وقال آخر

ينشو الصغير على ما كان والده * ان الاصول عليها تنبت الشجر

وأما الادب اللازم للانسان عند نشوئه وكبره فادب مواضع واصطلاح وأدب رياضة واستصلاح فاما أدب المواضع والاصطلاح فيؤخذ تقليداً على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء واتفق عليه استحسنان الادباء وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستنبط ولا اتفاقهم على استحسانه دليل موجب كاصطلاحهم على مواضع الخطاب واتفاقهم على هيآت اللباس حتى ان الانسان الآن اذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها صار يحجب بالادب مستوحياً للذم لان فراق المألوف في العادة ومجانبته ماصار متفقاً عليه بالمواضع مفض الى استحقاق الذم بالعقل ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة ومعنى حادث وقد كان جائزاً في العقل أن يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه فيرونه حسناً ويرون ما سواه قبيحاً فصار هذا ماضياً كالموجب بالعقل من حيث توجيه الذم على تاركه ومخالفاته من حيث انه كان جائزاً في العقل أن يوضع على خلافه وأما أدب الرياضة والاستصلاح

فهو ما كان محجولاً على حال لا يجوز في العقل أن يكون بخلافها ولأن تختلف العقلاء في صلاحها وفسادها وما كان كذلك فتعليقه بالعقل مستنبط ووضوح صحته بالدليل مرتبط والنفوس على ما يأتي من ذلك شاهد ألهمها الله تعالى إرشادها قال الله تعالى فآلهمها فجورها وتقواها قال ابن عباس رضي الله عنه بين لهما ما تأتي من الخير وتذمر من الشر وسند كزعليل كل شيء في موضعه فأنه أولى به وأحق فأول مقدمات أدب الرياضة والاستصلاح أن لا يسبق إلى حسن الظن بنفسه فيخفي عنه مذموم شبيه ومساوي أخلاقه لأن النفوس بالشهوات آخرة وعن الرشد زاخرة قال الله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء وقال صلى الله عليه وسلم أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك ثم أهلك ثم عيالك ودعت أعرابية لرجل فقالت كبت الله كل عدوك إنك نفسك فأخذ ببعض الشعراء فقال

قلبي إلى ماضٍ في دأبي * يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف أحتراسي من عدوي إذا * كان عدوي بين أضلاعي

فإذا كانت النفس كذلك فحسن الظن بها ذريعة إلى تحكيمها وتحكيمها داع إلى سلاطتها وفساد الأخلاق بها فإذا صرف حسن الظن عنها وتوهمها بما هي عليه من التسويف والمكر فازبطاعتها وانحاز عن معصيتها وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه العاجز من عجز عن سياسة نفسه وقال بعض الحكماء من ساس نفسه سادناه فأمساؤه الظن بها فقد اختلج الناس فيه فتهتم من كرهه لما فيه من اتهام طاعتها وردمنا صحتها فإن النفس وإن كان لها مكر يردي فلها نصع يهدي فلما كان حسن الظن بها يعي عن محاسنها ومن عي عن محاسن نفسه كان كمن عي عن مساوئها فلم يتف عنها قبيحا ولم يهدأ لها حسنا وقد قال الجاحظ في كتاب البيان يجب أن يكون في التهمة لنفسه معتدلاً وفي حسن الظن بها مقتصداً فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة ظلمها فأودعها ذلة المظالمين وإن تجاوزها في مقدار حسن الظن أودعها تهوان الأتمين ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل وقال الاحنف ابن قيس من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ومن هدم دينه كان لجده أهدم وذهب قوم إلى أن سوء الظن بها يفتح في صلاحها وأوفر في اجتدادها لأن النفس جوراً لا يتفك إلا بالاسخط عليها وغرورها لا ينكشف إلا بالتمتع لها لأنها محبوبة تجور ادلاً ولا تغرمكراً فإن لم يسي الظن بها غلب عليه جورها وتمتعها بغير غرورها فصار يمسورها فأنما وبالشبهة من أفعالها راضياً وقد قالت الحكماء من رضى عن نفسه أسخط عليه الناس وقال كشاجم

لم أرض عن نفسي مخافة مخطئها * ورضا الفتى عن نفسه اغضابها

ولو اتى عنها رضى لقصرت * علمت يبعث له آدابها

وتبينت آثار ذلك فاكثرت * عدلى عليه فطال فيه عتابها

وقد استحسن قول أبي تمام الطائي

ويسى بالاحسان ظننا لاكن * هو بابه وبشعره مقتون

فلم يروا الساعنة ظنه بالاحسان ذمما ولا استقلال علمه لوما بل رأوا ذلك أبلغ في الفضل وأبعث على
الازدياد فاذا عرف من نفسه ما تحب ونصير منها ما تنكح ولم يطاوعها فيما تحب اذا كان غيبا
ولا صرف عنها ما تنكره اذا كان رشدا فقدم ملكها بعد أن كان في ملكها وغلبها بعد أن كان في غلبها
وقد روى أبو حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديدين
غلب نفسه وقال عون بن عبد الله اذا عصت نفسك فمما كرهت فلا تطعها فيما أحببت
ولا يفركك شئ من جهل أمرئ وقال بعض البلغاء من قوى على نفسه تنهاى في القوة ومن صبر
عن شهوته بالغ في المروة خيئت ذبا أخذ نفسه عند معرفة ما كنت وخبره ما أجبت بتقويم عوجها
واصلاح فاسدها وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه
قال اذا عرف نفسه ثم راعى منها ما صلح واستقام من زينج يحدث عن اغفال أو ميل يكون عن افعال
ليتم له الصلاح وتستديم له السعادة فان المغفل بعد المعاناة ضائع والمهمل بعد المراعاة زائع
(من أدب الدنيا والدين)

(الباب الرابع في المباحث الادبيه)

في أن اللغة ملكة صناعية

اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذهى ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها
وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وانغمها بالنظر إلى
التركيب فاذا حصلت الملكة التامة في تركيب الالفاظ المفردة لتعابيرها عن المعاني المقصودة
ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده
للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع أولا
وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا ومعنى الحال أنها صفة عزيزة راسخة ثم يزيد التكرار
فتكون ملكة أى صفة راسخة فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم
يسمع كلام أهل جيله وأسايلهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي
استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم
لذلك يقيد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة

ويكون كأحدهم هكذا صارت اللسان واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها الجموع والأطفال وهذا هو معنى ما نقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم ثم فسدت هذه الملكة للحضر بمخالطتهم الأعاجم وبسبب فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصود ما كثر الخاطئين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه فاستجدت ملكة وكانت ناقصة عن الأولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها بعدهم عن بلاد الجمع من جميع جهاتهم ثم من اكتشفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني نعيم وأما من بعدهم من ربيعة ونخلم وحذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن والمجاورين لأم القيس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتياج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية واقه سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(في أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري)

وذلك أن الإنسان قد شاركه جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك وانما تميز عنها بالفكر الذي يمتد به لتحصيل معاشه والتعاون عليه ببناء جسده والاجتماع المهيئ لذلك التعاون وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح أخراه فهو مفكر في ذلك كما دعا لا يفتر عن الفكر فيه طرفه عين بل اختلاص الفكر أسرع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم والصنائع ثم لاجل هذا الفكر وما جعل عليه الإنسان بل الحيوانات من تحصيل ما تستدعيه الطباع يكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بعمق أو إدراك أو أخذ به من تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه إن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحصر على أخذ وعمله ثم إن فكره وتطوره يتوجه إلى واحد أو أكثر من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد آخر ويقرن على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض تلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ عليه ما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصوصا وتتشوف نفوس أهل الجيل الناشئ إلى تحصيل ذلك فيقرعون إلى أهل معرفته ويحيى التعليم من هذا فقد بيننا ذلك أن العلم والتعليم طبيعي في البشر

(في أن التعليم العلم من جملة الصنائع)

وذلك أن الخد في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه انما هو يحصل ملكة في الاطاعة بعبادته وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ومالم تحصل هذه الملكة لم يكن الخدق في ذلك الفن المتناول حاصلًا وهذه الملكة هي غير الفهم والوعى لان تجد فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد ووعىها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاوى الذى لم يحصل علمًا وبين العالم التحرير والملكة انما هي العالم أو الشايدى فى الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعى والمملكةات كلها جسمانية سواء كانت فى البدن أو فى الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة فتقتضى الى التعليم ولهذا كان السند فى التعليم فى كل علم أو صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كل أهل أفق وجيل ويدل أيضا على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل امام من الأئمة المشاهير اصطلاح فى التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم والالكان واحدا عند جميعهم ألا ترى الى علم الكلام كيف تختلف فى تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مظالعة تجدا لاصطلاحات فى تعليمه متخالفة فدل على أنها صناعات فى التعليم والعلم واحد فى نفسه واذا تقرر ذلك فاعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد أن يقطع عن أهل المغرب باختلال عمرائه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وقد ادناها كما هو وذلك أن القبروان وقرطبة كانتا حاضرتى المغرب والاندلس واستجرا عمرائهما وكان فيهما العلوم والصنائع أسواق نافعة وبحور زاخرة ورسخ فيها التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة فلما جرت بانقطاع التعليم من المغرب الا قليلا كان فى دولة الموحدين عمرا كش مستفادا منها ولم ترسخ الحضارة عمرا كش لبداوة الدولة الموحدية فى أولها وقرى عهدا تراضها بجديتها فلم تحصل أحوال الحضارة فيها الا فى الاقل وبعدا تراض الدولة عمرا كش ارتحل الى المشرق من أفر بقة القاضي أبو القاسم بن زيتون لعهدا واسط المائة السابعة فأدرك تلاميذا الامام بن الخطيب فأخذ عنهم ولقى تعليمهم وحقق فى العقليات والقلبيات ورجع الى تونس يعلم كثير وتعليم حسن وجاء على أثره من المشرق أبو عبد الله بن شعيب الدكالى كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيخة مصر ورجع الى تونس واستقر بها وكان تعليمه مفيدا فأخذ عنهما أهل تونس واتصل بسند تعليمهما فى تلاميذهما جيل بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلاميذه وانتقل من تونس الى تلمسان فى ابن الامام وتلاميذه فانه قرأ مع ابن عبد السلام على مشيخة واحدة وفى مجالس باعياها وتلاميذ ابن عبد السلام بنونس

وابن الانام بتلذذ لهذا العهد الا أنهم من القلة بحيث يخفى انقطاع سندهم ثم ارتحل من زواوة في آخر المائة لسابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك تلاميذ أبي عمرو بن الحاجب وأخذ عنهم ولحق تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحذف في العقليات والنظريات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل بجاية واتصل سنده تعليمه في طلبها ورجع اسفل الى تلمسان عمران المشدالي من تلميذه وأوطنها وبث طريقته فيها وتلاميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خالوا من حسن التعليم من ادان انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سنده التعليم فيهم ففسر عليهم حصول الملكية والحذف في العلوم وأيسر طرق هذه الملكية ففتح اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرادها فحشد طلاب العلم منهم بعد ذهاب الكثيرين أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتوا لا يتطوقون ولا يفاوضون وغنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل بمجده ملكة فاصرة في علمه ان فاوض أو ناظر أو علم وما أناهم القصور الامن قبل التعليم وانقطاع سنده والاخفطهم أبلغ من حفظ سواهم لثلاثة غنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكية العلمية وليس كذلك وعما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكرتي طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي تنوس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي أقل ما يأتي في الطالب العلم حصول مبتغاه من الملكية العلمية أو البأس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب لهذه المدة لاجل عسرهما من قلة الجودة في التعليم خاصة لا بما سوى ذلك وأما أهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت غنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العربية والادب اقتصر واعليه والمحفظ سنده تعليمه بينهم فانحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خالوا أثر بعد عين وأما العقليات فلا أثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع سنده التعليم فيها بتناقص العراون وتغلب العدو على عامتها الا قليلا بسيف البحر شغلهم بها انشغهم أكثر من شغلهم بمجدها واثقه غالب على أمره وأما المشرق فلم ينقطع سنده التعليم فيه بل أسواقه نافقة وبجوده زاخرة لاتصال البهران الموفور واتصال السند فيه وان كانت الامصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا أن الله تعالى قد أدا له من أبا معسرا أعظم من تلك واستقل العلم منها الى عراق العجم بجزران وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما يليها من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلا وسنده التعليم بها قائما فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم بل في سائر الصنائع حتى انه ليلطن كثير من رحالة أهل المغرب الى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل

من عقول أهل المغرب وانهم أشد نباهة وأعظم كينما بفطرتهم الأولى وأن نفوسهم الناطقة
أكل بفطرتهم من نفوس أهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الانسانية
ويتشيعون لذلك ويولعون به لما يرون من كينهم في العالم والصنائع وليس كذلك وليس بين قطر
المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا فالقيم المخوفة
مثل الاول والسابع فان الامر بحقيقتها منحرفة والنفس على نسبتها كاهن وانما الذي فضل به
أهل المشرق أهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيده كما تقدم في الصنائع
وزياده الآن تحقيرا وذلك أن الحضرة لهم آداب في أحوالهم في المعاش والمساكن والبناو أمور الدين
والدنيا وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلهم في ذلك كله آداب يوقف
عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك حتى كأنهم محدود لا تمتددي وهي مع ذلك
صنائع يتقهاها لا تتعز عن الاول منهم ولا شك أن كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس أثر يكسبها
عقلا جديدا تستعمله بقول صناعة أخرى وينها بها العقل لسرعة الادراك للعالم ولقد بلغنا
في تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لا تدرك مثل أنهم يعلمون الحرا الانسية والحيوانات الهجم
من الماشي والطائر مفردات عن الكلام والافعال يستغري بدورها ويهجز أهل المغرب عن فهمها
وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واضاعة
في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس انقلدنا أن النفس انما تنشأ بالادراك وما يرجع اليها
من الملكات فيزدادون بذلك كينما يرجع الى النفس من الآثار العلمية فيظنه العاقل تفاوتنا
في الحقيقة الانسانية وليس كذلك ألا ترى الى أهل الحضرة مع أهل البدو كيف تجد الحضرة
متملها بالذكاء مثلثا من الكيس حتى ان البدوي ليظنه أنه قد فاته في حقيقة انسانيته وعقله
وليس كذلك وما ذلك الا لاجل انه في ملكات الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضرية
ما لا يعرفه البدوي فلما امتلا الحضرة من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها ظن كل من قصر
عن تلك الملكات أنها الكمال في عقله وأن نفوس أهل البدو قاصرة بفطرتهم وجلبتها عن فطرته
وليس كذلك فانا نجد من أهل البدو من هو في أعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته
انما الذي يظهر على أهل الحضرة من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم فان لها آثارا ترجع الى النفس
كما تقدمناه وكذا أهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع أرفع رتبة وأعلى قدما وكان أهل المغرب
أقرب الى البداوة فقدمنا من المغفلين في بادئ الرأي أنه لكمال في حقيقة الانسانية اختصاصه
عن أهل المغرب وليس ذلك بصحيح ففهمه والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو اله السموات والارض
(من مقدمة ابن خلدون)

(في أن البدو أقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية أصل العمران والامصار مدلهما)
البدو هم المقصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه والحضر المعتنون بجابات
الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق
عليه لان الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه فالبدو أصل للذن والحضر وسابق عليهما
لان أول مطالب الانسان الضروري ولا ينتهي الى الكمال والترف الا اذا كان الضروري حاصلا
نخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد تمدن غاية للبدوى يجري اليها وينتهي بسعيه الى
مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج الى الدعوة وأمكن
نفسه الى قياد المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم والحضرى لا يتشوف الى أحوال البادية
الا لضرورة تدعو اليها ولتقصير عن أحوال أهل مدينته ومما يشهد لنا من أن البدو أصل الحضرة
ومتقدم عليه أنا اذا قنشنا أهل مصر من الامصار وجدنا أولياء أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية
ذلك المصر وفي قراء وأنهم أسبروا فسكنوا المصر وعدلوا الى الدعوة والترف الذي في الحضرة
وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها فتفههم ثم ان كل واحد
من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فربى أعظم من حى وقبيلة أعظم من قبيلة
ومصر أوسع من مصر ومدينة أكثر عمراناً من مدينة فقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود
المدن والامصار وأصل لها بما أن وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التى هى متأخرة
عن عوائد الضرورة المعاشية والله أعلم (من مقدمة ابن خلدون)

(في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضرة)

والسبب في ذلك أن أهل الحضرة ألحقوا جنوبيهم على مهادر احة والدعة وانفسوا في النعم والترف
ووكلا أمرهم في المداغة عن أموالهم وأنفسهم الى الوالهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التى
تولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التى تحوطهم والحرا الذى يحول دونهم فلا تبيح هيجة
ولا يقر لهم صيد فهم قارون آمنون قد ألحقوا السلاح وبألت على ذلك منهم الاجيال وتزولوا منزلة
النساء والولدان الذين هم عيال على أبى مشواهم حتى صار ذلك خلقاً يتزل منزلة الطبيعة وأهل البدو
لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتبذهم عن الاسوار والابواب
فأعزوا بالمداغة عن أنفسهم لا يكونوا الى سواهم ولا ينقون فيها بغيرهم فهم دائماً يحملون السلاح
ويتلقون من كل جانب في الطرق ويتحافون عن الهجوم الا غرارا في المجالس وعلى الرجال وفوق
الاقتاب ويتوجسون للنبات والهيئات ويتفردون في القفر والبداء مدلين بأسهم واثقين
بأنفسهم فصار لهم البأس خلقاً والشجاعة هجبة يرجعون اليها متى دعاهم داع أو استغفرهم

صارخ وأهل الحضرمه ما ظوهم في البادية أو صاحبوهم في السفريال عليهم لا يملكون معهم شيامن أمر أنفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل وسبب ذلك ما شرخناه وأصله أنا الانسان ابن عوائده وما ألوفه لا ابن طبيعته ومن اجه قالني ألقه في الاحوال حتى صار خلقا وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجملة واعتبر ذلك في الآتمين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء (من مقدمة ابن خلدون)

(في أن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء)

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل ان املك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التناسل والاعتماد انما هو عن جلة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عرائهم وتلاشت مكاسبهم ومسايعهم وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم عما خضدوا له من شوكتهم فأصبحوا غلبين لكل مغلب طعمة لكل آكل وسواء كانوا حاصلوا على غايتهم من الملك أو لم يحصلوا وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شيع بطنه ورى كبده وهذا موجود في أخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وأنها الانساقدا انا كانت في ملكة الآتمين فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص وضعف لال الى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولم تخفط طاعتهم في أيام العرب بقي منهم كثيرا وكثر من الكثير يقال ان سعدا أحصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفا منهم سبعة وثلاثون ألفا ربييت ولما تحصوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بها منهم الا قليلا ودثروا كأن لم يكونوا ولا تحسن أن ذلك لظلم نزل بهم أو وعدوا نزلهم فلكة الاسلام في العدل ما عدمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره ولهذا انما تدع الرق في الغالب أمم السودان لنقص الانسانية فيهم وقرهم من عرض الحيوانات العجم أو من يرجو بانتظامه في رتبة الرق حصول رتبة أو فائدة مال أو عز كما يقع لملك التركة بالمشرق والغروب من الجلالة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما يأمرونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(من مقدمة ابن خلدون)

(الباب الخامس في المقامات)

المقالة العاشرة وقد صرف بالكوفة

حكى سهل بن عباد قال كلفت منذ الصبا لعل الأدب وشغفت بأسرة راء لغة العرب فكنت أنضى^(١) اليها المطايا^(٢) وأنفق دالجيا في الزوايا حتى كنت يوما بالكوفة^(٣) وأنا أنعم بمعاها المأوفة^(٤) وأشهد مشاهد الموصوفة^(٥) فربت بعصه من العلماء^(٦) كأنهم من بني ماء السماء^(٧) وهم قد جلسوا إلى شيخ أعز الشبه^(٨) أنج الهيبه^(٩) وهو بشير تارة بالسنان^(١٠) وطورا بالصولجان^(١١) فجعلت أروح تلقاهم وأبى وأقول ليس هذا بعشك^(١٢) فادرجني حتى حدثني القطريرة^(١٣) على الأشعية^(١٤) فالتقت دلولي في الدلاء^(١٥) طمعا في اجتلاء^(١٦) الجلاء^(١٧) وتظلمت على تلك الحضرة الجلى^(١٨) وإن كنت بمن عيسى^(١٩) وبولي فلما تطلعت المقام حيث القوم بالسلام^(٢٠) وتفرست في الشيخ فأنما هو ميمون بن حزام فقلت لله الامر كله قد عرف الخلف أهله^(٢١) وجعل القوم مخوضون في حديث العربية^(٢٢) ومساائل الاعرابه حتى حلت المحبى^(٢٣) وبلغ السيل الربى^(٢٤) والشيخ ينظر من طرف خفي إلى الناس والقلم في يده يجري على قرطاس^(٢٥) إلى أن تنقذ ما عند الجماعه^(٢٦) من أسرار الصناعات^(٢٧) وهم يرون أنه يلتقط اللاكى

(١) مجهول شغف من قولهم شغفه الحب أى بلغ شغاف قلبه وهو غلافه (٢) تبع (٣) أى أهله بكثرة السفر (٤) الركائب (٥) مدينة العراق (٦) أنفق (٧) أحضر (٨) محاضرها (٩) جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين (١٠) هى ماويه بنت عوف بن جشم وقيل بنت ربيعة النخلى وهى أم المنذر ملك العراق وكانت تلقب بجدة السماء لجمالها (١١) ظاهر (١٢) أنهى وهو مثل يضرب لمن يريد الدخول فيما ليس من أهله (١٣) أى هللت (١٤) نسبة إلى القطريرة وهو محمد بن المستنير كان يكرى إلى سيبويه ليأخذ عنه علم الصوفى كان سيبويه كلما فتح فيه وجهه لى الباب فقال ما أنت لا تقرب ليل فلقب بذلك والقطريرة بطليل والليل ولا ينم (١٥) نسبة إلى أشعب وهو رجل من أهل المدينة كان مولى لعثمان بن عفان وكان يكنى بأبي اللاتفة وقضى سنة أربع وخمسين من الهجرة وكان شديد الطمع حتى ضرب به المثل يقال هو أطمع من أشعب يقول سهل إن الرقة في العلم حلت على الدخول في الطماعية الأشعبية (١٦) أى بين الدلاء وهو مثل يضرب للدخول مع الناس فيمالم عليه (١٧) استكشاف الامرا الجلى (١٨) تأنيث الأجل (١٩) أدير (٢٠) مثل يضرب عند حصول الامر إلى أهله وأصله أن بن عبد القيس ساروا يطلبون السمعة والرفق حتى بلغوا أرض جحر والجحر بن فوجدوا بلادا أفضل من بلادهم فملوا هناك وجروا بين الأباد والارشدوا نحو بلهم بكرى أيف التخل وهى ما بين في جنوبيه بعد قطع السعة فقاتل اباد عرفوا لخل أهله فنهبت مثلا (٢١) جمع جبهته وهى أن يجمع الرجل ظهره وساقه يده في جلوسه يكنى بذلك من الممكن في الامر (٢٢) مثل يضرب في بلوغ الامر إلى غاية ويرى بلوغ السيل الرزى بالزى جمع زية وهى الراية التى لا يعلوها الماء (٢٣) ورق (٢٤) فرغ

وينظم في سبط الأماشي فقالوا أيها الشيخ ترك تجمع مما سمع قال إن لكل ساقطة لاقطه^(١٣)
ولكن أريد أن تنظروا ما كتبت لتروا هل أخطأت أم أصبت فتناولوا الرقعة بيدها وأذا هو يقول فيها
ما الفرق بين التميز والحال^(١٤) وبين عطف البيان والاببدال^(١٥) وأين يستوفى حق الاستناد ولا يخرج
بركته عن حكم الأفراد^(١٦) وأي الضمير يرد بين التعريف والتسكير^(١٧) وأين راعى ما يقدر ولا يسأل
بما يذكر^(١٨) وأي اسم يجمع فيه خمس من موانع الصرف^(١٩) وأي لفظ يشارك الاسم والفعل والحرف^(٢٠)
وفي أي الأماكن يجمع ثلاثة من السواكن^(٢١) وأي فعل يعطى ما لا يسمعه ويمنع مما لا يفعل^(٢٢) وأي
اسم يجري مع قبيلته على هذا المثال^(٢٣) قال فلما وقفتوا على تلك المسائل وأروها من المشاكل
فقالوا لله أنت فقد أحسنت ولكن لو أبنت فعبس حتى ما تبس^(٢٤) وصارت مقلة كالعقبس^(٢٥)
فأشفقوا من غضبه وسألوه عن مختصبه^(٢٦) فقال قد تكلفت لكم الخطاب ثم أنكف الجواب

- (١) خيط القلادة (٢) جمع املاء وهو ثلثين الكاتب أي أنه يلتقط الفوائد ويكتفي بتلك الصيغة
(٣) مثل أي لكل كلف ساقطة أذن لاقطه (٤) يشترك الحال والتمييز في كونهما اسمين تكرر في فصلتين
منصورتين رافعتين الإبهام ولكنهما يفتراخان في سبعة أمور الأول أن الحال تأتي جملة نحو جان من دير كرض أو وهو
ضاحك والتمييز لا يكون إلا اسم مفردا والثاني أن الحال قد توضع في الكلام ما هنا نحو لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى بخلاف التميز والثالث أن الحال تميز الصفة والتمييز يميز الذات والرابع أن الحال تأتي بتعدد نحو
جاء زيد بكاحضا بخلاف التميز والخامس أن الحال تقدم على عاملها المتصرف نحو خضعا بأصابعهم يخرجون
وليس التميز كذلك في الصحيح والسادس أن الحال حكمها الاشتقاق وحكم التميز الجمود والسابع أن الحال تقع
مؤكدته لعاملها نحو تبسم ضاحكا ولا يقع التميز كذلك (٥) يفرق عطف البيان من البديل بأنه لا يكون ضميرا
ولا نائما للضمير ولا جملة ولا نائما للجملة ولا فعلا ولا نائما للفعل ولا بلفظ متبوعه ولا مخالفا له في التعريف والتسكير
ولا في إحالة عمله ولا من جملة أخرى في التقدير بخلاف البديل في كل ذلك (٦) ذلك في اسم الفاعل ونحوه فله
يشتمل على المسند والمسنود إليه وهو الضمير المستتر فيه ولا يكون جملة بل يبق على أفراد (٧) هو ضمير الغائب
فله إذا دأب على معرفة كلمة معرفة نحو جان يدركتمه وإذا دأب على نكرة كان نكرة نحو بوس جل لقيته (٨) ذلك
في نحو أيسبو به الكرم فإن الكسرة الظاهرة في آخره يسهل به لا يتبدلها حتى تكسر الصفة جملا عليها وإنما يتبدل الصفة
المقدر للنداء فتعز الصفة لأجلها (٩) هو أذر يجان اسم مقاطعة من بلاد القرين فإن فيه العلة والتأنيث
والهجة والتركيب وزيادة الألف والتنون (١٠) هو اسم الفعل فله يشارك الاسم في التنون والفعل في المعنى
والحرف في البناء (١١) ذلك في نحو مواد إذا وقتت في الوقف فلان الألف والهاء المدغمات بال المقسم فيها سواكن
(١٢) هو الفعل التجب فله يصغر كالاسماء ولا يصرف كالأفعال (١٣) هو الفعل التفضيل فله ينفع من الكسر
والتنوين كالأفعال ولا يثنى ولا يجمع كالاسماء (١٤) فطلق بكلمة (١٥) شعلة النار (١٦) ارتعوا
(١٧) يقال خضب النار إذا وقدها

ولعل فوق ذلك أن تكلف لكم الثواب ^(١) قالوا لا وأبدل الله ^(٢) بل إن جئت بالبينسة السافرة ^(٣) وجاوت الشرود النافرة فالتقدع عند الحافرة ^(٤) فلما آتس الندى ^(٥) ووجد على النار هدى فتجخرانة أسراره وسمع بمكنونات أفكاره حتى امتلات حقايب المال ^(٦) وقالوا هكذا هكنا والافلا بيد أنهم مالوا ^(٧) الى استقلاء أمان حرسا على ثباته في الأذهان فقال اكتب يا سميل وانفق في املائه كالسمل حتى اذا ارتع الكؤوس وفاد الشمس بالشموس ^(٨) قال لا يحب العطر بعد عروس ثم أشار الى وأنشد ^(٩)

العلم خير من صلاة النافله * به الى اقه العباد واصله

فاحرص عليه والتقط مسائله * ودع كنوز المال فهي باطله

ولا تبغ آجله بعاجله ^(١٠) * ولا تضع وأمله بمحاصله ^(١١)

واعرض عن الليلة نحو القابله * فذلك مشرب الثقات الكامله

وليس خير في النفوس العاقله * ان غفلت عن القلوب الغافله

والناس ان كانت طغاما جاهله ^(١٢) * فما يكون الفرق بابن الفاعله

• بين الرجال ويقال للقافله •

(١) الجزء (٢) الواو زائدة لرفع الابهام لان تركها يفهم أن المراد الدعاء عليه بنى التأيد (٣) الظاهرة (٤) مثل يضرب لسهمة القبض (٥) أي يشعر بالعطاء (٦) أوعية تشبه الى الرجال (٧) الجماعة (٨) أي غير أنهم (٩) استككب (١٠) ملا (١١) الحرون (١٢) أي الالفاظ الباهرة (١٣) مثل ظلمته أسماء بنت عبد الله العذريه وكان لها زوج من قومها يقال له عروس فأتوزق جها رجل آخر يقال له نوفل وكان بجيلة ميماء فجر أي خبيث رائحة الفم أعسر اليدين بخلاف الاول فلما رحل بها مرت على قبر عروس وجلست تبكي وترثيه بقولها

أبكي حليلك يا عروس الاحراس * يا تطلبا في أهله لا ليناس

وأسلد ائني الاعدى طراس * كان من الهمة غير نراس

ويعل السيف صبيحة الباس * ثم أمور ليس تدريها الناس

فقال نوفل وما هي تلك الامور فقالت

كان عيونا فالتنا والمتكر * وطيبا التكهة غير أبحر * وأبسر اليدين غير أعسر

فلم نوفل أنها تعرض به فأمرها بالنهوض فلما نهضت سقطت منها طور العطر فقال لها نوفل خذي عطرك فقالت التل وقيل انها قالت لا عطر يدع عروس والمراد هنا أنه لا مكان لهذه المسائل بهذه المجلس (١٤) الزيادة عن القرض وهو من الحديث (١٥) أي لا تبغ الاسترخاء بالذبا (١٦) قائمة (١٧) أولينا

(٩) القطع المختصه (بخذ فان)

قال فلما فرغ من سحره السحري انهل عليه الشمسي والشمسي فاشارة نحوى وقال اسق أخاك الثمري^(١)
قالوا علم الله أن سيكون^(٢) ولكن السابقون السابقون حتى اذا قصوا فريضة المكتوبه عادوا^(٣)
الى سنتي المندوبه فخرنا بنجر الدلائل^(٤) ونحمد البذل والبذل^(٥)

(المقامة الثلاثون وتعرف بالطيبه)

حكى سهيل بن عباد قال خرجت على فرس بجوح^(١) الى نية طروخ^(٢) فازبحني اهماجا وخبيا^(٣)
وأرهقني معدا وصيبا^(٤) حتى نهكني اللغوب^(٥) وأعباني الركوب^(٦) فنزلت لافيل واستقبل^(٧) واذا ناقة^(٨)
ترعى وهى تنساب كالافى فوقفت أستشرف الهضاب والوهاد^(٩) وأنا أريد أن أبدا لها بالجواد^(١٠)
واذا شبح قد انقض على^(١١) كنسر لثمان بن نناد^(١٢) وقال هلك ولو كنت سهيل بن عباد فتوسمته^(١٣)
من تحت اللثام^(١٤) وقلت فانك الله ولو كنت ميمون بن خزام فضحك ثم كبر^(١٥) وقال الاجتماع مقدر^(١٦)
ثم قال الطعام يا غلام فاحضر ما تنسى^(١٧) ثم اندفع فتغنى قال فكان عندي أس ذلك اللقاء أطرب^(١٨)

(١) أى الواضح كالسحر (٢) كناية عن الدينار (٣) كناية عن الدرهم (٤) مثل أسله أن كعب بن مامة
الابدى خرج فركب معهم رجل من بني النمر بن قاسط وكان ذلك في معظم الصيف فجلسوا وقل مأوهم فكافوا
بصافنون الماء وذلك أن بطرح في القعب حمأة ثم يصب فيه من الماء يقدروا يغمر الحصىا فشرى كل واحد قدر
ما يشرب الآخر ولما تروا الشرب ودار القعب بينهم حتى انتهى الى كعب رأى الرجل الثمري يحدد النظر اليه
فأترعاه وقال الساق اسق أخاك الثمري فشرى الثمري نصيب كعب من الماء ذلك اليوم ثم رزوا من الغنم زلهم
الآخر فتصافنوا بكية ما منهم فنظر اليه الثمري كخظرة أس وقال كعب كقوله أسس وارثل القوم وقالوا كعب
ارثل فيمكنه فونظروا فزكوا فادقروا من الماء فقالوا لهد يا كعب انك ورا دافغ من الجواب ولما شؤمته
خيلا عليه ثوب عتبه من السبع أن يأكله وتركه مكانه فأتى فذهب ذلك متلا في فضيل الرجل صاحبه على نفسه
(٥) أى علم الله أن سيكون عطية (٦) أى الاول فالاول (٧) مادون الفرض من الاعمال الدينية (٨) مايلي
الارض من أسفل الثوب (٩) أى العطاء والمطى (١٠) يطلب فارسه (١١) جهة بنوى السفر اليها
(١٢) بعيدة (١٣) الاهماج أشد الركنس والخجبر كرض مضطرب (١٤) أى حملني فوق طاقى صعبودا
وانخدانا (١٥) أى أضعفى التعب الشديد (١٦) أى عجزت عنه (١٧) أيام نصف النهار (١٨) أطلب
الافاق من الجهد (١٩) أنظر ويدي فوق حاجبي (٢٠) التلال (٢١) الاراضى الخفضة (٢٢) جمع
(٢٣) يقال ان لقمان كان يعنى بقرية النسور قربى سبع شها وعلكت الا لا وحنا كان أشدها وهو ليد المذكور
في المقامة الخطيبية (٢٤) قال ذلك وهو قد عرفه ولمح أنه يريد أن يأخذ الناقة (٢٥) أى عرته بعلمانه
(٢٦) طلبا سكر (٢٧) أى أنه يكون بأمر الله وقضائه (٢٨) نهياً

من شد سلامة الزرقاء^(١) وبث معه ليلة من ليالى الدهر أحسبها خيرا من ألف شهر حتى اشتعل رأسها شيبا وعط الصباح لديمجورها جيبا فاستوى الشيخ على القتب وقال أجيوا داعي الله الى ما كتب فأوفضنا في مقاراة صلده حتى أفضنا الى بلده بهامدرسة لقطب عن الحرث بن كilde^(٢) خلقنا هاجول النون في القفار أو الضب في البحار ولما انجابت وبعة السفر خرج الشيخ في ارتيذ التطفر حتى أتينا المدرسة وهي حافلة بالطلبة وقد قام في صدرها شيخ طويل الارنبه^(٣) عظيم العربية فقال الحمد لله الذي شرف علم الابدان حتى قدم على علم الابدان أما بعد فان هذا العلم أفضل علوم الدنيا جميعا لانه أشرفها موضوعا وهو أدقها نظرا وأجلها خطرا وأقدمها موضعا وأعظمها نفعا وأعظمها سيرة وأوسعها حظيرة وهو يستطلع الخبايا ويستوضح الخفايا حتى قيل انه وحى قد هبط على الأطباء كما هبط الوحي على الأنبياء وصاحب هذه الصناعة أرواح الناس بضاعه وأربحهم تجاره وأشبههم زياره وأكسبهم أجرة وأجرأ وأنفذهم نيا^(٤) وأمرأ^(٥) وعليه مدار الاعمال والأهن^(٦) وقيام الفروض والسنن فان كل ذلك لا يتم الا بصحة البدن وطالما كان هذا الفن أعز من جهة الأسد حتى اغتاله الجهلاء فاوثقوا جديدهم بجمل من مسد^(٧) فواهمه كيف نل عرشه وأهمل عليهم كيف قل نعشه قال وكان في الحضرة قتي باهر اللطافه^(٨) ظاهر القضاة فقال يا مولاي اني قد منيت بجهل المتطببين الزراع^(٩) الذين لا يعرفون الاصناف^(١٠)

(١) غشاء (٢) هي جارية كانت للجعفر بن - ليمان بن عبد العزيز الاموي اشتراها بثمانين ألف درهم وكانت فرضف بحسن الصوت وطيب الغناء قيل انها غنت يوما بحضر منمن نازلة الشيطان وروح حاتم المهلبى وابن المقفع ففرغ من بين يديها بدت من المالد وروح كذلك ولم يكن عندا المقفع مال فأعطاهامصكافيه على تضيعة له (٣) أى من لياليه المدودة (٤) شق (٥) ظلامها (٦) زيق القمع من أعلاه (٧) أى أسرعنا في فلاصلة (٨) انتهينا (٩) هو رجل من بني ثقف كان طبيب العرب وكان حاذق في صناعته أخذنا الطب من القرنين من عبقه وكانت وفاته في خلافة الامام عمر (١٠) الحوث (١١) دويبه يربه (١٢) يعنى اننا نلنا بها فربا لاننا لم نلست بمكاننا (١٣) انكشفت وزالت (١٤) أثر التبع (١٥) طلب (١٦) طرف الاتف (١٧) طرف الجباب الذي بين النخريين (١٨) اشار الى ما ورد في الحديث من قوله العلم علان علم الابدان وعلم الابدان (١٩) أى العلوم الدنيوية احترازا عن العلوم الدنيوية (٢٠) شرقا (٢١) لانه يتعلق بالخفايا المكشوفة في مواطن الاجسام (٢٢) هي في الاصل سلحة تحاط بسياج الختم ثم استعملت لتعرف ذلك (٢٣) لانه يكشف الامراض الباطنة باللائل الخارجية ويهتدى به الى القوى الادوية وطرق المعالجات (٢٤) أنفق (٢٥) أى على المرضى (٢٦) الصنائع (٢٧) مثل في العزة والتمعة (٢٨) عتقه (٢٩) ليفه (٣٠) كلمة تحجب (٣١) كسرا وهدم (٣٢) كرسية أى كيف ذهب عزه وهو مثل (٣٣) كلمة تقسر (٣٤) أى العليل الذي يعالجونه (٣٥) رفع (٣٦) تخافة الجسم (٣٧) بليت (٣٨) المدين معرفة الطب (٣٩) الاحداث السقله (٤٠) حرق في الرجل

من جبل الذراع^(١) فلعلك توصيني بما يكون غنية السبب عند غيبة الطبيب^(٢) فاطرق هنية^(٣) للترويه ثم هب في التوصيه فقال يا بني لا تجلس على الطعام الا وانت جائع وقم وانت بما دون^(٤) الشبع قانع وياكر في الغداء ولا تناس في العشاء والزم الرياضة على الخلاء واجتنبها عند الامتلاء ولا تدخل طعاما على طعام^(٥) ولا تشرب بعد المنام ولا تكثر من الألوان على الخوان^(٦) ولا تبجل في المضغ والازدراد واجتنب كل ما لم ينضج وما بات من الطعام فهو مجلبة للفساد^(٧) واذا أمكنك الوجبة فهي أفضل نجبة واقطع العادة المضرة مرة بعد مرة وعليك بتقية الفضول^(٨) في مستدلات الفضول واذا مرضت فقابل السبب واحرص على القوة فانها الى الحياه سبب^(٩) وبالغ في الدواء ما شرعت بالداء ودعه متى وثقت بالشفاء واذا استغثت بالفردات^(١٠) فلا تعدل الى المركبات واذا اكتفيت بالاغذية فلا تجاوز الى الادويه واذا ناعلم العرض فاستغل به^(١١) عن المرض واعده الحمية الواقيه ما دامت العلما بيايه واحذر دواعي التمسك فانه شر من العله^(١٢) بالامس واعلم ان تجربه عطر فكن منها على حذر والعلاج بين استفراغ الحاصل وقطع الواصل^(١٣) والصحة تحفظ بالشبه وتسرّد بالتقيض والحمية للصحيح كالتخليط للريض واستعمال الدواء^(١٤)

(١) مررت في اليد (٢) أي يكون غنية للعالم عند غيبة الطبيب الصحيح وهو اسم كتب في الطب وضعه الشيخ شمس الدين محمد بن بهان الدين الأكلبي (٣) التفكير (٤) شرح (٥) اسم لما يشبع من الطعام (٦) الحركة المؤثرة تبا (٧) أي لا تأكل قبل الهضم لأن الطعام الثاني يشغل المهضم هضم الأول فيفسد (٨) أي أصناف الطعام (٩) المائدة (١٠) المضغ طعن الطعام بين الأرض والازدراد البلع يريد أن العلة قيمته ما رده الطعام على المعدة جافيا فيفسد عليها هضمه (١١) يشغل ما لم ينضج من الطعام والتمر (١٢) أي فساد الطعام في المعدة لعسر هضمه فلا تقص التصر فيه (١٣) الاكل مرة واحدة في النهار (١٤) أي بالتدرج قال الشيخ الرئيس في أوجزه

وكل عادة تضر أهلها * فاقطع بتدرج الزمان أصلها

(١٥) الاخلاط (١٦) أي انظر الى السبب وعالجه بضده كما إذا كان المرض من حرارة فعالجه بالبارد (١٧) وسيلة قالوا ان القوة للريض كالزاد للمسافر (١٨) اتركه (١٩) أي بالدواء المفرد البسيط (٢٠) أي اذا وجدت غدا ينفع من المرض فهو أفضل من الدواء لانه لا يعمل بالطبيعة ما يفعله الدواء من الفقه والتمسكه (٢١) أي اذا حدث عرض شديد يخشى منه سقوط القوة فاستغل به لاجه حتى يزول ثم ارجع الى علاج المرض (٢٢) الرجوع الى المرض بعد التخلص منه وهو بالضيق في الأصل والفتح لمعنيه كإلى الصحاح (٢٣) أي المرض الذي كان قبل (٢٤) يريد تجربه الادوية المجهول أمرها فانه لا خطر على المريض بخني هلاكها أحيانا (٢٥) أي أن العلاج يكون باستفراغ ما قد تولد منه المرض ولا وضع تجده تبا (٢٦) أي أن الجمع يحفظ بحته بما يوافق مزاجه واذا زالت يسترجعها بما ينقض مزاج المرض (٢٧) ضد الحمية قالوا ان اثنين لا يصحان المريض المخطأ والصحيح المختص

حيث لا يحتاج كثره عند طبعة العلاج والمضر اليسير خير من النافع الكثير وكل ما عسر فهمه^(١)
 شق فهمه ومن كثرت تحمسه^(٢) تفاقم سقمه^(٣) وأكثرا لأوصال^(٤) يكون من الطعام أو الشراب
 فاحفظ عني هذه المواظ^(٥) واحتفظ بهم والله المافظ قال فلما فرغ من كلامه الموضون^(٦) برز شيخنا
 الميمون وقال لي لا زال من أهل الفضل والفصل وأرباب العقل والنقل ولقد عثرت على مسائل
 في كتب الأوائل فهل تأذن بدفع الظنه ولثا المنسه قال حبذا فقل إذا قال ما هو الدشبذ^(٧)
 وكه هي الدلائل التي تؤخذ^(٨) وما هو عدل الأعضاء بالنسبة إلى بقية الأجزاء^(٩) فأخذ الاستاذ
 في قلبه رأيه حتى أفرط في لايه^(١٠) ثم قال ان الانسان موضع النسيان^(١١) فهل من مسائل أخرى
 لعل أصادف بها الذكري قال قد ريمت بك بالصحيح فاستجيم^(١٢) فهل تعرف من صوت الغراب وتقرس
 الأسد المشيم^(١٣) هيهات ان العلم بتحقيق القضايا لا يتم في الوصايا فقل على الرجل^(١٤) والوحوم^(١٥) ولعبت
 بالقوم الرجوم^(١٦) حتى قالوا للشيخ مثل ما نحن يستحق الامامة^(١٧) فهل لك عندنا من إقامه قال قد علمت
 أن النقلة ثقله ولا سيما مع تطارح الشقه ونطاول المشقه^(١٨) فان خففت عني بالامداد^(١٩) أتيتكم
 كورى الزناد^(٢٠) فتجوه بعد من الدناير وقالوا استعن بالله والله على كل شئ قدير قال سهيل
 فلما فصلنا عن المكان أخذ الشيخ مجلسا مكمثا^(٢١) ثم رزقنا ولى طرسا محتوما^(٢٢) وقال اذا أصبحت
 فآلقه إلى القوم ولا تريب عليك ولالوم^(٢٣) فأجبتة إلى ما طلب واذابه قد كتب

- (١) مضحه (٢) حس (٣) جمع تخمة وهي فساد الطعام في المعدة (٤) تكاثرت (٥) الامراض
 (٦) المسرود (٧) أي هل اذن قلت فونها ألقاها وقف (٨) هو مادة تضر ونية تنبت على طرف العظم
 المكسور ليختم بها (٩) قالوا ان الدلائل ثلاث احدها المذكري وهي التي تتركها الطبيب على مرضى من الامراض
 فيستدله على سبب المرض وكيفيةه والثانية الحاضرة وهي التي تدل على حقيقة المرض الحاصل والثالثة المنذرة
 وهي التي تدل على ما سيحدث (١٠) قالوا ان احدثت الأعضاء من اجابا بالنسبة إلى غيره من أجزاء البدن هو الحادثة
 التي على طرف السبابة من اليد خلقت كذلك لانها معرضة غالباً لمس فتحتاج إلى الاعتدال في نفسها لا ادراك
 ما تلاقيها من الموصات فيفرق بها بين الحسنونة والملاسة ونحوهما (١١) ابطائه (١٢) مثل (١٣) تخاف
 (١٤) من الشبام وهو دبر عرض في فم الجملى لئلا يرضع استعمال ذلك لاسد كناية عن شد الجوع وهو مثل يضرب
 لمن يقدم على الامراض الخطيرة وينزعج من اليسير قبل أصله أن امرأنا فترست أسدا ثم سمعت صوت غراب فانه عثرت عنه
 (١٥) زخفة (١٦) السكوت حزنا (١٧) الظنون (١٨) أن يكون اماما (١٩) تبعاً للمسافة
 (٢٠) تهاذف (٢١) التعب (٢٢) الاسعاف يريد الاسعاف بالليل يستعين به على مهمات السفر
 (٢٣) سقوط الشرايين الزائدة عند اقتدائه (٢٤) اعطوه (٢٥) قرطاسا مكتوباً (٢٦) توبخ

أناذاك الطيب وان طي * لنفسى لا يزيد أولعمرو

وما عجلت سقم النام يوما * ولكنى أعالج سقم دهرى

إذا ما سنى ضنك^(١) فعندى * جوارش حيلة ونسراب مكر

فلما وقفت على أسبانه تعوذوا بالله من آفاته وقالوا ان لم يكن طيبيا فكفى به ليبيا^(٣) فهل لك أن

ترده علينا لظرفه^(٤) ان لم يكن لعرفه^(٥) قلت ذلك مما لا يقرب فإنه أجول من قطرب^(٦) وزجعت الى

موعدنا أمس فوجدت أنه قد أقل قبل الشمس^(٨) (من مجمع البحرين)

(١) ضيق (٢) سفوف (٣) عطلا (٤) نظرافته (٥) مله (٦) دويبة تقول الليل كله لا تنام وهو مثل

(٧) مكان اجتماعنا (٨) غاب

(المقامة الثلاثون الصوريه)

(حكى المحارث بن همام) قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت بها

(شرح المقامة الثلاثين الصوريه للشريشى)

(قوله مدينة المنصور) هي بغداد والمنصور هو أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس استخلف بعد أخيه السفاح وبويع له يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن إحدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وكان حاد بوقت وفاته السفاح فعقده البيعة عمه موسى بن علي بن عبد الله بالانبار وورد الخبر على المنصور في أربعة عشر يوما وقد بشره النبي صلى الله عليه وسلم ونظر الى عمه العباس فقال هذا عبي أبو الخلفاء الأربعين أجود قريش كفا ومن ولده السفاح والمنصور والمهدي وقال المنصور رأيت في المنام كأنى فى المسجد الحرام فنودي أن عبد الله قمت أنا وعبد الله بن يحيى نستبق حتى وصلنا الى الدرجة العليا فجلس هو وأخذ يدي فأصعدت وأدخلت الكعبة فأذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال قال فأتعتنى وأوصانى بأمته وعفى فكان كورها ثلاثا وعشرين كورا وقال خذها اليك أبا الخلفاء الى يوم القيامة وقال المنصور الخليفة لايصلحه الا التقوى والسلطان لايصلحه الا الطاعة والرعية لايصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو أقدروهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هودونه ولولنا المنصور فى سنة خمس وتسعين فى اليوم الذى مات فيه الحجاج ومات بكة بيترميون لست خالون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة

(صور) مدينة بالشام يشتهر بين دمشق ثلاثون فرسخا وقال شيخنا بن جبير مدينة صور يضرب بها

ذارفعه ونخفض ومالك رفع ونخفض تقف الى مصر وتبان السقيم الى

المسل في الحصانة لا يلقى اطلالها بسد طاعة ولا استكاثنة قد أعد لها الافرنج مفزعا لحادثة زمانهم وجعلوا هامة لا مانعهم وحصانتها ومناعتها أعجب ما يحدث به وذلك أنها راجعة الى باين أحدهما في البر والثاني في البحر والبحري يحيط بها الامن جهة واحدة فالبري يقضى اليها بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة كلها في ستائر مشيدة محبطة بالبواب والبحري يدخل اليه بين برجين مشيدين الى مرسى له ليس في البلاد أعجب منه وصفا يحيط به سور المدينة من ثلاثة جوانب ويحده به من جانب آخر جدار معقود بالحص والسفن تدخل تحت السور وترسى فيه وتعرض من البرجين المذكورين سلسلة عظيمة معقودة تمتع عند اعتراضها الداخل والخارج ولا مجال للراكب الا عند ازالتهما وعلى الباب حراس لا يدخل الداخل ولا يخرج الاعلى أعينهم فشان هذا المرسى شأن عظيم وعند الباب البري عين معينة تتخذ اليها على أدراج والآبار والجباب بها كثيرة لا تحصى دارمها ولا بائين بها انما تجلب لها الفواكه من أقطارها التي بالقرب منها ولها أعملة متصلة والجبال التي بالقرب منها معروفة بالضياع ومنها تجبى الثروات اليها والمسلمين الباقين بها مسجدان وأعلى أحد أشياخها أنها أخذت من أيديهم سنة ثمان عشرة وخمسة مائة بعد محاصرة طويلة وبها كانت دار الصنعة ومنها تخرج مراكب المسلمين للغزو (قوله ذارفعه) أي عزه ومكانه (نخفض) طيب عيش ومعنى (مالك رفع ونخفض) أي صاحب أحوال ترفع على الابل في السفر وتحيط عنها النزول ويريد أنه ذو قدرة ويمكنه خفض ورفع من أراد (قوله تقف) أي استقث (مصر) قال الهمذاني سميت بمصر بن هرم بن هرمس جد الاسكندر وقال أهل اللغة المصرية الحديثة فسميت مصر لانها حذبين المشرق والمغرب ابن دريد كل بلد عظيم مصر نحو البصرة والكوفة طول مصر من الشجرتين اللتين بين أعج والعريش الى اسوان وعرضها من رقة الى ايه فهي مسيرة أربعين ليلة وافتتحت كلها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عمرو بن العاص بن وائل السهمي والماء افتتحت مصر أي أهلها الى عمرو فقالوا له أيها الامير ان نسيتنا هذا سنة لايجرى الاجبا فقال لهم ماذك فقالوا له اذا كانا اثنا عشرة ليلة نقول من بؤنة من أشهر العجم عمدنا الى جارية بكرين أبوها فأرضينا أبوها وجعلنا عليهما من الحلى والخلل أفضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بؤنة وأيب ومسرى وهي أسماء ثلاثة أشهر للقبض لايجري النيل فيها الا قليلا ولا كثيرا حتى هو بالخلع عنها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر بطاقة وكتب الى عمرو ان بعث اليك بطاقة فالتقها في النيل فاخذ عمر البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى يلى مصر أما بعد فان كنت

انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار
 أن يجريك فالتى البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب يوم وقد تم أهل مصر للجلاء فلما أتى البطاقة
 فى النيل أصبحوا يوم الصليب وقد أجزأ الله تعالى ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة فقطع الله تعالى
 ثلاث السنة السوء من أهل مصر قال ابن جبير ومدينة مصر كبيرة عامرة مختلفة الاسواق من المدن
 التى سارت بأوصافها الرفاق وهى على شط النيل وعلى النيل فى مقابلتها قرية كبيرة الشأن
 كثيرة البنان تعرف بالجزيرة وتعرض بينهما جزيرة فيها مساكن حسان وعلاى مشرفة وهى
 مجتمع لهم وأهل مصر ومنزههم وينهاو بين مصر خليج يذهب بطولها نحو النيل ولا يخرج له
 وبالجزيرة جامع يحيط فيه ويتصل بهذا الجامع المقياس الذى يعتبر فيه قدر زيادة قبض النيل
 كل سنة وابتداء من شهر يؤنه ومعظم انتهائه اغشت وآخرها أول شهر أكتوبر والمقياس
 عمود خام وضع فى موضع يخصه فيه الماء عند انتهائه اليه وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً
 وكل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسماً متساوية تعرف بالأصابع فإذا استوى الماء تسعة
 عشر ذراعاً فى الفيض فهى الغاية عندهم فى طيب العام وربما كان الماء فيها كثيراً العموم الفيض
 والمتوسط ما استوى سبعة عشر ذراعاً وهو أحسن مما زاد عليه والذى يستحق به السلطان خراج
 ستة عشر ذراعاً فصاعداً وعليها تعطى البشارة للذى يقرب الزيادة فى كل يوم ويعلم بها مياومة وان
 قصر عن ستة عشر فلا يجيئ لذلك السلطان فى ذلك العام ولا خراج الامايعول عليه وبقرية بالجزيرة
 يوم الأحد سوق عظيمة يتحدث بها وعلى نحو سبعة أميال فى الصحراء التى يقضى منها الى الاسكندرية
 الاهرام القديمة المحجرة البناء الغربية المنظر المربعة الشكل كأنها القباب المضروبة قد قامت
 فى جوار السماء لاسيما الاثنان منها فى سعة الواحد منها من ركنه الى ركنه ثلثمائة خطوة وستون
 خطوة محددة الاطراف فى رأى العين وربما أمكن الصعود اليها على خطر ومشقة فتلقى أطرافها
 المحددة كوسع ما يكون من الرحاب قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة وركبت تركيباً بدع الاصاق
 يكاد يجزأ أهل الارض نقض بنيانها وبصر أيضاً المسجد المنسوب الى عمرو بن العاص وبها الجبانة
 المعروفة بالقراءة وهى من عجائب الدنيا لا تحصى عليه من مشاهد الانبياء وأهل البيت والصالحين
 والعلماء وذوى الكرامات من أهل الزهد وبها قبر أسية امرأة فرعون وبها مساجد معمورة
 بالليل والنهار يبيت بها الصالحون وبها قبر الشافعى محمد بن ادریس الامام رضى الله عنه وهو من
 المشاهد العظيمة احدة الاوتساعا والمشهد العظيم الشأن الذى بالقاهرة حيث رآ من سيدنا الحسين
 ابن على رضى الله عنهم ما هو فى تاوت من فضة مدفون قد نعى عليه نذيان يقصر الوصف عنه بحمل
 بأنواع الدياج محفوف بالمال العبد الكبار من الشع الايض أكثرها موضوع فى أبواب الفضة

الاساءة والكره الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونقضت عوائق الاقامة واعرورت
ظهر ابن النعامة وأجلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومدانة الحين
كلفتها كلف التشوان بالاصطباح والحريران بتنفس الصباح قيناً ثابو ما بها أطوف وتحتى
فرس قطوف انذريت على جرد من الخيل عصبه كصايح الليل فسألت لانقياع التزهة عن
العصبه والوجهة فقيل أما القوم فمشهود وأما المقصد فاملاك مشهود فحدثني ميعه النشاط

وحفأ علاه كله بائمال التفافيج ذهباً في مصنع شبه الروضة يهر الابصار حسـ ما ورجالا وقبه من
أنواع الرغام المزج الغريب الصنعة البديع الترصيع مالا يتخيله الخيالون والمدخل اليها من مسجد
على منالها في التائق خطاته كاهار خام وأغرب ما فيه حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل
شديدا السواد والبصيص يصف الاشخاص كلها كأنه المرأة الهندية ولتراحم الناس على القبر
وانكباهم عليه وتبصهم به وبالكسوة التي عليه مرأى هائل واخباره مصر كثيرة فلنقتصر
على هذه النبتة (الأساة) الاطباء (المواساة) أن يجعلوا أسوة نفسه في ماله فمكة اسمك فيه
(رفضت) تركت (علائق) أسباب تتعلق به فقبضه (تفضت) أزالت واطرحت ونقضت ثوبى
من القبار أثرتة عنه (عوائق) موانع وهى ما يصرف الانسان عن وجهه الذي يعزفه ويريده
(اعرورت) ركبته عريا (ابن النعامة) الطريق وقيل صدر القدم قال عنترة

* وابن النعامة عند ذلك مركبى * وقيل ابن النعامة الساق وقيل عرفى الرجل وقيل الفرس
الفاره (أجلت) أسرع (النعامة) واحدة النعام (معاناة) مقاساة (الايين) الفتور من التعب
(مدانة الحين) مقارنة الهلاك (كلفتها) أى أحبتها وولعت بها (التشوان) السكران
يزيد أنه فرح فرح السكران اذا أصبح للشرب وهو الاصطباح والمهموم بالليل اذا طلع ضوء النهار
انجلي همه فجعل يماض الفجر (تنفس) أى انتشر (ا) فى الظلام (قطوف) متقارب الخطلو
كأنه يطفف خطوهم أى يقطعهم (جرد) ملس والاجرد القصير الشعر (عصبية) جماعة
(مصايح) سرح ويريدهم النجوم (الوجهة) كالجهة) وهو كل موضع استقبلته وقصدته وتوجهت اليه
(املاك) نكاح وأملك الرجل املا كزوج وأملكه غيره وزوجه وشهدنا املا كـ أى عرسه
* ابن عررضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم من شهد املاك امرئ مسلم فكأنه صام
يوما فى سبيل الله واليوم بسبعائة (مشهود) أى محصور (حدثني) ساقنى (ميعه) حدة ونشاط

(١) قوله فجعل يماض الفجر تنفس أى انتشر الخ كذا فى النسخ التى بأيدينا وامل فيها سقطا او تحر يقام النساء
ونودا تنسبم النسخ الناقش من عدم الاعتناء بم اوقفا لنها على اصلها الصحيح ولعل الاصل واقعا علم فجعل يماض
الفجر تنفس الصباح أى انتشر ضوءه فى الظلام ونحو ذلك تأمل واقتول الهلابة اه معصمه

على أن سرت مع الفراط لافوز بجلاوة اللقاط وأخوز حاواء السماط فافضنا بعد مكابدة الغناء الى دار ربيعة البناء وسبعة الفناء تشهد لبائنا بالثراء والسنة فلما تزلنا عن صهوات الخيول وقد تمنا الاقدام للدخول رأيت دهليزها مجلا بلاطاً مخرقة ومكلا بمخاريف معلقة وهناك شخص على قطة فوق دسكة لطيفة قرأني عنوان الصحيفة ومراى هذه

والمبعة أول الشباب وأول جرى القرس ومبعة كل شيء معظمه و (الفراط) السباق المتقدمون الواحد فارت (اللقاط) ما يلتقط من العرس بما يثريه الحاضر ينحو الكعل والنخيص وما يثريه يسمى نثارا وكان نثار العرب في عرسهم التمر (أخوز) أحصل (السماط) السوق التي جوانبها صفان متقابلان والسماط أيضاً أن يصطف العسكر صفين متقابلين والسماط الصف منه ومنه سمط الجوهر تلصق مائدة باخرى ويجلس الناس عليها صفين متقابلين والسماط الصف منه ومنه سمط الجوهر ومنه الشعر السمط وهو الذي أباياه مفصلة على أجزائه متقابلة وقد نهنا عليه في الحادية عشرة (مكابدة) مقاساة وهي من الكبد كان الكبد يتعب بهماو (الغناء) التعب (رفعة البناء) قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيراً ما فاقى البناء وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى مثاق غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء فإن أجرو جازماً استفتح به أحد من خلق الرحمن وقال بعض الحكماء إذا أيسر الرجل ابتلى بثلاثة أشياء صديقه القديم يحفوه وامرأته تزوج عليها ودارهم يهدمها ويبنها وعلى قوله أما القوم فشهدوا جاء فيهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا اليهود فإن الله عز وجل يستخرجهم الحقوق ويدفع بهم الظلم (وسعة) أى واسعة و (الفناء) الساحة وهي ما حول الدار (الثراء) كثرة المال (السناء) الشرف والرفعة (صهوات) ظهور (دهليز) مدخل الدار الذي تسميه عامتنا الاسطوان والاسطوان عند العرب السوراي واحدها اسطوانة وأنشد أبو موسى الجاحظ في وائده وذكر الدهليز فقال

أوبى في الدهليز منذ أربع * ولم أكن آوى الدهليزاً

خبرى من السوق وشعرى لكم * تلك لجرى قسمة ضيزى

(مجلد) مغطى (أطمار) ثياب خلقة (مكلا) محلقا (مخارف) قنف أو تعاليق للغرباء يجعلون فيها ما يأخذونه من الصدقة والمخارف عند العرب جمع مخرف وهي قفيفة تشبه الزئبل يحترف فيها الرطب أى يمتحن فيها (قليفة) نوع من البسط (دكة) هى الدكان (رابى) شككى وخوفنى (عنوان) دليل (الصحيفة) الكتاب أراد تطيرت بتلك المخارف وأراد أنهم أدار خيبة وحرمان وكان ابن همام في هذه القصة طقيلبا على ما وصف به نفسه من الرفاهية وربما يولع أهل القترف

الطريقة ودعاني التطير تلك المناحس الى أن عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه بصرف الاقدار
ليعرفني من رب هذه الدار فقال ليس لها مالث معين ولا صاحب معين انما هي مصطبة المقيفين
والمدروزين ووليحة المشقشين والجاوزين فقلت في نفسي اناقه على ضلة المسعى واحمال المرمى
وهمت في الحال بالرجعى لكنى استعجبت العود من فوري والقهقرى دون غبرى فولحت الدار
متبرعا الغصص كما يلج العصفور الفقص فاذا فيها أرائك منقوشة وطنافس مفروشة
ونمارق مصفوفة ومجوف مرصوفة وقد أقبل الملك عيس في بردته وتبهنس بن حقدته

والادب يمثل هذا فقد حكيتا عن ابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي مثل هذا في أخبار الطفيليين
على منادتهم بالخلفاء وكثرة أموالهما (البدعة) (١) انشئ البدع الذي لم يفعل قبله مثله
(و الطريقة) القريبة المستطرفة (التطير) التشاؤم (المناحس) جمع منحوس وهو الذي لا يفارقه
التمس وأرائك المخارق والاطمار التي قدم (مصرف الاقدار) هو الله تعالى (رب الدار) مالكها
أو الناظر في اصلاحها ما ذكره عمالاي فهم له معنى ٢ (المقيفين) المكدين وقيل المقيفون جمع مقيف
وهو الذي يقفوا آثار الناس أي يتبعهم يطلب لهم شيا ويدعولهم و (المدروزين) المكدين
ودروزة كلمة أعجمية معناها الكدبة و (النششق) الذي يحاكي أصوات الطيور فتجمع اليه
فيصطادها و (الجاوز) والجاراز الشرطي الذي يتصرف حول السلطان (قوله وليحة) أي متخل
والوليحة الموضع الذي يلج الانسان فيه أي يدخله أو كهف يستتر فيه (القهقرى) الرجوع الى الخلف
(ضلة) ضلالة (المسعى) المشى بجلة أراد أن مشيه كان لغبر فائدة (احمال) ييوسة وجفاف
(فوري) حثي من قبل أن أسكن (الغصص) جمع غصنة وهي ما يتحسق بهم وتجرعها صعب
(ارائك) سرر مرضية (طنافس) بسط و (نمارق) مخاد (مجوف) ستور (مرصوفة) مضمومة
ملتصقة وجعل البيت بهذه الامتعة الكثيرة لانه يت عرس فهي تستعمله وان كان قد رأى
في دهلزه مرقات تدل على فقر فان الغراب في البلاد يعلقون مرقاتهم في دهلز القندق وبينه
في غاية الرفاهية والدار المذكورة انما كانت قدقا للفقراء الغراب والمكدين والجالس في دهلزها
خادم القندق وحين سألها عنها أخبره أنها ليس لها رب معين انما هي دار المكدين والمخارفين وقيل
لاحد المكدين أتبع مع رقعتك فقال هل رأيت صائدا يبيع شبكته (الملك) العروس (عيس) يتجتر
(تبهنس) مثله في المعنى (حقدته) خدمه وأتباعه ويقال حقد العبد يحقد حقدنا اذا ختم
وفي الدعاء واليك تسبي ونحقد أي نخدملك ونعمل لك وقال الشاعر

(١) قوله البدعة ليست في نسخة المتن بكبرى وكأب في نسخة البدعة الطريقة اه (٢) قوله ما ذكره
لا يفهم معنى هكذا في النسخ التي بأيدينا وهي مع ما قبلها لا تشبه ولا يفهم لها معنى ولعل هنا كلاما مسقط من
النسخا تشتملهم هذه الجملة ونعود لنسب من سبق النسخ اه محببه

حين جلس مكانه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل الاجلاء وحرمه سنان

حفدا للولدينتين وأسليت * بأكفهن أزمة الاجال

أبو عبيدة يقال حفدي حفد وأحفدي حفد وفسر طاوس قوله تعالى بين وحفدة أى خدما فهو مطابق للغة وفسر ابن مسعود رضى الله عنه بالاختان وهو مطابق لما فى المقامة لان المكدين لاخدم لهم وقال الفراء رحمه الله الحفدة جمع حافد ككامل وكيلة (ابن ماء السماء) الجوهري ماء السماء لقب عامر بن حارثة الازدى أبو عمرو من بقاء الذى خرج من اليمن لما أحس بسبل العرم وصحى ماء السماء لانه كان اذا جذب قومه ما نهم أى كفاهم موثتهم حتى يأثمهم الخصب فكأنه خلق من ماء السماء وقيل لولده نوما ماء السماء وهم ملاك الشام والعرب تسمى أيضا بن ماء السماء لانهم يعيشون بماء السماء قال الازهرى رحمه الله السماء ماء بالبادية وكان اسم أم المنذر ماء السماء فسمته العرب ابن ماء السماء وهو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى وأمه ماء السماء وهى امرأة من النمرين فاسط سميت بذلك لجلالها ولما ملك كسرى الذى اسمه قباد بن فيروز خرج فى أيامه رجل يقال له مردك فدعا الناس الى الزندقة واباحه الحرم وأن لا يمنع أحد أخاه ما يريد فدعا قبادا المنذر ليدخل فى هذا المذهب فأثب وأبى المنذر هذا الفعل الخسيس فطرده قباد من مملكته ونفاه عن الحيرة ودعا الحرث بن عمرو بن حجر أكل المرافاجاه وكان الحرث شليدا ملك فسدده ملكه وكانت أم أنوشروان بن يدى قباديو ما قد دخل عليه مردك فلما رأها قال القباد ادفعها الى لا قصى حاجتى منها قال له قبادونكها فوثب اليه أنوشروان فلم ير ل يسأله أن يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها له فلما هلك قباد وتولى أنوشروان وجلس فى مجلسه أقبل المنذر اليه وأذن للناس فدخل عليه مردك ودخل عليه المنذر فقال أنوشروان كنت أتمنى أمنتين أرجو أن يكون الله تعالى قد جمعهم الى فقال مردك وماهما أياهم الملك قال تمنيت ان أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة فقال له مردك أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم فقال أنك لهنهنايا ابن الزانية والله ماذهب تنرجح جوربك من أنقى مذقت رجليلك الى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل فى ضحوة واحد من الزنادقة مائة ألف وصلبهم وطلب الحرث فخرج هاربا بجميع ملعه وأخذ المنذر فى طلبهم فاخذ من بنى أكل المرافاجاه وأربعين رجلا فضرب وقاهم وألح فى طلب امرئ القيس فلحق بالسموأل وتام القصة فى الثالثة والعشرين (قوله الاجلاء) أى الاختان (ساسان) شيخ المكدين قال القتيبي ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم قال أبو الفتح اسماعيل بن الفضل بن الاخشيذ السراج المكدى فى كتابه حدثنا أبو بكر البطايرنى المكدى حدثنا محمد بن على بن أجبلا النقيه المكدى حدثنا مليك بن صالح المكدى

أستاذ الاستاذين وقدوة النحاذين لاعتد هذا العقد المجل في هذا اليوم الاغر المجل
الا الذي جال وجاب وشب في الكدية وشب فأعجب رهط الصهر ما أشاروا اليه وأذوا في
احضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قدأمال الملو ان قامته ونور القيان نغامته فبشرت
الجماعة بقباله وتبادرت الى استقباله فلما جلس على زريته وسكت الضوضاء لهيبته
ازدلف الى مسنده ومسح مبتله بيده ثم قال الحمد لله المبتدئ بالافضل المبتدع النوال المتقرب
اليه بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال الذي شرع الزككاة في الاموال وزرع نهر السؤال

قال سمعت طرارة المكدي قال قال ساسان ألا أدلك على شجرة الخلد وملائي لي قلت بلى قال هي
الكدية وقوله (استاذنا الاستاذين) حدث أحد بن الحسن قال كنت عند أبي الحسن ابن أبي الفضل
فدخل رجل فذكر أنه شاعر فقال الشعراء ثلاثة شاعر وشعرور وشعرة فاما الشعر المفلح
والشعرور المستعمل والشعرة المستقل لرداء شعره والاستاذون ثلاثة أستاذ في الدين كالعلماء
والفضلاء وأستاذ في الدنيا كالوزراء والعمال والولاة وأستاذ لادين عنده يعلم منه ولادنيا ينفع بها
كالبحار يسمى أستاذوا البناء والملاح وبنو ساسان ملوك الفرس (قدوة) بمقدم (الشحاذين) المكدين
والشحاذ الملقب في المسئلة وشجنت السيف بالفت في صفاته (المجل) العظيم يقال بحلمته يبعث
أي عظمته تعظيما ما غو من البيجل والبيجل وهو الرجل الضخم وفي الحديث اصبت خيرا ببيجل
أي كثيرا اغنما (الاغر) المشهور لحسنه (المجل) الايض (شب) تزعزع ونشأ (الملوان والقنيان)
الليل والنهار و(نغامته) شعره (نورها) يضيها والنغام نبت أبيض وهو ضرب من البهمي منابته
الجمال اذا ليس ابيض يياض شديدا أو بونيفة تبت النغامة خيوطا طول الادقا فمن أصل واحد
فاذا جفت ابيضت كلها وانا حمل النغام كن أشديا ضاوشبه به الشيب قال المراء الفقهسي

أعلاقة أم الوليد بعيدا * أفنان درأسك كالنغام المجل

وقال حسان رضى الله عنه

أوما ترى رأسي تغير لونه * شطافا صبح كالنغام المجل

والنغام مرعى وتعلقه الخيل قال بشر وذكر الخيل

فباتت ليسله وأديم يوم * على البهمي يجزلها النغاما

(زريته) طنفسه والجمع الزرابي وقيل هي الوائد وقيل الثياب الموشاة (الضوضاء) الاصوات
(ازدلف) قرب (مسند) موضع اسناده (سبلته) لحيته وقيل شارب وهذا الخطبة التي ذكر ليس فيها
لفظ الا وهو يتضمن اشارة للكدية (المبتدع) أي القاعل له قبل أن يفعل (النوال) العطاء (المؤمل)
المرجو (شرع) فرض و(نهر السؤال) من قوله تعالى وأما السائل فلا تنهر وقال ابن عمر ان

ونذب الى مواساة المضطر وأمر باطعام القانع والمعتز ووصف عباده المقربين في كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أجده على ما رزق من طمة هنية وأعونه من استماع دعوة بلانية وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها يجزي المتصدقين والمتصدقات ويعحق الربا ويربي الصدقات

ان ابن آدم حين يلحف سائل * يتقدم حتى يلقه فينهره
واقه ان يقصده عبد ملحف * بسؤاله يذنيه منه ويشكره
فسل الاله ولذبه لانتسه * فالله يذكر عبده ان ذكره

وقال أيضا

سألنا دعائنا الجنبه * لهم علينا بالقبول منه
من سال منهم وليك أعطينه * ولو بمرة فواسينه

أوأجل الدلائل تنهره (١) * وان يكن يلحف فاعدره * وأدع له الله وصبره
(قوله نذب) أي دعا وحضر (المضطر) الشديدا ل حاجه (القانع) المتدلل عند السؤال (والمعتز) المتعرض للعرف (والمحروم) الذي لا يسأل أحدا شيئا وهو محتاج (طمة هنية) الكدية لان فائدتها تحصل بلا تحمل تكلف ولا مشقة (دعوة بلانية) قولك للسائل الله يعطيك وسع الله عليك وقبحه وأنشدوا فيهم

ورجال ونساء * ونلت ونبتونا
واذا يدعي لهم رو * ماتراهم يغضبونا

وقال آخر

ألم ترضى أبغضت ليلى وذكرها * كما أبغض المسكين دعوة سائله

لان السائل لا يطلب من المسؤول الدعاء انما يطلب ما يشبع الامعاء وما يستطرف من هذا ما حكي الاسمي قال مربي اعرابي سائلا فقلت له كيف حالت قال أسأل الناس الخافا فيعطوني كرها فلا يؤجرون علي ما يعطوني ولا يبارك لي فيما آخذ والعمرين ذلك فان والاجل قريب والامل بعيد سأل اعرابي رجلا يكنى أبا عمرو عنده رزق قال يرزق الله فعاد اليه يوما آخر فقال بمثل ما قال أمس وتخضع فقلت منه ضرورة فقال الاعرابي

ان أبا عمرو لمكبوس الوسط * اذا سألناه تعطى وضرب * اعطاؤه يرزق الله فقط

(أشهد أن لا اله الا الله) أي أعلم وأبين ومنشهد الله أعلم وبين أنه لا اله الا هو ومنه شهد الشاهد عند الخلاكم أي بين له ما عنده وأعلمه الخبير (عحق) يزيل ويستأصل (الربا) الحرام وأصله الزيادة (ويربي)

(١) قوله لا تنهره أي لا تزجره ويقرأ بحذف الف لا لضرورتها لوزن اه معجمه

وأشهد أن محمداً عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتغى لينسج الظلمة بالضياء ويشصف الفقراء من الاغنياء فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين وخفض جناحه للمستكين وفرض الحقوق في أموال المثرين وبين ما يجب للفقير على المكثرين صلى الله عليه صلاة تحيطه بالرفقة وعلى اصفياه أهل الصفة أما بعد فإن الله تعالى شرع التكاح لتعققوا وبن الناس لكي تتضاعفوا فقال سبحانه لتعرفوا يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا وهذا أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم فإن الله عالم الغيوب والافئ الصراح والهريير والصباح

يزيد ويكثر أي يضعفهاله (ينسخ) يزيل (المسكين) الضعيف المذليل (وخفض جناحه) لأن جانبه فهو مثل للاشفاق والحنان وأصله ان الطائر انما يخفض جناحه على فراخه ويحفظها به شفقة عليها قال الله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة (واستكان) خضع وذل وهو استفعل من كان أصله استكون نقلت حركة الواو الى الكاف فانتقلت ألفا لآخر كما في الحكم وانفتاح ما قبلها فهي في الأصل كاستقام وبابه أو يكون افتعل من السكون لان الخاضع يقلل الكلام وأصله استكن فوصلت فتحة الكاف بألف كقوله * قلت وقد جرت على الكلكال * أراد الكلكل وقال تعالى فما استكانوا اليهم وما يتضرعون وأنشدوا على * فما استكان لما لاقي ولا خضعا * (قوله المثرين) الاغنياء (الرفقة) القرية يتقرب بها الى الله تعالى (أصفياه) (الصفة) تشبه القبلة والصفة كالسقيفة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرباء يظعنون اليه من الجهات وليس عندهم شيء فيسكنون سقائف المسجد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض الناس على الصدقة عليهم وكان يجلس لهم فيعلمهم القرآن وخصهم بالحريري بالذكر لانهم حاله يشبهون بها المكدين من لباس الخلقان والعيش من صدقات الناس فهم يتأسون بأهل الصفة ويجعلونهم حجة على من زجرهم وعما يحسن أن ينشد في هذا المعنى قول ابن عمران

السائلون عيال الله والمال * لله فابنه فيهم خاب من لو ما

لجده على ثقة بالله من خلف * يا ويح من كان للرحن متهما

واحد من الرد ان الله يحقته * من غير عذر وشوم الشح قد علما

(الشعوب) جمع شعب وهو أكبر من القبيلة (الدراج) كاه بذات الكثرة حركته (ولاج) كثير الولوج على الناس للكديبة (خزاج) كثير الخروج في طلب رزقه والولاج الخراج الذي يحسن الدخول في أموره والخروج منها ويقال فلان ولاج خراج اذا كان مختصراً في أموره نفعاً لا ولياً له ضرراً لاعدائه (والافئ) سوء الكذب (الصراح) الظاهر الذي يريد أن اذا وصف حاله في كديته لا يكلم إلا بالكذب (الهريير) كثرة الصباح والشر وهريير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد

والابرار والالحاح يحضب سليطة أهلها وشريطة بعلها قنيس بنت أبي العنيس لما بلغه من التحاقها بالحنافا واسرافها في اسفافها وانكاشها على معاشها واتساعها عند هوانها وقد ذل لها من الصداق شلافا وعكازا وصقاعا وكرازا فأنكسوه انكاح مثله وصلاوا جلهم بحبله وان خفتم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وأسأله أن يكثر في المصائب نسلكم ويحرس من المعاصب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته

(والابرار) الانتقال والاضحار يريد أنه يوالى الصباح على من يكذبهم ويثقل عليهم بالعتب على ترك الصدقة حتى يفقدوا منه (والالحاح) المداومة والاكتار من السؤال وقدم الخطيئة المدينة في سنة معجبة فثنى أشرافها بعضهم لبعض خوفا من لسانه وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو يأتي الشرف منافان أعطاه جهده نفسه وإن حرمه هجاء فجمعوا له بينهم أربعمائة دينار قالوه فقالوا هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان فأخذها ووظنوا أنهم قد كفوا المسئلة فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل وهو يقول من يحملني على بغلين كفاه الله كية النار (السليطة) الجديدة للسان وقد سلطت فهي سليطة (شريطة) موافقة (بعلها) أي زوجها أي جاءت على شرط زوجها فهي مثله في خصالها كلها (قنيس) اسمها وهو من القنيس وهي الشعلة كأنها لخدمته أشعله تار تحرق ما مرت به (عنيس) من العيوس ونونه ونون قنيس زائدتان (الحنافا) ارتدائها والتوائها فيه (الحانها) الحاحها في السؤال (اسفافها) تساقطها على ما تجمع من الناس والاسفاف التبغ لما داق الأمور والاسفاف الدخول في الأمر الدني وقد أسف تعرض للأمر الدني (انكاشها) انحفاؤها واجتماعها (اتعاشها) قيامها وارتفاعها (هراشها) مشارتها وقرباتها والمهارة أصلا للكلاب وهي أن يترافع الكلبان ويتناجحا ويعض كل واحد صاحبه فجعل مدافعتا عند الشر لا قرانها ومضارتها كالهراش للكلاب ولا تكل عندهم نجابتها حتى تفوق أقرانها في الشر والسب والقباح وضرب الكف على ذلك والانهي ناقصة (بذل) أعطى (شلافا) ثوب مرقع وليس يعزى وقيل هو شبه المخلاة وقيل هو خريطة تجعل فيها كسر الخبز (عكازا) عصا ترفع بها الأبواب وتضرب بها الكلاب (صقاعا) خرقة بالية تجعلها على رأسها (كرازا) أداة تعلق في ذراعها تجعل فيه الصدقة وقيل الكراز أداة لشرب الماء وتسميه عامتنا الكرازة فكان صداق هذا المرأة لو باصر فعاتبته بالكدية وخرقة بالية لرأسها وعصا ترفع بها الأبواب وأداة ما أن تجعل فيه ما يدق من الصدقة أو تجعل فيه ما طشربها عند طوافها بالكدية والكرز هو الخرج والكرز كش يحمل عليه الراعي أداته (عيلة) فقرا (شملكم) عددكم (المعاصب) المهالك وخطأ أبو محمد في الدرر من يذهب من الخواص بالعيلة إلى العيال وقال إنما العيلة الفقير بدليل قوله تعالى وإن خفتم عيلة

وتصرف الفعل منه عال يعيل فهو عائل والجمع عالة وفي التنزيل العزيز ووجدك عائلاً فأغنى
وفي الحديث لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وأما الذين يعالون
فهم عيال وواحدهم عيل كجيد وجيد وجمع عيال على عيائل كركاب وركائب وأعال فهو وعيل
ككثير عياله وعالهم يعولهم وفي الحديث ما دأب عن قول ومن كلام العرب والله لقد عدلت
حتى علمت أي صنت عيالي حتى افتقرت وأما قوله تعالى ذلك أدنى أن لاتعولوا فغناه أن لاتعولوا
وقال بعض العرب لحاكم حكم عليه بما لم يوافق الله لقد عدلت على في الحكم أي أجزت ومن فسر
في الآية تعولوا بان معناه تكثر عيالكم فقد هوهم (١) وأذفر غنامن تفسير هذه الخطبة الهزلية
وقد قدمنا أن ابن همام في هذه المقامة طفيلى فنذكر هنا العهد الذي كتبه الصابي بأمر معز الدولة
لمحمد بن فريسة الطفيل بغداد وقد استخلفه على التطفيل فان هذا العهد يوافق خطبة المقامة
في كثير من أغراضها وذلك عهد محمد بن عبد الرحمن إلى الفضل بن النعمان حين استخلفه على
سنه واستنابه على حياطة رسومه وسنته من التطفيل على أهل مدينة السلام وما يتصل بهامن
أرباضها وأكناها وما يجري معهما من سوادها وبياضها وأطرافها المتوسمة فيسه من قلعة الحلب
وشدة اللقاء وكثرة اللقم وجودة الهضم وأمره أن يوسم اسم التطفيل ومعناه ويعرف مغزاه ومضاه
ويتفهمه تصفح الباحث عن خطه بمجهود غير التائل فيه بتسليمه وتقليده فان كثيراً من الناس
قد نسب صاحبه للشر والنهم وجعله على الجشع والقرم فقه من غلط في استدلاله فأساء في مقال
ومنهم من شخ عياله فدفع عنه باحتياله وكلا الفريقين مذموم وجميعهما مليم ما لم لا يتعلقان
بعذر واضح ولا يتعريان من لباس فاضح وقد عرفت بالأخى بالتطفيل ولا عار فيه عند ذوى التحصيل
لأن التطفيل مشتق من الطفل وهو وقت المساء وأوان العشاء فلما كثر استعمال في صدور النهار
وبجزه وأوله وآخره كقبيل القرآن للشمس والقمر وكقبيل العيران لأبي بكر وعمر وأمره أن يعتمد
مواد الكراء والعظام يعراياه ويسقط الأمر بديراياه فانه ينظر من ارادته بالقيمة الباردة
ويصلهم إلى الغريبة الساردة فيجلبهم من ظرائف الألوان المألذة للسان وبدائع الطعوم
السائغة في الحلقوم ما لا يجده عند غيرهم ولا يناله إلا لديهم لخلق صناعتهم وجودة أدواتهم

(١) قوله وس في الآية الخ في الكشف والفي يحكى عن الشافعي رحمه الله انه فسر ان لاتعولوا ان لاتكثر
عيالكم فوجهه ان يعيل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم ماتهم عولهم اذا انفق عليهم لان من كثرة عياله
لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلامه من
اعلام العلم وأمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحل على الصحة والسداد وأن لا ينظر في تحريف تعيلاوا تعولوا
فقد روى عن ابن الخطيب رضي الله عنه لا تظن بكلمة خرجت من فإخيل سوء وانت تجد لها في الخير جملا
وكفى بكنا المترجم بكاتب شافى الذى من كلام الشافعي شاملا عليه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب
من يخفى عليه مثل هذا ولكن العلماء طرأوا السبب في تفسير هذه الكلمة طريفة الحكايات اه نقله معجمه

وخصب ناديمهم وكثر ذنات أيديمهم والله يوفى من ذلك حفظنا ويستدفعوه لحظنا ويوضع عليه
 دليلنا ويسهل اليه سيدنا وأمره أن يجتلب التكرمة ممن يحصل منهم وده ويستدعي بالتلطف
 فائده وورفده وكثيرا ما يتفق ذلك للداخلين ويتيسر للتوصلين وأمره أن يصاقد قهارمة الدور
 ومديرها ويرافق وكلاء المطايح ومديرها فانهم يملكون من أصحابهم أزمة مطاعهم ومشاربهم
 وأمره أن يمهدها أسواق المتسوقين ومواسم المتبايعين فاذا رأى وظيفة قد زديفها أو أطمعه
 قد احتشد منها اتبعها الى القصد منها وشيعها الى المنزل الحاوى لها واستعلم ميقات الدعوة
 ومن يحضرها من أهل اليسار والثروة وأمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين ومحافل الرعا
 المقترين وأن لا يتقبل اليها قدما ولا يغفر لها كلها فانها عصابة تجتمع على مضض النفوس
 والاحوال وقلة الاحلام والاموال وفي التطفيل عليها أخفافها يؤلم وازاء برودة التطفيل ينلم
 وأمره أن يحوز تلوان اذا حصل والطعام اذا نقل حتى يعرف بالحدس والتخمين عند الألوان
 في الكثرة والقلة واقتناها في الطيب واللذة فيقدر لنفسه أن يشبع مع آخرها وينتهي عند
 انتهائها فلا يفوته نصيب من كثيرها وقليلها ولا يخطئه الحظ من دقيقها وجليلها ومتى أحسن
 بنقله الطعام وجره آمن في أوله وامعان الكيس في سعيه والرشد في أمره فانه اذا فعل ذلك سلم
 من عواقب الاشغال الذين يكفون طرفا ويقاؤون نادبا ويطنون ان المائدة تبلغهم الى آخر حاجتهم
 ونتمى بهم الى حد غايتهم فلا يلبثون أن يتجأوا لاجل الواثق الراغب وينقلوا بحسرة الراهي
 الخائب وأمره أن يروض نفسه ويغالط حسه ويضرب عن كثير مما يطعمه صفحا ويطوى دونه
 كثيرا ويستحسن الصمم عن الفحشاء ويخضع عن اللقمة الخسنة وان أتمته الوكر في حلقه صبر
 عليها لاجل الوصول الى حقه وان وقعت الصفعة في راسه عض عليها بما وقع أضراره وان لقيه
 لاق بالجهل قابله بالطف والصفاء اذا كان ولج الابواب وخالط الأصحاب وجلس مع الحضور
 واختلط بالجمهور فلا بد أن يلقاه المنكر لأمره ويمر به المستغرب لوجهه فان كان حرا حسنا
 أمسك ونذم وان كان قضا غليظا مهمهم وتكلم وأن يستعمل مع المخاطبة الملاينة وأن يجتنب
 عند ذلك الخاشنة ليرد غيظه ويقل حذره ويكفر غريبه ويامن سعيه وأمره أن يتعهد الجوارشات
 المعدة للعدد والقوية للعدد المشبهة للطعام السهلة لوسائل الانضمام وان يكون في اتخاذاها
 كالكتاب الذي يخطأ أقلامه والفارس الذي يصقل حسامه وأمره اذا غشى أبواب الملوك
 أهل السلطان أن يصانع البواب والحجاب ويخدم القواد والكتاب فاذا دخل السواد الاعظم
 توسط الجمع لا يتأخر ولا يتقدم بعد أن يجمل ثيابه ويحسن كلامه وجوابه فطعام الامراء
 تدعى اليه الحفلة احتفالا ويتكفل بالوفود على العوم كقالا فهذا العهد مطابق لاحوال

وأبرم الخن عقد خطبته تساقط من النثار ما استغرق حدًا لاكثر وأغرى الشجع بالايثار
ثم نهض الشيخ بسبب ذلك وبقدم أرائه (قال الحرث بن همام) تتبعته لانتظر عرجة القوم
وأكل بهجة اليوم فجاج بهم الى سباط زينت طهاته وتناصفت في الحسن جهاته فحين رجع
كل شخص في ريشته وطقق يرتع فروضته انسلت من الصف وفقرت من الزحف لحاذت
من الشيخ افتة الى نظرة هجم بها طرفه على فقال الى أين يا برم هلا عاشرت معاشره من فيه كرم

هذه المقامة (قوله أبرم) أى أحكم وسدد و (الخن) ولى الزوجة مثل الاب والآخر وابن العم فهم
الاختان وكل شئ من قبل الزوج فهم الاجاء واحد هم جامل قفا وجوم مثل أبو وحم ومهموز
والاصهار تجمعهما و (الخطبة) مراسلة المرأة للزوج و (النثار) ما تتركه من الدراهم
وقد نثر الشئ ثرا اذا رميت به متفرقا وأصحاب الزوج تدخلهم حية عند ذلك فينترك واحد
منهم من الدراهم ما أمكنه فجمع ويشترى منها أنواع الاطعمة ولذلك قال (أغرى الشجع بالايثار)
أى حرضه على أن يتكرم و (استغرق) جاوز وحدث ابن قتيبة عن أبي عثمان قال مررت ببعض
قبا جمع فيه خلق كثير فسألت بعضهم ما جهم فقال هذا سيد الحى تزوج منافقة فتكلم
الشيخ فقال الحمد لله وصلى الله على رسول الله أما بعد فان الله جعل المناكة التي رضيناها فلا
وأثر لها وجب اسباب المناسبة وان فلانا ذكرا فلانة وبذلك لهما من الصداق كذا وقد زوجته اباهما
وأوصيته بوصية الله فيها ثم قال هاؤنا اننا تركم فقبلت على رؤسنا غرا القوم (ذلالة) أى اطراف ثوبه
والذل مال الى الارض من أسدل القميص (ارأله) جمع أرذل وهو الدنى والرذل والمرذل والزديل
الدون و (العرجة) التعرج و (شال ما عليه عرجة ولا تعرج أى اقامه وبهجة الشئ حسنه
ونضارته و (عاج) مال و (السماط) كل مستوعلى نسق وصف الناس سباط وأراد به المائدة
و (الطهارة) الطباخون من الناس (تناصفت) اعتدت وأتصف كل بزم من صاحبها و (التناصف)
اعتدال الحسن (ربح) جلس يقال ربحت بالمكان أقتنيه و ربحت الحجر رفعت يدي لانتظر شدي
وربح وقف وتحبس (ربضته) موضعه الذى يقعد فيه والربضة القطعة الغليظة من الثريد
(يرنح) ياكل وفلان يرتع أى هو مخصب لا يعدم شيأ يريد (الروضة) موضع العشب وأراد بها
ما بين أيديهم من الطعام (الزحف) الضرب والوثوب الى الشر وأراد أنه لما جلس كل انسان
أن يأكل خشى هوان جلس للاكل أن يقرم ويشتره بأنه طفيلى فيحتاج أن يتدافع وأن يتواذب
مع صاحب الطاوت في غن ما أكل فقرر من ذلك والزحف مشى الاعى (لفتة) نظرة بالتواء كأنه
يلوى عتقه فينظر ولقت اليه لفتتا و لفتت صرف وجهه اليه و (هجم) دخل عليه بغتة (برم)
يجيل وهو الذى لا يدخل مع القوم فيلذذوا فيه من المغم و (المعاشرة) ترك الخلق في الصحبة

فقلت والذي خلقها طباقا وطبقها اشراقا لاذقت لمتا ولاستد رقاقا أو تخبرني أين مدب
صباك ومن أين مهب صباك قنفس الصعداء مرارا وأرسل البكاء مدرارا حتى إذا استنزف
الدمع استنصت الجمع وقال لي أرعني السمع
مسقط الرأس مروج * وبها كنت أموج * بلدة يوجد فيها * كل شئ وبروج
وردها من سلسيل * وصحاريها مروج * وبنوها ومغاياهم نجوم وبروج

(طباقا) جمع طبق أي هي طبق فوق طبق يعني السماء و (طبقها) ملاها وعما يقال طبق الغيم
تطبيقا إذا أصاب بمطر جميع الاوض (اشراقا) نور اوضوا (لماها) الاصمعي رحمه الله هو ما يشرب
فان أردت نفيه قلت ما ذقت لمتا وأنشد

كبر في لاج يحجب من رآه * ولا يشئ الحوائث من لاق
الحوائث العطاش وحكي يعقوب أن الملق يصلح في الاكل والشرب قال ابن كيسان هو الشئ اليسير
من الطعام والشراب (الستد رقاقا) أكلت خبز امرقا واللوس تتبع بقية الشئ الخلو في ذلك
* ابن سبيد لاس لوسا تتبع الخلاوة فأكلها وماذا فلو سا ولا لوسا أي ذواقا ولا يابوس كذا
أي لا يتناول (أو تخبرني) حتى تخبرني (أين مدب صباك) يريد أين ولدت فديت صغيرا
(مهيب صباك) محي مريحك وأراد أين يملك (الصعداء) النفس يتوجع وهي من فعل المهموم
(استنزف الدمع) استفرغ بالبكاء حتى انقطع وزف وأزفه أفناه بالبكاء (استنصت الجمع) أمرهم
بالسكوت (مسقط الرأس) يريد الموضع الذي سقط فيه رأسه عند ما ولد (أموج) أنصرف وأتحرك
والمناجم المضطرب (بروج) يتجمل (وردها) ماؤها (السلسيل) عين في الجنة والسلسيل النجر
و (المروج) المواضع الخصبة (مغانيم) منازلهم (البروج) منازل القمر وأراد أنهم في الحسن
والرفعة كالنجوم وأن دورهم في العلو والاستواء كالبروج وسبقه الخلو إلى القبر وإلى هذا التشبيه
فقال يتشوق إلى القبر وإن بعد خرابها

ليت شعري وليت حرفن * ربما علل القواد السقيم
كيف يا قبر وان حالك لما * نغوالين سلكك المنظوما
كنت أم البلاد شرقا وغربا * فحلا الدهر وشيك المرقوما
نحن أولادها ولكن عققنا * بعد أن لم نطق بهم أن نقيم
دمن كانت البروج وكنا * أقرا في بنائها ونجومها

وقال السري يتشوق إلى الموصل وكان يجلب

أجل صبوتنا دعاء مشوق * يرتاح منك إلى الهوى الموموق
فهي أزور قبلي مشرفة الذرا * فادورين النسر والعيسوق

حبذا نعمة ربا * ها وها آها الهيج * وأزاهير دياها * حين تعجب النلوج
من رآها قال مرسي * جنة الدنيا سروج * ولئن نزع عنها * زفرات وثشيج
مثل ما لاقت منذ حزن عنى عنها العالوج * عبرة همى وشجو * كلما فر بهيج
وهموم كل يوم * خطبها خطب مرهيج * ومساعف الترحى * قاصرات الخطوعوج
لبت يومى حم لما * حملى منها الخروج

فأرى الصوامع فى غوارب أكها * مثل الهوادج فى غوارب نوق
محيرة الجدران ينفع طيها * فكأنهم مبنية بخلاق
حمر نالوح خلالها يرض كما * فصلن بالكافور بين عقيق
كأن تذكر قبل نهاية النهى * ظلين ظل هوى وظل حديق
فتفرقت عبراته فى خفة * اذ لا يجبره من التفريق

وقال العالى ما نظرت الى الصوامع مذبرزت من نيسابور الا ذكرت يته فارى الصوامع واستأنفت
الحجب من حسن هذا التشبيه وراعتة (نعمه رباها) أى حركة رانحتها الطيبة (مرآها الهيج) منظرها
الحسن (وأزاهير دياها) أنوار كدائها وهى جمع أزهار وأزهار جمع زهر وهو النور (تعجب) تزول
ثم قال سروج هى الموضع الذى أرسب به جنة الدنيا أى ثبت فيه فكانه قال جنة الدنيا هى سروج
وسروج هذه بلدة قري وعمارات وهى من بلاد الجزيرة وكورها المشهورة والجزيرة انقسمت قسمين
ديار ربعة وديار مضر وسروج من كور ديار مضر وهى ثغرة انا كان للسلمين قوة على كونها واذا
ضعفوا غلبهم الروم عليها وهى كثيرة الثلج والبرد (قوله نزع) يبعد (النشيج) البكاء (والزفرة) تنفس
المهموم (زحزح) تخاف (تهمى) تسيل (شجو) حزن (تر) سكن (هيج) يضرأ (خطبها) أمرها
(مرهيج) مختلط (مساعف) مواضع تصرفه ويكون المسعى مصدرا بمعنى السعى (قاصرات) أى قصيرة
وكذا استعمله الان فعلمها قصر واسم فاعلها فاعيل مثل ظرف فهو ظرف (الخطوعوج) جمع خطوة (عوج)
منعوجة (يومى حم) أى يومه وفى قدر أراد لبت انى مت ولا أرى خروجه منها * أنس رضى الله عنه
قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقين أحدكم الموت لضرب له فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم
أحيى ما كانت الحياة خيرا لى ويوفى اذا كانت الوفاة خيرا لى * جابر رضى الله عنه أن النبى صلى
الله عليه وسلم قال لا تنموا الموت فان هول المطلاع شديد وان من السعادة أن يطول عمر العبد وأن
يرزقه الله الابانة وفى معنى وصفه سروج وبكائه عليها قال الحضرمى الاعشى تشوق الى القبر وان

أيا سقى الله أرض القبر وان حيا * كأنه عراقي المسهلان
كأنهم الله الجنة تزيها * مسكية وحصاهاجوهرات

قال فلما بين بلده ووعيت ما أنشده أيقنت انه علامتنا أبو زيد وان كان الهرم قد أوثقه ب قيد فبادرت الى مصاحفته واعتقت مؤاكلته من محففته وظلت مدة مقامى عصر أعشوا الى شواطه

أرض أريضة أقطار مباركة * لله فيها براهين وآيات

وحدثني الفقيه أبو عبد الله بن زرقون في بستانه بطريانة أيام قراءتي عليه الزاد والكمال وكان رحمه الله ذا كرايا الطريقة الادبية مع غيرة بالطريقة الفقهية فدارت بيني وبينه في احدى العشيات أنواع من اللذات في فنون أدبيات فاهتز رحمه الله وهش وأظهر السرور بي وأنا يومئذ غلام ما بقل عذاري فقال لقد علمت أن بيني وبينك أخوة قلت وكيف ذلك يا سيدي فقال اني ولدت ببلدك شريش فزددت بالحديث غبطة واستزددت منه فقال لي ومع ذلك فتم قصة مستظرفة اعلم اني كنت اجتزت بشريش فافلا من العدو مع الفقيه أبي بكر عبد الله بن العربي رحمه الله فلما صرنا في بطاهاهوا بين كرماتها وجناها أخذ الفقيه أبو بكر يثني عليا بكل لسان على كثرة ما رأي من البلدان ويقول ان الاشياء التي جمعت فيها لا تكاد تجتمع في بلد من كثرة الزرع والضرع والازيت والعصير والمخ وغير ذلك فقلت له أعلمت اني ولدت بها فقال لي أبو بكر انقول أنت الآن

مسقط الرأس شريش	(فقلت له مجيزا)	وبها كنت أعيش
فقال أبو بكر	بلدة يوجد فيها	قلت كل شيء ويريش
فقال أبو بكر	وردها من سلسيل	قلت وصحارها عريش

ثم سرنا في طريقنا على قوافي السروجية فرددنا هاشريشية وقطعنا بها الطريق ونحن لانشعر فكأنت أسرعشية رأيت بجبالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد نيف على الثمانين يستنني يحدثنني على ابن العربي وابن عبدون الكاتب ونظر انهم في رياض كلها ترهته على نهر اشيلية وهي أمامنا على بهجتهم وجمالها مادحى ولبادى ليدخل على بذلك مسرة تسأل الله تعالى أن يبلغه غاية السرور في دار البقاء (قوله ووعيت) أى حفظت (علامتنا) عالمنا المشهور بالعلم (أوثقه) ربطه وشده وقد تقدم هذا القبيل من الهرم في أخبار وأشعار حسان (مصاحفته) معافته ووضع كفى على كفه * ابن عمر رضى الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعا امرئ يصفح أحاط ليس في صدر واحد منهم ما على أخيه احنة لم تتفرق أيديهما حتى يغفر الله عز وجل ماضى من ذنوبهما الاحنة المحقد (اعتجت) حسبها غنية (مؤاكلته) الاكل معه * ابن عمر رضى الله عنهم اطعم السخى دواء وطعام الشحج داء (ظلت) أى دمت قال الله تعالى الذى ظلت عليه عاكفا أى دمت عليه مقبيا قال سيويه رحمه الله أصله ظالمات * الليث يقال ظل خارها مأثما ولا تقول العرب ظل الاكل على النهار كذا تقول بات الاكل بالليل (أعشو) أنظر يصير ضعيف (شواطه) ناره

وأشوصدقني من درر ألفاظه الى أن تعب من غراب العين فنارقه مفارقة الجفن العين
والشواظ لهاب النار التي لا دخان فيه (صدقني) اذني (تعب) صاح (العين) الفراق والغراب
اذ اصاح عندهم تشاعموابه وقد تقدم ذلك (مفارقة الجفن العين) أي مسرعاً بقدر ما تنفع عينك
(من شرح المقامات للشريني)

الباب السادس في المراسلات والمنشآت

(وصية عبد المجيد الكاتب لطائفة الكتاب)

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم وفقكم وأشدكم فإن الله عز وجل جعل
الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوكة المكرمين أوصافاً
وان كانوا في الحقيقة سواء وصرهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم
وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الادب والرواة والعلم والزانة
بكم تنتظم الخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وينصحاءكم يصلح الله الخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم
لا يستغنى الملائع عنكم ولا يوجد كافي الامنكم فوقكم من الملوكة موقع أسمعهم التي بها يسمعون
وأبصارهم التي بها يسمرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يطشون فأمنهكم الله
بما خصكم من فضل صناعتكم ولانزع عنكم ما أضفاد من النعمة عليكم ولادس أحد من أهل
الصناعات كلها أحوج الى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدة
منكم أيها الكتاب انا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكتاب يحتاج من نفسه
ويحتاج منه صاحبه الذي يشق به في مهمات أموره أن يكون حليماً في موضع الحلم فهي في موضع
الحكم مقدماً في موضع الاقبال محجاً ما في موضع الاجرام موثراً للعفاف والعدل والانصاف
كنواً للاسرار وفياعاً عند الشدائد عالم بما يأتي من التوازل يضع الامور في مواضعها والطوارق
في أماكنها قد تفرق في كل فن من فنون العلم فأحكه وان لم يحكه أخذ من بمقدار ما يكتب في به
يعرف بغيرة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل
صدوره فيعدل لكل أمر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتناقصوا يا معشر الكتاب
في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وأبدوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العريضة
فانها ثقاف ألتستكم ثم أجدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبتها
ومعانيها وأيام العرب والحج وأحاديثها وسيورها فان ذلك معين لكم على ما تمسوا اليه همكم
ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودينها
وسفساف الامور ومحارها فانها مذل للرقاب مفسدة للكتاب ونزهة اصناعتكم عن الدنائة

وإربؤا بأنفسكم عن السعاية والتميمة وما فيه أهل الجهالات وإياكم والكبر والسحق والغفظة
فإنهم أعداؤه مجتالون من غير اخنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم ونواصروا عليها بالذي هو أليق
لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وإن بنا الزمان رجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى
يرجع إليه حاله وينوب إليه أمره وإن أقعد أحدكم منكم الكبر عن مكسبه ولقاه أخوانه فزوروه
وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من
اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه على ولده وأخيه فإن عرضت في الشغل محمدة فلا
يصرفها إلا إلى صاحبه وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطه والزلة والملل عند
تغير الحال فإن العيب اليكم معشر الكتاب أمر عنة إلى الفراء وهو لكم أفسد منها لها فقد علمتم
أن الرجل منكم إذا تحببه من يذل له من نفسه ما يجب عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له
من وفائه وشكره واحتماله وخبره ونصيحته وكتمان سره وتبذير أمره ما هو جوارم حقه ويصدق ذلك
تبعاله عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ماله به فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة
الرخاء والسدة والحرمان والمواساة والاحسان والسرور والضراء فنعمت الشئمة هذلمن ورسيم من
أهل هذه الصناعة الشريفة وإننا ولي الرجل منكم أو صير اليهم أمر خلق الله وعباله أمر فليراقب
الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللطاغوت منصفا فإن الخلق عيال الله وأحبهم
إليه أرفقهم بعباله ثم ليكن بالعدل حاكما ولا يشرف مكرما وللقى موفرا وللبلاء دعا مراما وللرعية
متألفا وعن أذاهم متقلبا وليكن في مجلسه متواضعا حائما وفي سمعيات خراجا واستضاء حقوقه
رفيقا وإذا أحبب أحدكم رجلا فليصبر لحالاته فإذا عرف حسنها وقبحها أعانته على ما يوافقه من
الحسن واحتال على صرفه عما يهوى من القبيح بالطف حيلة وأجل وسيلة وقد علمتم أن سائس
البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة أخلاقها فإن كانت رموحا لم يجهها إن أركبها وإن
كانت شبوبا لم يتقها من ينيديها وإن خاف منها شردا نوقها من ناحية رأسها وإن كانت حروبا
قمع رفقها وإن طرقها فإن استقرت عطشها يسيرا في سائس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة
دلائل لمن سائس الناس وعاملهم وجرهم وودا خلعهم والسكايب لفضل أدبه وشره في صنعة ولطيف
حيلته ومعاملته لمن يحاول من الناس وينظره ويفهم عنسه أو يخاف سطوته أو يبارق لصاحبه
ومداراة وتوقيهم أو دمن سائس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطا بالابتدر
ما يصيرها إليه صاحبها الرأكب عليها ألا فارقوا رجلكم الله في النظر واعلموا ما أمكنكم فيه من الروية
والفكر تأمروا بالله الله عن ههنا والنبوة والاستئصال والحقوة وبصير منكم إلى الموافقة وتصيروا
منه إلى المواخاة والشفقة إن شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه ومجلسه وممر كبه

ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فأنكم مع ما فضلكم الله به من شرف
صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال النضيع
والتبذير واستعينوا على عقاقكم بالقصد في كل ما ذكره لكم وقصصه عليكم واحذروا
متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما
ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب ولا مورا أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتلف
أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أو صحتها محجة وأصدقها حجة
وأجدها عاقبة واعلموا أن للتدبير أفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ عمله ورويته
فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليجوز في ابتدائه وجوابه وليأخذ
بمجامع محججه فان ذلك مهلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله في صلته وتوقيفه
وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضري بسدنه وعقله وأدبه فانه ان ظن منكم ظان
أو قال قائل ان الذي برز من جيل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل خيلته وحسن تديره
فقد تعرض بحسن ظنه أو مقالته الى أن يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير من بالي غير كلف
وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقولن أحد منكم انه أبصر بالامور وأجلع بالنسب من
مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوى الالباب من ربي بالعجب
وراه نظره ورأى أن أهمياه أعقل منه وأجل في طريقه وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف
فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكثر على أخيه أو نظيره وصاحبه
وعشيرته وحماته وأوجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لمرزئه والتحدث بتعنه
وأنا أقول في كلبي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب
وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره ونعمته به لولا الله وإياكم
يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعادهم وإرشادهم فان ذلك اليه وسيله والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته

صورة ما كتبه طاهر بن الحسين لابن أبيه عبدالعزيز بن طاهر لما ولما بأموال الرقة ومصر وما بينهما
فكتب اليه أبو طاهر كتاب المشهور عهد اليه فيه وصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه
من الآداب الدينية والخلقية والساسة الشرعية والمالوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن
الشيء مما لا يستغنى عنه ملك ولا سوقه ونص الكتاب

(بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فذلك يتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل
ومزايده تحفظه واحفظ رعيتك في الليل والنهار والزم ما ألبسك الله من المأثية بالذكر لعلك

وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل
وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فإن الله سبحانه قد أحسن إليك وأوجب الرأفة
عليك بمن استعانك أمرهم من عباده وأزعمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب
عنهم والدفع عن حريمهم ومنصبتهم والحقن لدمائهم والامن لسريهم وادخال الراحة عليهم
ومواخذك بما فرض عليك وموقفك عليه وسائلك عنه ومشيئك عليه بما قدمت وأخرت
ففرغ لذلك نعمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل وأنه رأس أمرك وملأك شأنك
وأول ما يوقفك الله عليه وليكن أول ما تلتزم به نفسك وتنسب إليه فعلك الموابطة على ما فرض
الله عز وجل عليك من الصلوات الخس والجاعة عليها بالناس قبلك وواليعا على سننهم من أسباغ
الوضوء لها رافتاح ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك
وتصرف فيه بأيك ونيتك واحضض عليه جماعة عن معك وتحتيدك وادأب عليها فانها كما قال
الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بأخذ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمناجزة على خلانقه واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه
باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه
واهتمام ما جاء به إلا بتأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تبيلن
عن العدل فيما أحبت وأكرهت لقرب من الناس أو لبعيد وآثر الفقه وأهله والدين وجملة
وكتاب الله عز وجل والعاملين به فإن أفضل ما يترتب به المراءاة في الدين والطلب له والحث عليه
والمعرفة بما يقرب به إلى الله عز وجل فإنه اللبيل على الخير كله والقائد إليه والأمر به والنهي
عن المعاصي والمواقف كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة واجلاله ودركال الدرجات
العلي في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوفيق لأمره والهبة لسلطانك والانسنة بك والثقة
بعدك وعلبك بالاتصاف في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعا ولا أخص أمنا ولا أجمع فضلا منه
والقصد داعية إلى الرشد والرشد دليل على التوفيق فأثابى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية
بالاقتصاد وكذا في دنياه كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن
المعروفة ومعالم الرشد والاعانة والاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه الله تعالى
ومرضاته ومرافقة أولياء الله في دار كرامته أما تعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ويحص
من الذنوب وانك لن تحوط نفسك من قائل ولا تنصلح أمورك بأفضل منه فإنه واهته به تتم أمورك
وتزيد مقدرتك ويصلح عامتك وخاصتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقيم لك رعتك والتمس
الوسيلة إليه في الأمور كلها تستمد به النعمة عليك ولا تنهمن أحدا من الناس فيما نولي به من عملك

قبل أن تكشف أمره فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم اثم فاجعل من شأنك
حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه ففهم يعينك ذلك على استطاعتهم
ورياضتهم ولا تتخذ عدواً للشيطان في أمره معهما فانه انما يكتب بالقليل من وهلك ويدخل
عليك من التهم بسوء الظن بهم ما ينقص لثانة عيشك واعلم انك تجد بحسن الظن قوة وراحة
وتكتفي به ما أحبت كفاية من أمورك وتدعوه الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها
ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرافة برعتك أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة
لامور الاولياء وحياطة الرعية والنظر في حوائجهم وحل مشاكلهم ايسر عندك مما سوى ذلك
فانه اقوم للدين واحي السنة وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بقوم نفسك تفتر من يعلم انه
مسئول عما صنع وعجز عما أحسن ومؤاخذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدين ايسر زاعوا ورفع
من اتبعه وعززه واسلك من تسوسه وترعاه منج الدين وطريقه الا هدى وأتم حدود الله تعالى
في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل
العقوبة فان في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتم على أمرك في ذلك بالسنة
المعروفة وجانب البدع والشبهات بسلم الدينك وتم لك مروءتك واذا عاهدت عهداً فوف به
واذا وعدت الخبير فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها وأنقض عن عيب كل ذي عيب من رعيك
واشد لدسائلك عن قول الكذب والزور وانقض أهل التهمة فان أول فساد أمورك في عاجلها
وأجلها تقرب الكذب والجراثة على الكذب لان الكذب رأس المأثم والزور التهمة خاتمتها
لان التهمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر وأحب أهل الصلاح
والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء وصل الرحم واستغ بذلك وجه الله تعالى
واعزأزأهزه والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنها رأيتك
وأظهر راءتكم من ذلك للرعيك وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالعرفه التي تنهى بك الى
سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وآثر الحلم والوقار واياك والحدة والتأيش والغرور
فيما أنت بسبيله واياك أن تقول أنا مسلم أفعل ما أشاء فان ذلك سر يحق النص الرأى وقلة اليقين
بأنه عز وجل وأخلص لله وحده النية فيه واليقين واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء
ويزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة وحاول النعمة الى أحد أسرع منه الى جهالة النعمة من أصحاب
السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفر وانعم اذ احسانه واستطالوا بما عطاهم الله عز وجل
من فضله ودع عنك شرمه نفسك ولكن ذخرك وكنوزك التي تدخر وتكسر البر والتقوى واستصلاح
الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ للمائهم والاعانة للمهوفهم واعلم أن الاموال

إذا كثرت وادخرت في الخزان لا تنمو وإذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الازية عنهم تمت وزكت وصحبت به العامة وترتبت به الولاية وطالب به الزمان واعتقد فيه العزوا المنفعة فليكن كنز خزائنك تفرق الاوال في عمارة الاسلام وأهله ووفر منحه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قوت النعمة لك واستوجبت المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على جباية أموال رعيتك وخراجك أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أسس لطاعتك وطب نفسا بكل ما أردت وأجهد نفسك فيما حدث لك في هذا الباب وليعظم حقك فيه وانما يسبق من المال ما تنفق في سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وأنهم عليه وابالأن تنسب اليك الدنيا وغروها حول الآخرة فتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارح الثواب فان الله سبحانه قد أسبغ عليك فضله واعصم بالشكر وعليه فاعتد بركة الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا عملن حسدا ولا ترجن فاجرا ولا تملن كفورا ولا تداهن عدوا ولا تصدقن نماما ولا تأمنن عدوا ولا تولين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تتحدن مرأيا ولا تحقرن انساانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تحلفن وعدا ولا تذهبن نفرا ولا تظهرن غضبا ولا تبينن رجا ولا تحشين مرعا ولا تزينن سفيا ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع للنام عيننا ولا تنقص عن ظالم رهبة منه أو محاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذعن أهل التجارب وذوى العقول والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من نفعهم وليس من أمر ع فساد الما المستقيت فيه أمر رعيتك من الشخ واعلم أنك اذا كنت حريصا كنت كثيرا لاخذ قليل العطية وإذا كنت كذلك لم يستقم أمرك الا قليلا فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم وال من صفائك من أوليائك بالاتصال اليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشخ واعلم أنه أول ما عصى به الانسان به وان العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوق شخ نفسه فاولئك هم المفلحون فسهل طريق الحق واجعل للسليين كلهم في بيتك حفا ونصيا وأيقن أن الجود أفضل أعمال العباد فأعد لنفسك خلقا واراض به عملا ومنهبا ونفقا لما تحب في دواوينهم ومكاتيبهم وأدر عليهم أرزاقهم وسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقهم فيقوى لك أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانشراحا وحسب ندى السلطان من السعادة أن يكون على جنته ورعيته رحمة في عدله وعطيته وانصافه

وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فذلك مكروه أحد البايين باستشعار فضله الباب الآخر ولزوم العمل به تلقى ان شاء الله به نجاحا حيا ولا حيا ولا حيا واعلم ان القضاء من الله تعالى بالمكان الذي لا يساويه شيء من الامور لانه ميزان الله الذي يعدل عليه أحوال الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتأمين السبل وينصف المظالم وتأخذ الناس حقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقوم الدين ويجرى السنن والشرائع في مجاريها واشتد في أمر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لاقامة الحدود وأقلل العجلة وابعد عن الخبج والقلق واقنع بالقسم واتق بغيرك وانته في حجتك واسدد في منطقتك وانصف الخضم وقف عند الشبهة وأبلغ في العجلة ولا يأخذك في أخدم رعيته بحبابة ولا بحماة ولا لومة لائم وتثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل يمكن عظيم انتهاكها لها بغير حجة وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعلها لله للاسلام عز اورفعه ولا له ولا تسعة ومنعة ولعدوه كبتا وغضا ولاهل الكفر من معادهم ذلا وصغارا فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية بين الخصوص والعوم ولا تدفع شيئا ممن عن شريف لشرفه ولا عن غنى لغناه ولا كاتبك ولا لادمين خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذ منه فوق الاحتمال له ولا تكلف أشرافه شططا واجل الناس كلهم على أمر الحق فان ذلك أجمع لافقتهم والزم ارضاء العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمى أهل عملك رعيته لانك راعهم وقيهم فقدمهم ما أعطوك من عفوهم ونفذ في قوام أمرهم وصلاحتهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم أولى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك فلا يشغلك عنه مشاغل ولا يصرفك عنه مصارف فانك متى آثرته وقت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة منك وحسن الاحدوث في عملك واستجبرت به المحبة من رعيته وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشت العمارت بناصيتك وظهر انخسب في كورك وكثر خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جنك وارضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك وكفنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في أمورك كلها اذا عدل وآلة وقوة وعدة تتنافس فيها ولا تقدم علمها شيئا تحمد عاقبة أمرك ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة عن عملك أمينا يحبرك خبر عمالك ويكتب اليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله ما عينا لا موره كلها واذا أردت ان تأمرهم بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية

ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والافتوق عنه وراجع أهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه يرانظر الرجل في أمره وقد أتاه على ملهوى فأغواه ذلك وأعجبه فان لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره وأكثر مباشرته بنفسك فان لغد أموراً وحوائث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بعافيه فاذا أخرت عملها جتمع عليه عمل يومين فيسغلك ذلك حتى ترضى منه واذا أمضيت لكل يوم عملك أرحب بدتك ونفسك وتستيقن أمر سلطانك وانظر أحرار الناس وذوى الفضل منهم بمن يوت مصفاً طويتهم وشهدت مودتهمك ومظاهرهم بالصنع والمحافظة على أمرك فاستخلصهم وأحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات بمن قد دخلت عليهم الحاجة واحفل مؤثمتهم وأصلح حالهم حتى لا يجردوا لخلتهم مشافر وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك والمهتقر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه أحن مسئلة وكل بما ناله أهل الصلاح في رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وخلالهم لتنظر فيما يصلح الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداءً بماير المؤمنين أعزاه الله تعالى في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشتهم ويرزقك به زيادة وأجر لآمرائه من بيت المال وقدم حله القرآن منهم والحافظين لاكثره في الجرائد على غيرهم وانصب لرضى المسلمين دوراً وتأويهم وقوامير فقونهم وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشمواتهم ما لم يؤد ذلك الى سرف بيت المال واعلم أن الناس اذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانتهم تبرمهم ورجع تبرم المتصفي لآمر الناس لاكثره مايرد عليه ويشغل ذكره وفكره من مآئيل بمؤنة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستنقز ما يقربه الى الله تعالى ويلتسن رحمة وأكثر الأذن للناس عليك وأرهم وجهك وسكن حراسك واخض لهم جناحك وأظهر لهم بشرتك وان لهم في المسئلة والتطق واعطف عليهم بمجودك وفضلك واذا أعطيت فأعط بمساحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان العطفية على ذلك تجارة مبرجة ان شاء الله تعالى واعتبر بعثرى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتمض في أحوال الله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وبأقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما يجمع عمالكم من الاموال وما ينفقون منها ولا يجمع حراماً ولا تنفق اسرافاً وأكثر بحساسة العلماء ومشاورتهم ومخاطبتهم وليكن هوالك اتباع السنن وقامتها وايتبارك الاخلاق ومقالها وليكن اكرم دخلاتك وخاصتك عليك

من اذا رأى عياله تمنعه هيتك من انهاء ذلك اليك في ستر واعلامك عافيه من النقص فان اولئك
أنصح أوليائك ومظاهرك واطهر عمالك الذين يحضرتك وكتبك فوقت لكل رجل منهم
في كل يوم وقتا يدخل فيه بكتبه ومؤامره وما عندهم من حوائج عائلته وأمور الدولة ورعيته ثم فرغ
لملأورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبيره فما كان موافقا
للحق والحزم فأمره واستخرا الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فأصرفه الى المسئله عنه والتثبت
ولا تمن على رعيته ولا غيرهم وعرف نؤيته اليهم ولا تقبل من أحد الا للوفاء والاستقامه والعون
في أمور المسلمين ولا تضع المعروف الا على ذلك وتفهم كتابك اليك وأمعن النظر فيه والعمل به
واستن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله عز وجل مع الصالح وأهله وليكن أنظمت سرتك
وأفضل رغبته ما كان الله عز وجل رضى ولدينه نظاما ولاهله عز وعكينا ولله والمنة عدلا
وصلاحا وأنا أسأل الله عز وجل أن يحسن عونك ويوفيقك ورشدك وكلاءك والسلام وحديث
الاخباريون أن هذا الكتاب لما ظهر وشاع أمره أعجب به الناس واتصل بالأمون فلما قرئ عليه قال
ما أبني أبو العلي يعني طاهر أسيان أمور الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة وصلاح الملك
والريعه وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافه الاوقدا حكمه وأوصى به ثم أمر
الأمون فكتب به الى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويعملوا بعافيه هذا أحسن ما وقفت
عليه في هذه السياسة والله أعلم

رساله ودراديه

سلام يعبر عن الوداد طيب عبره ويخبر عن اخلاص القواد لطف تعبيره وشاء على محاسن تلك
الشمائل أرق من نسيمات الشمائل وتحية تبهى الجمائل بنفحات أورادها وأدعية
مرضية جعلتها الا لسنه خيرا أورادها وسؤال عن المزاج الزاهر وحمه الخاطر الباهر لازلت محل
نعمه تبصل على مدى الايام بقاؤها ويزيد على مر الشهور والاعوام بهاؤها ولا رحبت تغور الاقبال
اليكم بواسم وروح الايمان اليكم نواسم ولا تنفكت الايام والليالي متقلده بجلائم أجيادها
والعالي منسابقة الى سلحة جاكم جياها آمين

وبعد فان بي من الاشواق ما تضعف عن حله الى حاكم الاوراق ومن التأسف على ما حوته من
لقياكم والتلف الى مطالعة أنوار محياكم ما يقصر عن وصفه لسان البراعة ويقصر دون رصفه
بيان البراعة ويزيق عنه نطاق العبارة ولا ينفسح له ميدان الاشارة وان في ضميركم الاصل
ونور فكركم الاعلى ما يكتفي في الدلالة ويعنى عن الاطالة في المقالة وان تفضلتم بالسؤال
فانا نجده الله قد بلغنا الاآمال والجميع في حمه وعافيه وحسن حال والكل مستناقون اليكم
ويملون بكم وعبد الله فكري يقبل يديكم
(عبد الله باشا فكري)

(وله أيضا)

المشوق الى لقاءكم واجتلاء نور محياكم تضعف عن نقله جام الرسائل ولا يحتاج في اثباته
للحجج والدلائل فانه يطوى شقة البين ويقر بكم العين ويعتني ببقائكم وطيب لقاؤكم
وقد ورد خطكم الكريم فسر أنفسنا تعرفه وتألفه وأقرأ عين الاتزال ترقبه وتنشوفه وقد كان
مربحا طارى وخطرا ففكرى أن أسابق سيدى ومولاي برسالة أشكوفها الواجب العباد وأقضى
بهم بعض الفروض الواجبة من حقوق الوداد ولكن أبى الله إلا أن يكون سيدى هو السابق لتلك
الفضيلة والبادئ بهذه المكرمة الجميلة وأن أكون المقصر في جنب تطوله والمفرط في جانب
تفضله على أنى لم أكن مقصرا في دعاء يصحبه الحب ويرافقه الاخلاص ونساء على محاسن تلك
الشمائل أوجبها مزيدا لاختصاص وسؤال عن ذلك الخطاط الزاهر أستقبل به كل وارد وأشيع
كل صادر والامل اتصال ما يطمئن به القواد من رسائل الوداد حتى ينقضى أمد العباد ذلك غاية
المراد (قوله في هذا الكتاب جام الرسائل يشير الى ما كان في سالف الزمان من استعمال الحمام
في ابصال الكتب التي يراد سرعة وصولها الى الامكنة البعيدة وذلك ان الناس لما عرفوا في الحمام
خاصة الافئدة لموضعها وتنادى له اذا بعد عنه وعرفوا منه نوعا قويت فيه تلك الخاصة زنبوا ابراجا
بين التواحي المتباعدة كصر والشام وبغداد واتخذوا لكل برج حماما يرويه فيه حتى ألفه
وكانوا يقولون حمام كل برج الى ما يليه فاذا أرادوا أن يوصلوا الكتاب علقوه في جناحه وأرسلوه
فتلقاه الموظفون لاختاد الكتب منه عند وصوله الى برجه وعلقونه في جناح حمام البرج الآخر
وهكذا فكان يصل الكتاب الى القصد في زمن لا يمكن للبريد وكان الحمام ديوان له رؤساء وخدم
وكان من المصالح المهمة وأغنى عنه وعن غيره في زمانه هذا ذلك السلك الممدود على ذلك الخشب
المنصوب الذي صار شبكة على الكرة الارضية)

(وكتب السلطان المغربى من الحضرة الخلدوية جوابا عن كتاب)

قرة فواظ الدين والدنيا وغرة مفاتيح الملك والعليا وبدرمطالع السعد المشركة أزما به بلا لانه
وذخر مجامع المجد المورقة أفناه بالآله القائم بأمر الدين الخنيف وحامى حى الملك المنيف ما حى
ظلم الظلم ومبدمر اسمه ورافع لواء العدل ومحمد معالنه ذروة هامة الشرف الاسمى ومن تتباهى
بجلالة النعوت والاسما الملك العظيم السلطان المفخم أمير المؤمنين بالديار المغربية دامت محفوفة
بالرعاية الابدية محفوظة بالوقاية الاحدية ملحوظة بعين العناية الصعدية ولا برحت أعواد المنابر
متباهية باسمه الكريم وأجساد الفقار حالية بمجده القديم ولا زالت سدنه الكريمة محل اجلال
وتقظيم سلام يستبج مزيد التكريم ويستجمع صنوف التجميل والتعظيم وأدعية بهية تنسك
بأذبال الاجابة والقبول وأتنية سنية تنسك بها فتحة المسيا والقبول يهذى ذلك المقام الارفع

والحي الاعلى الاعز الامنع أدامه الله مورد قبول واقبال ومعهد فضل وافضل ولا زالت أُنديته معجزة العز والتمكين وألويته منشورة بالنصر المين وبعد فقد حظيت بورد مشرفة بكم العالى وقرب بطل العتة عيون آمالى وشكرت لما نفضلتم بإبدائه وسررت بامتد طولتم بإبدائه واعتببت بمانكرتم بحسن بيانه من تأكيد الود القديم وتشديد بنيانه والتهنئة بما تجد لدى من نعم الله تعالى على فكان زهرة النواظر وبهجة الخواطر وبغية القرائح ومسرة الخواص هذا وانى ما زلت أسمع أحاديث علاكم متصلة الاسناد فاطرب على السماع وأنشروا من مدائح محمدكم ما تعطر به الافواه والاسماع وأعتد مودتكم غنجة النفس ومناها ومصافاتكم غاية الآمال ونهاية مداها فقد شاع من محاسن شمائلكم السامية وغرر مزاياكم الكريمة وجلائل فضائلكم النامية وقيلامكم بامر الشريعة واهتمامكم بتأييدها المنة المنيفة ونشر أنواع العدل بين العباد والقيام على أقدام الأقدام فى مناهج السداد ما تناقلته السما فى أمهارها وسارت به الركان فى أسفارها وخلدته الايام فى أسفارها وأجلل الشمس الضاحية فى أسفارها حتى أصبحت الملالى متباهية بعلاء حاليتها بجلاء وصار مصداق الحديث الوارد فى الطائفة القائمة على أمر الله فأبقاكم الله للاسلام ساعدا وعضدا ولدين قوة ومددا وللانام ركا وسندا وللعق عمادا ومعتادا وأدام عليكم وعلينائهم باطنة وظاهرة وحفظنا واياكم بعونه وعنايته فى الدين والدنيا والآخرة

(وكتب سلطان زنجبار)

الملك العظيم والسلطان المفخيم سلطان جزيرة زنجبار صانها الله تعالى عن الاكدار سلام يفسر عن اخلاص المودة سناء وثناء يجبر عن صدق المحبة لفظه ومعناه وبخية تمسك بنفحاتها الحافل وتمسك بأنبائها نسمات الشمائل الى حضرة خلاصة الامجاد الأكرم وينوع الفضائل والمكارم مفخر الملك والعليا وانسان عين الدين والدنيا من أشرفت صفحات الايام بنور اقباله وانفقت كلمات الانام على شكر خلاه وقرب بسعوده النواظر وترنحت بوجوده أعواد المنابر فكانها الفصوص النواضر الاجل الأكرم الاسعد المجدا لانقم المشار اليه أعلاه حرس الله علاه ولا زالت ثغور الملك بجماله باسمه ورياح السعد فى نواديه ناسمة وعيون الخطوب عن سنده نائمة وغيوث السرور فى صاحته دائمة أمين وبعد فقد وصل الى مشرفكم الكريم وتلقينه بما ينبغي لمن التكرم فحصل لى عز بد المسرة بحجة مزاج تلك الحضرة وأخبرنى أيضا فلان قبودان سة يتسنا الا براهيمية أنه الما وصل الى جهة ملكتكم المحمية حظى من جنابكم العالى بحسن التشريف وحصل له غاية المساعدة ونهاية التلطيف وشرح لى ماناله هنالك من صنوف الالتهات والاسعاد وأوصل الى أيضا من طرفكم الشريف فرسين كريمين من الصافات الجهاد (١٣) القطع المنتخب (جزء ثانى)

فأحاط بي من السرور والابتهاج بما أبدى يقوم من معالي هممكم ولا سيما ما تكرمتم به من نشر رسالة السيفينة بقدم قدمكم ما يقصر في وصفه اللسان ويقتصر عن تعريضه بشان البيان ويضيق عنه نطاق التعبير ولا ينفع له مجال التقرير والتحرير فشكل الله تلك الهمم العوالي وابقاها ما دامت الالام والالالي وهذا الحب بمحمد الله في محبة وعافية ونعمة من الله تعالى وإفية ولا زال مشمول القلب بالموثقة اليكم مشغول اللسان بالنناء عليكم محافظا على صدق الموالاته والوداد مواظبا على حسن المصافاة ومزيد الاتحاد والمرحوة أن يصل ذلك بين الطرفين على الدوام وكل ما لزم من هذا الجانب فهو رهين الإشارة والسلام

(وكتب الي من بحجزة كريم من العساكر المصرية من طرف الجانب الخديوي ليقرأ عليهم)
لقد علم لبنا بملورد البنا من جنال الوقعات العسكرية وما أوضعه أيضا فلان باشا في معرضه الشفافية مماراة بالبيان وروا بالبيان تفصيل ما وقع من الحروب والغزوات في فواحي أبوقرون وما يليها من الجهات وأحطنا بما أبدى من الاقدام والشجاعة وما أبدى من الاهتمام والبراعة وما كان منكم من ثبات الجاش والقلب في مواقع الضرب ومعامع الحرب وما شاهدته منكم الالعين وشهدت لكم به الالسن من الهجوم على الجبال الوعرة واقتحام المحال العسرة واظهار الباس والصولة في تأييد الملة والدولة وتبدي من لقيم من جنود العصاة البغاة وتسخير ما كانوا متمكنين به ومقتضين فيه من المحلات وتبدي ما أحكموا من استحكاماتهم وتبدي من أقدموا من طغاتهم فأحاط بي من السرور وكمال الانس والحبور ومزيد الحفظ والموفور ماملا الجواخ اشراحا والجوارح طربا وارتياحا وأظهر حسن اعتقادي في شجاعتكم القلبية وبراعتكم الحربية وغيرتكم المالية وجيشتكم الحبلية وشغفتكم باعلاء شأن الوطن وابقاء الذكراجيل والصيت الحسن وأكذلك ما شهد به الانام من سواف الالام للعساكر المصرية وضباطها الجهادية من قدم الصدق في الحروب وحسن السابقة في الخطوب وثبات القدم والجنان اذا طاش قدم الهلوع وطار قلب الجبان فانهم خلدوا في أوراق الالبالي علاهم وقلدوا في أعناق المعالي حلالهم بماله من الوقائع المشهورة والمواقف المشكورة وقوة الباس على الاعداء وشدة الصولة والبسالة في مواقف الهجاء وما بشوه من منار الفخر والمجد على أساس الشرف والمظهر وما اجتسم من ثمرات النصر من ورق الحديد الاخضر وأنتم أولى بتشييد مآبته اخوانكم الاول وتأييد ما شاع لهم من الفخر والشهرة عند جميع الدول ثم انكم اذا معنت الفكر الناقب وتبنت النظر الصائب وتفكرتم في أعقاب الامور ومآثرها وتدبرتم في موارد الاحوال ومصادرها علمت انكم اذا تبنت ذلك الصيت المذوح واكتسبتم عشية الله تعالى النصر والفتوح

كان لكم ذلك افتخارا بين أقرانكم وسورا لاهلكم واخوانكم فان الاخبار تتناقلها الرواه
وتواصل بالكتابات والافواه ثم ليكن على باله منكم ولا يغب طرفه عين عنكم أن هذه البلاد
التي أنتم لديها والجال والادوية التي أنتم عليها وحواليها كم سبق فيها من غزوة عظيمة ووقعة
جسيمة ووقعة كريمة لاهوانكم الاولين من العساكر المصريين أبرزوا فيها شرف الراهة
العسكرية وأظهروا ما ترثه الجدة والحمة والغيرة الوطنية حتى سارت بحديث وفائهم الركان
وأثنى على محاسن بدائعهم كل لسان فاعنا من بقعة الاوفى ووقعة ولا من موطن قدم الاوفى
أرى قدم فغضى من استشهد منهم فآثرنا الثواب والاجر وعاد من بقي حازر الفخر والنصر وهأنتم
من نسلهم واخوانهم ومن أبناء وطنهم وأنتم خير خلف لاولئك السلف كأنه هو لا عصاة
نسل من كان بهامن أهاليها وهذه الجزير التي أنتم بها هي بعينها التي كانوا فيها فها أنتم
ونصرتم واقصمتم وظفرتم كان ذلك الشئ في هنالك من أرواح الشهداء روحا وروحانا ومكرمة
واحسانا كأنه يجعل لكم في جميع الآفاق شرفا وشانا ويمكن لكم بين الرفاق غزوة ومكانا ويقم
لكم على الشجاعة والبراعة دليلًا وبرهانا ثم انكم عند غودتكم بعون الله القوى المثلث حاملين
رايات الفخ المبلين رافلين في حلل النصر والتكبير يكون لكم ذلك شرفا سمردا وافتخارا تصدون
به على المدى حتى اذا التفت عليكم المحافل واجتمع لديكم المستخبر والناقل كان لكم بذلك لسان
ذلق وصوت صهلقي وتجدون حيث نذل البراعة مقالا وللفخر بالشجاعة مجالا وترون لاقوالكم
من يصدقها ولاخباركم من يحققها وهؤلاء الرجال وعزبة الابطال فهل للرجل فخر أعظم
من هذا الحال وهل له فضل على المرأة الا باقدامه على الخطوب واقحامه في الاهوال وهل يتميز
الشجاع الصنديد من الجبان الرعديد الا في مواقف القتال ومواقع الحرب والتمزال وهل
للعسكري شرف يكتسبه الا بين البنادق والمدافع وهل له فخر يذره أو يتركه الا بما يسيده
في تلك الوقائع وهل للكريم الحرأرب في الحياة الا الفخر يقتنيه بصعير يرتقيه وذكر جليل يقيه
بأثر جليل يديه فاذا العسكري لم يكتسب الفخر في مجال الحرب فأي فرصة يتركها وأي حالة
يتطلبها الاستحصال ذلك المرغوب وافي ما اخترتكم لهذا الامر العظيم الاعلا شأن الوطن
الكريم واعلان ما لكم من الصيت والفخر القديم لحسن اعتقاد في صغيركم وكبيركم وحسن
تفري في مأمورك وأمركم وقد لاح من مساعيكم تأييد ما أملة فيكم وظهرت بحمد الله بنشائر
النجاح وسفرت أشعار الفخر والفلاح وانما الاعمال بخواتمها وثمرات الامور في ثمنها
ورجائي من من الله العظيمة والطاقه العميمة ثم أمل في طوياتكم السلمية ومساعيكم القوية
أن تكون العاقبة خيرا واختام حسنا وأن تفوزوا بالاجر والثناء وأن تدوموا على منهج السداد
والاجتهاد في الجهاد والقيام على أقدام الاقدام وبذل الجهد والاهتمام حتى ينجلي الامر

ويستكمل النصر ويزول أثر الاختلال وتستقر الأحوال وتعودوا ان شاء الله منصورين
 فحين مسرورين مستبشرين بعناية الله العلية في ظل السلطنة السنية واعلموا أن جميع
 أخباركم تنتقل في جبال الوقعات فتعلم لدى أحوالكم في جميع الحركات والسكنات حتى كلمة مقبم
 لديكم وحتى كافي أراكم وأنظر اليكم فكل من فاق أقرانه في الحروب وأبدي من الأقدام والحية
 ماهو المطلوب فله مايسره من المكافآت وحسن التلطيظ ومن يدا اللتفات فاعلموا ذلك واعلموا
 على حسبته في كل آن ومكان وأدوم من الأقدام والاهتمام غاية الاستطاعة ونهاية الامكان
 قد أصدرت أمرى هذا اليكم اعلاما بما يحواه ودستورا يعمل بمقتضاه واعلنا للمسرف من حسن
 صديكم وايدنا بما فرجى وابتهج بجميعكم واستفسار عن خواطركم واقتضار بما فرجكم أممكم
 الله بعنايته وعونه وجعلكم في حرز رعايته وصونه وأدام توفيقى واياكم الميرضاه والسلام عليكم
 ورحمة الله

(وكتب أيضا من الحضرة الخديوية الى من باشر واواقعة أرقا زى من الضباط
 الجهادية وأفراد الهساكر المصرية)

سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدى لاولكم وآخركم ويسدى بأموركم وأمركم لازم
 محققين من الله بنصره محفوظين بأمره غالبين على عدوكم بقهره متقلبين في نعمته وبره
 ولا انكفت عزائمكم في كرب الحروب عزائم وتغوركم في قطوب الخطوب ونواسم وأعلامكم النجى
 والتمكين علائم وأيامكم للفخ المين مواسم ورياح القهر والهمار على عدوكم بجمائم ونجمات النصر
 والفخار في رواحكم وغدوكم نواسم

وبعد فهازلت أنشوق من أخبار شجاعتم مايسر الخواطر وأنشوف من آثار براعتكم مايقهر
 النواظر وانقابه زمكم وجرنكم في المضائق مبتججا بما أبدى بقره من حسن السوابق حتى ورد
 وابور الشرقية من طرف حضرة الباشا فاطر الجهادية يوميات الوقائع العسكرية مشقة على
 واقعة أرقا زى ونفصيلاتها وما كان من رسوخ أقدامكم وثباتها واقدامكم في جهاتكم واقصامكم
 مضائق حصونها واستحكاماتها وتسخير مستعصماتها وتدمير أشقياء العصاة وكلماتها حتى
 زلزلت صياصياها وذلت نواصياها ودنى لكم قاصصها ودان عاصيها فكذلك تكون رجال الجهاد
 وابطل الجسد والجلاد وهكذا تفتح الحصون ويرزهر النصر المصون وفي ذلك قليل تنافس
 المتنافسون فقد أسفر لكم بحمد الله وجه التهانى وأغفر لكم بعمول الله غرس الامانى وأبدتم
 مايتب للهساكر المصرية من حسن الشهرة في الامور العسكرية فحصل لمن الانس والسرور
 بهذه البشارة ما لم تقدر الانس أن تصف مقنناره ولا يتسع له مجال الاشارة وتأيد فيكم حسن

أنظارى وظهت غمة أفكارى وتحققت أنكم بعد الآن بعون الله الكريم لاتزلون عن هذا الطريق القديم ولا تزالون في تأييدكم من المجد القديم وقد شاع حديث نصركم بين الأهل والديار وسارت الركبان بحماس هذه الاخبار كما نقلته صحف الوقائع الى جميع الاقطار فاشرفت صدوراً هلككم واخوانكم وفرحت بكم جميع أهل بلدانكم وابستمت تغوراً ووطنانكم وافخرت باحاديث شجعانكم وارتاحت أرواح الشهداء من أفرانكم والمأمول في الطاف الله العلية وبركات السلطنة السنية ثم في جيشكم الملية وغيرتكم الوطنية ان يزول حال الاختلال عن قرب وينتهى أمر القتال والحرب ويطيع الجميع ويسهل كل معب منيع وتعود ووطننا العزيز ظافرين بالتعزيز وقد قرب حصول الأمل ونجاح العمل ووضى الأكر وبني الأقل والحرب للرجل العسكري والبطل الجرى شوق عظيم وموسم كريم تشتري فيه غواى المعالى بأعلى العوالى وتنال فيه منازل الأكارم في ظل السيف الصوارم ويدرك الفخر الصادق بمراعى المدايع والبنادق وقد علم ان الشجاعة وان كانت تبلغ الآمال لاتقتصر إلا بآجال كأن الجبن وان كان يورث العار لا يؤخر الاعمار وانما هى آجال محدودة وأنفاس معدودة لاتقبل التغيير ولا التقديم والتأخير والشجاعة صبر ساعة ثم ينكشف الغبار وتُسفر الاخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلف في آوار مخ الزمان فداو موعلى ابداء الاجتهاد وقوموا بآداء حقوق الجهاد واثبتو على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والاقدام وأنجزوا بعون الله تعالى هذا المرام وكما جودتم براعة المطلاع أحسنوا براعة الختام

(وكتب في أوائل عهد الخناب الخديوى عن حضرته الى ملك دارفور)

جد المألوفين قلوب المؤمنين وجعلهم بنعمته اخواناً في الدين وصلاوة سلاماً على رسول جنابه وسيد أحبابه وعلى آله وأصحابه من كفل الديار المصرية وما والاها من الاقطار السودانية الى حضرة صفوة السادة الامجاد الجامع ما تفرق من مكارم المحامد غرة جبين الشرف الاجلى وقررة عين المجد الاعلى بجزر الفضل الزاخر وبدر سمائها الحسن والمفاخر ونقرا الأوائل والاواخر الملك العظيم السلطان المنعم محمد بن الحسين المهدي سلطان مملكة دارفور حفظه الله بدوام السرور والسعد الموفور آمين

بعد سلام نبى عن صريح الوداد وبخبر عمى فى جميع القواد من صحيح المحبة والاتحاد وبخبة يحملو على الاسن حسن تكريرها ويعبر عن صدق الولاء طيب عيبرها وشوق يقل عنه البيان ويكل دونه البنات وسؤال عن الخاطر العالى أدام الله معاليه وحفظ طواعى السعود بأيمه وولايه ينمى نحن في انتظار ما يرمدن الرسائل والثناء على حسن تلك الشبائل ورد لنا خطابكم الكريم

فقابلناه بجزيد التعظيم وسرنا بحسن محتكم وما أبدى بقره من لطف مودتكم فآله عزى تلك
الحجة ولحظها ويدم هذه المحبة ويحفظها وقد أوضحت أن سلفنا السعيد المتقل إلى رجة
ربه المجيد ضاعف الله حسناته وأحلها على جناته كان قد جعل فلانا وكيلنا في رؤية أموركم
البيهة على منهج السداد ونحن أيضا نقرنا في هذه الوظيفة وأوصينا بالاهتمام فيما يتعلق بتلك
الحضرة الشريفة وسجدنا في ذلك بحسن المساعدة ودوام التسهيل والمعاونة ثم ما نكرتم
بارساله مع كريم خطابكم على يد القاصدين الواردين من على جنابكم قبول بقبوله عند وصوله
والمبعوث مع القاصدين المذكورين لتأديكم الكريمة ما هو موضح في البطاقة المطوية مع هذا الرقيم
والمرجو أن تصل بيننا رابط الدوام كما جعلتنا علاقة الاخوة في الاسلام وصلى الله
على سيدنا محمد وبر التمام وعلى آله وأصحابه الاعلام غيوث الافضل وغايات الكل

الباب السابع في الجغرافيه والتاريخ

(ذكر منارة الاسكندرية)

قال المسعودي فاما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين من عنى
بأخبار بلدهم أن الاسكندريين فيلبش المقدوني هو الذى بناها ومنهم من رأى أن دوله الملكة بنتها
وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو إلى بلدهم ومن الناس من رأى أن العاشر من فراعنة مصر
هو الذى بناها ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومة هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها
والاهرام بمصر وانما أضيفت الاسكندرية إلى الاسكندرية لشهرته باستيلائه على الاكثر من محالك
العالم فشهرت به وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة يستدلون بها على ما قالوا والاسكندري لم يطرقة
في هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه في بلده ويفزوه في داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا
وان الذى بناها جعلها على كرسى من الخارج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف
اللسان الذى هو داخل في البحر من البر وجعل على أعلاها تمثال من النحاس وغيره منها تمثال قد
أشار بسبابه من يده إلى شوا الشمس أيضا كانت من الفلك وإذا علت في الفلك فأصبغته يشير بها
شعورها فإذا انخفضت صارت يدهم لادور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده إلى البحر
إذا صار العدو منه على شحوم ليله فإذا نادى وجزأ ن يرى بالمضيق لمسافة سبع لذلك التمثال
صوت هائل يسمع من مسيرهم ليلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم فيمقره
بأبصارهم ومنها تمثال كل مضى من الليل أو النهار ساعة مع الهم صورها بخلاف ما صوّت في الساعة
التي قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم في ملك الوليد بن عبد الله بن مروان أنه قد نادى
من خواص خدمه نادى رأى ودعاء فجاءه مستأمن إلى بعض الثغور فوردوا له حسنة ومعها جماعة

فجاء الى الوليد فأخبره أنهم من خواص الملك وأنه أراد قتله بموجده وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وأنه استوحش ورغب في الاسلام فأسلم على يد الوليد وتقرّب من قبله وتنصّب اليه في دقائن استخفي جهاله من بلاد دمشق وغيرها من الشام يكتب كانت معه فيها صفات تلك الدقائن فلما صارت الى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان هاهنا أموالا وجواهر ودقائن للملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال ملوك الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التي كانت لشدادين عاد وملوك العرب بمصر والشام فبقي لها أن يجأت تحت الارض وقطر لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها تلك النصارى من العين والورق والجوهر ونحو ذلك هذه المنارة وكان طولها في الهواء ألف ذراع والمرأة على علوها والديانة جلوس حولها فاذا نظروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المرأة صوّهوا المناء قرب منهم ونشروا وأعلاما فإرأها من بعد منهم قهّذوا الناس وتذروا البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقاه وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزيلت المرأة فضيح الناس من هذا وعلموا انها مكيدة وحيلة في أمرها فلما علم الخادم استغاضة ذلك وأنه سين إلى الوليد وأنه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل في مركب كان قد أعد له واطاع على ذلك فحقت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجواهر يتخذ منها قصور الخواتم أنواعا من الجواهر ويقال ان ذلك من آلات اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتهم أمه ورمت بها في تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى ان الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة لكيلا تخلف من الناس حولها لان من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا في كل عصر ويقال ان هذه المنارة لما جعلت المرأة في أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرأة ترى من يرد في البحر من عدوهم وكان من يدخلها ينيب فيها الا أن يكون عارفا بالدخول والخروج فيها الكثيرة سيوتها وطبقاتها ومخارجاتها وقد ذكر ان المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فقتلوا فيها وفيها طرق وتوّلوا الى مهاو تهوى الى السرطان الزجاج وفيها مخارق الى البحر فتورّدوا بهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان على كرسي لها قدمها وفي المنارة مسجد في هذا الوقت رابط فيه متطوعة المصريين وغيرهم وفي سنة تسع ومسيعين وسبعمائة سقط رأس المنارة من زلزلة ويقال ان منارة الاسكندرية كانت مبنية بحجارة مهندمة مضطربة برصاص على قناطر من الزجاج وتلك القناطر على ظهر سلطان وكان في المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد بجملها الى سائر البيوت من داخل المنارة ولهذه

اليون طافات تشرف على البحر وكان على الجانب الشرق من المنارة كتابة عربت فاذا هي بنت
هذه المنظره قريبا بنت مريوس اليونانية لرصد الكواكب وقال ابن وصيف شاه وقد ذكر أخبار
مصر ايم بن بصر بن حام بن فوح وبنوا على البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا
في وسطها قبعة على أساطين من نحاس مذهب والقبعة مذهبة ونصبوا فوقها منارة عليهم امرأة
من اخلاط شتى قطر ها خمسة أشبار وكان ارتفاع القبعة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد
من الامم التي حولهم فان كان عياهمهم أو من البحر علوا تلك المرأة عملا فالقت شعاعها على ذلك
الشيء فاحرقته فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها البحر ففسدها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنار
الذي كان شيها بها وقد كان أيضا عليه امرأة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال بعض
ملوك الروم فوجه من أزالها وكانت من زجاج مدبر وقال المسعودي في كتاب التبيين والاشراف
وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفسيه الى برقة في سنة ثمان
وأربعين ومائتين صار الى الاسكندرية من بلاد مصر فرأى حمرة الشمس على علو المنارة التي بها
وقت الغيب فقدر أنه ياربه أن لا يضر اذا كان صائغا أو تقرب الشمس من جميع أقطار الارض
فأمر اناسا أن يصعدوا الى أعلى منارة الاسكندرية ومعه حجر وأن يتأمل موضع سقوط الشمس
فاذا سقطت رمي بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر الى قرار الارض بعد صلاة العشاء الآخرة
فجعل افطار بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد اذا صام في مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه الى
شرق رأى أنه لا يضر الا بعد العشاء الآخرة وعنده أن هذا فرضه وأن الوقتين متساويان وهذا
غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ويجاري الشرق والغرب وقد ذكر ارسطاطاليس في كتاب الآثار
الاولية أن بناحية المشرق الصمى جبالا شامخا جدا وأن من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب
عنه الى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح بثلاث ساعات ومنارة الاسكندرية
أحد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فيليبس الثالث
لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا في أعاليها
مرأة عظيمة من نوع الاجار المشقة ليشتاهد منها مراكب البحر اذا أقبلت من رومة على مسافة
تجز الابصار عن ادراكها فكانوا يراون ذلك في تلك المرأة فيستعدون لهم قبل ورودهم وطول
المنارة في هذا الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعا وكان طولها قد عاينها نحو من أربع مائة ذراع
فهدمت على طول الازمان وترادف الزلازل والامطار لان بلاد الاسكندرية تمطر وليس سيلها
سيل فسطاط مصر اذ كان الاغلب عليها أن لا تمطر الا اليسير وبنوا لها ثلاثة أشكال قريب
من النصف وأجكث من الثلث مربخ الشكل يشبهه بأجاريض يكون نحو من مائة ذراع

وعشرة أذرع على التقريب ثم من بعد ذلك مثنى الشكل مبنى بالجبر والحصن فحومن نيف وستين ذراعا وحواليه فضاء يدور فيه الانسان وأعلىها مدور وكان أجدين طولون ريم شيأ منها وجعل في أعلاه قبة من الخشب البصعدها لها من داخلها وهي مبسوطة موروثة بغير درج وفي الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدقون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض شبر ومقدارها على جهة الارض فحومن مائة ذراع وماء البحر قد بلغ أصلها وقد كان تهدم أحد أركانها الغربية بمائلي البحر فبنائها أبو الجيوش خماروبه بن أجدين طولون وبينها وبين مدينة الاسكندرية في هذا الوقت فحومن ميل وهي على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبه وهي مبنية على فهمين الاسكندرية وليست بالمينا القديم لان القديم في المدينة العتيقة لا ترمى فيه المراكب بعده عن العرمان والمينا هو الموضع الذي ترمى فيه مراكب البحر وأهل الاسكندرية يخبرون عن أسلافهم أنهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحو مائتين المدينة والمنارة في هذا الوقت تغلب عليه ماء البحر في المدة اليسيرة وإن ذلك في زيادة قال وتهدم في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة فحومن ثلاثين ذراعا من أعاليها بالزلة التي كانت يلا دمصر وكثير من بلاد الشام والمغرب في ساعة واحدة على ما وردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن بقسطاط مصر وكانت عظمة جدا مهولة قطعها أقامت فحومن نصف ساعة زمانية وذلك لنصف يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو الخامس من كانون الآخر والتاسع من طوبة وكان لهذا المنارة مجمع في يوم خميس العدس يخرج سائر أهل الاسكندرية الى المنارة من مساكنهم عجا كلهم ولابد أن يكون فيها عديس فيفتح باب المنارة ويدخله الناس فتنهم من يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدو وكان في المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل فيقصد ركب السفن تلك النار على بعد فإذا رأى أهل المنارة ما يربهم أشعلوا النار من جهة المدينة فإذا رآها الحرس ضربوا الاوق والابراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو ويقال ان المنارة كان بعيدا عن البحر فلما كان في أيام قسطنطين ابن قسطنطين هاج البحر وغرق مواضع كثيرة وكائنات عديدة بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها بعد ذلك وأخذت شيأ بعد شيأ وذكر بعضهم أنه فاسه فكان مائتي ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعا وهي ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي مائة واحد وعشرون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثانية ممتنة وهي احدى وعشرون ذراعا ونصف ذراع والطبقة الثالثة مدورة وهي احدى وثلاثون ذراعا ونصف ذراع وذكر ابن جبير في رحلته أن منارا الاسكندرية يظهر على أزيد من سبعين ميلا وأنه ذرع أحد جوانبه الاربعة في ستة ثمان وسبعين وخمسة آلاف على خمسين ذراعا وأن طول المنارة ازيد من مائة وخمسين قامة وفي أعلاه مسجد يتبرك الناس بالصلاة فيه وقال (١٤) القطع المنتخب (جزء ثاني)

ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى منارا الاسكندرية كلوبا طره الملكة . وهي التي سافت خليجها متى أدخلته الاسكندرية . ولم يكن يلقها انما كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكريون ففقرته حتى أدخلته الاسكندرية وهي التي بطلت قاعه ولما استولى احمد بن طولون على الاسكندرية بنى في أعلى المنارفة من خشب فأخذتها الزياح وفي أيام الظاهر بيبرس تدعى بعض أركان المنار وسقط فأمر ببنائها منهم منة في سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وبنى مكان هذه القبة مسجدا وهدم في ذى الحجة سنة اثنتين وسبعمائة عند حدوث الزلزلة ثم بنى في شهر سنة ثلاث وسبعمائة على يد الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو باقى الى يومنا هذا . والله درالوجه الدروى حيث يقول في منارا الاسكندرية

واسامة الارجاء تهدى أنا السرى * ضياء انا ما خدم الليل أظلم
لبستهم باردا من الانس صافيا * فكان يذكار الاحبة معلى
وقد ظلتنى من ذراها بقبة * ألاحظ فيها من صحابى أنجما
نخيل أن البحر تحبى غمامة * وأنى قد خيمت في كبدا السما
وقال ابن قلافس من أبيات

ومزل جاوز الجوزاء مرتقيا * ككأنما فيه للتسرين أو كار
راسى القرارة ساهى القرع في يده * للتون والنور أخبار وأجنار
أطلقت فيه عنان النظم فأطردت * خيل لها في يدبيع الشعر مضمار
وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبدربه

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف في عرينه شمم * ككأنه باهت في دارة الافق
للنشاآت الجوارى عند رؤيته * كوقع النوم في أجفان ذى أرق

وقال عمر بن أبى عمرا السكندى في فضائل مصر ذكر أهل العلم أن المنارة كانت في وسط الاسكندرية حتى غلب عليها البحر فصارت في جوفه ألا ترى الابنية والاساسات في البحر الى الآن عيانا وقال عبد الله بن عمرو عجائب الدنيا أربعة مرآة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وينت ما عرض البحر وذ كر الثلاثة

(ذكر عمود السوارى)

هذا العمود حجر أجمر منقط وهو من الصوان الماتع كان حوله نحو أربع مائة عمود كسرها قراجا والى الاسكندرية في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وربما هابطا طبي البحر ليوعر على العنق

سألوكم اذا قد تموا ويذكر أن هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواقا وسطا طائلس الذي كان يدور به الحبكة وأنه كان دار علم وقبة خزنة كتب أحرقها عمرو بن العاص بإشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ويقال أن ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعا وقطره خمسة أذرع وذ كر بعضهم أن طوله بقاعدتيه اثنان وستون ذراعا وسدس ذراع وهو على نشر طوله ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع فجملة ذلك خمسة وستون ذراعا وثلاث أذراع وطول قاعدته السفلى اثناعشر ذراعا وطول القاعدة العليا سبعة أذرع ونصف قال المسعودي وفي الجانب الغربي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمود وغيرها وكانوا يحملون ما عملوا بهد النقر فاما العمود والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الأولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين . ومنها العمود التي بالاسكندرية والعمود بها النخمل الكبير لا يعلم في العالم عمود مثله وقد رأيت في جبل اسوان أحدها هذا العمود وقد هدم ونقر ولم يقص من الجبل ولم يحمل ما ظهر منه . وانما كانوا ينتظرون به أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى . وكان بالاسكندرية من العمود العظام وأنواع الحجارة والرخام الذي لا تقل القطعة منه الا بالوف من الناس وقد علقت بين السماء والارض على فوق المائة ذراع وفوق رؤس أساطين دائر الاسطوانة ما بين الخمسة عشر ذراعا الى العشرين ذراعا وانحرف فوقة عشرة أذرع في عشرة أذرع في جميعه عشرة أذرع بغرائب الالوان . وكان بالاسكندرية قصر عظيم لا نظيره في معمر والارض على ربوة عظيمة بازاء باب البلد طوله خمسمائة ذراع وعرضه على النصف من ذلك . وبابه من أعظم بيته وأتقنه كل عضادة منه حجروا واحد وعينته حجروا واحد . وكان فيه نحو مائة اسطوانة وبازائه اسطوانة عظيمة لم يسمع عن مثلها غلطها ستة وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك أعلاها فان ذف حجر وعليها رأس محكم الصناعة يدل على أنه كان فوق ذلك بناء وتحتها قاعدة حجروا حجر محكم الصناعة تعرض كل ضلع منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانية أشرار والاسطوانة منزلة في عمود من حديد قد خرقت به الارض فاذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك وربما وضع تحتها الحجارة فطعننها الشدة حركتها . وكانت هذه الاسطوانة احلى عجائب الدنيا . وقد زعم قوم أنها عملها الجن لسليمان بن داود عليهما السلام كما هي عادتهم في نسبة كل ما يستعظمون عملها إلى أنه من صنع الجن وليس كذلك بل كانت مما عمله القدماء من أهل مصر . وكان في وسطه قبة ومن حولها أساطين وعلى الجميع قبة من حجروا واحد رخام أبيض كاحسن ما أنت راء من الصنائع ويقال ان بعض ماولك مصر دخل الاسكندرية فأعجبه هذا القصر وأراد أن يبني مثله فجمع الصناع والمهندسين ليقموا له قصر اعظم على هيئته فاسمهم الامن اعترف بعجزه عن مثله الا شيخانهم فانه التزم أن يصنع مثله قسرا للملك ذلك . وأذن له في طلب ما يحتاج اليه من المون والالات

والرجال فقال اتوفى بشورين مطيقين وبجمله كبيرة ففي الحال أتى بذلك فغضى الى المقابر القديمة وحفر منها قبرا أخرجه منه حجمة عظيمة رفعها عدة من الرجال على الجملة فاجرها الثوران مع قوتها الا بعد جهد وعناء فلما وقف بها بين يدي الملك قال أصلح الله سيدنا ان أتيتني بقوم رؤسهم مثل هذا الرأس علمت لك مثل هذا القصر فيقن الملك عند ذلك بعز أهل زمانه عن قامة مثل ذلك القصر وقد ذكر أنه كان بالاسكندرية ضرس انسان عند قصاب يزني به البهم زننه ثمانية أرتال ويقال ان عود السوارى الموجود الآن خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة أتى بأجدها البتون بن مرة الهادى وهو يحمله تحت أبطه من جبل بريم الاجر قبلى اسوان الى الاسكندرية فأتكسر ضلعه لانه كان ضعيف القوى في قومه فشق ذلك على يعمر بن شداد بن عاذ وقال ليتنى قد يتيه بنصف ملكى وجاء بهود آخر بجهد بن سنان التمودى وكان قويا يحمله من اسوان تحت أبطه وجاء بقية رجالهم كل رجل بهود فاقام العمد السبعة بالخار وبن قطن المؤتفقى وكان بناؤها بعد أن اختاروا الهاطل العاصمينا كما هي عادتهم في عامة أعمالهم وقد ذكر غير واحد أن الحضور في القديم من الدهر كانت تلبس فعل منها أعمدة ناعط ومارب وبنون ومارالين وأعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر وأن كل شئ كان يتكلم قال أمية بن أبى الصلت

وأنهم لالبوس لهم عراة * وأنهم لالسلام لهم رطاب

وقال قوم عود السوارى من جملة أعمدة كانت تعمل روايا قال له بيت الحكمة وذلك حيث انتهت علوم أهل الغرب الى خمس فرق وهم أصحاب الرواق وهذا وأصحاب الاسطوانة وكانوا يعلبك وأصحاب النطال وهم بانطكية وأصحاب البرابى وكانوا يصعد مضمر والمشاؤون وكانوا يعقدونية وكانوا يبن قل على يسكر على ايراد هذا الفصل ويراه من قبيل الخيال ومما وضعه القصاص ويجزم بكذبه فلا يؤمنك حكايتى له واسمع قول الله تعالى عن عاد قوم هود واذا جعلكم خلفاء من بعدهم قوماً نوح وزادكم فى الخلق بسطة أى طولا وعظم جسم قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم وقيل على خلق قوم نوح وقال وهب بن منبه كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فحم السباع وكذلك مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال ان كان الرجل من قوم عاد ليعمل المصرا عين لواجتمع عليه خمسة مائة من هذه الامة لم يطبقوه وان كان أحدهم ليعز يتقدمه الارض فيدخل فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو العافرى عن ابن جبرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام في تحف رجل من الممالق وعن زيد بن أسلم بلغنى أن الضبعة وأولادها رين في خجاج عين رجل من الممالق وقال تعالى

ألم تركيف فعسل ربك بعد ارم ذات العمد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال المبرد وقولها يعني
 الخنساء رفيع العمد اغتازت الطول يقال رجل معدي يطويلا ومنه قوله تعالى ارم ذات العمد
 أي الطوال وقال البغوي سموا ذات العمد لانهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد
 والكبي ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سموا ذات العمد لاطول قاماتهم قال ابن عباس
 يعني طولهم مثل العمد قال مقاتل كان طول أحدهم اثني عشر ذراعا وفي كشف الزمخشري
 لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم أجرام وقوة وكان طول الرجل منهم أربع مائة ذراع وكان يأتي
 الصخرة العظيمة فيحملها فيلقها على الحى فيهلكهم وقد ذكر غير واحد أنه وجد في خلافة المقتدر
 بالله أثني الفضل جعفر بن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربع مائة وعشرين شبرا في عرض ثلاثة
 أشبار واعلم أن أعين بني آدم ضيقة وقد نشأت نفوسهم في محل صغير فإذا حدث القوم عما يتجاوز
 مقدار عقولهم أو مبلغ أجسامهم عالجس له عندهم أصل يقيسونه عليه الا ما شاهدونه أو ياقفونه
 بمحاو إلى الاتياب فيه وسارعوا إلى الشك في الخبر عنه الامن كان معه علم وفهم فانه يقبض
 عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله أو رده وكيف يرمثل هذه الاخبار وفي الصحيح
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم طوله ستون ذراعا في السماء ثم لم يزل الخلق ينقص
 حتى الآن وذو محمد عبد الرحيم بن سلمان بن ربيع العنسي القزناطي في كتاب تحفة الالباب
 قال نقل الشعبي في كتاب سير الماولي أن النخائل ابن علوان لما هرب منه لام بن عامر إلى ناحية الشمال
 أرسل في طلبه أمير من مع كل أمير طائفة من الجبارين خرج أحدهما قاصدا إلى بلغار والآخر
 إلى باشقرد فأقام أولئك الجبارون في أرض بلغار وفي باشقرد قال الاقليشي وقد رأيت صورهم
 في باشقرد ورأيت قبورهم بها فكان عماريته تنية أحدهم طولها أربعة أشبار وعرضها شبران
 وكان عندي في باشقرد نصف أصل التنية أخرجتني من فكة الاسفل فكان عرضها شبرا ووزنها
 ألف مثقال أو أوزنتها يدي وهي الآن في داري في باشقرد وكان دور فلذلك العادي سبعة عشر
 ذراعا وفي بيت بعض أصحابي في باشقرد عضد أحدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعا وأضلاعه كل ضلع
 عرضه ثلاثة أشبار وأكثر كاللوح الرخام وأخرج إلى نصف صغبر بدأ أحدهم فكنت لأفد أن
 أرفعه بيد واحدة حتى أرفعه بيدي جميعا قال ولقد رأيت في بلد بلغار سبعة ثلاثين وخمسة مائة
 من نسل العاديين رجلا طوالا كان طوله أكثر من سبعة أذرع وكان يسمى دلق وكان يأخذ القوس
 تحت يبطه كما يأخذ الانسان الطفل الصغير وكان اذا وقع القتال بتلك الناحية يقاتل بشجرة من
 شجر البلوط يسكنها كالعصا يدهلوضربهم بالنبل قتله وكان خيرا متواضعا كلما التقى سلم على
 ورجب بي وأكرمني وكان رأسي لا يصل إلى حرقه وكان له أخت على طولها رأيتها في بلغار مرارا عديدة

قال في القاضي يعقوب بن النعمان يعني قاضي بلغار ان هذه المرأة الطويلة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان من أقوى أهل بلغار ضمتها الى صدرها فكسرت أضلاعها فماتت من ساعته قال ولم يكن في بلغار حمام تسعهم الاجام واحدة واسعة الابواب انتهى وقد حدثني الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد القرطبي عن أبيه أنه شاهد قبر الحنظلي المدني قرطاجنة من أفرقية فإذا جثة رجل قدر عظم رأسه كتور بن عظيم ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عادو حروفه مقطعة مانصه أنا كوش بن كنعان ابن الملو من آل عاد ملكت به هذه الارض ألف مدينة وبنت بهم على ألف بكر وركبت من الخيل العتاق سبعة آلاف جر وصر وشهب وبيض ودهم ثم لم يبق عن ذلك شياً وجاءني صائح فصاح بي صيحة أخرجتني من الدنيا فكن كان عاقلا من جاء بعدى فليعتبر بي وأشد

يا واقصير عي السهي * برسم ربع قد وهى
قف واستمع ثم اعتبر * ان كنت من أهل النهى
بالامس كما فوقها * واليوم صرنا تحتها
لكل حد غاية * لكل امر منبهى

قال قاهر السلطان أبو بكر بن يحيى الحفصى صاحب تونس بطمه فطم القبر قال مؤلفه رحمه الله تعالى وأنا أدركت شياً من ذلك وهو أنه ترفع في بعض الايام طائفة من الجارين الى السلطان الملك الظاهر برقوق أعوام بضع وتسعين وسبعائة وقد اختلفوا على مال وجدوه بجبل المقطم وهم أنهم كانوا يقطعون الجارة من مغارة فيما يلي قلعة الجبل من بحريها فانكشف لهم حجراً سود عليه كتابة فاجتمعوا على قطع ما بين يدي هذا الحجر طمعا في وجود مال فانتهى بهم القطع الى عود عظيم قائم في قلب الجبل فلججهم أقبالوا وعاولهم عليه حتى تكسر قطعاً فاذا هو محجوف وانسان قائم على قدميه بطوله وتناثر لهم من جهته رأسه دنانير كثيرة فاقنصوها وتناسفوا في قيمتها واختلوا حتى اشتهر أمرهم وتوافوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد الحجر والعود وقد تكسر فأخذ منهم ما وجد بأيديهم من الدنانير ولم يجد من يعرف ما قد كتب على الحجر وتسامع الناس بالخبر فأقبوا الى المغار وعينوا برمة الميت فأخبرني من شاهد سنان أسنان هذا الميت أنها سوداء بقدر الباذنجانة وأن عظم ساقه فيما بين قدمه الى ركبته خمسة أذرع فيجى هذا من حساب طوله عشرين ذراعاً وأزيد ودماع من واحدة من أسنانه في قدر الباذنجانة ما هو الا كالقبة الكبيرة وأخبرني السيد الشريف قاضي القضاة بشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني المعروف بابن عدنان ويا بن أبي الجن أنه وقف في سنة أربع وعثمانية بمقبرة باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم

فلما تم القبر ولم يبق الآن يدلى فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذئاب كثيرة كازرق الاوان حتى كادت تظلم قنل الحفار في الخسف فاذا قرب طوله اثنان وعشرون ذراعا وفيه بطول لميت قد صار كالرماح وأخبرني أيضا أنه شاهد هذه القبرة ضرس انسان وله ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعة وهي قدر البطيخة وانه وزن بحضرة فبلغ رطلين وتسع أواق بال رطل الشاى وان القطعة التي انكسرت منه نحو أوقيتين بالشاى فيكون على هذا زنة هذا الضرس نحو اثني عشر رطلا بالمصرى والله تعالى أعلم

(ذكر المقياس)

قال ابن عبد الحكم كان أول من فاس النبل بمصر يوم صف عليه السلام ووضع مقياسا بمنف ثم وضعت المجوز دلوكة أئبنة زيا مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا باخيم ووضع عبد العزيز ابن مروان مقياسا بجاولان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التستوي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهي السماء الآن بالروضة وهو أكبرها حدثنا يحيى بن بكير قال أدركت المقياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزادته الى القسطاط هذا ما ذكره ابن عبد الحكم قال التيفاشي ثم هدم المأمون مقياس الجزيرة وأسسه ولم يمه فأنتم المتوكل بنامه وهو الموجود الآن وقال صاحب مباحج الفكر المقياس الذي بانصنا ينسب لاشمون بن ققطيم بن مصر ويقال انه من بناء دلوكة وبنائه كالطليسان وعليه أعمدة بعدد أيام السنة من الصوان الاحمر رأيت في بعض المجميع مائته قال زيد بن حبيب وجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد الله قال لما فتحت مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن مدم في مقياس لهم فضلا عن تقاصره وان فرط الاستعمار يدعوهم الى الاحتكار ويدعو الاحتكار الى تصاعد الاسعار بغير قبط فكذب عمر ابن الخطاب الى عمرو بن العاص يسأله عن شرح الحال فأجاب فقال عمرو اني وجدت ما ترى به مصر حتى لا يقطع أهلها أربعة عشر ذراعا والحد الذي يرى منه سائرنا حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا والنهايتين الخوفتين في الزيادة والتقصان وهو الظما والاحتكار انتني عشرة ذراعا في التقصان وثمان عشرة ذراعا في الزيادة هذا البلد في ذلك محفور الانهار معقودا بالجسور عندما تسلموه من القبط وخير المارة فيه فاستشار عمر بن الخطاب على بن أبي طالب في ذلك فأمره أن يكتب اليه بان يبنى مقياسا وأن يقض ذراعين على اثني عشرة ذراعا وأن يقر ما بعده على الاصل وأن ينقص من ذراع بعد الست عشرة ذراعا أصبعين ففعل ذلك وبناء بجاولان فاجتمع له ما أراد من حال الارجاف وزوال مائة كان يخاف ان يجعل اثنتي عشرة ذراعا أربع عشر ذراعا لان كل ذراع أربعة وعشرون أصبعا فجعلها ثمانية وعشرين من أولها

الى الاثنى عشرة ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الاثنى عشرة ثمانية وأربعين أصبعا وهي الذراعاان
وجعل الاربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين ذراعا وهي
المستقرة الآن وقال بعضهم كتب الخليفة جعفر المتوكل الى مصر يأمر بإنشاء المقياس الجديد
الهائمي في الجزيرة سنة سبع وأربعين ومائتين وكان الذي يتولى أمر المقياس النصارى فورد نكأ
أمير المؤمنين المتوكل في هذه السنة على بكار بن قتيبة قاضى مصر بان لا يتولى ذلك الا مسلم يختاره
فاختار القاضى بكار لذلك أبالرداد عبد الله بن عبد السلام المؤدب وكان محدثا فأقامه القاضى بكار
لمرأعاه لقياس وأجرى عليه الرزق وبقي ذلك في ولده الى اليوم وقال صاحب المرأة المقياس الظاهر
الآن بناء المأمون وقيل انما بناه أسامة بن زيد التمشوخى فى خلافة سليمان بن عبد الملك ودرجده
المأمون وبني أحمد بن طولون مقياسين أحدهما بقوص وهو قائم اليوم والاخر بالجزيرة
وقد انهدم قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى العود الذى يطاع به المقيس قياس النيل
فى كل يوم زيادة النيل

قد قلت لسانى المقيس وفى يده * عوده النيل قد عودى وقد نودى

أيام سلطانهما السعدود وقد * صم القياس بجرى الماء فى العود

(من حسن المحاضرة فى أخبار القاهرة السيوطى)

(ذكر البشاورة بوفاء النيل)

جرت العادة كل سنة اذا وفى النيل أن يرسل السلطان بشيرا بذلك الى البلاد لتطمئن قلوب العباد
وهذه عادة قديمة ولم يرل كلب الانشاء ينشئون فى ذلك الرسائل البليغة . فمن انشاء القاضى الفاضل
فى وفاء النيل عن السلطان صلاح الدين أيوب نعم الله سبحانه وتعالى من أضوءها بزوغا وأخفاها
سبوغا وأصفاها ينبوغا وأسناها منقوعا وأمدتها بمجر مواهب وأختها حسن عواقب النعمة
بالنيل المصرى الذى يسطر الامال ويقضها مده وجزره ويرى النبات يجره ويحيى مطلع
الحيوان ويجنى ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر ماوى حريرها وينشر مواثها
ويوضح معنى قوله تعالى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا
فاسفر وجه الارض وان كان تقب وأمن يوم بشره من كان خائفا يتقرب ورأى الآيات عن لطائف
الله التى حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون وقد علمناك
لتستوفى حقهم من الاداعة وتبعدم من الاضاعة وتتصرف على ما نصرفك من الطاعة وتشهر
ما أورده البشيرين البشرى بآياته وتقدمه بالرسالة مهنه على عادته وكتب القاضى محيى الدين
عبد الله بن عبد الظاهر عن السلطان الى نائب السلطنة يحيل بشارة بوفاء النيل أعز الله أنصار المقر

وسر بكل مبهجة وهنام بكل مقدمة سرور تغدو الغضب والبركة منتهية وبكل نعي لا تصبح لانه
 الصحاب موجه وبكل رحي لا يستهذلا بامها الباردة واللالياها الثلجية هذه المكاتبه تتضمن
 أن تم انه وان كانت متعددة ومنه وان غلبت بالبركات متروده ومنه وان أصبحت الى القلوب
 متودده فان أشعلها أو أكلها وأجلها وأفضها وأجزلها وأنهلها وأتمها وأعمها وأضمرها وألها
 نعمة أجزلت المنى والمنح وأنزلت في بارك صفح المقطم أغز وسفح وأنت بما يجب الزراع ويعجل
 الهراع ويعجز البرز اللامع ويغل القطاع ويقل الانقطاع وتنبعث أفواهه وأفواهه وعد
 خطاهاه، واهه وأمواهه ويسبق وقد الرمح من حيث يتبري ويغبط مريحه الاحمر القرم لان يته
 السرطان كما يغبط الحوت لانه بيتا المشتري ويأتي عجه في الغدا كثر من اليوم وفي اليوم باكثر
 من الامس ويركب الطريق مجدا فان ظهر بوجهه حمره فهي ما يعرض للسائر من حر الشمس
 ولو لم تكن شفه طويله لم يقست بالذراع ولولا أن مقياسه أشرف البقاع لما اعتبر ما تأخر من ماء
 حوله الماضي بقاع ينيا يكون في الباب اذا هو في الطاق وينيا يكون في الاحتراق اذا هو في الاختراق
 للاغراق وينيا يكون في الجحارى اذا هو في السوارى وينيا يكون في الجباب اذا هو في الجبال
 وينيا يقال لزيادته هذه الامواه اذ يقال لغلاته هذه الاموال وينيا يكون ماء اذ أصبح جسرا
 وينيا هو يكسب تجارة فدا كسب بجرا وينيا يسعد عرا فدا في بحر الجسور على الجسور جيشه
 الكرار وكما أمست التراع منه تراع والبحار منه تحمار كم حسنت مقطعه على مر الحديدين
 وكما أعانت مرار مقياسه على العز من بلاديس على العمودين أم الله لطفه في الاتيان به على
 التسديج وأجراه بالرجة الى نقص العيون بالفرج والقلب بالتفريج فاقبل جيشه بجوا كبه
 وجاء بطاعن الجذب بالصوارى من مر كبه ويصافب بالحاجة الجسور في سدا بحجه ويصافب
 القبط بالتراس من بركه والسيوف من خلبه ولما تكامل اياه وصم في ديوان الفلاح والفلاحة
 حسابه وأظهر ما عنده من خزائن التسيرو ونائحه ولقط عموده حمل ذلك على أصابعه وكانت
 الستة عشر ذراعاً تسمى ماء السلطان نزلنا وحضرنا مجلس الوفاء العقود واستوفينا شكر الله تعالى
 بفيض ماهو من زيادته محسوب ومن صدقاتنا مخرج ومن القبط مردود ووقع تياره بين أيدينا
 سطورا يافوق وعلت يدينا الشريفة بالملوق وجدنا السير كما جللنا الدرى وصرفناه في القرى
 للقرى ولم نخضره في العام الماضي فعملنا الله من الشكر شكرنا وعمل هو ما جرى وحضرنا الى الخليج
 واذا به أم قد تلقونا بالاعاء الحجاب وقرظونا فامرنا ما عهد أن يحثون سده في وجوه المداحين التراب
 ومر يدي المنارو يعيدها ويرزومنازل القاهرة وبعودها واذا سئل عن أرض الطبالة قال
 جنبنا بللى وعن خلبها قال وهي جنت بغيرنا وعن بركة القيل قال وأخرى بنا مجنونة لا تريدنا
 (١٥) القطع المنتخبه (بزه ثاني)

ومابرحت حتى تعوض عن القبعان البقيعة من المراكب بالسراير المرفوعة ومن الاراضى المحروثة من جوانب الآذر بالزراى المشوثة وانقضى هذا اليوم عن سرور ملئله فليحملوا لخدمون وأصبحت مصر حرة فيها من شتى الانفس وتلذذوا لعين وأهلها فى ظل الامن خالدين فليأخذ حظه من هذه البشرى التى ما كتبنا بهما حتى كتبتم الرياح المنهر المجرى الى البحر المحيط ونطق بها راحة الله تعالى الى مجاورى بيته من لاسى القوى ونازعى المحيط وبشرت بهامطيا المسير الذى يسير من قوس غير منقوص وتشارك بهما الابتهاج فى العالم فلا مصر دون مصر بها مخصوص والله تعالى يجعل الاولياء فى دولتنا يتبعون بكل أمر جليل وجيران الفرات يفرحون بجريان النيل . وكتب الصلاح الصقدي بشارة الى بعض النواب فى بعض الاعوام ضاعف الله نعمة الخباب وسرقة نفسه بانفس بشرى وأسمعه من الهناء كل آية أكبر من الاخرى وأقدم عليه من المسار ما يتعزز ناقله ويتحرى وساق اليه كل طليعة اذا تنفس صبحها تفرق الليل وتقرى وأورد له بهمن أبناء النجب ما يتبرم به محل المحل ويترى هذه المكتبة الى الخباب العالى نخصه بسلام يرى كالماء انسجما ويروق كالزهر ابتساما ونقطة به بناء جعل المسلك ختاما وضربه على الرضاى المتساقط خياما ونقص عليه من نبال النيل الذى خص الله البلاد المصرية بوفاء وفائه وأعنى به قطر هاجن القطر فلم تخرج الى مد كافه فوائده ونزهه عن منة النعام الذى انجاد فلا بد من شقة رعد دمه بكائه فهى الارض التى لا يذم للمطار فى جوهامطار ولا يرم للقطار فى نفثها قطار ولا تزد الانواع فيها عيون التوار ولا تشيب بالتلويح مفارق الطرق ورؤس الجبال ولا تنقصد فيها حلى التجوم لاندراج الليلة تحت السحب بين اليوم وأمس ولا يمسك فى سناهم المساكين كما قيل بجبال الشمس وأين أرض يتجدعها بالبحر العجاج ويردحم فى ساحاتها أفواج الامواج من أرض لاتنال السقيا الا بحرق لان القطر سهاهم والضباب عجاج قد انعقد ولايم الغيث بقاءها لان السحب لاتراها الا بسراج البرق اذا انقذ فلو نخصم النيل مياه الارض لقال عندى قبالة كل عين اصبع ولو فاخرها اقال أنت بالجبال أنقل وأنا بالقي أطبع والنيل له الآيات العكبر وفيه ليجائب والعبر منها وجود الوفا عند عدم الصفا وبلغ الهرم اذا حتموا صطدم وأن كل فريق اذا قطع الطريق وفرح قطان الاوطان اذا كروه وكما يقال لمطان وهو أكرم مستدى وأعذب محتى وأعظم مجتدى الى غير ذلك من خصائصه وبرائه مع الزيادة من نقائصه وهو أنه فى هذا العام المبارك جذب البلاد من الجذب وخلصها من الدواعى وعصمها من الجذبة التى لاتراع من براعه وحصنها من سواى الصوارى تحت قواعده وماهى الاعمد قلاعها وراعى الادبيين أيدينا الشريفة عطا العنا فى كل يوم بمرفاعه فى دقايعه حتى اننا اكبل الستة عشر ذراعا وأقبلت سواين الخيل سراعا وفتح أبواب الرحمة بتقليقه

وجئت في طلب تحليفه فضرع عند ذراعها اليانا وسلم عند الوفاها باصابعه علينا ونشر علم ستره
 وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره فرسمنا بان يخلق ويعلم تاريخ ههنا ويدين في فكرنا الخليج
 وقد كاد يعلوه فوق موجحه ويهمل كتيب سنده حول هيجه ودخل يدوس زراقي الدور المينونه
 ويجوس خلال الحنايا كأنه فيها خبايا موروثه ومرق كالسهم من قسي قناطره المنكوسة
 وعلاه زيد حركته ولولاه ظهرت في باطنه من يدور اناته أشعثها المنكوسة وبسر ركة النيل بركة الغال
 وجعل المجنونه من تياره المنحدر في السلاسل والاعلال وملا أكف الرجا بأموال الامواه
 وازدجت في عبارة شكره أفواج الافواه وأعلم الاقلام بعجزها عما يدخل من خراج البلاد وهنات
 طلائعه الطالع التي زلت بركها من الله على العباد وهذه عوائد اللطاف الالهية بنالم نزل تجلس
 على مواندنا وناخذ منها ما نستهلر عاينا من فوائدها ونخص بالشكر قوادمها فهي تبس حولنا
 وتدرج ونخص قوادمها بالنماء والمدخ والمجد فهي تدخل النوا وتخرج فليأخذ الجنا ب العالي حفظه
 من هذه البشري التي جاءت بالبن والمخ وانملت أياديها المندقة بالسبح والسفع وليتلقها ب اشكر
 يضي به في الدجى أديم الافق ويتخذها عقدا تحيط منه بالعنق الى النطق وليتقدم الجنا ب العالي بان
 لا يترك الميزان في هذه البشري بالجباية لسانه وليعط كل عامل في بلادنا ذلك أمانه وليعمل بمقتضى
 هذا المرسوم حتى لا يرى في اسقاط الجباية خيانة والله يديم الجنا ب العالي لقص الانباء الحسنة عليه
 ويمتعه بجلاء عرائس الثمانى والافراح لديه . وكتب الاديب قتي الدين أبو بكر بن حجة بشارة
 عن الملك المؤيد شيخ سنة تسع عشرة وثمانمائة ونبدى لعلها لكرم ظهر ورأية النيل الذي عاملنا
 فيه بالحسنى وزيادة وأجرا لتأفي طرق الوفاء على أجل عادة وخلق أصابعه ليزول الایهام
 فاعلن المسالون بالشهادة كسرى بمسرى فأمسى كل قلب بهذا الكسر محبورا واتبعناه بنور روز
 ومابر ح هذا الاسم بالسعد المؤيد مكسورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه
 وقيل نفورا الاسلام فأرشفها ريقه الحلا فالت أعطاف غصونها اليه وشبب خيره في الصعيد
 بالقصب و قد سبنا نكه الذهبية الى جزيرة الذهب فحضر التاصير وواصل بأمد يثار وقلنا
 لولاه صيغ بقوفنا لجاء وعليه ذلك الاحرار وأمال الله عمر زيادته فتردد الى الآثار وعمت
 البركة فأجبرى سواقي مكة الى أن غدت جنة تجري من تحتها الانهار وحض منسهي الروضة
 في صدره وحناعلها خوارضعات على القطيم وأرشفه على ظمأ زلال الأمن المدامة للتديم
 وراق مدي بجمهره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافة الخربة فقدمته بحول النبا ب
 وأدخله الى حنا الخيل والاعناب فالقي النوى والحب فارضع جنين التبت وأحيى له أمهات
 العصف والاب وصالحته ككفوف الموز فحتمها بحوائمه العتيقة ولبس الورود نشر ربه

وقال أربحوا أن تكون شوكتي في أيامه قوية ونسي الزهري بحلاوة لقائه مראה النوى وهامت به
مخدرات الاشجار فأرخت صفائر فروعها عليهم من شدة الهوى واستوفى النبات ما كان له في جذمة
الري من اللون وما زاح الحوامض به لآونة فهم الناس بالسكر واللجون وانجذب اليه الكادومند
ولكن قوى قوسه لما خطى منه بسهم لا يرد وليس شربوش الاترج وترفع الى أن لبس بعده التاج
وفتح مشورا الارض لعلامة بهمة الرزق وقد نفذ أمره وراح فتناول مقام الشنبر وعلم باقلامها
ورسم لكل سيد بالافراج وسرح بطائق السفن خفقت أجنتهم بانخلق بشائره وأشار بأصابعه
الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحطى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن
على البحر الا انحرط ساكنه بعدما تفقه وأتقن باب المياه ومدشفاه أمواجه الى تقبيل فم الخور
وزاد بسرعة فاستحلى المصريون زائده على القور وزل في بركة الحبش فدخل التكرور في طاعته
وجعل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشمامته وأظهر في مسجد الخضر
عين الحياة فأفراقه عينه وصار أهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر
وطعن في حلاوة شماته فحاشع الاوقد ركب عليه وزل في ساحله وأمست دارات دوائره على
وجنات الدهر عاطفه وثقلت أرداف أمواجه على خصوص الجوارى واضطربت كالثائرة ومال
شبق الخيل اليه فلم تخرط لعه وقبل سالقه وأمست سودا الجوارى كالحسنات على حمرة وجناته
وكلمل ازاد الله في حسناته فلا فقير سد الاصل لمن فيض نعمة فنوح ولا ميت خلج الاعاش
بهودبت فيه الروح ولكنه اجرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة
كل عين أصبح ونشر اعلام قواعه وحل وله على زى الجزيرة زججرة ورام أن يحجم على غير بلاده
فبادر اليه عزمنا المؤيد وكسره وقد أنزنا المقر بهذه البشرية التى سرى قصلها براو بحرا وحدثناه
عن البحر ولا حرج وشرحنا له حال اوصدرا لياخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة
وينشق من طيها نشر افقد حملته من طيبات ذلك التسميم أنفاسا عطرة والله تعالى يوصل بشائرتنا
الشريفة لسمعه الكريم ليصيرهم فى كل وقت مشفيا ولا يرجح من نيلها المبارك وانعائنا الشريفة
على كلال الحالى في وفا (من حسن المحاضرة في أخبار القاهرة للسيوطي)

جامع عمرو

قال ابن المذوح في ايقاظ المستغفل واتعاط المتوكل هو الجامع العتيق المشهور بتايح الجوامع
قال الليث بن سعد ليس لاهل الراهية مسجد غيره وكان الذى حاز موضعه ابن كاثوم التجي ويكنى
أبا عبد الرحمن ونزل في حصارهم الحصن فلما رجعوا من الاسكندرية سأل عمرو قبينة في منزله هذا
يجعل له مسجدا فقال قبينة فاني أتصدق به على المسلمين فلهه اليهم فبني في سنة احدى وعشرين

وكان طولُه خمسين ذراعاً في عرض ثلاثين ويقال أنه وقف على إقامة قبلته عثمان بن عفان من رجلا من الصحابة منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبد الله بن الصامت والمهدياء وأبو ذر وأبو بصرة ومجبة ابن جرة الزبدي ونبيه بن صواب وقضالة بن عبيد وعقبة بن عامر ورافع بن مالك وغيرهم ويقال أنها كانت مشرفة جداً وإن قرعة بن شريك لما هدم المنجد وبناءه في زمن الوليد ثمانين قليلاً وذكر أن الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة كانا يتمانان إذا صليا فيه ولم يكن للمسجد الذي بناه عمرو محراب مجوف وإنما قرعة بن شريك جعل المحراب المجوف وأول من أحدث ذلك عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ عامل الوليد على المدينة حين هدم المسجد النبوي وزاد فيه وأول من زاد في جامع عمرو مسلمة بن مخلد وهو أمير مصر سنة ثلاث وخمسين سقى الناس إليه ضيق المسجد فكتب إلى معاوية فكتب معاوية إليه يأمره بالزيادة فيه فزاد فيه من بحره وجعل له رجة من البحري وبضه وزخره ولم يغير البناء القديم ولا أحدث في قبلته ولا غيره شيئاً وكان عمر وقتما تخلف منها فكتب إليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يعزّم عليه في كسره أما بحسبك أن تقوم قائماً والمسلمون جالسون تحت عقيبك فكسره وذكر أنه زاد من شرقه حتى ضاق الطريق بينه وبين دار عمرو بن العاص وفرشه بالحصر وكان مقر وشاباً لحصباء وقال في كتاب الحند العربي إن مسلمة نقض جميع ما كان عمرو ابن العاص بناه وزاد فيه من شرقه وبنا فيه صوامع في أركانه الأربعة برسم الأذان ثم هدمه عبد العزيز ابن مروان أيام امرته تبصر في ستة وتسعين وسبعين وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرجة التي كانت بحريه ثم في سنة تسع وعشرين أمر الوليد نائبه بمصر برفع سقفه وكان مطاطياً ثم هدمه قرعة بن شريك بأمر الوليد سنة ثنتين وتسعين وبناه فكانوا يجمعون في قياسه العمل حتى فرغ من بنيائه في رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب فيه المنبر الجديد في سنة أربع وتسعين وعمل فيه المحراب المجوف وعمل للجامع أربعة أبواب ولم يكن له قبل إلا بابان وبني فيه بيت المال بناه أسامة بن زيد التميمي متولى الخراج عصر سنة تسع وتسعين فكان مال المسلمين فيه ثم زاد فيه صالح بن علي ابن عبد الله بن عباس وهو يومئذ أمير من قبل السناح وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فأدخل فيه دار الزبير بن العوام وأحدث له باباً خامساً ثم زاد فيه موسى بن عيسى الهاشمي وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو أمير مصر من قبل الأموي في جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة ومائتين فتكامل ذرع الجامع مائتين وتسعين ذراعاً بذراع العمل طولاً في مائة وخمسين عرضاً ويقال إن ذرع جامع ابن طولون مثل ذلك سوى الأربعة المحيطة بجوانبه الثلاثة ونصب عبد الله بن طاهر اللوح الأخضر فلما احترق الجامع احترق ذلك اللوح فجعل أحد بن محمد الجبض هذا اللوح مكانه وهو الباقي إلى اليوم والماتوا

الحارث بن مسكين القضاء من قبل المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين أمر ببناء هذه الرحبة لينتفع الناس بها ولط زياد ما بن طاهر وأصلح السقف ثم زاد فيه أبو أيوب جاذبن محمد بن نجيب صاحب الخراج في أيام المعتصم في سنة ثمان وخسين ومائتين ثم وقع في مؤخر الجامع حريق في ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين فأمر بخاروبه بن أجد بن طولون بعمارة على يد الهبيض فاعيد على ما كان وانفق فيه ستة آلاف واربعمائة دينار وكتب اسم خاروبه في دائرة الرواق الذي عليه اللوح الأخضر وزاد فيه أبو حفص العباسي أيام نظر في قضاء مصر خلافة ل أخيه الفرقة التي يؤذن فيها المؤمنون في السطح وذلك في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبد الله بن الخازن ورواها مقداره تسعة أذرع وذلك في رجب سنة سبع وخسين وثلاثمائة ومات قبل انعامه فاتمه ابنه علي وفرغ في رمضان سنة ثمان وخسين ثم بنى فيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن كاس بأمر العزيز بالله الفوارق التي تحت قبعة بيت المال وهو أول من عمل فيه فواره وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة يبض المسجد ونقشت ألواح وذهب على يد جرجان الخادم وعمل فيه تنويرا لكل ليلة الجمعة وفي سنة ثلاث وأربعمائة أنزل اليه من القصر بالف ومائتين وتسعين مصحفا في ربعات فيها ما هو مكتوب بالذهب كله ويمكن الناس من القراءة فيها وأنزل اليه تنوير من فضة استعمله الحاكم بأمر الله برسم الجامع فيه مائة ألف درهم فضة فأجمع الناس وعلق بالجامع بعد أن قلعت عتبة الجامع حتى أدخل به ثم في أيام المستنصر في رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة زيد في المقصورة في شرفها وغربها وعمل منطقة فضة في صدر المحراب الكبير أثبت عليها اسم أمير المؤمنين وجعل لعمودى المحراب أطواقا فضة فليرز ذلك إلى أن استبد السultan صلاح الدين بن أيوب فأزاله وفي ربيع الآخر سنة اثنين وأربعين وأربعمائة عمل مقصورة خشب ومحراب ساجم نقوش يعودى صندل برسم الخليفة تنصبه في زمن الصف وتقلع في زمن الشتاء إذا صلي الإمام في المقصورة الكبيرة وفي سنة أربع وستين وخمسائة تمكن الفريخ من ديار مصر وحكموا في القاهرة حكاما ثم انتشع الجامع فلما استبد السultan صلاح الدين جددته في سنة ثمان وستين وخمسائة ورسم عليه اسمه وعمر المنطرة التي تحت الماذنة الكبيرة وجعل لها سقاية ولما تولى تاج الدين ابن بنت الاعز قضاء الديار المصرية أصلح ما مل منه وهدم ما به من الغرف الخدثة وجعل أبواب الخيرة واتفق الرأى على ابطال حوازم الماء إلى القسقية وكان الماء يصل إليهم من بحر النيل فأمر بابطالها كان فيه من الضرر على جدار الجامع وحدث السultan ببيروى في عمارة ما تم قدم من الجامع فرسم بعمارة وكتب اسم الظاهر يبرس على اللوح الأخضر وحللت العبد كلها وببض الجامع بأسره وذلك في رجب سنة ست وستين وستمائة ثم جدد في أيام المنصور فلا وون

سنة سبع وعشرين وسبعمائة ولما حدثت الزلزلة في سنة اثنتين وسبعمائة تشعبت الجامع فجده سلاسل نائب السلطنة ثم تشعبت في أيام الظاهر برقوق فمر الرئيس برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلى رئيس القبار وأزال اللوح الأخضر وجدلوا آخر بدله وهو الموجود الآن واتته عمارته في سنة أربع وثمانمائة وقال ابن المتوج ذرع هذا الجامع اثنان وأربعون ألف ذراع بذراع المصرى القديم وهو ذراع الحصر المستقر الآن وذرع بذراع العمل ثمانية وعشرون ألف ذراع وعدد أبوابه ثلاثة عشر بابا وعن تولى مامنة هذا الجامع أبو رجب العلاء بن عاصم الخولاني وهو أول من سلم في الصلاة تسليمتين بهذا الجامع كتاب ورد عليه من المأمون يأمره بذلك وصلى خلفه الامام الشافعى حين قدم مصر فقال هكذا تكون الصلاة ما صليت خلف أحد أئم صلواته من أبى رجب ولا أحسن ولما تولى القصص حسن بن الربيع بن سليمان في زمن المتوكل سنة أربعين ومائتين أمر بترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة وأمر أن تصلى التراويح وكانت تصلى قبل ذلك ست تراويح قال القضاعى ولم يكن الناس يصلون بالجامع صلاة العيد حتى كانت سنة ست وثلاثمائة صلى فيها رجل يعرف بعلى بن أحمد بن عبد الملك الفهمى صلاة القطر ويقال انه خطب من دفتر نظر او حفظ عنه انه قال اتقوا الله - حق تقاته ولا تقون الا اوتاهم مشركون فقال بعض الشعراء وقام في العيد لنا خطيبا * خرض الناس على الكفر وذكر بعضهم انه كان يوقد في الجامع العتيق كل ليلة ثمانية عشر ألف قنيلة وان المطلق برجمة خاصة لوقد كل ليلة أحد عشر قنطارا زيتا طيبا وقال المقرئ أخبرني شهاب الدين أحمد بن عبيد الله الوردى أخبرني المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات أخبرنا بالسلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الخنقى أنه أدركه بجامع عمرو قبل الوباة الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لأقراء العلم لا تكاد تخرج منه (من حسن المحاضرة في أخبار القاهرة لسيوطي)

جامع المحاكم

هذا الجامع من خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن العزيز بن الله معد وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله فلما توسع أمير الجيوش بدار الجمل إلى القاهرة وجعل أبوابا حيث هي اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف بالأبجامع الخطيبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الأنور قال الأمير مختار عز الملاك محمد بن عبيد الله بن أحمد السنجي في تاريخ مصر وفيه يعني شهر رمضان سنة ثمان وثلاثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلي باب الفتوح من خارج وبني بالبنافيه

وتحلق فيه الفقهاء الذين يتحلقون في جامع القاهرة يعني الجامع الأزهر وخطب فيه العزيز بالله
وقال في حوادث سنة احدى وعشرين وثلاثمائة لأربع خلان من شهر رمضان صلى العزيز بالله في جامع
صلاة الجمعة وخطب وكان في مسيرته بين يديه أكثر من ثلاثة آلاف وعليه طيلسان وبه القصب
وفي رجليه الخذاء وركب لصلاة الجمعة في رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة إلى جامع ومعه ابنه
منصور فعملت المظلة على منصور وسار العزيز بغير مظلة وقال في حوادث سنة ثلاث وتسعين
وثلاثمائة وأمر الحاكم بأمر الله أن يتم بناء الجامع الذي كان الوزير يعقوب بن كلس بدأ في بنيانه عند
باب الفتوح فقدر للنفقة عليه أربعون ألف دينار فأبتدى في العمل فيه وفي صفر سنة احدى
وأربعمائة زيد في منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أربع مائة ذراع وفي سنة ثلاث
وأربعمائة أمر الحاكم بالله بعمل تقدير يحتاج اليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل
والسلاسل فكان تكبير ما ذرع للحصر ستة وثلاثين ألف ذراع فبلغت النفقة على ذلك خمسة
آلاف دينار قال وتم بناء الجامع الجديد باب الفتوح وعلق على سائر أبوابه ستور دقية عملت له
وعلق فيه ثمانية قفصه عنده أربع وكثير من قناديل فضة وفرش جميعه بالحصر التي عملت له ونصب
فيه المنبر وتكامل فرشته وتعليقه وأذن في ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة
بات في الجامع الأزهر أن يصوا اليه مضوا وصار الناس طول ليلتهم يحشون من كل واحد من
الجامعين إلى الآخر غير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عس القصر ولا أصحاب الطوف إلى
الصبح وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة وهي أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه وفي
ذى القعدة سنة أربع وأربعمائة حبس الحاكم عدة قيسر وأملا على الحاكم على الحاكم يحيى
الفتوح قال ابن عبد الظاهر وعلى باب الجامع الحاكم مكتوب أنه أمر بعمل الحاكم أبو علي المنصور
في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وعلى منبره مكتوب أنه أمر بعمل هذا المنبر للجامع الحاكم المنشأ
بظاهر باب الفتوح في سنة ثلاث وأربعمائة ورأيت في سيرة الحاكم وفي يوم الجمعة أقيمت الجمعة
في الجامع الذي كان الوزير أنشأه بسبب الفتوح ورأيت في سيرة الوزير المذكور في يوم الأحد عاشر
رمضان سنة تسع وسبعين وثلاثمائة خط أسام الجامع الجديد بالقاهرة خارج الطائفة بمحايل باب
الفتوح قال وكان هذا الجامع خارج القاهرة فبعد ذلك باب الفتوح وعلى البنية التي تجاور
باب الفتوح وبعض البرج مكتوب أن ذلك بنى سنة ثلاث وأربعمائة في زمن المستنصر بالله ووزارة
أمير الجيوش فيكون بينهما سبع وعشرون سنة قال والفسقية وسط الجامع بناها الصاحب عبد الله
ابن علي بن شكر وأجرى الماء إليها وأزالها القاضي تاج الدين بن شكر وهو قاضي القضاة في سنة ستين
وسمائة والزائدة التي إلى جنبه قيل أنها بناها والده الظاهر على ولم يكملها وكان قد حبس فيها القرخي

فعلوا فيها كذا شئ هدمها الملك الناصر صلاح الدين وكان قد تغلب عليها وبنت اصباطا وبغنى
 أنها كانت في الايام المتقدمة قد جعلت اهرام الغلال فلما كان في الايام الصالحة ووزارة معين الدين
 حسن ابن شيخ النسيخ المالك الصالح أيوب ولد الكامل ثبت عند الحاكم أنه لمن الجامع وأن بها
 محرابا فانتزعت وأخرج الخيل منها وبقي فيها ما هو الآن في الايام المعزبة على يد الركن الصيرفي
 ولم يسقف ثم جدد هذا الجامع في سنة ثلاث وسبعمائة وذلك أنه لما كان يوم الخميس ثالث عشر
 ذي الحجة سنة اثنين وسبعمائة تزلزلت أرض مصر والقاهرة وأعمالها ورجف كل ما عليها وما اهتز
 وسمع للحيطان قعقة والسقوف قرقة ومادت الأرض بما عليها وخرحت عن مكانها وتخييل
 الناس أن السماء قد انطبقت على الأرض فهر بوا من أمانهم وخرجوا عن مساكنهم وبرزت
 النساء حاسرات وكثر الصراخ والعيول واتشربت الخلائق فلم يسدرا عدلى السكون والقرار
 لكثرة ماسقط من الحيطان وخر من السقوف والمآذن وغير ذلك من الابنية وقاض ماء النيل
 فيضا غير المعتاد وأقي ما كان عليه من المراكب التي بالساحل قدر مية سهم وانحسر عنها نصارت
 على الأرض بغير ماء واجتمع العالم في الصراخ خارج القاهرة وبأوا ظاهرا باب البحر بحرهم
 وأولادهم في الخيل وخلفت المدينة وتشعبت جميع البيوت حتى لم يسلم ولا يبيت من سقوط أو تسقط
 أو ميل وقام الناس في الجوامع يتلون ويسألون الله سبحانه طول يوم الخميس ليلة الجمعة ويوم الجمعة
 فكان يمتهدم في هذا الزلزلة الجامع الحاكمي فانه سقط كثير من البدنات التي فيه وخرب أعالي
 المذبتين وتشعبت سقوفه وجدونه فاشتد بالملك الأمير ركن الدين بيرس الجاشنكير ونزل اليه
 وبه القضاء والامراء فكشفه بنفسه وأمر برم ما تهدم منه وإعادة ماسقط من البدنات فأعيدت
 وفي كل بدنة منها طاقة وأقام سقوف الجامع وببضه حتى عاد جديدا وجعل له عدة أوقاف بناحية
 الجيزة وفي الصعيد وفي الاسكندرية تغل كل سنة شيا كثيرا ورتب فيه دروسا أربعة لاقراء الفقه على
 مذاهب الأئمة الأربعة ودرس الاقراء الحديث النبوي وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثير من
 الطلبة فرتب في تدريس الشافعية قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي وفي تدريس
 الحنفية قاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي الحنفي وفي تدريس المالكية قاضي القضاة
 زين الدين علي بن مخلوف المالكي وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الجواني وفي
 درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثي وفي درس النحو الشيخ أبي النضر أبو حيان وفي
 درس الفرائد السبع الشيخ نور الدين الشطنوفي وفي التصدير لافانة العلوم علاء الدين علي بن
 اسماعيل القونوي وفي مشيخة الميعاد الجرد عيسى بن الحشاش وعمل فيه خزانة كتب جليلة وجعل
 فيه عدة متصدرين لتلقين القرآن الكريم وعدة قراء يتناوبون قراءة القرآن ومعلم يقرئ أيام

المسلمين كتاب الله عز وجل وحفر فيه صهر يحيا بحسن الجامع ليلاً في كل سنة من ماء النيل ويسبل منه الماء في كل يوم ويستقي منه الناس يوم الجمعة وأجرى على جميع من قرره فيه معاليه داره وهذه الاوقاف باقية الى اليوم الآن أحوالها اختلفت كما اختلف غير ما فكان ماء أثق عليه زيادة على أربعين ألف دينار وجرى في بنائه بهذا الجامع أمر بتعجب منه وهو ما حدثني به شيخنا الشيخ المعروف المسند المعمر أبو عبد الله محمد بن ضرغام بن شكر المقرئ بمكة في سنة سبع وثمانين وسبعمائة قال أخبرني من حضر عمارة الامير يبرس للجامع الحاكبي عند سقوطه في سنة الزلزلة أنه لما شرع البناء في ترميم ما وهى من المئذنة التي هوى من جهة باب الفتوح ظهر لهم صندوق في تضاعيف البنيان فاخرجوه الموكل بالعمارة وفتحوه فاذا فيه قطن ملفوف على كف انسان يزده وعليه أسطر مكتوبة لم يدركها هي والكف طرية كلهم اقرينة عهد بالقطع ثم رأيت هذه الحكاية بخط مؤلف السيرة الناصرية موسى ابن محمد بن يحيى أحد مقدمي الحلقة ثم جدد هذا الجامع وبلط جميعه في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في ولايته الثانية على يد الشيخ قطب الدين محمد الهرماس في سنة ستين وسبعمائة ووقف قطعة أرض على الهرماس وأولاده وعلى زيادة في معلوم الامام بالجامع وعلى ما يحتاج اليه في زيت الوقود ومرتبة في سقفه وجدرانها وجرى في عمارة الجامع على يد الهرماس ما حدثني به الشيخ المعرشمس الدين محمد بن علي امام الجامع الطيرسي بشاطئ النيل قال أخبرني محمد بن عمر البوصيري قال حدثنا قطب الدين محمد الهرماس أنه رأى بالجامع الحاكبي حجراً طره من مكان قد سقط منقوشا عليه هذه الايات الخمسة

ان الذي أشرفت ميكنون اسمه * وكتبته كيما أفوز بوصله
مال له جذر تساوى في الهجاء * طرفاه يضرب بعضه في مثله
فيصير ذاك المال الا أنه * في النصف منه تصاب أحرف كاه
واذا نطق بربعه متكلماً * من بعد أوله نطق بكاه
لاتنطق فيه اذا تكامل عده * فيصير منقوطة بجمله شكاه

قال وهذه الايات لغز في الحجر المكرم وقال العلامة شمس الدين محمد بن النقاش في كتاب العبر في أخبار من مضى وغير وفي هذه السنة يعني سنة احدى وستين وسبعمائة صدور الهرماس وهدمت داره التي بناها امام الجامع الحاكبي وضرب وثنى هو وولده فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرون من ذي القعدة استفتى السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في وقف حصة طنندا وهي الارض التي كان قد سألها الهرماس أن يقفها على مصالح الجامع الحاكبي فمسين له خمسمائة وستين فدنا من طين طندا وطلب الموقعين وأمرهم أن يكتبوا صورة وقفها ويحضروا وليشهدوا

عليه به وكان قد تقرر من شروطه في أو قافه ما قبل انه روايه عن أبي حنيفه رحمه الله تعالى عليه من أن اللواقف أن يشترط في وقفه التغيير والزايده والنقص وغير ذلك فأحضر الكركي الموقع عليه الكتاب مطويافقرأ منه طرته وخطبته وأوله ثم طواه وأعادها ليمطوياً وقال الشهدا بما عليه دون قراءة وتأمل فشهدواهم بالتفصيل الذي كتبوه وقرروه مع الهرماس ولما أطلع السلطان على ذلك بعدنقى الهرماس طالب الكركي وسأله عن هذه الواقعة فأجاب بما قد ذكرنا والله أعلم بحقيقة ذلك غير أن المعلوم المقرر أن السلطان ما قصد الامصال الجامع نعم سأله ازمهر الخارندار هل وقعت حصه لطيفه على أولاد الهرماس فانه قد ذكر ذلك فقال نعم أنا وقعت عليهم جزأ يسير الم أعلم بمقداره وأما التفصيل المذكور في كتاب الوقف فلم أتتبعه ولم أطلع عليه فاستفتى المفتي في هذه الواقعة فأما المفتون كابن عقيل وابن السبكي والبليقي والبسطامي والهندي وابن شيخ الجبل والبيضاوي ونحوهم فأجابوا بطلان الحكم المترتب على هذه الشهادة الباطلة وبطلان التنفيذ وكان الخنفي حكيم والبقية نفذوا وأما الخنفي فقال ان الوقف اذا صدر صحيحا على الاوضاع الشرعية فانه لا يبطل بما قاله الشاهد وهو جواب عن نفس الواقعة وأما الشافعي فكتب ما مضى ان الخنفي ان اقضى مذهبه بطلان ما صححه أو لا تنفذ بطلانه وخاضل ذلك أن القضية أجابوا بالصحة والمفتين أجابوا بالبطلان فطلب السلطان المفتين والقضاة فلم يحضر من الحكام غير نائب الشافعي وهو تاج الدين محمد بن اسحاق بن المناوي والقضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والحنبلي وجدوا مرضى لم يكنهم الحضور إلى شرياقوس فان السلطان كان قد سرح اليها على العادة في كل سنة فجمعهم السلطان في برج من القصر الذي يبعدان شرياقوس عشاء الآخرة وذكروا لهم القضية وسألهم عن حكم الله تعالى في الواقعة فأجاب الجميع بالبطلان غير المناوي فانه قال مذهب أبي حنيفه أن الشهادة الباطلة اذا اتصل بها الحكم صح وزعم فصرخت عليه المفتون شافعيهم وحنفيهم أما شافعيهم فانه قال ليس هذا مذهبك ولا مذهب الجمهور ولا هو الراجح في الدليل والنظر وقاله ابن عقيل هذا مما ينقض به الحكم ولو حكم بهما كما وادعى قيام الاجماع على ذلك وقال له سراج الدين البليقي ليس هذا مذهب أبي حنيفه ومذهبه في العقود والفسوخ ما ذكرتم من أن حكم الحاكم يكون هو العمد في التحليل والتعريم وأما الاوقاف ونحوها فحكم الحاكم فيها إلا أنه كذهب الشافعي وادعوا أن الاجماع قائم على ذلك وقاموا على المناوي في ذلك قومة عظيمة فقال نحن نحكم بالظاهر فقالوا له الم يظهر الباطن بخلافه فقال قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر قالوا هذا الحديث كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وإنما الحديث الصحيح إنما أنا نبشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض الحديث قال المناوي الاجكام ما هي بالتقاوى قالوا له فيماذا تكون أنى الوجود حكم شرعى

بغير فتوى من الله ورسوله وكان قد قال في مجلس ابن الدريهم القائم على نفيس اليهودى المدعور رأس
 الخالوت بين اليهود لا يلتفت لقول المفتين فقبل له في هذا المجلس ها أنت قد قلت من بين المفتين
 لا يعتبر قولهم وإن الفتاوى لا يعتمد بها وقد أخطأت في ذلك أشد الخطأ وأبأت عن غاية الجهل
 فإن منصب الفتوى أول من قام به رب العالمين إذ قال في كتابه المبين يستفتونك قل الله يفتيكم
 في الكلالة وقال يوسف عليه السلام قضى الامر الذى فيه تستفتيان وقال النبي صلى الله عليه
 وسلم لعائشة رضى الله عنها قد أفتانى الله ربى فيما استفتيته وكل حكم جاء على سؤال سائل تكفل
 بيمينه قرآن أو سنة فهو فتوى والقائم به مفت فكيف تقول لا يلتفت الى الفتوى أو الى المفتين
 فقال سراج الدين الهمذى وغيره هذا كفر ومذهب أبى حنيفة أن من استخف بالفتوى أو بالمفتين
 فهو كافر فاستدرك نفسه بذلك وقال لم أرد إلا أن الفتوى إذا خالفت المذهب فهي باطلة قالوا له
 وأخطأت في ذلك لأن الفتوى قد تخالف المذهب المعين ولا تخالف الحق في نفس الامر قال فأردت
 بالفتوى التى تخالف الحق قالوا فاطلقت في موضع التقييد وذلك خطأ فقال السلطان حينئذ
 فإذا قدر هذا وادعيت أن الفتوى لا أثر لها فبطل المفتين والفتوى من الوجود فتلكأ وحار
 وقال كيف أعمل في هذا فتبين لبعض الحاضرين أنه استشكل المسألة ولم يتبين له وجهها فقال لاشك
 أن مولانا السلطان لم يتكرد ووقف وانما أنكر المصارف وأن تكون الجهة التى عندها هي
 هرامس وشهوده وقضاته والسلطان أن يحكم فيما بطل ما قرر روه من عند أنفسهم قال كيف
 يحكم نفسه قبل له ليس هذا حكم لنفسه لأنه مقر بأصل الوقف وهو للتحققين ليس فيه شيء
 وانما بطل وصف الوقف وهو المصروف الذى قرر على غير جهة الوقف أنه يقع الشهادة على نفسه
 بحكم أن مصرف هذا الوقف الجهة القلاية دون القلاية ولم ير الوايد كرون له أوجهاتين بطلان
 الوقف اما بأصله أو بوصفه الى أن قال يبطل بوصفه دون أصله وأدعى لذلك بعد تعاب من العلماء
 وازعاج شديد من السلطان في بيان وجوده كروها تبين وجه الحق وأنه انما وقده على مصالح الجامع
 المذكور وهذا مما لا يشك فيه عاقل ولا يرتاب فالتفت بعد ذلك وقال للحاضرين كيف فعل
 في بطلانه فقالوا بما قررناه من إشهاد السلطان على نفسه بتفصيل صحيح وأنه لم ير كذلك منه صدر
 من الوقف الى هذا الحد وغير ذلك من الوجوه فجعل يوهم السلطان أن الشهود الذين شهدوا في هذا
 الوقف متى بطل هذا الوقف ثبت عليهم التساهل وجرحوا بذلك وقدح ذلك في عدالتهم ومتى جرحوا
 الآن لم يطلان شهادتهم في الاوقاف المتقدمة على هذا التلويح وخيل بذلك للسلطان حتى
 ذكر له إجماع المسلمين على أن جرح الشاهد لا يعطف على ماضى من شهادته السالفة ولو كفر
 والعياذ بالله وهذا مما لا خلاف فيه ثم استقر رأيهم على أن يبطله بشاهدين يشهدان أن السلطان

لما صدر منه هذا الوقف كان قد اشترط لنفسه التغيير والتبديل والزيادة والنقص وقام على ذلك قال مؤلفه رحمه الله أنظر ثبتت القضاة وقاس بين هذه الواقعة وما كان من ثبت الناضي تاج الدين المناوى وهو يومئذ خليفة الحاكم ومصادمه الجبال وبين ماستقف عليه من التسهل والتناقض في خبر أوقاف مدرسة جبال الدين يوسف الاستادار وميز بعقل فرق ما بين القضيتين وهذه الأرض التي ذكرت هي الآن بيد أولاد الهرماس يحكم الكتاب الذي حاول السلطان نقضه فلم يوافق المناوى والجامع إلا أن متهدم وسقوفه كلها ما من زمن إلا وسقط منها الشيء بعد الشيء فلا يعادو كانت مية هذا الجامع صغيرة بجوار مية ضالة الآن ثمانية وأربعين باب الجامع وموضعها الآن مخزن تعالوه طبقة عمرها شخص من الباعة يعرف بابن كرسون المراحل وهذه المية أثار لم توجد إلا أن أحدثت وأنشأ الفلسفية التي فيها ابن كرسون في أعوام بضع وعشرين وسبب ما به وبض مشذني الجامع واستجبت المأذنة التي بأعلى الباب المجاور للشرى رجل من الباعة وكلت في جداري الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة وخرق سقف الجامع حتى صار المؤذنون ينزلون من السطح إلى الدكة التي يكبرون فوقها وأراد الامام (هيئة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء الفاطميين) قال المسمى وفي يوم الجمعة غرر رمضان سنة ثمانين وثلاثمائة ركب العزير بأقبة إلى جامع القاهرة بالمظلة المذهبة وبين يديه نحو خمسة آلاف ماش وبيده القصب وعليه الطيلسان والسيف وخطب ورمي صلاة الجمعة وانصرف فأخذ رقاع المنطلين بيده وقرأ منها عند في الطريق وكان يومًا عظيمة كثره الشعراء قال ابن الطويران إذا نقض ركوب أول شهر رمضان استراح في أول جمعة فإذا كانت الساعة ركب خليفة إلى الجامع الأنوار الكبير في هيئة المواسم بالمظلة وما تقدم ذكره من الآلات ولباسه فيه ثياب الحرير البيض يوقر الصلاة من الذهب والمندبل والطيلسان المقور الشعري قيدخل من باب الخطابة والوزير معه بعد أن يتقدمه في أوائل النهار صاحب بيت المال وهو المقدم ذكره في الاستاذين وبين يديه الفرش المختصة بالخليفة إذا صار إليه في هذا اليوم وهو محمول بأبدى الفراش المنيزن وهو ملفوف في العراضى الديقية فيفرش في المحراب ثلاث طراحت امام سامان أو ديق أبيض أحسن ما يكون من صنفهما كل منهما منقوش بالجمرة فتجعل الطراحت متطابقات ويلعق ستران عينة وبسرة وفي الستر الأيمن كتابة مرقومة بالحرر الأحمر واضحة منقوطة أولها بسم الله والفاحة وسورة الجمعة وفي الستر الأيسر مثل ذلك وسورة إذا جاءك المنافقون قد أسس بلا وشرافي التعليق بجاني المحراب لاصقين بجسمه ثم يصعد قاضي القضاة المنبر وفي يده مدخنة لطيفة خيزران يحضر هاليه صاحب بيت المال مهاجرات ويجعل فيم أنت مثل لا يمتثل له الا هناك فيحضر الذروة التي عليها الغنماء كالقصب لجاوس الخليفة للخطابة ويكرر ذلك ثلاث دفعات في أي الخليفة في هيئة

موقرة من الطبل والبوق وحوالى ركبته خارج أصحاب الركاب القراء وهم قراء الحضرة من الجانبين يطربون بالقراءة فوبه بعد نوبة يستقون بذلك من ركوبه من الكرسي على ما تقدم طول طريقه الى قاعة الخطابة من الجامع ثم تحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب واسفله سلاسل العساكر ومن داخلها الى آخرها صبيان الخاص وغيرهم ممن يجرى مجراهم ومن داخلها من باب خروجه الى المنبر واحد فواحد فيجلس في القاعة وان احتاج الى تجديد وضوء فعلى الوزير في مكان آخر فإذا أذن بالجمعة دخل اليه قاضي القضاة فقال له السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي ورحمة الله وبركاته الصلاة بركم الله فيخرج ماشيا وحواليه الاستاذون المحضون والوزير وراءه ومن يليهم من الخواص وبأيدهم الاسلحة من صبيان الخاص وهم أمراء وعلمهم هذا الاسم فيصعد المنبر الى أن يصل الى القزوة تحت تلك القبة ажرة فإذا استوى جالس الوزير على باب المنبر ووجهه اليه فيشبر اليه بالصعود فيصعد الى أن يصل اليه فيقبل بيده وبرجله بحيث يراه الناس ثم يزدر عليه تلك القبة لانها كالهودج ثم ينزل مستقبلا فيقف ضابطا الباب المنبر فان لم يكن ثم وزير صاحب سيف زدر عليه قاضي القضاة كذلك ووقف صاحب الباب ضابطا المنبر فيخطب خطبة قصيرة من مسطور يحضر اليه من ديوان الانشاء يقرأ فيها آية من القرآن الكريم ولقد سمعته مرة في خطبته بالجامع الازهر وقد قرأ في خطبة ربأ وزعي أن أشكر نعمك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية ثم يصلى على أبيه ووجهه يعني بهما محمد صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه ويفط الناس وعظا بليغا قبل الانظ وتسلم الخطبة على ألفاظ جزلة ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل الى نفسه فقال وأنا أسمع الله وأطيعك وابن عبدك لأملك لنفسى ضرا ولا نفعا ويتوسل بدعوات خفية تليق بمثله ويدعو للوزير ان كان والجميعوش بالنصر والتأييد والعساكر بالتطهر وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر ثم يختم بقوله اذكروا الله يذكركم فيطلع اليه من زدر عليه ويفك ذلك التزير وينزل القهقري وسبب التزير عليهم قراءتهم من مسطور لا كعادة الخطباء فينزل الخليفة ويصير على تلك الطراحات الثلاث في الحراب وحدها ماما ويقف الوزير وقاضي القضاة صفحا ومن وراءهما الاستاذون المحضون والامراء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والاقلام والمؤذنون وقوف وظهورهم الى المقصورة لحفظه فإذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضي فاسمع القاضي المؤذنين وأسمع المؤذنون الناس هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراءه فيقرأ ما هو مكتوب في السراطين في الركعة الاولى وفي الركعة الثانية ما هو مكتوب في السراطين وذاك على طريق التذكير بخيفة الارتجاج فإذا فرغ خرج الناس ويركبوا أولا فاولا وعادوا بالبالقصر والوزير وراءه وضربت البوقات والطبول في العود

فأذا أنت الجمعة السابعة ركب إلى الجامع الأزهر من القشاشين على المنوال الذي ذكرناه والقالب الذي وصفناه فإذا كانت الجمعة الثالثة أعلم بركوبه إلى مصر للخطابة في جامعها فبرز له القصر أهل القاهرة إلى جامع ابن طولون وبرز له أهل مصر من جامع ابن طولون إلى الجامع بمصر يرتب ذلك وإلى مصر كل أهل معيشة في مكان فيظهر المختار من الآلات والستور المنمنات ويهتمون بذلك ثلاثة أيام بلياليهن والوالى مار وعائدينهم وقد نذب من يحفظ الناس ومناعهم فيركب يوم الجمعة المذكور شافاً لذلك كله على الشارع الأعظم إلى مسجد عبد الله الخراب اليوم إلى دار الأسماط إلى الجامع بمصر فيدخل البسه من المعونة ومنها باب متصل بقاعة الخطيب بالرى الذي تقدم ذكره في خطبة الجامعين بالقاهرة وعلى ترتيبهما فإذا قضى الصلاة عاد إلى القاهرة من طريقه بعينها شافاً بالزينة إلى أن يصل إلى القصر ويعطى أرباب المساجد التي يمر عليها كل واحد ديناراً وقال ابن المأمون ووصل من الطراز الكسوة المختصة بغيره شهر رمضان وجميعه برسم الخليفة للفترة بدلة كبيرة موكية مكملة مذهب و برسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر بدلة موكية حرير مكملة منديله وأطلساها ياض و برسم الجامع الأنور للجمعة الثانية بدلة منديله وأطلساها مشعري وما هو برسم أخى الخليفة للفترة خاصة بدلة مذهب و برسم أربع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات و برسم الوزير للفترة خطمة مذهب مكملة موكية و برسم الجامعين ببلتان سريبران ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شئ فندكره
(من المقرري)

جامع ابن طولون

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الطاهر وهو مكان مشهور بأجاية الدعاة وقيل أن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات واستأفى بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بناء القطائع في سنة ثلاث وستين ومائتين قال جامع السيرة الطولونية كان أحمد بن طولون يصلى الجمعة في المسجد القديم الملاصق للشرطة فلما ضاق عليه في الجامع الجديد مما أفاض الله عليه من المال الذي وجدته فوق الجبل في الموضع المعروف بتنور فرعون ومنه في العين فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلثمائة عمود فقيل له ماتجدها أو تنفذ إلى الكنائس في الأرباب والضباع اضطراب ففصل ذلك فأنكر ذلك ولم يحتره وتعذب قلبه بالفكر في أمره وبلغ النصراني الذي نوتى له بناء العين وكان قد غضب عليه وضربه ورما في المطبق الخبر فكسب إليه يقول أنا ابنه لك كما تحب وتختار بلا عدا لأعمودى القبلة فأحضره وقد طال شعره حتى نزل على وجهه فقال له ويحك ما تقول في بناء الجامع فقال أنا أصوره للأمبر حتى يراء عياناً بلا عمد لأعمودى القبلة

فأمر بأن تحضر له الجلود فأحضرت وصوره فاعجب واستحسنه وأطلقه وخلع عليه وأطلق له
للفنقة عليه مائة ألف دينار فقال له أنفق وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك فوضع النصراني
يده في البناء في الموضع الذي هو فيه وهو جبل يشكر فكان ينشر منه ويحمل الجبل ويبيح إلى أن
أفرغ من جميعه ويضيه وخلقه وعلق فيه القناديل بالسلاسل الحسان الطوال وفرش فيه الحصر
وحل إليه صناديق المصاحف ونقل إليه القراء والفقهاء وصلى فيه بكاربن قتيبة القاضي
وعمل الربيع بن سليمان بابا فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من بنى لله مسجدا
ولو كفض قطاة بنى الله له بيتا في الجنة فلما كان أول جمعة صلاها فيه أجد بن طولون وفرغ الصلاة
جلس محمد بن الربيع خارج المقصورة وقام المستحلي وفتح باب المقصورة وجلس أجد بن طولون
ولم ينصرف والغلمان تمام وسائر الخباب حتى فرغ المجلس فلما فرغ المجلس خرج إليه غلام بكبس
فيه ألف دينار وقال يقول لك الأمير نفعك الله بجمعك وهذا لابي طاهر يعني ابنة وتصدق أجد
ابن طولون بصدقات عظيمة فيه وعلى طعاما عظيما للقراء والمساكين وكان يده ما عظيم أحسنا
وراح أجد بن طولون ونزل في الدار التي أعلمها فيه للإمامة وقد فرشت وعلفت وحملت إليها الاكلات
والاواني وصناديق الاشربة وما شاكلها فنزل بها أجد وجدد طهره وغير ثيابه وخرج من بابها
إلى المقصورة فخرج وسجد شكر الله تعالى على ما أعتاه عليه من ذلك ويسر له فلما أراد الانصراف
خرج من المقصورة حتى أشرف على الفوارة وخرج إلى باب الرح فصد النصراني الذي بنى الجامع
وقف إلى جانب المركب التماس وصاح يا أجد بن طولون يا أمير الامان عسكك يريد الجائزة
ويسأل الامان أن لا يحبري عليه مثل ما جرى في المرة الاولى فقال له أجد بن طولون نزل فقد أمنك
الله ولك الجائزة فنزل وخلع عليه وأمر له بعشرة آلاف دينار وأجرى عليه الرزق لو اسع إلى أن مات
وراح أجد بن طولون في يوم الجمعة إلى الجامع فلما رقي الخطيب المنبر وخطب وهو أبو يعقوب البخني
دعا للعمد ولولده ونسى أن يدعو لأجد بن طولون ونزل عن المنبر فأشرا أجد إلى نسيم الخادم
أن اضربه خمسة سوط فذكر الخطيب سهوه وهو على مراق المنبر فعاد وقال الحمد لله وصلى الله
على محمد ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فتسى ولم نجعله عزما اللهم وأصلح الأمير يا أجد بن طولون
أجد بن طولون مولى أمير المؤمنين وزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطية ثم نزل فنظر أجد إلى نسيم
أن اجعلها اذناير ووقف الخطيب على ما كان منه فحمد الله تعالى على سلامته وهناك الناس
بالسلامة ورأى أجد بن طولون الصناع يذنون في الجامع عند العشاء وكان في شهر رمضان فقال
متى يشتري هؤلاء الضعفاء افطارا لعبالهم وأولادهم اصرفوهم العصر فصارت سنة إلى اليوم عصر
فلما فرغ شهر رمضان قيل له قد انقضى شهر رمضان فيعودون إلى رسمهم فقال قد بلغني دعائهم

وقد تبركت به وليس هذا مما يوفر العمل علينا وفرغ منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين
وتقرب الناس الى ابن طولون بالصلاة فيه وأكزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة في فؤارة الجامع
ثم يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الريع بن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد منهم وراق
وعدة علمان وباتت الفتحة على هذا الجامع في شبانه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار
ويقال ان أحمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نور على المدينة التي حول
الجامع الا الجامع فانه لم يقع عليه من النور شيء فتألم فقال والله ما بينته الا الله خالصا ومن المال
الحلال الذي لا شبهة فيه فقال له معبر حاذق هذا الجامع يتي ويحرب كل ما حوله لان الله تعالى قال
فلما تجلى به للجبل جعله دكا فكل شيء يقع عليه جلال الله عز وجل لا يشبه وقد صبح تعبير هذه الرؤيا
فان جميع ما حوله الجامع خرب دهر اطويلا كما تقدم في موضعه من هذا الكتاب وبقي الجامع عامرا
ثم عادت العمارة لما حوله كما هي الآن قال القاضي رحمه الله وذكر ان السبب في بناءه أن أهل مصر
شكوا اليه ضيق الجامع يوم الجمعة من جنده وسودائه فامر بإنشاء المسجد بالجامع يحيط بشكر
ابن جديلة من نظم فابتدأ بنيانه في سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين
وقيل ان أحمد بن طولون قال أريد أن أبني شاعرا احترقت مصر بتي وان غرقت بقي فقال له يني
بالخير والرماد والاجر والاجر القوي النار الى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فانه لاصبر لها على
النار فبناه هذا البناء وعمل في مؤخره مضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية
وعليها خدم وفيها طبيب يجالس يوم الجمعة لحديث يحدث للحاضرين للصلاة وبناءه على بناء جامع
سامرا وكذلك المنارة وعلق فيها سلاسل النحاس المفرغة والقناديل المحككة وفرشه بالخضر
العبادسة والسماوية

(حدث الكثر) قال جامع السيرة لما ورد على أحمد بن طولون كتاب المعتمد بما استدعاه من دناء الخراج
بصر اليه وزاد المعتمد ما طلب الثغور الشامية رغب بنفسه عن المعادن ومرا فقها فامر بتركها
وكتب باسقاطها في سائر الاعمال ومنع المتقبلين من الفسخ على المزارعين وحظر الارتفاق على العمال
وكان قبل اسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دسومة في ذلك وهو موثد آمن على أبي أيوب
متولى الخراج فقال ان آمننى الامير تكلمت بجمع غسدى فقال له قد آمنك الله عز وجل فقال
أيها الامير ان الدنيا والآخر ضرران والحازم من لم يخطأ احداهما مع الاخرى والمفرط من خطئ
بينهما فينتفأ أعماله ويضل سعيه وأفعال الامير أيده الله الخير ولو كلفوا كل الزهاد وليس مثله
من ركب خطه لم يحكمها ولو كانت في النصر دائما طول العمر لما كان شيء نعتنا أن من التصديق على
أنفسنا في العاجل بمارة الاجل ولكن الانسان قصير العمر كثير المصائب مدفوع الى الافات

وزك الانسان ما قد أمكنه وما رقى به فضيع ولعل الذي جاء نفسه يكون عاقل من يأتي من بعده
 فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمه هو ويجتمع للأمير أيده الله بما قد عزم على اسقاطه من المرافق
 في السنة بمصر دون غيرهما مائة ألف دينار وإن فسخ ضياع الامراء والمقبلين في هذه السنة لانها
 سنة ظما فوجب الفسخ زاد مال البلد ويوفر وقرا عظميا يضاف الى مال المرافق فيصبط به الامير
 أيده الله أمر ديناه وهذه طريقة أمور الدنيا واحكام أمور الرئاسة والسياسة وكل ما عدل الامير
 أيده الله اليه من أمر غير هذا فهو مفسد لديناه وهذا رأي والامير أيده الله على ما عساه يراه فقال له
 تنظر في هذا ان شاء الله وشغل قلبه كلامه فبات تلك الليلة بعد أن مضى أكثر الليل يفكر في كلام
 ابن دسومة فرأى في منامه رجلا من اخوانه الزهاد بطرسوس وهو يقول له ليس ما أشار به عليك
 من استشرته في أمر الارنيقاق والفسخ رأي محمد عاقبته فلا تقبله ومن ترك شيئا لله عز وجل
 عوضه الله عنه فأمض ما كنت عزمت عليه فلما أصبح أنفذ الكتب الى سائر الاعمال بذلك
 وتقدم به في سائر الدواوين بما ضائه ودعا ابن دسومة فعرفه بذلك فقال له قد أشار علي بك رجلا
 الواحد في اليقظة والاستحمت في النوم وأنت الى الحى أقرب وبضمانه أوثق فقال دعنا من هذا
 فقلت أقبل منك وركب في غد ذلك اليوم الى نحو الصعيد فلما أمن في الصحراء ساخت في الارض
 يد فرس بعض غلبته وهو رمل فسقط الغلام في الرمل فاذا بفتى ففتح فأصيب فيه من المال
 ما كان بمقداره ألف ألف دينار وهو الكثر الذي شاع خبره وكتب به الى العراق أحد بن طولون
 يخبر العتيد به ويستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر وغيرها فبني منه المارستان ثم أصيب بعده
 في الجبل مال عظيم فبني منه الجامع ووقف جميع ما بقي من المال في الصدقات وكانت صدقاته
 معروفة لا تحصى كثرة ولما انصرف من الصحراء وجل المال أخضر ابن دسومة وأراه المال وقال له
 بئس صاحب والمستشار أنت هذا أول بركة مشورة الميت في النوم ولولا أني أمنتك لضربت
 عنقك وتغير عليه وسقط محله عنده ورنع اليه بعد ذلك انه قد أوجب بالناس وأزهمهم أشياء يخجوا
 منها قبض عليه وأخذناه وجبه فقلت في حبسه وكان ابن دسومة واسع الحيلة بجبل الكف
 زاهد في شكر الشاكرين لا يهش الى شيء من أعمال البر وكان أحد بن طولون من أهل القرآن
 اذا جرت منه امارة استغفر وتضرع وقال ابن عبد الظاهر سمعت غير واحد يقول انه لما فرغ أحد
 ابن طولون من بناء هذا الجامع أسر للناس يسمع ما يقوله الناس فيه من العيوب فقال رجل
 محرابه صغير وقال آخر ما فيه عمود وقال آخر ليست لهم مية نخمع الناس وقال أما الهرب
 فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لي فاصيحت فرأيت النمل قد أطاف بالمكان
 الذي خطه لي وأما العمد فاني بنيت هذا الجامع من مال حلال وهو الكثر وما كنت لاشوبه بغيره

وهذه الحمد أمان تكون من مسجد أو كنيسة فترهته عنها وأما الميضة فاني نظرت فوجدت ما يكون بهامن النجاسات فطهرته منها وهأنا أنما خلفه ثم أمر ببناءها وقيل انه لما فرغ من بنائه رأى في منامه كأن نار انزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله فلما أصبح قصر رؤياه فقبل له أن بشر بقبول الجامع لان النار كانت في الزمان الماضي اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته ودليله قصة قاييل وهابيل قال ورأيت من يقول انه عمل به منطقة دائرية بجميعه من عنبر ولم أر مصنفأ ذكره الا أنه مستفاض من الاقواء والنقلة وسمعت من يقول انه عمر ما حوله حتى كان خلفه مسطبة ذراع في ذراع أجرتها في كل يوم اشعاع سردرهما في بكرة النهار لشخص يبيع الفزل ويشتره والظهر لحجاز والعصر لشيخ يبيع الحص والقول وقيل عن أحد بن طولون انه كان لا يبعث بشي قط فاتفق أنه أخذ درجاً يبيض يده وأخرجه ومدته واستيقظ نفسه وعلم أنه قد فطن به وأخذ عليه لكونه لم تكن تلك عادته فطلب المعلم على الجامع وقال بنى المنارة التي للتأذين هكذا فبنيت على تلك الصورة والعمامة يقولون ان العشارى الذى على المنارة المذكورة يدور مع الشمس وليس صحيحا وانما يدور مع دوران الرياح وكان الملك الكامل قد اعنى بوقوده اليه النصف من شعبان ثم أبطلها وقال المسيحي ان الحاكم أنزل الى جامع ابن طولون ثمانمائة معصف وأربعة عشر معصفا وفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة في ليلة الخميس لعشر خاؤون من بجادى الاولى احترقت القوارة التي كانت بجوامع ابن طولون فلم يبق منها شئ وكانت في وسط محضه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهى مذهبة على عشر عمد رخام وستة عشر عمودا رخاميا في جوانبها مفروشة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام فحتمت أربعة أذرع في وسطها فواره تفور بالماء وفي وسطها قبة مزوقة يؤذن فيها وفي أخرى على سلها وفي السطح علامات الزوال والسطح بدرابزين ساج فاحترق جميع هذا في ساعة واحدة وفي الحرم سنة خمس وثمانين وثلاثمائة أمر العزيز بالله ابن العزيز ببناء فواره عوضا عن التي احترقت فعل ذلك على يد راشد الحنفى وبولي عمارة ابن الرومية وابن البناء ومات أم العزيز في سلح دى القعدة من السنة والله أعلم.

(تجديد الجامع) وكان من خبر جامع ابن طولون أنه لما كان غلاما مضربا في زمان المستنصر وخربت القطائع والعسكر عدم الساكن هناك وصار ما حول الجامع خرابا وبوالت الايام على ذلك وتشتت الجامع وخرب أكثره وصار أخيرا تنزل فيه المغاربة بأباعرها ومنازعها عند ما قمر بمصر أيام الحج فيها الله جل جلاله لعمارة هذا الجامع أن كان بين الملك الاشرف خليل بن قلاوون وبين الامير بيسدر أمير موحشة تزايدت وأنا كدت الى أن جمع يسدر من يتقوه وقتل الاشرف بشاحية تروجة في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وكان ممن وافق الامير يسدر على قتل الاشرف

الامير حسام الدين لاجين المنصورى والامير قرانسكر فلما قتل يمدى فى محاربة بمالك الاشرف له فتر لاجين وقرانسكر من المعركة فاختنق لاجين بالجامع الطولونى وقرانسكر فى داره بالقاهرة وصار لاجين يتردد بفرد من غير أحد معه فى الجامع وهو حينئذ خراب لاساكن فيه وأعطى الله عهدا ان سلمه الله من هذا المحنة ومكنه من الارض أن يحدد عمارة هذا الجامع ويجعل له ما يقوم به ثم انه خرج منه فى خفية الى القرافة فأقام بهامدة وأرسل قرانسكر فتمجبل فى حاقبه وعملا أعمالا الى ان اجتمع بالامير زين الدين كتيغا المنصورى وهو اذ ذاك نائب السلطنة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون والقائم بمور الدولة كلها فأحضرهما الى مجلس السلطان بقلعة الجبل بعد أن أيقن أمرهما مع الامراء وممالك السلطان فخلع عليهما وصار كل منهما الى داره وهو آمن فلم تطل أيام الملك الناصر فى هذه الولاية حتى خلعه الامير كتيغا وجلس على تخت الملك وتلقب بالمالك العادل فجعل لاجين نائب السلطنة بديار مصر وجرى أمور اقتضت قيام لاجين على كتيغا وهم بطريق الشام ففر كتيغا الى دمشق واستولى لاجين على دست المملكة وسار الى مصر وجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وتلقب بالمالك المنصورى فى المحرم من سنة ست وتسعين وسبعمائة فأقام قرانسكر فى نيسابطة السلطنة بديار مصر وأخرج الناصر محمد بن قلاوون من قلعة الجبل الى كرك الشوبك فجعله فى قلعتها وأعانه أهل الشام على كتيغا حتى قبض عليه وجعله نائب حياه فأقام بهامدة سنين بعد سلطنة مصر والشام وخلع على الامير علم الدين سنجر الدوادارى وأقامه فى نيسابطة دار العدل وجعل اليه شراء الاوقاف على الجامع الطولونى وصرف اليه كل ما يحتاج اليه فى العمارة وأكد عليه فى أن لا يتخرفه فاعلا ولا صانعا وأن لا يقيم مستحقا للصانع ولا يشتري لعمارة شيئا مما يحتاج اليه من سائر الاصناف الا بالقيمة التامة وأن يكون ما يفتق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته فابتاع منه أندونية من أراضي الجنة وعرفت هذه القرية بأندونية كاتب بمصر كان نصرانيا فى زمن أحمد بن طولون ومن تكبه وأخذ منه خمسين ألف دينار واشترى أيضا ساحة بجوار جامع أحمد بن طولون مما كان فى القديم عامرا ثم خربوها وعمر الجامع وأزال كل ما كان فيه من تخريب وبلطه وبضه ورتب فيه دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الاربعة التى عمل أهل مصر عليها الا بتدريس ما يلقى فيها تفسير القرآن الكريم ودرس الحديث النبى صلى الله عليه وسلم ودرس الطب وقرر الخطيب معلوما وجعل له اماما رابعا ومؤذنين وقراة شين وقومة وعمل بجواره مكتبا لقراء أيتام المسلمين كتب الله عز وجل وغير ذلك من أنواع القربات ووجوه البر فبلغت النفقة على عمارة الجامع وعين مستغلته عشرين ألف دينار فلما شاء الله سبحانه أن يهلك لاجين زين له سوء عمله عزل الامير قرانسكر من نيسابطة السلطنة فعزله وولى بمالوكه من كوت

وكان عسوقا فاعجول احادا ولا حين مع ذلك تركن اليه ويعول في جميع اموره عليه ولا يخالف قوله ولا يقض فعليه فشرع منكوتغر في تأخير امراء الدولة من الصالحية والمنصورية وأعلن اظهار التهم لهم والاعلان بغير يدهم من القبض عليهم واقامة امراء غيهم قوحسنت القلوب منه وتماثلت على بغضه ومشى القوم بعضهم الى بعض وكاتبوا الى اخوانهم من أهل البلاد الشامية حتى تم لهم ما يريدون فواعد جماعة منهم اخوانهم على قتل السلطان لاجين ونائبه منكوتغر فهاهو الآن على السلطان العشاء الآخرة من ليلة الجمعة العاشر من شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة واذا بالامير كرجي وكان عن هو قائم بين يديه تقدم ليصلح الشمعة فضر به بسيف قد أخفاه معه أطار به زنده وانقض عليه البقية من واعدوه بالسيوف والخناجر فقطعوه قطعاً وهو يقول الله الله وخروجاً من فورهم الى باب القلعة من قلعة الجبل فاذن بالامير طبع قد جلس في انتظارهم ومعه عدة من الامراء وكانوا انذاك يبيتون بالقلعة دائماً فأمر واپا حصار منكوتغر من دار النيابة بالقلعة وقتلوا به بعض نصف ساعة من قتل استاذ الملك المنصور وحسام الدين لاجين المنه وري رحمه الله فلقد كان مشكور السيرة وفي سنة سبع وستين وسبعمائة جدد الامير يلغا العمري الخاصكي درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهما وأردب قبح فانتقل جماعة من الشافعية الى مذهب الحنفية وأول من ولي نظره بعد تجديده الامير علم الدين سنجر الجاولي وهو انذاك دوا دار السلطان الملك المنصور لاجين ثم ولي نظره قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ثم من بعده الامير يمكن في أيام الناصر محمد بن قلاوون جدد في أوقافه طاحونا وفرنا وحوانيث فلما مات وليه قاضي القضاة عز الدين بن جماعة ثم ولاه الناصر للقاضي كريم الدين الكبير جدد فيه ما ذنبت فلما كتب السلطان عاد نظره الى قاضي القضاة الشافعي ومارح الى أيام الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فولاه للامير صرغتمش ووتفر في مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة وقبض عليه وهي حاصلة فباشره قاضي القضاة الى أيام الاشرف شعبان بن حسين فقوض نظره الى الامير الجاي اليوسفي الى أن غرق فقعدت فيه قاضي القضاة الشافعي الى أن فوض السلطان الملك الظاهر رقوق نظره الى الامير قطوبغا الصفوي في العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنين وتسعين وسبعمائة وكان الامير منطاش مدة تحكمه في الدولة فوضه الى المذكور في أواخر شوال سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوي وهو يابدين الى اليوم وفي سنة اثنين وتسعين وسبعمائة جدد رواق البحري الملاصق للأذنة الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادي الهويدي البازدار مقدم الدولة وجدده بضاً بجانب الميضأة القديمة وكان عبيدهنا بازدارا ثم ترقى حتى صار مقدم الدولة في شهر ربيع الاول سنة

اثنتين وتسعين وسبعمائة ثم ترك زى المقدسين وثرىا برى الامراء وحاز نعمه جليلة وسعادة طائفة حتى مات يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة المرقري

(ذكر ملوك الروم المنتصرة وهم ملوك القسطنطينية ولع من أخبارهم)

(ملك قسطنطين) بعد أن أهلك قسطنطينيس روميه وهو بعد الاوثان وكان أول ملأنا انتقل من ملوك الروم عن روميه الى بوزنطيا وهى مدينة القسطنطينية قباها وسماها باسمه الى وقتنا هذا وكان له فى بنائها خبر طريف مع بعض ملوك برجان نخوف داخل من بعض ملوك ساسان وكان خروجه من روميه ودخوله فى دين النصرانية سنة خلت من ملكه ولتسع سنين من ملكه خرجت أمه هلا فى الأرض الشام فبنت الكائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التى صلب عليها المسيح عندهم فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة نخو من أيلول وفيه تفتح الترع والخجان يلا دمصر على حسب ما نورده عند ذكرنا لآخبار مصر من هذا الكتاب وهى التى بنت كنيسة حص على أربعة أركان وذلك من عجائب بليان العالم واستخرجت الكنوز والدفائن بضر والشام وصرفت ذلك الى بناء الكائس وتشييد دين النصرانية وكل كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم قائما بنها هذا الملك هلا فى أم قسطنطين وقد جعل اسمها مع الصليب فى كل كنيسة لها وليست الروم فى أحرفهم هاء وأحرف هلا فى خمسة أحرف فالأول إمالة وهو بحساب الجمل خمسة والثانى وهو اللام ثلاثون والثالث إمالة أيضا وهى خمسة والرابع النون وهى خمسون والخامس ياء وهو فى حساب الجمل عشرة فذلك مائة اختصارا على ما ذكرنا هذه هى صورة الحروف التى هى مائة بالروميه ولتسع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين بن هلا فى اجتماع ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا بمدينة يقيه بأرض الروم فقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة الروميه السندوسات واحدها سندوس فالأول بقيقه على ما ذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيهم على اربنوس وهذا اتفاق من سائر دين النصرانية من الملكية والمشاركة وهم العباد الذين قسمهم الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من العقاب على هذا السندوس أيضا والسندوس الثانى بالقسطنطينية على مقدنوس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلا والسندوس الثالث بافسوس وعددهم مائة واربعة والسندوس الرابع مائة وستة وأربعون رجلا والسندوس الخامس بالقسطنطينية وعددهم مائة وتسعة وعشرون رجلا وسند كبر هذا الموضع فى ترتيب ملوك الروم هذه السندوسات وغلبة دين النصرانية وتوزوال عبادة التماثيل والصور وكان السبب فى دخول قسطنطين بن هلا فى

في دين النصرانية والرغبة فيه أن قسطنطين خرج في بعض حروب برجان وغيرهم من الامم وكانت الحرب بينهم سجالا نحو من سنة ثم كانت عليه في بعض الايام فقتل من أصحابه خلق كثير فخاف البوار فرأى في النوم كأنه رما حارثت من السماء فيها عذاب وأعلام على هذا الراح ورفسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والحاس وأنواع الجواهر والخشب وقيل له خذ هذه الراح وقاتل بها عدوك تنصر ففعل بحاربها في النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه وولاه الدبر فاستيقظ من رقاد وودع الراح فركب عليها ما ذكرناه ودفعها في عسكره وزحف الى عدوه فلولوا وأخذهم السيف فرجع الى مدينة نيقية وسأل أهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل يعرفون في ذلك شيئا من الآراء والحل فقيل له ان بيت المقدس من أرض الشام مجمع لهذا المذهب وأخير بما فعل من قبله من الملوك من قبل النصرانية فبعث الى الشام والى بيت المقدس فشد له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فأتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا للدين النصرانية فهذا هو السندوس الاول وهو الاجتماع على ما ذكرنا وقد قيل ان أم قسطنطين هلا في تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا وكان ملك قسطنطين الى أن هلك احدى وثلاثين سنة وفي وجه آخر من التاريخ فملك خمساً وعشرين وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مر تدا لموضع القسطنطينية ووروده الى هذا الخليج اتخذ من بحر مائطش ونيطش في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وأن خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ويحري الماء فيه حرا ويصب الى بحر الشام ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا وقيل أقل من ذلك وعرضه في الموضع الذي من بحر مائطش نحو ثلثمائة وخمسين ميلا وهناك عمار ومدينة للروم تدعى سباه تقع ما يرد في هذا البحر من مراكب الروم وغيرها ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية فيصير عرضه وهو موضع العبور من الجانب الشرقي الى الموضع الغربي الذي فيه القسطنطينية نحو من أربعة أميال وعليه العمار وينتهي في ضيقة الى الموضع المعروف بالانداس وهناك جبال وعين ماء كثير ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية وأتته مراكب المسلمين في قم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ومنتهى مصبه مضيق وهناك برج يمنع من فيه ما يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد وأخبرني أبو عمر عدي بن حاتم بن عبد الباقي الأزدي وهو شيخ الثغور الشامية قديما الى وقتنا هذا وهو من أهل التفصيل أنه لما عبر الى القسطنطينية في هذا الخليج حين دخل لأقامة الهدنة والقضاء كان يمين جربة هذا الماء وبرده مما يلي بحر مائطش ونيطش وربما تيين في الماء الجري مما يلي بحر الشام فيجده فاترا وهذا يدل على اتصال ماء البحرين وأنه قد دخل

في بحر الروم الى هذا الخليج أيضا وصعدت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة ساوقية مع غلام
انزرقه وقد كانوا دخلوا الى الخليج القسطنطينيه وساروا فيه مسافة بعيدة انهم وجدوا الماء
في هذا الخليج يقل في أوقات من الليل والنهار ويكثر كالبحر والمد وعليه المائت والماند فلما حسوا
بنقصان الماء بادروا بالتحريج منه الى البحر الرومي وان في مدخله من بحر الروم مدينة تقرب
من قم الخليج والخليج بطيف القسطنطينيه من جهتين بمائتي الشرق ومائتي الشمال وفي الجانب
الجنوبي البر وفيه باب الذهب مطلى على صفائح النحاس وأعلى موضع من سورها تحوم من ثلاثين
ذراعا وقد ذكر أنه أقل من ذلك وأن أقصر موضع فيه عشرة أذرع ولها أبواب كثيرة بمائتي البر
والبحر وحولها أكاس كثيرة وقد قيل ان لها ثلاثين بابا ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صغارا وكبارا
وهو بلد عن مختلف المهابير طرب للأبدان لكونه بين ما وصفنا لهذه البحار (قال المسعودي)
ولم تزل الحكمة باقية عالية زمن اليونان وبرهه من مملكة الروم تعظم العلماء ونشرف الحكماء
وكانت لهم الآراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة أعني الارثاقي
وهو علم الاعداد والجوهراتي وهو علم المساحة والهندسة والاسترغوميا وهو علم التجويم
والموسيقى وهو علم تأليف اللحن ولم تزل العلوم فاعنة السوق مشرفة الاقطار قوية المعالم شديدة
المقادم سامية البناء الى أن تظاهرت ديانة النصرانية في الروم ففقدوا معالم الحكمة وأزالوا رسمها
وعقوا سبلها وطمسوا ما كانت اليونانية آباته وغيرها ما كانت القديما عنهم أو وضعته وكان
من شريف ما تركته المعرفة بعلوم الموسيقى لانه غذاء للنفس ومطرب لها وملهيها تنهيج غنة سماعه
وتحمن الى تأليف أوضاعه وقد نطق الحكمة بشرفه ونهت على نفاسة محله فقل الاسكندر
من فهم الاحسان استغنى عن سائر اللذات وقالت الفلاسفة ان النغم فضيلة شريفة كانت تعذرت
عن المنطق ليس في قدرته فاخرجتها النفس ألقانا فلما أظهرتهم اسرتهما وعشقتهما وطربت اليها
وربت الحكمة الاخوانا الاربعة يازاء الطبائع الاربعة فجعلوا الزبر بازاء المرارة الصفراء والمثني بازاء الدم
والمثلث بازاء البلغم والرب بازاء السوداء وقد أشبعنا القول في الموسيقى وأصحاب الملاهي والايقاع
وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الامم من أصناف الملاهي
من اليونانيين والروم والسرثانيين والقط والسندو الهندي والفرس وغيرهم من الامم وذكرنا
مناسبة النغم للاوتار ومما خبذة النفس والالحان وكيفية تولد الطرب والسرور وذهاب الغم
وزوال الحزن وعلل تلك الطبيعية والنفسية وما أحاط بذلك من جميع الوجوه في كتابنا المترجم
بكتاب الزلف وأتينا على طريق أخبارهم وأنواع لهوهم وتلاهمهم في كتاب أخبار الزمان
وفي الكتاب الاوسط فاعني ذلك عن اعادته ههنا اذ هذا الكتاب في غاية اليجاز وان سنخ لنا سائح

ذكرنا لعمام هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وان تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا على السرح والافصاح (ثم ملك الروم) بعد قسطنطين بن هلافي الملك النصر قسطنطين بن قسطنطين وهو ابن الملك الماضي وكان ملكه اربعاً وعشرين سنة وبني كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية (ثم ملك) ابن أخي قسطنطين الاول بوليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو بوليانس المعروف بالحنفي وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها اسمونه بليانس البرباط وغزا العراق في ملك سابور ابن أردشير بن بابك فاتاه منهم غرب فذبحه وقد كان سار الى العراق في جنود لا تحصي ولم يكن لسابور حيلة لدفعه ولقائه لمفاجأته اياه فانصرف سابور عن الاقعا الى الحيلة في دفعه وكان من أمره ما وصفنا وكان ملكه الى أن هلك سنة وقيل أكثر من ذلك وهو الملك الثالث بعد ظهور دين النصرانية ولم يهلك بليانس خزع من كان معه من الملك والبطارقة والجنود ففرعوا اليه بطريق كان معظما فيهم يقال له ميرنياس وقيل انه كاتب الماضي فابى عليهم أن يتلك الا أن يرجعوا الى دين النصرانية فأجلوه الى ذلك وضائق سابور القوم وأحاط بعساكرهم فكان ليرنياس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افرقا وانصرف يجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ما أنلف من أرضه باموال جلها اليه وهذا يامن لطائف الروم وشيدها كل في دين النصرانية ورددها الى ما كانت عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها وكان ملكه سنة (ثم ملك بعده) اوانيس وهو على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك في بعض حروبه وكان ملكه الى أن هلك أربع عشرة سنة وقيل ان في أيامه استيقظ أصحاب الكهف من رقدتهم على حسب ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم نعوأ أحدهم يورقهم الى المدينة وهذا الموضع من أرض الروم في الشمال والناس عن عني يعلم القلق وازورا الشمس عن كهفهم في حال طلوها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير وقد أخبر الله تعالى في كتابه قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم الاية وكان من أهل مدينة افسس من أرض الروم (ثم ملك بعد اوانيس) عرامطناس خمس عشرة سنة ولست من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو أحد الاجتماعات باسم القوم في روح القدس عندهم وأحرقوا مقدونين بطريق القسطنطينية وهو السندوس الثاني (ثم ملك بعده) بدرسيس الاكبر وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية وعظم منها وبني كنائس ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم وانما كان أصله من الاشبان وهم بعض المازن السالفة وكان ممن ملك الشام ومصر والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدي في كتاب فتوح الامصار أن بدأهم من أهل اصبيهان وانهم ناقلة من هنالك وهذا يوجب أنهم من قبل ملوك فارس الاولى

وذكر عبد الله بن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير والخبار والاشهر
 من أمرهم أنهم والدياقبث بن فوح وهم من مملكة الاندلس من الازارقة واحدهم ازريق وقد تنوزع
 في دياناتهم فذهب من رأى أنهم على دين الجوس ومنهم من رأى أنهم كانوا على مذهب الصابئة
 وغيرهم من عبدة الاصنام وقد قلنا ان الاشهر من أنسابهم أنهم والدياقبث بن فوح فكان مملكة
 بدرسيس الى أن هلك عشرين (ثم ملك بعده) أوباديس أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية
 (ثم ملك بعده) ابنه بدرسيس الاصغر وذلك بمدينة افسس وجع مائتي أسقف وهذا الاجتماع
 الثالث الذي قدمنا ذكره آنفا ولعن فيه نسطورس البطرك وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الرمان الحنية
 التي وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية صاحب الكرسي بالاسكندرية وما كان
 من نسطورس ونقمه ليوحنا المعروف بالراهب وما كان في بدرياز وجه الملك الى أن نفي نسطورس
 من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صغيد مصر والمشاركة من النصاري اضيفوا الى
 نسطورس لانهم تبعوه وقالوا بقوله وانما سميتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعييبهم بذلك
 وقد كانت المشاركة بالحيرة وغيرهما من المشرق تدعى بالعباد وسائر نصاري المشرق يأبون هذه
 الاضافة الى نسطورس ويكرهون أن يقال لهم نسطورية وقد أبدى صوما مطران نصيبين رأى
 المشاركة في الثالث وهو الكلام في الاقائيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم
 بالناسوت المحدث وكان ملك بدرسيس الى أن هلك اثنتي وأربعين سنة (ثم ملك بعده) صرقياوس
 (ثم ملك الروم) بلخاريا زوجة صرقياوس وكانت ملكة معه وفي أيامها كان خبر اليعاقبة من
 النصاري ووقوع الخلاف بينهم في الثالث وكان ملكها سبع سنين وأكثر اليعاقبة بالعراق
 وببلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها الا لسيوفانهم ملكية والنوبة والارمن يعاقبة
 وبما ران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحداث
 وصاحبهم اليوم بناحية حبلاد قنسرين والعوامم وكرسي اليعاقبة رجمه أن يكون بمدينة
 انطاكية وكذلك لهم كرسي عصر ولا أعلم لهم غير هذين الكرسيين وهما مصر وانطاكية (ثم ملك
 بعدها) اليونان الاصغر ابن اليون وكان ملكه ست عشرة سنة وكان في أيامه حرم معسرة يعقوب
 بطرك الاسكندرية واجتمع له من الاساقفة ستمائة وستون أسقفا وفي تاريخ الروم أن عدة المجتمعين
 ستمائة وستون رجلا وذلك بخلفونية وهذا الاجتماع هو السندوس الرابع عند الملكية واليعاقبة
 لاتعتمد هذا السندوس ولهم خبر ظرف في قصة سوارى البطرك وما كان من أمره وخبر تليذه
 يعقوب البراذعي ودعوته الى مذهب سوارى واليعاقبة أضيفت الى مذهب يعقوب البراذعي هذا
 وبه عرفت وكان من أهل انطاكية يهر البراذع (ثم ملك بعده) اليونان الاصغر ابن ليعون سنة على دين
 الملكية (ثم ملك بعده) بيه وهو من بلاد الارمنيان وكان يذهب الى رأى اليعاقبة وكان ملكه

سبع عشرة سنة وكان له حروب مع خوارج خرجوا عليهم من دار الملك فظفر بهم (ثم ملك بعده) نسطاس وكان يذهب الى مذهب اليعقوبية وبني مدينة عمورية وأصاب كنوزا ودقائق عظيمة وكان ملكه الى ان هلك تسعا وعشرين سنة (ثم ملك بعده) بوسطيانوس تسع سنين (ثم ملك بعده) سطاينس تسعا وثلاثين سنة وقيل أربعين وبني كائس كثيرة وشيدين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية وبني كنيسة الرها وهي إحدى عجائب العالم والهاكل المذكورة وقد كان في هذه الكنيسة منديل يعظمه النصارى وذلك ان يسوع الناصري حين أخرج من مام المعمودية تشعبه فلم يرل هذا المنديل يتداول الى أن قرر بكنيسة الرها فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها في هذه السنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة أعطى هذا المنديل للروم ففتحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل فرح عظيم (ثم ملك بعده) ابن أخيه فرسطيس ثلاث عشرة سنة على رأى الملكية (ثم ملك بعده) طباريس أربع سنين وأظهر في ملكه أنواعا من اللباس والآلات وأتية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك (ثم ملك بعده) موريقيس عشرين سنة ونصر كسرى بربوز على بهرام جور فقتل غيلة وبعاث بربوز بغضاله بجيوش الى الروم وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا (ثم ملك بعده) قرماس ثمان سنين الى أن قتل أيضا (ثم ملك هرقل) وكان بطريقا في بعض الجزائر قبل ذلك فميريت المقدس وذلك بعد ان كشف القوس عن الشام وبني الكائس ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فشرعها الله تعالى

(ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام)

(قال المسعودي) وجدت في كتب التواريخ تنازعا في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عصر من كان من ملوك الروم فتمهم من ذهب الى ما قدمنا من مولده وهجرته ومنهم من رأى أن مولده عليه الصلاة والسلام كان في ملك فسطورس الاول وكان ملكه تسعا وعشرين سنة (ثم ملك فسطورس) وكان ملكه عشرين سنة (ثم ملك بعده) هرقل بن منطيس وهو الذي في كتب الانبيات في التجوم وعليه يعمل أهل الحساب وفي تواريخ ملوك الروم عن سلف وخلف أن ملك الروم كان في وقت ظهور الاسلام وأيام أبي بكر وعمر هرقل وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الاخبار والسير الا في السير منها وفي تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن موريقي (ثم ملك بعده) قيصر بن قيصر وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه (ثم ملك) على الروم هرقل بن قيصر وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي حارب به أمره الاسلام الذين فجعوا الشام مثل أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان

وغيرهم من أمراء الاسلام حين أخرجوه من الشام وكان الملك على الروم موريق بن هرقل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (ثم ملك) موريق بن موريق في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيام معاوية بن أبي سفيان (ثم ملك بعده) قلفط بن موريق ببقية أيام معاوية وكانت بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات وكان المختلف بينهم اتياق الروم غلام كان لمعاوية وقد كان معاوية هارن أباه موريق بن موريق حين سار الى حرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان بشرة بالملك وأعلمه أن المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعني عثمان ثم يؤول الملك الى معاوية وقد كان معاوية يومئذ أميراً على الشام لعثمان في خبر طويل قد أتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وأن ذلك من علم الملاحم تتوارثه ملوك الروم عن أسلافهم وكان ملك قلفط بن موريق في الآخر من أيام معاوية وأيام يزيد ابن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدر من أيام عبد الملك بن مروان (ثم ملك) لاون بن قلفط في أيام عبد الملك بن مروان وكان الملك بعده جيون بن لاون في أيام الوليد ابن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسلمة بن عبد الملك وغزو المسلمين إياهم في البر والبحر فلكوا عليهم رجلا من غير أهل بيت الملك من أهل مرعش يقال له جرجيس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم مضطرباً الى أن ملكهم قسطنطين بن اليون وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور أخيه (ثم ملك بعده) اليون بن قسطنطين وذلك في أيام المهدي والهادي (ثم ملك بعده) قسطنطين بن اليون وكانت أمه اربين ملكة معه مشاركة له في الملك أصغر سنه في أيام هارون الرشيد فمات قسطنطين ابن اليون وممات عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها (ثم ملك) على الروم يعقوب بن اسدراق وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات وغزاه الرشيد فأعطى القودم نفسه بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته فانصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الاتفاقيات ثم عن الرشيد أمره لعارض عليه كان وجهها بالارقة

(ذكر مصر وأخبارها ونبلها وعما فيها وأخبار ما لو كها وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب)
(قال المسعودي) ذكر الله جل ثناؤه مصر في مواضع من كتابه فقال عز وجل وقال الذي اشتراه من مصر وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكاً بمصر يوتوا وقال اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم وقوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة أشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء فاما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في شهر ربيع وب وهو توت ومسرى وهو آب وتوت وهو ايلول يركب الماء فتري الدنيا بيضاء وضياءها

على روابي وتلال مثل الكواكب قد حاطت المياه بها من كل وجه فلا سبيل لبعض البلاد إلى بعض
 الاقالي الزوارق وأما المسكة السوداء فان في شهربابه وهو ثشرين الاول وهاتور وهو ثشرين الثاني
 وكيهك وهو كانون الاول ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها فتصير أرضا سوداء وفيها تقع
 الزراعات والارض روافع طيبة تشبه روافع المسك وأما الزمردة الخضراء فان في شهربطوبه
 وهو كانون الثاني وأمشير وهو شباط وبرمهات وهو آذار تلعب ويكثر عشبها ونباتها فتصير كل زمردة
 الخضراء وأما السبكة الحمراء فان في شهر رمودة وهو نيسان وبشش وهو أيار وبوونه وهو حزيران
 يبيض الزرع فيه ويتورد العشب فهو كسبكة الذهب منظر او منفعة وسنذكر هذه الشهور
 بالسريانية والعربية والفارسية ونسمى كل شهر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا
 على جميع ذلك في الكتاب الاوسط ووصف آخر مصر فقال نيلها غلب وأرضها ذهب وخيرها جلب
 وملكها لمن سلب ومالها رغب وفي أهلها ضغب وطاعهم رهب وسلامهم نعب وحرورهم
 حرب وهي لمن غلب ونهرها النيل من سادات الانهار وأشرف الجبار وقالت الهند زيادته
 ونقصاته بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالي الانواء وتوالي الامطار وركود السحاب وقالت
 الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصاته من عيون كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته
 ونقصاته من عيون في شاطئيه يراها من سافر ولحق باعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح
 الشمال اذا كثرت واتصلت به فتجسه فيفيض على وجه الارض وقد ذكرنا التنازع في النيل وزيادته
 من سلف وخلف على الشرح والابض وغيره من الانهار الكبار والجوار والبحيرات الصغار في أخبار
 الزمان في الفن الثاني فاعني ذلك عن اعادتها في هذا الكتاب ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن
 قال الله تعالى حاكعن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون
 وقال الله تعالى حاكعن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ عليم وليس
 في أنهار الدنيا سحر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخير
 عن جبل القمر الذي بدأ النيل منه وما يظهر من تأثير القرية عند زيادته ونقصاته من النور والظلام
 في البدء والحق وقد روي عن زيد بن أسلم في قوله تعالى فان لم يصباوا بل قتل قال هي مصر
 ان لم يصباوا بل زكت وان أصابها مطر ضعفت وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها
 مصر ومصر شأنها عجيب * ونيلها تجري به الجنوب

وهي مصر واسمها كنعانها وعلى اسمها سميت الامصار ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين
 وقد قال عمرو بن معدى كرب

ما النيل أصبح واحدا بعدوده * وحرثه ربح الصابغى لها
 عودت كسدة عادة محبوبة * فاصبر لحالها ورتوبها

(قال المسعودي) ويتدى نيل مصر بالنفس والزيادة بقية بؤونه وهو خزان وأيب وهو غوز ومسرى وهو آب فإذا كان الماء زائداً شهر نوت كله وهو ياول الى انقضائه فإذا انتهت الزيادة الى ستة عشر ذراعاً فغصه تمام الخراج وخصب الارض وربيع البلداً وهو ضار للباثم لعدم المرى والكلأ وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعاً وفي ذلك كفايتها ورى جميع أرضها وإذا زاد على السبعة عشر وبلغ النباتية عشر ذراعاً وغلقها استبحر من أرض مصر الربع وفي ذلك ضرر لربع الضياع لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك وإن كانت الزيادة ثمانية عشر ذراعاً كانت العاقبة في انصراف حدوت وباه بمصر وأكثر الزيادات ثمانية عشر ذراعاً وقد كان النيل بلغ في زيادته تسعة عشر ذراعاً وذلك في سنة تسع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز وبمساحة الذراع الى أن تبلغ اثني عشر ذراعاً ثمانية وعشرون أصبعاً ومن اثني عشر ذراعاً الى ما فوق يصير الذراع أربعة وعشرين أصبعاً وأقل ما يبقى في قاع الفيض من الماء ثلاثة أذرع وفي نيل تلك السنة يكون الماء قليلاً والاذرع التي يستقي عليها عصر هي ذراعان يسميان سكر او نكيرا وهما الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر فإذا انصرف الماء عن هذين الذراعين أعنى الثالث عشر والرابع عشر وزائدة نصف ذراع من الخمس عشر واستقي الناس بمصر كان الضرر شاملاً لكل البلدان الآن يأذن الله عز وجل في زيادته الماء وإذا تم خمسة عشر ودخل في ستة عشر ذراعاً كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستقي فيه وكان ذلك نقصاً من خراج السلطان والترع التي بغية مصر أربع أمهات ترعة ذنب التماسح وترعة بلقينه وخلج سر دوس وخلج ذات الساحل وتفتح هذه الترعة إذا كان المازا في عيود الصليب وهو لاربع عشرة نخلاوس نوت وهو ياول وقد قد من خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب والنبذ الشيرازي يتخذ بمصر من ماء طوبه وهو كالفون الآخر بعد الغطاس وهو لعشر تمضي من طوبه وأصق ما يكون النيل في ذلك الوقت وأهل مصر يفتخرون بصفاة النيل في هذا الوقت وفيه يصترن الماء أهل تنيس ودمياط وبؤنه وسائر قرى البحيرة وليلة الغطاس شأن عظيم عند أهلها لا ينتم الناس فيها وهي ليلة أحد عشر تمضي من طوبه وستة من كاتون الثاني. ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والاحشيدي محمد بن طفيح في داره المعروفة بالختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أهرق من جانب الجزيرة وجانب القسطاط ألف مشعل غير ما سرج أهل مصر من المشاعل والشع وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو آلاف من الناس المسلمين والصاري منهم في الزوارق ومنهم في الدور المائية من النيل ومنهم على الشطوط لا يتناكرون الحضور ويحضر من كل ما يهتكم اظهارة من المأكول والمشروب والملابس والآلات الذهب والفضة

والجواهر والملاهي والعرف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا لا تغلق فيها
 الدروب ويفطس أكثرهم في النيل ويرعون أن ذلك أمان من المرض ومبرئ للدهاء (قال المسعودي)
 وأما المقياس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فأنى سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون
 أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى الأهرام اتخذ مقياس المعرفة زيادة النيل ونقصانه وأن ذلك
 كان بنف ولم يكن بنى القسطاط يومئذ وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياسا آخر بالصعيد
 ببلادناجيم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيئ الاسلام ثم ورد الاسلام وافتتحت مصر وكانوا
 يعرفون زيادة النيل بما ذكرنا ونقصانه بما وصفتنا إلى أن ولي عبد العزيز بن مروان فالتختم مقياسا
 بالجزيرة تدعى جزيرة الصداقة وهي الجزيرة التي بين القسطاط والجزيرة والمعبر عليهما من القسطاط
 على الجسر ثم منها على جسر آخر إلى الجزيرة وهو بين الجانب الغربي من القسطاط والجانب الشرقي
 وهذا المقياس الذي اتخذناه ماسة بن زيد التنوخي هو أكثرها استعمالا واتخذ ذلك في أيام سليمان
 ابن عبد الملك بن مروان وهو المقياس الذي يعمل عليه في وقتنا هذا وهو ستة وأربعين وثلاثين وثلاثمائة
 بالقسطاط وقد كان من سابق يقيسون بالمقياس الذي بنف ثم ترك استعماله وعمل على مقياس
 الجزيرة المعمول في أيام سليمان بن عبد الملك وفي هذه الجزيرة مقياس آخر لا جدن طولون والعمل عليه
 عند كثرة المله وتزاد الرياح واختلاف مهابها وكثرة الموج وكانت أرض مصر كلها تروى
 من ستة عشر ذراعا عامرها وناجما لها حكموا من جسورها وبناء قناتها وتنقية خلجانها
 وكان بمصر سبع خلجان فمنها خليج الاسكندرية وخليج سبخا وخليج دمياط وخليج منف
 وخليج الفيوم وخليج مردوس وخليج المنهى وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جفافا
 وذلك أن جنانها كانت متصلة بمحافى النيل من أوله إلى آخره من حداصوان إلى رشيد وكان الماء
 إذا دخل في زيادته إلى تسعة أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج مردوس وخليج سبخا
 وكان الذي ولي حفرة خليج مردوس لفرعون عدو الله هاما فلما ابتدأ في حفرة أماناهم أهل القرى
 يسألونه أن يجري الخليج إلى تحت قراهم ويعطوهم على ذلك ما أراد من المال وكان يعمل ذلك حتى
 اجتمعت له أموال عظيمة فعمل تلك الأموال إلى فرعون فلما وضعها بين يديه سأل عنها فاجابه بما فعل
 فقال انه ينبغي للسيد أن يعطف على عبده ويقض عليهم معروفه ولا يرغب فيما في أيديهم
 ونحن أحق من فعل هذا بعبده فأردد على أهل كل قرية ما أخذته منهم ففعل ذلك هاما
 وردل لكل قرية ما أخذ منهم فليس في الخلدان التي بارض مصر أكثر عطوفا وعرا قبل من خليج
 مردوس وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فإن الذي حفرهما يوسف بن يعقوب صلى الله عليه وسلم
 وذلك أن الزيان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه في البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام

استعمله على ما كان يلي من أرض مصر وقد أخبرنا أنه بذلك عند أخباره عن نبيه يوسف بقوله اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم (قال المسعودي) وقد تنازع أهل الملة في معرفة المؤمنين مع الفاسقين فمنهم من رأى أن الملك كان مؤمنا ولولا ذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف في أموالهم ونواهيهم ومنهم من رأى أن ذلك جاء على ما يوجب أحوال الوقت والاصح للعال وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء في كتابنا المقالات في أصول الديانات وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وخيلنا منهم المرتفع والمطاطي ومطاطي المطاطي وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارة أرضه بعد كونها خربة ومصفاة بالماء الصعيد وهي جزيرة قد أحاط المياه حينئذ بأكرأقطارها فقد أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط فاغنى عن إعادته في هذا الكتاب وكذلك في تسمية الفيوم فيوما وأن ذلك ألف يوم وما كان من يوسف مع الوزراء وحسد هيماء وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية بأخبار شأن العالم بركب أرضها ماء النيل وينسب على بلاد الصعيد إلى أسفل الأرض وموضع القسطاط في وقتنا هذا وقد كان بذلك من موضع يعرف بالجلجلان من أسوان الحبشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيمأسلف من هذا الكتاب إلى أن عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجر يائه وما يقل من التوبة بتبنيه من موضع إلى موضع فنبتض من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق من عمران الأرض وخزايم فيمأسلف من هذا الكتاب فسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت أرض مصر من المدن والماثر وطرقوا الماء وحرقوا له الخيلان وعقدوا في وجهه المسناة إلى أن خفي ذلك على ساكنيها لأن طول الزمان أذهب معرفتهم أول سكاهم كيف كان ذلك ولم نعرض في هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من أخبار الاسكندرية وكيفية بنائها والام التي تداولها والمولود التي سكنها من العرب وغيرها لانفاذ أتينا على ذلك في الكتاب الأوسط وسند ذكر بعد هذا الموضع جلان من أخبارها وجوامع من كيفية بنائها وما كان من أمر الاسكندرية فيها (قال المسعودي) وقد كان أحمد بن طولون بمصر بلغه في سنة سيف وستين ومائتين أن رجلا باع إلى بلاد مصر من أرض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانبساط عن بشار إليهم بالعلم من لدن حداته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل وأنه علامة بمصر وأرضها على برها وبحرها وأخبارها وأخبار ملوكها وأنه من سافر في الأرض وتوسط الممالك وشاهد الام من أنواع البيضان والسودان وأنه ذو معرفة بيات الافلاك والنجوم وأحكامها فبعث أحمد بن طولون رجلا من قواده في أصحابه فحمله في النيل اليممكر ما وكان قد انفرغ عن الناس في بنان اتخذهم سكن في أعلاه

وقد رأى الرابع عشر من ولده فلم يملأ بحضرة احد بن طولون نظر الى رجل دلائل الهرم فيه بينة وشواهد ما أتى عليهم الدهر ظاهرة والحواس سليمة والقضية قائمة والعقل صحيح يفهم عن مخاطبه ويحسن البيان والجواب عن نفسه فليكنه بعض مقاصيره ومهله وجعل له انبذا لما سكل والمشارب فابى أن لا سواطى على شئ وأن لا يتغذى الا بغذاء كان حله معه من كعك وغيره وقال هذه بنية قوامها جثرون من هذا الغذاء وهذا اللبس فان أتم ستموها النقلة عن هذه العادة وتناول ما أوردتوه عليها من المأكول والمشارب والملابس كان ذلك سبب التحلل هذه البنية وتفرق هذه الصورة فتزل على ما كان عليه وما جرت به عادته وأحضر له احد بن طولون من حضره من أهل الدار وصرف همته عليه وأخلى نفسه له في ليل وأيام كثيرة يسمع كلامه واراداته وجواباته فيما سئل عنه فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس وديمياط فقال كانت أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وثرارة وكانت جنانا وتخلوا وكرما وشجرا وحرارعا وكانت فيها بحار على ارتفاع من الأرض وقرى على قرارها ولم ير الناس بلدا أحسن من هذه الأرض ولأحسن اتصالا من جنانها وكرمها ولم يكن بمصر كرامة يقال انها تشبهها الا القيوم وأخصب وأكثرا كهة ويرا حن من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم اذا شاءوا وكذلك زروعهم وسائرهم يصب الى البحر من سائر جنانهم ومن الموضع المعروف بالاشنوم وقد كان بين البحرين هذه الأرض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلكة الى قبرس تسلكها الدواب ببسا ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الا مخاضة وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش في البحر سير طويل وكذلك فيما بينها وبين أرض الروم وقد كان بين الاندلس في الموضع الذي يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب وطلجة قنطرة مبنية بالحجارة والطوب ترم عليها الأبل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الاندلس الى المغرب وماء البحر تحت تلك القنطرة منقطع فجلبان صغار تجري تحت قنطرها وما يقدم من الطاقات تحتها على صفور صم وقد قدم من كل جانب حجر الى حجر طاق وهو مبدأ بحر الروم الاخذ من الاوقيانوس وهو البحر المحيط الاكبر فلم يزل البحر يزيد ماؤا وبعول أرضا فأرضاف طول على عمر السنين برى زيادته أهل كل زمان وتبينه أهل كل عصر ويقفون عليه حتى علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التي كانت بين الاندلس وبرطجة وما وصفت فين ظاهر عند أهل الاندلس وأهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة ورجلها الموضع لاهل المراكب تحت الماء فيقولون هذه القنطرة وكان طولها نحو اثني عشر ميلا وعرض واسع وسعويين فلما مضت ليدقطنيا فوس من ملكهما ثمان واصل وحسون سنة هجم الماس من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة

تنيس فاغرقه وصار يندف كل عام حتى أغرقها باجمعها فما كان من القسرى التي في قرارها غرق
وأما التي كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها نوبة وسمود وغير ذلك مما هي باقية الى هذا
الوقت وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة يتقلون موتاهم الى تنيس فيقبونهم واحدا فوق واحد
وهي الاكوام الثلاثة التي تسمى أبو الكوم وكان استحكام غرق هذه الارض باجمعها وقدمضى
لديقلطيانوس الملائماتان واحد وحسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان
ملك من ملوك الامم كانت داره اليوم مع اركون من أركنة البلينا وما اتصل بهم من الارض خروق
وخجانات وخنادق فحقت من النيل الى البحر ينع كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب
الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وسئل عن ملوك الاحابش على النيل وممالكهم فقال
لقيت من ملوكهم ستين ملكا في ممالك مختلفة كل ملك منهم يزارع من يلبه من الملك وبلادهم حارة
يابسة مسودة ويسبها لحرارتها ولا استحكام للنارية فيها تغيرت الفضة ذهب الطبخ الشمس اياها لحرارتها
ويسبها وانارتها فتحولت ذهباً وقد يطبخ الذهب الذي يؤق به من المعدن خالصا صفاً مع الملح والزجاج
والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء وليس يدفع هذا الامر الا من لا معرفة له بما وصفت ولا قارب
شيأ مما ذكرنا قيل له فامنتى النيل في أعاليه قال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو
الارض الى الليل والنهار مستويان فيها طول الدهر وهي تحت الموضع الذي تسميه النجومون انك
المستقيم وما ذكرته معروف غير منكرو سئل عن بناء الاهرام فقال انه اقبور الملوك كان الملك منهم
اذا مات وضع في حوض حجارة ويسمى بحوض الشام الجرن وأطبق عليه ثم يبنى من الهرم على قدر
ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يعمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يقطر عليه البنبان والاقباء
ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذي ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في الارض
بعقد ارج فيكون طول الانح تحت الارض مائة ذراع وأكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب
يدخل منه على ما وصفت فليل له فكيف يثبت هذه الاهرام الملسة وعلى أى شئ كانوا يصعدون
ويننون وعلى أى شئ كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التي لا يقدر أهل زمانها على أن يحركوا
الحجر الواحد الا بجهنم قدروا فقال كان القوم يبنون الهرم بدرجاً من اوراق كالدراج فإذا فرغوا
منه فتحتهم ومن فوق الى أسفل فهذه كانت حيلتهم وكافوا مع هذا الهرم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة
فليل له ما بال هذه الكتابة التي على الاهرام والبراني لا تقرأ فقال دثر الحكياء وأهل العصر الذين كان
هنا اقلهم وتداول أرض مصر الامم فغلب على أهلها القلم الروى كالكال أحرف القبط والروم
باحرقها على حسب ما ولدوه من الكتابة بين الروى والقبطى الاول فذهب عنهم كتابة آبائهم
فليل له فمن أول من سكن مصر فقال أول من نزل هذه الارض مصر بن يعصر بن حام بن نوح

ومر في انساب ولدنوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم في الارض فقبيل له أن عرف بمصر بمطاع رحام
قال لهم في الجبل الشرق من الصعيد جبل رحام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العدو وغيرها وكانوا
يجاون ماعلا بالارمل بعد انقرض فيها الهد والقوا عدو الرؤس التي تسميها أهل مصر الاسوانية ومنها
سجارة الطواحين فتلقت نقرها الاولون بعد حدوث النصرانية بعين من السنين ومنها الهد التي
في الاسكندرية والهدوبها الفخيم الكبير لا يعلم بالعالم عود مثله وقد رأيت في جبل اسوان أخا هذا
العود قد همدس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحك ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون أن يفصل من
الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم وسئل عن مدينة العقاب فقال هي غرب اهرام بوصير الجيزة
وهي على بعد خمسة أيام ليالي بالراكب الجهد وقد عورت طريقها وعبت المسالك الهما والسمت
الذي يؤدى نحوها وذكر ما فيها من عجائب البنين والجواهر والاموال والاله التي لها سميت
مدينة العقاب ووصف مدينة أخرى غرب اخميم من أرض الصعيد ذات غياض عجيب اتخذتها الملوك
السابقة وذكر من شأن هذه المدينة الاخرى عجائب من الاخبار وزعم أن بينا وبين اخميم من أرض
الصعيد مسيرة ستة أيام وسئل عن النوبة وأرضها فقال هم أصحاب ابل وبخت وبقر وغنم وملكهم
يستعد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عوامهم البراذين ورميهم بالنبل عن قسي عربية وعنهم
أخذ الرمي أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم الخيل
والكرم والنزة والموز والخنطة وأرضهم كأنها جزء من أرض اليمن والنوبة أثر جح كأكبر ما يكون
بأرض الاسلام وملوكهم تزعم أنهم من حمير وملكهم يستولى على مقرأ نوبة وعلاوة ووراء علاوة أمة
عظيمة من السودان تدعى بكنة وهم عراة كل رنح وأرضهم تنبت الذهب وفي مملكة هذه الامة
يحترق النيل فينشب منه خليج عظيم ثم يحصر الخليج من بعد انقصاله من النيل وينحدر الاكثر
الى بلاد النوبة وهو لا يتغير فاذا كان في بعض الايام انقصر الاكثر من الماء في ذلك الخليج
وايض الاكثر واخضر الاقل فينشق ذلك الخليج أودية وخلجانا وأعمالا مائسة حتى يخرج الى
جلاسق والجنوب وذلك ساحل الرنح ومصبه في بحرهم ثم سئل عن النجوم والمنى وسجرات اللاهون
فذكر كلاهما طويلا في أمر القيوم وان جارية من بنات الروم وابنه اتزلا القيوم وكانوا البدة في عمارتها
وعلمة أرضها وانما كان الماء يأقي القيوم من المنى أيام جرى النيل ولم يكن سجرات اللاهون بنى وانما
كان مصب الماء من المنى من الموضع المعروف بدمونه ثم بنى اللاهون على ما هو اليوم عليه ويقال
ان يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام بنا أيام العزيز ودير من أمر القيوم ما هو
اليوم قائم من من الخليج المرتفعة المطاطية وهو خليج فوق خليج فوق خليج وهي القطرعة المعروفة
بسقونه وأقام العهود التي في وسط القيوم وهو غائص في الارض لا يدرك منتهاه وهو أحد عجائب

الذي امر به الشكل قد جهد أناس من الأمم عن ورد بعد يوسف عليه السلام أن ينتموا إلى آخره في الأرض حفرا فلم يأت لهم ذلك وغلبهم الماء فبحرهم ورأس هذا العمود مساو لارض المنهى قال وأما حجر اللاهون فانه من سطح الحجر الذي في ما بين الفرش إلى ناحية اللاهون واللاهون هي القرية بعينها ففيها من السطح إلى القرية ستون ذراعا وربما قل الماء في المنهى وظهر بعض الدرج وفي حائط الحجر فوارب بعضها اليوم يخرج منه الماء وبعض لا يرى وفي ما بين سطح الحجر الذي ما بين النقبين وبين القرية شاذرات وهو أسفل من الدرج وانما يدخل الماء القيوم بدرب الحجر وجعلت الاسقالة وهي القناطر لخروج الماء منها ولأية لول الماء الحجر أيام سده قبل التقدير ببناء حجر اللاهون وبقدري ما يكتفي القيوم من الماء يدخل إليها وبناء حجر اللاهون من أعجب الأمور ومن أحكم البنيان ومن البناء الذي يبقى على وجه الأرض لا يتحرك ولا يزول بالهندسة على والفلسفة أثقن وفي السعود نصب وقد ذكر كثير من أهل بلدنا أن يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحي والله أعلم ولم تزل ملوك الأرض اذا غلبت على بلادنا واحتوت على أرضنا صارت إلى هذا الموضع فتأملت لما قد نفي إليها من أخباره وسار في الخليفة من عجائب بنيانه واتقاه وكان هذا الرجل من أقباط مصر ممن يظهر دين النصرانية ورأى البعقورية فأمر احد بن طولون في بعض الايام وقد حضر مجلسه بعض أهل النظار يسأله عن الدليل على صحة دين النصرانية فسأله عن ذلك فقال دليلى على صحتها وجودى أياها متناقضة متنافية تدفعها العقول وتفرمها النفوس لتباينها وتضادها لا نظر بقويها ولا برهان بعصدها من العقل والحس عند التأمل لها أو الفحص عنها ورأيت مع ذلك أعا كثيرة وملاو كاظمة ذوى معرفة وحس قد انقادوا إليها وتدينوا بها فعلت أنهم لم يقبلوها ولم يتدينوا بهم مع ما ذكرت من تناقضها في العقل الأدلائل شاهدوها وآيات علموها ومجربات عرفوها أوجب انتقادهم إياها والتدين بها قال له السائل وما التضاد الذي فيها قال وهل يدرك أو يعلم غاية منها قولهم بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووصفهم الأقاليم والجوهر وهو الثابت وهل الأقاليم في أنفسها قادرة على عالمها أم لا وفي اتحادهم القديم بالإنسان المحدث وما جرى في ولادته ووقته وصلبه وهل في التشنيع أكبر وأخس من إله صلب وبصق في وجهه ووضع على رأسه الأكليل من الشوك وضرب رأسه بالقضيب وسمرت يده ونخس بالأسنة والخشب جنباه وطلب الماء ففسق الخلل في بطيخ الخنظل فامسكوا عن مناظرته وانقطعوا عن مجادلتها لما قد أعطاهم من تنافض مذهبه وفساد وهنسه فقال طيب لابن طولون يهودى قد حضر المجلس أياذن لي الأمر في مخاطبته قال شأئك فأقبل على القبطى مسأله فقال له القبطى وما أنت أيها الرجل وما فعلتك قال له يهودى فقال له مجوسى اذا قال له كيف ذلك وهو يهودى قال لانهم يرون نكاح البنات

في بعض الحالات اذ كلن في دينهم أن الاخ يتزوج بنت أخيه وعليهم أن يتزوجوا نساء اخوتهم اذا ماؤا فاذا وافق اليهودي أن تكون امرأه أخيه ابنته لم يجد بدا من أن يتزوجها وهذا من أسرارهم ومما يمكنه ولا يظهره . فهل في الجوسية أشنع من هذا فانكر اليهودي ذلك ووجد أن يكون في دينه أو يعرفه أحد من اليهود فاستخبر ابن طولون فحدثه ذلك فوجد الطبيب اليهودي قد تزوج امرأه أخيه وكانت بنته ثم قبل القبطي على ابن طولون فقال أيها الامير هؤلاء من يعون وأشار الى اليهودي أن الله خلق آدم على صورته وعن نبي من أنبيائهم سمعه قال في كتابه انه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس والحية وان الله تعالى قال اني أنا النار المحرقة والحيي الآخنة وأنا الذي آخذ الابناء بذيول الآباء ثم في روايتهم أن بنات لوط عقينه المنحرف حتى سكر وزنى بهن وجلبن منه وولدن وأن موسى رد على الله الرسالة مرتين حتى اشتد غضب الله عليه وأن هارون صنع العجل الذي عبده بنو اسراييل وأن موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها ثم قالوا في ذنائب الحيوان والقرب من الله بدمائها ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم ان شريعتهم لا تنتسخ ولا يقبل قول أحد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولا فرق في قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا أتى ببرهان وبان بحجة ثم لا كبر من كفرهم قولهم في يوم عيد الكفر وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخالوفين تشرين الاول أن الرب الصغير يسمونه منظررون يقوم في هذا اليوم قائما وينتف شعور رأسه ويقول وبلى اذا خربت بيتي وايقت بنتي قاتمي منكسة لا أرفعها حتى آتي بيتي وذكر عن اليهود أفا صيص وتخاليط كثيرة ومنقضات واسعة ولهذا القبطي مجالس كثيرة عن اجد بن طولون مع جماعة من الفلاسفة والرصاصية والتسوية والصابئة والمجوس وعدت من متكلمي الاسلام وقد أتينا على ما احتمل منها ايراد في كتابنا اخبار الزمان وذكرنا جميع ذلك في كتابنا المقالات في أصول الديانات وكان هذا القبطي على ما نحن السينا من خبره وصم عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر والقول شكافوا المذهب وأقام عند ابن طولون نحو ستة فاجازة وأعطاه فاني قبول شئ من ذلك فرده الى بلده مكرما وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودي) وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوانات بما في البر والبحر من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد رعدت يداه وعضدها فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها عن شبكته ولو أمسكها انجشأ وقصب فعلت ذلك وقذفها جالينوس وأنها ان جعلت على رأس من به صداع شديد وشقيقة وهي في الحمية هدا من ساعته والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء انتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر أن النيل يزيد في

ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر ولا يباب الأرض والفلاحة الزراعية وذلك انه يظهر من الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولى عائداً الى الماء فيرى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرى من ذلك شيئاً في مرة كانه يحدد مقدار ما رعاها فيها اذا رعت ووردت الى النيل فشربت ثم تقذف ما في أجوافها في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية فإذا كثرت ذلك من فعله واتصل ضرره بآرياب الضياع طرح له التمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكان كثيرة مبدداً مبسوطة فياً كله ثم يعود الى الماء فيرى في جوفه ويزداد في اتفاحه فيشتق جوفه فيموت ويدافق على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يكون فيه لا يكاد يرى فيه تماسح وهو على صورة الفرس الآن حوافره والذنب بخلاف ذلك والجهة أوسع (من السعدي)

(ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر)

(تم ملك بعد الاسكندر) الملك خليفته بطليموس وكان حكيماً عالماً شامداً بديراً وكان ملكه أربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة وقد كان لهذا الملك وهو الثاني ملك الاسكندر حروب مع غاسرايل وغيرهم من ملوك السلم وذكر جماعة من أهل الدرايات بأخبار ملوك العالم أنه أول من اقتصى البناء ولعب بها وضاهاها وأنه ركب في بعض الايام في طريقه الى بعض منتهياته فنظر الى بازي يطير فرأه اذا علمب واذا سفل خفق واذا أراد أن يستوي ذرق فأتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك فتأملها فأعجبه صفاء عينيه وصفرة ثما وكال خلقه فقال هذا طائر حسن له سلاح وينبغي أن تنزى به الماوك في مجالسها فأمر أن يجمع منها عدة لتكون في مجالسه زينة فعرض لبازيها وهم وهو الحمية المذكور فوثب عليه البازي فقتله فقال الملك هذا ملك غضب بما تعصب منه الماوك ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داخلاً فوثب عليه البازي فثأفت الأخرى فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ثم صرطاً فوثب عليه فأكله فقال الملك هذا ملك شجاع ولا يصح أكله فثعلبها ثم لعب بها بعد ملوك الامم من اليونانيين والروم والعرب والعجم وغيرهم وثم من بعدهم ملوك الروم ولعب بالشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الازارقة وهم ملوك الاندلس من الاشبان أول من لعب بالشواهين وصادها وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان وقد كان من سلف من حكام اليونانيين يقولون ان الجوارح أجناس خلقها الله تعالى وأنشأها على منازله ودرجاتها وهي أربعة أجناس وثلاثة عشر شكلاً فاما الأجناس الاربعة فهي البازي والشواهين والصقر والعقاب

(ثم ملك بعده بطليموس) هيفايوس وكان رجلا جبارا وفي أيامه حملت الطليسمات وظهرت عبادة
 الآشائيل والاصنام لشبه دخلت عليهم وأنها سافط بينهم وبين خالقهم تقرهم اليه وتدينهم منه
 وكان ملكه ثمان وثلاثين سنة وقيل أربعين وقد قيل ان الذي علك بعد خليفة الاسكندر
 بطليموس الثاني محب الاخ وعز ابن اسرائيل بلاد فلسطين وايليا من أرض الشام فسباهم وقتل
 منهم وطلب العلام ثم ربح اسرائيل الى فلسطين وجعل معهم الجواهر والاموال واكالت الذهب
 والفضة له يكل بيت المقدس وكان ملك الشام يومئذ أنطيوخس وهو الذي بنى مدينة أنطاكية
 وكانت دار ملكه وجعل بناء سورها أحدهما تب العالم في البناء على السهل والجبل ومسافة السور
 اثنا عشر ميلا وعدة الابراج فيه مائة وستة وثلاثون برجاً وجعل عدد شرفاته أربعة وعشرين ألفاً
 شرافته وجعل على كل برج من الابراج تبولة بطريق أسكنه ما به برجاً له وخيله وجعل كل برج منها
 طبقات والبطريق في أعلاه وجعل كل برج منها كالحصن عليها أبواب حديد وأبواب حديد ومواقع
 الحديد بين الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة وأظهر فيها ماها من أعين وغيرها
 لاسيما الى قطعها من خارجها وجعل اليها ما من صبغة في قتي محرقه الى شوارعها ودورها رأيت
 فيها في هذه المياه ما يستحجر في مجاريها المعمولة من الخرف لترادف البصر فيها فقرا كم طبقات ويمنع
 الما من الجريان بانسداد فلابد لاجل الحديد في كسره (ثم ملك) على اليونانيين بعده هيفايوس بطليموس
 الصانع ستا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عليهم بطليموس المعروف بمحب الاب تسع عشرة سنة
 وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب انطاكية الاسكندروس وهو الذي بنى مدينة قاصية
 بين حصص وانطاكية (ثم ملك) بعده على اليونانيين بطليموس صاحب علم الفلك والتجيم وكتاب
 المجسطي وغيره أربعاً وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس محب الام خمساً وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده
 بطليموس الصانع سبعا وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس المخلص سبع عشرة سنة (ثم ملك) بعده
 بطليموس الابنكندرا في اثني عشر سنة (ثم ملك) بعده بطليموس الحديدى ثمان سنين (ثم ملك) بعده
 بطليموس الجوال ثمانيا وستين سنة وكانت له حروب كثيرة (ثم ملك) بعده بطليموس الحديدى ثلاثين
 سنة (ثم ملك) بعدها بنته قلمطرة وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة
 مقربة للعلماء معظمة للعداء ولها كتب مصنعة في الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها
 منسوبة اليها معروفة عند مصنعة أهل الطب وهذا الملك آخر ملوك اليونانيين الى أن انقضى
 ملكهم ودرت أيامهم ومجبت آثارهم وزالت علومهم الاماني في أيدي حكامهم وقد كان لهمة
 الملكة خبث ظريف في موتها وقتلها نفسها وقد كان لها زوج يقال له انطونيوس مشارك لها في ملك
 مقدونية وهي بلاد مصر من اسكندرية وغيرها فاسار اليهم الثاني من ملوك الروم ومن بلاد رومانية

وهو أغسطس وهو أول من سمي قيصراً إليه نسب القياصرة بعده وكانت له حروب بالشام ومصر مع قبطي الملكة ومع زوجه الانطونيوس الى أن قتله ولم يكن لقلب طرة في دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حبيبه وأراد أغسطس أعمال الحيلة فيها لم يجدها وأبى تعلم ثم اذ كانت بقية الحكمة اليونانيين ثم بعد ما يقتلها فإرسالها وعلت مراده فيها وما قدوت زها به من قتل زوجها وبنودها فطلبت الحيلة التي تكون بين الحجاز ومصر والشام وهي نوع من الحيات ترى الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من أعضائه فقزت أذرعاً كثيرة كل رخ فلم تخط ذلك العضو بعينه حتى تنقل عليه سماً فتأق عليه ولا يعلم بها الخوذة من فوره ويتوهم الناس أنه قد مات فجاءه حقد أفعه ورأيت نوعاً من هذه الحيات بين بلاد خورستان من كورالاهوازلن أراد بلاد فارس من البصرة وهو الموضع المعروف بمحار دوة بين مدينة دروق وبلاد الياسان والغندم في الماء وهي حيات شبيهة وتدعى هناك القبرية ذات رأسين تكون في الرمل وفي جوف تراب الارض فاذا أحست بالانسان أو غيره فمن الحيوان وثبت من موضعها أذرعاً كثيرة فحسرت باحدى رؤسها الى أى موضع من ذلك الحيوان فتلحقه من ساعته ضد الحياة وعدمها الحينة فبعثت قلب طرة هذه الملكة فاجتمعت لها حية من هذه المقدم ذكرها التي توجد بأطراف الحجاز فلما أن كان اليوم الذي علقت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض حواريها ومن أحب قضاءها قبلها وأن لا يلقها العذاب بعدها فجمعتها في انائها فنجحت من فورها ثم جلست قلب طرة الملكة على سرير ملكها ووضعت تاجها على رأسها وعلها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهر والقائمة والطيب وما يجمع بمصر من عجايب الرياحين وغيرها مما لا كراميسوطة في مجلسها وقدم سريره وأوعدهت بما احتاجت اليه من أمورها وقرت حشمها من حولها فاشتغلوا بأنفسهم عن ملكتهم لما قد غشيم من عدوهم ودخوله عليهم في دار ملكهم وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذي كانت فيه الحية فقربت يدها من فيه فتلفت عليها الحية فجفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد جحراً ولا مذبحاً تذهب فيه لاتفان تلك المجالس بالرخام والمرمر والاصباح فدخلت في تلك الرياحين ودخل أغسطس حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك في أنها تنطق فدنا منها فحين أنهما مية وأعجب بتلك الرياحين فديدها الى كل نوع منها لمسه ويتبينه وبهيج خواص من معه به ولم يدر ما سبب موتها فيديدها هو كذلك من تناول تلك الرياحين وثمها اذ فقزت عليه تلك الحية فمرته بسهما فيس شقه من ساعته وذهب بصره الا عين وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها لنفسها واينارها للوثة على الحياة مع الذل ثم ما كادته به من القاء الحية بين الرياحين فقال في ذلك شبحها بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا وما وهلك ولولا أن الحية كانت قد

أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبرة الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ولم تعلم هذه المدة وهذا الشعر معروف عند الروم الى هذه الغاية ذكره في يومهم ويرون به ماؤكهم وربعا ذكره في أعانهم وهو متعلم معروف عندهم والذي يقول عليه من عدم ماؤكهم واتفق على ذلك أهل المعرفة بأخبارهم أن جميع عند ماؤك اليونانيين أربعة عشر ملكا آخرهم الملكة قلبرة وأن جميع عدد سني ماؤكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وستة وواحدة وكان كل مائة ثلاث على اليونانيين من بعد الاسكندر بن فيلبس يسمى بطليموس وهذا الاسم الاعم الشامل للملكهم كتسمية ماؤك القرس كسرى وتسمية ماؤك الروم قيصر وتسمية ماؤك الصين سبع وتسمية ماؤك الحبشة التجاشي وتسمية ماؤك الزنج وهلمين

ذكر ماؤك اليونانيين

ولمع من أخبارهم وما قاله الناس في بدء أنسابهم

(قال المسعودي) تنازع الناس في فرق اليونانيين فذهب طائفة من الناس الى أنهم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولدا إسحاق وقالت طائفة أخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى أنهم من ولدا أوراس بن يافث بن نوح وذهب قوم الى أنهم قبيل متقدم في الزمان الاول وانما وهم من وهم ان اليونانيين ينسبون الى حيث تنسب الروم وينتمون الى جدتهم ابراهيم لان الديار كانت مشتركة والمقاطع والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم في السجية والمذهب فلذلك غلط من غلط في النسبة وجعل الاب واحدا وهذا طريق الصواب عند المفتشين وسيل البحث عند الباحثين والروم قفت في لغتها ووضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا الى كنه فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم والروم أنقص في اللسان من اليونانيين وأضعف في ترتيب الكلام الذي عليه نهج تعبيرهم وسن خطابهم (قال المسعودي) وقد ذكر أن يونان أخو قحطان وأنه من ولدا عبر بن شالخ وأن أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشريعة في النسب وأنه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولدا وأهلهم ومن انضم الى جلسته حتى وافى أقاصى بلاد المغرب فأقام هنالك وانتسل في تلك الديار واستعجم لسانه ووازي من كان هنالك في اللغة الإجمية من الافرنجة والروم فزال نسبته وانقطع نسبه وصار منسبا في خيال اليمن غير معروف عند النسابين منهم وكان يونان جبارا عظيما وسما جسيما وكان حسن العقل والخلق جزل الرأي كثير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب بن إسحاق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرنا من أنه أخ لقحطان ويحجج لذلك وقد رده عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة طويلة وذكر خطه نسب يونان بقبطان فقال

أبا يوسف انى تطرث فلم أجده * على الفحص رأيا صريح منك ولا عقدا
وصرت حكيماً عند قوم اذا امرؤ * بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عقدا
أقرن الخدا بدى محمد * لقد جئت شياً يا أبا كندة اذا
ومخلط يونانا بتحطان ضلته * لمرى لقد باعدت بينهما جدا

ولما نشأ ولد يونان وكبر خرج بسير في الارض يطلب موضعا يسكنه فانتهى الى موضع من المغرب
فنزله بمدينة أتينا وهي المعروفة بمدينة الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان وأقام بها هو ومن معه
من ولده فكثر نسله بها وبنيهم البنيان العظيم الى أن أدركته الوفاة فجعل وصيته الى اكبر من
ولده واسمه حريشوس فقال له يا بنى قد وافت الاجل وقرب من الحتم الواجب وانى راحل عنك
ومغافرك ومغارق اخوتك وأهل بيتك وقد كانت أحوالكم حسنة النظام بى وكنت كهفا
في الشدائد وعونا على المحن ومجنا فى الزمان فعليك بالجوذ فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب
السيادة وكفى حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيديا وابالاً والحيد عن الطريقة
المثلى التى عليها بنى العقل فان من ترك رأى اللب وغش العقل تورط فى المهالك ووقع فى مقابض
المتالف ثم مات يونان واستولى ولده حريشوس على مكان أبيه وضم اليه أهله وولده وبني خيره
وكثر نسلهم فقلوبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والتوكير وأجناس الامم من الصقالبة وغيرهم
وكان أول ماؤكهم من سماء بطليموس فى كتابه فيلبس وتفسيره بحب الفرس وقيل ان اسمه ملبص
وقيل فيلفوس وكانت مدة ملكه سبع سنين وقد قيل ان اليونانيين لما أن سارا لبعث نصر من ديار
المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤذون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس
وكان خراجهم يضاف من ذهب عدا معاوما ووزنهم صورة فلما أن كان من
أمر الاسكندر بن فيلبس وهو الملك الماضى الذى هو أول ماؤك اليونانيين على ما ذكره بطليموس
ما كان من ظهوره وهمت بعث اليه داراؤس ملك فارس وهو دارا بن دارا بطالب بما جرى من
الرسم فبعث اليه الاسكندر انى قد ذهبت تلك الدجاجة التى كانت تبيض بيض الذهب وأكلتها
فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى أرض الشام والعراق فاصطلم من كل قبيلة من
المالوك وقتل دارا بن دارا ملك الفرس ونسب قوم الاسكندر أنه الاسكندر بن فيلبس بن مصرى
ابن هرم بن زردوس بن ميظون بن روى بن توبط بن توفيل بن زروى بن ليطى بن يونان بن يافث بن
نوح ونسبه قوم انه من ولدا العيص بن اسحاق بن ابراهيم ومنهم من رأى أنه الاسكندر بن يونه بن
سرحون بن زروى بن قوط بن توفيل بن زروى بن الاصفر بن اليغز بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم
وقد تنازع الناس فيه فذهب منهم من رأى انه ذو القرنين ومنهم من رأى انه غيره وتنازعوا أيضا

في ذي القرنين ففهمهم رأى انه انعم على بنى القرنين لباوغه باطراف الارض وأن الملك الموكل بجبل
قاف سماه بهذا الاسم ومنهم من رأى أنه من الملائكة وهذا قول يعزى الى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه والقول الاول لابن عباس في تسمية الملائكة ومنهم من رأى أنه كان ذنبتين من الذهب
وهذا قول يعزى الى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقد قيل غير ذلك وانما ذكر تنازع الشريعتين
من أهل الكتب وقد ذكره تبع في شعره وافترض به وان من خطان وقيل ان بعض التبايعه غزا
مدينة رومية فاسكنها خلقا من اليمن وأن ذى القرنين هو الاسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها
والله أعلم وسار الاسكندر بعد أن ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وزوج بانه ملكها دارا
ابن دارا بعد ان قتله ثم اراد الى أرض الهند والهند ووطى ملوكها وجلت اليه الهدايا والخراج
وحارب ملكها فور وكان أعظم ملوك الهند وكان له مع سروب وقتله الاسكندر مبارزة ثم سار
الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت فدانته المملوكة وجلت اليه الهدايا والضرائب وسار في مفاوز
الترك يريد خراسان من بعد أن دلت ملوكها ورتب الزبال والقواد فيما افتتح من الممالك ورتب ييلاد
التبت خلقا من رجاله وكذلك ييلاد الصين وكوز بخراسان كورا وبى مدنا في سائر أسفاره وكان
معه ارب طاطا لدس حكيم اليونانيين وهو صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وتلميذا فلاطون
وأفلاطون تليد سقراط وصرف هؤلاء همهم الى تقييد علوم الاسماء الطبيعية النفسية وغير ذلك
من علوم الفلسفة واتصالها بالالهيات وأبأنواع الاشياء وأقاموا البرهان على صحتها وأوضحوها
لمن استبحهم عليه تناولها وسار الاسكندر راجعا من سفره يوم المغرب فلما سار الى مدينة شهرزور
اشتدت علته وقيل ييلاد نصيين من ديار بيعة وقيل بالعراق فعهد الى صاحب جيشه وخليفته
على عسكره بطليموس فلما مات الاسكندر طافت به الحكامه عن كان معهم من حكماء اليونانيين والفرس
والهند وغيرهم من علماء الامم وكان يجمعهم ويستريح الى كلامهم ولا يصدر الامور الا عن رأيهم
ويجعل بعد ان مات في تابوت من الذهب وورع بالجواهر بعد ان طلى جسمه بالاطمية الماسكة لاجرائه
فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون الخاصة معزيا والعامه واعظا
وقام فوضع يده على التابوت فقال أصبح أسرا أسيرا ثم قام حكيم ثان فقال هذا الاسكندر
الذى كان يحيى الذهب فصار الذهب يخبثه وقال الحكميم الثالث ما أُرشد الناس في هذا الجسد
وأرغبهم في هذا التابوت وقال الحكميم الرابع من أعجب العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لاهون
مغترون وقال الخامس يا ذا الذى جعل أجله ضمنا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من أجلك
تبلغ بعض أملاك هلا حقت من أملاك الامتناع عن فوت أجلك وقال السادس أيم السامح
المنتسب جمعت ما خلتك عن الاحتياج فغودرت عليك أوزاره وقاربت أيامه فغدا لغيرك ووباله

عليك وقال السابع قد كنت لنا واعظا فلو عظمتا موعظة أبلغ من وفائك فن كان له عقل فليعقل
ومن كان مغترا فليغتتر وقال الثامن رب هائب لك كان يقبلك من ورائك وهو اليوم بحضرتك
لا يتخافك وقال التاسع رب حريص على سكوتك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك
اذ لا تتكلم وقال العاشر أمانت هذه النفس لسلامت و قدعانت وقال الحادي عشر وكان
صاحب خزانه كتب الحكمة قد كنت تأمرني أن لا أبعد عنك فاليوم لا أقدر على الدوام منك وقال
الثاني عشر هذا اليوم عظيم العبر أقبل من شره ما كان مدبرا وأدبر من خير ما كان مقبلا فن
كان با كيا على من زال ملكه فليملك وقال الثالث عشر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما
اضمحل ظل الصباح وعفت آثار مملكته كما عفت آثار الرباب وقال الرابع عشر يا من ضاقت
عليه الارض طولاً وعرضا ليت شعري كيف حالك فيما احتوى عليك منها وقال الخامس عشر
أعجب ان كنت هذه سبيله كيف شرفت نفسه بجمع الحطام الهائل والهشيم البائس وقال
السادس عشر أي الجمع الحافل والمتقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته
فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد وقال السابع عشر انظروا الى حلم النائم كيف
انقضى وظل المنام كيف انجلي وقال الثامن عشر وكان من حكماء الهند يا من كان غضبه الموت
هلا غضبت على الموت وقال التاسع عشر قد رأيتم أيها الجمع هذا الملك الماضي فليتنظروا الآن هذا
الباقي وقال العشرون هذا الذي دار كثيرا ولا ينقر طويلا وقال الحادي والعشرون ان الذي
كانت الاذان تنصته قد سكنت فليستكلم الآن كل ساكت وقال الثاني والعشرون سيقربك
من سره موتك كالحققت بمن سرك موته وقال الثالث والعشرون مالك لا تنقل عضوا من أعضائك
وقد كنت تستقل ملك الارض بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذي أنت به وقد كنت
ترغب بها عن ربح البلاد وقال الرابع والعشرون وكان من نساك الهند وحكامها ان دنيا يكون
هكذا آخرها فالزمه أولى أن يكون في أولها وقال الخامس والعشرون وكان صاحب مائدة قد
فرشت الخمار ونضدت الوسايد وهيئت الموائد ولأرى عيد المجلس وقال السادس والعشرون
وكان صاحب بيت ماله قد كنت تأمرني بالجمع والادخار فالي من أدفع دخارك وقال السابع
والعشرون وكان خازنا من خزانه هذه مفااتيخ خزانتك فن يقبضها قبل أن تؤخذ في المأخذ منها
وقال الثامن والعشرون هذا الدنيا الطويلة العريضة طويبت عنها في سبعة أشبار القول التاسع
والعشرون قول زوجته وروشت بنت دارا بن دارا ملك فارس ما كنت أحسب أن غالب دارا الملك
يغلب وان كان هذا الكلام الذي سمعت منكم معاشرا للحكمة فيه مشرا به فقد خلف الكائن
الذي نشر به الجبابة القول الثلاثون ما يجيكي عن أمه أنها قالت حين جاءها نعيه لئن فقدت من

ابن امره فلما فقدت من قلبي ذكره وقبض الاسكندر وهو ابن ست وثلاثين سنة وقد كان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا وتملكه على سائر ملوك الارض وملك وهو ابن احدى وعشرين سنة وذلك بعد دونية وهي مصر وعهد الى ولي عهده بطليموس بن اذينة أن يجعل تابوته الى والدته بالاسكندرية وأوصاه أن يكتب اليها اذا أتتها نعيه ان تتخذ وليمة وتنادى في مملكته ان لا يتخلف عنها أحد وأن لا يجيب دعوتها من قد فقد محبوبا أو مات لخليل ليكون ذلك مآثم الاسكندر بالسرور وخلاف مآثم الناس بالحزن فلما ورد نعيه اليها ووضع التابوت بين يديها نادى في أهل مملكته على مابه أمرها فلم يجيب أحد دعوتها ولا بادرا الى نداءها فقالت لحشمها ما بال الناس لم يجيبوا دعوتي فقالوا لها أنت منعنيهم من ذلك قالت وكيف قيل لها أمرت أن لا يجيبك من فقد محبوبا أو عدم خليل أو فارق حبيبا وليس فيهم أحد الا وقد أصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلت مابه سئلت وقالت لقد عزاني ولدى أحسن العزاء وقالت يا اسكندر ما تشبه أو آخرك بأوائلك وأمرت به فجعل في تابوت من المرمر وطلّى بالاطلية المسكة لاجزائه وأخرجت من الذهب لعلها ان من يطأ بعد هامن الملوكة والام لا تتركونه في ذلك الذهب وجعل التابوت المرمر على أعجاز فضيت ومخور نصبت من الرخام والمرمر قدر صفت وهذا الموضع من الرخام والمرمر باقى ميلاد الاسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هذا الوقت وهو ستة اثنى وثلاثين وثمانئة

ذكر ملوك السريانين ولع من أخبارهم

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم ان أول الملوكة السريانين بعد الطوفان وقد تنوزع عليهم وفي النبط فن الناس من رأى ان السريانين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة لولماس بن نبط ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوسان وكان أول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكان ملكه ست عشرة سنة باغميا في الارض مفسدا للبلاد سقاكا للدماء ثم ملك ولده يقال له يزدس وكان ملكه الى ان هلك عشرين سنة ثم ملك سمسار بن أول سبع سنين ثم ملك بعده اهر جور عشرين نبط الخطوط وكورا الكور وحدث في أمره واتقان ملكه وعمارة أرضه فلما استقامت له الاحوال واتظام له الملك بلغ بعض ملوك الهند ما عليه ملوك السريانين من القوة وشدة العمارة وانهم يحاولون الممالك وقد كان هذا الملك من ملوك الهند بالبالي ماحوله من ممالك الهند وانقادت الى سلطانه ودخلت في أحكامه وقيل ان ملكه كان مما يلي السند والهند فسار نحو بلاد بسط وعمرين ونعير وبلاد الداور على النهر المعروف بنهر ميد وهو نهر حبيستان

ينتهي جريانه على أربعة فراسخ منها وهذا النهر عليه أهل مجستان وضياعهم ونخلهم وجبالهم
ومستزهاهم وهذا النهر يعرف بنهر بسط وتجري فيه السفن من هناك الى مجستان فيها الاقوات
وغير ذلك ومن بسط الى مجستان نحو من مائة فرسخ وبلاد مجستان هي بلاد الرياح والرمال وهو
البلد الموصوف بان الرياح تدير الارحية وتسقي الماعن الآبار وتسقي الجنان وليس في الدنيا بلد
والله أعلم أكثر منه استعمالا للرياح وقد تنوع في مبدأ هذا النهر المعروف بنهر ميد فخر الناس من
رأى ان مبدأه من مبدأ نهر الكنك وهو نهر الهند وغير بكثير من جبال السند وهو نهر حاد الانصباب
والجريان عليه يعذب أكثر الهند أنفسهم بالحديد وتقرقها هذا في هذا العالم ورغبة في التقلد عنه
وذلك انهم يقصدون موضعا في أعلى هذا النهر المعروف بالكنك وهناك جبال عالية وأشجار عادية
ورجال جاوس وحدايد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر وقطع من الخشب فتأتيهم الهند من
الممالك النائية والبلدان القاصية فيسبحون كلام أولئك الرجال المرتين على هذا النهر وما يقولون
في ترهيدهم في هذا العالم والترغب فيما سواه فيطرحون أنفسهم من أعلى تلك الجبال العالية
على تلك الأشجار العادية والسيوف والحديد المنصوبة فينقطعون قطعاً ويصيرون الى هذا النهر
أجزاء وما ذكرنا فموصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك وهناك شجر من إحدى عجائب العالم
ولوا دره والغرائب عليه فيظهر من الأرض أغصان مستقيمة من أحسن ما يكون من الشجر والورق
تستقيم في الجواك بعد ما يكون من طول النخل ثم ينحني جميع ذلك منعكسا فيعود في الأرض من دسا
ويجوى في قعرها ساقا الى المقدار الذي ارتفع به في الهواء حتى يغيب عن الابصار ثم تظهر أغصان
بأدنى على حسب ما وصفتنا في الاول فتذهب الصعداء ثم تنظر منعكسة ولا فرق بين المقدار الذي
يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين ما يغيب منها تحت الأرض وشواري تحت الثرى
فلولا أن الهند قد وكلت بقطعهم يراعيه في أمره لا مر بذكره وخطري المستقبل بصقونه لطبق
على تلك البلاد ولغشى تلك الأرض ولهذا النوع من الشجر أخبار يطول ذكرها يعرفان طرأ
الى تلك البلاد ورأها أو غي اليه خبرها والهند تعذب أنفسهم على ما وصفنا أنواع العذاب من
دون الأمم وقد ثبتت أن ما ياله من النعيم في المستقبل مؤجلا لا يكون بغير ما أسلفته من تعذيب
أنفسها في هذا الحار مجالا ومنهم من يصير الى باب الملك يستأذن في احراقه نفسه فيدور في الاسواق
وقدامه الطبول والصنوج وعلى يديه أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه وحوله أهله
وقرباته وعلى رأسه أكليل من الريحان وقد قشر جلده عن رأسه وعليه الحجر وعليه الكبريت
والسندروس فيسير وهامته ورواحه حماغه تفوح وهو مضغ ورق التنبول وحب الفوفل والتنبول
في بلادهم ورق ينبت كصغرها يكون من ورق الاترج يعضخ هذا الورق بالنورة المياولة مع الفوفل

وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الجبل والجن في هذا الوقت مضغة بدلامن
الطيب ويكون عند الصداقة للورم وغير ذلك فتم من بسمية القوقل وهذا اذا مضغ على ماذ كرنا
بالورق والنورة شد اللثة وقوى عمود الاسنان وطيب النكهة وأزال الرطوبة المؤذية وشهى الطعام
وبعث على الباه وجر الاسنان حتى تكون كاحر ما يكون من حب الرمان وأحدث في النفس طربا
وأريحية وقوى البدن وأمار من النكهة وروائح طيبة والهند خواصها وعوامها تستعجب من أسنانه
بيض وتجنب من لا يعض ما وصفنا فإذا طاف هذا المذهب لنفسه بالنار في الاسواق انتهى الى
تلك النار وهو غير مكترث ولا متغير في حشيشته ولا متعب في خطوته ففهم من اذا أشرف على النار
وقد صارت جرا كالثل العظيم يتناول خبيرا ويدهي الحرجى عندهم فيضعه في لبنته ولقد حذرت
بيلاد صيمور من بلاد الهند من اللار من مملكة البلهرا وذلك في سنة أربع وثلاثمائة والمثلث يومئذ
على صيمور المعروف بحاج وبه يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف فاطنين سياسة وسرايين
وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الامصار ممن قد تأهل وقطن في تلك البلاد وفيهم خلق من
وجوه القبايل مثل موسى واحقاق الصيدا بوري وعلى الهيرامة يومئذ بوسعيد معروف بابن زكريا
وتفسير الهيرامة براده رأسه المسلمين يتولاه رجل منهم عظيم من رؤسائهم فكانت أحكامهم
مصرفة اليه ومعنى قولنا السياسة براديه من ولدوا من المسلمين بارض الهند يدعون بهذا الاسم
واحد منهم يسر وجعهم بياسرة فرأيت بعض قساينهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم فلماذا
من النار أخذ الخبز فوضعه على فواده فشقه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فحذب منها
قطعة وهو يتكلم فقطعه بابا الخبز فدفعها الى بعض اخوانه ثم أبا بالموت ولتة بالقتلة ثم هوى بنفسه
في النار وإذا مات المثلث من ملوكهم وقتل نفسه سرق خلق من الناس أنفهم لموتهم بدعون هؤلاء
البلال الحرية واحد منهم بالحرى وتفسير ذلك المصداق لمن يموت فيموت بموته وبجبايحائه والهند
أخبار عجيبه تجز عن سماعها النفس من أنواع الآلام والمقاتل التي تألم عند ذكرها الايدان ويصفر
من ذكرها الانسان وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم وأما خبر ملك الهند ومسيره الى بلاد
محبستان وقضه مملكة السريانيين فكان هذا الملك من ملوك الهند يقال له زئيل وكل ملك يلى
هذا البلد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زئيل الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلاثمائة وكان بين الهند وبين ملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة فقتل ملك السريانيين
واحتوى ملك الهند على الضقع وملأ جميع ما فيه فسار اليه بعض ملوك العرب فأق عليه وملك
العراق ورد ملك السريانيين فلكوا عليهم رجلا منهم يقال له سيرا وكان ولما المقول فكان ملكا الى
أن هلك ثمان سنين ثم ملك بعده (أهرعون) وكان ملكا اثني عشرة سنة ثم ملك بعده ابن يقال له

(هوريا) فزاد في العماره وأحسن في الرعايه وغرس الاشجار وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (مارث) واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة ثم ملك بعده (أزور) و (خلجاس) ويقال انهما كانا أخوين أحسننا السيرة وتعاضدا على الملك ويقال ان أحد هذين الملكين كان جالساً ذات يوم اذ نظر في أعلى قصره الى طائر قد أفرخ هناك واذا هو يضرب بجناحه ويصيح فتأمل الملك ذلك فنظر الى حية تنساب الى الوكر صاعداً لا كل فراخ الطائر فدعا الملك بقوم فرمى الحية فصرعها وسلبت فراخ الطائر فجاء الطائر بعد هزيمة يصفق بجناحه في متقار حبة وفي مخلايه جيتان وجاء الى الملك وألقى ما كان في متقاره ومخالبه والملك يرمقه فوقع الحب بين يدي الملك فتأمله وقال ما ألقى هذا الطائر ما ألقى الا أنه أراد بلا شئ مكافأنا على ما فعلناه فأخذ الحب وجعل يأمله فلم يعرف مثله في اقلبه فقال جليس من جلسائه حكيم وقد نظر الى حيرة الملك في الحب أيها الملك ينبغي أن يودع النبيل أرحام الارض فانهم يخرج كنه ما فيه فتقف على الغاية منه وأداء ما في مخزونه ومكسونه فدعا بالاكروهم بزرع الحب ومراعاته وما يكون منه فزرع فنبت وأقبل يلتف بالشجر ثم حصرم وأعجب وهم يرمقونه والملك يراعيه الى أن انتهى في البلوغ وهم لا يقدرون على ذوقه خوفاً أن يكون متلفاً أمر الملك بصرمائه وأن يودع في أواني وأفراد حب منه وتركه على حاله فلما صار في الآتية عصيراً هدر وقد فربانز وفاضت له روائح عبقه فقال الملك على شيخ فاق به فلقد له من ذلك في إماء فرأولونا بحسبنا ومنظرا كملأولونا فوينا آخر وشعاعنا راغم - قوا الشيخ فليشرب ثلاثا حتى ماز وأرغى من مازره انفضول وحرل رأسه ووقع برجليه على الارض فطرب ورفع عقيرته يتغنى فقال الملك هذا شراب يذهب بالعقل وأخاف أن يكون قاتلاً ألا ترى الى الشيخ كيف عاد في حال الصبي وسلطان الدم وقوة الشباب ثم أمر الملك به فزبد فسكر الشيخ فنام فقال الملك هلك ثم ان الشيخ أفاق وطلب الزيادة من الشراب وقال لقد شربته فكشف عني الغصوم وأزال عن ساحتي الاحزان والهجوم وما أراد الطائر الا مكافأنا بكم بهذا الشراب الشريف فقال الملك هذا أشرف شراب أهل الارض وذلك أنه رأى شيخاً قد حسن وقوى حينه وانبسط في نفسه وطرب في حال طبيعة الحزن وسلطان البلغم وجاد هضمه وجاء النوم وصفق لونه واعتزته أريحية فأمر الملك أن يمنع العلامة من ذلك وقال هذا شراب المولود وأنا السبب فيه فان كان فلا يشربه غري فاستعمله الملك بقية أيامه ثم حي في أيدي الناس واستعملوه وقد قيل ان نوحاً أول من زرعهما وقد ذكرنا الخبر حين سرقها ابليس منه حين خرج من السفينة واستوى على الجودي

(من كتاب خروح الذهب)

ذكر الاسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها وما ألحق بهذا الباب

ذكر جماعة من أهل العلم أن المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار أرضا صحيحة الهوا والربة والماء حتى انتهى إلى موضع الاسكندرية فأصاب فيها أثر بئران وعددا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند (وهو القلم الاول من أقلام جبر ومالك عاد) أنا شادابن عاد ابن شادابن عاد شددت بساعدى البلاد وقطعت عظيم العمد من الجبال والاطواد وأنا بنيت ارم ذات العمد التي لم يخلق مثلها في البلاد أردت أن أبني ههنا كارم وأثقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العنابر والام وذلك اذ لا خوف ولا اهتمام ولا سقم فأصابني ما أغلني وعما أردت قطعني ومع وقوعه طال همي وشجني وقل نومي وسكني فارتحلت بالامس عن دارى لاقهر ملك جبار ولا خوف جيش جوار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتسام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى وفصاد بصرى وشدة حذرى فلا يقتر بالغباء بعدى فاعا غرارة غدارة نأخذ منك ما نعطى وتسترجع ما نولى وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمتنع من الاعتزاز بها والسكون اليها ونزل الاسكندر بنده هذا الكلام ونهته به ثم بعث فحفر الصناع من البلاد ونحط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر والاجار من جزيرة صقليا وبلاد افريقيا واقرطس وأفاسى وبحر الروم مما يلي مصبه ببحر أقيانوس وحل اليه أيضا من جزيرة رودس وهى جزيرة مقابلة للاسكندرية على ليلته منها في البحر وهى أول بلاد الافرنجة وهذه الجزيرة في وقتنا هذا وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة واد صناعة الروم وبها تنسأ المراكب الحربية وفيها خلق كثير من الروم ومراكبهم تطرق بلاد الاسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتأسر وتسبي وأمر الاسكندر الفعلة والصناع أن يدوروا بامرهم لهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة الى الخشبة جبالا منسوبة بعضها بعض وأرسل ذلك بعدو من الرخام وكان أمام مضربه وعلق على العمود جرسا عظيما مصوتا وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة والصناع أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الجبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختار مذى طالع سعيد فحقق الاسكندر برأسه وأخذته سنة في حال ارتفاعه الوقت المحمود المأخوذ فيه الطالع فجاء غراب فجلس على جبل الجرس الكبير الذى فوق العمود فخره وخروج صوت الجرس وتحركت الجبال ونفق ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك سمو لا

بحركة فلسفيه وحيل حكميه فلما رأى الصناع تحرك تلك الجبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا
الاساس دفعة واحدة وارفع النخيج بالتصديد والتقدیس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل
عن الخبر فأخبر بذلك فقال أردت أمراً وأراد الله غيره وبأنى الله الاما يريد أردت طول بقاءها
وأراد الله سرعة فناءها وخزائنها وتداول الملوك ايها وان الاسكندر لما أحكم بنيانها وأثبت
أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر
حين أصبح هذابه الخراب في عارتها وتحقق مراد الباري في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم
يزل البناء يبنى في كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصيحون وقد خرب
البنيان فقلق الاسكندر ورأه ما رأى فأقبل يفكر ما الذي يصنع وأى حيلة يوقع في دفع هذه الازية
عن المدينة ففستحث له الحيلة في ليلته عند خازنه بنفسه وباراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا
بالصناع فالتخذوا له ثابوتاً من الخشب طوله عشرة أذرع في عرض خمس وجعلت فيه جوامات من
الزجاج قد أحاط بها خشب الثابوت باستدارتها وقد أمسك ذلك بالقرار والزفت وغيره من الاطعمة
الدافعة للماء حذر من دخول الماء الى الثابوت وقد جعل فيها مواضع للحيال ودخل الاسكندر
في الثابوت ورجلان معه من كتابه عن له علم بانقان التصوير وبالغته فيه وأمر أن تسد عليهم الابواب
وأن يطل من ذكرها من الاطعمة وأمر فاني عركيين عظيمين فأخرجوا الى بحة البحر وعلق على الثابوت
من أسفله مبقلات الرصاص والحديد والحجارة لتتهوى بالثابوت سفلاً اذا كان من شأنه ما فيه من
الهواء أن يطفو فوق الماء ولا يرسب في سفله وجعل الثابوت الى المركبين وطول حباله فغاص
الثابوت حتى انتهى الى قسار البحر فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف
في صفاء ماء البحر فاذا هم بشياطين على مثال الناس رؤسهم على مثال رؤس السباع وفي أيدي
بعضهم القوس وفي أيدي بعض المنشير والمقامع بما كونه بذلك صناعات المدينة والنعلة وما في أيديهم
من آلات البناء فأثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وأحكموها بالتصوير في القراطيس على
اختلاف أنواعها وتشبه خاتمتهم وقودهم وأشكالهم ثم حرك الجبال فلما أحس بذلك من
في المركبين جذبوا الجبال وأخرجوا الثابوت فلما خرج الاسكندر من الثابوت وساروا الى المدينة
الاسكندرية أمر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صورته
الاسكندرية واحباء فلما فرغوا منها وضعت على العمدة شاطئ البحر ثم أمرهم فبنوا قلماجن
الليل ظهرت تلك الدواب والا قالت فنظرت الى صورها على العمدة مقابلة على البحر فرجعت الى
البحر ولم تعد بعد ذلك ثم لبثت الاسكندرية وشيدت أمر أن يكتب على أبوابها هذه
الاسكندرية أردت أن أبني على الفلاح والتجّاح واليمن والسعادة والسرور والنبات في المهور

ولم يرد الباري عز وجل ملكاً السموات والأرض ومضى الامم أن يبنها كذلك فبنيتها وأحكمت
 بنائها وشيدت سورها وأتاني الله من كل شيء علماً وحكماً وسهل لي وجود الأسباب فلم يستعذر
 علي في العالم شيء مما أردته ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفام الله عز وجل وصعابى وصلحاً إلى
 ولعباده من أهل عصرى والمجد لله رب العالمين لاله الأهورب كل شيء ورسم الاسكندر بعده
 الكتابة كل ما يحدث يلد من الأحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والغراب
 وما يؤل إليه إلى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كاندور المدينة
 يسير تحتها الفلاس ويدهرج لا يضيقي به حتى يدور جميع تلك الأراج والقناطر التي تحت المدينة
 وقد عمل تلك العقود والأراج محاريق ونفحات للضياء ومناقل للهواء وقد كانت الاسكندرية
 تضي بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر وأسواقها وشوارعها وأزقة امقنطرة بها
 لئلا يصيب أهلها شيء من المطر وقد صكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة الألوان
 بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول ورباع على المدينة شقاق الحرير الأخضر لاختلاف
 بياض الرخام بأصناف الناس لشدة بياضه فلما أحكم بنائها وسكنها أهلها كانت آفات البصر
 وسكانها على ما زعم الاخبار يزمن المصريين والاسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة فيمضون
 وقدة منهم العدد الكثير ولما علم الاسكندر بذلك اتخذنا الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسال
 وهي باقية إلى هذه الغاية كل واحد من هذه الأعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون
 ذراعاً على عمد من نحاس وجعل تحتها صوراً وأشكالاً وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج
 الفلك وقربها من هذا العالم وعند أصحاب الطلسمات المتجمين والفلكيين أنه اذا ارتفع من الفلك
 درجة وانخفض أخرى في مدة يزمنهم من السنين نحو ستمائة سنة تأتى في هذا العالم فصل الطلسمات
 النافعة المانعة والرافعة وقد ذكرها جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفى الكتب
 في هذا المعنى ولهم في ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعاً له وغيرهم ممن ذهب إلى أن
 ذلك لطف قوى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس ومما ذكرنا من درج الفلك في وجود قى كتب
 من تأخر من علماء المتجمين والفلكيين كابى معشر الجنى والخوارزمى ومحمد بن كثير القرطابى
 وما شاء الله وحسن وإن يزيدى ومحمد بن جابر البانى في زيجه الكبير ونايت بن قرة وغير هؤلاء
 ممن تكلم في علوم هيات الفلك والنجوم (قال المسعودى) وأما منارة الاسكندرية فذهب كثير
 من المصريين والاسكندريين ممن عنى بأخبار بلدهم إلى أن الاسكندر بن فيلبس المقدونى هو الذى
 بناها على حسب ما قدمنا في بناء المدينة ومنهم من رأى أن دوله الملكة هي التى بناها وجعلها
 مرقباً ليزمن العدو إلى بلدهم ومنهم من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها

وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سبق من هذا الكتاب ومنهم من رأى أن المني بنى مدينة قروميه هو الذي بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما أضيفت الاسكندرية الى الاسكندرية لشهرته بالاستيلاء على كثير من ممالك العالم فظهرت به وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة يدلوها على ما قالوا والاسكندرية بطرقه في هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يراد اليه في بلده وبغزو في داره فيكون هو الذي جعلها مرقبا وأن الذي بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره فيما تمثال قد أشار بسببها من يدها اليمنى نحو الشمس أي بما كانت من الفلك واذا علت في الفلك فأصبحت مشيرة نحوها فإذا انخفضت انخفضت يدها يسرى بدور مع حيث دارت ومنها تمثال يشير بيد الى البحر اذا صار العدو منه على نحو من ليلة فإذا دنى وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم ويرمونه بالصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتا يختلف ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مضطرب وقد كان ملك الروم في مدة الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ خادما من خواص خدمه ذارأى ودعاء وجاء مستأمنا الى بعض الثغور فوردبأ له حسنة ومعها جماعة فجاء الى الوليد فأخبره انه من خواص الملك وأنه أراد قتله بجموحه وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وأنه استوحش منه ورغب في الاسلام فأسلم على يد الوليد وتقرّب من قلبه وتنصح اليه في دقائق استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدقائق فلما رأى الوليد تلك الاموال والخواهر ثم رثت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وخواهر ودقائق للملك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال الارض وذلك ان الاسكندرية احتوى على الاموال والخواهر التي كانت لشداد بن عاد ومولاه العرب بمصر والشام فبنام الازواج تحت الارض وقطر لها الاقيام والقناطر والبراديب وأودعها تلك الدخائر من الميز والورق والخواهر وبني فوق ذلك هذه المنارة وكلن طولها ألف ذراع في الهواء والمرأت على علوها والديابرة جلوس حولها فإذا تظروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المراتع صواب من قرب منهم ونصبوا ونشروا وأعلاما فيها هم بعدهم فيحذر الناس وينذروا لئلا يكون العدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقافته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزيلت المراتع فضج الناس من أهل الاسكندرية وغيرها وعلموا انها مكيدة وحيلة في أمرها فلما علم الخادم استفادة ذلك وأنه سبى الى الوليد وأنه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل في مركب كلن قد أعدّه وواطى قوما على ذلك من أمره فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا في هذا الوقت

وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وكان حوالى منارة الاسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجواهر تختص منه قصوص اللخواتم أنواعا من الجواهر منه الكركهن والادرك وأشباجهم ويقال ان ذلك من الالاقات التي كان اتخذها الاسكندر للشرب فإلمامات كسرتهم أمه ورميت بها في تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة لكيلا يتناول من الناس حولها الا من شأن الجواهر أن يكون مطوبا في كل عصر في معدنه برا كان أو بحرا فيكون الموضوع على دوام الاوقات بالناس معمورا والاكثر مما يستخرج من الجواهر حول منارة الاسكندرية الاشبادجشم وقد رأيت كثيرا من أصحاب التلويجات ومن عني بعمل الجواهر المشبهة بالعدنية يمل هذه الجواهر المعروفة بالاشبادجشم ويتخذ منه النصول وغيرها وكذلك الفصوص المعروفة بالياقلون هي ترى ألوانا مختلفة من حمرة وصفرة تتلون في المنظر ألوانا مختلفة على حسب ما قدمنا والتلون من ذلك على حسب الجواهر في صفاته واختلاف نظر البصر في ادراكه وتلون هذا النوع من الجواهر أعني الياقلون نحو تلون دريش صدور الطواويس فانه تتلون ألوانا مختلفة أذنانها وأجفحتها أعني الذكور دون الاناث وقد رأيت منها بارض الهند ألوانا تظهر بحس البصر عند تأملها لا تدرك ولا تحصى ولا تشبه بأون من الألوان لما تراه من عروج الألوان في ريشها يتأق ذلك منها العظم خلقتهوا كبر أجسامها وسعة ريشها لان الطواويس بارض الهند دشانا عجيبا والذي يحمل منها الى أرض الاسلام يخرج عن أرض الهند فيبيض ويفرخ تكون صغيرة الاجسام كدرة الألوان لا تخطف ألوانا لا يدرأ كها وانما تشبه بالهندية بالشبه اليسير هذا في الذكور منها دون الاناث وذلك نحو التارنج والارج المدور حل من أرض الهند الى أرض غيرها بعد الثلاثمائة فرسخ بمكان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرهما من الثغور الشامية وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعرف ولا يعلم فعمدت منه الروائع الحجرية الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيه بارض الهند لعظم ذلك الهواء والترية والماء وخاصة البلد ويقال ان هذه المنارة انما جعلت للمرأة في أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرأة ترى من يرد في البحر من عدوهم الا أن من يدخلها يتيه فيه الا أن يكون عارفا للدخول والخروج فها لكثرة طبقاتها ويسوتها وعمارقتها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة القشتري جيش صاحب المغرب ودخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتهاوفا فيها طرقت أول الى مهاوى تهوى الى السرطان الزنجار وفيها تخارقا الى البحر فتوروا بدوابهم وقدمتهم عدده عظيم وعلمهم بعد ذلك وقيل ان تهورهم كان في كرسى بها قدماها وفيها مسجد في هذا الوقت يربط فيه في الصيف مطوعة

المصريين وغيرهم ولبلا دمصر والاسكندرية وبلا دالاندلس ورومية وما في الشرق والعين والمغرب أخبار كثيرة في عجائب البلدان والانبية والاكابر وخواص البقاع وما يؤثر في سكانها وقاطناتها أعرضنا عن ذكرها ذلك كقدا تناعى الاخبار منها فيما سلف من كتبنا من عجائب العالم من دوابه ووبره وبحره فاعفى ذلك عن اعادته ذكره

فصل في الكلام على بلاد اليونان ومقدونيا والشام ومصر بعد اضمحل القرطاجيين وانحطاط دولتهم

الذي يحظر بالبال أن أنيال كان من دأبه أن لا يتكلم بالنوانر والحكم الا قليلا جدا فكان كلامه بها أنه من الكبريت الاجر لاسيما ما حكاها عنه يتلموه في شأن فيبيوس ومر سليوس أو مر قليوس مما يعود عليه بالضرر وعلى أخصامه بالنفع فبالت هذا المؤرخ لم يزين ما وقع بين أبطال ذلك الزمن القديم ولم ينسب اليهم من الحكم والنوانر ما هو من قبيل الخيال والظواهر وما أحسنه لوساك في تاريخه مسلك أو مبروس الذي أهمل تزيين حوادث قول الرجال وأحسن ذكر وقائعهم بما يوجب القاري على حقيقة الحال وعلى فرض أن أنيال كان يصدر عنه مثل ذلك فهل يعد من الكلام المعقول المستحسن فان قيل نعم قلنا قد حكى عنه أنه لما بلغه هزيمة أخيه ماستروبال أقرأه بلع من خلال هذه الواقعة دمارا قرطاجيه فهل ثم شيء أدعى من ذلك لايقاع اليأس عند الامهالي الوائقيين به وهل هنالك ما تغربه همة الجيش القرطاجي الذي كان ينتظر مكافآت عظيمة بعد هذا الحرب أقوى من ذلك

ولما كان القرطاجيون في اسبابها وصقلية ومردنيا لا يعرضون لخرابة الرومانيين جيشا الا انهزم وساعاه وحانت آماله اضطر أنيال حيث كان أعداؤه دائمات قوتون بالاسعافات والامدادات الى أن لا يكون حربا في ايطاليا بالاجرد المدافعة فعند ذلك عن الرومانيين أن يتقوا ميدان الحرب الى بلاد افريقه فمراسيون بالجيش الروماني على سواحلها وظفر بالقرطاجيين ظفر اجبرهم على أن يدعوا أنيال من بلاد ايطاليا لالحق هذا القائن الحق والاسف ما لامر به عليه حيث أفضى به الحال الى تزلز ما تغلب عليه من تلك البلاد الرومانيين الذين طالموا تصرع عليهم فيها وقد أبدى أنيال في محاماة وطنه ما لامر به عليه لمن انتهت اليه الرياسة في السياسة الملكية والامارة في القيادة العسكرية وذلك انه لما تعذر عليه أن يحمل سيون على الصلح حمل عليه جملة عظيمة الآن الدهران لثوون لعب به حيث أوقع الخلل في أفعاله وأنساب تجربته وسلب منه سسلامة ذوقه

ففسد ذلك أنعن القرطاجيون لما كلفهم هالرومانيون من شروط الصلح الصادر من متيوع لتابعه لامن عدو لعدوه وذلك أن قرطاجة التزمت أن تدفع للرومانيين عشرة آلاف تالان (نوع من أنواع المعاملة) منحة على خمسين سنة وأن تعطى على ذلك كفالاً من الاهالى وأن تسلم اليهم سفنها ونياتهم الحربية وأن لا تقدم على محاربة أحد الا بعد رضائهم ولأجل إبقائها على الهوان والمذلة وضعف الشوكة وسع الرومانيون دائرة شوكة مسينيسة ملك فومديا التي هي الآن بلاد الجزائر لأنه كان أكبر أعدائها

ثم أنه بعد المخطا دولة قرطاجة واضعها لالهها كذا أن لا يكون للرومانيين الا حروب صغيرة ونصرا عظيمة على عكس ما كانوا عليه قبل ذلك

وكأنما كانت الدنيا في تلك الأزمنة أرضين منعزلتين احدهما كانت ميداناً للحروب الرومانيين والقرطاجيين والاخرى كانت ميداناً للشجارات والمنازعات التي استمرت بهم من موت اسكندر الروى ولم تلتفت أهلها الى ما كان يقع في الاولى التي هي بلاد المغرب من الحروب والمشاوير حتى لم يذكروا هزمهم مؤرخيهم نعم وان وقعت المشاورة بين فيلبس ملك مقدونيا وأنيال قائد القرطاجيين الا أنه لم يعقب هذه المشاورة شيئاً وحيث لم يعن هذا الملك القرطاجيين الا اعانة هينة لم يظهر للرومانيين منه الا مجرد مخالفة لهم لا يقرب عليها ضرر

هذا ومن أقمع السياسات أن تطرد دولة من الدول دولتين عظيمتين بينهما حروب طويلة شديدة وكل منهما لديها خصام كثير العناد وتمكت عظمتها متفرحة عليهما بدون أن تجعل لنفسها مدخلة بينهما اصلح أو حرب لان الدولة التي تطرف بصاحبها تصدى في مبدأ أمرها الى حروب جديدة ثم تصير أمة عسكرية تهجم على أمم أرباب حضارة لا معرفة لهم بالثغور العسكرية

وقد تحقق ذلك في تلك الأزمنة على وجه ظاهر فان الرومانيين بحرب غلبتهم للقرطاجيين ونظفروهم بهم شنوا الغارة على أمم أخرى وانتشرت أعلامهم في سائر الاقطار لتغلب عليها ولم يكن اذذاك في المشرق بمن يقدر على مقاومتهم الا أربع دول اليونان ومقدونيا والشام ومصر ولندكر أحوال الدولتين الاوليين وقتئذ حيث تصدى الرومانيون للاستيلاء عليهما قبل الآخرين فنقول

كان يسلا اليونان ثلاث أمم عظيمة ذات شوكة وهم الاثوليون والاخايون واليونانيون وكانت كل واحدة منها جمهورية متجمعة من اتحاد مدن حرة متعاضدة ذات مشورات عمومية وحكام مشتركة أرباب حل وعقد فأما الاثوليون فكانوا أرباب شجاعة وجراة ومخاطرة وحرص على الكسب وكان من دأبهم أنهم ليسوا أسراء الوفا بالوعد ولأن أهل التسلا بالعهد

وكانت محاربتهم في البر على منوال ما يفعله آرباب الصال في البحر وأما الاخائيون فانهم لما كانوا بجوارهم أو نحت جابتهم كانوا لا يدقون منهم طم الراحة أصلا وأما اليونانيون فكانوا أقل أمم اليونان نشاطا وهمة وكانوا دونهم في المدخلة في الحوادث العامة لجميع اليونان وكان لا يعنهم على الحركة الا ما يقوم بهم من الوجديانات الضرورية الراحنة من خيرا وشر فكات قرأتهم جامدة بحيث لا يؤثر فيها وعظ الوعظ ولا تحريض الخطباء على الدخول مع غيرهم في المصالح العامة هذا من الغريب الخارج عن حدا العادة بقاء جمهوريتهم وعدم زوالها مع ما كان فيها من اختلال الحكومة (مثلا كان رؤساء ثلاث الجمهوريات لا يدقون المجلس تطيبيا لخطر الاهالي وكان المرضى يوصون بأموالهم لأصحابهم لينفقوها بدهم في الولائم ولا يتركوا المصلحة الجمهورية) وأما قدمونه فانها حفظت شوكتها بمعنى أنها لم تزال باقية على التولع بالحرب التي اكتسبت من قوانين لكورغة وكان أهالي سالونيك مستعبدين من بعض الوجوه لاهل مقدونيا وكذلك ملوك البلقية وهي الارناؤط الساحلية كان الرومانيون قد أضعفوهم ذاك بالكلية وأمم الاقرنات والاثنا كانت جنود مقدونيا وايثولية قد خربت بلادهم على التعاقب وكان الاتينيون لاقوة لهم ولاناسر (حيث لم يكن لهم قدم معادتهم غيرهم من أمم اليونان) وانقطعت أفعالهم العجيبة ولم يكن عندهم وقتنا لا يجرد المداينة والخلق للولك وكانوا لا يرقون كلسابق المسار التي خطب عليها ديمستنس الا لتعرض الاهالي على احكام مبنية على غاية الجبن ونهاية الهذيان

ومع ذلك فكانت بلاد اليونان مهابة بقوةها وقوتها وكثرة مدنها وجنودها وبسياستها اضطرابا وأخلاق أهلها وعواظهم وقوانينهم فكانت تحب الحرب جاجا وتعرف فنه حق المعرفة ولوانضمت الي بعضها واتفقت كلمتها لممكن غلبتها والظهور عليها أولس أن ملوك مقدونيا كفيليس الاول واسكندر الروي وانطباطير غزوههم ولم يسترعوهم وانما وقعوهم في الحيرة والدهشة لما شاهدوه منهم من القوة وشدة البأس فلما رأى هؤلاء الملوك انه لا اقتدار لهم على الظفر بهم وأبت أنفسهم أن يتركوا ما تطلبوه وأملوه صمموا على أن يشتغلوا دائما بالبحث عن استعبادهم وأما ملكة مقدونيا فكانت أغلبها كتشفه جبال وعرة لا يمكن الدخول فيها وكان لاهلها استعداد وصلاحيات نامة للحرب لشجاعتهم وقوة قلوبهم وانقيادهم لرؤسائهم ومهارتهم في الفنون والصنائع وعدم ملالهم ولا غرو في اتصافهم بتلك الصفات العظيمة لما أن طبيعة قطرهم واعتدال هوا بلادهم يقتضيان ذلك اذهم الى الآن أعظم عساكر الدولة العثمانية

وانحلت دولة اليونان ولم تنقض لوجود ما يمنع من ذلك وهوما كان حاصلا يومئذ من ميزان التعادل بين المالك فان اللقدمونيين كانوا عادة حلفاء لاثوليين وكان المقدونيون حلفاء لالاخائيين الا أن قدم الرومانيين الى بلادهم كان سببا في نقض هذه الموازنة وباطالها

ولما كان لا يمكن المولود مقدونيا أن يقوموا بأوزم عدد كثير من العساكر كان أدنى هزيمتهم يعقبها ضرر وزيادة على ذلك كان لا يمكنهم توسيع ملكتهم الامع غابة المشقة وذلك لانعدام صدهم لما كانت لا تخفى على أحد كان أغلب الدول يراقهم ويلاحظ سلوكهم ليكون على حذر منهم وأمانصراهم التي اتصروها في الحروب التي تصدوا فيها الاعانة معا هدمهم فكانت في الحقيقة دواء

يبحث خلفاؤهم عن مداواته

ولكن كان هؤلاء الملوك عادة أرباب ذكاء ودهاء ولم تكن ملكتهم منطومة في سلك الممالك التي تجتد السير في سبيل المصالح حتى ثبت في أقرب وقت بل كانوا دائما يكتسبون التجربة والخبرة من ممارسة الاخطار والمصالح وكانوا دائما يفتقرون في وراطات المشاجرات الواقعة بين أم اليونان فهذا لهم أن يستميلوا اليهم كبار المدن اليونانية ويستجلبوا أهلها وكانوا يفتقرون في الأحوال التي يفتقرون الاغراض أو يفتقرونها وبالجملة فكانوا مضطرين في كل وقت لبذل مجهودهم والمقاومة بانفسهم

وقد كان فيليبش في مبدأ أمره يستميل قلوب اليونان اليه ويستجلب صداقهم له باين عريكته وسهولة أخلاقه ثم تغير دفة واحدة فصار جبارا طاغية في زمن كانت مطامعهم وسياسته يقتضيان أن يسلك فيه مسلك العدل والانصاف وكان يلجأ ولون بعد عظم شوكة القراطاجيين والرومانيين وكان قد انتهى الحرب على وجه عادبا نفع على حلفائه وتصال مع الاثوليين فكان الاولى له عقب ذلك أن يسعى في جمع بلاد اليونان بقسمها ويتعاهد معهم لئلا يمنع الاجانب من الاستيطان بها لكن كان الامر بالعكس لانهما أغضبهم ونفروا نفوسهم منه باغتصابهم حقوقا واهية وتلاعب بالبحث عن أغراض قليلة الجودى حين كان الاهم له أن يبحث عن ابقاء نفسه وحفظ ملكه حتى آل أمره أن صار يبغوضا بالكلية عند جميع اليونان لكونه صدر عنه ثلاثة افعال قيحة أو أربعة

وكان أشدهم خنقا عليه الاثوليين فلما علم الرومانيون شدة حقدهم التي ليست في الواقع الا ضربا من الجنون انتهزوا هذا الفرصة وتحالفا واهمهم فدخلوا بلاد اليونان وحرضوا أهلها على القيام عليه والخروج عن طاعته فنهروا السلاح وتأهبوا لقتاله

فكانت لهم النصر عليه في يوم (قوتوقفالة) وكان مدارها على شجاعة الاثوليين لفتحهم من الهوان والذل ما ألجأهم الى عقد مشاركة ليست في الحقيقة مشاركة صلح وانما هي عقد تخلي به عن قوته وذلك انه بموجبها أخرج عساكرها المحافظين من جميع بلاد اليونان وسلم لهم في سفينة الحربية والتزم أن يدفع لهم ألف تالان منجم على عشر سنوات

هذا وقد قابل المؤرخ بوليبيوس مع ما انطبع عليهم من سلامة الخوف بين ترتيب الرومانيين وترتيب المقدونيين الذي تسلك به جميع من خلفا سكندر من ملوك الطوائف فيمن منافع ومضار الفرق

العسكرية الرومانية والمقدونية ورجح جانب الترتيب الروماني ومن تأمل وقائع تلك الازمنة تراى
له أنه مصيب في ذلك

وما حصل الرومانيين في الحرب البونيقى الثانى من الوقوع في الخطر فذاك الا لكون انيسال
سلح عساكره في مبدأ الامر على منوال الرومانيين بخلاف اليونان فانهم في حربهم مع الرومانيين
لم يغيروا أسلحتهم ولا أساليب حربهم ولم يخطر لهم أن يتركوا أساليبهم التي بساوكها فاعلوا قبل ذلك
أشياء جسيمة واكتسبوا نصرات عظيمة

وكان نجاح الرومانيين في حربهم مع فيلبش أعظم نجاح اكتسبوه في جميع فتوحاتهم فانهم لاجل
التمكن والوثوق بفتح بلاد اليونان سلكوا جميع الطرق في خفض الايشانيين الذين أعانوهم على فتحها
وأمرؤا أن كل مدينة من مدن اليونان سواء كانت من حكومة فيلبش أو غيره من الملوك تحكم
نفسهم من الآن فصاعدا بقوانينها الخاصة بها

هذا ومن الجلي أن تلك الجمهوريات الصغيرة اليونانية لا يمكن أن تكون الاباعة غير أن اليونان
فرحوا بإجراء حكومتهم على قوانينهم الخاصة بهم فرحوا لا يصدر الا عن غي أحق ظنانهم أنهم
صاروا أحرارا حيث أظهر لهم الرومانيون ذلك

فالايوليون الذين ظنوا في مبدأ الامر أن تكون لهم الكلمة في بلاد اليونان لما رأوا سعيهم
لم يترتب عليه الا دخولهم تحت طاعة الرومانيين حيث صاروا مواليم داخلهم اليأس والقنوط
ولما كان من دأبهم الاقراط والبدع بالنهاية أرادوا مداومة الجنون بجنون آخر فدعوا انطيوخوس
ملك الشام إلى بلاد اليونان كجاءوا الرومانيين اليها قبل ذلك

وكان ملوك الشام اذ ذلك أقوى ملوك الطوائف الذين هم خلفاء اسكندر لانهم كانوا يحكمون على
أغلب ممالك دارا ما عدا بلاد مصر غير أنه طرأ عليهم من الحوادث ما أفضى بشوكتهم الى الضعف

وذلك أن الملك سيبارقوس مؤسس سلطنة الشام دمر في أو اخر أيامه مملكة ليزيا قسما أي جزيرة كيبولى
المتصلة وخرج عن طاعته عدة أقاليم في أثناء هذا الاختلال تكون منها مملكة برفاغمة (ازمير)
ومملكة فبادر وقية ومملكة بيكستيل باناطولى واستقلت بنفسها ولكن لما كانت تلك الممالك
الصغيرة غير مطمئنة على استقلالها كانت دائماً ترى أن ما يقع لساداتها الاول من الاذلال هو عين
عزها وسعدها

ولما كان ملوك الشام دائماً يتطرون عز مملكة مصر بعين الحقد والحسد كان مطمح نظرهم دائماً
التغلب عليها فنشأ عن ذلك اهتمامهم بجهة المشرق فلذلك فقدوا فيه اعدة أقاليم وصاروا الاذعان لهم
هيناً في أقاليم أخرى

فالامر ان يبقى لهم آسيا العليا والسفلى الا انه قد ظهر بالتجربة انه في هذا الحالة اذا كان تحت المملكة والقوى الاصلية في الاقاليم السفلى من آسيا تعذر على الملك حفظ الاقاليم العليا وانقاؤها وكذلك اذا كان تحت في آسيا العليا او اراد حفظ الاقاليم السفلى فانه يجزع عن ذلك وتضعف قوته ويدلك عليه أن كلام من مملكتي فارس والسلم لم تضاه في القوة أصلاً مملكة البرث الذين هم قدماء الفرس مع أنهم لم تكن الاجزأ من أقاليم هاتين المملكتين فلو لم يفتح ملكهم قيروس مملكة ليديا باناطولى لمحقها اليونان وتغلبوا على مملكته وكذلك لو اقتصر سياقوس ملك الشام على بابل وترك الاقاليم البحرية لخلفاء انطيفونة لما يروده لما ظهر الرومانيون عليه واستولوا على بلاده وقداقتضت الحكمة الالهية أن يكون للممالك حدود طبيعية تمنع الملو من التعدي على بعضهم وعسك بأعنة أطباعهم فلما تجاوزها الرومانيون أهلكتهم البرث وبددوا شملهم ولما جاوزها البرث أنفسهم اضطروا من مبدأ الامر الى الرجوع الى أراضيهم وكذلك آل عثمان في العصر الاخيرة فانهم لما تجاوزوا تلك الحدود كرهوا على الرجوع اليها وكان رعايا ملوك الشام ومصر اذا نالوا على قسمين الامم الغالبة أى الفاتحة والامم المغلوبة أى المستولى عليها وكان الملو لا يحكون الامم الفاتحة الا مع غاية المشقة لانهم كانوا يميزوا ليد كرون أصولهم ولم يكن عندهم ميل الى الحرية كالأفريق الا ان يصح لهم على الخروج من الاسر والاستعباد وانما كانوا مثلهم في الميل الى تغيير الملك ولا صبر لهم على بقاءه

ولكن اصابة ضعف مملكة السلم انما حدثت عن ضعف ديوان خلفاء دارا لا خلفاء اسكندر وذلك ان ما كان بدوا من ملوك آسيا على اختلاف القرون من الزينة والاختيال والتكبر والرخاوة كان مستطناً في ديوان هؤلاء الخلفاء وسرى هذا الداء الى الالهائى والعساكر بل سرى العدو به الى الرومانيين أنفسهم حيث ان الحرب التى وقع بينهم وبين انطيوخوس ملك الشام كان في الحقيقة مبدأ فساد حالهم واختلال نظامهم

فهذا ما كانت عليه مملكة الشام حين تولى الملك انطيوخوس الذى فعل أشياء كثيرة للحرب مع الرومانيين ولم يسلك فى حربه معهم سبيل الخزم والتؤدة التى ينبغي سلوكها في المصالح العادية مثلاً لما أراد ان يبال تجديدا الحرب بايطاليا سعى في اسقالة فيليبس ملك مقدونيا ليكون معه على عذوقه أو يرفع يده بحيث يكون لاه ولا عليه بخلاف انطيوخوس فلم يفعل شيأ من ذلك بل دخل بلاد اليونان في قليل من جنوده فكانما أفى متفجراً لا محاربا حيث لم يشغل الا بحفظ نفسه فانهم زمر وفر الى آسيا وكان فزعاً أقوى من هزيمته

فبذل الرومانيون جهدهم في اسقالة فيليبس اليهم في هذا الحرب وأدخلوا في خزمهم بالكلية فبذل جميع وسعته في خدمتهم واعانهم وكان عليه مدار نصراتهم في الحرب المذكور وكان الحامل له على

ذلك هو حوب الانتقام من الاشوليين وتخريب مملكتهم ووعد الرومانيين اياه بقتيص ما كان لهم عليه من الخراج وباعطائه بعض مدن وغيره من انطيوكوس وغير ذلك من الاسباب الواهية وذلك لعلمه أنه لا سبيل الى الخروج من ريقه الاسرفى فيما يكون به التلطيف والتخفيف عليه

وأما انطيوكوس فلم يتصرف في عواقب هذا الحوادث حيث ظن أن الرومانيين يبقونه على ما كان عليه يلاذ آسيا أمنا مطمئنا فكان الامر بالعكس حيث اقتنفوا أثره حتى انهزم هزيمة أخرى وأفضت به شدة الخوف والفزع الى الرضا بمشارطة كانت أشد عارا عليه ولم يسبق مثله المثل

ولأعلم في التاريخ شرف نفس أعظم مما صهم عليه بعض ملوك عصرنا (وهو الملك لوز الرابع عشر) حيث أثر أن يدفن تحت ردم كرسى ملكه على أن يرضى بشروط لا تليق أن تطرق أذان ملك من الملوك فكان يجلس شرف نفسه وعلا شأنه عن أن يتدافى أكثر عما الجأ به اليه نكاته وكان يعرف حق المعرفة أن ثبات الملك ودوامه انما يكون بالشجاعة والتجلد لا بما يوجب المعرفة والمذلة

وكثيرا ما ترى ماوكا يعرفون الحل على العدو ولكن قليل منهم من يحسن عمل الحرب ويدير الغزو والجهاد بأن يكون له اقتدار على انهزام فرصة الطفر عند حصولها وعلى توقعها في أثناء الشروع ويكون غلما لخالن ان على حد سواء وقل من يكون قبل الشروع غير واثق من نفسه بالتجاء فاذا شرع في الحرب يذهب تردد ثم وثبت قدمه

ولم يبق لانطيوكوس بعد انحطاط دولته وضعف شوكته الا ممالك صغيرة ما عدا مملكة مضر فانها لحسن موقعها وجودتها وخصوبتها واتساع دائرة تجارتها وكثرة أهلها وقواها البحرية والبرية كانت قابلة لان تكون ذات شوكة ومهابة الا أن فسوق ملوكها وجبنهم ومخلفهم وحققهم وانهم ما بهم على الشهوات الذميمة كل ذلك أوجب بفضتهم عند الرعايا حتى كانوا في أغلب الاوقات لا يثبتون على كرسى المملكة الابجماية الرومانيين واعانتهم

وكان من قوانين الحكومة المصرية في الجلالة أن البنات بشركن اخوتهن في ولاية العهد على المملكة ولاجل حفظ وحدة الحكومة كانوا يزوجون الاخ أخته فن هذا كان لأضر على المملكة من قانون ولاية العهد فان أقل مشاجرة منزلية وقعت بين الملك والمملكة من جهة الزوجية كانت مصدرا لوقوع الخلل في الحكومة فكان اذا لحق أحدهما أدنى غيظ من الآخر حرض عليه أهل اسكندرية وهم أمة أحلاط كثيرة الاهالى مستعدة دائما الى الانضمام الى أول من يريد منهم الفتنه والهرج وأيضا كانت مملكة القيروان وقبرص في العادة بين يدي ملوك آخرن عائلة ملوك مصر وكان لهم حق الاستئالة في الحكومة المصرية كما أن ملوك مصر كان لهم حق الاستئالة معهم

في بلادهم فلذا كان يوجد غالباً في مصر ملوك متولية بالفعل وآخرون يتطلعون للاستيلاء عليها
فبذلك كان ملوكها دائماً في الاضطراب وعدم الثبات ولما كانوا بهذه المنابة في داخل مملكتهم كان
لاشوكه لهم في خارجها

وكانت قوى ملوك مصر كقوى ملوك آخر من أسياقة مصورة على الاعانات اليونانية وكان اليونان
زيادة على ما فيهم من الميل الى الحرية وشرف العرض وحب الفخار لهم دائماً والتولع بالرياضات
البدن على اختلاف أنواعها فكانت ترى في أمهات مدائنهم ألعاباً مأسوفة وكان من يظهر فيها
على فرس يوضع على رأسه تاج في المحفل المحفل باليونان فكان يتولد من ذلك بينهم منافسة عامة
فلذا كان في مثل هذا الزمن الذي كان الحرب فيه بأسلحة شجاعة على حسب قوة الحارب وخفة
حركته لا يمكن أن يشك في أن مستعملها وهم اليونان ينظرون بالعديد الكثيرين عساكر الامم
المستبررة المأخوذة كيف ما اتفق والمبسوطة الى الحرب بدون انقصاب ودليل ذلك ما ظهر من
عساكر دارا

ثم ان الرومانيين لاجل أن يجدوا هؤلاء الملوك عن مثل هؤلاء العساكر اليونانية وعن قوتهم الاصلية
من غير أن يشعروا بذلك صنعوا شيئين أحدهما هو أنهم زعموا بالتدريج قانوناً اليونان مضمونه
أن لا يسوغ لهم أن يعقدوا معاهدة مع أي أمة من الامم أو يعدوها أو يحاربوها الا بعد استئذانهم
ورضاهم ثانياً - ما هو أنهم في مشارطاتهم مع الملوك منعوهم أن يجتمعوا عساكر من معاهدتهم
أي الرومانيين فبذلك أفضى بهم الامر الى أن اقتصرواعلى عساكرهم الاهلية (وهذه البوليتيقه
هي نظيره ما وقع منهم قبل ذلك في مشارطتهم مع القرطاجيين حيث الزمهم أن لا يستمدوا عساكر
أجنبية بل يقتصرواعلى عساكرهم الاهلية)

فصل في ذكر طيباريوس

كما أن البحرياً كل بالباطم ما يعترضه كالجسور من غردوى ولا صرير ثم يقطعها بغتة وبغضب على
الفاوان التي كانت تنحصر عن الجسور كذلك شوك الحكم في مدغلا غسطوس كانت تعمل عليها
بدون شعورها وفي زمن طيباريوس ظهرت كل الظهور وأفسدت كل شيء مع العفوان والشدّة
فقد كان في زمنه قانون ملوك يعاقب كل من يسيئ الامة الرومانية فيمسك به طيباريوس ولم يستعمله
فيما وضع لاجله بل في كل ما يلائم كراهته لامة وعدم وثوقه بها فلم يكن العقاب في هذا القانون
مقصودا على الاساءة بالفعل فقط بل وبالقول والاشارة وحديث النفس أيضاً لان ما يحصل
في الفؤاد وينطق به اللسان في المسامرة والمفاكهة بين صاحبه ليس الاحديثا نفسياً وبذلك
فقدت الحرية في الولايم وانعدم الوثوق من بين الأتارب والصدائق من الارقاء وأمسك الامير

عن المخالطة والبشاشة فلهدا صارت المحبة خطيرة وعدا اليه من عدم الاحتراس وثقله الحزم وصارت
 الفضيلة تصنعها تستحضر به الامة سعادة الازمان السالفة
 وليس في الدنيا ظلم أعظم مما يستند فيه الى مخايل القوانين وظواهر الشرائع فهو كما اذا ذهب انسان
 الى من تخلص من الفرق وأغرقه على الخسبة التي كانت واسطة في نجاة
 وحيث لم يتفق أبداً أن طاعة خلا عن آلات وأدوات يستعين بها على ظلمه وطغيانه وحدث طيباريوس
 دائماً قضاء لا يوقفون في الحكم بالعقاب على كل من حصل فيه الشك والارتياب مع كثرة عدد
 من اتهم بذلك وفي زمن الجمهورية حيث كان مشورة السنن لتحكم في خصومات الاحاد كانت
 تعرف بواسطة وكلاء الاهالي الجنائيات التي كانت تقع من المتعاهدين فأحال عليها طيباريوس الحكم
 فيما يسمى جناية الخوض في الشوكه الملوكية يعنى في حقه وقد سقطت هذه الجمعية الى حضيض
 الذلابة وبلغت من ذلك ما لا يمكن التعبير عنه وصاروا يلجأوا يساقون الى العبودية والمذلة حتى
 ان أعظمهم لاجل الخطوة عند سيجان الذي كان من أخصاء طيباريوس كان يسعى بالوشى والقيمة
 بين الامبراطور والاهالي

ويظهر لي أن هناك أسباباً تلي الى الاستعباد المستولى على أرباب مشورة السنن في ذلك الوقت وذلك
 ان قصير بعد أن ظهر على عرض الجمهورية تسابق جميع أحبابه وأعدائه من أعضاء تلك المشورة
 الى توسيع دائرة شوكته والتساهل في القوانين ومنحته خصائص وتشريفات تتجاوز الحد فتم
 من كان ينبغي بذلك الخطوة عنده ومنهم من كان يريد كراهة الامة له فقد خدع المؤرخ ديون أن بعضهم
 بالغ في ترخيصه وتصرفه حتى عرض الجمعية أن ترخص لقيصر التمتع بكل من أعجبه من النساء
 فترتب على ذلك أنه لم يأخذ حذره من جمعية السنن فقتل في هذه المشورة أشر قتله ولكن كانت
 عاقبة ذلك أن الفلق صار داء معديا غير منفرد بالنفوس

وكذلك قيل أن تحكم رومة بجامكم واحد كانت أموال اعيان الرومانيين لا تخصى بقطع النظر عن
 طرق تحصيلها وكسبها فلما كان زمن الامبراطور ذهب أغلبها من أيديهم وقد أرباب مشورة
 السنن هؤلاء اعيان الذين كانوا ملجأ لهم بواسطة الاموال وقل أن أمكن أخذ شيء من الاقاليم
 الا لتقصير لاسيما حين أقام بها وكلا متحصل هم أشبه برؤساء الحسابات في عصرنا هذا لكنه وان
 كان قد انسد على أهل جمعية السنن متبع الايراد الآن المصاريف لم تزل لازمة لهم فقد صاروا
 في حالة من العيش لا يقدر ورون على البقاء عليها الا باحسان الامبراطور

وكذلك سلب أغسطوس من الامة الرومانية حق التشريع وتقنين القوانين وحق الحكم
 في الجنائيات العامة الاهلية وانما أبقى لها ولو في الظاهر انتخاب أرباب الحكم والقضاء وأما

طيباريوس الذي كان يخشى من جميعات الالهة الكثيرة فسلم منها أضياف الانتخاب ومنحه
الجمعية السنّة أي لنفسه ولا يخفى أن الخطاط قوة الامة بهذه المثابة أوردت نفس الاعيان المذلة
والهوان وذلك أنه حين كانت الامة تتصرف في المناصب وتنتخب الارباب الاقضية والاحكام
كان هؤلاء الاحكام المتقلدون بالمناصب المذكورة يتنازلون كثيرا ويرتكبون الذناء ولكن كانوا
يضيفون الى ذلك نوعا من الظهور يغطي هذا العيب اما بكونهم يملون أفراسا أو ولائم للاهالي
أو يفرقون عليهم مقادير من المال أو الغلال ومع أن الاصل الموجب لذلك دنى إلا أن وسيلة الاعطاء
والانعام منهم لا تخاف من شيء من علو الهمة لانه يليق دائما بالرجل العظيم استمالة الناس اليه بالذل
والكرم ولكن لما سلبت وظيفة تفليد مناصب الاقضية والاحكام من أيدي الامة وصاروا امبراطور
بواسطة جمعية السنّة هو الذي يقلد تلك المناصب صار الاعيان يسلكون في طلبها ويخصيها
طرقا خمسة والذاتة فلهذا صار كل من التلقى والمعرفة وارث كتاب الجرائم فثقل الابتغى في الوصول الى
تلك المناصب

ومع ذلك كان لا يظهر أن طيباريوس يريد من تلك جمعية السنّة حيث كان لا يشك من شيء أكثر من
الميل الذي كان يبعث هذه الجمعية الى العبودية فلذا كانت سيرته مشعونة بغفوره من هذا المعنى
ولكن كان أغلب الرجال يريد أن يبدأ شيئا متضادا فلم تكن سياسته العمومية مطابقة لاهواء نفسه
الخصوصية فكان يشتهي أن لو كانت جمعية السنّة حرة وأهلا لان تقوى شوكة حكومته ولكن
كان يريد أن يضاعف نفوذه على أغراضه في جميع الاوقات ويتبادر عاين بل خوفه ويعد غيرة
ويشفي غليله من أعدائه فغلب رجل البشر رجل الملك يعني أن الطبع البشري غلب على التاموس
الملكي وقد ذكرنا فيما تقدم أن الامة الرومانية سابقا بلغت ما رجاها من أن يكون منها بطارقة
(أشراف) وأن يكون منها احكام بذون عنها ماعساء أن يقع لها من الضرر والظلم ولأجل أن يكون
هؤلاء البطارقة فيهم أهلية واقتدار على تنفيذ أحكامهم بالواحدة كون ذواتهم مقدسة لا تنتهك
سومتهم ولا يتعرض لهم بسوء وصدر الامر بأن كل من أساء واحدا منهم بالقول أو بالفعل عوقب
بالقتل فوراً ولما كان الامبراطور منتظمين في زمرة الاحكام المحامين كانوا منهم في الحرمه
وبناء على هذا الاصل قتل كثير من الناس وبسبل على الوشاة والتجسسين السعي بالنميمه وصارت
دعوى الخوض في حق الامبراطور أو إهائه متوهم عاقبها كجراذ بحيث صار يرفع فيمن يدعى عليه
بهذا الذنب كما قال بلينيوس وأن لا يستحق المؤاخذه عليه

ولكن يظهر لي أن من تلك المرافعات ما لم يكن بعد عيبا في ذلك الوقت كما يراى أنه الآن عيب
والانكشاف يتصور أن الامبراطور طيباريوس أخذ رجلا يبيع ويتوكل فيه الصورة الامبراطورية

وأن دوميانيوس حكم بالقتل على امرأته لكونها خلعت ثيابها أمام صورته وعلى رجل من الاهالي لكونه رسم وصف جميع الارض وتخطيطها على جدران غرفته اللهم الا أن تكون هذه الاعمال لها في عقول الرومانيين معنى آخر غير ما يتصور منها الآن وأظن أن بعضهما مبني على أن رومانيا تغيرت حكمومتها صار بعد من الكبار رماينرا أي لنا لا أناته ليس عظيم شيء قياسا على ما هو موجود الآن من أن أمة من أمم عصرنا هذا لا يمكن نوتهم الظلم فيها الا يساح عندها أن يشرب الشراب على محبة بعض من الناس لا أسميه

ولا يسعى أن أترك شيئا مما يفيد معرفة القوة الغريبة للامنة الرومانية فقد كانت مطبوعة على الطاعة لحكامها والمسرة بمن يقيم مقداره من هؤلاء الحكام فكيف لا وهي بعد موت جرمانيقوس ظهر عليها من الاسف والحزن واليأس ما لا يتبع مثله عند أهل أوروبا الآن فمن أراد أن يقف على ذلك فليراجع ما ذكره تاسيت وغيره من المؤرخين في هذا المعنى من وصف الحزن الذي عم الخاص منهم والعام وشدة وطول مدته والافراط فيه ولم يكن ذلك صادرا منهم على وجه التصنع اذ يستحيل أن أمة تقامها تصنع أو تعلق أو تنافق

وذلك ان الامنة الرومانية التي لم يكن لها مدخلية في الحكومة كانت في الغالب موافقة من المهررين العتقاء ومن لا تكسب لهم عن كانت معيشتهم على طرف الخزينة الميرية فلذا كانت تتألم بعجزها ككنا لم الاطفال والنساء بالضعف فكانت اهن ارضة قصرت خوفها ورجاءها على جرمانيقوس فلما فقدت هذا الذخيرة وقعت في اليأس والقنوط

وليس هنالك أحد يخشى المصائب جدا الا من كان سوء حاله قد بلغ منتهاه بحيث كان من حقه أن يأمن ولا يخشى شيئا بل يقول كما قالت اندروماله (زوجة هقطور ملك ترواده) حين وقعت أسيرة في أخذت زواده وقد تذر وجهها وقعت في اليأس والقنوط ليتني كنت أخاف ويوجد الآن في نابلي خسون ألف نفس لا يقتاتون سوى الاعشاب والحشائش وليس على أجسادهم الا ما يسترا العورة فهم أشقى أهل الارض ومع ذلك يعترهم الخوف الشديد بمجرد تصاعد أدنى دخان من بركان ويزوف فمن حقهم يخافون النشطاء وهو واقع بهم

(فصل في أصول جديده سلكها الرومانيون)

قد ينشأ في بعض الاحيان عن جبن الامبراطرة وفي الغالب عن ضعف الدولة الاحتياج الى تسكين الامم التي يخشى منها الاغارة على الامبراطورية بالذراهم ولكن الصلح لا يصح أن يشتري لان من سبق له لا يزال دائما مقتدرا على تطليب شرائه منه المرة بعد المرة

فالاولى أن نخطار الدولة بالحرب ولو بصفقة المغبون من أن ترجع الصلح بالفن لما أن العادة أنه متى علم أن الملك لا يغلب إلا بعد مجاهدة طويلة يهاب ويحترم وأيضاً شراء الصلح الذي كان عند الرومانيين من نوع المهادة ظاهراً استحال إلى عوائد مقررة وبعد أن كان في مبدأ الأمر رخصة ومحض تبرع صار لازماً وعدم الحق في المكتسبة لا تخذه ولمّا أبى بعض الامبراطرة اعطاه بالكلية للامم المتعددة عليه أو أراد تنقيته صار هو لاء الامم أعدى عدو للامبراطورية وذلك شواهد كثيرة تقتصر منها على ماسياني وهو أن الجيش الذي قاده يوليانيوس لغزو الفرس اقتفاه في رجعته قبائل العرب حيث أن هذا الامبراطور أبى أن يدفع لهم العوائد المقررة وبعد ذلك في عهد والزنطيا نوس غضب الالمان لما أعطى لهم هدايا أقل من العادة بكثير ومع أن هؤلاء الامم الشمالية كانوا أصحاب عرض وشرف نفس فتموا على الرومانيين في تطير الخوض في حقهم عنهم من حقهم الادعاء وشنوا عليهم الغارة وسار بهم حراً شديداً

فترتب على ذلك أن جميع هؤلاء الامم المحيطين بالامبراطورية بمن جهتي أوروبا وآسيا سلبوا أموال الرومانيين شيئاً شياً ولمّا كان اتساع دائرة الامبراطورية في العظم انما هو عما كان يجلب اليهم من الذهب والفضة من سائر الملوك داخلهم الضعف حين اتقل الذهب والفضة من عندهم إلى غيرهم من الامم (قال بعض الامبراطرة لجنده وقد أظهر القلق والغص من قلة الدراهم ان كان مرادكم المال فهذه هي بلاد العجم اذهبوا بنا اليها لنكتسب أموالها فإنه لم يبق شيء من الخزائن التي كانت تملكها الجهورية الرومانية وداء الفاقة انما حصل عن أشار على الامبراطرة بشراء الصلح من الامم المتبررة فقد نقلت أموالنا وبيت مدتنا وديارنا والملك الذي لا يملك شيئاً الا شرف النفس لا يستحي أن يعترف بالفقر المجرد على العيب انتهى) فالخلل الذي يقع من رجال الدولة ليس ناشئاً دائماً عن مجرد هوى النفس بل منشؤه في الغالب ضروريات مقتضية الاحوال ومن المضار تتولد المضار

وذلك أن عساكر الطوائف صارت جلا على الدولة كما سبقت الإشارة اليه وبات أنه العساكر المنتظمة كان لها من الكسب ثلاث جهات وهي العارفة المعتادة والكفاة بعد الخدمة والاعانات الطارئة عند الاقتضاء وصارت هذه الجهات الثلاث حقوقاً واجبة لهذه العصابة التي كان بين يديهم الملوك والاهالي

فلما عجزت الدولة عن القيام بهذا الحقوق استبدلت هؤلاء العساكر بعساكر الطوائف التي هي أقل منها كلفة وأرخص عاقبة وكان أخفها على شروط من الامم المتبررة حيث لم يكن عندهم زينة عساكر الرومانيين ولا عقلهم ولا طمعهم وكان هنالك سهولة أخرى لا يشاؤون وذلك أن المتبرزين كانوا يغيبون بقعة على اقليم من الاقاليم الرومانية فلا يجد الرومانيون بعد قصد السفر لمناجاة أهمية

ويتعذر عليهم جمع العساكر قبل فوات الوقت من الأقاليم والولايات فيضطرون إلى أخذ طائفة منبرية متأهبة للحرب بواسطة الدراهم ومتيثة للسلب والقتال. فبذلك كان يجد الحالكهم مطلوبه في وقته ولكنه فيما بعد يصرهؤلاء العساكر المداعدون كالعدو في الخطر

وكان أوائل الرومانيين لا يتخذون جنودا من الأغراب المساعدين تربيتهم على العساكر الرومانية ولكون محال فيهم كانوا رعاياهم بالكلية لم يرض الرومانيون أن يتخذوا لهم محالين ورعايا من الأمم الفاتكة عليهم في الشجاعة

ولكن في الأزمان المتأخرة لم يقتصر وعلى إهمال النسبة التي كانوا يحافظون عليها في الأزمان الأولى بين العساكر الأهلية والعساكر الأجنبية بل جعلوا في أليات الجيوش الأهلية دخيلا عظيما من العساكر الأجنبية

فيها تجددت عندهم عوائد مخالفة بالكلية للعوائد التي ملكوا بها في قديم الزمان الدنيا بأسرها وكلوا سابقا محافظين في سياستهم على تخصيص أهاليهم بغير العسكرية وحرمان من جاورهم من ذلك الفن ثم بطل ذلك من عندهم وتجدد عند غيرهم من مجاورهم ولا مانع من أن يقال أن تاريخ الرومانيين عبارة عن كونهم همز مواجعة الأمم بأصولهم فلما توصل هؤلاء الأمم إلى هذه الأصول لم يتيسر بقاء الجمهورية على حالها فوجب العدول إلى تغيير صورة الحكومة فوضع في هذه الحكومة الجديدة أصولا منبذة لأصول الحكومة الأولى المنحطت بهم إلى درجة عظمتهم

ولا يقال أن الاستيلاء على الدنيا انما هو بسعادة البخت وفور الحظ كما يقضى بذلك حالة دولة الرومانيين فانهم لو اتوا على السعود الدائمة حين كانت محكومة بصورة مخصوصة وتوالت عليها التكرس المتعاقبة حين تغيرت صورة حكومتها بشوع آخر وانما يقال أن هناك عللا كلية باطنية أو ظاهرية فعالة في كل مملكة ترفعها وتسكها من الزوال أو تنضجها وتسرع زوالها وجميع العوارض الجزئية لا تنخرج عن تأثير تلك العلل الكلية فإذا اتفق أن واقعة من الوقائع الحربية أعنى غلبة جارية أبادت مملكة من الممالك فلا بد وأن يكون هناك عللة كلية اقتضت أنه يمكن في إبادة هذه المملكة واقعة واحدة وقصارى الأمر أن تأثير العلل الكلية يسرى في جميع جزئياتها

فإننا نرى أنه منذ حقوقين كانت جيوش الدانيمركية هي مهاتل بالجيوش الاسوج فوجب أن يكون هناك بقطع النظر عن شجاعة الامتئين وعن مزينة الأسلحة خلال داخل في أصول الحكومة الدانيمركية إما في الإدارة العسكرية أو في الإدارة الملكية ترتب عليه هزيمة جيوشها وأنظر أن هذا التحلل لا يتيسر أدراكه

وبالجملة فقد فقد الرومانيون التريسة العسكرية حتى أفضى بهم ذلك إلى هجرهم نفس أسلحتهم الخاصة بهم فقد حكي المؤلف ويحييه أن العساكر لما وجدوا أسلحتهم ثقيلة عليهم جدا التمسوا

من الامبراطور غراسيانوس أن يعاقبهم من لبس الدروع فأجابهم الى ذلك ثم أذن لهم أيضا في خلع
الخدود والمسامير الحربية فصاروا بذلك عرضة للطعن بدون وقاية وسهل عليهم الفرار وبنى الادبار
وقد ذكر هذا المؤلف أيضا أنهم نسوا إعادة تحصين معسكرهم وبهذا التفريط صاروا عساكرهم
عرضة لسبي فرسان الامم المتبررة وأسروهم لها وكانت الفرسان عند أوائل الرومانيين قليلة
فلم تكن نسبتها للنساء المنتظمة الاجزأ من أحد عشر وربما كانت دون ذلك وأغرب من هذا أن
نسبة الفرسان عندهم الى المشاة هي أقل بكثير من نسبتها اليها عندنا في هذا الزمان مع شدة الحاجة
الى المشاة في المحاربات المتكررة الآن حيث ان الفرسان في ذلك نفعا قليل

ولما أخذت دوائهم في الاضططاط كثرت عندهم الفرسان حتى كانت عساكرهم لا تكون الا فرسانا
والظاهر أنه كلما كثرت معرفة أمة في فن العسكرية كان معظم تعويلها على المشاة وكلما قلت
معرفة تلك كثرت فرسانها وذلك أنه بدون التعليمات العسكرية والتربية الحربية تكون العساكر
المشاة قليلة ~~كانت~~ أو خفيفة كالأشي بخلاف الفرسان فانهم اتسعت ولو كانت غير منتظمة
(فقد صدر عن فرسان التتار من غير أن تعلم أصول الحركات العسكرية الا فرنجية أمور بحسبة
كما يفهم ذلك من نوارس فتح المغول للصين) لما أن معظم قوة الفرسان في جملها مواضعها المصادمة
الخاصة بها وأما قوة المشاة فانها هي في مجالدها وبساتم الخصوص ففوق المشاة تكاد أن تكون
في الحقيقة قوة ممدافعة لا قوة مهاجمة

وبالجمله ففوق الفرسان وقوة المشاة تستمر على العمل زمانا طويلا غير أنه يلزم لاسعة ارادها بهذه
المثابة التربية والتعليم

وقد توصل الرومانيون الى التصرف بالامر والنهي في جميع الامم ولم يكن هذا بجهد معرفتهم فن
العسكرية بل بضمهم الى ذلك سلاسل سبيل الحزم والتعقل والتبات والميل الى التخار وحب الوطن
فلما زالت منهم هذه الصفات في زمن الامبراطرة وبقى لهم فن الحرب حفظوا به ما اكتسبوه
وحصاه مع ضعفهم وظلم امرائهم فلما دخل الفساد في عساكرهم صاروا مغنما لجميع الامم
وذلك أن الدولة التي أقيمت بالأسلحة يلزم أن تبقى بالأسلحة وكما أن الدولة اذا كانت منغصة بالفن
لا تصور كيف يكون انقراضها كذلك اذا كانت في الصلح والراحة وكانت مهابة الشوك لا يدري أيضا
كيف تتغير عن هذه الحالة الى حالة الحرب والتعب حتى يحترس لها فيمناهم مل في العسكرية
لانهم لا ترجو خيرا بل تخاف شرها وفي الغالب تبحث عن اضعافها

وأيا كان من القوانين المتسلط بها عند أوائل الرومانيين أن من ترك عمله من العساكر أو ألقى
سلاحه في المعركة فعقاب الموت فجدد كل من بوليانوس وولطيانوس هذه القوانين القديمة

بما فيها من الجلاء فلما دخلت العساكر المتبررة في خدمة الرومانيين وكانوا متعودين على فعل الحرب كما يفعله الآن قبائل التتار من الغر لاجل الكر وقصد السلب والنهب أكثر من قصد الشرف لم يقدر هؤلاء العساكر على العمل بموجب تلك القوانين القديمة لما بذته التريتهم وطبيعتهم (فلم يرضوا أن يلتزموا بما كان يلتزمه عساكر الرومانيين من الواجبات)

وكان من جهة التربية العسكرية عند أوائل الرومانيين ما وقع من أن بعض أمراء الجيوش حكموا على أولادهم بالقتل في تطير كونهم هجموا على العدو واتصروا عليه قبل أن يصدلهم الاذن بذلك فلما اخلطوا بالعساكر المتبررة سرى لهم من طبائعهم بعض ميل الى الحرية وعدم الطاعة ومن قرأ قصة حروب الجترال يلبزيرة مع الغوطية رأى أن هذا الجترال كاد أن يكون في أغلب الاوقات غير مطاع عن تحتهم من الرؤساء

وكان سلا وسر طور يوس في شدة الحروب الداخلية يؤثران الهلاك على أن يفعل أحدهما مع الآخر شأنا يعود بالنفع على تيريداقس (ملك بلاد بنطس) ولكن في الازمان الاخيرة التي أعقبت ذلك كان سقي اقتضت مصلحة وزير أو أمير أن يدخل الاجانب في البلاد الرومانية لحرص أو استقام أو مطمع يسلم لهم أولا في نهما (وليس هذا بحسب من اختلاط الرومانيين بهم كانت قبل ذلك هامة بدون وطن وكان منها في الغالب فرق عسكرية كاملة تنضم الى العدو الذي غلبها وتقاتل معه ملتها كالحصل ذلك من الغوطية في عهد ملكهم ويحيوس)

وأشد الدول احتياجا الى الخراج هي الدول الاخنة في الضعف بحيث تضطر الى زيادة ضربه على الاهالي بقدر ضعفهم عن حمله والوفاء به فلذلك صارت الخراجات المضروبة على الاقاليم الرومانية لا تطاق ولا تحمل

وبالوقوف على كتاب سلوينايس يعلم الظلم الشديد الذي كان يقع في الامة الرومانية فترى الاهالي حين كان يضيق عليهم حمة الاموال المحصول لها لا يجدون لهم ملجأ الا الهروب عند الامم المتبررة أو بيع حريتهم لاي انسان يريد شراءها

وبهنا يتبين لك في تاريخ القرن سابعة عشر تحمل الغلبة (قلماء الترتبناويه) للفتنة التي وقعت وكانت أساسا للفرق بين الاشراف والعامة وذلك ان الاغراب الذين حكموا عليهم بعد الرومانيين لما جعلوا كثيرا من الاهالي أرقاء الاراضي بمعنى أنهم تابعون للارض المتسوية اليها قل أن يجددوا من الجبر شيئا زائدا عما وقع من الظلم عن قبلهم من الرومانيين

(من كتاب برهان البيان وبيان البرهان)
وفي استكمال واختلال دولة الرومان

ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وفي سنة أربعين اجتمع عكة بجماعة من الخوارج فتذاكروا الناس وماهم فيه من الحرب والفتنة وتعاهدوا ثلاثة منهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص وواعدوا واتفقوا على أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي يتوجه إليه حتى يقتله أو يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وكان من نجيب وكان عدادهم في مراد قنب إليهم وحجاج بن عبد الله الصريعي ولقبه البرك وزادويه سولي بن العنبر فقال ابن ملجم أنا أقتل عليا وقال البرك أنا أقتل معاوية وقال زادويه أنا أقتل عمرو بن العاص وواعدوا أن يكون ذلك ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وقيل ليلة إحدى وعشرين فخرج عبد الرحمن بن ملجم المرادي إلى علي فلما قدم الكوفة أتى قطام بنت عمه وكان على قتل أباهما وأخاهما يوم النهر وان وكانت أبجل أهل زمانها خفيها فقالت لا تزوج حتى تسمى لي قال لا تسأليني شيئا إلا أعطيتك فقالت ثلاثة آلاف وعبد وقبنة وقتل علي فقال ما سألت هولاء مهر الا قتل علي فلا أراك تدركينه قالت فالتقى غرة فان أصبته شفيت نفسي ونفك العيش معي وإن هلكت فاعند الله خير لك من الدنيا فقال والله ما جأني إلى هذا المصر وقد كنت هارباً منه الآنك وقد أعطيتك ما سألت وخرج من عندها وهو يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقبنة * وقتل علي بالحسام المصم
فلامهر أعلی من علی وان علا * ولا تترك الادون فتك ابن ملجم

فلقبه رجل من أشجع يقال له شبيب بن بخرمة من الخوارج فقال له هل لك في شرف الدنيا ولا تنوة فقال وماذا لك قال تساعدني على قتل علي قال شكلتك أملك لقد جئت شياً إذا قد عرفت غناؤه في الاسلام وسابقتك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك أمانتم أنه قد حكم الرجال في كتاب الله وقتل اخواتنا المصلين فنقتله ببعض اخواتنا فاقتل معه حتى دخل علي قطام وهي في المسجد الاعظم وقد ضربت كلمة بها وهي معتكفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فاعلمت ما أن نجاشع بن وردان بن علقمة قد اتدب لقتله معها فادعت لهما بجرير وعصبتها وأخذوا أسياقهم وقعدوا مقابلين لباب السدة التي يخرج منها على المسجد وكان علي يخرج كل غداة أولاً الاذان للصلاة وقد كان ابن ملجم مراً بالاشعث وهو في المسجد فقال له فخذك الصبح فسمعها جبر بن عدی فقال قتلته يا أعور قتلنا الله وخرج علي رضي الله عنه ينادي أيها الناس الصلاة فشد عليا بن ملجم وأصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك وضربه ابن ملجم على رأسه بالسيف في قفقه وأما شبيب فوقع ضربه بضادة الباب وأما ابن وردان فهرب وقال علي لا يفوتكم الرجل

وشد الناس على ابن ملجم ردونه بالحصاة ويتناولونه ويحجون فضرب ساقه من لحن همدان برجله
وضرب المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وجهه فصرعه وأقبل به إلى الحسن ودخل شبيب
بين الناس فحبا بنفسه وهرب حتى أتى رحله فدخل عليه عبد الله بن بكرة وهو أحد بني أبيه فراه
ينزع الحري عن صدره فسأله عن ذلك فغيره خبره فانصرف عبد الله إلى رحله وأقبل إليه بسيفه
فضربه حتى قتله وقيل إن عليا لم يمت تلك الليلة وأنه لم يزل يشي بين الباب والحجرة وهو يقول
والله ما كذبت ولا كذبت وانما الليلة التي وعدت فلما صرخ يط كان للصبيان صاحب من يرض
من في الدار فقال علي ويحك دعهم فانهن نوائح وقد ذكرا ثفة من الناس أن عليا رضى الله عنه
أوصى إلى أبيه الحسن والحسين لانهم شربوا في آية التطهير وهذا قول كثير من ذهب إلى القول
بالنص ودخل عليه الناس يسألونه فقالوا يا أمير المؤمنين أرايت إن فقدناك ولا تفقدك أنبايع
الحسن قال لا أكرمكم ولا أنمكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما أوصيكما بتقوى الله
وحده ولا تخيلا الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها قولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف
وكونا للظالم خصما وللفظالم عوننا ولا تأخذ كما في الله لومة لائم ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال هل
سمعت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزين أمرهما
ولا تقاطعن أمرهما دونهما ثم قال لهما أوصيكما فانه سيفكما وإن أبىكما فإكرامه واعرفا حقه فقال له
رجل من القوم ألا تعهد يا أمير المؤمنين قال لا ولكن أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فلماذا تقول بل إذا أتيتك قال أقول اللهم انك أبقيتني فيهم ما شئت أن تبقيني ثم قبضتني
وتركتك فيهم فان شئت أفسدتهم وان شئت أصلحتهم ثم قال أما والله انهم الليلة التي ضرب فيها يوسف
ابن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة إحدى وعشرين وبقي على الجمعة والسبت وقبض ليلة الأحد
ودفن بالرجة عنده مسجد الكوفة وقبض وقد أتى عليه اثنان وسبعون سنة وقيل اثنان وستون
وكان كما قال الحسن والله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأولون لا بفضل النبوة ولا بذكره
الآخرون وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعنه المبعث فيكتشف جبريل عن عينه
وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه وكان الذي صلى عليه الحسن ابنه وكبر عليه سبعا
وقيل غير ذلك ولم يترك صفراء ولا يضاء الاسيما تدبرهم بقيت من اعطاه أرا دأن يشتريها خادما
لا له وقال بعضهم ترك لاهل ما تسين وخمسين درهما ومحففه وسيفه ولما أرادوا قتل ابن ملجم
لعنه الله قال عبد الله بن جعفر دعوني حتى أشق نفسي منه فقطع يديه ورجليه وأحلى له مسمارا
حتى اذا صار جرة كحل به فقال سبحان الذي خلق الانسان انك لتكامل عك بما لو بلباص ثم ان
الناس أخذوه وأدبروه في بوارى ثم طأوها بالنقط وأشعلوا فيها النارا فاحترق

ولعمري بن حطان ولا به حطان أخبار كثيرة وكان آخر من خرج منهم ربيعة المعروف بشروان فأدخل على المقتدر بالله بعث به ابن جسدان من هرموناء وتذكر أن خرج في أيامه أيضا المعروف بابن شعيب وقد رثى الناس أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه في ذلك الوقت وإلى هذه الغاية وذكر واقتهله وعن رثاه في ذلك الوقت أبو الاسود الدؤلي من أبيات

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قوت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام نجعتهمونا * بجحر الناس طرا أجمعينا
قتام خير من ركب المطايا * وذلكها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها * ومن قبرا المسائي والمينا
إذا سئمت وجه أبي حسين * رأيت النور فوق الناطرينا
لقد علمت قريش حيث كانت * بأنك خيرهم حسبا ودينا

وانطلق البرك الصرعى إلى معاوية فطعنه بختبر في آليته وهو يصلي فأخذوا ووقف بين يديه فقال له وبلك وما أنت وما خبرك قال لا تقتلني وأخبره قال أنا يا بني عاق هذه الليلة عليك وعلى علي وعلى عمرو فان أردت فأجسني عندك فان كان قتلا والا خليت سبيلي فطلبت قتل علي ولت علي أن أقتله وأن أتلك حتى أضع يدي في ذلك فقال بعض الناس قتله يومئذ وقال بعضهم حسبه حتى جاء خبر قتل علي فأطلقه وانطلق زادويه عمرو بن بكر التميمي إلى عمرو بن العاص فوجد خارجة فاضى مصر جالس على السرير يطعم الناس في مجلس عمرو وقبل بل صلى خارجة بالناس الغداة ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لما رضى فضر به بالسيف فدخل عليه عمرو وبه رمق فقال له خارجة والله ما أراد غيرك فقال عمرو ولكن الله أراد خارجة وأوقف الرجل بين يدي عمرو فسأله عن خبره فقص عليه القصة وأخبره أن عليا ومعاوية قد قتلا في هذه الليلة فقال ان قتلا أو لم يقتلا فلا بد من قتلك فبكي فقبل له أجر غنائم الموت مع هذا الاقدام فقال لا والله ولكن غنائم يفوز صاحبها يقتل على ومعاوية ولا أفوز أنا بقتل عمرو فضر به عنقه وصلب وكان على رضى الله عنه كثيرا ما يقتل

تلكم قريش قناني تقتلني * فلا وديك ما بر وأوما ظفروا
فان هلكت فرفهن ذمتي لهم * بذات ودين لا يعفولها أثر

وكان يكثر من ذكر هذين البيتين

أشد حيازيك الموت * فان الموت لا يكا
ولا تجزع من الموت * اذا حمل بواديك

وسمعانه في الوقت الذي قتل فيه فانه قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره وكان من
 جذوع النخل فاقنعه وجعله ناحية وأحل ازاره فشدّه وجعل يشهدين البيتين المنقذين
 وقد كان معاوية دس أناسا الى الكوفة يشيعون موته وأكثر الناس القول في ذلك حتى بلغ عليا
 فقال في مجلسه قلأكثر من نعي معاوية والله مامات ولا يموت حتى يعلأما تحت قدمي وأما أراد
 ابن أكلة الاكبأ أن يعلم ذلك مني فبعث من يشيع ذلك فيكم ليعلم ويتيقن ما عدى فيه وما يكون
 من أمره في المستقبل من الزمان ومر في كلام كثير يزك فيه أيام معاوية ومن تلاه من يزيد مروان
 وبنيه وذكرا لحاج وما يسومهم من العذاب فارتفع الضجيج وكثر البكاء والشهيق فقام قائم من
 الناس فقال يا أم المؤمنين لقد وصفت أمورا عظيمة أنه ان ذلك كائن قال علي والله ان ذلك لكائن
 ما كذبت ولا كذبت فقال آخرون متى ذلك يا أم المؤمنين قال اذا خضبت هذه من هذه ووضع
 احدى يديه على خيشة والاخرى على رأسه فأكثر الناس من البكاء فقل لا تبكوا في وقتكم هذا
 فستكون بحدى طويلا فكتب أكثراهل الكوفة معاوية سرا في أمورهم واتخذوا عنده الايادي
 فوالله ما مضت الا أيام قلأثل حتى كان ذلك
 (من مروج الذهب)

ذكر لمع من كلامه وأخباره وزهده رضوان الله عليه

لم يلبس عليه السلام في أيامه ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربحا لاشأأكله بسرف عما صدق
 به وحبه والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربما نه خطبة ونيف وثمانون خطبة
 يوردها على البدية تداول الناس ذلك عنه قولا وعملا (وقيل له) من خيار العباد قال الذين اذا
 أحسنوا استبشروا واذا أسأوا استغفروا واذا ابتلوا صبروا واذا غضبوا غفروا (وكان) يقول
 الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن ترود منها الدنيا مصعب أحياء الله
 ومصلى ملائكة الله ومهبط وحيه ومتجر أوليائه اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا
 ينمها وقد آذنت بيننا ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها ومثلت لهم بيلاها والبلاء
 وشوقت بسرورها الى السرور وراحت بغيبة وابشكرت بعافية تحذيرا وترغيبا وتخويفا
 فذمها رجال غب الندامة وجمدها آخرون غب المكافأة ذكرتهم فذكروا نصارى فيها وصدقهم
 فصدقوا حديثها فيا أيها الأذام الدنيا المعتبر بفرورها متى استدامت لك الدنيا بل متى غرتك
 من نفسها أبعضاج أناك من البلى أم مصارع أمهاتك من الثرى كم قد عللت بكفك ومرضت
 يعلك من تبغى له الشفاء ونستوصف له الاطباء لم تنفعه بشفائك ولم تستعف له بطلبتاك
 قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبصرعه مصرعك غداة لا ينفعك بكأوك ولا يغنى عنك أحباؤك

ولا تسبح في مدح الدنيا أحسن من هذا (وعما) حفظ من كلامه في بغض مقاماته في صفة الدنيا أنه قال ألا ان الدنيا قد ارتحلت مديرة وإن الآخرة قد دنت مقبلة ولهذه ألسنة ولهذه ألسنة فكيف لو آمن أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا تكونوا من الزاهدين في الدنيا والزاهدين في الآخرة إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقوضوا الدنيا تقوية أيضا ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار جمع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن راقب الخير سارع في الخيرات ألا وإن الله عبدا يرون أهل الجنة في الجنة منعمين مخلدين قلوبهم محزونة وشروهم مأمونة أنفسهم عفيفة وحاجتهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصارت لهم العقب راحة طويلة أما الليل فصافوا أفئدةهم تجرى دمه وعهم على خدودهم يجأرون إلى ربهم ويسعون في فكاك رقابهم وأما النهار فعلماء حكماء بررة أقيام كأنهم القداح براهم الخوف والعبادة يطرأ عليهم الناطر فيقول مرضى وما بال قوم من مرض أم خولطوا فقد خالطهم أمر عظيم من ذكر النار ومن فيها (وقال لابنه الحسن) يا بني استغن عن شئت تكن نظيره وسل من شئت تكن حقيقه وأعط من شئت تكن أميره (ودخل) عليه رجل من أصحابه فقال كيف أصبحت يا أمير المؤمنين قال أصبحت ضيعة ما ذنبا آل كل رزقي وأظن أرجل قال وما تقول في الدنيا قال وما أقول في دار أولها غم وآخرها موت من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن حلالها حساب وحرمانها عقاب قال فأى الخلق أنتم قال أجساد تحت التراب قد أمست العقاب وهي تنتظر الثواب (ودخل) ضرار بن جزة وكان من خواص علي على معاوية وافدا فقال له صف لي عليا قال أعفى يا أمير المؤمنين قال معاوية لا بد من ذلك فقال أما إذا كان لا بد من ذلك فإنه كان والله بعيد المدى شديدا القوى يقول فضلا وبحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتطلق الحكمة من فواحيه يجبه من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر وكان والله يجينا إذا دعوناه ويعطينا إذا سألناه وكأنا على تقرس سلتنا وقبره منا لأنكلمه هيبه له ولا يتدنه له ظمه في نفوسنا يسمن عن فكر كاللؤلؤ المتظوم يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ويظم في المسغبة يتيمنا بقربة أو مسكيننا مربة يكثر كوالهريان وينصر اللففان ويستوحش من الدنيا وزهرتها وأنس بالليل وظلمته وكأني به وقد رعى الليل سدوله وغارت نجومه وهو في محرابه قابض على لحيته يقلمل غلغل السليم ويكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري إلى تعرضت أم إلى تشوقت هيات هيات لاحن حينك قدأ بشك ثلاثا لاربعة في فك عمرك قصير وعيشك حقير وحظك يسير آمن قلبه الراد ووحشة الطريق فقال له معاوية زدني شيئا من كلامه فقال ضرار كان يقول أعجب ما في الإنسان قلبه وله مواد من الحكمة وأصدان من خلافها

فأنسخه الرجا أماله الطمع وإن مال به الطمع أهل كما حرص وإن ملكه القنوط قتله الأسف وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ وإن أسعده الرضى نسي التحفظ وإن أماله الخوف فغلبه الجزع وإن أقاله أأطامه الغنى وإن عضته فاقة فغلبه الفقر وإن أجهدته الجوع أقعداه الضعف وإن أفرط به الشبع كطته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد فقال له معاوية زدنى كلما وعيت من كلامه قال هيأت أن آتى على جميع ما سمعته منه ثم قال سمعته بوصى بكيل بن زياد يا كليل ذب عن المؤمن فإن ظهره حى الله ونفسه كريمة على الله وظلله خصم الله وأحذركم من ليس له ناصر إلا الله قال وسمعته يقول ذات يوم إن هذه الدنيا إذا أقبلت على قوم أعارتهم محاسن غيرهم وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم قال وسمعته يقول بطر الغنى يمنع من عز الصبر قال وسمعته يقول ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبدة وسكونه منكرا وكلامه حكمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار جموعة من أرض الشام لا يعيش على في وجهه من الإيحوه الا يقول رب لا تدننى فردا وأنت خير الوارثين وحمل على يوم أحد على كردوس من المشركين خشن فكشفهم فقال جبريل بالمحمد أن هذا ملهى المواساة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن عليا منى قال جبريل وأنا منكم كذلك ذكرا مصابا بن إبراهيم وغيره ووقب على على سائل فقال للحسن قل لا ملأ تدفع اليه درهما فقال انما عندنا ستة دراهم للديق فقال على لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون بما فى يده الله أو ثنى منه بما فى يده ثم أمر السائل بالستة الدراهم كلها فمأبرح على رضى الله عنه حتى مر به رجل يقود بعيرا فاشترى منه بماناة وأربعين درهما وأنسا أمله ثمانية أياما فلم يحل أجله حتى مر به رجل والبعير معقول فقال بكم هذا فقال بعائى درهم فقال قد أخذته فوزن له الثمن فدفع على منه مائة وأربعين درهما الذى ابتاعه منه ودخل بالسنتين الباقية على فاطمة عليها السلام فسألته من أين هي فقال هذه تصديق لما جاء به أبوكم صلى الله عليه وسلم من جبابنة فله عشر أمثاله ومر ابن عباس يقوم يتناول من على ويسبونه فقال لقائده أدنى منهم فأدناه فقال أياكم الساب الله قالوا نعوذ بالله أن نساب الله فقال أياكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نعوذ بالله أن نساب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أياكم الساب على بن أبى طالب قالوا أما هذه فنعيم قال أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبني فقد سب الله ومن سب عليا فقد سبني فأطرقوا فلما ولى قال لقائده كيف رأيتهم فقال

نظروا اليك بأعين منورة * نظرا تفيض الى سفار الجازر

فقال زدنى بذلك أي وائى فقال

خز العيون منكسى أذنانهم * نظر الذليل الى العزيز القاهر
قال زندي فذلك أئى وأئى قال ما عندى مزيد ولكن عندى
أحياءهم تجئى على أموالهم * والميتون فضيحة للغابر

وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على بن الحسين بن على
أن علياً قال فى صبيحة الليلة التى ضرب فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد جد الله والثناء عليه والصلاة
على رسوله صلى الله عليه وسلم كل امرئ ملاقيه ما يفر منه والاحل تساق النفس اليه والهروب منه
موفاته كم اطردت الايام أتحننها عن مكثون هذا الامر فأبى الله عز وجل الاخفاء هيات علم
مكثون أما وصيقي فلا تنركوا به شيئاً ومجد لا تضعوا سنته أقيموا هذين اليومين حل كل امرئ
منكم مجهوده وخفف عن الحلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم كافى اعصار ودوى رياح
تحت ظل غمامة اضمحل راكدها خطها من الارض حيا وبق من بعدى خبرها واستكنه بعد حركة
كافمة بعد نطق ليعظكم هدوى وخفوت اطرافى انه أعظ لكم من نطق البليغ ودعيتكم وداع
امرئ مرصد لتلاق وغدا ترون ويكشف عن ساق عليكم السلام الى يوم المرام كنت بالامس
صاحبكم واليوم عظة لكم وغدا أفاركم ان أفق فأنا ولي دى وان أنت فالقيامه منعدى
والعفو أقرب للتقوى ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (من مروح الذهب)

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

واستخلف عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وهو اليوم الذى مات
فيه سليمان ووفى بدير سمعان من أعمال حص ممالي بلاد قيسرين يوم الجمعة لخمس بقين من رجب
سنة احدى ومائة فكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام وقبض وهو ابن تسع وثلاثين
سنة وقبره مشهور فى هذا الموضع الى هذه الغاية معظم بقشاه كثير من الناس من الحاضرة والبادية
لم يتعرض لنبشه فيما سلف من الزمان كما تعرض لقبور غيره من بنى أمية وأمه بنت عاصم بن عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه وقيل انه قبض وهو ابن أربعين سنة وقيل ابن احدى وأربعين سنة
وقد تنوع أيضاً فى مقدار مدته فى الخلافة

ذكر ملع من أخباره وسيره وزهده

لم تكن خلافة عمر فى عهد تقدم وكان السبب فيها أن سليمان لما حضرته الوفاة خرج دابق دعا رجاء
ابن حبة ومحمد بن شهاب الزهرى ومكحولاً وغيرهم من العلماء ممن كان فى عسكره غازياً وانافرا

فكتب وصيته وأشهدهم عليها وقال اذا أنا مت فأذوا بالله صلاة جامعة ثم أقرأوا هذا الكتاب على الناس فلما فرغ من دفنه قودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس وحضر بنو مروان فاشترأوا للخلافة وتشوقوا لنحوه فقام الزهري فقال أيها الناس أَرْضَيْتُمْ مِنْ سَمَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَلِيمَانَ فِي وَصِيَّتِهِ فَقَالَوْا نَعَمْ فَقَرَأَ الْكِتَابَ فَذَا اسْمُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمِنْ بَعْدِهِ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فقام مكحول فقال أين عمر وكان عمر في أواخر الناس فاسترجع حين دعي باسمه مرتين أو ثلاثاً فأقروه قوم فأخذوا بيده وعضديه فأقاموه وذهبوا به إلى المنبر فصعد وجلس على المرقاة الثانية وللبشر خمس مراقي فكان أول من يابعه من الناس يزيد بن عبد الملك وقام سعيد وهشام فأنصروا ولم يبايعا وبايع الناس جميعا ثم بايع سعيد وهشام بعد ذلك بيومين وكان عمر في نهاية الخسك والتواضع فصرف عماله من كان قبله من بني أمية واستعمل أصح من قدر عليه فسلك عماله طريقته وترك لمن على عليه السلام على المنابر وجعل مكانه ربنا عفر لنا ولاخواتنا الذين سبقونا باليعان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم وقيل بل جعل مكان ذلك ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى الآية وقيل بل جعلهما جميعا فاستعمل الناس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية ولما استخلف عمر ودخل عليه سالم السدي وكان من خاصته فقال له عمر أسرك ما وليت أم ساءك فقال سرني للناس وسأنيك قال اني أخاف أن أكون أوبت نفسي قال ما أحسن حالاً ان كنت تخاف اني أخاف عليك أن لا تخاف قال عظمي قال أبونا آدم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة وكتب طاووس إلى عمر ان أردت أن يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير فقال عمر كني بما موعظه ولما أفضى إليه الأمر كان أول خطبة خطب الناس به أن قال أيها الناس انما نحن من أصول قدمضت فروعهما فباقيها فرع بعد أصله وانما الناس في هذه الدنيا أعراض تنصل فهم المنايا وهم في انصب المصائب مع كل جرعة شرف وفي كل أكلة غصص لا ينالون نعمة الا بقرآن أخرى ولا يمر ممر منكم يوماً من عمره الا بهدم آخر من أجله وكتب إلى عامله بالمدنية أن اقسم في ولدي بن أبي طالب عشرة آلاف دينار فكتب إليه ان علياً قد ولده في عدة قبائل من قريش في أي ولده فكتب اليه لو كتبت اليك في شاة تذبحها لكتبت إلى سوداء أو بيضاء اذا نالتك كأي هذا فاقسم في ولدي من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فطالما انتظمتهم حقوقهم والسلام (وخطب) في بعض مقاماته فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه أيها الناس انه لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا واني لست بقاض ولكني منفذ الا واني لست بمتدع ولكني متبع ان الرجل الهلرب من الامام الظالم هو العاصي الا لاطاعة الخلق في معصية الخالق (وبعث) عمر وقد اتي ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين وحق يدعوه اليه

فلما دخلوا اذا ترجلن يقصر عليه وهو جالس على سرير مملكه والتاج على رأسه والبطارقة
عن يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه فأدى اليه ما قصدوا له فثلباهم بحميل وأجابه
بأحسن الجواب وانصرفوا عنه في ذلك اليوم فلما كان في غداة غد أتاهم رسوله فدخاوا عليه
فاذا هو قد نزل عن سريريه ووضع التاج عن رأسه وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها كأنه
في مصيبة فقال هل ندرن لماذا دعوتكم قالوا لا قال ان صاحب مصلى التي تلى العرب جاءني
كتابه في هذا الوقت أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات فاملكوا أنفسهم أن يكفوا فقال
لا نكفوا له وأبكوا لانفسكم ما بداكم فانه خرج الى خير مما خلف قد كان يخاف أن يدع طاعة الله
فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافة الآخرة لقد بلغني من بروفه وفعله وصدقته ما لو كان
أحد بعد عيسى بن مرقى لظننت أنه يحيى الموتى ولقد كانت تأتي أخباره باطنا وظاهرا فلا
أجد أمر مع ربه الا واحدا بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه ولم أعجب لهذا الراهب الذي
قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ولكني عجب من هذا الذي صارت الدنيا تحت قدمه
فزهديها حتى صار مثل الراهب ان أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر الا قليلا (وكتب عمر)
الى أبي حازم المدني الاعرج أن أوصني وأوجز فكتب اليه كأنك أمير المؤمنين بالنظام تكن
وبالآخرة لم تزل والسلام (ووقع) الى عامل من عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما عدلت
واما اعتزلت والسلام

وذكر المداثي قال كان يشتري لعمري قبل خلافته الحلة بالف دينار فاذا لبسها استحسنها ولم يستحسنها
فلما أتته الخلافة كان يشتري له قميص بعشرة دراهم فاذا لبسها استلانه وخرج مع جماعة من
أصحابه فربما مضى فقال لهم فقوا حتى آتي بقبور الاحبه فأسلم عليهم فلما توسطها وقف فلم وتكلم
وانصرف الى أصحابه فقال ألا تسألوني ماذا قلت لهم وما قيل لي قالوا وماذا قلت يا أمير المؤمنين
وما قيل لك قال مررت بقبور الاحبه فسلمت فلم يردوا ودعوت فلم يجيبوا فينا أنا كذلك اذ نوديت
يا عمر أن عرفني أنا الذي غيرت محاسن وجوههم ومرضت الأكفان عن جلودهم وقطعت أيديهم
وأبنت أكفهم من سواعدهم ثم بكى حتى كادت نفسه أن تطفأ فواته ما مضى بعد ذلك الايام حتى
لحق بهم (وذكر المداثي) قال كتب مطرف الى عمر أما بعد فان الذي ادار عقوبة لها يجمع من
الاعقل له وبها يغتر من لاعلمه فكثير ما كلدوا ويجرحه واصبر على شدة الدوام والتمتعاف من عاقبة
الذم (وذكر بعض الاخباريين) أن عمر بن الخطاب حدثني عن عبد الله بن مسعود عن عاتبة
وهم بضربه فقال له العبد يامولاي لم تضربني قال لانك جئت كذا وكذا قال فهل جئت أنت
جناية قط غضب بها عليك مولاي قال عمر نعم قال فهل عمل عليك العقوبة قال اللهم لا قال العبد

فلم يجعل على ولم يجعل عليك فقال له قم فأنت حلو حبه الله وكان ذلك سبب قوته وكان عمره أكثر
هذا الكلام في دعائه فيقول يا حليلاً يا حليلاً على من عصاه (وذكر جماعة من الانبياء) أن عمر
لما ولّى الخلافة وقد عليه وفود العرب وقد عليه وفود الخزاز فاختار الوفاء غلاماً منهم فقدموه عليهم
ليبدأ بالكلام فلما بدأ الغلام بالكلام وهو أصغر القوم سناً قال عمر مهلاً يا غلام ليتكلم
من هو أسن منك فقال مهلاً يا أمير المؤمنين اغما المرء بأصغر به لسانه وقلبه فإذا منح الله العبد لساناً
لاقطاً وقلباً حافظاً فقد استجداه الحلية يا أمير المؤمنين ولو كان التقدم بالنسب لكان في هذه الأمة
من هو أسن منك قال ليتكلم يا غلام قال نعم يا أمير المؤمنين نحن وفود النخشة لا وفود المرتبة
قدمنا إليك من بلدنا نحمد الله الذي من بك علينا لم يضرنا إليك رغبة ولا رهبة أما الرغبة فقد
أنا نأمنك إلى بلدنا وأما رهبة فقد آمننا الله بعدك من جورك فقال عظماً يا غلام وأجر قال نعم
يا أمير المؤمنين إن أنا سأل الناس غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وحسن ثناء الناس عليهم
فلا يفرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فقل قد صدقك فنظر عمر في سن
الغلام فإذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر رجه الله يقول

تعلم فليس المرء يولد طالماً * وليس أخو علم كن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغيراً إذا التفت عليه المحافل

(من كتاب مروج الذهب)

(القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبة الانصاري)

وسعد بن حبة أحد الصحابة رضي الله عنهم وهو مشهور في الانصار بأمه وهي حبة بنت مالك من
بن عمرو بن عوف وأما أبو سعد حبة فهو عوف بن مجير بن معاوية بن سلمى بن بجيلة حليف بني عمرو
ابن عوف الانصاري هكذا ساق نسب سعد بن حبة في الاستيعاب وأما الخطيب أبو بكر البغدادي
فانه قال في تاريخه هو سعد بن مجير بن معاوية بن نجافة بن بليل بن سدوس بن عبد مناف بن أبي سامة
ابن شحمة بن شعبد بن عبد الله بن قدا بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن بجيلة كان القاضي
أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة وهو صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه وكان فقهاً عالماً حافظاً
سمع أبا إسحاق الشيباني وسليمان التيمي ويحيى بن سعيد الانصاري والاعشى وهشام بن عروة
وعطاء بن السائب ومحمد بن إسحاق بن يسار وثلك الطيقة وجالس محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى
ثم جالس أبا حنيفة رضي الله عنه الثعلب بن ثابت وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة رضي الله
عنه وخالفه في مواضع كثيرة وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني الجنقي وبشر بن الوليد الكندي
وعلى بن الجهم ودواجن بن حنبل ويحيى بن معين في آخرين وكان قد سكن بغداد وولي القضاء بها

ثلاثة من الخلفاء المهدي وابنة الهادي ثم هرون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويحبه وكان عنده خطيبا مكيئا وهو أول من دعى بقاضي القضاة ويقال انه أول من غير لباس العلماء الى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا واحدا لا يميز أحدا عن أحد بل لباسه ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل وذكر أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي معناه كتاب الانتهاء في فضائل الثلاثة الفقهاء أن أبا يوسف المذكور كان حافظا وأنه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين سنين حديثا ثم يقوم فيعلمها على الناس وكان كثير الحديث وقال محمد بن جرير الطبري ويحكي حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه وتفرغ له القروع والاحكام مع محبة السلطان وقتلته القضاة (وحكي) أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف قال كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلد للحال فجاءني أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة فأنصرفت معه فقال يا بني لا تمدد جلا مع أبي حنيفة فان أبا حنيفة خبير بمشوري وأنت تحتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وأثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة رضى الله عنه وسأل عني فجعلت أنعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتته بعد تأخر عني قال لي ما شغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي فجلست فلما انصرف الناس دفع الى صرة وقال استمتع بها فنظرت فإذا فيها مائة درهم وقال لي الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فاعلمني فإنمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى ثم كان يتعهدني ومأكلته بخمسة قط ولا أخبره بنفادشي وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغيت وتقول . ثم قال الخطيب (وحكي) أن والدا أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلا صغيرا وأن أمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة ثم روى الخطيب أيضا بسند متصل الى علي بن الجعد قال أخبرني أبو يوسف القاضي قال توفي أبي وخلفني صغيرا في حجر أبي فاسلمتني الى قه أراخدمه فكنت أدم القصار وأمر الى حلقة أبي حنيفة رضى الله عنه فاجلس أسمع فكانت أمي تجي مخلي الى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي الى القصار وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يعني بي لميري من حضوري وحرصى على التعلم فلما كبر ذلك على أمي وطال عليها هري قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي قيم لاني له وإنما ألهمه من مغزلي وأمل أن يكسب دائما يعوده على نفسه فقال لها أبو حنيفة هري يارعنا هاهو فاعلم أكل الفلوزج يهين الفستق فأنصرفت عنه وقالت له أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم رزته فتفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاة وكنت أجالس الرشيد وأكل معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم الى هرون الرشيد فلوزجة فقال لي يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذا يا أمير المؤمنين فقال هذه فلوزجة يهين الفستق

فضحكت فقال لي لم ضحكك فقلت خيرا أنبي الله أمير المؤمنين قال لتخبرني وألح علي فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فتعجب من ذلك وقال امرئ ان العلم لينفع دنيا ودنيا وترحم علي أبي حنيفة وقال كان يتقر بعين عقلمه لا يتطرب بعين رأسه (وحكي) علي بن الحسن التستوخي عن أبيه عن حده قال كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيده أنه كان قد قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رضى الله عنه فحث بعض القوادق عين فطلب فقيم يستفتيه فحضره أبو يوسف فأفتاده لم يحث فوهب له دينار وأخذ له دارا بالقرب منه ودخل ذلك القائد يوما على الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال شيء من أمر الدين قد أحرزني فاطلب لي ففينا كى استفتيه فجاءه أبو يوسف قال أبو يوسف فلما دخلت الى عمرين الدور رأيت فتى حسنا عليه أثر الملك وهو في حجرة محبوس فأومأ الى بأصبعه مستغيثا فلم أفهم منه ارادته وأدخلت الى الرشيد فلما مثل بين يديه سلت ووقفت فقال لي ما اسمك فقلت يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين قال ما تقول في امام شاهد جلازني هل يحده قلت لا حين قلت اسجد الرشيد فوقع في أنه قدر أن يرى بعض أهله على ذلك وأن الفتى أشار الى بالاستغاثه هو الزاني ثم قال الرشيد من أين قلت هذا قلت لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ادرؤا الحدود والشبهات وهذه شبهة يسقط الخدم عنها قال وأى شبهة مع المعايضة قلت ليس بوجوب المعايضة لذلك أكثر من العلم عابجرى والحدود لا تكون بالعلم وليس لاحدا أخذ حقه بعلمه فسيحدمه أخرى وأمر لي بالجزيل وأن أكرم الدار فاخبرته حتى جاءته هدية الفتى وهدية أمه وجماسته وصار ذلك أصلا للثمة وزمت الدار فكان الخادم يستفتيني وهذا يشاورني ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلدني القضاء فقلت وهذا يخالف ما نقلته قبل هنا من أنه لم يلق القضاء الثلاثة من الخلفاء والله أعلم بالصواب وقال الطهة بن محمد بن جعفر أبو يوسف مشهور الامر ظاهر الفصل وهو صاحب أبي حنيفة وأفقاه أهل عصره ولم تقدمه أحد في زمانه وكان له نهاية في العلم والحكم والرياسة والقدرة وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبي حنيفة في أقطار الارض قال عمار بن أبي مالك ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى ولكنه هو الفتى نشر قولهما وبث علمهما وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرض ضايف عليه منه فعاده أبو حنيفة ونحن معه فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابيه وقال انيت هذا الفتى فانه أعلم من عليهما وأومأ الى الارض وقال أبو يوسف سألني الاعشى عن مسئلة فأجبت عنها فقال لي من أين لك هذا فقلت من حديثك الذي حدثت به أنت ثم ذكرت له الحديث فقال لي يا يعقوب اني لا أحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع أبواك وما عرفت تأويله حتى الآن وقال ابن يحيى

كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب وكان أقل علومه الفقه ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب الجلبس والابنس عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال مضى أبو يوسف ليستمع المغازي من محمد بن إسحاق أو من غيره وأحل مجلس أبي حنيفة أياماً فلما أتاه قال له أبو حنيفة يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت فقال له أبو يوسف أنك امام وإن لم تعلمك عن هذا سألتك والله على رؤس الملائكة كان أول واقعة بدر أو أحد فأنك لا تدري أيتهما كانت قبل الأخرى فامسك عنه وذكر في الكتاب المذكور أيضاً عن علي بن الجعد أن القاضي أبا يوسف كتب يوماً كتاباً وعن عيينة إنسان يلاحظ ما يكتبه فنظن له أبو يوسف فلما قرع من الكتابة التفت إليه وقال له هل وقفت على شيء من خطأ فقال لا والله ولا حرف واحد فقال له أبو يوسف جزيت خيراً حيث كفيتمنا مؤنة قرائته ثم أنشد

كأنه من سوء تأديته * أسلم في كتاب سوء الادب

وقال جلد بن أبي حنيفة رأيت أبا حنيفة يوماً وعن عيينة أبو يوسف وعن يسار زفر وهما يتجادلان في مسألة فلا يقول أبو يوسف قولاً إلا أفسده زفر ولا يقول زفر قولاً إلا أفسده أبو يوسف إلى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها خذ زفر وقال لا تطمع في رئاسة سيدة فيها أبو يوسف وقضى لأبي يوسف على زفر ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر وقال طاهر بن أحمد الزبيري كان يجلس إلى أبي يوسف رجل قبطيل الصمت فقال له أبو يوسف ألا تتكلم فقال لي متى يقطر الصائم فقال أنا غابت الشمس فقال فان تغب إلى نصف الليل فتجك أبو يوسف وقال أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ثم تمثل

عجبت لأزراء الغنى بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول أعلم

وفي الصمت ستر للغنى وانما * صهيضة لب المرء أن يتكلم

ومن كلام أبي يوسف محبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة وكان يقول رؤس النعم ثلاثة أولها نعمة الاسلام التي لا تتم نعمة الأهل والثانية نعمة اله افية التي لا تطيب الحياة إلا بها والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها وقال علي بن الجعد سمعت أبا يوسف يقول العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وأنت إذا أعطيتك كلك من أعطائه البعض على غرر وكان أبو يوسف راكياً وغلّامه بعد وراه فقال له رجل أنت خجل أن بعدو غلامك وراحتك لا تركبه فقال له أيجوز عندك أن أسلم غلامي مكارياً قال نعم قال أبو يوسف في عدمي كما كان يعدو لو كان مكارياً وقال يحيى بن عبد الصمد خوصم أمير المؤمنين الهادي إلى القاضي أبي يوسف في بستان وكان الحكيم في الظاهر الهادي وفي الباطن خلاف ذلك فقال الهادي للقاضي أبي يوسف ما صنعت في الأمر الذي تتنازع اليك فيه

فقال خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق فقال له الهادي و ترى ذلك قال فقد كان ابن أبي ليلى يراه فقال اردد البستان عليه وانما احتال عليه أبو يوسف لعلمه أن الهادي لا يلحق وقال بشر بن الوليد الكندي قال لى القاضي أبو يوسف بينا أنا بالبراحة قد أوتيت الى فراشي فاذا نادى بدق الباب فاشددا فأخنت على أزارى وخيرجت فاذا هرعة بن الاعين فسلمت عليه فقال أجب أمير المؤمنين فقلت يا أبا حاتم لى بك حرمة وهذا وقت كتمانى ولست آمن أن يكون أمير المؤمنين قد دعانى لامر من الامور فان أمكنك أن تدفع عني ذلك الى غد فعله أن يحدث لى رأى فقال مالى الى ذلك سيدى قلت كيف كان السبب قال خرج الى مسرور والخدام فأمرنى أن آتى بك أمير المؤمنين فقلت أناذن لى أن أصب على ماء وأنحط فان كان امر من الامور كنت قد أحكمت شأنى وان رزق الله العافية فلن بضرنى فأذن لى فدخلت فلبست ثيابا جديدا وتطيبت بما أمكن من الطيب ثم خرجنا فضا حتى أتينا دأوا أمير المؤمنين هرون الرشيد فاذا مسرور واقف فقال له هرعة قد جئت به فقلت لسرور يا أباهاشم خدمتى وحرمتى ومبلى وهذا وقت ضيقى أفتدري لم طلبنى أمير المؤمنين قال لا قلت فن عنده قال عيسى بن جعفر قلت ومن قال ما عندهما ثالث ثم قال لى مر فاذا صرت فى الصحن فانه فى الرواق وهو ذاك جالس بفرك وجلس فى الارض فانه سبسا لك فقل أنا قال أبو يوسف فبحث ففعلت ذلك فقال من هذا فقلت يعقوب فقال ادخل فدخلت فاذا هو جالس وعن عينه عيسى بن جعفر فسلمت فردا السلام على وقال اظننا روعنا لك فقلت اى والله وكذلك من خلفى فقال اجلس فجلست حتى سكن روعى ثم التفت الى وقال يا يعقوب أتدري لم دعوتك قلت لا قال دعوتك لاشهدك على هذا أن عنده جارية سألته أن يهبها الى فاستمع وسألته أن يبيعها فأبى والله انى لم يفعل لاقتلته قال أبو يوسف فالتفت الى عيسى فقلت وما بلغ الله بجارية تمتعها أمير المؤمنين وتزل نفسك فى هذه المنزلة فقال لى عجلت على فى القول قبل أن تعرف ما عندى قلت وما فى هذا من الجواب قال ان على يميننا بالطلاق والعناق وصدقة ما أملكه أن لا يبيع هذه الجارية ولا يهبها فالتفت الى الرشيد فقال هل لى فى ذلك من مخرج قلت نعم قال وما هو قلت يهب لك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يهب ولم يبيع فقال عيسى وبجوز ذلك قلت نعم قال فأشهدك انى قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقى بمائة ألف دينار فقال له الرشيد قبلت الهبة واشتريت نصفها بمائة ألف دينار ثم طلب منه الجارية فأبى بالجارية والمال فقال خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها فقال الرشيد يا يعقوب بقيت واحدة فقلت وما هى فقال هى مملوكة ولابد أن تستبرا والله لى لم أبنت معها لى هذه انى لا ظن أن نفسى ستخرج فقلت يا أمير المؤمنين تعفها وتزوجها فانما الحرمة لاستبرا قال فانى قد أعفيتها فن يزوجنيها فقلت أنا فدلعا بمسرور وحسين فخطبت ووجدت الله تعالى

ثم زوجته اياها على عشر بن ألف دينار ودعا لئلا يقدفه اليها ثم قال لى يعقوب انصرف ورفع رأسه الى مسرور وقال يا مسرور فقال لى بك قال اجل الى يعقوب مائتي ألف درهم وعشر بن تحتنا ثيابا فحمل معي ذلك قال بشر بن الوليد فالتفت الى أبو يوسف وقال هل رأيت بأسا فثيما فقلت لا قال خذ حقلك من هذا المال قلت وما حقى قال العشر قال بشر فشكرته ودعوت له ونهبت لاقوم فانذا بهجوز قد دخلت فقلت يا أبابوسف ان امتلك تقرئك السلام وتقول لك والله ما وصل الى فى لى بقى هههه من أمير المؤمنين الالمهر الذى قد عرفته وقد جئت اليك النصف منه وخلفت الباقي لما أحتاج اليه فقال رديه فواته لاقبلتها أخرجهما من الرقوز ورجعتهما أمير المؤمنين وترضى لى بهذا قال بشر فلم نزل نطلب اليه أنا وعموم حتى قبلها وأمر لى منها بألف دينار وقال أبو عبد الله البوسفى ان أم جعفر زينة زوجة الرشيد كتبت الى أبى يوسف ما ترى فى كذا وأحب الاشياء الى أن يكون الحق فيه كذا فافقناها بما أحب فبعثت اليه بحق فضة فيه حقاق فضة مطبقات فى كل واحد لون من الطيب وفى جام دراهم وسطها جام فيه دناتير فقال له جليس له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلسا وشركاؤه فقال أبو يوسف ذلك حين كانت الهدايا للبن والتمر وقال يحيى بن معين كنت عند أبى يوسف القاضى وعنده جماعة من أصحاب الحديث وغيرهم فوافقه هدية أم جعفر احتوت على نخوت دينى ومصبت وشرب وطيب وعتائل يد وغير ذلك فذا كرى رجل يحد بى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتته هدية وعنده قوم مجلس فهم شركاؤه فيها فسمعه أبو يوسف فقال أى تعرض ذلك انما قال النبى صلى الله عليه وسلم والهدايا يومئذ الاقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا ماترون يا غلام اسل الى الخزانة ونقل من كتاب اسمه اللصيف ولم يذكرفيه من هو مصنفه قال كان عبد الرحمن بن مسهر أخو على ابن مسهر قاضيا على المبارك (قلت) المبارك بضم الميم وبعد ها باع موحدة وبعد الالف راء مفتوحة وبعد ها كاف وهى بليصة بين بغداد واسط على شاطئ دجلة قال فبلغ القاضى خروج الرشيد الى البصرة ومعه أبو يوسف القاضى فى الحراسة فقال عبد الرحمن القاضى لاهل المبارك أنشوا على عند أمير المؤمنين وعند القاضى أى يوسف فألوا عليه ذلك فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلسانا أسود وجاء الى الشريعة فلما أقبلت الحراسة رفع صوته وقال يا أمير المؤمنين نم القاضى قاضينا قاضى صدق ثم مضى الى شريعة أخرى وقال مثل مقالته الاولى فالتفت هرون الرشيد الى أبى يوسف وقال يا يعقوب هذا شر قاض فى الارض قاض فى موضع لا يثنى عليه الا رجل واحد فقال له أبو يوسف وأعجب من هذا يا أمير المؤمنين هو القاضى يثنى على نفسه قال ففعلك هرون وقال هذا أطرف الناس هذا لا يعزل أبدا وكان الرشيد اذا ذكره يقول هذا لا يعزل أبدا وقيل لى يوسف

أولى مثل هذا القضاء فقال انه أقام سباني مدة وشكا الى الحاجة فوليته وقال أبو العباس أحمد ابن يحيى المعروف بـ صلب صاحب كتاب القصص أخبرني بعض أصحابنا أن الرشيد قال لابي يوسف بلغني أنك تقول ان هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم متصنعة فقال نعم يا أمير المؤمنين قال وكيف ذلك قال لان من صح ستره وخلصت أماته لم يعرفنا ولم نعرفه ومن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأمننا ولم تقبله وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين أظهروا الستر وأنظروا غيره فقبس الرشيد وقال صدقت وقال محمد بن سماعه سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول اللهم انك تعلم أني لم أجد في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعبدوا ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم وكل ما أشكل علي جعلت أبا حنيفة بيني وبينك وكان عندى والله من يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه (قلت) وهذا الكلام مأخوذ من قول أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقد روى يسمع على خفيه فقيل له أتجوز المسح قال نعم قدم مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق ذكر هذا ابن قتيبة في ترجمة علي رضى الله عنه وأخبار أبي يوسف كثيرة وأكثرت الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير ألفاظا عن عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هرون ومحمد بن اسمعيل البخاري وأبي الحسن المداقطنى وغيرهم فبو السمع عنها فترك ذكرها والله أعلم بحاله وكانت ولادة القاضي أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة ووفى يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين ومائة ببغداد وقيل ووفى سنة اثنتين وتسعين ومائة والاول أصح ووفى القضاء سنة ست وستين ومائة ومات وهو على القضاء رحمه الله تعالى وأما والده يوسف فإنه كان قد نظر في الرأى وفقه وسمع الحديث من بونس بن أبي اسحق السيمى والسري بن يحيى وغيرهما ووفى القضاء بالجانب الغربى من بغداد في حياة أبيه وصلى بالناس الجمعة في مدينة المنصور بأمر هرون الرشيد ولم يزل على القضاء الى أن مات في رجب سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد وذكر الخطيب البغدادي أن أبا يوسف القاضي لم مات ولى الرشيد مكانه بأبا البختري وهب بن وهب القرشى وكان أبو يعقوب الخريجي الشاعر المشهور صديقا لابي يوسف ولا يشبه يوسف فلما توفى أبو يوسف مع الخريجي رجلا يقول اليوم مات الفقه فأنشد الخريجي

يا ناعى الفقه الى أهله * ان مات يعقوب ولا تدرى

لم يميت الفقه ولكنه * حول من صدر الى صدر

ألقاه يعقوب الى يوسف * فزال من صلب الى ظهر

فهو مقسم فأذا ما توى * وحل حل الفقه في قبر

رحمهما الله تعالى وختم يسبغ الخاء المعجمة تصغيراً خنس وهو الذي تأخر أنفه عن وجهه مع ارتفاع قليل في الأرضة فالرجل أخنس والمرأ خنساء وهذا التصغير يسمى تصغيراً تخمياً وحقيقته أن تحذف منه الحروف الزائدة ويصغر الباقي كما قالوا أزهر وزهر وأسود وسويد وأجد وجيد وغير ذلك وجبة يفتح الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وبعدها ناعمة ثمانية فوقها ثمهاء ساكنة وكسفت عن معنى هذا الادم في عدة مواضع من كتب اللغة وغيرها فلم أجده وبجهر يفتح الباء الموحدة وكسر الخاء المعجمة وقيل هو بضم الباء وبالجمجمة المفتوحة والاول أصح والباقي معروف لاحاجة الى ضبطه وسعد بن جبنة من جملة ما استصغروا واحدهم والبراء بن عازب وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم فردهم النبي صلى الله عليه وسلم ورأى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو يقاتل قتلاً لا شديداً مع حدثائه سنة فدعاه وقال له من أنت فقال سعد بن جبنة فقال أسعد الله جدك ومسح على رأسه رضي الله عنه وخنس هو صاحب جهار سوج خنس بالكوفة وهو لفظ عجمي تسميه بالعربي أربع طرق لأن هذا المكان درجة مربعة تفتقر الى أربع جهات والله تعالى أعلم (من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

(أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الاخنف رتبة)
وقال ابن ماكولا هو رتبة الجعفي بالولاء البخاري الحافظ الامام
في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ)

رحل في طلب الحديث الى أكثر محدثي الامصار وكتب بخراسان والجلال ومدن العراق والخراسان والشام ومصر وقدم بغداد واجتمع اليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتقدمه في علم الرواية والدراية وحكى أبو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس والخطيب في تاريخ بغداد أن البخاري لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقبلوا وامتثلوا وأسيدها وجعلوا من هذا الإسناد لاستناداً آخر ودفعوا الى عشرة أنفس الى كل رجل عشرة أحاديث وأمرهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من القرياء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين فلما طمأن المجلس بأهله انتدب اليه واحد من العشرة فسأله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فما زال يلقي عليه واحد بعد واحد حتى فرغ من عشرة والبخاري يقول لا أعرفه فكان القههاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون الرجل فهم ومن كان منهم ضد ذلك يقضى على البخاري بالعجز والتقصير وقوله القهه ثم انتدب رجل آخر من العشرة

فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المتقاوية فقال البخاري لا أعرفه فسأله عن الآخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم اتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المتقاوية والبخاري لا يزيد هم على قوله لا أعرفه فلما علم البخاري أنهم فرغوا اتفت إلى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الولا حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى أسنده وكل أسناد إلى منته وفعل بالآخرين كذلك وردد متون الأحاديث كلها إلى أساندها وأساندها إلى متونها فأقره الناس بالحفظ وأذعنوا بالفضل وكان ابن مساعد إذا ذكره يقول الكسب النطاح ونقل عنه محمد بن يوسف القري أنَّهُ قال ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وعنه أنه قال صنعت كتابي الصحيح لست عشرة سنة خريجه من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله وقال القري سمع صحيح البخاري تسعون ألف رجل فأتاني أحديروى عنه غيري وروى عنه أبو عيسى الترمذي وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب الإرشاد إن ولادته كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور ووفى ليلة السبت بعد صلاة العشاء وكنت ليلة عيد الفطر ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين بجزيرة تنك رحمه الله تعالى وذكر ابن يونس في تاريخ الغرباء أنه قدم مصر ووفى بها وهو غلط والصواب ما ذكرناه هنا وكان خالد بن أحمد بن خالد الفهلي أمير خراسان قد أخبرهم عن البخاري إلى خرتك ثم حج خالد المذكور فوصل إلى بغداد فحبسه الموفق بن المتوكل أخو العتمد الخليفة مات في حبسه وكان البخاري نحيف الجسم لا بالطويل ولا بالقصير وقد اختلف في اسم جده فقيل أنه يزني بفتح الياء المتناهي من تحتها وسكون الزاي وكسر الذال المعجمة وبعدها باء موحدة ثم هاء مكسرة وقال أبو نصر بن مأكولا في كتاب الأكل هو يزني به بالوزاي وباء معجمة بواحدة والله أعلم وقال غيره كان هذا الجد مجوسيا مات على دينه وأول من أسلم منهم المغيرة ووجدته في موضع آخر عوض يزني به لعل يزني به كان أخف الرجل والبخاري يضم الباء الموحدة وفتح الطاء المعجمة وبعده الألف هاء النسبة إلى بخاري وهي من أعظم مدن ما وراء النهر بينهما وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام وخرتك بفتح الطاء المعجمة وسكون الراء وقع التاء المتناهي من فوقها وسكون النون وبعدها كاف وهي قرية من قرى سمرقند وقد سبق الكلام على الجعفي ونسبة البخاري إلى سعيدين جعفر الجعفي وإلى خراسان وكان له عليهم الولا فقبسوا إليه (من كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان)

(أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الاسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي)

لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصرهم من لها شغل في مبدأ أمره بطوس على أجد الراذ كافي ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وحدث في الاشتغال حتى تخرج في مدة قصيرة وصار من الأعيان المشاهير لهم في زمن أستاذه وصنف في ذلك الوقت وكان أستاذه يتبع به ولم يزل ملازمه إلى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته فخرج من نيسابور إلى العسكر ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل يقرى بينهم الجدل والمناظرة في عدة مجالس وظهر عليهم واشتهر اسمهم وسارت بكراهة الركان ثم فوض إليه التدريس بغير درسته النظامية ببغداد فبأشرف القاء الدروس بها وذلك في جادى الأولى سنة أربع وعشرين وأربعمائة وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته ثم ترك جميع ما كان عليه في ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وسلك طريق الزهد والافتقار وقصد الحج فلما رجع توجه إلى الشام فأقام بمدينة دمشق مدة بركة الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه وانتقل منها إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع العظيمة ثم قصد مصر وأقام بالاسكندرية مدة ويقال أنه قصد منها الركب في البحر إلى بلاد المغرب على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن ناشفين صاحب مراکش فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف بن ناشفين المذكور فصر في عزيمته عن تلك التاجبة

ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل بنفسه وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ما هو أشهرها كتاب الوسيط واليسيط والوجيز والخلاصة في الفقه ومنها إحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجلها وله في أصول الفقه المستقصى فرغ من تصنيقه في سلس الحزم سنة ثلاث وخمسمائة وله المخول والمختل في علم الجدل وله تهافت الفلاسفة ومجمل النظر ومبدا العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله والمقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين وكتبه كثيرة وكلها نافعة ثم ألزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها بالمدسة النظامية فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعلومات ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه واتخذ حاتما للصوفية ومدرسة للشغف بالعلم في جواره ووزع أوقافه على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس إلى أن انتقل إلى ربه ويروى له شعر في ذلك ما نسب إليه الحافظ أبو سعد السمعاني في الذيل وهو قوله

حلت عقارب صدغه في ختمه * قسرا بكل جماعن التشبيه
ولقد عهدناه بكل يرجها * فن العجائب كيف حلت فيه

ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره والله أعلم ونسب إليه العماد الاصبهاني هذين البيتين وهما
هني صبوت كاترون بزعمكم * وحظيت منه بلتم خذأهري
اني اعترلت فلا تلووا الله * انحنى يقابلني بوجه أشعري
ونسب إليه البيتين اللذين قبلهما وكانت ولادته سنة تسعين وأربعمائة وقيل سنة إحدى وخمسين
وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطبران رحمه الله تعالى
ورثاه الماديب أبو المنظر محمد الايوردي الشاعر المشهور بآيات فائقة من جملتها
مضى وأعظم مفقود خفت به * من لا نظيره في الناس يخلفه
وتقل الامام اسمعيل الحاكبي بعد وفاته بقول أبي تمام من جله قصيدة مشهورة
عجبت لصبري بعده وهو ميت * وكنت امرأ أبكي دما وهو غائب
على أنها الأيام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب
ودفن بظاهر الطبران وهي قسبة طوس والطبران بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وراعيهملة
وبعدا لآلئ التامة نون وهي إحدى بلدتى طوس (من كتاب وفيات الاعيان لابن خلدكان)

(أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزنجشري الامام الكبير في التفسير
والحديث والتحو واللغة وعلم البيان)

كان امام عصره من غير ما دفع تشدا إليه الحال في فنونه أخذ الادب عن أبي منصور نصر وصنف
التصانيف البديعة منها الكشف في تفسير القرآن العزيز لم يصف قبله مثله والمجاجة بالمسائل
التحوية والمفرد والمركب في العربية والفائز في تفسير الحديث وأساس البلاغة في اللغة
وربيع الابرار ونصوص الاخبار ومتشابه أسامي الرواة والنصائح البكلر والنصائح الصغار
وضافة الناسد والرائض في علم الفرائض والمفصل في النحو وقد اعني بشرحه خلق كثير
والانموذج في النحو والمفرد والمؤلف في النحو ورؤس المسائل في الفقه وشرح آيات تيمويه
والمستقصى في امثال العرب وصحبه العربية وسواثر الامثال وديوان التمثيل وشقائق النعمان
في حقائق النعمان وشافي العي من كلام الشافعي رضي الله عنه والقسطاس في العروض ومجهم
الحدود والمنهاج في الاصول ومقدمة الادب وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسالة الناصحة
والامالي في كل فن وغير ذلك وكان مشروعه في تأليف المفصل في غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة
وخمسمائة وقرع غنمه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر الى مكة حسبا لله
تعالى وجاور بها زمانا فصار يقال له جارا لله لذلك وكان هذا الاسم على عليه وسعت من بعض

الشايع أن اخدى رجله كانت ساقطة وأنه كان يمشى في جدران خشب وكان سبب سقوطها أنه كان في بعض أسفاره يسلا دخوار زم أصابه ببل كثير وبر شد في الطريق فسقط منه رجله وأنه كان يده محضر فيه شهادة خلق كثير من اطلعوا على حقيقة ذلك خوفاً من أن ينظر من لم يعلم صورة الحال أنهم اذ عتلى سكة الثلج والبرد كثيراً ما يثران في الاطراف في تلك البلاد فسقط خصوصاً دخوار زم فانهم في غاية البرد ولقد شاهدت خلقاً كثيراً ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعد من لا يعرفه ورأيت في تاريخ بعض المتأخرين أن الزنجشري لما دخل بغداد واجتمع بالفقهاء الخنفي لما غنى سألهم عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك أني كنت في صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله فأفلت من يدي فادركته وقد دخل في خرق فذنبه فأنقطعت رجله في الخيط فتأملت والذي لذلك وقالت قطع الله رجلك إلا بعد كما قطعت رجله فلما وصلت الى سن الطلبر حلت الى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فأنكسرت رجلي وعلمت على أعلا أوجب قطعها والله أعلم بالصحة وكان الزنجشري للمذكور معتزلى الاعتقاد متظاهراً به حتى نقل عنه أنه كان اذا قصد صاحباه واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب وأول ما صنف كتاب الكشاف كتب افتتاح الخطبة الحمد لله الذى خلق القرآن فيقال له قبل له متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس ولا يرغب أحد فيه فغريه وقال الحمد لله الذى جعل القرآن وجعل عندهم معنى خلق والجن في ذلك يطول ورأيت في كثير من النسخ الحمد لله الذى أنزل القرآن وهذا اصلاح للناس لا اصلاح المصنف وكان حافظ أبو النظار أجد بن محمد السلفي رحمه الله تعالى قد كتب اليه من الاسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله تعالى يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما يشي الغليل فلما كان في العام الثاني كتب اليه أيضاً مع الحاج استجازه أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال في آخرها ولا يهوج أدام الله ووفيقه الى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبته في السنة الماضية فلم يجب بما يشي الغليل وله في ذلك الاجرايزيل فكتب اليه الزنجشري جوابه ولولا خوف التناول لكتب الاستدعاء والجواب لكن تقتصر على بعض الجواب وهو ما مثلي مع اعلام العلماء الا كثر السهام مع مصابيح السماء والجواهر الصفراء من الرهام من الغواذى الغامرة للقيعان والاكامل والسكيت الخلف من خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التقيب بالعلامه الاشبه الرقبه بالعلامه والعلم مدينة أحد بابها الدراية والثاني الرواية وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجة نلني فيه أقلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثه المسيلاد فزيه لا اسناد لم تدن الى علمي متعابر ولا الى اعلام مشاهير وأما القارية فتجد لا يبلغ اقواها وبرض ما يسل شفاها ثم كتب بعدها ولا يفرنكم قول فلان في

ولا قول فلان وعبد جاعة من الشغراء والفضلا مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردوها كلها
ولاحجة الى الايمان بها هنا فلما فرغ من ايرادها كتب فان ذلك اغترابهم بالظاهر الموه
وجهل الباطن المشوه ولعل الذي غرهم منى مارأوا من حسن النصيح للسليمن وتبلغ الشفقة
على المستفيدين وقطع المطامع عنهم وافادة الميبار والصنائع عليهم وعزة النفس والرب بمها
عن السقاسف الدنيئات والاقبال على خويصتى والاعراض عما يعينني فخلت في عيونهم
وغلطوا في ونسبوني الى ما لستم منه في قبيل ولادبير وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسى كما قال
الحسن البصري رحمه الله تعالى في قول أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ولستم ولستم بغيركم
ان المؤمن لم يظم نفسه وانما صدقت الفاحص عني وعن كسر رايي ودرائي ومن لقيت
وأخذت عنه وما بلغ علي وقصارى فضلى وأطلعت على طلع امرى وأقصيت اليه شجبة سري
وألقيت اليه بحري ومجبرى وأعلته بحمي ونصري وأما المولد فقريته بجهولة من قرى خوارزم
تسمى زنجشتر وسمعت أبي رحمه الله تعالى يقول لآخر في شروء ولم يلهمها وقت الميلاد شهر الله
الاصم في عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود والمصلي على محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة
وقد أطل الكلام فيها ولم يصح له بعصوده فيها وما علم هل اجازة بعد ذلك أم لا وبينى وبينه
في الرواية شخص واحد فانهما جاز زنب بنت الشعرى ولينها اجازة ومن شعره الساترى قوله
وقد ذكره السمعاني في الذيل قال أنشدني أحد بن محمود الخوارزمي املا بسمرقند قال أنشدنا
محمود بن عمر الخشري لنفسه بجزوارزم وذكر الايات وهي

ألا قل لسهدي ما لنا قبل من وطر * وما بطلن النبل من أعين البقر
فانا اقتصرنا بالذين قضايقت * صيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس اذا غار لته قريب روضة * الى جنب حوض فيه ليل الحنود
فقلت له جشنى بورد وانما * أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال تطرني برجع طرف أبجى به * فقلت له هيات مالي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخلد حاضر * فقلت له اني قنعت بما حضر

ومن شعره يرثي شيخه أبامضر منصور المذكور أولا

وقالت لها ههنا الدر التي * تساقط من عينك عطين عطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا * أبو مضر أنفى تساقط من عيني

وهذا مثل قول القاضي أبي بكر الارجاني ولا أعلم أحدا أخذ من الآخر لانهما كانا متعاصرين وهو

لم يكن في الحديث فراقكم * لما أسسرت به الى مودعي
هو ذلك الداء الذي أودعتم * في مسمعي أجرته من منمعي

وهذان البيتان من جله قصيدة طويلة بدبعة ومن المنسوب الى القاضي الفاضل في هذا المعنى
لا تزدني نظرة ثانية * كفت الاولى ووقف ثني
لثني قلبي حديث مودع * لا بجدت الحلب ما أودعني
خذي من جفني عقودائه * بعض ما أودعته في أذني

وعما أنشد لغيره في كتابه الكشف عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة ان الله لا يستحي
أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فإنه قال أنشدت لبعضهم

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاكيل
ويرى عروقي نياطها في فمها * والمخ في تلك العظام الثعل
اغفر لعبدا تاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان الاول

وكان بعض الفضلاء قد أنشد في هذه الايات عديده طلب وقال ان الرخشيري المذكور أوصى
أن تكتب علي لوح قبره هذه الايات ثم أنشد الفاضل الرئيس يدين وذكر أن صاحبها أوصى
أن يكتب علي قبره وهما

الهي قد أصبحت ضيفك في الثرى * والضيف حق عند كل كريم
فهبل ذنوبي في قرأى فانها * عظيم ولا يشري بغير عظيم

وأخبرني بعض الاصحاب أنه رأى يجزرة سواك كن تربتملكها عز والدولة ربحان وعلى قبره
مكتوب

يا أيها الناس كن لي أمل * قصري عن بلوغه الاجل
فليتق الله بهرجل * أمكنه قبل موته العجل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى * كل الى ما نقلت يتنقل

وكانت ولادة الرخشيري يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة
برخشيرو في ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسائة بغير جانية خوارزم بعد رجوعه من مكة
رجه الله تعالى وورثاه بعضهم بايالت ومن جعلها

فأرض مكة تذري الدمع مقلها * حزنا لفرقة جبار الله محمود

وزمخشربفتح الراى والميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة وبعدها راء وهى قرية كبيرة من قرى خوارزم وجرجانية بضم الجيم الاولى وفتح الثامنة وسكون الراء بينهما وبعدها الالف فون مكسورة وبعدها ياء مشددة من تحتها فتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهى قصبة خوارزم قال ياقوت الحموى فى كتاب البلدان يقال لها بلقتم كركايج وقد عرفت فقيل لهما الجرجانية وهى على شاطئ جيحون والله تعالى أعلم بالصواب (من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

الشريشى

هو الكمال أبو العباس أحمد بن أهل شريش وله تأليف أفاد بما حشد فيها منها جع مشاهير قصائد العرب وشروح مقامات الحريرى كبير ووسط وصغير وفى الكبير من الآداب مالا يكفاه لم يترك منها فائدة الاستخرجها ولا فريدة الاستدراجها ولا نكتة الاعلقها ولا غريبة الاستحقاقها فبما شرحه يعنى عن كل شرح وكان الشريشى يقرئ العربية وأخذ عنه جماعة وأقام فى بلنسية ثم رحل الى اسبيلية وانتقل الى المشرق وكانت وفاته بشريش ببلده سنة ٦١٩ ميلاده سنة ٥٥٧ هجرية (للقرى)

أبو الفدا

هو اسماعيل بن على بن شاذى الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا صاحب حجة برع فى الفقه والاصول والعربية والتاريخ والادب وصار من جلة أمرائه مشق الى أن كان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك وبالغ فى خدمته الى أن وعده الملك الناصر محمد بسلطنة حجة وجعله سلطانا يفعل فيها ما يشاء ليس لاحد معه كلام ولا يرد عليه مرسوم من القاهرة بأمره ولا نهى وأركبه بشعار السلطنة ومضى الامراء والاكابر فى خدمته حتى مضى الامير ارغون النائب بالديار المصرية وقام له الملك الناصر بكل ما يحتاج اليه من التشرىف والانعامات على وجوه الدولة وانحى لقمش الذهب وغير ذلك ولقبه بالملك الصالح وأمره بالتوجه الى محل سلطنته بحجة فخرج اليها من ديار مصر بتعب زائد وعظمة على عادة الملوك فوصلها فى جمادى الآخرة سنة ثمان وسبع مائة ثم عن قليل غير السلطان لقبه ولقبه بالملك المؤيد وذلك لما جتمع معه فى سنة تسع عشرة وسبع مائة وعاد معه الى القاهرة وأذن له أن يختب بائنه بحجة وأعمالها على ما كان عليه سلفه من ملوك حجة وكان الملك المؤيد فى كل قليل يتوجه من حجة الى القاهرة فومعه أنواع من الهدايا والتحف للآل الناصر محمد بن قلاوون ويعود الى محل سلطنته ثم فى كل قليل يتحف الملك الناصر بالاشياء الطريفة الغريبة قال بعضهم فى وصفه هو الملك الجليل وامام ظلاله عالم يتحقق بالنصر أعلامه وحكمته تجرى بمصالح الرعية أقلامه يتهمشيد وملكه مؤيد وصدره للطالبين مشروح وبابه لارباب الفضائل مفتوح كان جوادا سخيا باسلا كيا مملوحا محمدا متناهما مقصودا ذات تدبير وسياسة وخشمة ورئاسة

وفضل ومكارم وحلم ومراحم وعدل وانصاف ومعروف وأوقاف يحب أهل العلم والادب ويفيض عليهم صحائب القرب والقرب زاحمهم بمهتة النجوم وشاركت في عقدن العالم وألف تاريخا كثيرا الفوائد ونظم الحداوى نظميا بضر بالعقود والقلائد وله مصنفات معروفة وقرىض به قراضة ذهبه موصوفة بأثر النيباة ثم السلطنة بحماة مدة طويلة وأسدى إلى سكان حماة ما استوجب به شكر مناقبه الجميلة

وكان له نظم ونثر وتصانيف كثيرة وكاتب تقويم البلدان هذبه وجدوله وكتاب الموازين وكانت وفاته بحماة سنة ٧٤٣ ميلاد سنة ٦٧٢ هجرية ودفن في تربته المعروفة بأشائه عن سبعين سنة وورثاه محمد بن سنانة المصري بعدة مرات أشهر عاقوله

ما للندى لا يلبى صوت داعيه * أظن أن ابن شاذى قام ناعيه
ما للرجاء قد اسندت مذاهبيه * وللزمان قد اسودت فواحيه
مالى أرى الملك قد فضت موافقه * مالى أرى الوفد قد فاضت ما قيمه
فى المؤيد ناعيه فى أسفا * للغيث كيف غلبت عنا غواديه
واروعنا الصباح من رزقه * أظن أن صباح الحشر ثابته
واحسرتاه لنظمى فى مدائحه * كيف استحال لنظمى فى مرائيه
أبكمه بالدر من جننى ومن كلنى * والبحر أحسن ما بالدرأ بكيمه
أروى بدمعى ترى ملك له شيم * قد كان يذكرها الصادى قرويه
أذيل ماء جفونى بعده أسفا * لماء وجهى الذى قد كان يحميمه
جار من الدمع لا ينقل يطلقه * من كان يطلق بالانعام جاريه
ومهجة كلما فاهت بلوعتها * قالت رزية مولاها لها ايه
ليت المـؤيد لا زانت عوارفه * فزاد قلبى المعنى من تظليمه
ليت الاصغر يقدى الاكبر ونبيها * فكانت الشهب فى الآفاق تقديه
(من كتاب المنهل الصافى لآبى المحاسن)

ابن بطوطه

هو أبو عبد الله بن إبراهيم اللواتى الطنجي الملقب بشمس الدين ابن بطوطه وهو الذى طاف الارض فاعتبرا وطوى الامصار واختبرا وباحث فرق الامم وسبر سيرة العرب والعجم ثم أتى عصا التيسار بحاضرة فاس العليا وكان مولده بطنجة سنة ثلاث وسبع مائة وبنى سنة ٧٧٧ وكان خروجه من موطنه عام خمسة وعشرين وسبع مائة وله من العمر اثنتان وعشرون سنة فأخذ قلب

في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة مملكة الهند وهو السلطان
محمد شاه واتصل بملكها الملك العهد وهو قير وزجوه وكان له منه مكانة واستعمله بحظرة القضاء
بمذهب المالكية في علمه ثم ساه في الاقطار الصينية والتتية وأواسط أفريقيا في بلاد السودان
وفي الاندلس ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان من ملوك بني مرين وكان يحدث
عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض ويأتى من أحواله ما يستغربه السامعون
فغمره أبو عنان من احسانه الجزيل وامتناعه الخفي الحفيظ ما أنساه الماضي بالحال وأغناه عن
طول الترحال فأنفذ اليه الملك الاشارة بان يعلى على محمد بن جزى الكبي ما شاهده في رحلته من
الامصار وما علق بحفظه من نوادر الاخبار فاملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر وبهجة المسامع
والتواظر من كل غريسة أفادها اجتلائها وبهيبة أطرف بانتعائها فامتثل ابن جزى ما أمر به
فضم أطراف ما أملاه ابن بطوطة في تصنيف جاء على فوائده مشتملا وتبيل مقاصده مكملًا فوسمه
بتصنيفه النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (لابن جزى)

(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث)

فهرست الجزء الثالث
(من كتاب القطع المنتخبه)

صحيحة

(الباب الاول في الفقه)

- ٣ في التحكيم وفي من يصلح حكما ومن لا يصلح
٣ فيما يصح فيه التحكيم وما لا يصح
٤ فيما يصح فيه حكم المحكم وما لا يصح
٤ الجزاء في دجلة والفرات والغروب
٦ في أهل الدعارة والتلصص والبنائيات وما يجب فيه من الحدود
٨ في وقف المشاع وقسمته والمهاياة فيه
١٠ في شرط استبدال الوقف
١٢ في اشتراط الزيادة والنقصان في مقدار المرتبات وأربابها
١٣ في بيان أن المجدد للدين يجوز أن يكون من المجتهدين أو المقلدين
١٥ في بيان أن ليس لولادة الامور أن يحكموا في التحريم والتحليل
١٧ في بيان من كان فريدا في فقهه
١٨ في بيان كون المجتهد غير المقصر ثاب على اجتهاده مطلقا
٢٠ (الباب الثاني في الحكم)
٢٠ في طرف من الحكايات والادب الصادرة عن أولى الالباب والاحساب وفيه فصول
٤٦ (الباب الثالث في الاخلاق) وقد ذكر غلطاً بلفظ الثاني
٤٦ في محاسبة الكبر والاعجاب
٥٠ في حسن الخلق
٥٣ في كتمان السر
٥٥ (الباب الرابع في المباحث الادبية)
٥٥ في أن العلوم تسكن حيث يكثر العمران
٥٦ في فضل الكفاية
٥٧ في الترغيب في حب الوطن
٦١ في المنفعة العمومية
٦٤ في تعميم أنباط الوطن في مكارم الاخلاق بدون تفرقة ولا نظر للاختلاف في الدين

٦٥	في طباع العرب وأخلاقهم وانقسامهم إلى قبائل	صحيفة
٦٧	في ميل العرب إلى الوحدة السياسية وفي تجمعهم بسوق عكاظ وفي منازلهم بقصائد الشعر	
٧٠	فيما يجب للولاء على الرعية وما للرعية على المولود	
٧١	فيما يجب للرعية على الملك	
٧٣	في سيرة الملك مع أهل الشريعة العلماء والفقهاء والفضلاء	
٧٧	في سيرة الملك مع الأمراء وأركان مملكته	
٧٩	(الباب الخامس في المقامات)	
٧٩	المقامة القرصية	
٨٦	مقامة لسان الدين ابن الخطيب	
٩٥	محاورة بين السيف والقلم للعلامة جمال الدين ابن نباتة للمصري	
١٠٣	(الباب السادس في المراسلات والمقشات)	
١٠٣	صورة عهد كتبه على كرم الله وجهه لملك المغرب المعروف بالاشتراني	
١٠١	كتاب من انشاء القاضي الفاضل بفتح بلدمن بلاد النوبة	
١١٢	كتاب من انشاء العماد الاصفهاني	
١١٤	فرمان من الحضرة الخديوية	
١١٤	مقالة من أهل الصعيد لولي النعم	
١١٥	صورة فرمان بتتصيب محافظ	
١١٦	شرح قصيدة من سقط الزند	
١٢٥	(الباب السابع في الجغرافيا والتاريخ)	
١٢٥	ذكر مذهب أهل مصر ونحلهم منذ افتتح عمرو بن العاص رضى الله عنه أرض مصر الى ان صاروا الى اعتقاد مذهب الامم رجهم الله	
١٤٥	آراء القدماء في حقيقة بحيرة العرب	
١٤٧	ذكر ما اختاره العرب في تقسيم بلادهم وطورسينا والشام ومصر	
١٤٩	في تخطيط الحجاز	
١٥٠	وصف إقليم اليمن	

صحيفة

- ١٥١ أفليم حضرموت ونجد والاحقاف الخ
١٥٢ فتح مصر
١٥٤ فتوح الشام
١٥٧ فتح دمشق
١٥٨ بيان الطريقة التي سلكها الرومانيون لادخالهم جميع الامم تحت طاعتهم
١٦٥ في فتوحات الامير بطريرك بوليناوس وحكمه
١٧٢ خلافة هارون الرشيد
١٨٣ خلافة محمد الامين
١٨٧ خلافة المعتصم
١٩٣ خلافة المنتصر بالله
١٩٤ خلافة الحاكم بامر الله
٢٠٠ ملك صلاح الدين دمشق وغيرها
٢٠٢ انهمزام سيف الدين غازي صاحب الموصل من السلطان صلاح الدين

(الباب الثامن في التراجم)

- ٢٠٣ ترجمة أبو الطيب المتنبي
٢٠٦ ترجمة أبو العلاء المعري
٢٠٨ الاصبهاني صاحب كتاب الاغانى
٢٠٩ أبو بكر الخوارزمي
٢١١ بديع الزمان الهمداني
٢١٢ ابن خلكان
٢١٨ ابن خلدون
٢١٩ فقي الدين المقرئ

الجزء الثالث

(من كتاب القطع المنتخبه)

مؤلف

حضرة يحيى انسى ابراهيم

القاضي بمحكمة الاستئناف

قررت تطابق المعارف العمومية بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٨٩٣ نمرة ٣١٣
لزوم طبع هذا الكتاب على نفقتها واستعماله بالمدارس الاميرية

(حقوق الطبع محفوظة للتأليف)

(الطبعة الاولى)

بالطبعة الكبرى الاميرية ييولاق مصر المجرية

سنة ١٨٩٥

افريقيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الاول في الفقه

فصل في التحكيم

ومعناه أن الخصمين إذا حكما بينهما رجلا وارضاياه لان يحكم بينهما فان ذلك جائز بالكاتب والسنة واجماع الامة ولا نامق لم يحجز التحكيم لصادق الامر على الناس لانه يشق على الناس الخضوع راي مجلس الحكم يجوزنا التحكيم للمعاجة

فصل فيمن يصلح حكما ومن لا يصلح حكما

كل من تقبل شهادته في أمر جازان يكون حكمه موقفا لا فلا والمرأة تصلح حكما والصبي والعبد والمحدود في القذف والاعمى لا يصلح حكما لان الحكم في حق المحكمين بمنزلة القاضى وكل من صلح شاهدا صلح قاضيا ومن لا فلا ثم انما يعتبر كونه أهلا للشهادة في حالتين حالة التحكيم ووقت الحكم حتى اذا لم يكن من أهل الشهادة وقت التحكيم ثم صار من أهل الشهادة وقت الحكم لا يصير حكما بان حكما عبدا أو ذميا أو صديا ثم أسلم أو أعقق أو بلغ الصبي ثم حكم لم يحجز وكذا اذا كان شاهدا وقت التحكيم ولم يبق شاهدا وقت الحكم لا يبق حكما لان الحكم في حقهما بمنزلة القاضى وفي القاضى يعتبر لصحة القضاء كونه من أهل الشهادة فكذا هذا

فصل فيما يصلح فيه التحكيم وما لا يصلح

يصلح التحكيم فيما يليك كان فعل ذلك ما تنقسم ما هو حقوق العباد ولا يصلح فيما لا يليك كان وهو حقوق الله تعالى حتى يجوز التحكيم في الاموال والطلاق والعناق والنكاح والقصاص وتضمن السرقة ولا يجوز في حد الزنا والسرقة والقذف لان التحكيم تفويض والتفويض يصلح بما يليك المفوض فيه بنفسه ولا يصلح فيما لا يليك كالتركيب وذكر الخصاص ولا يجوز حكم المحكم في حد أو قصاص

لان حكم المحكم بمنزلة العلم فكل ما يجوز استحقاقه بالصلح يجوز التحكيم فيه وما افلا وحد
القذف والقصاص لا يجوز استيفاءهما بالصلح وبعدمهما فلا يجوز التحكيم فيهما وذكر في الاصل
انه يجوز التحكيم في القصاص لان التحكيم تفويض ووليته في حقهما وان كان صلحا في حق غيرهما
وهما على كان استيفاء القصاص فيصح تفويضه الى غيرهما (مسئلة) وينفذ حكم المحكم في سائر
المجتهدات نحو الكليات والطلاق والعناق وهو الصحيح لكن شيوخ المذهب امتنعوا عن الفتوى
بهذا لتلاي تجاسر العوام فيه ولا يجوز حكمه في الدم الخطا لان العاقلة لم ترض به وحكم المحكم انما
ينفذ على من يرضى بحكمه وان قضى بالدية على القاتل لا يجوز لان هذا الحكم يخالف للشرع فان
الدية في قتل الخطا على العاقلة الا ان يكون القاتل اقرب بالقتل خطأ فيجوز حينئذ حكمه بالدية عليه
لان ما يجب بالاقرار لا يتصل به العاقلة وانما يجب على المقر وكان حكمه موافقا فنفذ

فصل فيما يصح فيه حكم المحكم وما لا يصح

اذا حكر رجلا فاجاز القاضي حكومته قبل ان يحكم ثم حكم بخلاف رأى القاضي لم يجز لان
تحكيمهما لا يتوقف على اجازة القاضي فتكون اجازته باطلة وكذلك اجازته حكم المحكم باطلة
لانه اجازة العدم واذا بطلت اجازته وقد قضى بخلاف رأيه كان للقاضي نقضه واذا اتفقا على
حكمين فحكم أحدهما لم يجز لان القضاء امر يحتاج فيه الى الرأى والتدبير وهما راضيان بآراءهما دون
رأى أحدهما فلم يتفرد أحدهما بالقضاء كوكيلي البيع والشراء وكالامام اذا فوض القضاء الى
اثنين لا يتفرد أحدهما به فكذا هذا (مسئلة) حكر رجلا مادام في مجلسه فقال لم يحكم بيننا وقال
حكمت فالحكم مصدق مادام في مجلسه لانه حكى ما على استئنافه وانشاء فلك الاقرار به وجعل
اقراره كانه انشاء الحكم ولا يصدق بعده لانه لا يملك انشاء الحكم (من معين الحكم)

فصل في الجزائر في دجلة والفرات والغروب

(قال أبو يوسف) رحمة الله وسألت يا امير المؤمنين عن الجزائر التي تكون في دجلة والفرات ينضب
عنها الماء فجاء رجل وهي جزيرة ارض له فخصنها من الماء وزرع فيها فاذا نضب الماء عن جزيرة
في دجلة أو الفرات فجاء رجل بلا صق تلك الجزيرة بارض له فخصنها من الماء وزرع فيها فهم له وهذا
مثل الارض الموات اذا كان ذلك لا يضر بأحد وان كان يضر أحدا منع من ذلك ولم يترك يخصنها
ولا يزرع فيها ولا يحدث فيها حداثا الا باذن الامام فاما اذا نضب الماء عن جزيرة في دجلة مثل هذه
الجزيرة التي بعثنا بستان موسى وهذا الجزيرة التي من الجانب الشرقي فليس لاحد ان يحدث

فيها شياً لا بناء ولا زرعاً لأن مثل هذه الجزيرة إذا حصدت وزرعت كان ذلك ضرراً على أهل المنازل والدور قال ولا يسع الامام أن يقطع شياً من هذا ولا يحدث فيه حدثاً. قال وأما ما كان خارج المدينة فهو بمنزلة الأرض الميثة يحبسها الرجل ويؤدى عنها حق السلطان ولو أن رجلاً في طائفة من البطيعة مما ليس فيه ملك لأحد غاب عليه الماء فضرب عليها المسناة واستخرجها وأحياها وقطع ما فيها من القصب فأنها بمنزلة الأرض الميثة وكذلك كل ما عالج من أجرة أو من بحر أو من بر بعد أن لا يكون فيه ملك لأنسان فاستخرجهم رجل وعمره فهو له وهو بمنزلة الموات ولو أن رجلاً أحيا من ذلك شيئاً قد كان له الملك قبله رددت ذلك إلى الأول ولم أجعل للثاني فيه حقاً فإن كان الثاني قد زرع فيه فلز زرعاً وهو ضامن لما قصصت الأرض وليس عليه أجرة وهو ضامن لما قطع من قصها وكذلك لو كانت هذه الأرض في البرية فيها نبات لأنها بمنزلة القصب قال ولو أن رجلاً حفر خزانة في البطيعة وكري لها نهر أو جاعل رجل فقال أنا أدخل معك في هذه الأرض وأشركك فيها فإن كان نصب الماء عنها حيث دخل معه فالشركة باطلة وإن كان لم ينصب عنها فالشركة جائزة وكذلك إذا كان في بركة فأنا رجل فقال أنا أدخل معك فإن كان قد حفر فيها بركة أو بئراً أو نهر أو ساق إليها الماء فالشركة في هذا فاسدة وإن كان لم يحفر ولم يكر فالشركة جائزة مثل الأول قال وإذا نصب الماء عن جزيرة في دجلة أو الفرات وكانت بهذا منزل رجل وقتائه فأراد أن يصيرها في قفائه ويزيدها فيه فليس له ذلك ولا يترك وذلك فإن جاء رجل فقصها من الماء وزرع فيها وأدى عنها حق السلطان فهي بمنزلة أرض الموات يحبسها الرجل فإن أراد هذا الذي هي بجذائه ففناه أن يعقلها ويؤدى عنها حق السلطان فهو أحق بها وهي له وإن كانت هذه الجزيرة التي نصب عنها الماء إذا حصدت وضرب عليها المسناة أضرت ذلك بالسفن التي غر بدجلة والفرات وخاف المارة في السفن الغرق من ذلك أخرجت من بهذا وردت إلى حالها الأولى لأن هذه الجزيرة بمنزلة طريق المسلمين ولا ينبغي لأحد أن يحدث شيئاً في طريق المسلمين مما يضرم ولا يجوز للامام أن يقطع شيئاً من طريق المسلمين مما فيه الضرر عليهم ولا يسعه ذلك وإن أراد الامام أن يقطع طريقاً من طريق المسلمين الجائز رجلاً بيني عليه وبالعامه طريق غير ذلك فريباً ويعيد منه لم يسعه إقطاع ذلك ولم يحل له وهو آمن فعل وكذلك الجزائر التي ينصب عنها الماء في مثل الفرات ودجلة فلا إمام أن يقطعها إذا لم يكن في ذلك ضرر على المسلمين فإن كان في ذلك ضرر لم يقطعها ومن أحدث فيها حدثاً وكان فيه ضرر ردت إلى حالها الأولى وسألت عن الغروب التي تتخذ في دجلة وفي عمر النصف التي غر الدجلة وفيها نفع وضرر فإن كانت تضر بالسفن التي غر في دجلة فتحت ولم تترك أصحابها وأعادتها إلى ذلك الموضع وإن لم يكن فيها ضرر تركت على حالها فقبل لا ينبغي وصف فيها من الضرر أن السفينة ربما

حلها الماء عليها فانكسرت قال أبو يوسف ما انكسر عليه من السفن فصاحب الغربة ضامن لذلك ولا تترك الامام شيئا من ذلك الا امر به فهدم ونحى فان في هذا ذنرا عظيما فالفرات ووجهة انماها بمنزلة طريق المسلمين ليس لاحد ان يحدث فيه شيئا فنأخذ فيه شيئا فنعطب بذلك عايط ضمن وقد أرى أن يوكل بذلك رجلا ثقة أميناً حتى يتبع ذلك ولا يدع من هذه الغروب شيئا في دجلة والفرات في موضع يضرب بالسفن ولا يتخوف عليه امنه الا نجاه ونوعدا أهله على اعادته شيئا منه فان في ذلك أجرا عظيما (من كتاب الخراج لأبي يوسف)

فصل في أهل الدعارة والتلصص والجنايات وما يجب فيه من الحدود

قال أبو يوسف رحمه الله تعالى وأما ما سألت عنه يا أمير المؤمنين من أمر أهل الدعارة والفسق والتلصص اذا أخذوا في شئ من الجنايات وحبسوا وهل يجزى عليهم ما يقوتهم في الحبس والذي يجزى عليهم من الصدقة أو غير الصدقة وما ينبغي أن يعمل به فيهم قال لا بدلن كان في مثل خالهم اذا لم يكن له شئ يأكل منه لا مال ولا وجه شئ يقيم به بدنه أن يجزى عليهم من الصدقة أو من بيت المال من أي الوجهين فعلت فذلك موسع عليك وأحب الي أن تجزى من بيت المال على كل واحد منهم ما يقوته فانه لا يعمل ولا يسع الا ذلك قال والا مسير من أسرى المشركين لا بد أن يطعم ويحسن اليه حتى يحكم فيه فكيف برجل مسلم قد أخطأ أو أذنب ترك يموت جوعا وانما حله على ما صار اليه القضاء أو الجهل ولم تزل الخلق اعيا أمير المؤمنين تجزى على أهل السجون ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم وكوتهم الشتاء والصف وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالعراق ثم فعله معاوية بالشام ثم فعل ذلك الخلق من بعده قال حدثني اسماعيل بن ابراهيم ابن المهاجر عن عبد الملك بن عمير قال كان علي بن أبي طالب اذا كان في القبيصة أو القوم الرجل الداعر حبسه فان كان له مال أنفق عليه من ماله وان لم يكن له مال أنفق عليه من بيت المال وقال يحبسن عنهم شره وينفق عليهم من بيت مالهم قال وقد تبايعت أشياخنا عن جعفر بن زرقان قال كتب الينا عمر بن عبد العزيز لا تدع في سجونكم أحد من المسلمين في وفاق لا يستطيع أن يصلي قائما ولا يبيت في قيدا لا رجل مظلوم يدم وأجر واعليهم من الصدقة ما يصلحهم في طعامهم وأدمهم والسلام فخر بالتقدير لهم ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم وصير ذلك دراهم تجزى عليهم في كل شهر يدفع ذلك اليهم فاما ان أجريت عليهم الخبز ذهب به لالة السجن والقوام والبالوزة وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح يشب اسمه من في السجن عن تجزى عليهم الصدقة وتكون الاماء عنده ويدفع ذلك اليهم شهر اشهر يقعد ويدعو باسم رجل رجل ويدفع ذلك اليه في يده فمن كان منهم قد

أطلق ونحى سبله رمة ما يجري عليه ويكون للأجزاء عشرة دواهم في الشهر لكل واحد وليس كل من
في السجن يحتاج إلى أن يجري عليه وكسوته في الشتاء قميص وكساء وفي الصيف قميص وازار
ويجري على النساء مثل ذلك وكسوتهن في الشتاء قميص ومقنعة وكساء وفي الصيف قميص وازار
ومقنعة وأغنتهم عن الخروج في السلاسل تصدق عليهم الناس فان هذا عظيم أن يكون قوم من
المسلمين قد أذنوا وأخطوا وقضى الله عليهم ما هم فيه فحبسوا بغير حون في السلاسل تصدقون
وما أظن أهل الشرك يفعلون هذا بأشاري المسلمين الذين في أيديهم فكيف ينبغي أن يفعل هذا
بأهل الاسلام وانما صاروا إلى الخروج في السلاسل تصدقون لهم فيه من جهد الجوع فرما
أصابوا ما ياكلون وربما لم يصيبوا ان ابن آدم لم يعرف من الغيوب فتنفذ أمرهم ومربا بالأجزاء عليهم
مثل ما فسرت لك ومن مات منهم ولم يكن له ولي ولا قرابة غسل وكفن من بيت المال وصلى عليه
ودفن فانه بلغنى وأخبرني به الثقة أنه ربما مات منهم الميت الغريب فمكث في السجن اليوم
واليومين حتى يستأمر الوالي فدفعه وحتى يجمع أهل السجن من عندهم ما تصدقون ويكفرون
من يحمله إلى المقابر فيدفن ولا غسل ولا كفن ولا صلاة عليه فمأعظم هذا في الاسلام وأهل
ولو أمرت بأقامة الحدود لقل أهل الحبس ونحاف الفساق وأهل الفجأة ولتناهوا عما هم عليه
وانما يكثر أهل الحبس لقلة النظر في أمرهم انهم لو حبس وليس نظر فمروا لك جميعا بالنظر في أمر
أهل الحبس في كل أيام فمن كان عليه أدب وأدب وأطلق ومن لم يكن له قضية على عنه وتقدم اليهم
أن لا يسرفوا في الادب ولا يتجاوزوا بذلك إلى ما لا يحل ولا يوسع فانه بلغنى أنهم يضربون الرجل
في التهمة وفي الجناية الثلاثمائة والمائتين فأكثر وأقل وهذا مما لا يحل ولا يوسع ظهر المؤمن
حي الأمن حتى يجب بفجور أو قذف أو سكر أو تعزير لا أمرأته لا يجب فيه حد وليس يضرب في شيء
من ذلك كما بلغنى أن ولاتك يضربون وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنبه عن ضرب المصلين
حد ثلثه بعض أشياء خنا عن هودة بن عطاء عن أنس قال أبو بكر رضي الله عنه نبى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ضرب المصلين ومعنى هذا الحديث عندنا والله أعلم أنه نهى عن ضربهم من غير أن
يجب عليهم حد يستحقون به الضرب وهذا الذي بلغنى أن ولاتك يفعلونه ليس من الحكم والحدود
في شيء ليس يجب مثل هذا على جاني الجناية صغيرة ولا كبيرة من كان منهم أتى ما يجب عليه فيه قود
أو حد أو تعزير أقيم عليه ذلك وكذلك من جرح منهم جراحة في مثلها قصاص وقامت عليه البينة
بذلك قيس جرحه واقص منه إلا أن يعفو الجاني عليه فان لم يكن يستطاع في مثلها قصاص حكم
عليه بالارث وعوقب وأطيل حبسه حتى يحدث توبة ثم يخلى عنه وكذلك من كان منهم سرق
ما يجب فيه القطع قطع ان الابحر في اقامة الحد عظيم والملاح فيه لاهل الارض كثير
(من كلاب الخراج لابي يوسف)

فصل في وقف المشاع وقسمته والمهاياة فيه

اتفق أبو يوسف ومحمد رحمهما الله على جواز وقف مشاع لا يمكن قسمته كاللحم والبنر والرحى واختلاف في الممكن فأجازهم أبو يوسف وبه أخذ مشايخنا وأبطله محمد بن عيسى على اختلافهما المتقدم فنقول تقر بعالي قول أبي يوسف رحمه الله إذا وقف أحد الشرىكين حصص من أرض جاز وإذا اقتسمها بعد ذلك فلو وقع في نصيب الواقف كان وقفاً ولا يحتاج إلى إعادة الوقف فيه وإن وقفه ثانياً كان أحوطاً لارتفاع الخلاف حينئذ ولو وقف نصف أرض مثلاً ينبغي أن يبيع نصفها ثم يقاسم المشتري ولو رفع الأمر إلى القاضي فأمر رجلاً بالمقاسمة معه جاز وليس له أن يقاسم نفسه لأنها مأخوذة من المفاعلة فحققتى الشاركة بين اثنين فأفوقهما ولو قضى بجواز الوقف المشاع ارتفع الخلاف ثم إذا طلب من القاضي القسمة قال أبو حنيفة لا تقسم وبأمرهما بالمهاياة وقال لا تقسم إذا كان البعض ملكاً والبعض وقفاً ولو كان الكل وقفاً فأراد أن يبايعه قسمته لا يقسم حتى ولو وقف ضبعة على ولديه مثلاً فأراد أحدهما قسمتها ليدفع نصيبه من أجرة لا يجوز بل يدفع القيم كلها من أجرة وليس ذلك إلى أبيه وإنما هو القيم ولو قسمه الواقفين أبيه ليزرع كل واحد منهم نصيبه وليكون المزرع له دون شركائه توقف على رضاهم ولو فعل أهل الوقف ذلك فيما بينهم جاز ولن أبى منهم بعد ذلك إبطاله ومن وقف دوراً للاستغلال ليس له أن يسكنه أحداً بغير أجر ولو وقف داره لسكنى ولديه فطلب أحدهما المهاياة وأبى الآخر يسكن كل نصف بالامهاياة حافوتين اثنين فوقف أحدهما نصيبه وأراد نصيب لوح الوقف على بابه فتمنع الآخر لذلك لأنه تصرف في محل مشترك ولو رفع الأمر إلى القاضي فأذن له به جاز صيانة الوقف عن البطالان ولعموم ولايته امرأته وقفت داراً في مرضها على ثلاث بنات لها وبعثت بعدهن لساكنين وليس لهما ملك غيرها ولا وارث لها غيرهن قالوا لثالث الدار وقف والثلاث ميراث لهن يفعلن به ما شئن من الإجارة والتكليف وهذا عند أبي يوسف خلافاً لمحمد ولو كانت الأرض بين رجلين فتصدقاها بجهة صدقة موقوفه على المساكين ودفعها معالي قيم واحد جازاً اتفاقاً لأن المقتع من الجواز عند محمد هو الشروع وقت القبض لا وقت القدول وبوجه ههنا الوجه ههنا معاً منهما ولو وقف كل منهما نصيبه على جهة وبجعل القيم واحداً وسلمها معاً جازاً اتفاقاً لعدم الشروع وقت القبض ولو اختلفا في وقفهما بجهة وقيماوا اتخذ زمان تسليمهما لهما أو قال كل منهما القيمة قبض نصبي مع نصيب صاحبي جاز أيضاً اتفاقاً لأنهما صاروا كمتول واحد بخلاف ما لو وقف كل واحد وحده وسلم لقيمه وحده فإنه لا يصح الوقف عند محمد لموجود الشروع وقت العقد وعكسه وقت القبض ولو قال وقف نصبي من هذا الأرض وهو ثلثها فوجد أكثر من ذلك كان نصيبه كله وقفاً كالوصية بخلاف البيع فإن الزائد يكون للبايع أراض أودور

بين اثنين فوقهما أحدهما نصيبه على الفقراء وحكم بحسنه ثم أراد القسمة فنقسم للقاضي وجمع
الوقف في أرض أودار واحدة جاز عند أبي يوسف ومحمد واختاره هلال كالأول كل لهما داران
وطلبا القسمة فجمع القاضي نصيب أحدهما في دار ونصيب الآخر في دار جاز ذلك فكذلك ههنا
الآن ثبت يجوز سواء كانا في مصر واحد أو مصريين وههنا يجمع إذا كانا في مصر واحد
لا في مصريين وعلى قول أي حنيفة يقسم القاضي كل واحدة على حدة الآن يرى الصلاح في الجمع
فحينئذ يجمع الوقف كله في أرض أودار واحدة فيصير عند جمع القاضي في الحكم كأن الشريك
اقتسما بألفيهما وذلك جائز ولو اقتصم الشريكان وأدخل في القسمة دراهم معلومة فإن كان
المعطى هو الواقف جاز وبصير كأنه أخذ الوقف واشترى بعض ماله من وقف من نصيب شريكه
بدراهمه وأنه جائز وإن كان بالعكس لا يجوز لأنه يلزم منه نقض بعض الوقف وحصة الوقف وقف
وما اشتراه ملكه ولا يصير وقفا ثم إذا أراد تغيير الوقف عن المثل يرفع الأمر إلى القاضي فيقدم ولو
وقف عشرة أدرع شائع من أرض فقاسم فوقع نصيب الوقف أقل من ذلك بلجودة الأرض التي
وقعت الوقف أو أكثر لكونها دون القطعة الأخرى جاز لأن مثل هذه القسمة تجوز في المثل فكذلك
في الوقف إذا كان فيه صلاح للوقف لتحقيق المعادلة ولو أراد أن يصرف الأرض الوقف إلى أرض
أخرى مكانها أو يجعل الوقف ملكا لنفسه لا يجوز لأنهما متافله للوقف إلى غيره الآن يكون قد شرط
لنفسه الاستبدال في أصل الوقف فحينئذ يجوز ولو قال وقتت من أرضي هذه شيئا ولم يسمه كان
باطلا لأن الشيء يتناول القليل والكثير ولو بين بعدد الشريكين شيئا قليلا لا بوقف عادة ولو قال
وقتت جميع حصتي من هذه الدار والأرض ولم يسم السهام يجوز استقصاها إذا ثبت الواقف على
اقراره وإن محمد فمات بينه فشهدت بالوقف ومقدار حصته ومعه حكم القاضي بالوقف وإن
شهدوا على اقراره بالوقف ولم يعرفوا مقدار حصته ألزمه القاضي ببيان مقدار حصته والقول قوله
فيه وإن مات فام وأرثه مقامه ثم أقرب بزمه وحكم به القاضي ثم إن ثبت عنده أن زيد من ذلك
حكم به أيضا ولو وقف نصف أرض له ثم مات وقد أوصى إلى رجل وفي الورثة كبر وصغار فأراد
الوصي أن يقاسم الكبار ويقرز حصة الوقف جاز إن ضم حصة الصغار إلى الوقف والأفلا لأنه
وصى الصغار والوال على الوقف فلا يمكنه أن يقرز حصة الوقف عن حصة الصغار كالأول وكان وصيا
على صغار فانه ليس له أن يقسم بينهم ويقرز نصيب كل واحد منهم عن نصيب الآخر لأنه يلزم
أن يكون مضافا لنفسه وأنه لا يجوز ولو أراد الواقف أن يقسم ما وقفاه ليرث كل واحد منهما
على ما وقفه ويصرف غلته فيما يحب من الوجوه يوز ولو استحق نصف ما وقفه وقضى به المستحق
يستمر الباقي وقفا عند أبي يوسف خلافا لمحمد: وتجوز القسمة مع وكيل الواقف ووصيه ولو وقف

(٢) القطع المتخذه (بخره نالت)

نصف أرضه وأوصى إلى ابنه وإلى رجل أجنبي لا يجوز له أن يقاسم الابن ويفرد حصصه الوقف ليكون الابن وصياً أيضاً ولو وقف نصف أرضه على جهة معينة وجعل الولاية عليه لزيد في حياته وبعد مماته ثم وقف النصف الآخر على تلك الجهة أو غيرها وجعل الولاية عليه لمرء وفي حياته وبعد وفاته يجوز لهما أن يقتسماها وبأخذ كل واحد منهما النصف فيكون في يده لأنه لو وقف كل نصف على حدة صار وقفين وإن اتحدت الجهة كالأول كانت لشريكين فوقها كذلك والله أعلم

فصل في شرط استبدال الوقف

لوقال أرضي هذه صدقة موقوفة لله عز وجل أبداً على أن لي أن أبيعها وأشتري بثمنها أرضاً أخرى فتكون وقفاً على شروط الأولى جاز الوقف والشرط عند أبي يوسف استحساناً واختاره الخشاف وهلال وقال محمد بن يوسف بن خالد السبي الوقف صحيح والشرط باطل وهو القياس وقال بعضهم هما فاسدان والصحيح قول أبي يوسف رحمه الله لأن هذا شرط لا يبطل حكم الوقف فإن الوقف عما يتحمل الانتقال من أرض إلى أخرى فإن أرض الوقف إذا غصبها الإنسان وأجرى عليها الماسخى صارت نجساً لا تصلح للزراعة وضمن قيمتها وشرى قيمتها أرض أخرى تكون وقفاً على شرائط الأولى وكذلك أرض الوقف إذا قل زلها لآفة وصارت بحيث لا تصلح للزراعة أو لا تفضل غلتها عن مؤنتها يكون صلاح الوقف في استبدالها بأرض أخرى فيصح أن يشترط ولاية الاستبدال وإن لم تكن الضرورة داعية اليه في الحال ولو قال الواقف في أصل الوقف على أن أبيعها وأشتري بثمنها أرضاً أخرى ولم يدعي هذا ليكون الوقف باطلاً في القياس لأنه لم يذكر أنه أرض أخرى مقام الأولى وجاز في الاستحسان لأن الأرض تعينت للوقف فيقوم بثمنها مقامها في الحكم ويجوز شراء أرض بثمنها تصير وقفاً على شرائط الأولى من غير تجديد وقف كالوقف على العبد الموصى بخدمة نكحاً وضمن الجاني قيمته واشترى بها عبد فأنه يجري عليه حكم أصله ويجوز الشراء وهكذا حكم المذموم المقتول خطأ هذا إذا شرط الاستبدال في أصل الوقف وأما إذا لم يشترطه فقد أشار في السرائر أنه لا يلزمه إلا القاضي إذا رأى المصلحة في ذلك ويجب أن يخص برأى أول القضاة الثلاثة المشتهرين بقوله عليه الصلاة والسلام قاض في الجنة وقاضيان في النار للمفسر بذي العلم والعمل ثلاثي يحصل التطرق إلى بطلان أو قاف المسلمين كالمعاليق في زماننا ولو وقف أرضه وشرط أن يستبدلها بأرض ليس له أن يستبدلها بأرض ولو شرط البديل داراً لا يستبدلها بأرض ولو شرط أرض قريبة لا يستبدلها بأرض غير هاتئذ أو أرض القرى موقوفة واستغفلاً فيأزم الشرط ولو اشترى البديل من أرض

عشر أو خراج جازل لعدم خلو الأرض عن أحدهما ولو لم يقيد البذل بارض ولا دار يجوز له أن يستبدلها من جنس العقارات بأي أرض أو دار أو بلد شاعلا لطلاق ولو باعها بغبن فاحش لا يصح في قول أبي يوسف وهلال لأن القيم كالوكيل ولو أجاز أبو حنيفة الوقت بشرط الاستبدال لأجاز البيع بالغبن الفاحش كما هو مذهبه في بيع الوكيل به ولو اشترى القيم نصف الثمن أرضا واشتد على نفسه أنه لمن البذل جاز ويشترى بالباقي أيضا بدلا ولو باع الوقف وقبض عنه ثم مات ولم يبين حال الثمن كان ديناً في تركه ولو كان الوقف مرسلاً لم يذ كر فيه شرط الاستبدال لا يجوز له بيعه واستبداله وإن كانت الأرض سبعة لا ينتفع بها ولكن يرفع الأمر إلى القاضي الذي أمره بتركه أن يبيعه لأن سبيله أن يكون مؤبداً لا يباع وإنما ثبت له ولاية الاستبدال بالشرط وبدونه لا كالبيع الخلق عن شرط الخيار لا يملك أحد المتبايعين نقضه وإن لحقه فيه غبن ولو وهب عنه تصح الهبة عند أبي حنيفة وعند أبي يوسف لا تصح ولو ضاع لا يضمه لكونه أميناً ولو باعها وردت عليه بيعت بقضاء هاتين الثمن عنده فإنه يضمه من ماله ويجوز له بيع الأرض المردودة عليه في الثمن الذي ضمنه بخلاف ما إذا غصبها رجل وضمن قيمتها تعدرت ذهابها وملك القيمة عند القيم ثم ردها إليه واسترد القيمة منه فإنه يرجع في الغلة ولا يبيعها ولو باع أرض الوقف بعروض يصح في قياس قول أبي حنيفة فيبيع العروض بأحد التقدين ويشتري به بدلاً ويشتري بها بدلاً وعند أبي يوسف لا يبيع إلا بالأحد التقدين ثم يشتري به بدل ولو اشترى به مالا يصح وقفه كغلام وجارية يكون الثمن ديناً عليه ولو باع ما شرط استبداله ثم عاد إليه أن عاد بماله ففسخ من كل وجه كارد بالعيب قبل القبض مطلقاً وبعده بقضاء أو بقضاء البيع أو خيار الشرط أو الرؤية جاز له بيعه ثانياً لأن البيع الأول صار كأنه لم يكن وإن عاد بماله كعقد جديد كالأقالة بعد القبض لا يملك بيعه ثانياً لأنه صار كأنه اشتراه شراءً جديداً فيصير وقفاً فينتفع به كما لو اشترى أرضاً فوئى بدلها إلا أن يكون شرط الاستبدال مرفوعاً بعد أخرى ولو اشترى بالثمن أرضاً ثم ردت الأولى عليه بيعت بقضاء عادت إلى ما كانت عليه وفقاً وإتي اشتراها ماله لأنه لم يبدل عن الأولى فإذا انفسخ البيع فيما من كل وجه رجعت الوقفية إلى الأصل لعدم تصور الخلف مع وجود الأصل وبغير قضاء لا تعود إلى الوقفية فتكون له وما اشتراه بدلاً هو الوقف لعدم ما نفعه إليه بعقد جديد معني ولو اشتراه رجل ثم وهبه لمن باعه أياً أو مات فورته البائع لا يرجع إلى الوقفية بل يبقى على ملكه ويشتري بثمنه بدلاً لعدم انتقاض عقده فيه وهذا المثل بسبب جديد ولو باع أرض الوقف واشترى بثمنها أرضاً أخرى ثم استعقت الأرض الأولى بقي الثانية وقفاً في القياس وفي الاستحسان لا يقي لأنها كانت وقفاً بدلاً عن الأولى وبالأستحسان انتقضت تلك المبادلة من كل وجه فلا تبقى الثانية وفقاً ولو قال على أن استبدل بها ثم مات وأوصى إلى وصيه به

فانه لا يملكه لانه شرطه لنفسه وهو امر يحتاج فيه الى الرأى والمشورة بخلاف ما اذا وكل به في حياته حيث يصح التوكيل لقيام رأى الموكل وامكان تداركه الخلل لو وجد ولو شرطه لكل من يلى عليه جاز وله ذلك مادام الواقف حيا ولا يجوز بعد موته الا ان شرط له الولاية عليه في حياته وبعد وفاته وهذا قول أبى يوسف وهلال بن له على أن القيم عندهما بمنزلة الوكيل والوكالة تبطل بالموت فيحتاج الى الاسناد اليه في حياته وبعد مماته أيضا لتبقى الوكالة وأما على قول محمد فان الولاية لا تبطل بموت الواقف لان المتولى وكيل الفقراء لا وكييل الواقف حتى لا يمكنه أن يعزله بدون شرط في أصل الوقف فيجوز له الاستبدال ولو بعد موت الواقف ولو شرط للمتولى استبداله بعد وفاته تقييد بشرطه ويجوز له هو استبداله مادام حيا ثم ليس للمتولى سوى الاستبدال به خاصة دون الاسناد والابصار به ولو شرطه لرجل آخر مع نفسه يجوز له الانفراد به دون الرجل لانه ما شرط رأي مع رأيه ولو كتب في أول كتاب وقفه لا يباع ولا يوهب ولا يملك ثم قال في آخره على أن لفلان بيعه والاستبدال بثمنه ما يكون وفقا مكانه جاز بيعه ويكون الثاني ناسخا للاول ولو عكس وقال على أن لفلان بيعه والاستبدال به ثم قال في آخره لا يباع ولا يوهب لا يجوز بيعه لانه رجوع منه عما شرطه أولا ولو باع المتولى دار الوقف وقبض الثمن ثم عزله التناضى ونصب غيره فاسترد الثاني الوقف من المشتري بحكم القاضى يجب عليه أجره ما سكن فيها لانها معدة للاجرة وهذا بناء على قول المتأخرين والله أعلم

فصل في اشتراط الزيادة والنقصان في مقدار المرتبات وفي أربابها

لو اشترط في وقفه أن يزيد في وظيفة من يرى زيادته أو ينقص من وظيفة من يرى نقصا بمن أهل الوقف وأن يدخل معهم من يرى ادخاله وأن يخرج منهم من يرى اخراجه جاز ثم اذا زاد أحداهم ثم أنقصه مرة أو أدخل أحد أو أخرج أحد ليس له أن يغيره بعد ذلك لان شرطه وقع على فعل يراه فاذا رآه مضاه فسد انتهى مآراه واذا أراد أن يكون ذلك دائما مادام حيا يقول على أن لفلان ابن فلان أن يزيد في مرتب من يرى زيادته وأن ينقص من مرتب من يرى نقصا وأن ينقص من زاده ويريد من نقصه منهم ويدخل معهم من يرى ادخاله ويخرج منهم من يرى اخراجه متى أراد مرة بعد أخرى رأيا بعد رأى ومشيئة بعد مشيئة مادام حيا ثم اذا حدث فيه شيئا لم بشرطه لنفسه أو مات قبل ذلك يستقر أمر الوقف على الحالة التي كان عليها يوم موته وليس لمن يلى عليه بعد شيء من ذلك الآن يشترطه في أصل الوقف وانما شرط هذه الامور أو بعضها للمتولى من بعده ولم يشترطها لنفسه جاز له أن يفعلها مادام حيا لان شرطها لغيره بشرط منه لنفسه ثم اذا مات المتولى فعلى ما بشرطه ولو بشرطه هذا لأمور للمتولى مادام هو حيا جاز له وللمتولى ذلك مادام هو حيا

ولو بشرط لنفسه في أصل الوقف استبداله أو الزيادة والتقصان ولم ير عليه ليس له أن يجعل ذلك
أَوْشِيَاءً منه للتولي وإعازلة له خاصة لا تقصار الشرط في أصل الوقف على نفسه ولا يجوز له أن يفعل
الامشراطه وقت العقد (الاسعاف في الاوقاف)

(بيان أن المجدد للدين يجوز أن يكون من المجتهدين أو المقلدين)

المجدد للدين قد يكون من المجتهدين أو المقلدين بناء على أن التعبد للدين هو التقرير والتأييد للدين
وليس مقصور على الاجتهاد فقد قال الحفاظ عماد الدين بن كثير قنادي كل قوم في امامهم أنه المراد
بهذا الحديث والظاهر أنه يعم جملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء محدثين
وفقهاء ونحاة ولغويين انتهى ما نقله عنه صاحب خلاصة الاثر ثم قال وقال في جامع الأصول
أي ابن الأثير الجزري الشافعي تكلموا في تأويل هذا الحديث وكل أشار إلى القائم الذي هو من
مذهبه وحل الحديث عليه والاولى العموم فان من تقع على الواحد والجمع ولا يختص أيضا
بالفقهاء فان انتفاع الامة يكون أيضا بأولي الامر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ لكن المبعوث
ينبغي كونه مشارا إليه في كل فن من هذه الفنون ففي رأس الاولى من أولى الامر عمر بن عبد العزيز
ومن الفقهاء محمد الباقر والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله والحسن بن سيرين وغيرهم من طبقهم
ومن القراء ابن كثير ومن المحدثين الزهري وفي رأس الثانية من أولى الامر المأمون ومن الفقهاء
الامام الشافعي والاولى من أصحاب أبي حنيفة وأشباه من أصحاب مالك ومن الامامية على
ابن موسى الرضى ومن القراء الحضري ومن المحدثين ابن معين ومن الزهاد الكرخي وفي الثالثة
من أولى الامر المقنن ومن الفقهاء ابن سريج الشافعي والطحاوي الحنفي والجلال الحنبلي ومن
المتكلمين الاشعري ومن المحدثين التسائي وفي الرابعة من أولى الامر القادر بالله ومن الفقهاء
الاسفراييني الشافعي والحوارزي الحنفي وعبد الوهاب المالكي والحسين الحنبلي ومن المتكلمين
الباقلاني وابن فورل ومن المحدثين الحاكم ومن الزهاد النووي وهكذا يقال في بقية القرون وقال
في الفتح شبه بعض الاتمة على أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل قرن واحد فقط بل الامر فيه كما ذكره
النووي في حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق من أنه يجوز أن تكون الطائفة جماعة
متعددة من أنواع المؤمنين ما بين نجاع وبصير بالحرب وفقهه ومحدث ومفسر وقائم بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد
وتشرقهم في الاقطار ويجوز اجتماعهم ببلد وأن يكونوا في بعض دون بعض ويجوز اخلاء الارض
كلها من بعضهم أولا فالولا إلى أن لا يبقى الا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا أتى أمر الله

وقال الحافظ زين الدين العراقي في أول تخريج أحاديث الأحياء في ترجمة الغزالي بعد أن ذكر نحو ماهر وأما قلت من تعيين من ذكر كرت على رأس كل مائة بالطن والطن يخطئ ويصيب والله أعلم من أراد وتبنيه صلى الله عليه وسلم ولكن لما جزم أحد بن حنبل في المائة الأولى بن عمر بن عبد العزيز والشافعي تجاسر من بعده بآب سريرج والصعلوك وسبب الطن في ذلك شهرة من ذكر بالانتفاع بأصحابه ومصنفاته والعلاء ورثة الأنبياء وكذلك من ذكر أنه مظلون في المائة الثامنة فعلمه إلى الله تعالى والله تعالى يقي العلماء ويديم النفع بهم إلى أزمان متطاولة اهـ

ولعل عدداً للمأمون مجدداً للدين من قبيل قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عموماً لصلحا وأخريئاً عسى الله أن يتوب عليهم والا فماتوا السيوطي عن أبي حاتم في تفسيره من رواية عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة إلا كان عند رأس الملة أمر اهـ فيفيد أن المأمون لا يصح عده في المجددين للدين وأنه جدد العلوم النافعة الأخرى فإن السيوطي قال في بيان الأمر الذي يكون عند رأس المائة كان عند رأس المائة الأولى من هذه الملة فتنة الخجاج وما أدراك ما الخجاج وفي المائة الثانية فتنة المأمون وحرورهم مع أخيه حتى درست محاسن بغداد وبدأ أهلها ثم قتلته ثم امتحاته الناس بخلق القرآن وهي أعظم الفتن في هذه الامة وأولها بالنسبة إلى الفتاوى البدعة ولم يدع خليفة قبله إلى شيء من البدع وفي المائة الثالثة خروج القرطبي وناهيك به ثم فتنة المقتدر بالخلع وبويع إلى المعتز وأعيد المقتدر في يوم ذي القاضى وخلفا من العلماء ولم يقتل فاض قبله في ملة الاسلام ثم فتنة تفرق الكلمة وتغلب المتغلبين على البلاد واستمر ذلك إلى الآن ومن جملة ذلك ابتداء الدولة العبيدية وناهيك بهم افساداً وكفراً وقتلاً للعلماء والصلحاء وفي المائة الرابعة كانت فتنة الحاكم بإمر الله وناهيك بما فعل وفي المائة الخامسة أخذ الفرج الشام وبيت المقدس وفي المائة السادسة كان الغلاء الذي لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف صلى الله عليه وسلم وكان ابتداء أمر التتار وفي المائة السابعة كانت فتنة التتار العظمى التي لم يسمع بمثلهما أسالت من دماء أهل الاسلام بحاراً وفي المائة الثامنة كانت فتنة قتلك التي استغرقت بالنسبة إليها فتنة التتار على عظمها اهـ

فقد قال في حق المأمون ما قاله الا انه لم يل الخلافة من بنى العباس أعلم منه وكان أماراً بالعدل فقيه النفس يعظم كبار العلماء في سائر الفنون فقد قال يحيى بن أكرم ذات يوم في محاورته بالأمير المؤمنين ان خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته أو في النجوم كنت هرمس في حسابه أو في الفقه كنت علي بن أبي طالب في عمله أو ذكر السخاء كنت حاتم طي في صفته أو صدق الحديث كنت أباندر في هجته أو ألكرم فانت كعب بن نمير في فعله أو الوفا فانت السموأل بن عدياء في وفاته

وقال بعضهم استخرج المأمون كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرص وبرع فيها بعد أن برع في فنون التارخ والأدب والعلوم الشرعية ولولا قوله بخلق القرآن لكان يعتنق أن كل الخلفاء وكان فيه انصاف فمن انصافه أنه رأى أن آل النبي صلى الله عليه وسلم أحق بالخلافة من غيرهم فهم بخلق نفسه وتقويض الأمر إلى علي بن موسى الكاظم ولقبه بالرضي وضرب الدراهم والدينار باسمه وزوجه ابنته وأمر بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولي عهده في الخلافة فتوفي الإمام علي بن موسى الرضي في حياته فهذا ما كان من انصافه فلعل هذا هو الحامل لابن الأثير على عدمه المجدين للدين أو أن التجديد حاصل بعنايته ومرتبه على أفعاله واعتزله في مسألة لا يمنع من التجديد كما قال بعضهم في حق ولادة الأمور والله لا يصح الدين إلا بهم وإن جاروا وأن ما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون فلا ينبغي هذا التخليقة مسألة القرآن لعلماء عصره يقولون فيها حكم الله ما بقيت له هذا الذلة على مدى الأزمان لاسيما لو أن عصره مشحون بالعلماء

(بيان أنه ليس لولادة الأمور من الأمراء أن يحكموا في التعريم والتحليل)

قال بعضهم ليس من وظائف ولادة الأمور أن يحكموا في التعريم والتحليل بما يخالف الأوضاع الشرعية المستنبطة عند الأئمة المجتهدين من أدلة الكتاب والسنة والاجماع ولا عبرة بالاستكراه النفساني والاستحسان الطبيعي والتقيج العقلي فالنصين والتقيج العقليان المجردان عن التدليل الشرعي لا عبرة بهما والحاكم في أمثال الأوامر والنواهي كحدها بما ألقاهم مصالحهم والناسط في أمورهم والمدير لمليكتهم بالعدل والانصاف على القانون الشرعي الذي أصوله الكتاب والسنة والاجماع والقياس والاستصحاب أو الاستحسان فقد ثبت بالاجماع أن ما لا دليل عليه صريح في الكتاب والسنة فالعمل فيه بما نفقه عليه الاجماع واجب وكذلك القياس فإن ما انص فيه لا يلحق بالقواعد المنصوصة المشبهة واعتبار الاجماع والقياس انما يكون إذا صدر من الذين يمكنهم استنباط الأحكام من الكتاب والسنة وهم المسمون بأهل الحل والعقد في الأصول وثلاث فسر به بعضهم أولى الأمر في الآية وقال ينبغي أن تكون أوامر الأحكام ونواهيهم موقوفة على فتاوى العلماء أو أقوال المجتهدين في الدين وهذا لا يمنع أن الأمانة تخلف النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا فتقف عند حدود الله تعالى المعصية بقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم بناء على تفسير كمال الدين في الآية بما كمال الفرائض والأحكام كما ذهب إليه جماعة منهم السدي وقال ابن عباس أن كمال الدين هنا معناه عدم مشاركة المشركين للمسلمين في حج البيت الحرام فكان ذلك من إتمام النعمة على المؤمنين وعلى كل حال فدين الإسلام كامل لا يقبل الزيادة والنقصان بالأراء العقلية

وكذلك لا يجوز للحكام أن ينهوا عن المباحات إلا أناروا في ذلك مصلحة ظاهرة للرعية شرعية مريية
كمصلحة ضرر يلحق الرعية في دينها أو دنياها كما إذا نهى الحاكم عن اجتماع أهل الحل والعقد بعضهم
مع بعض مخافة أن يتفقوا على فتنة فأسل الاجتماع مباح ولكن ما يتوقع فيه من الضرر يصير
بالأمر حراما وكذا إذا أمر من عنده قوت من قبح ونحوه من شأنه حاجته أن يبيعه للناس فأصل البيع
مباح ولكن من حيث أن الضرورة العامة تدفع به صار واجبا في الحقيقة انما أمر الحاكم
بالأمر الواجب وكذلك إذا أمر بواقل من صلاة أو صيام أو صدقة أو عتق صار واجبا على الرعية
إذا كان يترتب عليه أمر من الأمور المهمة في حقهم كما إذا وقع القحط وتم الوفاق صلاة الاستسقاء
أو في صدقة التطوع أو تم الوفاق العتق من بعض الوجوه فإذا أمرهم حينئذ بذلك وجب عليهم
امتثال أمره فأوامر أولى الأمر منوطة بمصالح الرعايا ودنيا ولذلك قال بعض العلماء إن اجتماع
أهل قرية على ترك السواك فاتهم على الأمر لتأنيهم بالأمور المستحبة وليس أولى الأمر
في الاجتهاد المعتبر أمر ولا نهى فإذا كان أمام المسجد شافعيامثلا يرى الجهر بالسجدة في الصبح
والقنوت فيه لم يكن لولي الأمر الحق في أن ينهه عن ذلك وللأموين كذلك أن يتكروا عليه وكذلك
إذا كان أمام المسجد حنفي يرى ترك القنوت وترك الجهر بالتسمية عمل على رأيه ولم يعارض فيه

قال الحسن رحمه الله تعالى أخذ الله تعالى على الحكام المشاق أن لا تبعوا الهوى ولا يخشوا
الناس ولا يشترروا بآياته ثمنا قليلا ثم قرأ يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس
بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بعثنا يوم الحساب فالحكام المتخذ العلماء عمارا والصالحون مدبرا والحكم النصوح مستشارا
حتى تدور على حكمهم بين فصائح العلماء ودعوات الصلحاء ووصايا أهل الاخلاص من الحكماء
ولا يتبع الا القوانين المرعية التي لها أصل في الشريعة المحمدية يعده من المجتهدين للدين والدنيا
لا سيما إذا سلك في العدل خير سنن وأمانات البدع وأحي السنن فلا شك في أنه مجدد عصره لما أن
حكمة الله منطوية فيما أمر به على السنن وسهلا على ما يحده ذوالعقل بعقله فعلى ولي الأمر
الحازم أن يقرب أعناق البدع بسيوف الابطال ويقبل الحولة فيأمر على خرائن ذى الفضال
ليجزي الحسنة عشرة أمثالها ويغرض عن قليل حرام الدنيا بكثير حلالها ويفض العدل على
الرعية أفاضة اللباس ويظهر ظواهرهم وبواطنهم من الأذناس والأجاس ويدل جهنم سيرته
الحسنة ليكون ممن سن سنة حسنة ولا شك أن من سن سنة حسنة كان من مجتهدى الدين بحسب
الأحوال والأوقات وكانت الحسنة في ميزانهم من الباقيات الصالحات لحديث من سن سنة حسنة
كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة

بيان من كان فريدا في فنه

ذكر بعضهم من كان فريدا في فنه فقال انفراد أبو بكر رضي الله عنه في الانساب وفي القوة بأمر الله
عمر بن الخطاب وعثمان في الحياء وعلى في القضاء وإبي بن كعب في القراءة وزيد في الفرائض
شيد الله شأه وأبو عبيدة بن الجراح في الامانة شهير وابن عباس رضي الله عنه في التفسير
وأبو ذر في صدق الهمجة عمر رباحه ونال بن الوليد في الشجاعة والحسن البصري في التذكير
ووهب بن منبه في القصص وابن سيرين في التعبير وناقع في قرآنه وأبو حنيفة في فقهه وروايته
وابن اسحاق في المغازي ومقاتل في التأويل وبالعروض انفراد خليل وفضيل بن عياض في العبادة
وسينويه في النحو وأطلق جنياده ومالك في العلم فاز بالسير الحديث والشافعي في فقهه الحديث
وأبو عبيدة في الغريب وعلي بن المثنى في العلل نعم المحب ويحيى بن معين في الرجال وأبو تعلم
في الشعر من الابطال وأحمد بن حنبل في السنة والبخاري في نقل الصحيح شيد الله مكنه والجنيد
في التصوف مشهور ومحمد بن زكريا في الطب صلافة السرور وأبو معشر في نجوم والكرماني
في التعبير بالأوجوم وابن بانه في الخطيب القنطرة وأبو الفرج الاصفهاني في المحاضرة وأبو القاسم
الطبراني بالعوالي يفاخر وابن خزم في الظاهر والحريري في مقاماته والمتنبى في الشعر صاحب
السجمة والصولي في الشطرنج شام الرقة والخطيب البغدادي في سرعة القراءة والوسط وعلي
ابن ملال في الخط والموصلي في القضاء وعطاء السلي في حقوق الرضا والقاضي الفاضل في الانشاء
والاصمعي حل النواذر قدوش ومعبد في الغناء وابن سينا للفلسفة حتى انتهى

وجعه غير حاصر فلم يذكر مثل شهرة صاحب القاموس باللغة ولا مثل شهرة سراج الدين بن المقنن
بكثرة التصنيفات باللغة ولا العراقي بدارية الحديث وسكت عن كثير عن انتهت اليهم الرئاسة
بالانفراد بامر في القديم والحديث ولو كان في عهده فارس الجواثب صاحب المال لحكم له بانه
في احياء ما تراه العرب بهذا العصر مقدم الرجال وعلى كل حال فارباب المعارف يستفيد المعاصرة
في الفنون بعضهم من بعض قال المناوي في شرح الجامع الصغير (تنبيه) في ذكر أبي حيان
سألني قاضي القضاة أبو الفتح القشيري ابن دقيق العيد ما وجه الاستثناء الواقع في خبر ما منكم من
أحد يقوم فيتمضمض ويستنشق ويوتر الا خرت الخطايا من فيه وأنته فأجبت أنه أحد مبتدأ ومن
زائدة ومنكم حال من أحد ويقوم ويتمضمض ويستنشق ويوتر صفات لاحد والاخرت
هو الخبر لانه محط القائدة والمعنى ما أحد يفعل هذه الاشياء الا كل كذا وقس على ذلك انتهى
وكان ابن دقيق العيد مالكا ثم صار شافعيًا وبلغ درجة الاجتهاد وتولى مرتبة قاضي القضاة
ومن شعره

الجليلة كم أسس في عزى في * نيل العلا وقضاء الله ينكسه
كأنى البدر أبغى الشرق والفلك السلا على يعارض مسعاه فيعكسه
وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم يسبقنى أمل سواك فان يفت * ودعت أيام الحيلة وداعا
لأستلذغير وجهك منظرا * وسوى حديثك لأأيدهما

(بيان كون المجتهد غير المقصر ثاب على اجتهاده مطلقا)

ثم ان المجتهد ثاب على اجتهاده ان اصاب أو اخطأ ما لم يقصر في تقضى الاصابة اذ ليس كل مجتهد
مصيبا لان الحق واحد فالجهد المصيب مأجور مرتين فله أجر طلبه الحق واصابته وله الخطي غير
المقصر أجر طلبه الحق وان لم يصبه لحديث البخارى اذا اجتهد الحاكم فحكم فأصاب فله أجران واذا
حكم فأخطأ فله أجر وهذا في الفروع وأما في العقائد فالأجر للصب والخطي آثم وذلك ان العلماء
في الاسلام ثلاث درجات فقهاء متكلمون وصوفية فالفقهاء انما يتكلمون بالاضالة على الاحكام
الشريعة من عبادات ومعاملات مالية وغيره لمن عقود وحدود وما يتعلق بها بدون تكلم بالاضالة
على علم التوحيد المجموع في معنى الشهادتين اللتين هما أصل الاسلام والمتكلمون يتكلمون من
طريق السماع أو بالحكم العقلي على العقائد التي ينتمى معرفة الله والاعانة به ورسوله وما لا يمكنه
واليوم الاستحوا القضاء وغيره مما هو معنى الشهادتين اللتين هما أساس الدين والمدان عليهما فيه
وأما الصوفية وهم العارفون بالله فيستكلمون على ما يتكلم عليه علماء التوحيد من طريق المعرفة
بالله عز وجل وبضيفون الى ذلك أعمالا باطنية ومراقبات الهية قال محي الدين بن العربي
في فتوحاته التكلم على الطواهر نطق مقال وعلى البواطن نطق أحوال فكل من الفقيه والمتكلم
يتنظر بالدليل والبرهان فيمتدى الى أحكام الله ومعرفة حدوده والعارف بالله تعالى يتنظر بنور المعرفة
الالهية فيمتدى الى شهود الله ومعرفة وجوده فن يتنظر بالدليل عرف الحكم ومن نظر بالنور
عرف الوجه فالعارفون بطقوا الكمال في معرفة مراتب الشريعة فاشان يقع منهم مخالفة شريعة
سيد المرسلين حيث هم أعرف بمظاهرها وباطنها فاذا ظهر منهم حالة تخالف الشريعة ظاهرا فلا
ينبغي اعتراضهم بل يقوض أمرهم لله تعالى لان ما يرى منهم من انحراف انما هو قصور فهم عن
لم يبلغ درجتهم فيجب احترام مشايخهم الواصلين حيث قد علم كل أناس مشربهم وفهم كل رجال
منهم قال ابن العربي -

ما حرمة الشيخ الاحرمه الله * فقسم بها أديا لله بالله
هم الادلاء القربى تؤيدهم * على العلالة تأييدان الله

الوارثون هم للرسول أجمعهم * فما حدين يسميهم الا عن الله
كلا نبيا تراه في محاربهم * لا يسألون من الله سواي الله
فان بدا منهم حال يولهمهم * عن الشريعة فآثرهم مع الله

وقال الامام على كرم الله وجهه ليس العلم بكثرة الرواية انما هو نور يجعله الله في القلوب انتهى ومن
لم يجعل الله له نورا غالا من نور فلعل الحقيقة وعلماته مزية على علم الظاهر بنور التوحيد الباطني
المتجلى به على قلوبهم

قال بعض العارفين وقعت لي واقعة في مرض كنت فيه فرأيت جميع العلوم أتت اليّ وسلت عليّ
وجلس عندي منها علم وهو التوحيد وله نور عظيم يخطف بالابصار شيه بنور البرق الملامع بل أبهى
منظرا وأحسن صورة وألطف ضياء فقلت له ان جميع العلوم سلّت عليّ وانصرفت الا أن سلّت
عليّ وأقيمت عندي فقال لي ان العلوم كلها محملها الدنيا تبقى مع صاحبها مدة حياته وحين الموت تفارقه
ويخرج من الدنيا الى الآخرة بمجرد عنها الا أنا فابقي مع صاحبها في الدنيا والبرزخ والآخرة
لا أفارقه أبدا وأنا أنيس له في قبره ونوره على الصراط وخليل له في الجنة فقلت له انا لأصحب
في الدنيا خبيلا الأتت فقال وأنا أغنيك عن الجميع انتهى

وعلم الشرع الذي هو فضل الاوامر وترك المناهي أصله التوحيد وما كل حال المجتهد من المناهية
أن يطلع عليهم قمر السعادة من فلك الارادة وتشرق على قلوبهم شمس الاصول في مشارق الوصول
فيغرقون في بحر الوحدة ولا يراقبون الا الله وحده كلاما ما أبي حامد الغزالي حيث يقول

تركت هوى ليلى وسعدى بهزل * وسرت الى محبوب أول منزل
وناديتني الاطلال أهلا ومرحبا * ألا أينما الساعي رويدك فأقول
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد * له ناصحا غيري فكسرت مغزلي

يعني انه بلغ القلب درجة الامامة وأبرز الى حيز الوجود ما يحوي به القلوب فلم يجد من يفهم كلامه
وبالجملة ان جميع العلماء من الأئمة وغيرهم ماجزروا على اجتهدا هم وجهادهم وبذل أنفسهم لله تعالى
والنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي سن الشريعة فكل أجر حصل للمجاهد أو عامل حصل بسببه مثله
لنبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما يناله من الله عليه وسلم من الاجر الخاص في هذا بآية الله تعالى
وعلى ما ناله من الامور على حسناته الخاصة من الاعمال والمعارف والاحوال التي لا يسئل جميع
الامم الى عرف نشرها ولا يبلغون معشار عشرها مما يقصر العقل عن ادراكها وكل مهتد
وعامل الى يوم القيامة يحصل له أجر ويصعد لشيخه في الهداية مثل ذلك الاجر والشيخ شيخه مثله
والشيخ الثالث أربعة والرابع ثمانية وهكذا يضاعف في كل مرتبة بعدد الاجور الخاصة بعدده

الى أن ينتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يحصل العجوبة والتابعين والجهتدين في كل عصر بعدد الاجور التي ترتبت على فعلهم وجميعه بجملة حاصل النبي صلى الله عليه وسلم قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في مختصره بداية السؤل في تفصيل الرسول ما من درجة عليّة ومرتبة سنية نالها أحد من أمته بما رسالته ودلالته الاولى مثل أجرها مضمومة الى درجته صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله مثل أجر فاعله فإيقعه الامراء والملوك والسلاطين من العدل والاحسان ويقتضى بهم رعائهم فيه من أمور الدنيا والدين تضاعف به أجورهم الى يوم الدين ويكون مثل ذلك أضعافاً مضاعفة لخاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وعلى اله وأصحابه والتابعين

الباب الثاني في المحكم

(في طرف من الحكايات والآداب الصادرة عن أولى الالباب والاحساب)

(اعلم) ان في الحكايات والخبار اسوة للنفوس وآداب نافعة للرئيس والمرؤس والقواب يرتاح اليها من شجونها والآذان تصغي لسماع طرفها وفنونها والوخيد يأس عطايتها والجليس ينسبطا بهذا كرتها ومحاضرتها والطباع تجعم به من ملها ويذهب عنها قلة نشاطها وكثرة كسلها والملوك يقفون بها وينال البلاء والرفعة منهم بسببها (قال عمر بن الخطاب) عليكم بطرائف الاخبار فانها من علم الملوك والسادة وبها تنال المنزلة والحظوظ منهم (قال علي رضي الله عنه) قيمة كل امرئ ما يحسن وقال بعض ملوك الهند لبيته كثر وامن النظر في الكتب وازدادوا في كل يوم عرفا فان ثلاثة لا يستوحشون في غربة الفقيه العالم والبطل الشجاع والخلو للسان الكثير مخارج الرأي وقيل للامون ما كثر الاشياء قال التنزي في عقول الناس يعني قراءة اقوالهم قال محمد بن بشير

لله من جلساء لاجليسهم * ولا خليط لهم للسوء من تقب
لا بادرات الاذي يخشى رفيقهم * ولا يلاقيه منهم منطلق ذرب
أبقوا لنا حكما تبسقي منافعها * أخرى البالي على الايام وانشعوا
ان شئت من محكم الاثار رفعتها * الى النسي ثقة خيرة نجب
أوشئت من عرب علما بأولهم * في الجاهلية تبيين بها العرب
أوشئت من سيد الاملاء من بجم * تبي وتخير كيف الرأي والادب
حتى كافي قد شاهدت عصرهم * وقلمضت ذوقهم من دهر ناجب
فصرت في البيت مسرورا تحدثني * من علم ما تابعتنا في الوري الكتب
فردا تخبرني الموتى وتنطقني * فليس لي في أناس غيرهم أرب
ما بات قوم اذا أبقوا لنا أدبا * وعلم دين ولا فائوا ولا ذهبوا

سأل الرشيد يوماً الأصمعي عن أنساب بعض العرب فقال على الخبر بهما سقطت يا أمير المؤمنين فقال له الفضل بن الربيع أسقط الله حسك أنخطب أمير المؤمنين بثل هذا فكان الفضل على قلبه عمله أعرف بما يستعمل في مخاطبة الخلفاء من الأصمعي مع امامته وليس بكل أدب المرء حتى يعرف المثل السائر والبيت النادر وما يحكى عن أهل العصور من الأخبار العجيبة وما وقع لهم من اللفاظ البليغة والمعاني الغريبة ففي ذلك العلم بالأمور والعقل المكتسب والأدب الصادر عن ذى المروءة والحسب لم تزل الحكايات والأخبار تذكرك في معرض الاعتبار وتورد موارد الاستبصار وهذا القسم لا تضيقه الفصول والأبواب ولا يستوفيه مصنف في كتاب غير أنه يأتي بما يناسب تبويبه أي شاكل تفصيله وترتيبه وإني أذكره هنا من ذلك ما استحسنته في فقهه وأستطرفه وأستملحه في نوعه وأستطرفه في فصلين اثنين بحول الله

(الفصل الاول في الاخبار التي تتعلق بذى الامرة والسياسة)

(قال المسعودي في كتابه عيون المعارف) محقق من كلام ازديش عند ما وضع الساج على رأسه أنه قال الحمد لله الذي خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقادنا طاعتنا العباد (فحمده) حمد من عرف فضل ما أناء (ونشكره) شكر الناري بما خصه وأعطاه ألا واناسعون في اقامة منار العدل وادرار الفضل وتشيد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد وزم أقطار المملكة ورتما تحرم في سائر الايام منها فليسكن طائر كرم أيها الناس فاني أعيد بالعدل سنة محمودة وشريعة موروثة وسترون في سيرتنا ما تحمدوننا عليه وتصدق أقوالنا أنعمنا ان شاء الله تعالى (وكتب ازديش) بن بابك الى الملوكة الكائنين بعنده الخراج عمود المملكة يكفنه نقش الرعية وحفظ الاطراف والبيضة فاختاروا العمل عليه أولى الطبيعة الحرة وذوى العقل والحسنة وكسوههم سنى الارزاق تحسموا أنفسهم عن الارتفاق فاستعززت بالعدل ولا استندت على الجور (وبجمل) أوشر وان يوم المكاء ليأخذ من آدابهم فقلل لهم وقد أخذوا من آدابهم من مجلسه دلوني على حكمة فيها منفعة خاصة بنفسى وعامة رعيى فتكلم كل واحد منهم بما عرض من الرأى وأوشر وان مطرق مفكر في أفاويلهم وانتهى القول الى بزجهر بن النجاشي فقال أيها الملك أنا جامع لك ذلك في اثني عشرة كلمة قال له هات ما هن فقال أولاهن تقوى الله تعالى في الشهوة والرغبة والرهبة والغضب والهوى فاجعل ما عرض من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق في القول والوفاء بالعادات والشروط والعهود والمواثيق والثالثة مشورة العلماء فيما يحدث من الأمور والرابعة سكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول

والخامسة التعهد للقضاء والفحص عن العمال بحسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم بإحسانه والمسيء على أسنائه. والسادسة تعاهد أهل السجون بالعرض لهم فيستوثقون من المسيء ويطلق البريء. والسابعة تعاهد سبيل الناس وأسواقهم وأسعارهم وتجاراتهم. والثامنة حسن تأديب الرعية على الجرائم وإقامة الحدود. والتاسعة إعداد السلاح وجمع آلات الحرب والعاشرة كرام الوالد والأهل والأقارب وتفقد ما يصلحهم. والحادية عشرة إذكاء العيون في الثغور لعلم ما يخوف فتؤخذ أهبة قبل هجومه. والثانية عشرة تفقد الوزراء والنحو والامتثال بنوى الغش منهم فأمر افوشر وان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جميع أنواع السياسة الملوكية (وحدث) الفضل بن سهل قال كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا تجعل اختلافها إلى فكنت أسأل الرجل منهم عن سير ملوكهم وأخبار عظمائهم فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال ملك بلذ عرفه وبرد سيفه فاجتمع عليه القلوب رغبة ورهبة لا يطر حنده ولا يخرج رعيته سهل النوال جرى النكال الرجا والخوف معقودان في يديه قلت فكيف حكمه قال يرذالنم ويردع الظالم ويعطى كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومعتبط قلت فكيف هيئتهم قال يصور في القلوب فتغض له العيون قال فنظر إلى رسول الحبشة وأنا أضفى إليه وأقبل عليه فسأل ترجمته ما الذى يقول الرومى فقال يذكركم ودمه سيرته فكلمهم مع الترجمان بشئ فقال لى الترجمان انه يقول ان ملككم ذونا ناع عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو هوبة عند الإجماع قد كسار عيته جيل نعمته وخوفهم خسف عقوبته فهم يترامونه ترى الهلال خيالا ويخافونه مخافة الموت نكالا وسعهم عدله وردعتهم سطوته اذا أعطى أومع واذا عاقب أوجع فالتاس اثنان راج وخائف فلا الراجى خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف هيئتهم قال لاترفع له العيون أبجفائها ولا تبعسه الابصار انسانها كأن رعيته قطار غرفت عليهم صقور صوائد فحدثت المأمون بهذين الحدين فقال كم قيمتكم عندك قلت أنفادهم قال يا فضل ان قيمتهما عنى أكثر من الخلافة أما عرفت قول على بن أبى طالب رضى الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن أنعرف أحد من الخطباء البلقاء يحسن أن يصف أحد من خلفاء الله الراشدين عثل هذا مصفة قلت لا قال فقد أمرت لهم بالبشرى من ألف دينار وأجعل العذر مادية بيني وبينهم فى الجائزته عن العود فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيت اعطاهم ما فى الخاصة والعامة دون ما يستحقونه (سئل رجل من بنى أمية) عاقل فقيل له أخبرنا من أى شئ كان بدع وال ملككم فقال سألت فاسمع واذا سمعت فافهم اننا شاعنا بلذ نتناع تفقد ما كان تفقد يلمنا وثقنا بوزراء آثروا مجرافتهم وأبرموا أمورنا أسروها عنا وظلمت رعيتنا

ففسدت نياتهم لنا وجلب معاشنا فخلت بيوت أموالنا وقل جندنا فزال هديتهم لنا واستدعاهم أعداؤنا فظافروهم علينا وكان أكبر الأسباب في ذلك استخبار الأخبار عنا (وقد قال بعض الحكماء) خير الولاة من عدل في رعيته فيما يخصه منهم وفيما يخصهم منه فأما الذي يخصه منهم فحسن النظر لنفسه فيما يجب له عليهم من التزام طاعته فلا يبلغ فيه من العنف عليهم منزلة تجعله على التذم في أمره والبرم لولايتيه ولا يبلغ بهم من التراخي والاهمال منزلة تقودهم إلى الاستخفاف بأمره والاخلال بحقه وأما الذي يخصهم منه فحسن النظر لهم والرفق بهم وإجراهم إلى مصالحهم بحسن الخلق عنهم ورفع الأيدي المعتبرة بهم وأخذهم بالحق فيما لهم وعليهم واتصاف المتواضع من الظالم والمساواة في الحقائق بين القوى والضعيف والغنى والفقر حتى يتم عمله الكبير والصغير والقريب والبعيد كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه في خطبته اعلوا أنه لأحد أضعف عندي من القوى حتى أحسن الحق منه ولا أقوى من الضعيف حتى أحسن الحق له فمن الحق على من ملكه الله تعالى على بلاده وحكمه في عبادته أن تكون لنفسه مالكا ولنوى تاركا وللغنى كلما وللظلم كل ما هو العادل في الرضا والغضب منظره والحق في السر والعلانية مؤثرا فإذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته وأشرب القلوب بحمته فأشرق نور عدله زمانه وكان الناس على أعدائه أعوانه (كتب أبو بكر) لاشته يابى أن كلمة منك تسفك دما وكلمة تحق دما وأمره نافذ وكلامه ظاهر فاحترس في غضبك من فؤادك أن يخطئ ومن لولئك أن يتغير ومن جسر لك أن يحق فان الملوك تعاقب قدرة وتعفو لحا (روى عن الرشيد) أما حضر رجلا يوليها القضاء فقال يا أمير المؤمنين اني لأحسن القضاء ولا أنا فقيه فقال الرشيد فيك ثلاث خلال فيك شرف والشرف يجتمع أهل من الدنيا أت والحق والحلم يمنعك من الجمله ومن لم يعمل قل بخطؤه وأنت رجل تشاور في أمره ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فينضم اليك من تفقه به فولى فلو جديفه طعن وقال بعضهم من أخلاق الوالي السعيد أن لا يعاقب أحدا وهو غضبان لان هذمه حال لا يسلم معهما من التعدي والتجاوز بهذا العقوبة فإذا سكن غضبه ورجع إلى طبعه أمر بعقوبته على الحد الذي سنته الشريعة ونقلته الملة فان لم يكن في الشريعة ذكر عقوبه ذنبه فمن العدل أن يجعل عقوبه ذلك الذنب واسطه بين غليظ الذنوب وليتها وان يجعل الحكم عليه فيه ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال (وقال الحكماء) السياسة أن يخطأ الوعد بالوعيد والعطاء بالمنع والحلم بالإيقاع فان الناس لا يصحون إلا على التواب والعقاب الإطعام والاختاف ومن أخاف ولم يقع وعرف بذلك كان كمن أطمع ولم يتغير تغير الخير ما كان بمزوجا وشرا ثمرا كان صرفا وإذا كان الناس انما يصحون على الشدة واللين وعلى المنور والانتقام وعلى البذل والمنع وعلى الخير والشر عان ذلك الشر خيرا وذلك المنع عطاء وذلك المكروه نفعا

قال الله عز وجل ولكم في القصص حياتة الأولى الآيات لعلمكم تتقون فأسوس الناس لرعيته من قاداتها بقلوبها وقلوبهم بخواطرها وخواطرها بأساليبها من الرغبة والرغبة قال الحسن
يا ابن أبي العباس أنت الذي * معالؤه الجود مدد ار
يرجو ويخشى حالك الورى * كائنك الخسة والتار

(وقال بعضهم) الرغبة والرغبة أصلا لكل تدبير وعليهم مدار كل سياسة عظمت أو صغرت بذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتب وأقام الوعد مع الوعد والثواب مع العقاب والرجاء مع العقاب والعقوب مع السطوة قال عز وجل نحن نعمل مثقال ذرة خيرا ربه ومن يعمل مثقال ذرة شرا ربه فكل عامل على ثقة بما وعد به فقلقت قلوب العباد بالرغبة والرغبة فاطر التدبير واستقامت السياسة لموافقها ما في الفطرة ومن ظن أحدا من الخلق فوقه أو دونه يصلح بخلاف ما دبره الله عليه خائب الرب في تدبيره وظن أن رحمة فوق رحمة ربه ولو كان الناس يصلون على الخير وحده لكان الله عز وجل أولى بذلك الحسبم قال الله تعالى في حكم كتابه اني لا يخاف لذي المرسلون الا من ظلم ثم يدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وتلا مطرف هذه الآية وان ربك انذروهم مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب فقال لوبعل الناس قدر نعمة الله وعقوبه وتجاوزة لقربت أعينهم ولو يعلمون قدر عذاب الله ونكاله وثقه وبأسه ما رقا لهم مدح ولا قرت أعينهم شيء (قال الله سبحانه) ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فوصف في هذه الآية منزلة القرب من البعد فذكر نفسه تبارك وتعالى بالقرب القرب من عبده وبأبعد البعد بمن استكبر عن عبادته (وكان أفشروا ان) اذا ولي رجلا أمر الكاتب أن يضع في كتاب العهد موضع ثلاثة أسطر فيوقع فيها خطه سمن خيار الناس بالحجة وأمر ح العامة الرغبة بالرغبة ويسمى ذلك الناس بالخفاقة قال الشاعر

اذا كنتم الناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس بالبن والبنل
وسوسوا لثام الناس بالذل يصلحوا * على الذل ان الذل يصلح للذل

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر قال للعاقبة يا أمير المؤمنين اني موصيك قال أجل فاوصني قال انظر فاقة الاحرار فاعذ في سترها وطغيان السفلة فاعمل في قفها واستوحش من الكريم الجائع ومن اللئيم الشبعان فاعذ بصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع (كان زياد) اذا ولي رجلا عملا قال له خذ عطره وسر الى عمك واعلم انك مصروف رأس سنتك وأنت تصير الى أرفع خلال فاختر لنفسك ان انا وجدنا لك أمينا ضعيفا استبدلناك لضعفك وسلمت امان معرفتنا ما تبك وان وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك وأحسننا عن خيانتك أدبك وأوجعنا ظهرك وشفعنا

غرمك وان جمعت الحرمين علينا جميعا جعنا عليك المضرتين وان وجدناك قويا آمينا زدنا
في عملك ورفعنا ذكرك وكثرا مالك وأوطأنا عقبك (عزل) الاسكندر عاملا عن علي بنفيس وولاه
عملا خيسيا فقدم عليه بعد حين فقال له كيف رأيت عملك قال له أيها الملك انه ليس بالعمل
الكبير ينبل الرجل ولكن الرجل ينبل عمله وان كان خيسيا لحسن السيرة وانضاف الرعية
(وقال بعض الحكماء) أحسن جيلة الولاة اصابت السياسة ورأس اصابت السياسة العمل بطاعة الله
وفتح بابين للرعية أحدهما رافق ورحمة وبذل وتحنن والاخر غلظة ومباعدة وامسالك ومنع
(وكتب) عبد الملك الى الخلاج يأمره أن يكتب اليه بسيرته فكتب اليه الى أن يقظت رأيتي وأنت
هوى فاديت السيد المصلح في قومه ووليت الحرب الخلاج في أمره وقلدت الخراج الموفرا لاماته
وقسفت لكل امرئ من نفسي قسما فاعطيته حظا من قطارى واماطت عناني وحرفت السيف
الى النطف المسمى والثواب الى المحسن البريء ليخاف المريب صولة العقاب ويتسكك المحسن
بخطئه من الثواب ويرغب أهل العفاف في اداء الامانة ويتجنب أهل النطق والحياة وأملت
على ذلك من الله النجاة ومن خلفته المكافاة (وخطب) سعيد بن شريك بخصم لحمد الله وأثنى
عليه ثم قال أيها الناس ان الاسلام حائط منيع وباب وثيق فحائط الاسلام الحق وبابه العدل
ولا يزال الاسلام منيعا ما شئت السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط
ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل (قال أبو وائل الثقفي) دعاني سليمان بن وهب وقال لي اني قدمت
حسن الظن بك والثقة بامانتك ووليتك فلا أدع في عنقي فصدد ظني فيك وحقق ثقتي بك
ولا تفارق العدل في الخلو في ظاهرا والعدل بينك وبين الخالق باطنا والله تعالى المستعان ثم دفع
الى رغبة فمأوليتي على بعض الامور (وروي) أن المهدي ولي الربيع بن أبي الجهم فارس وقال له
يا ربيع انشر الحق والزم القصد وارفق بالرعية واعلم ان أعز الناس من أنصف عن نفسه وان
أجورهم من ظلم الناس لغيره (وفي) كتاب الهند انما يسلم العاقل بالاعتدال اناة ولا يزال صاحب
المجدة يجتني منها غرة الندامة وضعف الرأى وليس أحدا حوج الى التؤدة والتثبت من المأولة
فان المرأة انما هي بزوجه والمولود بابويه والمتعلم عبودية والجندي القائد والناسك بالدين والعامه
بالمأولة والمأولة بالتقوى والتقوى بالتثبت فالحرز للملك معرفة أصحابه وانزالهم منزلهم واتهام
بعضهم على بعض فانهم يلتمسون هلاك بعضهم بعضا واطهار مساهة المستئين واخفاف احسان
المجسنيين

فليس تاتر وابكبير جمع * وكانوا المصلح مؤثرنا
وكان الحزم فيما حاولوه * شعارهم فصاروا مكتفينا
وسنيرهم لفعل الخير فيما * اليهم من أمور المسلمينا

وان يشأ الله فساد قوم * أتاح لهم أكبر معتدينا
ذوى كبر ومجتهل * واجمال لما يتوقعونا
فظلوا يشبهون ويجمعون * وليسوا في العواقب يفكرون
وجاروا حيثما أمروا يعدل * كأن قد قيل كوفوا جأثرنا

(قال الخلاج) لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين انك أعز ما تكون أحوج ما تكون الى الله تعالى فاذا عززت بالله فاعمله فانك به تقدر واليه ترجع (وقال بعض الحكماء) وجدت المسي الى عبد الله ولولا ساء الى عبد الله لآبى لصفحت عنه اكرامه فكيف لا أصفح عن مسي هو عبد الله
(قال الشاعر)

ارحم أخى عباد الله كلهم * وانظر اليهم بعين اللطف والشفقة
وفر كبيرهم وارحم صغيرهم * وراعى فى كل خلق وجه من خلقه

(قال الشعبي) دخلت على ابن هيرة وقد ألقى يقوم فأمر بضرب أعناقهم فقال له رجل منهم أيها الأمير ان الذي جعل السجن كان حكيما جعله قيلا للجملة وياثا الى التثبت وسببا الى الآنة فعليك بالتؤدة والياك والعجالة فأنت على عقوبتنا أقدر منك على ردها فأمر بجمعهم ثم غص عنهم وأحسن اليهم (وفي سير العجم) آثر بالقيادة والسيادة والرئاسة أهل الشرف في المواضع وأهل القدم والنصيحة والشهرة والجددة والخبرة بالحروب وحسن المواساة للاتباع ونصحاء النفس لينال المال (قال محمد بن نصر الكاتب)

اذا ما الله شاء صلاح قوم * أتاح لهم أكبر مصلينا
ذوى رأى ومعرفة وفهم * واعدادنا قد يحدونا

(ذكروا) ان عبد الملك بن مروان لما ولوا بنه الوليد دمشق عهد اليه بما أحب ثم قال له يا بنى لا ييك صنائع قد رسمت في الجهد أصولها وأورقت في العلى فروعها واتشر عند الناس ذكرها فلا تدم من ما قد شرف لك ثباؤه وأضاع لك ضباؤه فكفى من سوء رأى المروقيج أثره موضوعة نفسه أن يهدم ما قد شيد له من فضيلة البناء ورفيع الثناء والياك واعراض الاررار فان الحار لا يرضيه عن عرضه عوض واجتنب العقوبة في الاشارة وترمطاب وعارباق ولا ينعك من ذى فضل سبقت اليه صنيعه غيرك أن تصطنعه فان صنيعه ذى الفضل شكرت مستوجه وكثر ثنوه واستعمل أهل الفضل دون أهل الهون ولا تنزل الاعن عجز أو خيانة ولكن جلساؤك غير أسنانك فان الشباب شعبة من جنون وان نازعتك نفسك على أخذنى من المال فلا يكن خصمك الايت المال ولكن رسولك فيما بيني وبينك من يفهم عني وعنك واذا كتبت كتابا فإنا كثرة النظر فيه فان الكتاب موضع عقل الرجل ورسوله موضع عقله وأستودعك الله العظيم (قال عمارة العقبة) كنت

أجالس عبد الملك كثيرا في ظل الكعبة فبينما أنا معه إذ قال لي يا عمارة ان تعش قليلا فسترى الاعناق
مانلة الى والآمال فحوى سلمية واذا كان ذلك فلا عليك أن تجعل لي رجلا ثوبا ولاملك خبر عنة
فوقاته ان فعلت لا ملأ نديدك غبطة ولا كسوتك نعمة سابعة قال ثم ان عبد الملك سار الى دمشق
وصارت اليه الخلافة فخرجت اليه زائرا واستأذنته فأذن لي ودخلت فسلمت عليه فلما انقضى سلامي
قال مرحبا بأخي ونادى أحد غلبته فقال بؤنه دارا وأحسن مهاده وزهه وآثره على خاصته قال
ففعل وأتت عنده عشرين ليلة أحضر غداه وعشاءه فلما أردت الانصراف والوالة الى أهلي أمر
لي بعشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومائة ناقه برقيقها وكسوتها وقال لي ان أرى يا عمارة ملائ
يديك غبطة قال فقلت يا سبحان الله يا أمير المؤمنين وانك ذا كرامتك قال نعم والله لا خير في لي يدرك
ما وعد به ونسي ما وعدكم لهذا الامر يا عمارة قلت والله لك آية بالامس ولده ربا أمير المؤمنين قال
فوقاته ما كان ذلك عن خبر سمعناه ولا حديث كتبناه ولا أثر رويناه غير اني عقلت في الحداثة أشياء
رجوت أن أرفع اليكم ادرجتي ونشرهم إذ كرى قلت وما هي يا أمير المؤمنين قال نعم كنت لا أشأري
ولا أماري ولا أهنك ستر استر الله دوني ولا أركب محرما حظه الله علي ولا حسدت ولا بغيت وكنت
من قوي بواسطة القلادة وكنت أكرم جلوسي وإن كان ذمعا وكنت أرفع قدر الاديب وأكرم ذا الثقة
وأدأري السفيه وأرحم الضعيف فبذلك رفع الله قدري يا عمارة جذا أهة السفر وامض راشدا
(وروي) أن امرأته ابن الحكم لم يول ابنه عبد العزيز مصر قال له حين ودعه انه يقال أرسل حكيم
ولا توصه فانتظر الى أهل عمك فان حل لهم قبلك حق غدوة فلا تؤخره عنهم الى العشي وإن حل لهم
عشية فلا تؤخره عنهم الى غد أعطهم حقوقهم عند محلها فنستوحب بذلك الطاعة وابلأني أن
يظهر لرعيك منك كذب فانهم ان جروا عليك الكذب لم يصدقوك في الحق ولا تخابن في القضاء
قريباً ولا بعيداً واقتض في ذلك بالحق واستشر جلساءك وأهل العلم فان لم يستن لهم فاكتب الى
يأنيك فيه رأيي ان شاء الله وإن كان لك غضب على أحسن رعيك فلا تؤاخذهم عند مودة الغضب
واحبس عنه عقوبتك اياه حتى يسكن غضبك ثم ليكن منك ما كان اليه وأنت ساكن الغضب
منطفي الحيرة فان أول من جعل الحبس كان حليماً إذ أنه ثم انتظر الى أهل الحسب والدين والمروءة
والعقول فليكونوا جلساءك وأهل دخلتك ثم اعرف منزلهم منك على غيرهم في غير استمرال منك
ولا انقباضاً فأقول هذا وأستطقت الله عليك (كان ازديش) يقول ما شئ أضرب على نفس ملك أو رئيس
أو زدي معرفة صحيحة من معاشرته مخيف أو مخالطة وضع لانه كما أن النفس فصل في مخالطة الشريف
الاديب الحبيب كذلك تقصد معاشرته الخسيس حتى يقدح ذلك فيها وينيلها عن فضيلتها وبينها
عن محمود شريف أخلاقها وكان الرجب اذا جرت بالطيب جلت طيبا تحي به النفوس وتقوى به

جوارحها كذلك اذا مرت بالثمن فحمله آلت النفوس فأضرت باخلاقها اضراراً تاماً والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البناء وقد يجتهد والمعرفة من نفسه عند معاينة السفل الوضع شهر فساد عقله دهر (قال بعض الحكماء) أوحش الاشياء من صار ذنباً وذنوب صار رأساً (وقال عمرو بن العاص) لان يموت مائة من الاشراف خير من أن يرتفع واحد من السفلة لان عرضها اذا ارتفع وضع الاشراف وخط الاقدار (قال الراوى)

من كان يرجو أن يرى * من ساقط أمراً سنيا
فلقد رجا أن يجتني * من عوسج رطباً جنباً

(روى أن معاوية) ركب يوماً مقلوباً في بعض أزقة دمشق وهو على بغلة تنقراه ومعه المغيرة بن شعبة فيبينهما كذلك اذ عرض له شخص من بعيد فلما نظرا اليه عدا نحوه فاذا هو معبد الجهمي فقال له معاوية ما الذى أقدمك يا معبد أراغب أم راهب فقال كل لم يأتنى ولكن آتيت وأرجع زاهدا فثنى معاوية عنان بغلته فقال له المغيرة ما ولدت قرشية قرشياً أضعف قلباً منك فقال بالمغيرة أيا أحب اليك أعلم عنهم ويجمعون الى أم أسفه عليهم ويتفرقون عني فقال بالمغيرة لا بل تعلم عليهم ويجمعون اليك فضرب معاوية يده على صدر نفسه ثم قال ما ولدت قرشياً قرشياً مثل هذا القلب (وروى) أنه لما ولّى الحسن بن عماره مظالم الكوفة أصبح الاعشى يقول ظالم ولّى المظالم فبلغ الحسن بن عماره قوله فوجه اليه بتقعة وثياب فلما أصبح الاعشى قال مثل هذا ولّى علينا نوكر كبيرنا ورحم صغيرنا ويعود على فقيرنا فقال له رجل من جلسائه يا أبا محمد ما هذا قولك يا لأمس قال حدثني خبيثة عن عبد الله بن مسعود قال جلت النفوس على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها (قال بعض الحكماء) من أراد أن تنقاد له القلوب بالطاعة ويسعد بقبول ما يأمر به وينهى عنه فليتول ذلك في نفسه فان قدر عليها ووقف بها حيث يحب من المحامد فليثق بسرعة نفاذ امره في غيره وقبول ما يراه يأمر به فان المذهب مطاع والعاجز عن مصلحته مخالف ولا يحظى بعظته (سأل) رجل عبد الملك بن مروان الخافه فأقبل على أصحابه فقال اذا شئتم فقاموا فلما خلّى المجلس وهى الرجل الكلام قال له عبد الملك على رسلنا يا لك أن تدجنى فانا أعلم بغشى منك أو تكذبى فانه لا رأى لك كذب أو تغتاب عندى أحدا قال فتأذنى فى الانصراف قال نعم (قال عبد الله بن العباس) قال لى أبى ان هذا الرجل يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يدينك ويستخلك دون الناس فاحفظ عني ثلاثاً لا تنفسين له سر ولا تفتن عنده أحدا ولا تطلعن منك على كذب (وفى كتاب العجم) أن بعض الملوكة استشار وزيراه فقال أحدهم لا ينبغي للملك أن يتشبه مناً أحدا الاخيلية فانه أصون للسر وأحرم للرأى وأجدر بالسلامة

وأعني لبعضنا من غائلة بعض فان افشاء السر الى واحد أو ثمن من افشائه الى اثنين وافشائه الى ثلاثة كلشائه الى العامة لان الواحد مني بما أفشى اليه والثاني يغلق عنده ذلك الرهن والثالث علاوة فاذا كان سر الرجل الى واحد كان أخرى أن لا يظهر مرغبة منه ورهبة وان كان عند اثنين دخلت الى الملك شبهة واتسعت على الرجلين المعاوز فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم برأبجناية مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له (قال الشاعر)

شاور سؤلك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات

فالعين تنظر منها مادنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمسرات

(قال الوليد بن غيبة) أسر الى معاوية حديثا فأنبت أي فقلت له ان أمير المؤمنين أسر الى حديثنا ولا أظنه كان يطوى عنك ما بسطه الى أفا خبرك به قال باني ان من كتم سرا كان اخباره ومن افشاء كان الخيار عليه فلا تسكن عما كابد ان كنت مالكا قال فقلت يا أبت ان هذا لا يدخل بين الرجل وانه قال لا باني ولكن أكره ان يتدلل لسانك باجداث السر فدخلت على معاوية فحدثته بما جرى بيني وبين أبي فقال ويحك يا وليد أعتقك أخى من الخطأ (قال الشاعر)

تحفظ من لسانك فهو عضو * أشد عليك من وقع اليان

فلا والله ملقى الارض شئ * أحق بطول سخن من لسان

(قال بعض الحكماء) يجب للوالي أن يعلم أن رأيه لا يتبع للأموركاها فليقرغ اللهم منها وليعلم أنه متى شغل نفسه بغير المهم أزرى بالمهم (وقالوا) يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور أحدها أن يستكفي الملك بالأحداث ومن لا خبره بالعواقب الثاني أن يقصد أهل مودته بالاذى الثالث أن ينقص خراجهم عن قدر مؤونة ملكه الرابع أن يكون تقريبه وتبعيده مظهر للراى الخامس استهانة بصاعم العقلاء وآراء ذوي الحنكة (وقالوا) رأس أعمال الملك أربعة أشياء حفظ المملكة وتحصين الديانة وإقامة المحسن وإصاف الظالم (قال بعض الحكماء) الدول تشب وتكهل وتغرق فاذا كان عاؤها أكثر مما يستحقه الملك فهي شابة تنذر بطول البقاء وان كان عاؤها بمقدار ما يحتاج اليه فهي كهلة وان كان عاؤها أقل مما يحتاج اليه فهي خرفقة متولية (نقل ابن سعيد في كتاب الزهرات) أن المقدوم من خلفاء بني العباس خلا يوما يطا سته فقال أنا كافي أول أمرنا لا شكر من حالنا ولا من حال الجند ولا حال الرعية شيأ ثم صرنا شكر حال الرعية والجند ثم صرنا لا ان شكر الاحوال الثلاث فليت كل كل بما عنده فاطرقوا الجماعة فقال ما لكم لا تتكلمون فقال علي بن عيسى بن الجراح أبدأ الله أمير المؤمنين ابن مثل هذا لا يقدر أحدم عبيدك أن يتكلم فيه الاخوة قال فليقدم من عنده جواب عن ذلك فقاموا فعد ابن عيسى ثم قال سيدنا لله الاراء العالسة

وأمد بها بالمعقبات الحافظة الكاثمة ان هذه الامور صلاحيها واختلاها من قبل الوزراء وهم ولاية التدبير والنظر في الجبايات فكان أول وزير نظرفي الاعمال أميناً في خاصتكم عادلاً في دعيتكم فلم ينكر مولانا من الاحوال الثلاث شيئاً الا أن أكله حسدوه على مكانته من السلطان وثناء الناس قنوصوا بكل سبب الى عزله فكان ذلك وولى الثاني فلم يكن له بدم من ستر المكان الذي أتى منها لأول فاشتغل بعداداة الخاصة وقبل الجهات واحتاج الى المصانعات فلم يكن له بدم من المسيل على الرعية وهي أول ما عدا اليه البد فنجبت به فلم يكن لك بدم من عزله وولى ثالث فاحتاج الى ستر المكانين وقد تشعبت الاحوال وتقلصت الاموال فلم يكن له بدم من النفي لما يحتاج اليه السلطان فعم الاختلال الاحوال الثلاث فاستحسن المقتدر ما أتى به وقال فابصلم ما اختل وقبل ما أدبر قال أن نولى من يقدم خوف الله فتأمن معه الرعية ثم يخافك فتأمنه فيما ينجيه اليك وفيما يخرجك عنك واذا خاف الله وخافك احتجت أن تسد له مكان الخوف من الناس بكثرة الاستدعاء والعمل بما أشار به وأن لا يجعل بينك وبينه واسطة فهذا سوفر الاموال ونصلح الاحوال وتبسط الايدي بالدعاء وتنكشف كف الشفاعات والجاهات فقال قد قلدناك ماوراء ما بنا واشترطنا لك ما شرطه لمن يتولى ذلك فيصلح الله على يديه فقبل يده وانصرف الى مكان الوزارة فكان أول مناطق به أن جعل الخرج أقل من الدخل وولى الكفاءة لا للغاية وبلغ من السياسة والامانة الى للغاية فصلحت الاحوال وتكاشف ما تقلص من الظلال وكان على بن بسام قد جهما لماتى الى مكة فلما ردت اليه الوزارة جلس يوماً للظالم فغرت به في جملة القصص رقعة مكتوب فيها

وإني ابن عيسى وكنت أحنقه * أشد شئ على أهونه
ما قدر الله ليس يدفعه * وما سواه فليس يمكنه
فقال على بن عيسى صدق هذا ابن بسام والله ما ناله منا مكروه أبداً

(الفصل الثاني في الاخبار التي تتعلق بدوى الهمم والرياسة)

(حدث) محمد بن عبد الاعلى بن هاشم القاضي قال كان الوزير سليمان بن وانوس من رجال جليلاد أديان من رؤساء البربر وكان أسيراً عند الأمير عبد الله بن محمد صاحب الاندلس من قومية فدخل عليه يوماً وكان عظيم اللجة فلما رأه مقبلاً جعل الأمير ينشد

معلوفة كأنها جوالق * نكراء لا بارك فيها الخالق

للتصل في حافاتها نقائق * فيها الباقي المتكا مرافق

- وفي احترام الضيف ظل رائق * ان الذي يحملها المائيق -

ثم قال له اجلس يا بري فجلس وقد غضب فقال له أيم الامير ان الناس يرغبون في هذه المنزلة
ليدفعوا عن أنفسهم الضيم وأما اذا صارت جالبة للذل فلنا دور تسعنا وتعيننا عنكم فان حلت علينا
وبيننا فلنا قبور تسعنا لا نقدر ون على ان نحولوا بيننا وبينها ثم وضع يديه في الارض وقام من
غير أن يلم ونهض الى منزله قال فغضب الامير وأمر بعزله عن الوزارة ورفع دسسه الذي كان يحمل
عليه وبقي كذلك مدة ثم ان الامير عبد الله وجد على نفسه لعقافه وأما ته ونصيحته وفضل رأيه
فقال للوزراء لقد وجدت لفقد سليمان تأثيرا وان أردت استرجاعه وتبرأ منا كان ذلك غضاضة علينا
ولوددت أن يبدأ بالارغبة فقال له الوزير أبو محمد بن الوليد بن حاتم ان أذنت لي في المسير اليه
استمضت الى هنا فأذن له فنهض ابن غانم الى دار ابن وانسوس وكانت رتبة الوزارة بالناس أيام بني
أمية أن لا يقوم الوزير الا لوزير مثله فانه كان يتلقاؤا ينزله معه على مرتبة ولا يحجمه ولا لحظة
فابطأ الاذن على ابن غانم حينئذ أن لا تدخل عليه فوجده قاعدا فلم يتزحزحه ولا قام اليه فقال له
ابن غانم ما هذا الكبير عهدي بك وأنت وزير السلطان وفي ابهة رضاه ستلقاني على قدم وتزحزح لي
عن مسد مجلسك وأنت الآن في موجدته بفسد ذلك فقال له نعم لاني كنت حينئذ عبدا أمثلك
وأنا اليوم حر قال فينس ابن غانم منه وخرج ولم يكلمه ورجع الى الامير فأخبره فأبدا الامير بالارسال
اليه وورده الى أفضل مما كان عليه (الحا) جاءت الخلافة هشام بن عبد الملك سجد من معه غير الارش
الكبي فقال هشام مالك لم تسجد بأبرش فقال مالي وللسجود يا أمير المؤمنين بينا أنت صاحب
اذ رفعت في السماء وتركتني قال فان ذهبتك معنا أو تفعل قال نعم قال فالآن طاب السجود
فسجد (قال احمد بن اسماعيل بن علي) كان أبي ومشايخ أهلي يجلسون مع أبي جعفر المنصور
وكان أحدا شايخا ومن دون ذلك وكان يتقدم من أمورنا ما كان يتقدم من أمور ولده حتى
يستقرئ أحدها ويسأله ما بلغ من القرآن فاذا أدرك المدرك مناخيره بين أن يسره وبين أن
يزجه ويتعاهدنا حتى يبعث بقا كهة الشام وخراسان وكنا نعلي بالعادة والعش فجلس في مجلسه
حتى يخرج الينا وانصرنا في مجلسه ذات يوم كهذا جلسنا تنتظر خروجه اذا فاض أبي وعمومتي
في استبطائه واستثثاره عليهم فأطنبوا في ذلك وكان الموكل بالباب سليم الاسود يرفع السترا اذا جاء
خاف من سليم غلته وجاء وهو يتسمع عليهم ففهم ما هم فيه وثب سليم ليرفع السترا فمسك يده
ومنعه من رفعه حتى استوعب جمعه جميع ما كانوا فيه فلما انقضى كلامهم أمر سليم برفع الستر
ودخل فقاموا له كحوما كانوا يفعلون فقال ما هذا انما ينبغي أن تقعوا هذا حضرة العمامة لتشددوا
بذلك سلطانكم فاما مجالس الخلوة فحسن فيها أخوة ثم أمرهم بالجلوس وأقبل عليهم وقال يا عمومتي
ويا اخوتي قد جمعت ما كنتم فيه وقولكنم استأثر علينا ولهمى لقد كان ذات وما استثناري عليكم

الالكهم ولتقع عندكم واشقأها من ذهاب سلطانكم وزوال أموالكم وانما بكي لكم رقة عليكم
فكأنى بالرجل منكم ومن أبناءكم أو من أبناءكم بين يدي الرجل من ولدى أو من ولداى
يتسب له فلا يعرفه حتى لعله أن يبلغ على بن عبد الله بن العباس قال فذهبوا ليتكلموا فقال
أقسمت عليكم لما كنتم أقيضوا بنا فى غير هذا الحديث فقطعهم أن يتكلموا وضرب الدهر ضرباته
ومات المنصور وولى المهدي و مات وولى الهادي ثم مات وولى الرشيد وخرج الرشيد الى الرقة وناثنا
جقوة وولم يمتى دين فخرجت اليه الى الرقة فكان أول ما لقيت موكبا عظيما فقلت ما هذا فقيل لى
هذان وليا العهد الامين والمأمون فترجلت وسلمت عليهما فقلنا أنت فقلت أجد بن اسماعيل بن
على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وبكيت فانتمى الخبر من ساعته الى الرشيد فلم أصل الى
منزلى حتى لقيت رسوله يدعونى فلما دخلت عليه قال لى لم بكيت قلت يا أمير المؤمنين كان من القصة
كبت وكبت وسقت اليه خبر المنصور فبكيت اذ كنت أنا المبتلى بذلك دون من حضره فقال هما
ابنا أخيك وهى عورة فسرهما ولا تسل عن نسبك بعد اليوم ما أقدمك قلت دين لزمى قال لوكم هو
قلت عشرون ألف دينار فقال يا غلام أصلها اليه الساعة واجعل معها خمسة آلاف دينار لحفظه
الحديث عن المنصور هل من حاجة لك غير ذلك قلت أودع أمير المؤمنين وانصرفت (ركب)
جلال الدولة يوما الى الصيد على عادته فلقيه سوارى يبكي فقال له مالك فقال لقيت ثلاثة غلمان
أخذوا الى جبل بطيخ كان معى هو بضاعتى فقال أنص الى العسكر فهناك قبة جرافة فعد عندها
ولا ترجع الى آخر النهار فانا أخرج وأعطيك ما يغنيك فلما كانا السلطان قال لنا شبه انى قد اشتبهت
بطيخا ففتش العسكر وفتش الخيام على شئ منه وأخذنا بطيخ فقال عند من وجدته قيل له
فى خيمة فلان الحاجب فقال أحضروه فلما حضر قال له من أين هذا البطيخ فقال ان الغلمان
جاؤا به فقال أريد هم الساعة فاحسوا بالشر فهربوا خوفا من أن يقتلهم فقال أحضروا السوارى
فاحضر فقال له هذا هو بطيخك الذى أخذ منك قال نعم فقال خذوه هذا الحاجب مملوك لى وقد
سلمته اليك ووهبته لثايت لى يحضر الذين أخذوا البطيخ منك والله لئن خليت لاضر بن عنقك
فاخذ السوارى بيد الحاجب وخرج فاشتري الحاجب نفسه منه بثلاثمائة دينار فعاد السوارى
الى السلطان وقال يا مولاي قد نعت المملوك الذى وهبته لى بثلاثمائة دينار قال ورضيت بذلك
قال نعم قال اقبضها وامض بالسلامة (لما) ولى معاوية عمرا مصر احتبس فى بعض الأعوام
خراجها عن معاوية فعزم على عزله عنها وأراد استعمال أبى الاعور السلى عليها وكب الى عمرو
بالتسام فلما بلغ عمرا الخبر أحضر وردان غلامه فقال له ان أمير المؤمنين قد عزلنا واستعمل أبى
الاعور فهل عندك من حيلة قال نعم اذا قدم عليك فأصنع له طعاما ولا تنظره لى كتاب حتى يأكل

ودعنا نستعمل عليه الحيلة فلما قدم أبو الأعور على عمرو قال له هذا كتاب أمير المؤمنين قال عمرو لو
 جئتنا بغير كتاب لصدقنا معك قال انظر في الكتاب قال ما أنا بطرالف فيه حتى تأكل قال فدعا
 عمرو بالطعام ووضع أبو الأعور كتابه وعهده الى ناحية وأقبل على الطعام يأكل فجاء وردان فسرقت
 الكتاب والعهد فلما فرغ أبو الأعور من طعامه أقبل يطلب الكتاب فقال له انعلجتنا زائرا
 فحسن جائزتك فاضطرب من ذلك أبو الأعور ثم صار الى أن قبل الجائزة وبلغ ذلك معاوية فغضب
 حتى استلقى وأقرعرا على ما كان عليه من ولاية مصر (حكى) بكر بن عبد الله المزني أن رجلا
 كان يقف على رأس بعض الملوك ويقول أحسن الى الحسن يا حسنة والمسي سيكفيكم مساعيه
 وكان الملك يحسن اليه فحسد رجل من أصحابه على ما به ونهى أن يكون مكانه في مقامه فبقي
 عليه الى الملك أشد البغى وسعى في حقه أبلغ السعى حتى تغير عليه الملك وكان لا يكتب بخط يده
 الا في صلة أو جائزة فكتب بخط يده الى بعض عماله لشدة حقه اذا وصلك كتابي هذا فاذا رجع حامله
 واسلمه واحش جلده تبنا وابعث به الى ودفعه الى ذلك الشئ على رأسه فأخذه وخرج به فلقبه
 السعي عليه فقال له ما هذا قال خط يد الملك الى عامله فلان فقال له لي بفضلك واحبني به فاني
 محتاج اليه وأنت غني عنه فرقه ودفعه اليه فأخذه وذهب به فرحله سرورا فلما رآه العامل
 قال أتخرف ما في كتابك قال صلة الأمير المعروفة من خط يده قال بل أمرني فيه أن أدبحك وأحشو
 جلدي تبنا وأرسل به اليه فقال له اني الله في دمي فان الكتاب لم يكن لي فراجع الملك في أمرى
 قال ليس لكتاب الملك مراجعة الا انفاذ امره لاسيما اذا كان بخط يده وأمر بانفاذ ما في الكتاب
 قال واما ذلك الرجل على عادته وقام على رأس الملك وجعل يقول أحسن الى الحسن يا حسنة
 والمسي سيكفيكم مساعيه فلما رأى الملك قال ما فعل الكتاب الذي كتبته لك بخط يدي قال له
 لقيني فلان فاستوهمه منى فوهبته قال له الملك انه ذكرني عنك أمر كنا وسعى عليك بوجه
 كذا فافوض الرجل براءة عما نسب اليه وبين حجة في تكذيب سعيه عليه حتى تبين له أمره وظهر
 عنده صدقه وبني عجلدا لباغي محشواتنا فقال له الملك صدقت وصدقت موعدتك قم كما كنت
 تقوم وقل كما كنت تقول (قال الاصمعي) تطاول رجل من قريش على رجل من اخلاط الناس
 عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل القرشي يقول أنا من معتب البجاح وأنا وأنا فغاض ذلك عمر
 فقال له ما هذا ان كان لك عقل فلك حبيب وان كان لك خلق فلك شرف وان كان لك تقوى فلك
 كرم والافلست خيرا من أحد وذلك الجار خير منك ثم قال عمران أحبكما ليئا قبل ان تراكم
 أحسنكما احبنا فاذا رأيناكم فأحسنكم محبنا فاذا تكلمتم فأنصتكم منطلقا فاذا اختبرناكم
 فأحببناكم عملا أحببنا وشركم عملا بغض الينا سرائركم ينكمرون بين ربكم (قال اليا س بن
 (٥) القطع المنقبة (جزء ثالث)

معاوية (خرجت في سفر ومع رجل من الاعراب فلما كان في بعض المناهل لقبه ابن عمه فتعابها
والى جانبها شيخ من الخي فقال لهما الشيخ انما عيشنا ان المعاتبة تبعث التجني والتجني يبعث
الخاصة والخاصة تبعث العداوة ولاخبر في شئ ثم ربه العداوة فقلت للشيخ من أنت فقال أنا ابن
تجربة الدهر فقلت ما أفادك الدهر قال العلم به قلت فاه أجد قال ان يعني المرء أحد وثمة حسنة بعده
(روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) قدم الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه على حمار فلتقاها معاوية في مركب له رده فافوز عمر حتى أخبر فرجع اليه فلما قرب منه نزل
فأعرض عنه عمر وتر كعشي فقال له عبد الرحمن أنعت الرجل يا أمير المؤمنين فأقبل على معاوية
فقال له أنت صاحب المركب أتفاع ما بلغني من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين
قال ولم ذلك قال لأننا في بلاد لا تنفع فيها من حواسيس العدو ولا بد لهم ما يربهم من هيبته
السلطان فان أمرني بذلك أقت عليه وان نمتني انتهيت فقال يا معاوية ما عانتك في شئ يبلغني
عني الا تر كني منه في أضيق من رواجب الضرر فان كان الذي قلت حقاً فرأى أريب وان
كان باطلا فخذعة أديب ولست أحرك به ولا نملك عنه فقال عبد الرحمن يا أمير المؤمنين لحسن
ما صدر هذا عأوردته فيه فقال عمر لحسن موارده ومصادره جسمناه ما جسمناه (حكى) أنه شكا
أهل بعض الاقطار الى المأمون واليا كان عليهم فقال لهم كذبتم فقد صبح عندي عدله فيكم
واحسانه اليكم فاستحيوا أن يردوا عليه قوله فقال له شيخ منهم يا أمير المؤمنين قد عدل فينا خاصة
أعوام فأجبه في قطر غيره حتى يسع عدله جميع رعيتك وترج الدعاء الحسن فتعجك المأمون
واسمى منهم ومرفعه عنهم (وقب) شقيق بن سليلك على الخجاج فقال أصلي الله الأمير أعرني سمعك
واغضض عني بصرك واكفف عني شرك وان سمعت خطأ أوزلا ذنوبك والعقوبة قال هات
قال عصي عاص من عرس المشيرة فخلق على اسمي وهدم منزلي وحرمت عطائي فقال الخجاج
أما سمعت قول الشاعر

جانيك من يجني عايك وقد * تعدى الصلاح مبارك الحرب
فلرب مأخوذ بذب عسيرة * ونجاً المقاروف صاحب الذنب

قال أصلي الله الأمير سمعت الله عز وجل يقول غير ذلك قال وما سمعته يقول قال قال الله العظيم
يا أيها العزيز انه أنا شيخنا كبيرا فخذنا أحدنا مكانه اناراك من المحسنين قال معاذ الله أن تأخذ
الامن وجدنا متاعنا عنده أنا اذا لظالمون فقال الخجاج على يزيد بن مسلم قتل بين يديه فقال له اطلق
لهذا عن اسمه واصلي له بعطائه وابن له منزله وأمر مناديا ينادى صدق الله وكذب الشاعر
(عاد) العلي بن أيوب صديق له فرأى عله وخله فأشرا الى وكيله فقال اذهب وحنى بخمس مائة درهم

مخنومة في قرطاس فذهب وجاء بها ووضعها بين يديه فدفعها الى العليل وقال له هذا دواؤك فاستعمله ونمض ففتحها العليل عن منية النقي وغير ما كان من حاله فلما كان الاسبوع عاده ثانيا فآتمته اثلا نشيطا فقال كيف وجدت الدواء قال يا سيدي وجدتة نافعا لعلتي وحالي قال أتريد زيادة قال نعم يا مولاي فقال للوكيل اذهب وبحثنا بمثل ذلك الدواء فذهب وجاء بخمسمائة أخرى فأنشط العليل من عقال العلة وقال هذه اعادتها لاعياده (وكان) لمرو بن سعيد صديق ينقطع اليه فرأى يوما ثوبه الذي يلي بدنه من تحت جعبته فيه أثر بلي فلما انصرف من عنده وجه اليه بقت من ثياب وصرت من دنائير فأخذها الرجل وكتب اليه

سأشكر عرا ان تراخت مني * أباي لم تمنن وان هي جلت

فتي غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

رأى خلقى من حيث يخفى مكانها * فكأنت قدى عينيه حتى تجلت

(حكى) أن ملأ مرض الشافعي رضي الله عنه مرضه الذي مات منه قال لقومه اذا أنا مت فقولوا لقفلان يغسلني فلما توفي وبلغه الخبر قال اتوني بتذكرته في مهابي اليه فوجد فيها على الشافعي سبعون ألف درهم دين القفلان وقفلان فكتبها الرجل على نفسه وقال هذا هو الغسل الذي أُراده (مر الشافعي) بسوق الحداد بن عصف فسقط قوسه من يده فقام رجل من دكانه فأخذه ومسحه بكمه وناولها إياه فقال الشافعي رضي الله عنه لعلامة كم معك قال سبعة دنائير فقال له ادفعها اليه (خرج) سعيد بن العاص يوما من عيادته رضي فرأى شاب من قريش عشي وحده فأساءه حتى بلغ باب داره فلما انتهى الى الباب الدار التفت اليه فقال له أأنت حاجة قال مالي حاجة ولكن رأيتك عشي وحده فأحببت أن أصل جناحك فقال بارك الله فيك مكانك ثم دخل الى منزله فأخرج اليه بدرة فيها عشرة آلاف درهم فدفعها اليه (عمر بن زيد) بن المهلب بأعرانية عقب خروجه من بين عرين عبد العزيز يريد البصرة ففرقه عنزاً فقبلها وقال لانه مغاوية مامعك من النفقة قال عتافاً فدينار فقال ادفعها اليها فقال لانه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذا يرضيها اليسير وهي بعد لا تعرفك قال فان كنت ترضى باليسير فانا لارضى الا بالكثير وان كنت لا تعرفني فانا أعرف بنفسى ادفعها اليها (حكى) أن رجلاً أتى على ابن سليمان فقال بالذي أسبغ عليك هذه النعم من غير شفع كان لك اليه الا تفضلا منه عليك الا أنصقي من خصمي وأخذت في الحق منه فانه ظالم غشوم لا يستحي من كبير ولا يثقت الى صغير فقال له أعلمني من هو فان لم يصفك والا أخذت الذي فيه عيناه من هو قال الفقير فأطرق الى الارض مليا نيكت الارض بأصبعه ثم رفع رأسه فأمر له بعشرة الاف دينار فأخذها ومضى فلما سار خارجاً لجنه قال ردوه فلما مل

بين يديه قال إذا الرجل سألتك بالله متى أتاك خصمك منعسًا أو الأنت الينا فيه منتظما
(قدم) اعرأى على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لي اليك حاجة يمنعني الحياء
أن أذكرها لك فقال له يا اعرأى خطها في الأرض فخط فيها إلى فقير فقال علي لغلام مقبرا كسه
حالة فكساء الحلة فأتى اعرأى يقول

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من قول الثنا حلالا

أذنلت حسن شاة نلت مكرمة * ولست تبغى بما قد نلت به بدلا

إن الثناء يجي ذكر صاحبه * كالغيث يجي نداء السهل والجبال

لا ترهنا له في عرف بدأت به * كل امرء سوف يجزي بالذي فعلا

فقال علي لغلامه أعطه مائة دينار فأعطاه إياها فلما لوى اعرأى قال فقير يا أمير المؤمنين لو فرقتها
في المسلمين لأصلحتهم ما من شأنها فقال له علي مه يا فقير لا تفعل أعطني معي لست أنساها معاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تشكروا لمن أتى عليكم وإذا أتاكم كرم قوم فأكرموا
(قال اعرأى) لداود بن يزيد المهلباني أتى لم آمن وجهي عن مسألتك فصن وجهك عن ردي وضعف
من كرمك حيث وضعت نفسي من الثقة بك فأمره بعشرة آلاف درهم وقال له هي أكبر من قدرك
فقال له اعرأى لئن جاوزت قدري لم يبلغت أمل فيك (سأل) رجل أسد بن عبد الله فاعتل عليه
فقال له ما سألتك إلا عن غير حاجة قال ولم قال لا يرى أيتك تحب من لك عند معروف فأردت أن
أتعلق بجبل وقد منك فأعطاه (وأتى) ابن السماعة رجل فقال أتى قد أتيتك في حاجة واعلم أن الطالب
والمطلوب ليسا عزيران إن قضيت وذلilan إن لم تقض فأخترت نفسك عزلا بدل علي ذل المنع
واختل علي عز الجميع على ذل المنع فقضى حاجته (قال) محمد بن واسع لقنتية بن مسلم أتى أيتك في
حاجة رفعتها إلى الله فقلت فإن يأذن الله فيها قضيتها وجدناك وإن لم يأذن الله فيها لم نقضها وعذرناك
(وقال) فيض بن اسماعيل كنت عند الفضل بن عياض إذ دخل رجل فسأله حاجة فأخ في السؤال
عليه فقلت لا تؤذن الشيخ فقال له الفضل اسكت يا فيض أما علمت أن حوائج الناس اليكم
نعمت من الله عليكم فأحذروا وأن غلوا النعم فتصور نقبا ألا تحمد ربك أن جعلك موضع تأسل
ولم يجعلك موضع تسأل (وقد) قوم من قريش على معاوية فقالوا السلام عليكم يا معاوية
ففسط لهم وجهه ولأن قوله فطلبوا الموادة فقال يا أبا جهم قريش ما لكم أنتم من مكان بعيد
ثم فجعلوا بين السلام والموادة حاجة تطلبونها فقالوا والله يا أمير المؤمنين ما أئتنا إلا ما فخرين
يا حسينا مباين لك بزجانا متعززين عليك نسيبونا طالين من مال غير راضين باليسير
من فوائك ولكنك بسطت لنا الوجه وأنتنا المقاتل فاستغفينا بذلك عن طلب المال فقال إذا أوتاه

لأجمعين لكم بين الحسينين ولا صرفكم بما يقدمون تخلف عنكم (كان) للقاضي أحمد ابن أبي داود شخص يختص به ويسعى في قضاء حوائجه فمعه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات من الترداد اليه لمنافسة يهوى بين القاضي المذكور وشيخنا فبلغ ذلك القاضي فجاءه إلى الوزير فقال له والله ما جئتكم متكثرًا بل من قلة ولا متعزًا من ذلة ولكن أمير المؤمنين ربك رتبة أوجبت لقضاءك فان اقمنا لك فله وان تأخرنا عنك فلك ثم نهض من عنده (قال بن سعيد) كان أحدًا لمعارفة الادباء يتردد إلى جمال الدين بن مطروح بالقاهرة وله حينئذ صيد وتمكن من الدولة الصالحية فذهب كبير وكتبه من التشدد والنظم والامثال كثيرا فبأظفره لانه قبول على جميع ما كتب به اليه وشكى إلى ذلك فقلت له اكتب له يقول ابن اللبابة

جمالك ألبس الدنيا جمالا * ومد على مناكبها طلالا

أطل نظرة السيادة في حديثي * فان الرزق حيث قيل مالا

قال فوالله ما وقع عليهما حتى بسط وجهه ونظر في قصته ونظر منه جملة ما فات من القول والالفاظ (كان محمد بن الحسن الشيباني) قد بلغ عند الرشيد مبلغا جليلا وكان اماما لحنفية في زمانه واحتاج الامام الشافعي إلى مشاركته فكتب له

لست أدري ماذا أقول ولكن * أتبتني من عرض جاهك نفعا

والفقي ان أراد نفع أخيه * فهو أدري في أمره كيف يسعي

فاعتني به حتى صدر إلى مصر بطيسته (لما) مات عمرو بن مسعدة رفعت إلى الامور رفعة أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم فوقع في ظهرها هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمتنا فيارث الله لولده فيما خلف وأحسن لهم النظر فيما ترك (لما) استشعر الاسكندر الوفا كتب إلى أمه يقدم عندها مقدمات التصبر عن مصابه بمواظدة كراهي كلبه ثم قال لها يا أمه اذا أنامت فاصنعى طعاما حسنا كاملا وشرابا لذيا حلوا وأحضري له كافة الناس واعهدي إليه أن لا يحضره من نائبة من الدهر نائبة ولا من أصابته من الزمان مصيبة ليكون ما تم الاسكندر خلافا عن ما تم العامة ويكون لك في ذلك الذكر والصيت فلما مات امتثلت ذلك واختلفت في الطعام والشراب ودعت الناس إليه وعهدت اليهم بما أمرها فلم يأتها أحد فقالت ما بال الناس مع تقدمنا إليهم قد تخلفوا عنا فقيل لها احترت أن لا يحضره من أصابته مصيبة وكل الناس أصابته المصائب فبأنهم التواب فقالت بالاسكندر ما أشبه وأخر لبأ وأثقلت أردت والله أن تعزني عنك التعزى بالكاملة (قال شرح القاضي) اني لاصاب بالمصيبة فاجدا لله عليها باربعة وجوه أجد اذ لم تكن أعظم

مما هي وأجده أذرق في الصبر عليها وأجده أذوق في الاسترجاع على ما أرجو فيها الثواب وأجده
أذل يجعلها في ديني (قال الشاعر)

الحمد لله رب العالمين كما * يحبه الملك الأعلى ويختار

هو الحميد الذي جلت محامده * فليس يبلغ منها الدهر معشار

تنفي عليه بما أوتي ونشكره * كم نعمة منه والانسان كفار

(وروي في بعض الاخبار) أن امرأته من الاعراب وقفت على جماعة فقال لهم ما الكرم يرجمكم الله
قالوا بئله المعروف والاشعار على النفس قالت هذا في الدنيا فما هو في الدين قالوا طاعة الله
سجانه وتعالى وبئله المجهود في عبادته واجتناب محارمه والوقوف عند حدوده طيبة بذلك نفوسنا
قالت أقرب يدون بذلك جراء قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالجنة عشر أمثالها قالت
سبحان الله فإذا أعطيت واحدة وأخذت عشرة فابن الكرم قالوا فله هو رجمك الله قالت هو أن
تعبد الله حق عبادته لا يراد على ذلك جزاء حتى يفعل بكم مولاكم ما يشاء ألا تستحيون من الله
أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشئ (دخل) المهدي الكعبة ومعه منصور
الجبلي من حجة البيت فقال ما حاجتك قال في أسألك في بيته غيره فلما خرج أمره
بعشرة آلاف دينار (قال) خالد بن صفوان لا تطلبوا الخواص في غير حينها ولا تطلبوها إلى غير أهلها
ولا تطلبوا ما لم يستم له بأهل فكونوا بالمتع خلفاء (وقال خالد بن صفوان) شهدت عمرو بن عبيد
ورجل يشبهه فمات منه شيئاً فلما فرغ قال له عمرو أجزاك الله على ما ذكرت من صواب وغفر لك
ما ذكرت من خطأ فما حسنت أحد أجسدي عمراً على هتين الكلمتين (وشتم) رجل الشعبي
فقال له ان كنت صادقا ليغفر الله لي وان كنت كذبا ليغفر الله لك (وشتم) رجل أبا ذر فقال له يا هذا
لا تستغرق في شتمنا ودع الصلح موضعا فانا لا تكفي من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه
(وروي) أن علي بن الحسين رضي الله عنهما كان يوماً خارجا من المسجد فلقبه رجل فسيبه فثار
عليه العبيد والموالي فقال علي بن الحسين مهلا على الرجل ثم أقبل عليه فقال له ما سترتك من
أمرنا أكثر لك حاجة فغضب عليها فاستحي الرجل ورجع إلى نفسه قال فالتقى عليه ثوبا كان عليه
وأمره بالقدوم قال فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد أنك من أولاد الرسل (ومر المسبح
ابن مريم) بقوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقبل له أنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا
فقال كل واحد ينطق بما عنده (وفي سيرة العجم) أن رجلا وثني رجم إلى الاسكندر فقال أتجب
أن أقبل منك عليه وتقبل منه عليك قال لا قال فكيف عن الشر فكيف عنك الشر (قال الصلت
ابن سعيد) كنا عند سفيان بن عيينة فخبير بنا وقال أليس من الشقاء أن أجالس التابعين ثم أجالسكم

جالست ضمرة بن عبيد الخدرى وعبد الله بن دينار وجابر بن عبد الله وعبد جماعة فقال له صبي
 في المجلس لم يكن في الجماعة أصغر منه سنا أنصغوا يا أبا محمد قال نعم قال والله لشقاء التابعين بما يستهم
 بالك بعد ما يستهم الصحابة أشد من شقائق بحال السك إياها بعد التابعين فأكبت ابن عينة ثم قال
 للصبي يوشك أن تكون لك حال وكان الصبي يحيى بن أكرم (وذكر) أن البراء بن المقدر قرأ على مؤدبه
 ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا فقال له يا أستاذ ما الورد فقال له المؤدب لا أدري فقرا لا يمكنكون
 الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا فقال له يا أستاذ ما العهد فقال المؤدب لا أدري فأتى البراء
 القراءة وقال إذا كنت لا تدري فلم غررت بالناس فضربه المؤدب فقال البراء ما أستاذ ألم يكفلك الجهل
 حتى أضفت إليه العلم والأذى فاستعمله المؤدب وتاب إلى الله من التأديب وأقبل على طلب العلم
 (أكبر رجل) من بني مرة على مالك بن اسحاق يحدثه في يوم صيف ويغفو ويثقل عليه ثم قال
 أندرى من قتلنا منكم في الجاهلية قال لا ولكن أعرف من قتلتم من أئمة الإسلام قال ومن هم
 قال أنا قتلتنى اليوم بدون حديثك وكثرة فضولك (قال الربيع) حاجب المنصور استوت
 الخلاف لا يـ جعفر المنصور قال لى بأربع بعث إلى جعفر بن محمد قال فقتل بين يديه فقلت أى بلية
 يريد أن يفعل به وإن همته أن أفعل ثم أتته بعد ساعة فقال ألم أقل للتابعين إلى جعفر بن محمد
 فوالله لتأتينى به ولا تقتله مشرقه قال فذهبت إليه فقلت يا عبيد الله أجب أمير المؤمنين فقام معى
 فلباد فوامن الباب فام فرك شقيقه ثم دخل فلم يرد عليه السلام ووقف فلم يجلس ثم رفع
 رأسه إليه فقال يا جعفر أنت الذى أليت وكثرت وحدثنى أبى عن أبيه عن جده أن أتيت صلى الله
 عليه وسلم قال ينصب للقادر لوام يوم القيامة يعرف به قال جعفر بن محمد حدثنى أبى عن أبيه عن
 جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة من بطنان العرش ألا فليقيم من كان
 أجرو على الله فلا قوم من عباد الله إلا المتفاضون فإزال يقول حتى يمكن ما به ولأنه فقال اجلس
 يا عبيد الله ارفع يا عبيد الله ثم دعا برقص غالية فجعل يقبله يده والغالية تقطرم من بين أنامل
 أمير المؤمنين ثم قال انصرف يا عبيد الله في حفظ الله وقال لى بأربع أسمع يا عبيد الله حائزته
 وأضعفها قال فخرجت فقلت يا عبيد الله شهدت ما لم تشهد وسمعت ما لم تسمع وقد دخلت
 ورأيت فحرك شقيقك عند دخولك إليه شئ تأثر عن آبائك الصالحين قال لا بل حدثنى أبى
 عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أحرزته أمر دعاه هذا الدعاء وكان يقول
 هودعا المقرج (اللهم) احرسنى بعينك التى لا تنام واكفنى بركبك الذى لا يرام واحفظنى بعزك
 الذى لا يضام وكلا فى الليل والنهار وارحمنى بقدرتك على أنت تفتى ورجأتى فكتم من نعمة
 أنعمت بها على قل لله يا شكري وكلم من بلية بتليني بها قل لله يا صبرى وكلم خطيئة ركبها

فلم تغضبي فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ويا من قل عند بلائه صبرى فلم يحذلنى
ويا من رأتى على الخطايا فلم يعاقبنى يا ذا المعروف الذى لا ينقضى أبدا ويا ذا الابدائى الذى لا تنقضى
عددا ويا ذا الوجه الذى لا يلبى أبدا ويا ذا النور الذى لا يطفأ أسرمدنا أسألك أن تصلى على محمد
وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترجت على ابراهيم وأن تكفى شريكى شريك أدرا فى فخره
وأعوذ بك من شره وأستعينك عليه اللهم أعنى على دينى بدمائى وعلى آخرتى بالتقوى واحتفظنى
فيمالغبت عنه ولا تكن الى نفسى فيما حضرته يا من لا تنصر الذنوب ولا تنقص المغفرة اغفر لى
ما لا يضرك وهب لى ما لا ينقصك يا الهى أسألك فرجا قريبا وصبرا جيلا وأسألك العافية من كل
بلية وأسألك الشكر على العافية وأسألك دوام العافية وأسألك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم اللهم بك أستدفع مكروها ما أتافيه وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين
(ويروى عن الشافعى) رضى الله عنه أنه وجهه اليه بعض الخلفاء (أراه) بأجعفر المنصور (فى الليل
ليقتله وهو قد اشتد غضبا عليه وحققا فلما وصل اليه الرسول قال أجب أمير المؤمنين قال وما
 حاجته الى فى خوف الليل فقال لا أعرف لكنى أمرت أن أتى بك فاستشعر النسر وخرج مع
الرسول فلما انتهى الى باب القصر استأذن الرسول فأمر أبو جعفر بإدخاله فتوقف ساعة وحرك
شفتيه ثم دخل فقام المنصور اليه وأخذ يديه وأجلسه وجعل يعتذر اليه من التوجيه وراه
فى مثل ذلك الوقت ثم عطف على الرسول وقال له لعل روعته فقال له لا ثم أمر الشافعى بالانصراف
وأمر له بجمال كثير قال الرسول فمجيبت بما رأيت وعلت أن الذى نجا ما حرك به شفتيه فتبعه
الرسول وقال له بالذى استغفرك وأجاب دعاءك الا ما أعلتنى بالذى حركت به شفتيك حين أمرت
بالدخول حتى أنزلت على المقام الذى رأيت قال نعم وكرامة وأنا أهدى ذلك اليك (اللهم) انى أعوذ
بنور قدسك وعظمة كمالك وبركته جلالك من كل آفة وعاهة ومن طوارق الليل والنهار ومن
طوارق الانس والجان الا طارق يطرق بخير يا الله يا رحن (اللهم) أنت عيادى فبك أعوذ وأنت
ملاذئ فبك ألوذ يا من قلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقابيد الفراغة أعوذ بجلال وجهك
وكرم جلالك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكرك والاضراب عن شكرك أنا فى كنفك فى ليلى
ونهارى ونومى وقرارى وطعمى واسفارى فأجعل ذكرك شعارى وشانك دمارى لاله الا انت
تزيه الالهك وتكرى السجات وجهك أجزى من خزيك ومن شر عبادك واضرب على سرادقات
حفظك وفى سينات عذابك وأدخلنى فى حفظ عنايتك يا أرحم الراحمين فانك على كل شئ قدير
وأنت حسبى ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الرسل من الملائكة والنبيين
وعلى جميع الصالحين والتائبين لهم يا احسان الى يوم الدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(كان مالك بن أنس رضي الله عنه بنت يحفظ كتاب الموطأ) فكانت تنقب خلف الباب فإذا قرئ على مالك وغلط القارئ فقرت الباب فيعلم غلظه وكان له ابن اسمه محمد يحيى وأبوه مالك يحدث وعلى يده باسقى فيلتفت مالك للحاضرين فيقول أما إن الأدب أدب الله هذا أبي كاترون وهذا بقي كاترون (قال ابن سعيد في كتاب الزهرات) نقلت من كتاب البيهقي الموسوم بالجمام بالكتاب أولى ما حفظه الرؤساء الكرام من الأشعار أمثالهم وأولى ما حفظ من ذلك أشعار أبي دلف البجلي لأن أقواله في المطابق أفعاله مع حلاوة منزعه وعذوبة مشرعه وأولى ما حفظ من شعره في ذلك قوله

إذا جادت الدنيا عليك فليها * وبادر بها من قبل أن تنفلت
فلا الجود ينفها إذا هي أقبلت * ولا الجمل يبقها إذا هي ولت

(قال بعض الشعراء)

لا تخلق بذنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التنبير والسرف
وان نوات فأحرى أن تجوبها * فالجد منها إذا ما أدبرت خلف

(وقال آخر)

ثناء القتي يمسق ويبقى نراؤه * فلا تكتسب بالمال شيأ سوى الذكر
فقد أبلت الأيام كعبا وحاميا * وذكرهما غض جديد إلى الخمر

(قال ابن سعيد) حكى لي صاحب كمال الدين بن العديم أن القاضي بهاء الدين بن شداد قاضي حلب الذي بلغ عند صلاح الدين وابنه الظاهر ما لم يبلغه أحد من نظرائه مرض بجلب قال فبشيت في جماعة من الشبان المبتدئين في القراءة والتهجور إلى عيادته فعند ما دخلنا عليه قام لنا فجلسنا فحلف أن لا يفعل فقال يا سبحان الله تفكرون في مرضي وتسمون مني أما كنسكم إلى منزلي ثم أجلس عليكم بقومة هذا والله غير طريق المروعة ثم قال يا أولادي لقد دخلت على كبير وأنا في سنكم فلم يحتفل بي فالي الآن ما أذكر ذلكم إلا أسأت ذكره ونمت على وصولي إليه ولا يجنب المعائب إلا أهل التجارب قال وكنت أتردد إلى مجلس كمال الدين بن بغور وهو نائب السلطنة بالشام وكان يقوم لي كلما دخلت عليه فدخلت يوما فإذا به مضطجع فلم يقم وأخذ قفيا كان يأخذه فلما دخلت عليه في اليوم التالي قام ثم جلس ثم قام ثم جلس وقال هذه الأخيرة تقوم أمس كانت على دنيا لعذر تفضل بقبوله دون مطالبة بذكره فتعجبت من فضله وقلت ما سار لهذا الرجل ما سار في الآفاق من باطل (قال برز بن أبي حبيب) خرجت إلى الصيد فبينما أنا يوم أأدور على شاطئ النيل إذا أنا بأرهاب في الماء وهو يغسل عباءة بالطين والماء فوقفت أنظر إليه فظنرت أني أظنك ممن يطلب الأحاديث قال قلت لأجل فقال اصبر حتى أفرغ من شأني وأحدنك حديثا نتجده

(٦) القطع انتخابه (بخة ثالث)

عندنا فانتظرنه حتى فرغ ثم جاء فلس فقال يا هذا إنما جئني بحلما مثلاً إن الحق والباطل اصطفا
في سفر خشب إلى الليل فلما تراءى قال الباطل للحق اذهب فأنت بشئ فطر عليه قال فذهب الحق
فطلب فلم يجد شيئاً من حله فرجع فقال له الباطل ما صنعت قال لم تجد شيئاً من حله فقال الباطل
اجلس حتى أتيتك قال فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء بشئ فقال للحق كل فقال ما أراء من حله
ولست بأكله فقال له الباطل بعثتك لتأتني بشئ فلم تجد شيئاً فلما ذهبت أنا وحثت بما فطر
عليه حرمتي على فنازعه فوثب الباطل على الحق فقتله ثم قال إن أهل الحق قد عملوا أنه خرج معي
ولا بد أنهم أن يطلبوني به فعد إلى حطب فجمعه ثم أضرم عليه النار حتى صار رماداً ثم ذهب وتركه
بقائه أهل الحق فقالوا ما فعل الحق فقال لا علم لي به فقالوا معك خرج فقال نعم ولا أدري ما فعل
فخرج أهل الحق يطلبونه حتى وقفوا على الموقع الذي أحرقه فيه الباطل فقال هذا رماد الحق وهذا
موضع ناره حيث أحرقه الباطل فجمعوا رماده وصنعوا مداداً يكتبون به فهذا ما بقي من الحق
فاما الحق بعينه فقد ذهب (ومن المنقول) في مقالات الإدياء دخل رجل على سلم بن قتيبة الباهلي
فكلمه في حاجة ووضع فصل سيفه على أصبع سلم بن قتيبة وجعل يكلمه في حاجته وقد أدمى
أصبعه وسلم صابر فلما فرغ الرجل من حاجته وانصرف دعا سلم بن قتيبة فحس الدم من أصبعه
وعسله فقيل له ألا تخيت رجلاً أصطك الله أو أمرته برفع سيفه عنها فقال خشيت أن أقطع
عنه حاجته (حدثنا الأصمعي) قال سألت رجلاً أباعه ربن الغلاء حاجة فوعدهم أن إن الحاجة
تعدرت على أبي عمرو فليقه الرجل بعد ذلك فقال له يا أبا عمرو وعدتني وعداً فلم تجزه قال له أبو عمرو
فإن أولى بالنعم أنا وأنت فقال له أنا فقال له عمرو بل أنا فقال له الرجل وكيف ذلك أصلحك الله قال
لأنني وعدتك وعداً فأبى بفرح الوعد وأبى أنا بهم الانجاز وبى ليلتك فرحاً وبى مفكراً
مخبراً ثم عاقب القدر عن بلوغ الإرادة فليقتني مذلاً ولقيتك محتشماً فمن هنا صرت أولى بالنعم
منك (الجمع) جماعه من الشعراء ياب أي الغيث فلم يأتهم فكاتبوا إليه

أيها ذا العزيز قدمنا الضر ودبت به الخطوب النينا

ولدينا بضاعة مزججة ۞ قل طلابها فبارت لدينا

فأزل حرنا وأوف لنا الكيل بما شئت أو تصدق علينا

فأحسن إليهم وانصرفوا (وروى) أن عكرمة بن ربیع الفياض ولي أصبهان فأنهب خراجها
في زوارق وقدم المدينة فقتل جميع أهلها وأعطاهم عطائهم لم يكن فيها أقل من عشرة آلاف درهم
ثم سأل عن بشر بن غالب الذي تنسب إليه مجيئة بشر بالكوفة فقيل له عليه الدين حتى اختفى قال
فأمهل حتى إذا أمسى جل معه بكرة وعلى غلامه بكرة أخرى ويتخامن ثياب أصهبان ثم سأل عن

منزل بشر فدل عليه فدى البلب فقال بشر لامرأته أنظرى من هذا وما حاجته وما يريد قال
فخرجت إليه امرأته فقالت من أنت وما حاجتك وما تريد قال أريد بشرا قالت أو ما علمت أنه
غائب منذ شهر قال فلف لها بالطلاق والعناق أنه آمن وأنه ليس له قبله شيء يكره قال فخرج بشر
إليه فقال ما حاجتك قال مر بهذا المثل يقبض قال ومن أنت قال وما عليك أن لا تعرف اسمي
فقال على لك قال فترضى أن فوجرك قال نعم قال أنا جابر عثرات الكرام قال انك لاهل أن يقبل منك
قال فلما كان بعد قليل ولّى بشر بن مروان الكوفة وجعل على شرطته بشر بن غالب ودفع إليه
عكرمة بن ربيع وقال له دق يديه حتى يرد ما كسر من خراج أصبهان قال فقطع عليه العذاب وهو
لا يعرفه فقالت له امرأته أخبره بذلك عنده قال تأمريني أن أتقاضى معروف بالله لا فعلت قالت
فأخبرهم أنا قال ان فعلت فأنت طالق ثلاثا قالت فرأيت الطلاق أهون على من أن تتلف نفسه
فدخلت على امرأته بشر فقالت تدرين من تعذبون قالت نعم هو عكرمة قالت هو جابر عثرات
الكرام قالت فدع بالويل قال فدخل عليها بشر فقالت تدرين من تعذب قال نعم هو عكرمة
قالت هو جابر عثرات الكرام الذى طرفنا ليلما طرقت قال فدا عانياه وسيغه ثم مثل بين يدي بشر
ابن مروان وقال أصلحك الله هذا مقام العائد قال وما ذاك قال ان الذى أخبرتك أن طرقت ليل
بما طرقتاه هو عكرمة قال فذا تريد قال أريد أن تخلّى سبيله قال نانا قد فعلنا قال وأخرى أصلحك
الله قال وما هي قال أن تصير مكاني معك قال فانا قد فعلنا قال فغسلنا صاحبين مع بشر بن مروان
رحمة الله على جميعهم (قدم) الكوفة سعيد بن العاص عاملها العثمان رضى الله عنه فكانت له نواذ
يفشاها الاشراف والقراء فكان فيمن يغشى مواضع رجل من القراء فقير فقالت له امرأته ويحك
أنه يلفنا عن أميرنا هذا كرم وجود فاذا كره بعض ما نحن فيه فتعشى عنده ذات ليلة فلما انصرف
الناس منه ثبت الزجل فقال له سعيد بنى قد أرى جالوسك وما جلست الا ولا حاجة فاذا كرها
وحك الله فتمعق الزجل وتعبس فقال سعيد لعل الله تغو يا غلمان ثم قال له رجل انما هما وأنا
فاذا كرهنا جرتك فتمعقوا بضاً ونعصى فنفع سعيد المصباح فاطقاء ثم قال له رجلك الله انك لم تسترى
وجهي فاذا كرهنا جرتك قال أصلحك الله الامير أصابتنا حاجة فأحببتك كرهاك قال له اذا أصبحت
خائف فلا ناو كيلي فلما أصبح لقي الوكيل فقال له اننا الامير قد أمرني بشيء فهل جئت عن بحمله
قال لا والله ما عندى عن بحمله ورجع الى امرأته وجعل يعذلهما ويأويهما وقال قالى ووكيله جئت
عن بحمله ونهاهى الا قوصرمين تروا فقيز من رولو كانت دراهم أو ذنابا أو عطاء تيا سيدة قالت
ويحك ما كان من شيء فتوتناه فكنت أنا ما ثم لقمه الوكيل فقال له ويحك ما يكون أخبرت
الامير أنه ليس عندك من يحمل فأمرني أنا وأوجه معك من يحمل فوجه معي بثلاث من السودان

يحمل كل واحد منهم بدرة على عاتقه حتى أوردوها منزله فأطلق وكاه بدرة منها وهب لهم منها درهمات وقال انصرفوا قالوا الى أين ما جعل له مملوك قط هدية فرجع في مملكه (امتدح) نصيب الشاعر عبد الله بن جعفر فأمر له بجبل وأبل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له سبل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال عبد الله بن جعفر ان كان أسود فان شعرا أبيض وان شاء لم يروى وقد استحق بما قال أكثر مما قال وهل عطيتاه الا ثيابا تبلى وما لا يغنى ومظايا تنضى وأعطانا مدحا يروى وثناه يبقى (دخل) ابن السكاة على محمد بن سليمان بن علي فرأه معرضا عنه فقال مالي أرى الأمير كالعاتب على قال ذلك لشيء بلغني عنك كرهته قال اذن والله لا أبالي قال ولم قال لانه كان ذنباً غفيرة وان كان باطلا لم تقبله (خطب) أبو جعفر المنصور يوما محمد بن عبد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اتقوا الله فقام اليه رجل من عرض الناس فقال أذكرك الذي ذكرته يا أمير المؤمنين فأجابهُ أبو جعفر بلا فمكة ولا روية سمعا سمعا لمن ذكر بالله وأعوذ بالله أن أذكره وأنساه فتأخذني العزيمة لا أتم لقد ضللت اذا وما أنا آمن المهتدين وأما أنت أيها القائل فوالله ما الله أردت بها ولكن ليقل قال فعوقب وصبر وأهون به الوكلت وأنا أندركم أيها الناس أخنبا فان الموعظة علينا زلت ومنا أنبت ثم رجع الى الموضوع من الخطبة (ج) عتبة بن أبي سفيان سنة إحدى وأربعين والناس قريب عهد بهم بالفتنة فصولي بمكة الجمعة ثم قال أيها الناس انقادوا لينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للجسسين الاجر وعلى المسي في الزور ونحن على طريق ما قصرنا فلا نعدوا الاعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب ممتن حنفته في أمنته فاقبلوا العاقبة ما قبلناها منكم واياكم ولو فاتها أتعبت من كان قبلكم ولن ترشح من بعدكم وأنا أسأل الله أن يعين كلا على كل فصاحبه اعزاني أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد فقال يا أخاه فقال سمعت فقل فقال تالله ان تحسنوا وقد أسأنا خير من أن نسيوا وقد أحسننا فان كان الاحسن لكم دوننا فأحقكم باستقامه وان كان منا فقل ولا كم بكافانا رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمرة وقرب اليكم بالخولة فذكره العيال ووطئ الزمان وبه فقر وعندم شكر فقال عتبة أستغفر الله منكم وأستغنيه عليكم وقد أمرت نالك بفنائك فليت أسراعتك يقوم باطاعتك (تسارع) ابراهيم بن المهدي وبخيتشوع الطبيب يندى أحد ابن أبي دؤاد في مجلس الحكم في عقار ناحية السواد فإرى عليه ابراهيم وأغلظه في القول فغضب لذلك بن أبي دؤاد وقال يا ابراهيم اذا نازعت في مجلس الحكم بحضورنا أمر افلا ترفع عليه صوتا ولا تشرب سيلة ولكن قصدك أعما وطريقك نهجا وربحك ساكنة وكلامك معتدلا ووف بمجالس الخليفة حقه من التوقير والتعظيم والاستكافة والتوجه الى الحق فان هذا أشكل بك وأجل عندهك في محمدك وعظيم خطر ولا تعجلن فرب علة تهديدنا

واقه بعضكم من الزلل وخطأ القول والعمل ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ان يريك
حكيم عليم فقال ابراهيم أمرت أصلحك الله بسداد وخضعت على رشاد ولست عائد الما ينلم
قدرى عندك ويسقطنى من عينك ويخرجنى من مقدار الواجب الى الاعتذار فيها أنا معتذر اليك
من هذا البادرة اعتذارا مغر بذهبه باخع بجرمه لان الغضب لا زال يستغزنى عواده فيردنى مثلك
بجمله وتلك عادة الله عندك وعندنا فيك وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد خرجت من هذا العقار
لجنتشوع فليت ذلك يكون واقيا بارض الجناية عليه ولم يتلف مال أفادموعظة وبالله سبحانه
التوفيق (بعث) زيادا الى معاوية برجل مخالفه بن خنيم فلما مثل بين يديه قال له أنت القائم علينا
المكتر لعنونا قال يا امير المؤمنين انما كانت فتنة عم عمارا وأظلم دجها نرى فيها الوضع
وخف الحليم والرفيع فاحتدمت وأكلت علينا وشربت حتى اذا المحسرت ظلموها وانكشف
غطاؤها آل الامر الى ما له وصرح عن محضه وارفع العروس وتابت النفوس فتركنا فقتنا
ولزمنا عصمتنا وعرفنا خليفتنا ومن يحد منابا لم ير داله به عقابا ومن يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما فحجب معاوية من فصاحته واستغرب حسن اعتذاره وعفائه وأحسن اليه (لما) غزا
الاسكندر دارا بن دارا وكان دارا قد مله قومه وأهل مملكته وأحبوا الراحة منه فلحق كثير
من وجوه أصحابه وقواد الى الاسكندر وأطلعوه على عورته وقوه عليه فلما التقيا لاد الجزيرة
اقتتلا سنة كاملة ثم وثب على دارا جماعة من قومه فقتلوه وكان الذي فعل به هذا حاجباه
فلما سبق رأسه الى الاسكندر أمر بضرب أعناق الذين سافوه وقال هذا جزا من اجترأ على ملكه
(قال الاصمعي) كان لى صديق من أهل الادب والمروعة والحسب قداً في عليه ثلاثة أعصار مشتهر
بجفظ العالوم والاختيار والمخ والاشعار وكان لا تسكن حركاته ولا توفى لذاته الا في قضاء حوائج
الاخوان وادخال السرور على من عرفه من الاخوان فاليهاى ما شهدت منه مما وصف لى عنه
فقلت له يوم ما هذا الذى تفعله وما قولك على ما تصنع فقال يا اصمعي انى شهدت الايام فبدأ
اخضر عريشها ورأيت تصرفها وحلبت الدهر أشطره ولهوت في ريعان الشباب وجالست
العلماء وصحبت أهل التصاى فخطر بى جماعت ولا يتهجت بما رأيت كأتهاجى لنشر حرمة
وشفاعة شافع في طلب ما كرىجوب تلك الحيات في العاجل وحزير الثواب في الآجل وانى
لا تشوق الى الرجل الاديب تشوق المريض الى الطبيب وأطرب اليه كطرب المحب الى الحبيب
وأأنشد

وإذا الاديب مع الاديب تحادنا * كأننا من الآداب في بستان

لاشئ أحسن منهما في مجلس * يتطامعان جواهر ابلسان

(ذكر) أن المتوكل بن الأقطس فرأيه شخص من بني هود مغاضب لابن عمه مالك سرقة فآواه وأحسن إليه ثم اختبره فقرأ أهلاً للولاية قولاه فقال له أحد وزرائه كثير هذا في تغيير قلب قريبه يامولاي تسخط قادراً في حق عاجز وتفرط فيمن تحتاج إليه كما يحتاج الينا وتغبط بمن لا تحتاج إليه بل هو موكل علينا فقال له المتوكل الذي قلت حق ولكن كيف يكون اقتناء المسكارم (روى) أن أنوشروان غضب على وزيره بزر جهر فسجنه في بيت كالقبر وصعد به الحديد وألبسه الحشن من الصوف وأمر أن لا يراذ في كل يومين على قرص من الخبز وكف ملح جريش ودوزق ماء وأن تنقل ألقاظه إليه فأقام شهوراً لا تسمع له لفظة فقال أنوشروان ادخلوا عليه أصحابه وأمرؤهم أن يسئلوه ويقاطحوه الكلام وعرفوه فدخل إليه جماعة من المختصين به فقالوا له أيها الحكيم زلنا في هذا الضيق والحديد والشد التي دفعت إليها ومع هذا فإن سحنة وجهك وصحة جسمك على حالها لم تتغير فالسبب في ذلك فقال اني علمت جوارش من ستة أخلاط فأخذت من كل يوم شيئاً فهو الذي أبقاني على ما ترون فقالوا فصفه لنا فمسي أن تبلى بمثل باولنا وأحد من اخواننا فاستمعه وأضفه له فقال اخلط الاول الثقة بالله والثاني أن كل مقدركاثر والثالث الصبر خير ما استعمله المتهن والرابع ان لم أصبر فأى شئ أعمل ولم أعن على نفسي بالجزع والخامس قد يمكن أن أكون في شر أصعب مما أنا فيه والسادس من ساعة الى ساعة فرج (من كلب عين الادب والسياسة)

(الباب الثاني في الاخلاق)

(فصل) في محبة الكبر والاحباب لانهم يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استولى عليه اصغاف لنصح ولا قبول لتأديب لان الكبر يكون بالنزلة والمحب يكون بالفضيلة فالتكبر يحل نفسه عن رتبة المتعلمين والمحب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين فلذلك وجب تقديم القول فيهما بابانه ما يكسبانه من ذم ويوجبانه من لوم (فنعول) أما الكبر فيكسب المقت ويلهى عن التآلف ويوغر صدور والاخوان وحسبك بذلك سوما وانك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس انما لك عن الشرك بالله والتكبر فان الله يحب متعبها وقال زهير بن بياك ما لكبر الا فضل حتى لم يدرك صاحبه أين يذهب به فيصرفه الى الكبر وحكى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر الى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء فقال يا أبا عبد الله ما هذه المشية التي يغضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفني فقال بل أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جبقة قذرة وحشوك فيمابين ذلك قول وعذرة فأخذ ابن عوف هذا الكلام فغظمه شعر افراق

عجبت من محجب بصورته * وكان بالامس نقطة مدرة
وفي غلبه حسن صورته * يصير في اللحد جيفة قدرة
وهو على تيمه ونجونه * ما بين فيه يحمل العذرة

وقد كان المهلب أفضل من أن يتخذه نفسه هذا الجواب الغير الصواب ولكن ناله من زلات
الاسترسال وخطيئة من خطايا الادلال فاما الحق الصريح والجهل القبيح فهو ما حكى عن نافع
ابن جبير بن مطعم أنه جلس في حلقة العلماء بن عبد الرحمن الحزقي وهو يقرئ الناس فلما فرغ قال
أتدرون لم جئت اليكم قالوا جلست لتسمع قال لا ولكني أردت أن أؤاخذكم بالله الجاوس اليكم
فهو يرجي من هذا فضل أو ينفع فيه عذل وقد قال ابن المعتز لما عرف أهل النقص حالهم عند
ذوي الكلال استعافوا بالكبر ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا وليس بغافل وأما الإعجاب فيخفى المحاسن
ويظهر المساوي ويكسب المذاوم ويصد عن الفضائل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ان الإعجاب ليأكل الحسنات كأنها كل النار الحطب وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الإعجاب
ضد الصواب وافة الالباب وقال بزرجهر النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع والبلاء
الذي لا يرحم صاحب منه الإعجاب وقال بعض الحكماء عجيب المرء نفسه أحسد عاقلة وليس إلى
ما يكسبه الكبر من المقت حذ والى ما ينتهي إليه الإعجاب من الجهل غاية حتى أنه ليطغى من المحاسن
ما انتشر ويسلب من الفضائل ما اشتهر وانه يكتسبه تحبط كل حسنة وتعمد تهديم كل فضيلة
مع ما يشهرون حتى ويكسبه من حقد حكى عمر بن حفص قال قيل للحجاج كيف وجدت
منزلك بالعراق قال خير منزل لو كان الله بلغني قتل أربعة فتقربت إليه بدمائهم ولما ولي مقاتل
ابن مسمع سجستان أتاه الناس فأعطاهم الاموال فلما عزل دخل مسجد البصرة فبسط الناس له
أردتهم فغشى عليها وقال لرجل عايش مثل هذا فليعمل العاملون وعبد الله بن زياد بن ثيسان التيمي
لما خوف أهل البصرة أمر فخطب خطابة أوجز فيها فتأذى الناس من أعراض المسجد أكثر الله
فيما نكث فقال لقد كافتم الله شططا ومعيدن زراعة كل ذات يوم جالس في طريق فرغت منه امرأة
فقال له يا عبد الله كيف الطريق الى موضع كذا فقال يا هنا تملي يكون من عبيد الله وأوشمال
الاسدي أضل راحلة فالتسما الناس فلم يجدوها فقالوا قلان لم ير الى راحلي لاصليت صلاة
أيذا فالتسما الناس فوجدوها فقالوا له قدر الله راحلتك فصل فقال ان عيني بين مصر فانظر الى
هؤلاء وكيف أفضى بهم الإعجاب الى حق صاروا به نكالا في الاولين ومثلا في الآخرين ولتوصو
المحجب المتكبر ما فطر عليه من جبهة ويلي به من مهنته تفض جناح نفسه واستبدل لينان عتوه
وسكونا من نفوره وقال الاخنف بن قيس عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد
وصف بعض الشعراء الانسان فقال

يأمنه الكبرياء بصورة * أظن خلافاً فإن التثريب
لو فكر الناس فيما يبطونهم * ما استشعر الكبر شيان ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرومة * وهو بخمس من الأقدار مضروب
أنف يسيل واذن ريحها سهمك * والعين مرفضة والنفر ملعوب
يا ابن التراب وما كول التراب غدا * أقصر فأنك ما كول ومشروب

وأحق من كان للكبر مجانياً ولا حجاب مبيناً من جل في الدنيا قدره وعظم فيها خطره لانه قد يستقل
بعالى همة كل كبير ويستصغر معها كل كبير وقال محمد بن علي لا ينبغي للشریف أن يرى شيئاً
من الدنيا لنفسه خطيراً فيكون بها تائها وقال ابن السماعة لعيسى بن موسى وأضعك في شرفك
أشرف للثمن شرفك وكان يقال اسمان متضادان بمعنى واحد التواضع والشرف والكبر أسباب
فخ أقوى أسبابه الوليد ونفوذ الأمر وقلة المخالطة لا كفاء وحكي أن قوماً شواخظ على
ابن أبي طالب رضى الله عنه فقال بعده واعي خفق نعالكم فانهم مفسدة لقلوب نوكي الرجال ومشوا
خلفاً بن مسعود فقال ارجعوا فانهم اذلة للتابع وقسنة للتبوع وروى قيس بن حازم أن رجلاً أتته
لنبي صلى الله عليه وسلم فأسأله رعدة فقال صلى الله عليه وسلم هون عليك فانما أنا ابن امرأة
كانت تأكل القديد وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حسماً لمواد الكبر وقطعا لدرائع الإعجاب
وكسراً لاشرا النفس وتذليلاً لسلطان الاستعلاء ومثل ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
أنه نادى الصلاة جماعة فلما اجتمع الناس معه المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله
عليه وسلم ثم قال أيها الناس لقد رأيتني أرى على ثلاث لي من غي مخزوم فيقبض لي القبض
من التمر والزبيب فاضل اليوم وأى يوم فقال له عبدالرحمن بن عوف والله يا أمير المؤمنين ما زدت على
أن أقصرت بنفسك فقال عمر رضى الله عنه ويحك يا ابن عوف اني خلوت خذتني نفسي فقالت
أنت أمير المؤمنين فخذ أفضل منك فارتدت أن أعرفها نفسها ولا أعجاب أسباب فخ أقوى أسبابه
كثرة مدح المتفرين واطراء المتقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسباً والتلق خديعة وملعباً
فاذا وجدوه مقبولاً في العقول الضعيفة أغروا رايها باعتقاد كذبهم وجعلوا ذلك ذريعة إلى
الاستهزاء بهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلاً يركب رجلاً فقال له قطعتم مطلة
لو سمعها ما أقبل بعدها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه المدح ذبح وقال ابن المقفع قابل المدح
كمادح نفسه وقال بعض الحكماء من رضى أن يمدح بما ليس فيه فقد أمكن السخر منه
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أيهاكم والتمادح فانه الذبح ان كان أحدكم مادحاً أخاه
لأخالة فليقل أحسب ولا أركى على الله أحداً وقيل فيما أنزل الله عز وجل من الكتب السابقة

عجبت لمن قبل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح وعجبت لمن قبل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب
وقال بعض الشعراء

يا جاهلا غره افراط مادحه * لا يظن جهل من أطر العلك بك
أنتى وقال بلا علم أحاط به * وأنت أعلم بالمحصل من ريك

وهذا امر ينبغي للعاقل أن يضبط نفسه عن أن يستفزها ويغضبها من تصديق المدح لها فان النفس
ميل إلى الحب الثناء وسماع المدح وقال الشاعر

يموى الثناء مبرز ومقصر * حب الثناء طبيعة الانسان

فإذا سماع نفسه في مدح الصبوة وتابعها على هذه الشهوة تشاغل بها عن الفضائل المدوحة وإها بها
عن المحاسن المنوحة فصار الظاهر من مدحه كذبا والباطن من ذمه صدقا وعند تقابلهما يكون
الصدق أئرم الامرين وهذه خدعة لا يرتضيها عاقل ولا يتخدع بها مجرب وليعلم أن المتقرب بالمدح
يسرف مع القبول ويكف مع الالباء فلا يغلبه حسن الظن على تصديق مدح هو أعرف بحقيقته
وليكن تهمة للمدح أغلب عليه فقل مدح كان جميعه صدقا وقل ثناء كان كله حقا ولذلك كره
أهل الفضل أن يطلقوا ألسنتهم بالثناء والمدح تحرز من التجاوز فيه وتزبها عن التعلق به وقد
روى مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عيايين ولا تكروا لعائين ولا تمنادحين
ولا منقوتين وحكى الاصمعي أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان إذا مدح قال اللهم أنت أعلم
من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا عما يحسبون واغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى
بما يقولون وقال بعض الشعراء

إذا المرء لم يمدح حسن فعاله * فدا حبهذى وإن كان مقصبا

وربما ألحى المدح صاحبه الى أن يصير مدح نفسه اما توهمه أن الناس قد غفلوا عن فضله وأخلوا
بحقه واما يخدعهم بتدليس نفسه بالمدح والاطراء فيعتقدون أن قوله حق متبع ومدح مستمع
واما لئلا يسمع الثناء وسرور نفسه بالمدح والاطراء كما يتغنى بنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا
مطربا ولا غناء متعنا ولاى ذلك كان فهو الجهل الصريح والنقص الفضيح وقد قال بعض الشعراء

وما شرف أن يمدح المرء نفسه * ولكن أعماله تدم وتمدح

وما كل حين يصدق المرء ظنه * ولا كل أصحاب التجارة ربح

ولا كل من تزجول غيدك حافظ * ولا كل من ضم الوبيعة يصلح

وينبى للعاقل أن يستترشد اخوان الصدق الذين هم أصفيا القلوب ومرايا المحاسن والعيوب
على ما ينهونه عليه من مساويه التى صرفه حسن الظن عنها فانهم ما مكن نظرا وأسلم فكرا

ويجعلون ما ينهونه عليه من مساويه عوضا عن تصديق المدخ فيه وقدرى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن مرآة المؤمن إذا رأى فيه عيبا أصلحه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرأأهدى الينا مساوينا وقيل لبعض الحكماء أحب أن تهدي اليك عيوبك قال نعم من ناصح ومما يقارب معنى هذا القول ما روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما من ترى أن نؤليه حصص فقال رجل لا يصححك منك صحبائك قال تكون أنت ذلك الرجل قال لا تنتفع في مع سوء ظني بك وسوء ظنك بي وقيل في منشور الحكم من أظهر عيب نفسه فقد ركاها فإذا قطع أسباب الكبر وحسم مواد العجب اعتاض بالكبر تواضعا وبالعجب توددا وذلك من أوكد أسباب الكرامة وأقوى مواد النعم وأبلغ شافع إلى القلوب يعطفها إلى المحبة وينها عن البغض وقال بعض الحكماء من برئ من ثلاث نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة وقال مصعب بن الزبير التواضع مصائد الشرف وقيل في منشور الحكم من دام تواضعه كثر صديقه وقد تحدث المنازل والولايات اقوم اخلاقا مذمومة يظهرها سوء طباعهم ولا تخرب فضائل محمودة يبعث عليها كاشعهم لان لتقلب الاحوال سكرة تظهر من الاخلاق مكنونها ومن السرائر مخزونها لاسيما اذا هجمت من غير تدريج وطرفت من غير تأهب وقد قال بعض الحكماء في قلب الاحوال تعرف جواهر الرجال وقال الفضل بن سهل من كانت ولايته فوق قدره تكبر لاهيا ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها وقال بعض البلغاء الناس في الولاية ترجلان رجل يحل عن العمل بفضلهم ومروءته ورجل يحل بالعمل لنقصه وذنائه فمن حل عن عمله ازاد ادبه تواضعا وبشرا ومن حل عنه عمله ازاد ادبه تجبرا وتكبرا

(فصل في حسن الخلق) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى اختار لكم الاسلام ديناً فأكرموه بحسن الخلق والسجاء فانه لا يكل الا بهما وقال الاحنف بن قيس ألا أخبركم بأدواء الداء قالوا بلى قال الخلق الحسن واللسان البذي وقال بعض الحكماء من ساء خلقه ضاقت رزقه وعلة هذا القول ظاهرة وقال بعض البلغاء الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة والسبي الخلق الناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء وقال بعض الحكماء عاشراً هلك بالحسن أخلاقك فان الثوائف بهم قليل وقال بعض الشعراء

إذا لم تسع أخلاق قوم * تضيق بهم فسيمات البلاد

إذا ما المرء لم يخلق ليبياء * فليس اللب عن قدم الولاد

فأنا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ولانته
القلوب الغضاب وقدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حسن الخلق وحسن الجوار
يبران الديار ويريدان في الأعمار وقال بعض الحكماء من سعة الأخلاق كنوز الأرزاق وسبب ذلك
ما ذكرنا من كثرة الأصفياء المسعدين وقلة الأعداء المجحفين وإن ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
أحبكم إلى أحسنكم أخلاقاً الموطون أكافا الذين يالفون ويؤلفون وحسن الخلق أن يكون
سهل العريكة لين الجانب طليق الوجه قليل النفور طيب الكلمة وقدين رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الأوصاف فقال أهل الجنة كل حين ليس سهل طليق ولما ذكرنا من هذه الأوصاف
حدود مقدرة ومواضع مستحقة كما قال الشاعر

أصفروا كدر أحياناً مختبرى * وليس مستحسناً صفواً لا كدر

وليس يريد بالكدر الذي هو البذاء وشراسة الخلق فإن ذلك ذم لا يستحسن وعيب لا يرضى وإنما
يريد الكف والانتقاص في موضع يلام فيه المساعد ويذم فيه الموافق فإذا كانت لمحاسن الأخلاق
حدود مقدرة ومواضع مستحقة فإن تجاوزها الحد صارت ملقاً وان عدل بها عن مواضعها
صارت نفاقاً والمثل ذلك وإنفاق لؤم وليس لمن يسميها مودة مبرور ولا أثر مشكور وقدرى حكم
عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الناس ذوالوجهين الذي يأتى
هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وروى مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينبغي لأذى الوجهين أن يكون وجههما عند الله تعالى وقال سعيد بن عروة لأن يكون لك نصف وجه
ونصف لسان على ما فيه مامن فبحر المنظر وعجز الخبر أحب إلى من أن أكون ذأ وجهين وذأ لسانين
وذا قولين مختلفين وقال الشاعر

خل التفافى لاهله * وعلبك فالتس الطريقاً

وارغب بنفسك أن ترى * الأعداء أوصديقا

وقال إبراهيم بن محمد

وكم من صديق وده بلسانه * خون بظهور الغيب لا يتدغم

بضاحكني عجباً إذا ما قضيه * ويصدقني منه إذا غبت أسهم

كذلك ذوالوجهين يرضيك شاهداً * وفي غيبه ان غالب صاب وعلم

وربما تغير حسن الخلق والوطاء إلى الشراسة والبذاء لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعل اللين
خشونة والوطاء غلظة. والعلاقة عموماً نحن أسباب ذلك الولاية التي تحدث في الأخلاق تغيراً
وعلى الظلمة تنسكرا إيماناً نؤمن طبع وإيمان ضيق مسدود وقد قيل من تاه في ولايته دخل في عزله

وقبل ذل العزل بفصلك من تيه الولاية ومنها العزل فقد يسو به الخلق ويضيق به الصدر إلى الشدة
أسف أولقه صبر حكى حين الطويل أن عمار بن ياسر عزل عن ولاية فاشتد ذلك عليه وقال انى
وجدتها حاقلة الرضاع مرقة الفطام ومنها الغنى فقد تغير به أخلاق التميم بطرا وتسو طرائقه
أشرا وقد قيل من نال استطال وأنشد الراىنى

غضب ان يعلم أن المال ساقله * ما لم يسقه له دين ولا خلق
فمن يكن عن كرام الناس يسألنى * فاكرم الناس من كانت له ورق

وقال بعض الشعراء

فان تكن الدنيا أبالك ثروة * فاصبغت ناسير وقد كنت ذاعسرا
لقد كشف الاتراء منك خلائقا * من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

وبحسب ما أنفسه الغنى كذلك يصلحه الفقر وكتب قتيبة بن مسلم إلى الخلاج أن أهل الشام قد
التأوا عليه فكذب اليه أن قطع عنهم الارزاق فعزل فسادت حالهم فاجتمعوا اليه فقالوا أقلنا
فكتب إلى الخلاج فيهم فكذب اليه ان كنت أنست منهم رشدا فأجر عليهم ما كنت تعجى وعلم
أن الفقر حذر الله الأكر بذكر به كل جبار عنيد يتكبر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال لو أن الله تعالى أذل ابن آدم بثلاث ما أطار أسهلنى الفقر والمرضى والموت ومنها الفقر
فقد تغير به الخلق لما أنفق من ذل الاستكانة أو أسفا على فانت الغنى ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم كذا الفقرا أن يكون كفرا وكذا الحسد أن يغلب القدر وقال أبو تمام الطائي

وأعجب حالات ابن آدم خلقه * يضل إذا فكرت في كنه الفكر

فيفرح بالشئ القليل بقاؤه * ويجزع مما صار وهو له ذخر

ورعباتلى من هذا الحالة بالامالى وان قل صدقها فقد قيل قلما تصدق الامنية ولكن قد يعتاض

بها سابق من هم أو مسرة برباه وقد قال أبو العتاهية

حررتك منك اذا اغتممت فانهم مراوح

وقال آخر

اذا غنيت بت الليل مقبضا * ان للمنى رأس أموال المقاليس

ومنها الهموم التى تذهل اللب وتشغل القلب فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على صبر وقد قيل
الهم كالسبم وقال بعض الادباء الحزن كاللذات الخزون فى فؤاد المحزون وقال بعض الشعراء

هو ملك بالعيش مقرونة * فحانقطع العيش الاجهم

اذا تم آخره بانقصه * تزقير والا اذا قيل نعم

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم

وحام عليها بشكر الاله * فان الاله سريع النعم
حلاوة دنياك مسجومة * ثمناً كل الشهدا لايسم
فكم قد رددت في مهلة * فلم يعلم الناس حتى هجم

ومنها الامراض التي يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم فلا يبقى الاخلاق على اعتدال ولا يقدر
معها على احتمال وقد قال المتنبي

آلة العيش محنة وشباب * فاذا وليا عن المسر ولى
واذا الشيخ قال اف تحمل حياة وانما الضعف ملا
واذا لم تجد من الناس كفوا * ذات خدر أرادت الموت بعلا
أبدا نسترد ما تهب الدنيا فبالتجودها كان بخلا

ومنها علو السن وحدوث الهرم لتأثيره في آلة الجسد كذلك يكون تأثيره في أخلاق النفس فكما
يضعف الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من أنقال فكذلك يهجر النفس عن أنقال ما كانت
تصبر عليه من مخالفة الوفاق ومضيق الشقاق وكذلك ما ضاهاه وقال منصور الغري

ما كنت أوفى شبابي كنه عزه * حتى مضى فاذا الدنيا له تبع
أصبحت لم تطعمي ثكل الشباب ولم * تشبي لقصته فالعذر لا يقع
ما كان أقصر أيام الشباب وما * أبقي حلاوة ذكراه التي تدع
ما واجهه الشيب من عين وإن رقت * الالهة نبوة غصه ومر تدع
قد كنت تقضى على فرت الشباب أسمى * لولا بعزيتك أن العمر منقطع

فهذه سبعة أسباب أحدثت سوء خلق كان عاماً وهناسب خاص يحدث سوء خلق خاص وهو
البغض الذي تنفر منه النفس فتحدث نفورا على البغض فيؤول الى سوء خلق يخصه دون غيره
فاذا كان سوء الخلق حادثا بسبب كان زواله مقرونا بزوال ذلك السبب ثم بالصد

(تصل في كتمان السر) اعلم أن كتمان الاسرار من أقوى أسباب النجاح وأدوم أحوال الصلاح
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود
وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سررك أسرك فان تكلمت به صرت أسيره وقال بعض الحكماء
لا ينسب يائى كن جوادا بالمال في موضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع الخلق فان أجد جود المرء
الاتفاق في وجه البر والبخل يحكوم السر وقال بعض الادباء من كتم سره كان انخيار اليه ومن
أفشاء كان انخيار عليه وقال بعض البلغاء ما أسرك ما كتبت سررك وقال بعض القصاص ما لم
تعييه الاضالع فهو مكتشف ضائع وقال بعض الشعراء هو أنس بن أسيد

ولا تنقض سررك إلا إليك * فان لكل نصيح نصيحا

فاني رأيت وشلة الرجا * لا يتركون أدبنا جميعها

وكم من أظهر سررا قد مضى صاحبه ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته أمتنا وفي عواقبه
سائلا ولنجاح حوائج راجيا وقال أوثروان من حصن سره فله تحصينه خصلتان الظفر
بجاحته والسلامة من السطوات وأظهار الرجل سر غيره أقبح من اظهار سر نفسه لانه يسهو
باحدى وصمتين الخيانة ان كان مؤتمنا أو النجاسة ان كان مستودعا فاما الضرر فربما استويا فيه
وتفاضلا وكلاهما مذموم وهو فيهما مالموم وفي الا- ستر سال بابتداء السردلائل على ثلاثة أحوال
مذمومة احدها ضيق الصدر وقلة الصبر حتى انه لم يتسع لسره ولم يقدر على صبر وقال الشاعر

اذا المرء أفشى سره بلسانه * ولا م عليه غيره فهو أحمق

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدا والذى يستودع السر أضيق

والثانية الغفلة عن تحذير العقلاء والسهو عن نقطة الأذى وقد قال بعض الحكماء انفر ديسرك
ولا تؤدع ما زما يزل ولا جاهلا فيخون والثالثة ما ارتكبه من الغدر واستعمله من الخطر وقد قال
بعض الحكماء سر من دمك فانك تكلمت به فقد ارتقتة واعلم ان من الاسرار ما لا يستغنى فيه
عن مطاعة صديق مساهم واستشارة ناصح مسالم فليحذر العاقل لسر أمتنا ان لم يحذر الى كتمه
سيلا وليتحرر في اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه اياه فليس كل من كان على الاموال أمتنا
كان على الاسرار مؤتمنا والفقه عن الاموال أيسر من العفة عن الاسرار لان الانسان
قديذ يخسر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه وشيخ باليسير من ماله حفظاه وضنا به ولا يرى
ما أذاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر والداخل عليه فمن أجل ذلك
كان أمتنا الاسرار أشد تعذرا وأقل وجودا من أمتنا الاموال وكان حفظ المال أيسر من كتم
الاسرار لان أحرار الاموال المنبعة وأحرار الاسرار بارزة يذيعها السان ناطق وشيخها كلام سابق
وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القلوب أوعية الاسرار والشفاة أفتالها واللسن مفاتيحها
فليحفظ كل امرئ امرئ مفتاح سره ومن صفات أمين السر ان يكون ذاعقل صداد ودين حابر ونصح
مبدول وودم وفور وكتوما بالطبع فان هذه الامور تمنع من الاذاعة وتوجب حفظ الامانة
فمن كتمت فيه فهو عتقا مغرب وقيل في منشور الحكم قلوب الفة لا حصون الاسرار وليحذر
صاحب السر ان يودع سره من يتطلع اليه ويؤثر الوقوف عليه فان طالب الوديعه ناش وقيل
في منشور الحكم لا تنكح خا طاب سررك وقال صالح بن عبد القدوس

لا تنزع سرا الى طالبه * منك طالب السر مذبح

وليجذر كثرة المستودعين لسره فان كثرتهم سبب الازدحام وطريق الى الاشاعة لاهلهم من أحدهما ان اجتماع هذه السر ومطابق العددا الكثير معوز ولا ينادا كثروا من أن يكون فهم من أخل ببعضها والثاني أن كل واحد منهم يجد سبيلا الى نفي الازدحام عن نفسه واحالة ذلك على غيره فلا يضاف اليه ذنب ولا يتوجه عليه عتب وقد قال بعض الحكماء كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا وقال بعض الشعراء

وسرك ما كان عند امرئ * وسرا ثلاثة غير الخفي

وقال آخر فلا تنطق بسرك كل سر * اذا ما جاوزا الاثنين فاشي

ثم لو سلم من اذاعتهم لم يسلم من ادلالهم واستطاعتهم فان ابن ظفر سر من فرط الادلال وكثرة الاستطالة ما لم ينجح عنه عقل ولم يكفه عنه فضل كان أشد من ذل الرق وخضوع العبد وقد قال بعض الحكماء من أفضى سره كثر عايله المتأمرين فاذا اختار وأرجوا أن يوفق للاختيار واضطر الى استيفاء سره وليته كفى الاضطرار وجب على المستودع له اداء الامانة فيه بالتحفظ والتسامى له حتى لا يخطر له يسال ولا يدور له في خلد ثم يرى ذلك حزمة رعاها ولا يدل ادلال التمام وحكي أن رجلا أسرى الى صديق له حديثا ثم قال أفهمت قال بل جهلت قال أحفظت قال بل نيت وقيل لرجل كيف كتمانك للسرا قال أبعد الخبر وأحلف للستبر وقال بعض الشعراء

ولو قدرت على نسيان ما شئت * منه الضلوع على الاسرار والخبر

لكنك أول من ينسى سرائره * اذ كنت من سرها يوما على خطر

وحكي أن عبدا لله بن طاهر تناكر الناس في مجلد يحفظ السر فقال ابته

ومستودعي سرا نضمت سره * فاودعته من مستقر الحشى قبرا

ولكننى أخفيه عنى كائن * من الدهر يوما ما حطت به خيرا

وما السر في قلبى كيت بحفرة * لاني أرى المدفون ينتظر النشرا

(لابن الحسن البصري الماوردي)

الباب الرابع في المباحث الادبيه

(في أن العلوم اعمان أكثر حيث يكثر العمران وتعلم الحضارة)

والسبب في ذلك أن تعليم العلم كإقمتنا من جلة الصنائع وقد كلفنا أن الصنائع اعمان أكثر في الامصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقله والحضارة والتراف تكون نسبة الصنائع في الجوده والكثرة لانه امر رائد على المعاش فني فضل أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرف الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع فمن تشوف بفطرتة الى

العلم عن تشاقق القرى والامصار غير المتقنة فلا يجد فيها التعليم الذى هو صناعى لفقدان الصنائع
 فى أهل البدو كما قدمناه ولا يلبه من الرحلة فى طلبه الى الامصار المستبصرة شأن الصنائع كلها
 واعتبر ما قرناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمراتها وصدور الاسلام
 واستوت فيها الحضارة كيف تزخر فيها بحجار العلم وتقنوا فى اصطلاحات التعليم وأسنانى العلوم
 واستنباط المسائل والفنون حتى أربوا على المتقدمين وقاوا المتأخرين ولما تناقص عمراتها
 وابتعد سكانها انطوى ذلك البساط جماعليه جملة وفقد العلم هو التعليم وانتقل الى غيرها
 من أمصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر
 لما كان عمراتها مستبجرح وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحككت فيها الصنائع وتفتنت
 ومن جملة تعليم العلم وأكند ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ ما تين من السنين
 فى دولة التركة من أيام صلاح الدين بن أيوب وحلم برا وذلك أن أمراء التركة فى دولتهم يحشون عادة
 سلاطنتهم على من يحفظونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق والولاء ولا يحشون من معاطب الملك
 وسكاته فاستكروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يحعلون فيها شركا
 لولدهم ينظر عليها أو نصب منها مع ما فهم غالبها من الجنوح الى الخير والتماس الاجور فى المقاصد
 والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم وعلمه بكثرة جرائتهم
 منها وارتحل اليها الناس فى طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزنحت
 بحارها والله يحلق ما يشاء
 (من مقدمة ابن خلدون)

فضل الكتابه

ولما لم يكن عندها كثر العرب كتابة فى الجاهلية وكانت انذاك أمة أمية جعل لها الشعر عوضا
 فأدركت به مراما وغرض أقيم عن الكتابة مقامها فابتدع بحفظ الشعر كلامها وعرفت به انسابها
 وأيامها فكان أول من أدخل فى بلاد العرب الكتابة العربية هو سيدنا اسماعيل فأخص بهذه
 الفضلة الاولى وأول من أدخل الكتاب العربى أرض الحجاز هو جرب بن أمية أو سفيان بن أمية
 فتشبهوا بالحقيقة وساعدتهم على الحجاز يعنى فازوا بالصناعتين واتسعت تجارتهم بالبضاعتين
 وقس على منفعة الخط فى البلاد المنظمة غير من الفنون والصناعات التى أكسبت جميع البلاد
 الحمد والعظمة عما يفيد المال الصالح للرجل الصالح فانه لا تصلح الفعال الا بالاموال من الحلال
 والاموال لا تكون الا بالكسب من وجه من وجوه الصنائع المعاشية لتعين على المعاشية فلا
 أحسن ممن يكسب المال من حله ويصرفه فى محله ويكف به وجهه عن الناس فالقانون التى هى
 وسائل ذلك ليس عنها مندوحة وهى فى الشرع ممدوحة فلما منع من دخولها تحت قوله صلى الله

عليه وسلم أو علم ينتفع به أي نفعاً متصلاً دائماً الثواب فالحديث الشريف في قوله أو علم ينتفع به شامل لتعليم المعارف النافعة سواء كانت علومياً أو فنياً أو صناعات أو آلات فانه لا تخلو عن مدارك علمية وشاملة أيضاً لاجتهاد المجتهدين ووضع الواضحين وتدوين المحدثين والتصنيف والتدريس وغير ذلك فالعمدة على العمل الذي ينشأ عنه معلومات نافعة لاهل الملة والوطن والاناس أجمعين وبذلك على ذلك ما ورد في رواية أخرى اذ مات ابن آدم ختم على عمله الا عشرة فذكر هذه الثلاثة وزاد غرس الخل ووراثه المعصف والرباط في الثغر وحفر البئر واجرء النهر وبناء البيت للغريب وبناء مسجد لله تعالى وتعليم القرآن فهذا يقيد ان الصدقة الجارية يدخل فيها جميع ما ذكر كما بيناه أولاً وتعليم القرآن ووراثه المعصف يدخلان في العلم المنتفع به وان الثلاثة المذكورة ليست حاصرة فلا مانع أن يقاس على التعليم كتابة الكتب وطبعها بمن يأمر بذلك أو يباشره أو يعين عليه أو من يدل عليه حيث كان الدال على الخير كفاعله فكل من سن سنة حسنة دأبها النفع فهي داخله في العلم النافع يدل على ذلك ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في قوله من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فالؤمن الغارس غرساً حسياً أو معنوياً يحصد ثمره ثمراً حلواً حسياً أو معنوياً فغرسه لا يثمر شوكاً مادام ملازم الاخلاص فقاصد النفع العمومي بناب أبواب الخواص فخص الامم السيوطى للسنين من انقطاع العمل فيها هو مذكور في النظم الالاق وهو

اذ مات ابن آدم جاء بجري * عليه الاجر عد ثلاث عشر
علوم بنها ودعاء تجل * وغرس الخل والصدقات تجرى
وبت للغريب بناء بأوى * اليه أو بناء محل نكر
وراثه معصف رباط ثغر * وحفر البئر أو اجرء نهر
وتعليم لقرآن ككرم * شهيد في القتال لاجل بر
كذا من سن صالحة ليقضى * نفعها من احاديث بشعر

مطلب الترغيب في حب الوطن

ارادة التقدم للوطن لانتش الاعن حبه من أهل القطن كترغيبه الشارع في الحديث حب الوطن من الايمان قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمارة البلاد بحب الاوطان وقال على كرم الله وجهه سعادة المرء أن يكون رزقه في بلده وقال بعض الحكماء لولا حب الوطن لما عرت البلاد الغير المحصية وقال الاصمعي دخلت البادية فترلت على بعض الاعراب فقلت له أفدني فقال اذا أردت ان تعرف وقاما الرجل وحسن عهده ومكارم أخلاقه وطهاره مواله فأنظر الى حنينة لوطائه وشوقه الى اخواته قال الشاعر

(٨) القطع انتخبه (جزء ثالث)

وحبب أوطان الرجال اليهم * ما ريب قضاها الشباب هنالك
إذا ذكرت أوطانهم ذكرت لهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلك
ولي موطن آليت أنى أعزّه * وأن لا أرى غيرى له الدهر مالكا
(وقال آخر)

بلد صحبت به الشيبة والصبا * وليست فوب العيش وهو جديد
فلذا تمسك في الضمير رأيت به * وعليه أعصان الشباب تميد
(وقال آخر)

إذا أنا لأشتاق أرض عسيري * فليس مكافى في النهى يمكن
من العقل أن أشتاق أول منزل * غنيت بخفض في ذراء ولين
وروض رعا بالاصائل ناظري * وغصن ثناء بالفساة عيني
وانى لأنسى العهود إذا أتت * بنات الهوى دون الخليلط ودوني
إذا أنا لم أراع العهود على النوى * فليست بما مون ولا بأمين

والمراد بنات الهوى بنات الدهر أى حوادثه فالوطن محبوب والمنشأ مألف حتى لغير المتجدين
بل يقال ان البداى الحبلى يتعاقب بحبال جبال أوطانه ويلحق بأذيال باديته ولا تعلق الحاضر بعديته
وحاضره بحيث لا ينتقل الخلف من باديته الا لالتجباغ فى الغلوات ويستسهل خوط القصاد
ويرى عزه فى العصارى التى ألف طبعه سكفى خيامها وترىض عقله عليها واعتاد كبايدل لذلك
ما حكى عن ميسون بنت همدل أنها لما اتصلت بمعاوية رضى الله عنه ونقلها من البلد الى الشام
كانت تكفر الحنين على ناسها والتذكر عسقط رأسها فسمعها ذات يوم وهى تنشد

ليت تخفق الادواح فيه * أحب الى من قصر منيف
وأكل كسيري كسيري * أحب الى من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج * أحب الى من نقر الدفوف
ولبس عباءة وتقر عيني * أحب الى من لبس الشفوف
وكلب ينبع الطراق حولي * أحب الى من قط ألوف
وبكر يبيع الاطعان صعب * أحب الى من يغل زفوف
وخرق من بنى عى خفيف * أحب الى من على عفيف

فلماء مع معاوية الايات قال ما رصيتا بنه همدل حتى جعلتني علما من علوج الهجم فالعربي
كثير التعلق بباديته فلا يتدح الا بها كما قال بعضهم

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه * من نسل شيان بين الضال والسم
والضال والسم من أخصار البوادي ذوات الشوك فأشار الشاعر بذلك الى ما يتجدح به العرب من
سكنى البادية لان العرب عندهم مفقود في الحضر فكان العظيم منهم بين الضال والسم أشهر من نار
على علم وأوأنهم من البعد عن الهضم والضم شمس أو قريبا غيم بخلاف المتمدن فإنه يكثر التنقل
ولكن في الحقيقة تنقله غرة من غرات التمدن مرتفعة تعود على الوطن بالمنفعة ولا تنظر الى من حصل
له ذلك وهو ان فرغ بذلك عن الاوطان كما قال الشريف الرضي

ما لي لا أرغب عن بلدة * يكثر فيها الدهر حساى
ما الرزق في الكرخ مقيما ولا * طوق العلا في جريد بغداد

وقال بعض أمراء الحرميين

قوس خيلك عن أرض تها بها * وجانب الدل ان الدل محجاب
وارحل انا كنت الاوطان منقصة * فالندل الرطب في أوطاه حطب
فقد يذم الوطن من واحد ويذم من آخر بحسب حال المتوطن فقد مدح الشريف المرتضى بابل
وتشوق اليها بقوله

ألا يا تسم الرمح من أرض بابل * تحمل الى أهل الخيام سلاى
وإني لاهوى أن أكون بأرضهم * على أن منها استفتت مقاي
وقد كنت كالعقد المنظم منهم * فيها أنا ناسك بغير نظام
أبأت أرجى أن يلم خيالهم * وكيف يزور الطيف دون مناي
فلا برق الاخلب بعد يثهم * ولا عارض الا بياض جهام

وخالف ذلك شرف الدين البيهقي حيث قال

أبابل لا واديك بالبر مقيم * لذي ولا ناديك بالزحج آهل
لأن ضقت عنى فالبلاد فسيحة * وحسبك عارا أنى عنك راحل
وان كنت بالصحر الحرام مدلة * فعندى من الصهر الحلال دلائل
قواف تعبر الاعين النخل حسنها * فكل مكان خيمت فيه بابل

وقال آخر مخاطبا أحدا المولى

ان تكرموني فاني غرم دولتك * فما بقيت فطواع ومنظان
وان أهنت فأرض الله واسعة * لا الناس أئمة ولا الدنيا خراسان

وقال آخر في حق مصر

لما أدين بكأرهم * وصغارهم تهاوكبرا
مال النيل من ماء الحيا * ولا جيع الارض مصرا
فهنا قول المغلوب وكلام مهجور الوطن لا المحبوب وأحسن من ذلك قول من تغرب وأصيب
في الغربة بداء محب وطنه ويحرب

وبلدة قدر متنى * بكل داء عنادا

ولورجعت لاهلى * كانت بلادى بلادا

ويكنى في حب الوطن أن كراهة الاجلاء منه مقرونة بكرهه قتل الانسان نفسه في قوله تعالى
ولو أنا كُنَّا نعلمهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه (مما يحكى) ان عرب بن الخطاب
رضي الله عنه مر لبلد في المدينة فسمع امرأته تقول

هل من سبيل الى خرفا شربها * أم هل سبيل الى نصر بن حجاج

أى الى وصله لانه كان حسن الصورة وهو من بنى سليم فدعا عمر فقرأه أحسن الناس وجها وله
شعر حسن خلق شعره فكان أحسن الناس بلا شعر فقال له أمير المؤمنين إنسا كنى في بلدى
فتشفع نصر اليه أن لا يخرجهم من المدينة فلم يقبل عمر رضى الله عنه فلما ودعه نصر قال له يا أمير
المؤمنين سمعتي قتل نفسى فقال عركيف ذلك فقال قال الله تعالى ولو أنا كُنَّا نعلمهم أن يقتلوا
أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه فقرن هنا بينا فقال ما بعدت يا نصر لكن أقول ما قال
شعبي ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفىني الا بالله وقد أضعفت لك يا نصر عظامك ليكون
ذلك عوضا لك ومن أحسن ما قيل في حب الاوطان قول الصقلي

ذكرت صقلية والأسي * بهيج للنفس تذكارها

فان كنت أخرجت من جنة * فاني أحدث أنخبارها

ولو لا ملححة ماء البكا * حسبت دموعي أنهارها

وصقلية جزير بباطاليا السملالا نيسيليا كانت في بدا الاسلام زمانا طويلا ويناسب هذا
قول من قال

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا اللبيب الاول

كم منزل في الارض يا نفسه القفى * وينينه أبدا الاول منزل

وما أحسن قول بعضهم

على أربع العامر بوقوفه * ليل على الشوق والدمع كاتب

ولي مذهب حب الديار لاهلها * ولناس فيما يشقون مذاهب

وقال آخر

وقائلة ماذا وقوفك ههنا * بيرة يعوى من العصر ذهبا

فقلت لها قل الملامة وانصقي * هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وحسب المؤمن بحب الوطن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة علاميته واستقبل الكعبة وقال والله لأعلم أنك أحب بلد الله إلى وأنت أحب أرض الله إلى الله تعالى عز وجل وأنت خير بقعة على وجه الأرض وأحبها إلى الله تعالى ولولا أن أهلك أني حو لي منك لما خرجت وبالجملة خيب الاوطان على عظم الحسب وكرم الادب أبهى عنوان وهو فضيلة جليلة لا يورث حق الوفا منها الا من حاز الشمايل النبيلة ولا تعين عليه الا الهم العلية والعزائم الملوكة التي تقلد أعناق الامة حتى المنة والمنة فتبعهم على التثب بالوطان والتعلق بأذيال الاخوان والخلان لاسيما اذا كان الموطن منبع العز والسعادة والفخار والمجادة كديار مصر فهي أعز الاوطان لبنينا ومستحقه لبرهامتهم بالسعي لبوغ أمانها بتحصين الاخلاق والآداب من جهتين عظمتين (الاولى) انها لم يساكنها وبراوالدين واجب عقلا وشريعا على كل انسان (الثانية) انها وذبارةتهم مثرة للخبرات منجبة للبركات فبرها يعود على أبنائها ثمرته وترجع اليهم فأنه يحسن الصنيع يتضاعف الفوائد العوائد أضعافا مضاعفة وكلما تحسنت جهات البر من أهاليها حسنت أيضا الثمرات لطالبيها فانما كانت لا تحرم من ثمرات مصر الاجانب فبالاخرى أن تتمتع بها الاقارب ففي الاثر من أعيته المكاسب ففليس بمصر وعليه بالجانب الغربي منها (ويرى أيضا) قسمت البركة عشرة أجزاء تسعة في مصر وجزء في الامصار كلها ولا يزال في مصر بركة ما في الارضين كلها وقيل في تفسير قوله تعالى وأوردنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها أن المراد بمشارق الارض ومغاربها أرض مصر وقال عليه الصلاة والسلام مصر خزائن الارض والخبرة غيض من غياض الجنة ذكر هذا الحديث صاحب المغاخرتين مصر والشام

(منهاج الالباب)

المنفعة العمومية

هي ولابد اجتناف الحق قوام العمران ونظام الاجتماع الانساني وطريق تقديم المدنية لا تقوم بدونها سعادة ولا تتم مع عدمها حضارة ترتقي الامم بتسلك أفرادها بها وتحطط بأعراضهم عنها أبايت لو أهمل الانسان جانبها وصرف عتله عنياته عنها مكتفيا بالاستغفال بمصلحته الذاتية ومنفعة الشخصية لا يهتم غير نفسه ولا يعبئ به سوى أمره انسلم فعلى الدنيا السلام أو مرض فلا يرى أحد من الانام هل تنق بين الناس صلوات أو يقوم اتحاد على عمل مفيد ومشروع جيد

هل يمكن أن يكون لامة جند منظم يرتد عنها طوارق الاعناء ويسذل روحه في مواقف الكفاح صونا لشرفها وحياطة لحوزتها ويفتح لها البلدان ويقوم بكبح جماح أهل العصيان طلبا لتأييد منعها وتقوية شوكتها واعلاء كلمتها لولم تكن قلوبهم مشربة بحب المنفعة العمومية أم هل يمكن أن يكون للهامان أمرائها ووزرائها ووجه الس أعيانها سياسة يد برون أمرها ويرفعون قدرها يجهدون أفكارهم في تحسين مستقبلها وبكدحون في توسيع نطاقها مع أنهم يمتنعون أنهم ربحان يفتعروا باجتناء غار تدبيرهم لبعداً جلهم عنهم وكان يمكنهم لو كانت المنفعة الشخصية عنايتهم أن يفترعوا لادارتهم الخاصة واستيفاء لذاتهم وادراك أوطارهم ولاسيما أصحاب الثروة الواسعة منهم

أم هل يمكن إذا لم تكن للنفعة العامة حقيقة تقصد أن تعاني العلماء مشاق الاسفار وتقضم الاخطار في البحث على أثر بشاهدونه أو خبر ررونه أو علاج يجربونه أو مظنون بحققونه وقد يتوقعون على أموالهم وأنفسهم اتلافا في غضون أبحاثهم واخباراتهم ويقدمون به سذلك عليها لمعا في حقيقة تنكشف الخالفين ومحبوه يظهر للتالين

حب المنفعة العمومية وأمن الفضائل وأس الاخلال الجمدة ولوربي الناشئون مناعليه وتعدوه من الصغر لما تعاقبت علينا الصروف القاذحة وألت بنا التواكب الموهنة التي منها انتشار السرقه في البلاد والعيث بين العباد ونمعلن معامل الحكومه لهم بالشدة وارهاف الحدة ومثباتهم وداة الرشوة على أيدي كثير من المستخدمين وهؤلاء اعضاء اذا لم يستأصل العضو المصاب به بالقطع فسد جسم الديوان الذي فيه هذا العضو واختل نظامه ووقوف قضاء أي مصلحة فيه على الدينار ولو كان قضاؤها من أكدا الواجبات

ومنها التكاسل في الاعمال الخطيرة والتهاون في الامور العظيمة والاختلال في مواقع القتال وتفرق قلوب الرجال ونهاب كل في محال وقصد عورة الارتباط بين أفراد الامة وسوء الادارة وغير ذلك مما يطول شرحه ولا ينعمل جرحه كل ذلك لم ينشأ الا من حب المنفعة الخاصة والوقوف عند حدها

أين نحن من يخوضون نغمار البحار يقيسون أعماقها ويكتشفون جزائرها وما بها من الحيوان والنبات ويخترقون مجاهل الارض كلا ساطة أفر بقة ودواخل أرض الصين وأطراف الجبلات القطبية شغفا بتوسيع المعارف وتقرير الحقائق أين نحن من وقفوا أنفُسهم على تبين أسرار الكائنات التي تصفق لنبلها حكمة الحكيم في قوله (خلق لكم ما في الارض جميعا) فاخترعوا الآلات التي يحصل بها الانسان نتيجة ألوف من لا يعملون بها واهتدوا الى استنباط القوانين الكلية التي يتابعها يؤمن من الوقوع في الخطا في الجزئيات

وما كل من قام بذلك كان مأجورا ومنظر من الناس منفعة ذاتية حتى شوهم أن منفعة الناس هي التي قادته الى مواصلة الانعاب وألجأته الى الولوع في هذا الباب لان كثير من أصحاب الانعاب العظيمة كانوا يقدون في سبيلها ثروتهم غير طالبين عنها بدلا وربما كانوا يسئلون جاههم وحياتهم وأنت تعلم أنه لا شيء عند طالب المنفعة الخاصة أرفع منها

هذا ديو جينس الكلي الفيلسوف اليوناني كان يصدع بحكمته وآرائه ولا يبالى بالضربة بالامراء والعلماء ولا يخزفه اجماع أهل عصره على خلاف ما يرى حتى رمى بالجنون وعومل بالهون

نوحه اسكندر ذات يوم الى مدينة قورنثه ليرى ديو جينس هناك فأراه جالساً في الشمس يجانب برميله الذي كان أعده للبيت فيه في الليل وكان اذا أراد الانتقال الى مكان آخر حمله اليه فلم يعبأ بابسكندر قد نامنه وقال له أما تخافني يا ديو جينس أنا الملك اسكندر فقال له أنت خيراً أشهرير فقال له اسكندر بل خير فقال اذن لا أخاف فحجب منه وقال له اقترح علي ما تشاء أقضيه لك فقال له تذهب من امامي فمسيحبت عني ضوء الشمس وقطعت الذي بها فصار اسكندر في غاية العجب لما رأى من هذا الفيلسوف

والخليل ابن احناء الفراهيدي مؤلف كتاب العين في اللغة وشيخ سيبويه امام النحويين اجتنب الناس مدة وأخذ يتأمل في أشعار العرب حتى انتهى الى اختراع علم العروض فدخل عليه ابنة مرة فوجدته يقطع يتنامن الشعر فذهب الى خارج البيت وقال أبي قديح في هذا اليوم فاعتقد الناس ذلك والخليل لم يكثر حتى آتته استباطه فخرج اليهم وأفادهم بهذا العلم

ومجى الدين ابن العربي صاحب المؤلفات الشهيرة كان يذيع تعاليمه بين الناس ومنها ما لا يوافقون عليه فقتلوا والشواهد في هذا المقام كثيرة فلو كان هؤلاء الرجال يغوث المنة الخاصة ما تعرضوا لهذا الفناء أهل عصرهم ومنابذتهم في آرائهم فيما بها المشغوفون بذاتهم العالمون على اناتهم أي مجد لا لانسان اذا لم تعد آثاره وأي خير فيه اذا اقتصر من اياه على نفسه ولم يتفجع به بنوحه وأي فضل له في حبس آثاره في حصن داره

اذا ما قضيت ليلكم بناملكم * وأفئتمو أيامكم عدام

فمن ذا الذي يغشا كوفي مله * ومن الذي يلصق كوي سلام

هبوا أنكم أو تبنتم حكمة لثمان وفصاحة داود ومال فارون وجال يوسف وقوة عوج وعرفون ولم يشر ككم في هذا النعم أحد أي فائدة للدينام وجودكم وأي ذكر لكم يبق بعد همتكم خلقتوا وما خلقتوا المكرمه * فكأنهم خلقتوا وما خلقتوا

ولا يقال ان من يعمل الخلف في التاريخ اسمه بقصد منفعة شخصية وهو المتبع ببيع الشكر وحسن الذكر لان هذا التمتع لا يدرك منه شيء بعد المات وهو في الحياة قلما يجتنى غيره كثيرا ما علمنا بن ذلك الالوف سرا وأجرى الخيرات تحتفيا لا ير يدخرا ولا شكورا ولم يعد عنا بال الرجل الا مري الذي قدم مصر حدينا ووزع الاموال الجمة على بعض الجهات الخيرية وشرط على أهلها أن لا يقلقوه بالاطراء أو يقطعوا راحته بالنساء

ان من جعل غاية مصطلحه الذاتية دارت فيه الشرور وهاجت عنده الشهوات وانما استعز عن العيون بسنار العجز وسحاب الضعف ومتى أسعده الامكان عكف عليها ومال اليها بخلاف من اتجه وجهة المنفعة العامة فان الفضائل تنزع بطمعه ودمه ويحاول مصالحة الحسنات ومكافحة السيئات ولولا فتره الايام وعائنه الزمان وكل من سر لما خلقه (حفي افندي ناصف)

(مطلب تميم أبناء الوطن في مكارم الاخلاق بدون تفرقة ولا تفرق للاختلاف في الدين)

قد حدث صلى الله عليه وسلم على حسن المعاشرة والملاطفة والتعاون في الخير بقوله وكو فوا عباد الله اخوانا يعني يا عباد الله كلكم خلق الله قد أخر جكم من العلم لحكمة انتظام العالم وتكبير منافعه فاكتسبوا ماتصرون به اخوانا في المودة وقد أمركم بما تقدم ذكره وأنتم عبيده فحكمكم أن تطيعوه وتعاطوا وأسباب ماتصرون به اخوانا الله ما ضد على اقامة دينه واظهار شعائره وانتظام ملكه وهذا انما يكون بتلاف القلوب ووطأ الكلمة كما يفيد قوله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم الآية ثم ان اخوة العبودية التي هي التساوي في الانسانية عامة في حقوق أهل المملكة بعضهم على بعض التي هي حقوق العباد وهناك حقوق العبودية الخاصة التي هي الاخوة الاسلامية وهي اكتساب ما يصير به المسلمون اخوانا على الاطلاق من أداء حقوق بعضهم على بعض كرد السلام وابتدائه وتعليم الاحكام الشرعية ونحو ذلك من شعب الايمان فهذه هي التي أشار لها صلى الله عليه وسلم بقوله المسلم اخو المسلم يعني اخوة دينية لانها تجمعهم مادي واحد وهي أعظم من الاخوة الحقيقية وقد قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي الصحيحين مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وتراجهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحس والسرور وروى أبو داود المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيقته ويحوطنه ورأته ورواية الترمذي ان أحدكم مرأة خيفة فان رأى به أذى فليطه عنه أي يبعده عنه ولا مانع أن يعم في مكارم الاخلاق بجميع ما يجب على المؤمن لا خيفة المؤمن منها يجب على أعضاء الوطن في حقوق بعضهم على بعض لما بينهم من الاخوة الوطنية فضلا عن الاخوة الدينية فيجب أبا لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن وتكامل نظامه فيما يخص شرف الوطن واعظامه وغناه وثرته لان

الغنى انما يحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية وهي تكون بين أهل الوطن على السوية لا تتنازعهم جميعا عز بها الخطوة الوطنية في ارتفع من بين الجميع النظام والتخاذل وكذب بعضهم على بعض والاحتقار شئت لهم المكارم والمآثر ودخلت فيما بينهم السعادة بكسب شعارها وما أثرها فلذلك بين عليه الصلاة والسلام قوله المسلم أخو المسلم بقوله لا يظله أى لا يدلخ عليه ضررا في شؤ نفسه أو دينه أو عرضه أو ماله لان ذلك قطيعة محرمة تنافي الاخوة (مناهج الالباب)

(في طباع العرب وأخلاقهم وانقسامهم الى قبائل)

قال المؤلف هريران العرب في قديم الزمان أغنى في زمان الجاهلية الذى يطلقونه على العصر الاول من تاريخهم كانوا منتشرين خلف بحرين رتمهم وكانوا قد أسسوا عمالك صغيرة في العراق والشام وكانت بعض قبائل منهم تسكن بوادي مصر وكان الحيس من تسلمهم وكان جميع النصارى التي في أفريقيا اذما لهم ولما كانوا منفصلين عن أعلى شمال آسيا برمال كالجبال وأمنين من دهمات الملوك الفاتحين لم يكن شئ يضرهم يحرقهم ولا بالتكبر القائم بهم من حيث جلالة أصلهم وشرف عائله آبائهم الاول وشهامتهم التي لا تغلب ومن حيث لغتهم التي لم تزل باقية على نقائها وحالتها الاصلية وزيادة على ذلك انهم لما كانوا ساكنين في مركز تجارة الجنوب والمشرق كانت تنعكس اليهم أنوار معارف جميع من جاورهم من الامم ويشترون معهم في اجتداد تجارى قد جعلها حسن وضعهم في ذلك المركز طباعا لهم فبناء على هذا قد وجد فيهم من النساء الاصلية نوع عمليسة عقليه لم يظهر مثلها في سكان جبال أورال ولا جبال التاي وبذلك حدثت في لغة العرب التي هي لطيفة وبسيطة العبارات المجازية والحكم التذينية قبل تفكرهم في كتابها برمن طويل وكان على جبلهم المسمى بطور سينان زول ألواح الشريرة للعبانين وقد سكنت هذه الامة التي بعث اليها موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام مع قبائل العرب في أغلب الازمان

وكان قديما العرب يحفظون على أخلاق أجدادهم النبوية ولكنهم قد تغيرت طباعهم بعد ذلك فصاروا سافكا كين للدماء مسترسلين في السامرات معتقدين الاوهام الكاذبة ذوى ثورة وشدة ميل الى المعتقدات الاخر والباطيل وكانهم قد وهبوا شيبية مؤيدة واقنار على فعل أعظم الامور حتى غلبت عليهم فكرة سامية فهم وان كانوا ذوى حيوية وكرم وعزة نفس الا أنهم سرعوا الغضب أقويااء الجرافة فترى في الواحد منهم صفات الفضائل والذائل التي عليها أمتة واضطراروا الى أن يستعمل بنفسيه على ما يحتاجهم من الضرورات المعاشية جعله كثير السقي والجهد وهو صبور لتعوده على المتاعب المتنوعة التي هو مجبور على تحملها وهو يحب الاستقلال حتى كأنه هو انخير الوحيد

الذي قدم عليه بالفتح به ولكنه كثير المشاجرة كراهية في مطلق التحكم عليه . وحيث كان صعب المعاملة مع نفسه كان قاسى القلب شديد الحرص على الانتقام في أغلب الأحيان ولقد أوزعهم جميعا اشتراكهم في المستقر والطباع حمية واحدة في شرف النفس فقغارهم بالسيف وقرأ الضيف وفصاحة اللسان بل كان السيف هو الكفيل الوحيد بآيات حقوقهم وكان أقرأ الضيف معتبرا في نظهم أنه القانون الجامع لقوانين الانسانية وكانت الفصاحة لعدم معرفتهم بالكتابة تستعمل في فصل المناصحت التي كانت لاتتهم المحاربات

وأما انقسام العرب الى قبائل فهو أيضا نتيجة من نتائج معيشتهم البدوية وكانت العوائد الجارية لديهم تقوم مقام القوانين الشرعية وكانت عائلة تجتمع حول كبير يكون حكمه عليهم دائما تحكم الاب على أبنائه لثبوت حق الارشده . وكانوا يسمون الرئيس شيخا أو سيدا وكانت العائلات الاصلية في العرب أشبه شي بمائلات أشراف قدماء الرومان ومائلات أشراف بلاد أوروبا وكان على جميع المشايخ شيخ أعلى منهم رتبة فكان يعتبر قائد جيشهم بالقبائل العدد ويلقب بعض الاحيان بالامير (أى حاكم تلك الاحياء وملكها) ولكن كان حكمه مقيدا جديلا بل لم يكن ينبغى من الاقتصاد منه بمثل جنايته (١)

وكان موكل على جميع مصالح العائلات الا انه كان لا يقدر على تغيير مصلحة نفسه من مصالحها لان القبيلة عائلة ومنسوبة اليه فهو وان كان الامير الذي يبت الحكم بنفسه في جميع الدعاوى العظيمة الا انه كان لابد لهم أن يصغى الى آراء المشايخ قبل بت الحكم فكانت جميع القبائل منتظمة على هذا النسق وربما كانت تجتمع عدة قبائل مع بعضها فتكون قبيلة واحدة وفي هذه الحالة يكون حق الحكم لشيخ أفواها شوكة وكثيرا ما كانت القبائل التي ترى وسائل عيشها قد نفدت بالحرب المشؤمة تقتل وتختلط بقبيلة أخرى ذات اقتدار على حمايتها وبكثرة هذه المخالطات والمواخاة تضع كون كثير من أسماء القبائل لم يسبق ذكرها الى الان

وما دامت الامة العربية آلفة للعيشة البدوية لم يغير تنظيم قبائلها الذي هو النتيجة المتولدة من نفس تلك المعيشة أدى تغيير بل لم يزل ذلك التنظيم باقيا على ما كان عليه وان كان قد تنوع في الجملة فالى محل من بلادهم أنشئت فيه مدائن صار حكم المشايخ فيه مطلق التصرف غير أن القبيلة التي لم تدخل المدينة لم تزل كما كانت في الايام الاول معتبرة كالعنصر الحقيقي لتلك الجمعية الانسانية (أى سكان المدن التي تشتاق النفوس الى الوقوف على حقيقة حالها)

(١) راجع كتاب الامعات الجديدة في تحقيق التاريخ القديم تأليف ولنه (بضم الواو وسكون الادم) والمجلد العاشر من تاريخ الخطاط السلطنة الرومانية يميز والها تأليف موسيو جيون (بكسر الجيم الفارسية وتشديد الياء العربية)

(في ميل العرب الى الوحدة السياسية وفي تجمعهم بسوق عكاظ وفي منازلاتهم بقصائد الشعر)

أقول كان هناك عدة أسباب تستوجب حصول اتحاد العرب مع بعضهم بالفعل السبب الاول
اشتراكهم في الاصل مع عدم ما كان بين الاسماعيليين والقططانيين من منافسة المعاصرة واستزمام
اغارة فحاشي الحبش للتأليفين هاتين العائلتين العظيمين حتى لم يبق لصيرورتهم تحت لوا واحد
الاشئ يسير والسبب الثاني اتحادهم في الاخلاق والعوائد فكانوا جميعا متساوين باوهام العبادة
الوثنية الباطلة وبالعوائد الجاهلية العنيفة ما عدا بعض قبائل يهودية أو نصرانية فاما إعادة
الانسان فكانت عامة عندهم وكان عند جميع القبائل تقرب الازواج لموت بعضهم قربانا
ومعاملة النساء معاملة الرقيق وإباحة تعدد الزوجات ودفن البنات وهن على قيد الحياة
يبدأ أبائهم الفقراء اذا كانوا يخشون من تدنيس أعراسهم ذات يوم وكان عندهم تكبر وخصي
لكن مع اقتراف في حب شرف النفس فكانت هذه التصورات وتلك العوائد التي من شأنها احداث
البسالة والبطولية الحماسية توزعهم الشجاعة والكرم وتحملهم على المحاماة عن المظالم نيابة
عن الشرع وعلى تقديم الوفا جايعدون به على الحياة وكان عندهم لا العرب أيضا حب الانقام
والافراط فيه وقانون المقاصة النافذ على الجميع والاحتياج الى المساواة وجواز النهب والسلب
من بعد الانتصار وإقامة الشطارة والقوة مقام الحق وكان عندهم أيضا اقراء المضيفان
مع عجب جرمان أنفسهم وشدة التوق الى الصيت والسمعة بين القبائل وهو السبب الذي يحمل
صاحبه على فعل أجل الافعال وعلى ارتكاب أعظم الجنايات والاثام فهذه الخصال هي صورة
ما كان يشاهد في بلاد العرب وأما شهوات نفوسهم فكانت أكبر تلك الخصال غلبة وظهورا
فيمكن أن نستنتج من ذلك انه متى اتجهت عقولهم الى المناجاة الخاطرة الى شئ واحد وثبت اليه وثبة
واحدة لا يصد عنها شئ وكان وصولها الى هذه الغاية مستلزما أيضا للسبق بشرطين الاول الاتحاد
في اللغة والثاني وحدة الدين فاما الاول فكان بعضه موجودا فيهم وبين ذلك أن العرب لما
كانوا متقادين الى غرائزهم دون غيرها كان ذلك مهيا للاختلاط لغات قبائلهم العديدة ببعضها
وصيرورتهم لغة واحدة ولما كانوا ذوي غيرة على اقبال أعمالهم العجيبة وما تزهيم الى ذراهم
كانوا يحبون الاشعار حيث رآها الوسيلة في توصيلها اليهم يريدون بذلك أن ينشر غايتهم ومجدهم
في جميع شئجزيرة العرب الا أن كلامهم لم يكن خجدا والخيال لم يكن يفهمه مؤلفوا الكلام بارض الجن
بل لم تتفق قبائل البلاد الواحدة على لغة واحدة وكان شعراء العرب هم الذين وكل اليهم اختراع
لغة أعينهم تلك اللغات وبروايه أشعارهم في كل جهة تعينت الالفاظ المغسلة للدلالة اللفظية

على الافكار والتصورات ومتى كانت عدة عسائر تستعمل عبارتين مختلفتين للدلالة على فكرة واحدة كالتواضع واختارون منهما ما اختاره الشاعر في ذلك المقام وبهذا المأثرة تكونت اللغة العربية بالتدريج وقد فهموا مع ذلك فوائد القصد فصلاوا يقابلون الاستعارات العقلية بالاعتبار الواجب الذي لم يكونوا يسمعون به الى ذلك الزمن الانتصرت القوة البدنية فالتواضعيات عامة كالتواضع فيدون منها التعارف والتهاب ولم تكن حقيقة تلك الجمعيات التي كانت تعقد في عكاظ وهي مدينة صغيرة بين الطائف ونخلة على بعد ثلاث مراحل من مكة وفي الجهة وذى المجاز خلف جبل عرفات (١) الاجالس حافلة للفاخرة والمفاضلة بالشعر لا غير وبالجلة فلم يكن فيها شئ من التحكم على النفوس فضلا عما كان فيها من الساذجية فانها كانت تعقد كالالاعاب والموااسم الاولية في قديم الزمان يلاذ اليونان فكان يقوم شجاع وعشى مشى المتكبر أمام جمعية صامتة جامعة لافكاره وليس عليه شئ من العلامات الدالة على جلالة قدره ولا شئ من الزينة الدالة على علو رتبته ومع ذلك كانت جميع الابصار تشخص اليه فيقف على عال من الارض وينشد قصيدة كاملة على الحاضرين بصوت رخيم زان من غير استعانة بشئ غير الالهام اوروبية حافظته الواسعة الاقتراح فكان تارة ينشد أعماله العظيمة ووقائع الجسمية وشرف قبيلته وطورا يصف لذاته الانتقام وتارة لطائف اكرام الضعيف وطورا للشجاعة وفي كل لا يغفل عن مدح شرف النفس والعرض وكان في بعض الاحيان يقتصر على وصف بجمائب الاكوان المشاهدة والعزلة عن الناس في العصور او الواحات المستهانة جدا وخفة عدو القباء وكان السامعون لا ينظرون الا الى نفسه ويستحسنون جميع الاخلاق والسجايا التي يود أن يوزعها ياها وكان يرسم على وجوههم التسمية بالاتباع ما يقع بنفوسهم من الاستحسان للبطل الصبور في منازلة الخصم ومن الاحتقار للحيان في المنزلة ولم يكونوا يداورون قط ما قام عندهم من استحسان أو استقبح فكان الشاعر اذا ذلك افاشده واليه يقرر أبلغ مما يباه ويعدو الى انشاد الشعر بجماس جديد ولما كان شعراء العرب متصفين باعتماد وسند لايمان لهم فيه أحد كأفاهم المدونين لتاريخ بلادهم قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ولما كانوا هم أصحاب الراى السيد كانوا يعاون ويخفوضون كايستصوبون

(١) راجع صحيفة ٩ وصحيفة ١٥ من كتاب بكر المسمى بتاريخ آثار العرب بالقديم وصحيفة ٤٥ من كتاب اسماني المسمى بالبحث عن أصول العرب وكله عكاظ في فموس اللغة العربية تأليف الفيروز آبادي وصحيفة ٧٦ من ترجمة رموز من التاريخ لشهاب الدين أحمد النويري في أخبار العرب وصحيفة ٢٥٥ من المجلد الرابع من الاغانى وصحيفة ٢٩٦ من المجلد الاول من كتاب مرصع الاطلاع المسمى ذكره كوسين دور رسول في مصنفه وكذلك راجع تاريخ العرب قبل ظهور النبي محمد عليه الصلاة والسلام الذي ألفه وهول دويلينسترن وكان طبعه في مدينة لوند سنة ١٨٣٦ ميلادية

شأن القبائل المختلفة ومن ثم كانوا مخوفين ومحتارين عند الجميع فاما ما اقترحوه من قصائد الاشعار فكان ما يقبل منه بعكاظ يكتب بالنهب على نفيس القماش ثم يعلق على الكعبة ليحفظ حتى تطلع عليه الذرية المستقبل

وقد درهم في احداث هذه الكيفية لحفظ ما استحسنوه من القصائد فقد اوصلت الينا سبع قصائد وهي المعلقات (١) المشهورة واسماءناظمها مشهورة أيضا الى الآن الاول امرؤ القيس (وكانت وفاته سنة ٥٤٠ بعد الميلاد) والثاني طرفه (وكانت وفاته سنة ٥٦٤) والثالث عمرو (وكانت وفاته سنة ٦٢٢) أعنى عام الهجرة والرابع الحارث بن حازم بكسر الحاء واللام المشددة (وكانت وفاته سنة ٥٤٠) والخامس لبيد (وكانت وفاته سنة ٦٦٢) أعنى عام ثلاثة وأربعين من الهجرة والسادس زهير (وكانت وفاته سنة ٦٢٧) أعنى بعد الهجرة بنحو خمس سنين والسابع عنتر بن شداد (وكانت وفاته سنة ٦١٥) وعنتر دون غيره هو الذي فاق في اتفاق جميع أنواع الشعر الجاهلي حتى كان لا يفوقه فيه أحد فكانت العرب تجتمع كل ليلة تحت خيامهم ويلتذنون بسماع تلك القصائد الجيصة التي جعلت بين محاسن الترم المطرب الشعبي وحلاوة التوقيع العذبة الناشئة عن شوق بلا تكفير ورون فيها جميع السجيا العربية وجميع المشتبات التي تثير فيهم الحماسة مؤلفة بلمغة كأنهم لم تخلق الا للافصاح عنها وان هؤلاء الشعراء السبعة وبعض شعراء آخر كانوا معتبرين بهذا وكذلك المرقشان (٢) بضم الميم وفتح الراء وتسد القاف المكسورة (وكان أحدهما سنة ٤٩٥) والآخر سنة ٥٣٠ بعد الميلاد والنابعة الذي ساني (وكان سنة ٦١٥) ودريد بن الصمة (وكان سنة ٦١٠) وحاتم (وكان سنة ٦٢٠) والاعشى (وكانت وفاته سنة ٦٢٩) وغيرهم قد غمروا جميعا في اشعارهم الى حوادث عظيمة حصلت في مجديدين القبائل المستقلة يتفحصها التي كانت تسكن في وسط بلاد العرب وأولها واقعة البساط التي منعت غارات ملوك اليمن سنة ٣٥٤ بعد الميلاد ثم فتوحات ملوك كسرة (بكسر الكاف) الاوائل وفتوحات الحارث الذي صار ملكا على الحيرة سنة ٥١٨ ثم نصرات سلان (سنة ٤٨١) ونصرات خزائن (سنة ٤٩٢) التي حازها يعة وابنه كليب على العرب الجيرية ثم حرب السوسين آل بكر والتغلبين الذي استطال من سنة ٤٩٤ الى ٥٣٤ ونصرات زهير أمير بني غطفان

(١) وكان العرب يسمون أيضا تلك المعلقات بالذهبات أي القصائد المندبة راجع صحيفة ١٦٤ من تأليف بروكول المسمى بصول تاريخ العرب وصحيفة ٢٩٧ من المجلد الاول من تاريخ كوسين وديرسول

(٢) راجع من صحيفة ٥٠٦ الى صحيفة ٥٢١ من المصنف المسمى بجزالة أسيا المطبوع في شهر نوفمبر سنة ١٨٣٨ ماذا ذكره كتر مير في تلك الصحيفة في خصوص المرقش واقترا ايضا تاريخ كوسين وديرسول ففشرح وفسر في المجلد الثاني من تاريخه أكثر ما يعزى الى المرقشين من الكلام

على هوازن (نحو سنة ٥٦٧) والحرب الطويلة المعروفة بحرب داحس بن بن عيسى وزيان (بضم الذا) وكلاً أعظم قبائل غطفان فاستطلا من سنة ٥٦٨ الى سنة ٦٠٨ بعد الميلاد مع وصفهم الحرب التي حصلت بين بن عيسى وبن عامر نحو سنة ٥٧٩ وقتال بن عيسى وبن زيان مع هوازن وبعض قبائل آخر من نسل خصفه وتشتهر بحركة الرقم (بفتح الراء وسكون القاف) والبيعة واللو وسلا وحوراء من سنة ٦٠٩ الى سنة ٦١٥ بعد الميلاد ثم حرب بن عيسى وبن بكر ولم تنته الا سنة ٦٣٠ بعد الميلاد وهو وقت دخول القبيلتين المذكورتين في دين الاسلام وقد وجدنا قبيلاً أشد به الشعراء الذين اشتهروا وجرروا العقول في ذلك العصر وصفاً صحيحاً المعيشة عرب المبادية الذين لم يغير الدهر أخلاقهم الشهية ألبتة فكان من عادتهم بعد انقضاء المقاتلات السافكة للدماء أن يعقدوا منازلات للفخار والتظاهر بالكرم يسهونهم المنافرة والمنازلة التي حصلت سنة ٦٢٠ بعد الميلاد في بن عامر كافية في تفهيمنا صورة تلك المنافرة وذلك ان المشيخة على كل قبيلة كانت لا تقلدهم الا من كان أحق من غيره فاتفق ان علقمة وعامر بن الطقييل وكابشاع بن شجاعين قد زعموا استحقاق المشيخة وحكما في منازعة تهما شيا مبعلا على عشيرة غير عشرين تهما خلفهما ذلك الحكم ان يتبادلوا اعتراض الحكم الذي يحكم به في ذات وأجل به الى سنة فبقى المتنافسان ينتظران مضي ذلك الوقت المحدود ويجهدان في الاشهار باعمال الشجاعة والقضائل وما كان ذلك العصر الا عصر الشوالية (المشهور بن الفريخ) فلما حكم ذلك الحكم بان كلامهما جدير بالرياسة على العشيرة فاشتركا في الحكم وبقيا معدين مع بعض أشد الاتحاد وكانت أنواع هذه المنازلات تجعل مجامع حافلة ويبقى لها تأثير أكيد في الأذهان فلا تعجب اذن بعد ايراد مثل هذه الامثلة في المنافرة من الخصال العجيبة جدا حتى تنافس فيها كل من حاتم وزيدناجيل وكانا من بني طي حيث ضربت الامثال بكرهما في ابتداء القرن السابع من الميلاد في جميع بحيثجزيرة العرب (غاية الارب في تاريخ العرب)

فيما يجب للملوك على الرعية وما للرعية على الملوك

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وفي أولى الامر أقوال أحدها أنهم الامراء قاله ابن عباس والسدي وأبو هريرة والثاني انها نزلت في أمر ابي النبي صلى الله عليه وسلم مثل خالد وعمر قاله مجاهد والثالث انهاهم العلماء حكماء الخارج وأغلبه اختاره والاول هو الاشهر الاظهر فارعية عليهم بذل الطاعة للكلهم والاستقامة لامره والاقتداء بحكمه واجتناب نهيه وليس للملك أن يطالب بحجة القلوب واخلاص الضمائر فذلك أمر رباني لا تقدر

عليه البشر ولا تملكه (وقد) تحمل بعض الأكسرة ورام أن يضبط القلوب فقال في خطبة له أيها الناس إن لنا عليكم حق شمول النعمة وعموم السكون والدعة في طلب غاية لم نلها هنا أو رام فوق ما يستحقه ولم يقسم له قاسم الخطوط شيئا مما يرضيه فإنه بسخط وبقننا ويتخى زوال دولتنا وما يدر به لعل الشقاء له في ذلك أكثر فاذا دخل علينا اطلعنا عليه وظهر لنا ذلك في أسارى وجهه وقلنا لسانه فنقلناه تارة بالأعراض عنه وتارة بالإحسان اليه لتخبر حاله في ذلك فاذا تحققنا ذلك أهمناه فإن استقام استقمنا وإن زادت حاله فسادا عاقبناه وعقوبتنا ضرب العنق وفي هذا الكلام من دقائق السياسة وضوابط الاستيلاء مما يجلب موقعه ويعظم نفعه وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم كان يبايع أصحابه على السمع والطاعة في المنشط والمكروه وفي صحيح مسلم عن أم الحصين أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فقال ولواستمع عليكم عبد يوقدكم بكتاب الله فاستمعوا له وأطيعوا وفي طريق آخر عبد أحسبنا مجددا فعلى هذا الانطباع في معصية الله (وفي الصحاح) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال في خطبته على المراءم المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة (وفي البخاري) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى من أميره شيا يكرهه فليبره فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا إلا مات ميتة جاهلية فعلى هذا من أظهر العناد وجاهر بالشقاق فقد خالف واستحق العقوبة

(فيما يجب للرعية على الملك)

قال عليه السلام لكلهم مراع وكلهم مسؤول عن رعيته فيجب على الملك أن يلتزم لرعيته بأربع خلال (أحداها) الشفقة وهي تألف من محبته لهم وخوفه عليهم وحذره كالوالدين (الثانية) العناية بهم وهي إمعان الفكر في أمرهم وإحراز ما سخر لا لشكر في مصلحتهم (الثالثة) التأليف من الملك أو من نائبه ممن يقوم مقامه في ذلك لأنه يسوس جماعات قلوبهم متفرقة وأغراضهم متباينة فتفقد التأليف بينهم ونائبهم نافرهم وتقريب متباينهم (الرابعة) الرفق فإنه أصل في السياسة لأن القسوة إذا أفرطت نفرت وكذلك الرقة إذا أفرطت أطمعت فخير الأمور أوسطها وما يجب لهم عليه حمايتهم ورعايتهم وحفظ نفوسهم من الأعداء وطرقهم من القطاع واللصوص ومدنهم ومساكنهم من السراق وأهل الفساد فهذه وظيفة الملك وأيضا انصاف المطالوم من الظالم فإن النفوس الامارة بالسوء مشبهة لنفوس السباع وأخلاقها وطباع الحيات والعقارب فانها ألتذ بالظهور وتستضري علمه وتقرن ومنشأ هذه الاخلاق من افراط القوة القضائية من وجوه إمام حرمان أو بطرأ واختلاف وعدو وعبد فإذا بلى الملك بأصناف هذه الطائفة

فيداوهم بالجزع والنفي من الارض أو دفعهم الى الحر وب والمصاعب (كما قالت) مرازمة الفرس
لازشير انا قد أجعنا عليك ووليناك علينا نستبدل ما تكافيه من الاساآت باحسانك فقال لهم
احفظوا لى غرة الملك احفظ لكم سنة العدل وأوف لكم بالقول والفعل ففكر واذا هو قد جمع
لهم فى هاتين الكلمتين جميع الكلام السياسى والحقوق التى لهم وعليهم (وينبغى للآل) أن يتفقد
أحوال رعيته فيعطى الفقير ويكمل الناقص ويصل المتقطع ويورث ذوى الميراث ويقبل ذوى
العثرات لانه كالعضو الرئيس الذى يوصل الى كل عضو بعد عنه أو قريب من الغداة مقدوا حاجته
حسب اللائق به من ذلك (وفى صحيح مسلم) عن عبد الرحمن بن شماسة قال أتيت عائشة رضى الله
عنها أسأله عن شئ فقالت بمن أنت فقلت رجلا من أهل مصر فقالت كيف كان صاحبكم لكم
فى غزاتكم هذه فقلت ما تمنانه شيا أن كان لموت للرجل من البعير فيعطيه البعير والعبد
فيعطيه العبد ويحتاج الى النفقة فيعطيه النفقة فقالت أمانه لا ينبغي الذى فعل فى محمد بن أبى
بكر أخى أن أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا اللهم من ولى
من أمر أمى شيا فشق عليهم فاشق عليه ومن ولى من أمر أمى شيا فرفق بهم فرفقه (ويجب)
ان ينظر فى حال رعيته فيحسن الى المحسن ويردع المسيء المجرم ويكف يدجنده عن ظلم الرعية
والتعدي عليهم ولهذا كانت الملوكة تتخذ منازلها بغزل عن منازل الاجناد ومنازل الاجناد بغزل
عن منازل الرعية لئلا يأتى بعضهم ببعض ويقع بينهم خصامات وشرو بين النساء والصبيان
والغلمان وكذلك يكون لهم جامع مفرد وحمامات مفردة ولا تشارك الجند الرعية فى حرفهم
ومتاجرهم ووزارهم فانه اذا كان الجند زراعا أو تجارا ضعفت أحوال الرعية من عدم السبب
وضعفت بيوت أموال المسلمين من عدم تحصيل الزكاة وما واجب ويقسد حال الرعية المتسبين
والزرايع (وفى ذلك) مما ذكر فى فتوح مصر وافريقية قال حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب
عن جوبة بن شريح عن بكر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
أمر جناده أن يخرج الى أمراء الاجناد يتقدمون الى الرعية بان عطاءهم قائم وأرزاق عيالهم
سائل فلا يزرعون ولا يزارعون (قال) ابن وهب وأخبرنى شريك بن عبد الرحمن انه بلغه أن شريك
ابن أبى سفيان العنطى أتى الى عمرو بن العاص فقال انكم لاتعطوننا ما يحببنا أفأذن لى بالزرع فقال
له عمرو ما أقدر على ذلك فزرع شريك من غير إذن عمرو فلما بلغ ذلك عمر اكسب الى عمر بن الخطاب
يخبره ان شريك بن سفيان العنطى زرع بارض مصر فكتب اليه عمر بن الخطاب أن ابعث اليه
فلما انتهى كتاب عمرو بن العاص أقرام شريكا فقال شريك لعمر وقتلتنى يا عمرو فقال له عمرو
أنا قتلتك أنت صنعت هذا بنفسك فقال له اذا كان هذا من رأيك فاذن لى بالخروج اليه من غير كتاب

ولا عهد الله أن أحعل بدى في يده فاذن له بالخروج فلما وقف على عمر قال تؤمننى بأمر المؤمنين قال ومن أى الأجناد أنت قال من جند مصر قال فلعلك شريك بن سمي قال نعم يا أمير المؤمنين قال لا جعلتك نكالا لئن خلفك قال أو تقبل منى ما قبل الله من العباد قال أو تفعل قال نعم فكتب الى عمرو ان شربكا جاني ثا يا فقبلت منه (ولما) استولى جوهر المعزى على مصر بنى له سيده المعزى به القاهرة والقصور ليكون هو وأصحابه وأجناده يعزل عن العامة وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وبني الجامع الازهر في سنة ستين وثلاثمائة ووصل المعزى الى الديار المصرية ودخل قصره في سنة اثنين وستين وثلاثمائة وكان من أمرهم ما كان وعلى هذه العادة ما لو بنى عبد المؤمن بالقرب ففعلوا كثر ونلسان وغيرها (وينبى) ان ينظر في حال الخراج والزوار فيصيح أحوالهم ويوضح سبلهم ويختار دليلهم ويؤمن عليهم من يرقى بضعيةهم ويوسع عليهم في الزاد والماء والمحل وكثيرا ما كانت الخلفاء تباشر ذلك بنفسها أو تقدم من يقوم مقامها وتشكف النفقات الكبيرة لذلك وينظر في حال أهل الزمة والمعاهدين فيمنع من ظلمهم ويشفق عليهم فانهم كالعبيد والمستضعف جانيهم وكذلك يمنع من تعدى طوره ونحوه على صلب عليه منهم ويحسم المائدة في ذلك

في سيرة الملك مع أهل الشريعة العلماء والفقهاء والفضلاء

يتعين على الملك أن يذل اجتماعه في اظهار روثي الشريعة واحترام أهلها وكرامتهم والاثابة على تعليمها والحفاظة عليها وبأمر أولاد العلماء لا اشتغال بالعلم وكذلك يفعل مع جميع الطوائف سوى أهل الشرور والمهن الخسيسة فيتركهم وشأنهم وما تصل وتنقض همهم اليه ولم يكن في الدنيا أعظم دولة ولا أشمخ مملكة ولا أدوم أياما وذكرنا من دولة الفرس ودولة اليونان وسبب ذلك تعظيمهم للعلوم والحكم وتمكينهم من يشتغل بذلك ورعاية جانبهم حتى كان أكثر ملوكهم علماء وحكاما وقد عيا كان الايباء مملوكا وكانوا يشتغلون بالعلم واستنباط الحكمة حتى بلغوا في ذلك غاية المنتهى وتعلمه نساؤهم وصبيانهم (مثل) أزميدخت ورش الفارسيين وابلاد بطر به بنت بطليموس صاحب الحكمة والتصانيف ومثل موردين سهاوق بن سراق الانطاكي اليوناني الذي ملك الديار المصرية ووضع الحكم بعد أبويه وقبل الطوفان واشتغلوا في زمانهم بالعلوم والاستبانات وعلموا بمجادة الطوفان وكان سبب ذلك ان سوريد الملك رأى رؤيا هائلة وأفرغته وذلك انه رأى كأن الارض انقلبت بأهلها والناس يهرون منها سفلا على رؤسهم وكان الكواكب تنقلب ويصدم بعضهم ببعض بأصوات مختلفة هائلة ففهم ذلك ثم رأى رؤيا ثانية وثالثة ونسردا على علماء دولته وسيرة مملكته فأخبره بمجادة الطوفان والرؤيا الثانية بعد الاولى بسنة وهي كاته

في هيكل لم يعرف بدياقوس فرأى كأن خمسة من الكواكب محصورة في عقلة الذئب والجوز
هرابط والشمس قد انكسفت ولم يبق منها الا القليل والقرقنا تحدد من السماء في صورة امرأة
باكسة تشكون زوالها فاتبته فرعا وكنتم الرؤيا علم انها موعنة للاولى فأمر بتطيف الهياكل
والمقامات والزيادة في ربانها وذايحها لوجورهاها وتعظيم أهل العلم والعبادة وتفقد مواضع الظلم
وازاله وقصر عن اللهو وبني مترقيما يحدث حتى رأى الرؤيا الثالثة وهي كأن الكواكب النائمة
في صورة الطيور البيض وكانها تحطف العالم وكان الكواكب النيرة مظلمة والطيور تلي العالم
بين جبلين عظيمين والجبلين قد انطبعا على العالم فاتبته فرعا أشد من الاولين فالتجأ الى هيكله
الذي في بيته وجعل يتضرع ويترغ بجذبه على الأرض ويدعو ويكي الى أن أصبح فاحضر
رؤساء الكهنة وكانوا يومئذ مائة وثلاثين كاهنارؤساء فضلاء وعلمهم رئيس كبير يقال له اقليمون
وأخيرا أيضا رأى رؤيا وهي كأنه الملك واقفان على رأس المنارة التي للملك باسموس وكان الفلك
قد قطأ ونزل حتى صار على سمت رؤسنا وصار كلكبة المحيطة بنا وكان كواكبها قد خالطنا
في صورتي فورانية على قدر أجرامها والناس يستغيثون بالملك والمك رافع يديه ليدفع عن نفسه
الفلك اذ بلغ رأسه واحمر في رقع يدي مثل ذلك وكان صورة الشمس طالعة علينا ونحن نفسيت
نقاطتنا أن الفلك سيعود موضعه فاذا مضى أربعمائة دورة طبق اطبا فاشد اذ على أهل الأرض
حينئذ تخرب الاصنام وتبطل الاحكام وتزول الاعلام ويتوهم بالامر واضع الزمان ثم قطأ المنار بنا
الى الأرض ورجع الى موضعه فانتبهت فرعا مرعوبا فقال له الملك متى كانت الرؤيا فاجبره بلبلتها
فوجدناها واقفة لليلة رؤيا الملك الاولى فقال له الملك فعلى ماذا تأولت يا اقليمون قال حدث عظيم
يحدث بعد اربعمائة سنة يضرب بجميع العالم الا قليلا من الناس وهو عنصر الماء فسأل هل من
حادثة بعدها فأخذوا طالع سؤاله وحققوه وجرروه فذكروا حادثة ثانية ضد الاولى فقال هل
من حدث ثالث لهم ما ففتشوا في غني عاومهم فقالوا نعم يحدث حادثة عظيمة وداحية دهيما لم يبق
على وجه الأرض متحرك الا تلف ويحل عقد الفلك باذن القديم الازلي وهي الساعة فعند ذلك
أمر ببناء الاهرام والافرونيات وهي البرابي لتكون قبورا لهم ومشوى لاجسامهم وكثرا لاموالهم
وكسبهم وفخائرهم فاختاروا لها الاوقات الثلاثة في مبدأ حفر اساسها وعمارتها وتم حفر اساسها
في ست سنين وتكملت عمارتها في ست سنين وكان فيها صنائع وفعلة سبعون ألف نفس وارتقاها
بذراعهم مائة ذراع وأسمه عشر تاذرع في مثله فعاش سوريد دهر اطربلا ومات ودفن في الهرم
الشرقي وكان عمره لما عمرا الاهرام ستين سنة وذلك بعد اخوه هريجيت فلك وأقام على مناج أخيه
مائة وثلاثين سنة ثم مات ودفن بالهرم الغربي ثم ملك بعده ولدا أخيه افروص بن سوريد مائة

وخمس عشرة سنة ومات ودفن بالهرم الصغير وهذا ذكره يوم عشر في كتاب الالوف وسببه انه وجده في كثير من كتب الكهنة مثل كتاب انطاجس وباهونه ومنسب وميا كل واستيدس وفي كتاب محمد ابن هرون العباسي مما نقله من كتاب علي بن محمد بن عبد الله بن خنوف الطبري وكان السبب في ذلك أنه وجد لبعض أهل مصر وهو رجل من القبط يقال له ابنيث كتاب بالقبطية في قرطاس على صدره وهو ميت من تحت أكتافه فيه مکتوب علم الاول أن هذا انتخبه فيلبش اليوناني وهو أبو الاسكندر ذي القرنين ونسخته من صحيفة ذهب كتابها بالقبطية مخرفة منقورة أخذها من أخوين قبطيين يقال لاحدهما ملول والاخر وريزنا وسألهم عن سبب معرفتهم بهذه الكتابة فذكر أنهم ممن ولد رجل آمن بنوح نبى الله عليه السلام وحلف في السفينة وورثه عنه علم الاول وكان تاريخ الصحيفة من حين كتبت الى أن أخرجت لفيلبش ألفي سنة وتسعمائة سنة وخمسة وعشرين سنة ومن فيلبش الى هذا الكتاب وهو سنة ثمان وسبع مائة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام ألف وسبع مائة وثلاث وعشرون سنة يكون تاريخها الى الآن أربعة آلاف سنة وسبع مائة سنة وعشرون سنة ولوشرخا ما في الصحيفة لطال الكتاب وفات الغرض وهذا غرض العلم والاجتهاد فيه (ولقد أجاد كسرى أو شروان في قوله أما أهل العلم والدين فلهم علينا أن نسمع منهم ونصدق قولهم ونرفع مراتبهم ونتب عنهم ونوسع لهم ما صح فقههم وظهر صلاحهم وثبت زاهتهم وعفتهم (وقال أيضا) ان من الناس صنفا يطلبوا الرياسة بالدين والتفقه فأشهروا أنفسهم لذلك ورجعوا ليقولوا بعض المخالفة ليقيموا ثم استطالوا على الناس وأذاعوا أسرار الشريعة وحقيقة التأويل والتفسير وغير ذلك للعوام والجهال حتى مالوا اليهم وانتالم فيجد في ديننا فيما تقدم خلافا بين السلف ولا افترا فالأفي عهد سابور بن سابور فان أولئك المتبعة أظهروا التفسير واختلاف التأويل وكان من عاقبة أمرهم ما كان من طلب الرياسة وإثارة الفتن حتى أطفأها الله برأى سابور وحرم التذكير إلا لمن يوثق بعلمه ومعرفته وأمانته ومن تعدى ذلك عاقبه (ثم ينظر) في المتفقهة الذين يتحلون البدعة ويدعون اليها ويخالقون ما عليه الجمهور ويردعهم ويفرق جمعهم وكذلك يمنع التعصب للناهب والمغالاة في ذلك فانها تؤدي الى قتل عظيمة وخطوب جسيمة وقد خرب كثير من دلائل المشرق بهذا السبب ثم ينظر في حال من يتظاهر من العلماء بعلم الفقه والشريعة ويطن الحكمة والفلسفة فاذا وقع له حكم من أحكام الشريعة لا يدرك عقله ولا يحقه فهمه أسرع الى الطعن فيه وديرفيه برأيه وهذه الطائفة وان كانت قليلة لكنهم أذمة وكتابها أليمة ورجعوا عن يوهومون أن الشرائع أمور موضوعة بازا العامة دون الخاصة الذين هم منهم وان تفاصيله لا تستقر عندنا كمال العقل ولو صح نظرهم ثبت عقلهم لعلموا

أن رتبة النبوة والشرعة مستعلية على مراتب الحكمة وأنها تحصل بالامر الالهي لا بالكسب
 الاجتهادي فحتى تنتهي العقول البشرية الى معرفة المقادير الربانية فينبغي أن يصح ما ذهبه
 الطائفة ليشغلوا بأنفسهم فانهم ان تفرغوا وضعو للعلماء يد عامتوعة يسمونها حكمة ثم يدعون
 أنهم يطلعون على أسرار الشريعة وأغوارها ومن تتبع أخبار المتقدمين علم أن أكثر البدع
 والفرق بهذا السبب ظهرت واشتهرت (فأما العلماء) وحفاظ الشريعة الذين على السنة فيجب
 على الملأ احترامهم وكرامهم لانهم يحفظون قواعد الشرع الذي هو بحر سه وذب عنه ويقا تل
 من يعانده فيرفع طبقاتهم على مقاديرهم من العلوم والتجرب فيها فأول علوم الشريعة علم القرآن
 ومعرفة تفسيره وتأويله وناسخه ومنسوخه وبحكمه ومتشابهه وأسباب نزوله ثم علوم الحديث
 النبوى ومعانيها ولغاتها وأسبابها ومعرف رواياتها ورحمهم وتعديلهم ومعرفة المرسل من
 المسند ومن روى الحديث ورجع عنه أو تشكك فيه ومن روى بضماروى ومعرفة أجماع
 الصحابة ومن روى عنهم ومن أفتى ثم علم أصول الدين هو وان كان مما يجب تصديحه لان شرف
 العلم يشرف معارفه لكنه يبنى على الشرع الذى هو كتاب الله وسنة رسوله فينبغي أن يكون
 الاصول علميا للنصوص الشرعية والادلة البرهانية العقلية فيبين الحدود والرسوم ويذكر الادلة
 على تفصيل العقائد الشرعية وهى العلم بذات الله تعالى وصفاته وأسمائه وما يجوز إطلاقه من
 ذلك وما لا يجوز وتأويل ما يحتاج الى التأويل ومعرفة النبوة والرسالة وحقيقة الوحي والخطاب
 والكلام ووصف المجزئة والفرق بينها وبين الكرامة والكهانة ومعرفة الحائز والواجب
 والمستحيل ومعرفة اليوم الآخر وما وعدت به الاخبار الصادقة من عذاب القبر والجنة والنار
 ومعرفة الامامة والخلافة كل ذلك من لوازم أصول الدين ثم أصول الفقه فيكون عارفا بالغة
 والنحو والاصطلاح فيطلع على معاني النصوص فان تحريف الاحكام لم يكن الا من الجهل بذلك
 فاذا عرف الناسخ والمنسوخ والمنطوق والمفهوم والخاص والعام واحكام ذلك أمكنه أن يبنى
 على ذلك الاحكام الشرعية والاقيسة الصحيحة ثم علم الفروع وهو معرفة فرائض العبادات
 وهياتها وتكلياتها والمعاملات وعقودها وفسوخها والمناكحات ومباحها ومحظورها
 والجنائيات وعقوباتها والاقضية وحكوماتها ثم يخص من ذلك الى علم الخلاف وعلم الجدل وهى
 علوم متأخرة عنها فى الرتبة ومستنبطة منها ومن ذلك علم اللغة والنحو وهو علم شريف يضطر اليه
 فى شرح الالفاظ لتحقيق المعانى ومن العلوم علوم شريفة ينتفع بها ويحتاج اليها كعلم الطب
 وعلم الحساب والمساحة وعلم الاوقات والازمان فمن تمام روتى الملكة اشتغالها على أتمق هذه
 العلوم فما أضيع دولة قل علموها فانها ينقطع ذكرها عند قضاء أيامها (وكان) المتضدياته

لما بنى قصوره المعروفة بالشماسية ورتبها له المهندسون زاد في ذريعتها فوق الذي اختطوه كثيرا فبطل عن ذلك فقال أريد أن اتخذ حولي مساكن وغرفا يسكنها رؤساء العلماء والفضلاء من كل فن وأجرى عليهم الأدرات وما يحتاجون إليه من النفقات وكل من أراد أن يشتغل بنوع من العلوم قصد ذلك الامام واشتغل عليه وحصل منه بغير تعب ولا مؤنة وكان مقصوده أن تنشر العلم والزيادة في الفضائل ولومته في العرجى يتم ذلك لكان قد خلذ كراباقيا وحلده للعلوم والفضائل ووفقاراقيا ألا ترى إلى المأمون لما قال بالشمع قوى أمر الشيعة في زنه وكذا أن يخرج الخلافة من بيته وكذلك كان يشتغل بعلم النحو واتخذ الرصد فصنف له الزيج المأموني وظهر في زمانه فضلا من المتبحرين مثل أبي معشر وغيره وقد قيل إن الناس على دين الملك فإذا اشتغل بأمر العلم والعلماء أوقف من الفنون كثير في زمانه وذو كفى سيرته (وكان الناس) في زمن يزيد وسليمان بن يقطين أحدهم صاحبه فيقول له كيف كانت ليلتك وكيف غنت جاريته ومن كانت قبيلتك ثم في زمن عمر بن عبد العزيز يلقى أحدهم صاحبه فيقول كم صلبت البارحة ومتى تمت ومتى قمت إلى وركك وما الذي قرأت من القرآن ثم في زمن مروان بن محمد يقول هذا لهذا كم أنققت على قصرك وما ارتفاع مجلسك وجدارك وأحجارك على الرسم في متابعة الملوك واقفاء آثارهم فالملك السعيد الذي يتبع الحماد ويقتفى الناس أثره فيخلق الخلد ذكره

في سيرة الملك مع الأمراء وأركان مملكته

كانت ملوك الفرس تقضل الجند على سائر أصناف الناس ويحتجون بذلك بأن الناس يذلون منعة جوارحهم أو حوامهم والجند يذلون نفوسهم ورؤسهم ولا قرب بين الخاليتين وكانت تجعل الناس على أربعة أقسام الجند أولها ثم تقسم الجند على أربعة أقسام على كل قسم أمير يسمى ميريمان وكل أمير معه أربعة يسمى كل واحد منهم أمفهد ومع كل أمفهد أربعة همرازة ومع كل همرازة أربعه سلاوية ومع كل سلاوية عشرة أساورة وهم الفرسان المقردة ونخسة من الرجالة وتسمى البيادة فإذا أراد الملك انفاذا أمر خاطب بعض الأمراء فسهل عليه وعلى من مخاطبته (وكانت) ملوك الروم ترتب ذلك عشرة عشرة ويسمون كل واحد باسم من لغتهم ومثاله في العربية أن مع الملك عشرة أمراء مع كل أمير عشرة نقباء مع كل نقيب عشرة عرفاء مع كل عريف عشرة قواد مع كل قائد عشرة فرسان ومع الرجالة كذلك وبعضهم يجعل عوض العريف زعيما هذا ترتيب الاول (وكذلك) لما كتب جيش النبي صلى الله عليه وسلم ترتب عليهم نقباء وعرفاء تكون مخاطبته معهم وفي زمانها هذا ترتيب آخر وهو أيضا حسن إذا استقر الحال على ما يذكر أن يكون الملك يجيشه أتباعه ثم ما يكون في الشجاعة والكرم والمعرفة

والنباة والشهامة والبسطة والتجارب والدين والعفة والمكثنة في العدة والعدة ثم من بعده
مقدموا آلاف على كل ألف فارس مقدم كبير ومعه مقلدون مقارفة على كل خسين فارس
مقدم مفردى ومع المفردى خمس مقدمين دونهم كل مقدم عشرة قرسان وعلى الكل نقيب كبير
وتحت يده نقيب ورؤس فوب على الآلاف فكل مقدم ألف معه نقيب ألف في خدمته ومع
النقيب نقيب صغار على كل خمسين فارس نقيب فهذا أحوط ما يكون من الترتيب (فينبغي)
لذلك أن يخطر في حال جيشه وازاحة أعداءهم وأن يحملهم على اتباع الشرع والانقياد للوازم
الدين مع التزامه هو لذلك فإنه إن لم يكن محافظا على الشريعة لا يستقيم التزامه كإفيل

مضى يستقيم الظل والعود أعوج في التزامه لذلك التزامهم بالطاعات فيحصل خير الدنيا والآخرة
ثم يتفقد أحوالهم فمن حسنت سيرته ومناصحته يضاعف الإحسان اليه حتى يشبه به غيره ويحبته
الجند في الطاعة لله تعالى وللملكهم (ويحكي) عن بعض ملوك العرب أنه كان يخرج في بعض الليالي
الباردة فيصلي الفجر والعشاء الآخرة في جامع قلعة والجامع أبواب مشرعة إلى البلد تنفتح في وقت
الصلاة فإذا سلم الإمام أمر بفتح الأبواب على الناس ثم يأمر لكل من حضر الصلاة بخدمة ذاتير
أو بتمائة وربما أمر بعشرة وكذلك يفعل في يوم عاشوراء المحرم والقصد بذلك الترغيب في الخير
والمواظبة على الصلاة (ويجب) على الملك أن يحسن النظر في حال الأمراء وقد نعدهم وارتفاع
درجاتهم بل تظهر منه العناية والشهامة والدين ولا يفعل ذلك بالهوى وميل النفس بل بالفكرة
والمشورة والتجربة فإن الخطأ في ذلك مضر فانه ربما يخفى على قلبه شخص ويشغل آخر فيكون
الخطيئ غير أهل للمحصل لهم من التقدمة والآثر أهل لها فيحصل الخطأ وتسوء المضرة كمن تناول
الحلو الضار وترك المراتفاع فليشد الاحتراز في ذلك ويفرق بين الشريف والمتشرف والجندى
والمتجند فإنه إن أهمل ذلك وقدم على غير نسق صارت الرؤس أذنانا والاذناب رؤسا وهكهم الصغار
شديد المضرة سريع الخطل ومن اعتبر سيرة من مضى في زمانها هذا وجدوا فاع كثيرة من هذه
النسبة يحصل بينهما ما لا يستدرك فطره وقد يوجد في الصغار والوسط من تكون فيه عجاوبة
وكفاة كالجوحدى بأعزوى الشرف من فيه القصور والتخلف فليوصل كل أحدا إلى موضع
يليق به على التدريج (ويجب) أن يمنع الجند من الجاوس في الخوانيت والأسواق للتجارة والصناعة
ومراعاة الرعية في معاشهم فإن في ذلك نصيبا على الرعية ثم يتفقد أحوال الجند من عبر إلى
رجحانهم ومن حصل له العطب في الغزاة أو الهرم في الخدمة فيحسن إليهم وإلى مخلصهم ويطلق
لهم ما يقوم بأودهم وإن كان في أولادهم من يقوم مقامهم أجرى لهم ما كان لهم جاريا وكذلك
كانت تفعل الملوك المتقدمون (وقال) النبي عليه السلام من ترك كلاً أو ضياعاً فإلى وعلى

وكذلك يتطرق في حال من اقتصر أو ركبته الديون واقطاعه قليل لا يقوم بحاله و يتظر أيضا في حال الجند البطلان الذين طلبوا منه استخدا منهم فلم يستقدمهم أو أعطاهم اقطاعا لرضهم فانهم يتربصون به الدوائر و يتظرون له رمية يتبعونها فيحترقونهم اذا كانوا ابا بالارض أو بالابعاد (وصنف آخر) من الجند تركوا الجندية اختاروا ملالا فان اشتغلوا بزهد أو بفجارة أو صناعة تركوا وشأنهم فان حصل منهم من الشرور ما لا يمكن تداركه فيجب أن يشغلوا ويعدوا (وصنف آخر) من الجند ذوو بأس شديد وشجاعة أفرط اعتقادهم في حق أنفسهم حتى ظنوا أن انتظام الدولة بهم واسة قامة الملك بسببهم وأنه لا يستحق العطاء والجزاء غيرهم ومتى أعطى غيرهم أو أكرم حقنوا وانوقعوا أو طلبوا أشياء لم يتألموا تحزنوا وظلموا فينبغي للملك العارف أن يفكر في حاله من أحوال الفروسية يعلم أنهم مقصرون في بلوغ غايتها فيندبهم لها لينبئ لهم التقصير وبعدهم بها فيعرفوا مقدار نقصهم

الباب الخامس في المقامات

(المقامة الفرضية)

(أخبر الحرف بن همام) قال أرفقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامة الباب ولا أرق صب طرد عن الباب ونفي بصدا الحجاب فلم تزل الافكار بهيجن هي ويجلن في الوسواس وهي حتى غميت لمضض ما غابت أن أرتزق مبعرا من الفضلاء ليقص طول يلقي اليبلاء فلما انقضت متني ولا أغضت عقلت حتى قرع الباب فارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التني قد أغمر وليل الحفظ قد أفرقته ضلت اليه عجلان وقلت من الطارق الآن فقال غريب أجنه الليل وغشيه السيل وبيتني الايوان الاغير واذا أحمر قدم السير قال فلللال شعاعه على شمسه ونم عنوانه

(أرفقت أي سهرت (حالكة أي سوداء (الجلباب هو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء والمعنى انهما قد بدا لظلام (هامة الباب أي سائلة السحاب واجهر بابا بالفتح وهي مصابة بضياء رفيقة وقد تكون سوداء (صب أي غشيت (ونفي أي بطلت (بهيجن من هاج ذاتا مؤنثا ومجتمعا (ويجلن من أجاله اذا أداره وحركه هكذا وهكذا (الوسواس جمع الوسوسة وهي حديث النفس أو الكلام الخفي (وهي أي بالي وتكرري (لمضض ما غابت أي لم ترقه وتووجع ما غلبت (سميرا أي محاذ للليل (اليبلاء أي شديدة الظلمة كقوله شعرا من التنا كيد (متني أي ما غلبت موطنه (أغضت أي أطبقت الاخوان (قرع أي طرق وضرب (لعل غرس الخ كناية من كونه ترجح حصول مطلوبه وسؤله بهذا الطارق فيهرق ما فرسه من التني ويضي ما ظلم ليلته من عدم التني (فغمضت الخ أي غفقت اليه مسرعا (الطارق هو الذي يأتي ليلا (أجنه أي استره (وغشيه أي أناه وأدركه (الايوان أي ادخاله المتزل لا مصدر أي المتعلم (أحمر أي دخل في وقت السحر (قدم السر أي ملأ طلب غير البيت الى السحر ثم تصرف (شعاعه على شمسه) يريد أن ما به امنه من حسن المخاطبة بل عمل حلوته وبديع مائه (ونم عنوانه الخ) العنوان ما يكتب على ظهر الكتاب ونم أي أخبر وهو في معنى ما قبله

بسر طرسه علمت أن مسامرة غم ومساورة غم ففتحت الباب بانقسام وقلت ادخلوا بهاسلام
فدخل شخص قلخى الدهر سعدته وبال القطر ردت حيا لسان غضب و بيان عذب ثم شكر
على تلبية صوته واعتذر من الطروق في غير وقته فدائنته بالمصباح المتقد وتاملت تأمل المنتقد
قالت: شيخنا أيا زيدلار يب ولا رجم غيب فاحلته محل من أنظر في بقصوى الطلب ونفاني
من وقد الكرب الى روح الطرب ثم أخذت كوالاين وأخذت في كيف وأين فقال أبلغني ريتي
فقد أتعبني طريق فظننته مستبطنا للسغب متكاسلا لهذا السبب فاحضرته ما يحضر للضيف
المفاجى في الليل الناجى فانتقبض انقباض الخشم وأعرض اعراض الشم فسوت لنا بامتناعه
وأحفظني حول طباعه حتى كدت أغظله في الكلام والسعه بحمة اللام فبين من لحات ناظري
ما خاضر خاطري فقال يا ضعف الثقة باهل الحق عذرا أخا رتبه ياك واستمع الى الأبالك
فقلت هات يا أخا الترهات فقال اعلم اني بت البارحة حليف افلاس ونجي وسواس فلما قضى
الليل شجبه وغور الصبح شبهه غدوت وقت الاشرار الى بعض الاسواق متصديا للصيد يسبح

(مسامرة غم الخ) أي محادثة غنية والمهر بعه نعيم (قلخى الدهر سعدته) أي أمال احتداله وقوته وأصل
الصعد: الفناء نبت مستوية لا تحتاج الى التثقيب والتعديل كشي هامن قلته (وبال القطر ردت) أي أصابه
المطر حتى يبل ثوبه (خيا) أي سلم (مضب) أي ماضى البلاغة (يان) أي فصاحة (مذب) حل (تلبية صوته)
أي أجابته بقول ليلى (الطروق) الاثيان (فدائنته) أي فارتته (المنتقد) أي الموقد (المنتقد) هومن عيزين
الريف والجدين الدراهم وفي نسخة المقتضين فقده تطلبه (قالتيه) أي فوجده (رجم غيب) هو التكم بالنظن
(فاحلته) أي فارتته (أنظرني) أي ملكني من الظفر وهو الفوز بالثني (بقصوى الطلب) أي بغاية المطلب
والقصوى تأنيب الأقصى وجامع على الأصل والقياس القصيا كالديا (وقد الكرب) الوقشدة الضرب
والكرب جمع كربة وهي حربة الموم (روح الطرب) أي راحة السرور (الاين) أي الاعياء والتعب (كيف
وأين) سؤالان من الحال والمكان (أبلغني ريتي) أي أمهلني حتى أبلغ ريتي قال جادته قلت لبعض شيوخى أبلغني
ريتى فقال أبلغك الراشد وهما دجلة والفرات (مستبطنا السغب) أي جائع البطن والسغب الجوع
وفي نسخة مستبطنا حب السغب (المفاجى) الآتي بته (الداجى) البات بظلامه ومنه قوله دجا الأسلام
أي صير كثر أهله (الخشم) المستحي المنقبض (وأمرض) أي نحى وجهه لجهة أخرى (الشم) المائل الطعام
(فسوت لنا) أي ساء ظنى (وأحفظني) أي عاظمي وأضيقني (حول طباعه) أي تفرج خلايقه (كدت أغظله) أي
قاربت أن أغفه بالكلام (والسعه الخ) أي وأوجه بالوم الشبه بسم الغريب عند لاسعها (فتبين الخ) أي علم
وفهم من ظن ريتي (ما خاضر الخ) أي ما خالط ذهني وفكري (الثقة) الاعتماد (المحبة) المحبة (مد) أي تجاوز
وأعرضته (أخطره بالان) أي أمرته وأدخلته في قلبك (الأبالك) كلمة دعاه عليه أي لا أنحرلك (الترهات)
الاباطيل وأصلها الطرق الصغار تشعب من الجادة واحد ثم ازده (حليف افلاس) أي قرين فقر ومصاحب معدم
(ونجي وسواس) أي مناجى وسوسة وهي الحركة في القلب لتردد في أمر (فضى الليل نيه) أي مضى وانقبض
يقال قضى نومه اذا انقضى أجله (وغور) أي غيب وأخفى (شبهه) غومه (غدوت) أي ذهبت في التدو.
(الاشراق) أي شروق الشمس (متصديا) أي قاصدا ومعرضا (يسبح) أي يرضى والسائح الصيد الذي يأمن

أوحترسبح فلفظت بها تراقده حسن تصنيفه وأحسن إليه مصبغه فجمع على التحقيق مصفاه
الرحيق وقتوه العقيق وقبالتة لباقديرز كالابرزالاصفر وانجلي في اللون المزعفر فهو ينقى على
طاهيه بلسان تناهيه ويصوب رأى مشترية ولونه حبة القلب فيه فأسترني الشهوة بأعطائها
وأسلتني العيالة على سلطانها فبقيت أحير من صب وأذهل من صب لا وحيديوصلنى إلى النيل المراد
ولذذا الازرداد ولا قدم يطاولنى على الذهاب مع حرقه الالتهاب ~~السكر~~ حداثى القرم وسورته
والسغب وفورته على أن أتجمع كل أرض واقنعت من الورد يبرض فلم أزل مصابة ذلك التمار
أدلى دلوى إلى الانهار وهي لا ترجع به ولا تجلب نفع غله إلى أن صفت الشمس للغروب
وضعت النفس من اللغوب فرجت بكبد حرى وانتيت أقدم رجلا وأخر أخرى وبينما أنا
أسعى وأقعد وأهبط وأركد إذا قابلنى شيخ شأواه أهمل النكلان وعيناه تملان فاشتغلى ما أتانيه من
داء الذيب وانغوى المذيب عن تعاطى مداخلته والامع في مخاتلته فقلت لها هذا ان لكناك
سرا ووراء تحرقك لثرا فأطلعنى على رحائك وانخذلى من نصائك فأنك تسجد معنى طبا آسيا
أوعونا ماسيا فقال والله ماتا وهى من عيش فات ولان دهر افتات بل لا تفرض العلم ودرسه

جانب اليسار والبارح الذى يأتي من جانب اليمين والعرب تستحسن الساخ دون البالي عند التفاضل (لفظت)
أى غفلت (تصفيقه) أى كويه صفوفا (مصيفه) أى من الصيف (الرحيق) هو الشراب المصفى (وقتوه)
أى شدة حمرة (لبا) هو أول العين في النتاج (كالابرز) أى كالذهب الخالص (ينقى) أى يمدح ويشكر (طاهيه)
أى طابعه ومصلحه (تناهيه) أى تناءته فى حسنة (ويصوب الخ) أى يقول لشترية أصبت فى رأيك فى شرافى
(نقد) أى دفع (فأسترق) أى يسطقى وقتقى (بسطاها) بمجالها جمع شطن وهو الخبل (العيمة) هى فى الأصل
شهوة العين (سلطانها) أى تسلطها (أحير من صب) الضب دوية تشبه الورل إذا خرج من بحره لا يكاد يهتدى
إليه ولذلك يضرب به المثل فى من لا يهتدى إلى مقصده (وأذهل من صب) أى أشغل من عاشق قال أذهلنى شغلى
وذهلت عنه فقلت ونسيت (لاوجد) أى لا مال ولا خلق (الازرداد) الابتلاع (حداثى) أى صافى (القرم) أصله
شهوة اللحم فاستعير لشهوة العين (سورة) أى حذته (والسغب) الجوع (فورة) حرقته (اتجمع) أى أقصده
(واقنعت) وفى نسخة أتنعت (الورد) المورد (برض) البرض الماء القليل (مصابة الخ) يريد جمعه كقولهم ياض
النهار وسواد الليل (أدلى) أى أرسل وأزل (وهى لا ترجع بيلة) وفى نسخة وهو لا يرجع بيلة وهو كناية عن الخيبة
وعدم الظفر بئى أصلا (ولانجلب الخ) أى لا تأتى عابري العرش بقم فله سكن حران عطشه (صفت) أى
مالت وسنه فقلت صفت فلو كى (اللغوب) الإعياء (فرجت) أى فرجت (حرى) أى عطشى (انتيت) أى رجعت
(أقدم الخ) مثل يضرب فى التردد فى الأقدام على الشيء والاحجام منه (أهبط) أصله استيقظ (أركد) أى أسكن
(يتأذى) أى يتوجع (أهمل الخ) يشد يد المله ويقتفيقها مع المدأى كتوجع التاكل وهو قاذف الرمال العبدى
* إذا ماقت أرحلها بابل * تأواهة الرجل الحزين * (تملان) أى تسيلان (بالعم) داء الذيب كخيم من الجوع
(الخوى) خلوى الجوف من الطعام (تعاطى) أى تناول (مداخلته) أى مدااته (مخاتلته) أى مخادعته (رحائك)
البرج والرخاء شدة الاننى (طبا آسيا) أى طيبا مداويا (مولسيا) أى عطية مداويا (تأوهى) فوجى (فات)
انقص (افتات) أى تولى (لا تفرض) أى لا تقدام (ودرسه) أى تذامه وذاهاه أو جمع درسه فبه فورية
(١١) القطع المتضبه (بخوة ثالث)

وأقول أخبره وشعوسه فقلت وأى حادثة تجمت وقضية استجمت حتى هاجت لك الاسف على قدم من سلف فابزرر قعهم من كنه وأقسم بابه وأمه لقد أنزلها بالاعلام المدارس فامتاوا عن الاعلام الفوارس واستنطق لها أخبارا للحابر فخرسوا ولاخرس سكان المقابر فقلت أرنها فلعلى أغنى فيها فقال ما أبعدت في المرام فبريمية من غير رام ثم ناولنيها فانذا المكتوب فيها

أبها العالم الفقيه الذي فا * قد كاه فله من شبيهه

أفتنا في قضية حادعتها * كل قاض وحار كل فقيهه

رجل مات عن أخ مسلم حر قتي من أمه وأبيسه

وله زوجة لها أبها الحبر أخ خالص بسلا قويه

خوت فرضها ونزل أخوها * ماسبق بالارث دون أخيه

فانشقنا بالجواب عما سألنا * فهو نص لا تخلف بوجه قيه

فلا قرأت شعرها ولحمت سرها قلت له على الخبير ما سقطت وعدنا بن يجدتها حططت الاثني مضطرم الاشياء مضطر الى العشاء فأكرمه ثوى ثم استمع فتوى فقال لقد أنصفت في الاشتراط وتجايفت عن الاشتراط فصرمى الى مربى لتظفر عما يتبقى وتقلب كما ينبغي

(وأقول) أى غريب (أقارب وشعوسه) المراد بها العلماء والفقهاء وأقاربهم وموهم (تجمت) أى ظهرت (استجمت) أى استجمت وأشككت قال صم صمداها وفارسمها * استجمت من منطلق السائل (هاجت) أى هجبت وأثارت (الاسف) أى الحزن (سلف) أى مضى وسبق (فبرز) فخرج (رقعه) أى قطعة من ورق (بأعلام) جمع علم بمعنى السبيل العظيم وهم العلماء المدرسون (المدارس) جمع مدرسة وهى محل تدريس المعلم (امتاوا) أى غيروا (هن الاعلام) جمع علم بالتصريف وهى العلامة توضع في الطريق للسبيل أى أضاء السبيل (الفوارس) جمع دارسة بمعنى فاية (أخبار) جمع خبر بالفتح والكسر وأصغر وهو العالم (الحابر) جمع خبر بالفتح موضع الحبر وعاءه (فخرسوا الخ) أى سكوتوا ولا سكوت الاموات (أرنها) أى اطلعت عليها (أغنى) أى أنفع (فبريمية) هذا مثل لله الحكيم عبيد يغوث وكان من أرى أهل زمانه عنده ما أخلو له القوس وروى فأصاب فقال الحكم ببريمية من غير رام أى من غير طاق بالرى فلهبت مثلا (ذكاه) هو حدة القلب (حادتها) أى مال عنها وجانبها (خار) تغير (الحبر) العالم (بلاغويه) أى بلا شك ولا ريب (طاشقنا بالجواب) وفى نسخة فى الجواب (ولحمت سرها) نظرت وعاطت عليه (ابن يجيئها) أى لما رفسها يقال يجيئ بالمكان إذا أقام فيه ومن ذلك قيل للخبير الارض هو ابن يجيئها ثم كثر حتى قيل لكل خبر بشئ ويقال له العالم الذى المتفق له هو ابن يجيئها وذكر صاحب شمس العلم أنه يقال دليل الحاذق أيضا وجدنا العلم مضطرم الاحشاء ملتها ومتقلها والاحشاء ما لثنت عليه الضلوع (مضطر الى العشاء) أى محتاج اليه (فأكرمه ثوى) أى من الأكرام أى أحسن مقام يولى (فتوى) أى جواب (أنصفت) هدأت (تجايفت) تباعدت (الاشتراط) أى الجور ومجاز زنا الجده (فصبر) أى كن وتحمل (مربى) محل القبي (لتظفر) لتقوز وتال (تيتنى) تطلب (وتقلب) ترجع

قال فصاحيته ما في ذراه كالحكم الله فادخلني بيتا أخر من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت
 إلا أن مجبر يضيق ربه شوسعة ذرعه فحكى في القرى ومطاب ما يشترى فقلت أريد أن أرى
 راكب على أشهى مركوب وأنفع صاحب مع أضمر معصوب فأفكر ساعة طوبى له ثم قال اعلم
 تعنى بنت نخلة مع لباً مضيلة فقلت ياها ما عنيت ولا جلهما تعنيت فنهض نشيطاً ثم رضى
 مستشطاً وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق باهية والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذى
 هو شعار الانبياء وحلية الاولياء على أن تلحق عنى مان وتخلق بالخلق الذى يجانب الايمان
 فقد تجوع الحررة ولأن كل بندىها وتأتى الذينة ولو اضطرت اليها ثم ائلى لست لك بزبون ولا
 أغضى على صفقة مغبون وهما أنالداً نذرتك قبل أن ينهتك السر وبه قد فمينا السر فلا
 تلغ تدبر الانذار وحذار من المكاتب حذار فقلت له والذى حرم كل الربا وأحل كل الربا
 ما هت بزور ولاديتك بغرور وستحبر حقيقة الامر ومحمد بذر البأ والتمر فهش هشاشة
 المصدوق وانطلق مغداً الى السوق فما كان بأسرع من أن أقبل بهما يدخ ووجهه من التعب

(فصاحته) سمعت وسمعت منه (الى ذراه) منه (كالحكم الله) أى كالمال تعالى ولكن اذا دعيت فادخلوا (أخرج)
 أضيق (وأوهن) أضعف والعنكبوت حشرة تعرفه تنسج بيتاً الخرابا (جبر) أصبح (ربه) منزله (ذرعه)
 صدره وخلقه (القرى) الضيافة (مطاب) هكذا وجد ضبط الحرير وروى عنه والصواب أطيب
 جمع أطيب فمن اس الكيت أطعمنا فلان من أطيب الجزور ولا تقل من مطاب الجزور ولكن قال نعلب يقال
 أطعمنا من مطاب التمر أطيب الجزور (أزهى) أحسن نظراً وأكثر حمرة ومنه زها البسر اذا احمر (راكب)
 ريد البأ (مركوب) ريد التمر (أنفع صاحب) هو التمر لانه عظيم المنفعة في السفر والحضر (أضمر)
 معصوب هو البأ لانه ردى العاقبة وهذا باعتبار انفرادهما فاذا اجتمعا في المعدن أصبح التمر بخلاوة البأ فصبر
 أسرع هضمهما وانحدارا (غث تخيله) يعنى التمر وتخييلة تصغيره (مضيلة) تصغير الضلع من أولاد الغنم
 (عنيت) قصدت (تعنيت) تعبت (فنهض نشيطاً) أى قام مسرعاً (ريض) فعد بقل رضى الاسد اذا قعد
 على جالوته أى ألبته (مستشطاً) عثره من الغيط (باهية) شرف وروعة (طاهه) مرض مشوه (يحملنك)
 يملئن ويدعوك (شعار) أصله الثوب الذى يلى الجسد والمراد العلامة (وحلية الخ) أى زينة ولباس الاولياء
 (مان) كذب (الذى يجانب الايمان) أى يتافيه والكذب اقوله عليه الصلاة والسلام الكذب يجانب
 الايمان (بندىها) أى لا ترضع بأجرة وهو مثل يضرب بالروى وتتم الحاجة (تأتى الذينة) أى تنتمى من المصلحة القبيحة
 كالزنا (بزبون) الزبون كلمة مؤنثة معناها الغنى والحريف والمراد لست من ذوى معاملتك (ولا أغضى) لا أنفقل
 (صيفة) عمة (مغبون) هومن باع بدون القيمة (أنذرتك) أهلكك (أن ينهتك السر) أى قبل الفضيلة (الوتر)
 بفتح الواو وكسر هاء الحقد والبغضاء (فلا تلغ الخ) أى فلا تترك النظر والتأمل بالفكر فى طاعة الامور (حذار)
 اسم فعل مبنى على الكسر يعنى احذر والمكاتب يعنى الكذب (فمت) فقطت (زور) كذب (دليتك الخ)
 امان الدلالة والاصل دلتك بنشد بدلام فقلت اللام الثانية باء فمرار من كثرة الامثال كفى فقلت أصله
 فقلتت أو من قولك دلى الشا اذا قرب من غيره (بغور) أى بغر حق (وستحبر) أى سئلم كنه هذا الحال
 (ومحمد الخ) أى تجد باقيةهما جيدة تملح بها (فهش) أى فزع (المصدوق) من صدقة الحديث وعرف الصدق
 (مغداً) مسرعاً (يدخ) أى يغنى مثقالاً يقال دغ البعير بحمله دلوحاً مثى به متاعاً ولوحاً به دلى حوال الصب الدوايح

يكلم فوضعهما لدى وضع الحن على وقال اضرب الجيش بالجيش تحط بلذذة العيش فحسرت
عن مساعدتهم وحلت جله القيل الملتهم وهو يلحظنى كما يلحظ الحنق ويؤمن الغيظ لوانتحت
حتى اذا هلقت النوعين وغادرتهما أثرا بعد عين أقردت حيرة فى انطلال البيات وفكرة
فى جواب الابيات فخلبت أن قام وأحضر الدواة والاقلام وقال قد ملأت الجراب فأمل
الجواب والافتيا أن نكلت لا غترام ما كلت فقلت له ما عندى الا التحقيق فاكسب الجواب
وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل انى * كاشف سرها الذى تخفيه
انذا الميت الذى قدّم الشر * ع أعا عرسه على ابن أبيه
رجل زوج ابنه عن رضاه * بحمة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علق منه خيام ابن بسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مرأه * وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى الى الجلة وأولى بارته من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزور * حة عن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذى هو فى الاسل أخوه لمن أمها باقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الار * ث وقتنا يكفيك أن تبكيه
هالك منى الفتيا التى يجتذها * كل قاض يقضى وكل فقيه

قال هل أثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال لى أهلك والليل فشمرا الذيل وبادر السيل

التي تيسر سيرا تقبلا من كثرة ماها (بكلم) بعسر (لدى) أى عندى (الجيش الجيش) أى اخلط أحدهما بالآخر يعنى
كلهما معا أو المراد الاسنان العليا بالاسنان السفلى (تخط) تنقز وتغنم (لحسرت) كشفت (النهم) المقرط فى شهوة
الطعام (المتهم) الذى لا يبق ولا يذر والالتهام لا يتلع الشديد (يلحظنى) أى ينظر الى (الحنق) الغضب
المتناط (وود) يقنى (لوانتحت) ولم يرد ذلك الا كل منى (هلقيمت) التقيمت من القمم والهاء زائدة (النومين)
هما التمر والياء (وغادرتهما) تركتهما (أثرا) خيرا (بعدين) بعدما كانا يمان بالصر (أقردت حيرة) سكت
متحيرة (فى انطلال) حضور وشراف (البيات) الميت (قدملات الجراب) أى البطن وهو كناية عن الشبع
(فأمل) أى قلن أمرهن الاملاء (فتها) فتأهب (ان نكلت) جنبته وعجزت (لا غترام) غرامة (يلغز) يستر
ويحى ويظهر خلاف ما يضر (تحقيه) وفى نسخة يحقيه (عرسه) زوجته (بحمة) هى أمه زوجته (ولا غرو)
ولا عجب (هلقت) حملت (يسر ذويه) أى يفرح أهله وفى نسخة له يحكيه (مرأه) ممرأه أو وجدال (تمويه) تزيين
(الصريح) بالرفع صفة لابن أى الخالص (أدنى) أقرب (التراث) هو الميراث (وحوى) جمع (تخلى) أى لم
يدخل فيه (هالك) أى خذ (يجتذها) يجمعها ويقتدى بها (فقيهه) عالم بالفقه (أثبت الجواب) حقق
(واستثبت الخ) أى غلبت منه فهو الصواب (أهلك والليل) أى بادر أهلك واحضر طلة الليل (فشمرا الذيل)

فقلت اني بارغبه وفي اوائى أفضل قربه لاسما وقد أعذف جف الظلام وسبح الرعد في الغمام
فقال اغرب عا فالله ان حيث شئت ولا تطمع في أن تبين فقلت ولم ذاك مع خلودك قال
لاني أنمت النظر في التمامك ما حضر حتى لم يبق ولم تذرف رأيتك لا تطرف في مصطحك ولا تزاى
حفظ محنتك ومن أمعن فيما أمعت وتبطن ما تبنت لم يكديخلص من كلمة ملته أو هيضة
متلفة فدعني بالله كفا فافا واخرج عني ما دمت معاني فوالذي يحيي ويميت مالك عندى مبيت
فلماسعت ألبته وبابوت بلبته خرجت من بينه بالرغم وتزود الفم تجود في السماو تخبط في الظلام
وتنجي الكلاب وتتقاذف في الأبواب حتى ساق في السلك لطف القضاء فشكر اليلده البيضاء
فقلت له أحجب بلفائك التناح الى قلبي المرتاح ثم أخذني فتن في حكاياه ويشمط مخفكاه بجيكاه
الى أن عطس أنف الصباح وهتف داعي الفلاح فتأهب لاجابه الداعي ثم عطف الى وداعي ففقت
عن الانبعاث وقلت الضياقة ثلاث فنادى ودعج ثم أتم المخرج وانشد اذ عزج

لا تزرم من محب في كل شهر * غير يوم ولا تزده عليه

فاحتلاه الهلال في الشهر يوم * ثم لا تنظر العيون اليه

قال الحارث بن همام فودعته بقايد حاي القرخ وودت لو أن ليلى طبيعة الصبح (مقامات الحريري)

برأيه ما يلقى السمي ولا يكون الابرغ الثوب الى السابقين (غربة) أي أغرب فيها (وفي اوائى) تبين
(قربة) هي ما تقرب به الى الله (الاسما وقد أعذف الف) أسود وأراني سدول ظلمته (وسبح الرعد) أي صوت
(أغرب) اسد واذهب (ذراك) بالفتح أي علك (أنمت الف) أي تأملت حسدا وفي نسخة أمعن من الامعان
وأصله أن شامدا القرس في مدوه وصراده الفتن في النظر (التمام) أكلك (ولم تذرف) ترك وأراد أنه الف
في الا قال (ولأزاي الف) أراد انك لا تطرف عاقه أمر محنت (أمعن) أكثر (فما أمعت) أكثر (وتبطن)
ملا بطنه (ما تبنت) وفي نسخة كان تبنت أي كملات تبنتك (كظلم) كالشمعة تعمرى الإنسان
من الاملاء وقبل الكظلة الاملاء من الطعام (ملته) ممرضة من دنف دنف قل من المرض وفي من الموت (أو
هضبة) المراد بها انطلاق البطن عن سوء الهضم (متلفة) مهلكة (كفا فافا) مسألة أي تنكف عني
وأكف عنتك وانصبا به الى الحال (معا في) سالما أي قبل أن يصيبك شئ مما ذكره (البتة) عمنه وقسمه (و بابوت)
اخضرت (ولبته) كناية عن أمر وحاله وأصل اللبلة الناقة تفعل عني فمر صاحب الانطعم ولا تنس حتى توت (بالرغم)
أي بالكرو والحرمان والف (وتزود الف) أي جعله الف زادا (تجود في السماء) أي تطرف في الخلود الفتح أي المطر
(تخط الف) الباقية لمعدي يعني تحملني الظلمة على الخط أي المشي بدون فوق شئ (وتتقاذف) أي تتراعى يعني اذا
أردت دخول باب بقذف صاحب البيت به الى يوتقله (فشكرنا) منصوب من المصدرية (ليده البيضاء)
يعني لما مضى من الجبل (أحب) كلمة تحببها لما أحب (التناح) المهل المسر (أخذني فتن) أي أشرف
بذ كراهة فاجدني (ويشمط) أي يخطط (عطس أنف الصباح) يعني بدأ أول الصبح (وهتف) نادى (داعي الفلاح)
تمادى الفوز والمراد المؤذن (فتأهب) أي استعد (الداعي) أي التماذي وهو المؤذن (عطف) مال (وداعي) فردني
(ففقت) عطشته ومنعته (الاميات) التوجه والسر (الضياقة ثلاث) هو لفظ حديث ورد منه صلى الله عليه وسلم
وفي نسخة بعد ثلاث ويحدث بعض النسخ يعلقوه أو الضياقة ثلاث (وما حفر فك احتناث وان ترحلت رحلة خرقاء
فقصبت الفقاء وسوت الأصمدة) الحفر النقع والاحتناث مصدر احتطعوا على الشئ اذا حضعه عليه
والخرقاء الشدة التي لا رفق فيها والتقصيص التكد بروقوله وسوت الف من السوء بالفتح وهو خلاف المرة
(فناشد) أي حلف وبروى حلف (وحرج) أي ضيق (ألم المخرج) أي قصصه باللب (عرج) يعني عطف وسال عن
اللب منصوبا (احتلاه الهلال) شامدا به (داعي القرخ) أي مجروح من فراقه يسيل من حرجه الدمار القرخ بالفتح
والضم الحرجة وقيل بالضم الحرجة والفتح وجهه لخرقتها (وودت) تمنيت وأحييت (طبيعة الصبح)
أي صبحها بطل يعني طوبى له

من نثر لسان الدين بن الخطيب قوله

سهر الرشيد ليله وقد مال عليه جيش الارقميله وجهه ندماء في جلب راحته والمالم النوم
بساطه فصححت عيادهم ولم يغن اجتهادهم فقال اذهبوا الى طرقهم ما هورهم وأمهات
قسمها فمن عثرتم عليه من طارق ليل أو غناه سبل أو صاحب ذيل فبلغوه والأمنه سوغوه
واستدعوه ولا تدعوه فطاروا بحالا وتفرقوا ربكنا ورجالا فلم يكن الا ارتداد طرف أو فواق
حرف أو نواب الغنيمه التي اكتسبوها والبضاعة التي ربحوها يتوسطهم الاشعث الاغبر والهج
الذي لا يعبر شيخ طويل القامة ظاهر الاستقامة سبلته مشطه وعلى أنفه من القبع مطه
وعليه ثوب مرقوع لطير الحرق عليه وقوع يهيم بذ كرمهوع وبني عن وقت مجموع فلما
مثل سلم وماتيس بعدها ولا تكلم فأشار اليه الملك فقع بعد أن انشمر وأبعد وجلس فما
استرق النظر ولا اخلس انما حرك فكره معقوده بزمام ذكره وحظلت اعباره في تقاصيل
أخباره فابتدوا الرشيد سمائلا واحرف اليه مائلا وقال عن الرجل فقال فارسي الاصل
أعجمي الجنس عربي الفصل قال بلك وأهلك وولدك قال أما الولد فولد الديوان وأما البلد
فمدينة الايوان قال النكه وما أعلمت اليه الرحله قال أما الرحله فالاخبار وأما النكه فالامر
الكبار قال فكذلك الذي اشتغل عليه ذلك فقال الحكمة في الذي جعلته أثيرا وأخضعته فيه
فراشا وثيرا وسبحان الذي يقول ومن يؤت الحكمة فقد أوفى خيرا كثيرا وما سوى ذلك فتبع
ولي فيه مصطاف ومرتبوع قال فتعاضد بزوال الرشيد ووتر كائنا أغشى وجهه قطعة من
الصبر اذا أسفر وقال ما رأيت كالبيله أجمع لامل شارد وأنتم عوانسة واردة ياهنا الى سائلك
ولن تخيب بعد وسائل فأخبرني بما عندك في هذا الامر الذي بليتنا يحمل اعبائه ومنينا
بمراوضه بانه فقال هذا الامر قلادة ثقيله ومن خطه العجز مستقبلة ومفتقرة لسعة الذرع
وربط السياسة المدنية بالشرع بفصل الحكم في غير محله ويكون ذريعة الى حله ويصلحه
مقابل الشكل يشكله ومن لم يكن سبعا كلات داعي السباع الى أكله فقال الملك أجلات فصل
وبريت فصل وكلت فأوصل وانثر الحب لن بحوصل واقسم السياسة فنونا واجعل لكل
لقب قانونا وأبدأ بالريعي وشروطها المريعة فقال رعيك ودائع الله تعالى قبلك ومرآة العدل
الذي عليه جبلك ولا تصل الى ضبطهم الا بأعانة الله تعالى الذي وهب لك وأفضل ما استدعيت
به عونهم وكفاية التي تكفيهم تقديم نفسك عند قصد تقويمهم ورضاك بالسر لتقويمهم
ومراسه كملهم ورضيعهم والترفع عن تضيعهم وأخذ كل طبقة بما عليها ومالها أخذا
يحوط مالها ويحفظ عليها كمالها ويقصر عن غير الواجبات آمالها حتى تستشعر عليها رائتلك

وخانك وتعرف أو ساطها في النصب امتناك وتحذر سفلتم ابستانك وحظر على كل طبقة
منها أن تعدى طورها أو تخالف دورها أو تجاوز باهر طاعتك فورها وسد فيها سبل الزريعة
وأقصر جميعها عن خدمة الملك إلا بموجب الشريعة وامنع اغتيابها من البطر والباطلة والنظر
في شبهات الدين بالتشديد والاطالة وليقل فيما يجبر بين الناس كلامها وترفض ما تنذبه
أعلامها فان ذلك يسقط الحقوق ويرتب العقوق وامنهم من خفي المحرص والنشوة
وتعاهدهم بالمواظاة التي تجلو البصائر من المره واجملهم من الاجتهاد في العمارة على أحسن
المذاهب وانهم عن القصاص على المواهب ورضهم على الاتفاق بقدر الحال والتعزى عن
الفائت فرتهم من المحال وحدد الجمل على أهل اليسار والسخا على أولى الاعسار وخذهم من
الشريعة بالواضح الظاهر وامنهم من تأويلها منع القاهر ولا تطلق لهم التجمع على من
انكروا أمره في فوائدهم وكف عنهم أكل تعديهم ولا تبع لهم تغيير ما كرهه بأيديهم ولتكن
غايتهم فيما توجهت اليه بابائهم ونكصت عن الموافقة عليه رايهم انهاء الى من وكلته
بصالحهم من ثقاتك المواقفين على أوقائك وقدمتهم من امنيت عليهم مكره وحدث على
الانصاف شكره ومن كثر حياؤهم عن التأييد وقابل الهفوة باستجابة المنيب ومن لا ينطق
عن مجله الذي حله فربما عمد الى المبرم فله وحسن النية لهم بهذا الاستطاعة واغفر المكاره
في جنب حسن الطاعة وان تارجوا دهم واختلف في طاعتك مرادهم فخصن لثورتهم واثبت
لغورتهم فاذا سألوا سألوا وتفرقوا وانسأوا فاحقر كثرهم ولا تزل عثرتهم واجعلهم لما بين
أيديهم وما خلفهم انكالا ولا تترك لهم على حلك انكالا ثم قال والوزير الصالح أفضل عدلك
وأوصل مدلك فهو الذي يصونك عن الاتيئال ومباشرة الاندال ويثبلك على الفرصه
ويؤوب في تخرج الفصه واستجلاء الفصه ويستجضر ما نسيته من أمورك ويغلب فيه
الرأى بموافقة ما أمورك ولا يسهه ما تمكنت المساعدة فيه حتى يستوفيه واحذر مصلحته تباره
والعجز في اختياره وقدم استخاره الله تعالى في أثاره وأرسل عيون الملاحظة على آثاره
وليكن معروفا بالانحلاص لدولتك معقود الرضا والغضب برضاك ومولتك زاهدا عما
في يدك مورا لكل ما يركب عليك بمسئله راعيا للازمة كمال الآلة محبطا بالباله
رحيب الصدر رفيع القدر معروف البيت نبيه الحى والميت مورا للعدل والاصلاح دينا
يحمل السلاح ناخبة يدخل المملكة وخرجها وظهورها وسرجها صحيح العقد متحرزا من
التقدجدا عندلوه مستيقظا في حال سهولك يلين عند غضبك ويصل الاسباب مقتضيتك
فلقيا من شكره ودونك وجدته ناسبا لالاصابة بعده وان أعيا عليك وجودا كثره هذا الخلال

وسبق الى نقضها من الاختلال فاطلب منه سكون النفس وهدونها وأن لا يرى منك رتبة
 الارأى قدره دونها وتقوى الله تعالى تفضل شرف الانتساب وهي للفضائل فذلك الحساب
 وساو في حفظك عيبه بين قربه وأباه واجعل خطه من نعمتك موازيا لخطك من حسن رأيه
 واجتنب منهم من يرى في نفسه الى الملك سبيلا أو يقود من عيبه للاستظهار بملك قبيلة أو من
 كثر مال له أو تقدم لعدوك استعمله أو من تمت لسؤاله آماله أو من يعظم عليه اعراض
 وجهك وبهم نادريجهم أو من يداخل غير أحيائك أو من يتافس أحداياك وأما الجند
 فاصرف التقديم منهم للقائلة والمكايمة والمقاتلة واستوف عليهم شرائط الخدمة وخذهم بالثبات
 للخدمة ووف ما أوجب لهم من الجراية والنعمة وتعاهدهم عند الغنائم بالحق والطمة ولا تكرم
 منهم الا من أكرمه غناؤه وطاب في القرب وطنك ثأؤه وول عليهم النباه من خيارهم واجتهد
 في صرفهم عن الاقتان باهليهم وديارهم ولا توطئهم المدعة مهادا وقدمهم على حصصك وبعوثك
 مهما أردت جهادا ولاتن لهم في الانحاض عن حسن طاعتك قيادا أو عودهم حسن المواساة
 بانفسهم اعتيادا ولا تسمع لاحد منهم في اغفال شيء من سلاح استظهاره أو عدة استظهاره وليكن
 ما فضل من شعهم وريهم مصر وفا الى سلاحهم وزيهم والتزي في مراكبهم وعلمتهم من
 غير اعتبار لانتمهم وامنهم من المشغلات والمتاجر وما يتكسبه غير المشاجر وليكن من
 الغزو وكسبهم وعلى المغانم حسابهم كالجوارح التي تفسد باعتيادها أن تظم من غير
 اصطيادها واعلم أنهم لا يبدل تقوسهم من عالم الانسان الى عالمك فلوبها بالاحسان وفضل اللسان
 ويملك حركتها بالتقويم ويزن بالميزان القويم ومن تشق باشفاقه على أولادها ويشترى رضى
 الله تعالى بصبره على طاعته وجلادها فإذا استشعرت لها هذه الخلال تقدمت الى مواقف
 التلف مطيعة وداعى الكلف وانقمتك بحسن الخلف واستبق الى غيرهم اسبقاها وطبقهم
 طباقا أعلاها من تأملت عنبه في المحاربة عنك اخطارا وأعدهم في مرضاتك مطارا
 وأضبطهم بالتحديد من رجالك حرما ووقارا واستهانة بالعظام واحتقارا وأحسنهم لمن
 تقلده أمره من الرعية جوارا إذا أجدت اختيارا وأشدتهم على محاطة من مارس من الخوارج
 عليك اصطيادا ومن بلى في الذي عنك لآخلاء وامرارا ولحقه الضري معارض الدفاع عنك
 مرارا وبعدهم من كانت محبته لك أزيق من تجده وموقع رأيه أنفع من موقع صعده وبعدهما
 من حسن انقياده لامرأته واجلده لا رائك ومن جعل نفسه من الامر حيث جعله وكان
 صبره على ما عراه أكثر من اعتداده بما فعله واحذر منهم من كان عند نفسه أكبر من موقعه
 في الانتفاع ولم يستحي من التزيد باضعاف ما بذله من الدفاع وشكى البخل فيما أعاد عليه من

فوائدك وقاس بين عوائد عدوك وعوائدك وتوعد بانتقاله عنك وارتحاله وأظهر الكراهية
لحالته وأما العمل فلهنهم ينبئون عن مذهبه وما لهم في الغالب شديدة الشبه بك فعرّفهم
في أمانتك السعادة وألزهمهم في رعيته العداة وأزلههم من كرامتك بحسب منازلهم في الانصاف
بالعدل والانصاف وألهمهم الخفايا بنسبة مراتبهم من الأمانة والكنياة وفقههم عند تقليد
الارحام واقف الخوف والرجاء وقرر في نفوسهم أن أعظم ما به اليك تقربوا وفيه تذبذبوا وفي سبيله
أجمعوا وأوعروا أهامة حق ودحض باطل حتى لا يشكوا غيرهم مطل ماطل وهو أنزل اليك من كل
رياب ما طل وكفهم من الرزق الموافق عن التصدي لئلا يرافقوا صطنع منهم من يسرت
كافته وثوبت الرعايا ألقته ومن زاد على تأمليه صبره وأربى على خبره خيره وكانت رغبته في
حسن الذكر تنف على نبات الفكر واجتنب عنهم من يغلب عليه الخرق في الانفاق وعدم
الاشفاق والتنافس في الاكتساب وسهل عليه سوا الحساب وكانت ذريعة المصانعة بالنفاية
دون التقصي والكفاية ومن كل منشوءة حاملا ولاعباء الزناة حاملا وابع من يكون الاعتداف في
أعماله أوضح من الاعتداف في أقواله ولا يفتنك بمن قلده اجتهاد الحظ المقنع والتنفذ بالسعي
المسمع ومخالفة السنن المريعة واتباعه رضاك بسخط الرعية فانه قد غشك من حيث بذاك ورشك
وجعل من عينك في شماتك حاضر مالك ولا تضمن عاملا مال عمله وحل ينه فيه وبين أمه فأنك
تميت رسومك بحيله وتخرجهم من خدمتك فيه الآن قللكاياه ولا تجمع له من الاعمال فيسقط
استظهارك ببلده على بلد والاحتجاج على والدولك واحرص على أن يكون في الولاية غزريا
ومنتقله منك قريبا وورثته لا يزال معها مريا ولا تقبل مصالحته على شئ اختاره ولو برغبة فتأنه
فتقبل المصانعة في أمانتك وتكون مشاركتك في خيانتك ولا تطل مدنا العمل وتعاهد كشف الامور
عن رعي الهمل وبلغ الامل وأما الولد فأحسن آدابهم واجعل الخيرة أبهم وخف عليهم من
اشفاقك وحسانك أكثر من غلظة جناحك واكرم عنهم ميلك وأفض فيهم جودك ونيلك
ولا تستغرق بالكف بهم يومك ولا ليالك واثبهم على حسن الجواب وسبق لهم خوف الجزاء على
رجاء الثواب وعلمهم الصبر على الضرائر والمهلة عند استخفاف الجرائر وخذهم بحسن السرائر
وحبب اليهم مراس الامور الصعبة المراس وحسن الاصطناع والاحتراس والاستكثار من أولى
المراتب والعلوم والسياسات والحلوم والمقام المعالوم وكرم اليهم بحالة الملهم ومصاحبة
الساكنين واجاهد أهواءهم عن عقولهم وحذر الكذب على مقولهم ورشعهم اذا أنست منهم
رشداً وأوهبوا أرضعهم من المازرة والمساورة لنديا لتمرهم على الاعتياد وتحملهم على الزيادة
ورضهم وباضة بالبياد واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم

وتدارك الاخلاق الذميمة كلما تجملت واقدعها اذا هجمت قبل أن يظهر تضعيفها وبغوى
ضعيفها فان أعجزت في الصغر الحيل عظم الميل

ان الغصون اذا قومتم اعتدلت * ولن تدين اذا قومتم الخشب

واذا قدر واعلى التدبير وتشوفوا لعل الكبير اياك أن وطنهم في مكانك جهدا مكانك وفرقهم
في بلدانك تفرق عبادك واستعملهم في بعوث جهادك والنيابة عنك في سبيل اجتهادك فان
حضرتك تشغلهم بالحماس والبارى والتفاسد وانظر اليهم باعين الثقاة فان عين الثقة تبصر
مالاتبصر عين الحب والمقة وأما الخدم فانهم بمنزلة الجوارح التي تفرق بها وتجمع وتبصر وتسمع
فرضهم بالصدق والامانة وصنهم صون الجاهل وخذهم بحسن الانقياد ما أثرته والتقليل
مما استكثروه واحذر منهم من قويت شهواته وضاق عن هواها وهواته فان الشهوات تنازعك
في استرفاقه وتشاورك في استحقاقه وخيرهم من ستر ذلك عنه بلطف الحيلة وأدأب الفساد بحيلة
وأشرب قلوبهم ان الحق في كل ما حاولته واستنزته وان الباطل في كل ما جأبته واعتزلته
وان من تصفع منهم أمورك فقد أذنب وبابن الادب وتجنب وأعظم أككده واضقت عنه
ملكه وشدته روعة يستغل فيها بما يعنيه على حسب معروية ما يعاينه تقطعهم فيها عسارهم
وتجمع كلمة حوارهم ولتكن عطاياك فيهم بالمقدار الذي لا يسطر أعلامهم ولا يؤسف الاصاغر
في قسدها أعلامهم ولا ترم بحسنهم بالغاية من احسانك واترك لمزيدهم فضله من رذلته ولسانك
وحذر عليهم مخالفتك ولو في صلاحك بمقدار سلاحك وامنعهم من التواذب والتناجر ولا تتمد
لهم شيم التقاطع والتهاجر واستخلص منهم لسرك من قلت في الافشاء ذنوبه وكان أصبر على
ما يتوبه ولودائعك من كانت رغبته في وظيفة لسانك أكثر من رغبته في احسانك وضبطه لما
تقلد من وديعتك أحباله من حسن صنيعتك والسفارة عنك من جلي الصدق في فقه وآثره ولو
باختصار دمه واستوفى لك وعليك منهم ما تحمله وعنى بلفظه حتى لا يحمله ولن ودعه أعداءه
دولتك من كان مقصورا لامل قليل القول صادق العمل ومن كانت قسوته زائدة على رحمته
وعظمته في مرصاته أكثر من شحمته ورأيه في الحذر شديد وبحذر من الخيل شديد ولتدمنتك
في ليالك ونهرك من لانت طباعه وامتنع في حسن السجعة بابه وأمن كيده وغدره وسلم من
الحقد صدره ورأى المطامع فطامع واستقل اعادته مانع وكان بريئ من الملال والبشر عليه
أغلب الخلال ولا تؤنسهم منك بشيء فعل ولا قول ولا تؤنسهم من طول ومكن في نفوسهم ان
أقوى شغفهم وأقرب الى الاجابة من دعائهم اصابة الغرض فيما به وكأوا وعليه شككوا فأنك
لا تعذبهم انتقاما ولا يبعدون لادين ارتقاء وأما الحرم فبهم مغارس الولد ورياض الخلد

وراحة القلب المتجاهده لذه الافكار والنفس التي تقسمها الاجال الى الساعي والانكار
فاطلب منهن من غلب عليهن من حسن الشيم المرتفعة عن القيم المايهولة في خللك أن
يكون في ولدك واحذر أن تجعل لشكر بشردون بصرا لمن سبلا وانصب دون ذلك عذابا ويلا
وأرعهن من النساء العجز من بابت في الديانة والامانة سبلا وقويت غيرته ونبله وخذهن بسلامة
النيات والشيم السيئات وحسن الاسترسال والخلق السلسال وحذر عليهن التفاهن والتغاير
والتنافس والتخاير وأس يهن في الاغراض والتصامم من الاعراض والمحاجة بالاعراض وأقلل
من مخالطتهن فهو أبقى لهمنك وأسبل لحرمتهن وتسكن عشرتك لهن عند الكلال والمالال
وصنق الاحتمال بكثرة الاعمال وعند الغضب والنوم والفراغ من نصب اليوم واجعل ميتهن
بينهن تتم ركناك وتسترحركناك وافصل من ولدت منهن الى مسكن تختبر به استقلالها وتعتبر
بالتفرد دخلها ولا تطلق حرمة شفاعته ولا تدبرا ولا تنطبهما من الامر صغيرا وكبيرا واحذر
أن يظهر على خدمتهن من خروجهن عن القصور وبروزهن من أجرة الاسد المصور زينا راع
ولا تطلب للوقوف مسارع واخصص بذلك من طعن في السن وليس من الانس والبن ومن
نوافر النزوع الى الخبرات قبله وقصر عن جال الصورة ورسم بالبه ثم لما بلغ الى هذا الحد جي
طيس استغفاره وختم حزمه باستغفاره ثم صحت مليا واستعاد كلاما أوليا ثم قال واعلم يا أمير
المؤمنين سدا دقة تعالى سهمك لاغراض خلافته وعصمتك الزمان واقته أنك في مجلس
القصل ومباشرة الفرع من ملكك والاصل في طائفة من عزائه تعالى تذب عنك جاتهما وتدافع
عن حوزتك كما تها فاحذر أن يعدل بك غضبك عن عدل تزي منه بضاعة أو يهجم بك رضائك
على اضاعه وتسكن قدرتك وفعالي الانصاف بالعدل والانصاف واحكم بالسوية واجنح
بتدبيرك الى حسن الرويه وخف أن تقع بك أناتك عن حزم تعين أو تستفرك العجلة في أمر
لم يتبين وأطع الحجة ما توجهت اليك ولا تحفل بها اذا كانت عليك فاقم يدك اليها أحسن من
ظفرك والحق اجدى من نفرك ولا تزن النصيحة في وجهه ولا تقابل عليها بوجه فتنعها اذا
استدعيتا وتحجب عنك اذا استوعبتا ولا تستدعها من غير أهلها فيشقيك اولوا الاغراض
بجهلها وأحرص على ان لا يتقصي مجلس جلسته أو وزن اختلسته الاوقدا حرزت فضيلة زائده
أو وثقت منه في معيادك بفائده ولا يرهذك في المال كثرته فتقل في نفسك اثره وقس
الشاهد بالقائب واذكر وقوع ما لا يحتسب من التوائب فالل المصون امنع الحصون ومن
قل ماله قصرت آماله وتهاون بيمينه شماله والمك اذا قصد خزنه اخني على أهل الجدة التي
تزينه وعاد على رعيته بالاجحاف وعلى جبايته بالاحلاف وسامعنا دعيشه وصغرى عيون

حيث ومنواعه بنصره وانقوا من الاقتصار على قصره وفي المال قوة سماوية تصرف الناس
 لصاحبه وتربط آمال أهل السلاح به والمال نعمة الله تعالى فلا تجعله ذريعة الى خلافه فتجمع
 بالشهوات بين اتلافك واتلافه واستأنس بحسن جوارها واصرف في حقوق الله تعالى بعض
 أطوارها فان فضل المال عن الاجل فأجل ولم يضرم خلف منه بين يدي الله عز وجل وما ينقعه
 في سبيل الشريعة وسد الذريعة ما مؤن خلفه وما سواها فتعين تلفه واستخلص لتواذك
 المناصه ومحاسن العامة والخاصه من يلق بولوج عتبا والعروج لرزها أما العامة فمن عظم
 عند الناس قدره وانشرح بالعلم صدره أوظهر يساره وكان لله تعالى اخباة وانكساره ومن
 كان للقيام متصبا وبناج المشورة معتصبا وأما الخاصة فمن رقت طباعه وامتد فيما يلق
 بتلك المجالس باعه ومن تعمر في سرائر الحكا وأخلاق الكرم ومن له فضل سافر وطبع للذنية
 منافر ولديه من كل ما تستر به الملوكة من العواظ واقر وحف ألبابهم بمحصل خيرك وسكن
 قلوبهم بين طيرك وأغنهم ما قدرت عن غيرك واعلم بان مواقع الحكم من ملكك مواقع المشاغل
 المتألقة والمصايح المتعلقة وعلى قدر تعاهاها تبذل من الضياء وتجلبونورها صورا الاشياء
 وفرعها الخبير ما يزين مدتك ويحسن من بعد البلاجذتك وبغاية الاواخذ كرت الاول واذا
 سمحت المفارخ ربت الدول واعلم ان بقاء الذك مشروط بعلم بالبلدان وتخليد الآثار العاقبة
 في القاصي والبان فاحرص على ما يوضع في الدهر سبك ويجرز الزريعة على من قبلك وان خزن
 الملوكة من سطق بالحجة وهو قادر على القهر ويبدل الانصاف في السر والجهر مع التمكن من المال
 والتظهر ويسار الرعية جمال الملك وتعرف واقفتهم من ذلك طرف فقلب اليهم الحالين بمحكك
 وأولاهما بنظرك وحلك واعلم ان كرامة الجور دائره وكرامة العدل متكاثره والغلبة بالخير سياده
 وبالشر هواده واعلم ان من حسن القيام بالشريعة يحسم عنك نكايات الخواارج ويسموك
 الى المعارج فانهم اتفسد أنواع الخلد وتؤدي لتغير الهدع وأطلق على عدوك أيدي الاقوياء
 عن الاكفاء والسنة اللقيف من الضعفاء واستشعر عندك كنهه شعار الوفا وتكن ثقك بالله
 تعالى أكثر من ثقك بقوة تجدها وكنية تتخذها فان الاخلاص يمتحك قوى لا تكسب ويغدهك
 مع الاوقات نصرا لا يمتسب والتمس أبدا سلم من سمالك بنفيس ما في يدك وفضل حاصل يومك
 على مستطردك فان أي وضعت بحجبتك وقامت عليه الناس بذلك حجبتك فلتنفوس على
 الباغين ميل ولها من جانب ميل واشهد في كل يوم سيرة من يناديك واجتهد ان لا يوازيك في خير
 ولا يساويك واكتب بالخير ما يشيع من مساويك ولا تقبل من الاطراء الا ما كان فيك فضل
 عن اطالته وجذب زرى على بطالته ولا تلق المنيب بحميمتك وسبك واذا كره عند حركة الغضب

ذئوبك الى ربك ولا تنس الذنب المذنب أجلسك مجلس الفصل وجعل في قبضتك رياش اتصل
وتشاغل في هذنة الايام بالاستعداد واعلم ان التراخي منذر بالاشداد ولا تهمل عرض ديوانك
واختار أعوانك وتحصن معاقلك وقلاعك وعمياتك بحسن اطلاعك ولا تغفل زمن
الهذنة بلذاتك فتجني في السدة على ذاتك ولا تطلق في دولتك ألسن الكهانة والارباب
ومطاردة الآمال الجفاف فانه يبعث سوء القول ويفتح باب العول وحذر على المدرسين والمعلمين
والعلماء والمنكلمين حمل الاحداث على الشكوك الخاطئة والمزالات الواجحة فانه يفسد طباعهم
ويغري سباعهم ويعيد في مخالفة الله باعهم وسد سبيل الشفاعات فانها تفسد عليك حسن
الاختيار ونفوس الخيار وابدل في الاسرى من حسن ملكتك ما يرضى عن ملكك رفاقها وقلدك
قوامها وعقابها وتلق بدرها لك بذكر الله تعالى في رفعك وابتذالك واختم اليوم عملك واعلم
انك مع كثرة حجابك وكثافة حجابك بمنزلة الظاهر للعيون الطالب بالديون لسدة البحث عن
أمورك وتعرف السر الخفي بين أمرك وأمورك فاعل في سررك ما لا تستقيم أن يكون ظاهرا
ولأنك أن تكون به مجاهرا واحكم رأيك في الله وشجرك وخف من فوقك يخف من تحتك
واعلم أن عدوك من أتباعك من تناسيت حسن قرضه أوزادت مؤتمنة على نصيبه منك وقرضه
فاصمت الحج وتوق الحج واسترب بالامل ولا تحمك انتظام الامور على الاستهانة بالعمل
ولا تحقر صغير الفساد فياخذ في الاستسداد واحبس السنة عن التحالي باغتيابك والتثبت
بأذبال ثيابك فان سوء الطاعة ينقل من الاعين الباصرة الى الالسن القاصره ثم الى الابدى
المتناصرة ولا تثق بنفسك في قتال عدونا والى حتى تظفر بعدو غضبك وهواله وليكن خوفك
من سوء تدبيرك أكثر من عدوك الساعى في تبيرك واذا استزلت ناجيا أو أمنت سائر هاجبا
فلا تقلده البلد الذي فيه نجح وهمل عارضه فيه وانسجم بعظم عليك القدرح في اختياره والغض
من ايثاره واحترز من كيدته في جزارك وماتك فانك أكبرهمه وليس أكبرهمك وحمل الملكة
بأمين القلوات وتسهيل الاقوات وتجديد ما يتعامل من الصرف في البياعات واجرا العوائد مع
الايام والساعات ولا تجن عيار قيم البضاعات ولكن يدك عن أموال الناس مجعورة وفي
احترامها الاعن الثلاثة ماجوره مال من عدا طوره طور أهله وتخارق في الملابس والزينة
وقبول المدينة يروهم معارضتك بمحمد من باطن أعداك وان اعتدلك ومن أساء حوار عريتك
ياحساره وبذل الاذانية فيهم يمينه ويساره وأضر ما منيت به التعادى بين عبدائك أو في بلد من
بلدائك فسد فيه الباب واستل عن الاسباب وانقلهم بوساطة أولى الالباب الى حالة الاجاب
ولا تطرق الاعلام أطواق المنون بهواجن الظنون فهو أمر لا يقف عنده ولا ينتهى الى عذ
واجعل ولك في احتراستك حتى لا يطمع في اقتراستك

ثم لا رأى السبل قد كاد ينصف وعموده يريد أن ينصف وبحال الوسايا أكثر مما يصف قال
يا أمير المؤمنين بحر السياسة زاهر وعمر المتع ناديك مستلخر فان أدت في فن من فنون الانس
يجذب بالقصاد الى راحات الرقاد ويعتق النفس بقدره ذى الجلال من ملكة الكلال فقال
أما والله قد اسهنا ما سررت فساألك وما أردت فاستدعي عودا فاصلمه حتى يجده وأبعد
في اختياره أمدته ثم حرك به وأطال الحبس ثم ثم تغنى بصوت يستدعي الانصاف وبصدع

الخصاء ويستغفر الحليم عن وقاره ويستوقف الطير ورزق بنيه في منقاره وقال

صاح ما أطر القبول بئمه * أتراها أطالت اللبث ثم

هي دار الهوى من النفس فيها * أبد الدهر والاماني تجم

ان مكن ما تارج الكون منها * واستفاد الشذا والافقه

من لطرفي بتفجرة ولا تقي * فربها وفي تراها بشمه

ذكر العهد فانتفضت كافي * طرقتني من الملائك لمنه

وطن قد قضيت فيه شيبا * لم تدنس منه البرود منمه

بنت عنه والنفس من أجل من قد * خلقت له خلافة مغفه

كان حلما فويح من أمن الدهر وأعمد جهله وأصمه

تأمل العيش بعد أن خلق الجسم * وبنياته عسير المرمه

وغسدت وفرة الشيبه بالشيب * يب على رغيم أنفها مغفه

فلقد فاز سالت جعل الله * الى الله قصده ومامه

من بيت من غرور دنيا بهم * يلدغ القلب أكثر الله هنمه

ثم أحال اللحن الى لون التوهم فاحذ كل في النعاس والنوم وأطال الحبس في فن الثقل ما كف

عكوف الضاحي في المقبل نفاط عيون القوم بخيوط النوم وعمرهم المراقد كلها أدار عليهم

الفراد ثم انصرف فاعلم به أحد ولا عرف ولما أفاق الرشيد جد في طلبه فلم يعلم بقلب فأسف

للفراد وأمر بتخليد حكمه في بطون الاوراق فهي الى اليوم تلى وتنقل وتجي القلوب بها

وتصقل والحمد لله رب العالمين

(من نفع الطبيب)

محاورة بين السيف والقلم

(للعلامة الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري)

قال العلامة لقي الدين بن حجة الجوى ان الشيخ جمال الدين أظهر في المغايرة بين السيف والقلم
ما صدق به قول القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه * لا تبى عالم تستطعه الاوائل

من ذلك قوله في رسالة المقارنة بينهما والمغايرة في مدح كل منهما وندمه فبرز القلم بقصاحه ونشط
لارتياحه ورق من الانامل على أعواده وقام خطيبا بجماسه في حلة مداده والتفت الى السيف
فقال

بسم الله الرحمن الرحيم * ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعم ربك بمجنون الحمد لله الذى
علم بالقلم وشرقه بالقلم وخط به ما قدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال جف القلم
بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوى الجلالين وكل مجتبات صلاة واسطة السطور فأنجحه من
أدراج الصدور ما نقلت مصحف البحار غواذيتها وكنت أقلام النور على مهارق الدياجى حكمة
بارها أما بعد فان القلم منار الدين والدنيا ونظام الشرف والعليا ومجداح صاحب الخير اذا
احتاجت الهمم الى السقيا ومفتاح باب الدين الجرب اذا أعيى وسفير الملك المحجب وعذيق
الملك المربج وزمام أموره السائر وقادمة أجنحته الطائر ومطلق أرزاق عقابته المتواترة
وأتملة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخرة برقم كتاب الله الذى لا يئمه الباطل وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم التى تمسح بالخطوط والحوامل فينبه وين من يقاخره الكتاب والسنة
وحسبه ما جرى على يده الكريمة من منه وفي مرضى الدول عون للشائدين وبعين الله في ليالى
النفس تقلب وجهه في الساجدين ان تطمت فرائد العالم فأنما هو سلكها وان عات أسيرة
الكتب فأنما هو ملكها وان رقت برود البيان فأنما هو حلالها وان تشعبت فنون الحكم
فأنما هو أماتها واماها واذا انقسمت أمور الممالك فأنما هو عصمها وتعالها وان اجتمعت دعاتها
الصنائع فأنما هو امامها المتافع بسواده وان ذخرت بحار الافكار فأنما هو المستخرج دررها
من ظلمات مداده وان وعد أوفى بجلب النفع وان أوعد أخاف كلمته يستمد من النفع هذا
وهو اسان الملوك المخاطب ورسيلها الابكار والقنوح والمخاطب والمتفق في تعبير دولها ومحصول
انفاسه والمحمل أموره الشاقة على عينه ورامه والمتنقظ لجهاد أعدائها والسيف في جفنه
نائم والمجهز لبأسها وكرهها جيش الحروب والمكازم والجرى بآمر الله من العدل والاحسان

والسود والناسر فكثما هو لعين الدهر انسان طالما تب عن حرمها فستد الله أنزله ورفع ذكره وقام في الحماة عن دينها أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره وقاتل على البعد والصوامر في القرب وأوفى من معجزات النبوة فوعا من النصر بالرعب وبعث بجافل السطور فالقسي دالات والرماح ألفت واللامات لامات والهمزات كواسر الطير التي تتبع الجحافل والارربة عجاجها المحر من دم الكلي والمفاصل فهو صاحب فضيلتي العلم والعلم وصاحب ذيلي الفخار في الحرب والسلم لا يعاديه الامن سفة نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وقل الجندال من غربه وخروج في وزن المعارضة عن ضربه وكيف يعادى من اذا كرع في نفسه قبل انا أعطيناك الكوثر وأذا ذكرك شانه السيف قبل ان شاتك هو الابتر أقول قولي هذا وأستغفر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه وأتوكل على الله فيأحكم وأسأله التدبير فيأجرى بالقلم ثم صكتي بمذاكره من أدواته وجلس على كرسي دواته متمتلا يقول القائل

قلم يفل الجليش وهو عرمرم * والبيض ماسلت من الانحد
وهبت له الا جام حين تشابها * كرم السيول وصوله الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما بجلا وتلظ لسانه للقول مر تجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز الحمد لله الذي جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها في ذوى العصيان فأغصهم بهاء الخوف وشيدهم رتب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وعقدهم مرصوف وأجناهم من ورق حديدها الاخضر ثم راعى فيها الدانية القطوف وصلى الله على سيدنا محمد هازم الألوف وعلى آله وصحبه الذين طالما نحووا بريق الصوارم سطور الصوف صلاة عاطرة في الأنوف حالية بها الاسماع كالشنوف وسلم أما بعد فان السيف نذ الحق الورى ونذ القوى وحده الفارقين الرشيد والقوى والتجم الهادى الى العز وسيله والتغر الباسم عن نباشير قوله بأظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء وجلى شخص الدين الحننى وقد ججم جفاء وأجرى سيموفه بالاطمح فاما الحق فكث وأما الباطل فذهب جفاء وجلتها اليد الشريفة النبويه وخصته على الأقالم بهذه المزية وأوضحت به للعق منهاجا وأطلعت في ليلالى النقع والشك سراجا وهاجا وفتحت باب الدين بمصباح حتى دخل فيه الناس أفواجا فهو ذوال رأى الصائب وشهاب العزم الثاقب وسماء العزالى زينت من آثاره بزيته الكواكب والحد الذى كأنه ما مدافق يخرج عند قطع الأجساد من بين الصلب والترائب لا تتجد آثاره ولا ينكر قراره اذا اشتبت في الدبح والنقع ناره يجمع بين الخلتين الباس والكرم ويصاغ في طوق الخليتين فهو اما طوق في فخور الاعداء واما الخلت في عراقيب أهل النعم ويحسم به أهواء الفتن المفصلة ويخطف بهم صسته الجلزامة

حروف العلة. وإذا نحن في مما القتام بالضرب فقل يسألونك عن الالهة فهو القوي الاستطاعة الطويل الممر اذا قصت سواء في ساعة نقأ ولا يبطل الاحسان وما أجل ذكره في أخبار المعرين ومقاتل الفرسان كأن الغيب في غمده للطلاب المتجع وكأنه نادى يستضاهي الآن دفع الدماء شره المتجع كم قدمت فادرك الطلاب ودعا النصر بلسانه المحرمن أثر الدماء فاجاب وتشتعت الدول لبقائهم نصره المنتظر وحازت أكبار القنوح بحمده الذكر وغدت أيامها بهذات بحول مملومة وغرر وشدت به الظهور وجدت علائقه في الامور واتخذته الملوك حرزا لسلطانها وحصنا على أوطانها وقطانها وجرده على صروف الاقدار في شأنها ونذب فأعيت عليه المصالح وبأشر اللهم فهو على الحقيقة من الهدي والصلال فرق واضح وأغاث في كل فصل فهو اما الغده سعد الاخيه واما الحامله سعد السعد واما الضمه سعد المذابح يجلس على رؤس الاعداء فهرا ويشرح أباها الشجاعة فأتى للقم ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا وهل يا فخر من وقف الموت على يابه وعض الحرب الضروس بناه وقذفت شياطين القراع بشبهه ومنغ آيات شرقة منها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشأ برقه فكان للورد مصرعا وللراشد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا كم اتخذ من جسد طرسا وكتب عليه حرفا لا ينسى فيه للابلا بعبرة وللاذهان الساجدة غمرة بعد غمرة أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم من لنظ يجمع ورأى الى الخصاص يجمع ولسان يحوجه اللدالي أن يخرج فيخرج وأوكل عليه في صد الباطل وصرقه وأسأله الاغاثة على كل باحث عن حقه بظلفه ثم اخفى في بعض الجائل وتمثل بقول القائل

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه * فاني رأيت السيف أقصم مقولا

فلما وصى القلم خطبته الطويلة الطائله ونشطته الجلية الجائله وفهم كايته وتلويحه وتعرضه بالنم ونصريحه وتمثيله في الحديث وتجريحه استغاث باللفظ النصير واحتد وما أدراك ما حدة القصير وقام في ديوانه وقعد واضطرب في وجه القرطاس وارتعد وعدل الى السب الصراح ورأى أنه ان سكنت تكلم ولكن باقوا الجراح فالتحرف الى السيف وقال أيها المعتز بطابعه المغترب لعله النافض حبل الانس يقطعه التامخ بهجيره من ظلال العيش قبا السراب الذي يحسبه الظلمات ماء حتى اذا جاءه لم يجد شيئا الجيس الذي طالما عادت عليه عواشيره ولكن الابليس الذي لو أمرى بالسجود لقال خلقتني من نار وخلقته من طين أتعرض بسبي وتعرض لكليد حربي ألتستذا لندع البالغة والحرب خدعة والمنا النافعة والخير فيمن لا تبني الانام نفعه ألبت المستود الاخر يقول القائل

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الجود والاقداما

(١٣) القطع المنقبة (بخة ثالث)

أنا فخري وأنا اللؤلؤ وأنا القطع وأنا العطاء وأنا المنع وأنا الصلح وأنا الضرب وأنا اللامعة
وأنا الخراب وأنا المعمر وأنا المدمر وأنا المقلد وأنا صاحب التقليد وأنا العايب وأنا
المجود ومن أولى من القلب التجويد فما أجمع شهك وما أشنع يوما ترى فيه العيون وجهك أعلى
مثلي يشق القول ويرفع الصوت والصول وأنا ذو اللفظ المكين وأنت بمن دخل تحت قوله
تعالى أو من نشأ في الخلقة وهو في الخصام غير مبين فقد تعديت حنك وطلبت عالم تبلغ به جهك
هيئات أنا المنتصب لمصالح الدول وأنت في التمدط ربح والمتعب في تمهيدها وأنت غافل مستريح
والساهر وقد همد لك في الغد مضجع والجالس عن عين الملك وأنت عن يساره فأى الحاليتين أرفع
والساعي في تدبير مال القوم والمغنى لنفعهم المراد كان لله ملك يوما أو بعض يوم فاقطع عنك
أسباب المغامرة واسترأيا بابل عند المكاشرة فاحسن بالصامت مجاورة الفصح والله يعلم المفسد
من المصلح على أنه لا ينكر لثالث التصدي ولا يستغرب منه على مثلي التعدي ما أنا أول من أطاع
الباري ونجرت عليه ومددت يد العدو وإن إليه أولست الذي خيل فيه شيخ يرى الصلوات الخمس
ناقلة ويستحل دما لحاج في الحرم قد سلبت الرجة وأعلمي رحم الله من عباده الرجم وجلبت
القسوة فكهم هيب سبة جراء وأثرن دهماء وخشت الوجوه كي لا وأنت كالتفكر كونا
وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصالح لونا أين طاشك من حلمي وجهك من على وجهك من
جسمي شتان ما بين جسم صيغ من ذهب ونال جسمي وجسم صيغ من بهق أين عينك
الزرقاء من عيني الكحيله ورؤيتك الشنعاء من رؤيتي الجليله أين لون الشيب من لون
الشباب وأين نذير الأعداء من رسول الأحباب هذا وكما أكلت الأكل غنظا وجيت
الأضغان فيظا وشكوت الصداة فسقيت ولكن بشواط من نادر وأخنت عليك الأيام حتى
اتعل بالبعاضك الجار ولولا تعرضك إلى ما وقعت في المقت ولولا اساءتك لما كنت تصقل في كل
وقت فدع عنك هذا الفخر المديد وتأمل وصفي إذا كشف عنك العطاء فبصرتك اليوم حديد
وافهم قول ابن الروي

ان يحكم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خسوفه الأهم
فالمسيوت والموت لاشئ يعادله * ما زال يتبع ما يجري به القسطل
بذا قضى الله في الأقلام أذبرت * ان السيوف لها ماذر أهقت خدم

ففسد ذلك وثب السيف على قتله وكذا الغضب يخرج عن حده وقال أيها المتناول على قصره
والماشي على طريق غرره والتعرض مني إلى الدمار والتعرض بي فهو كأنقول العامة تذنبه قس
ويحتسب بالجار لقد شربت عن سابقك حتى أغرقتك الغمرات وأعيتت نفسك فيما لا تدرك إلى أن

أذهبها الذهب حشرات أولست التي ظلم الأعرش السيف للهيبة عطفك ونكسر الخدمة
رأسك وطرفك وأمر بعض رعيته وهو السكين فقطع قفاك وشق أنفك ورفعك في مهمات
حاملة وحملك وجذبك للاستعمال وقطعك فليت شعري كيف جبرت وعبست على مثل
وبسرت وأنت السوق وأنا الملك وأما الصادق وأنت المؤمنك وأنت لصون الحطام وأنا لصون
الملك وأنت لحفظ المزارع وأنا لحفظ المسالك وأنت للفلاحة وأنا للفلاح وأنت حاطب الليل من
نفسه وأنا ساري الصباح وأنا الباصر وأنت الأعمى وأنا المخدوم الأبيض وأنت الخادم الأسود
وأقسم عن صيرفي قبضتي أنواع العين المسخرة وجعل شخصك وشخصي كقولته تعالى وجعلنا الليل
والنهاريتين فمخونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة انك عن باوخ قدرى لأزل رتبة وعن
بزي كنى لأخيب طلبه فاني لا أنكر قول بعض أربابك حيث قالوا

أفلا رزق الكسبه * أف له ما أصعبه

يرثشف الرزق به * من شق تلك القصبه

يا قلما برفع في الطرس لوجهي ذنبه

ما أعرف المسكين الا كتابا فامنت به

انما بينت الديوان وقعت في الحساب والعذاب أو البلاغة صهرت وبالث فأت سائر كذاب
أو غفرت بتقييد العلوم فمالك منها سوى لمح الطرف أو رقم المصاحف فأنك تبعد الله على حرف
أو جمعت علاقا فاجعل للتكسير أو رفعت الى طرفك رجوع البصر خاسئا وهو حسير وهل أنت
في الدول الاحبال تنكتي الهمم بيطيفه أو أوسع بلعق بها الرزق اذا أكل الضارب بقائم سيفه
وتناع على رأسه قل ما أجدى وسار رعا أعطى قليلا أو كدى ثم وقف أو كدى أين أنت من
حظي الاسقى وكفى الاغنى وما خصصت بمن الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الأدنى
كبر رزقنا أغنيت في مهمه وكمرجت من دنائك التسطير ميثقه فخرجت كقائل من ظلمة الى
ظلمه وهب انك كما قلت مفتوقا للسان جرى الخنا من مداحل بمخلبك بين ذوي الاقناس معنود
من شياطين الدول وأنت في الطرس والنفس بين تناقضات فلو جريت حلقى الى ان تحقنى
ونعت بصريك الى أن تخفت وتتحقنى فما كنت منى الا بمنزلة المدر من السمكة الراح والبرعة
على تيار الخضم الطافح فلا قد تفنك بجميزي فأنك من عين ولا تخف لها أن تبلغ مدي فليس
لخصوب البساتين ومن صلاح فجمك أن تعرف بفضل الاكبر وتؤمن بمجزى التي بعثت منك
الى الاسود والاجر لنفسك وجب عقا وتسلم من نار حرقى لايصلاها الا الاشقى وان لم يتضح
رايك الا الاصرار وأبنت بصائرنا لك الآن وتعلمك في النار فلا رعى الله عزك القاضره

ولاجمع عقارب ليل نفسك التي ان عادت فان نعال السيوف لها حاضره ثم قطع الكلام وتمثل
بقول أبي غلام

السيف أصدق انباء عن الكتب * في حده الحد بين الجسد واللعب
بيض الصفا شح لاسود الصحائف * متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذي أخرجه وسمع هذه المقالة التي يقطر
من جوانبها الدم ورأى أنه هو البادى بهذه المناقشة والبادى أنظم رجعا الى خداعه ونجى عن
طريق قراعه وعلم أن الدهر دهره والقدر على حكم الوقت قدره وأنه أحق بقول القائل
لنهماء عرب وأعجب من ذا * ان اعراب غيرهما لمحو

فالتفت اليه وقال أيها المتهلب في قدحه وأخارج عمناسب اليه من صفحه ما هذه الزيادة
في السباب والتطغيف في كيد الجواب وأين علم الشيوخ عند جهل الشباب أما كان
الاحسن بك أن تترك هذا الرفث وتعلم أخاك على الشفت وتعلم كازمتك السيد وتركوا
على الغيظ كازكوعى النصار الجسد أما تعلم أنى معينك في تشييد المسالك ورفيقك فيما تسلكه
لنقمهم المسالك أما أنا وأنت للكم كالسيدن وفي تشييده كلركين الاشدين وما أراك
عنتى فى الاكثر الانحول جسدى الذى ليس خلقه على وضعفه الذى ليس أمرى على أن
أشهى انمصرورا تخفها وأقوى الجفون أضعفها وأزكى التسميات أعلها وأدنفها وهذه
سادات العرب تعد ذلك من فضلها الاظهر وحسنها الاشهر ولوانك تقول بالفصاحة وتقف
في هذه الساحة لاسمه تلك في ذلك من أشعارهم وأتحفك بما يفخرون به من آثارهم وكذلك
عينك سواد خلقى التي اكسبها الحب حلية صبغت صبغة حب القلوب والحدق في الله وبالعجز
الاسود من هذه الخلة البائرة والكثرة الخاسرة وعلى هذه النسبة ما عنتى به من فقر الانبياء وذل
الحكاه على أن اطلأ طلائع معروف في معروفه وسطوات أمرى في وجوه الاعدام المكسوفة
مكشوفة فاستقرائه عافرا في مقالتي والتقويض من عوائد حقالك فلا تشمت بنا الاضداد
ولا تسلط بفرقتنا المفسدين في الارض ان الله لا يحب الفساد واغضض الان من خيالئك بعض
هذا الغض ولا تشك انى قسمك ولوقيل لك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وان آيت
الآن تهدد ونجود الشغب وتحدد فلاذ كرمنا من اليد الشريفة السلطانية الملكية المؤيدة
أيد الله نعمها وجاز بالاحسان شيمها وأيقظ في الآجال والآمال سيمفها ووقلها ولا عطل
مشاهد المدح من أنسها ولا أخلى فرائض الكرم والباس من قيام خسها فاقسم من بأسه بالليل
وما وسق ومن بشر طلعته بالقرانا اتسقى لتجاور الاسود والظباء بتلك البذور بالامن

في منهل ورتاعي روض لا يجهل ولو طأ اليها النهار لما راعه جمشة الله الليل زجر أو الليل لما غلب على خيطه الاسود الخيط الابيض من الفجر وعلى ذلك ما ينبغي لنا بين تلك الانامل غير ساوكة الادب والمعاذلة على محو الازمات والنوب والاستقامة على الحق ولا ووج والحديث من تلك الراحنة عن البحر ولا حرج هذه نصيحتي اليك والدين النصيحة والله تعالى يطالعك على معاني الرشد الصريحة ويجعل فيك وبين الفتي حجاب مستورا وينسبك ما تقدم من القول وكان ذلك في الكتاب مسطورا فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قائلا لا امر ما جدع قصيراته وأمسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان السيف معروفة بالخلل ثم قال ايها الضعيف الجبار البازغ في ليل المداد فجمعا وكفي التجوم غرار لقد تظلمت من أمر أنت البادئ بظلمه وتسورت الى فتح باب أنت السابق الى فتح ختمه فقد فهمت الآن ما ذكرت من أمر اليد الشريفة ونعم ما ذكرت وأحسن ما أشرت وما أنساه الا الشيطان أن أذكره وقد تغافل عن قولك الاحسن ورددت الى أمك الدواة كي تفرع عنها ولا تحزن وسألت الله تعالى أن يزيد محاسن تلك اليد العلية تمام على الذي أحسن فانها اليد التي

لواثر التقبيل في يد من * لها براجم كفها التقبيل

والراحة التي

تسي القلوب لغوئها ولغنيها * فيحييه التأمين والتأميل

والانامل التي علمها الله بالسيف والقلم ومكنها من رتبي العلم والعلم ودارك بكرمها آمال العقاة بفساد ولاولم ولولا أن هذا المضمحل يضيق عن وصفه السابق الى غاية الفضل ومجده الذي افاض به وذال الفضل لو تمسك منه بالفضل لأطلت الآن في ذكر مجدها الاوضح وأقصدت في مدحها ولا ينكر لئلهما أن نطق الصامت فافصح ثم انك بعد ما تقدم من القول المزيد والمجادة التي عز أمرها على الحبيب أقررت أنت أننا الملك كالبدن ولم تقرأنا العيين وفي آفقه كالقمرين ولم تذكرنا الواضحة الجبين وما يشق ضناى ويروى مصادى الآن يحكم بيننا من لا يردحكه ولا يتهمه فيظهر أينا المفضل من الفاضل والمخذول من الخاذل ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل وقد رأيت أن يحكم بيننا المقام الاعظم الذي أشرت اليه الشريفة وتوسلت بحماستها اللطيفة فانه ما لك زمانا ومنشأ عملنا ومصرف كلامنا وحامل أعبائنا الذي ماهوى الهوى وصاحب أمرنا ونهينا وتالله ما ضل صاحبكم وما غوى ليفصل الامر بحكمه ويقدمنا الى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه فقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط وقل بعد تقبيلنا الارض له في ذلك البساط خصمان بقى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى

سواء الصراط فنشط القلم فرننا ومشى في أرض العارص مرصا وطرب لهذا الجواب ونورا كعا
وأنا وبه قال معا وطاعه وشكرا لله على هذه الساعة (يا رب ذلك الذي قالت على كبدي)
الآن تظهر ما تبغيان وقضى الامر الذي فيه تستفتيان وحكم بينا الراى المنير ونبا بأحق حقيقة
الامر ولا يشك مثله شجير ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على ما يحكم به المالك وكافوا أحق بها
وأهلها واتتبه الملول من سنة فكره وطالعها اختلج سواد هذا الليلة في سره والله تعالى يدوم
أيام مولانا السلطان التي هي نظام المفانير ومقام المآثر وغوث الشاكي وغياث الشاكر ويعتق
بظلال من مقامه التي لا تكسر الايام مدة دار ما هو غير ولا تحجب ما هو كاسر ان شاء الله تعالى * تمت
رسالة الشيخ جمال الدين التي كشف بها عن قناع المغيرة وأتى فيها بكل مثال ليس له مثيل ووسمها
بصاحب حمة فاطمعه عاصي الادب ووجه الله على الكبير اسماعيل (وهذا آخر الرسالة
والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا)

الباب السادس في المراسلات والمنشآت

هذه صورة مذهب سيدنا على كرم الله وجهه لما اتي المعروف بالاشترافي حين ارسله واليا على مصر وهو من أجل أصحابه وكان يقول فيه ما لثلي كما كنت النبي صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشترافي عهدته حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واصلاح أهلها وعلمة بلادها أمره بتقوى الله واثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسنته التي لا يستعد أحد الا باتباعها ولا يشق الا مع بخودها واضاعتها وان نصر الله سبحانه يده وقلبه وسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من أعزّه وأمره أن يكسر من نفسه عند الشبهوات ويرزعها عند الجحاحات فان النفس أماراة بالسوء الا ما رحم الله ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد خبرت دولها قبلك من عدل أو جور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر في من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السنة عباده فليكن أحب الخصال اليك الأخيرة العمل الصالح فامالك هو لك وشعب نفسك عمل الاجل لك فان الشيع بالنفس الانصاف منها فيما أحببته وكرهته واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكون من عليهم سبعا ضاريا تقتنم أكلهم فانهم صنفان اما أخاك في الدين واما نظيرك في الخلق تفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في الهدى والخطأ فأعظمهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى ان يعطيك اقمهم عفوه وصفحه فانك فوقهم والى الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفالك أمرهم وابتلاك بهم ولا تبصبن نفسك لحرب الله فانه لا يذ لك بنفيمه ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تدمن على عفوه ولا تجعلن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وحديت عنهنم سدوجة ولا تقولن اني مؤمر أمر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير واذا أحدثت ما أتيت فيه من سلطانك أجهت أو خيطة فانظر الى عظيم مالك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطمئن اليك من طمأحك ويكف عنك من غريك ويضي اليك معارب عنك من عقالك واياك ومساماة الله في عظمته والتشبهه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل محتال انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خصامة أهالك ومن لك فيه هوى من رعبتك فانك لا تفعل ظلم ومن ظلم عباده كان الله خصمه مدون عبادته ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حراحي يزعج ويتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتبجيل نفسه من اقامته على ظلم فان الله سميع دعونا لطلوعين

وهو الظالمين بالمرصاد ولكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعظمها في العدل وأجمعها لرضى
 الرعية فإن سخط العامة يحجب رضى الخاصة وإن سخط الخاصة يعقفر مع رضى العامة وليس
 أحسن من الرعية أنقل على الوالى موته في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للانصاف وأسأل
 بالإنصاف وأقل شكرا عند الاعطاء وأبها عند الاعتدال المنع وأضعف صبرا عند ملأت الدهر من
 أهل الخاصة وانما عهد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صفوك
 لهم وميثاقك معهم وليكن أبعد عيتك منك وأشنؤهم عندك أطلبهم احاطب الناس فإن في الناس
 عيوبها الوالى أحق يسترها فلا تكشف عن عيبك عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله
 يحكم على ما قاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله عنك ما تحب ستره من ريعتك أطلق عن
 الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصلح لك ولا تنجلى الى تصديق
 ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناهمين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا بعدل بك عن الفضل
 وبمعدك الفقر ولا جبايا ضعفك عن الأمور ولا حريصا بزينة الشبهة بالخور فإن البخل والجبن
 والحرص غرائز تنسى يحجمها سوء الظن بالله شر ووزرائك من كان قبلك للشرار وزيرا ومن
 شركهم في الآثام فلا يكونون لك بطانة فانهم أعوان الائمة واخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير
 الخلف عن لهم مثل آرائهم ونفادهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم عن لا يعاون ظلاما على ظلمه
 ولا آثم على آثمه أولئك أخف عليك موثة وأحسن لك معونة وأحن عليك عطايا وأقل لغركم القنا
 فأتخذ أولئك خاصة لظلماتك وسفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم لك ببر الحق وأقلهم
 مساعدة فيما يكون منك مما كرنا لله لا ولياته واقعدك من هوال حيث وقع والصق بأهل الورع
 والصدق ثم رضهم على أن لا يطرؤ ولا يمجؤك يبطل لم تفعله فإن كثرة الاطراء تحدث الزهو
 وتدن من العزة ولا يكون المحسن والمسي عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تهديدا لأهل الاحسان
 في الاحسان وتديرا لأهل الاساءة على الاساءة والزم كلامهم ما ألزم نفسه واعلم أن ليس شئ
 بأدعى الى حسن ظن والبرعيت من احسانه اليهم وتخفيفه الموتات عليهم وترك استكراهه اياهم
 على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك أمر يجمع لك حسن الظن برعيتك فإن حسن الظن يقطع
 عندك نصا بطورا وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وإن أحق من سافطك به
 لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عملها صدور هذه الامة واجتعت بها الافقة وصلحت
 عليها الرعية ولا تعدن سنة تضر بشئ مما مضى من تلك السنن فيكون الاجر لمن سننها والوزير
 عليك بما تنقض منها وأكبر مدرسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلاؤك
 وإقامة ما استقام به الناس قبلك واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا لبعض ولا يغني بعضها

عن بعض فتنها جنود الله ومنها كآب العامة والخاصة ومنها قضاء العدل ومنها أعمال الانصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخارج من أهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة وكل قدسى الله سهمه ووضع على حده وفرضته فى كتابه أو سنة نبه صلى الله عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود بان الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا تقوم الجنود الا بما يحض الله تعالى لهم من الخارج الذى يقرون به فى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما أصلحهم ويكونون من وراء حاجتهم ثم لا تقوم لهذين الصنفين الا بالصف الثالث من القضاء والعمال والكتاب لما يحكون من المعاهد ويجمعون من المنافع ويؤمنون عليه من خواص الامور وعوامها والاقوام لهم جميعا الا بالتجار وذوى الصناعات فيما يجمعون عليه من مرافقهم ويقبون من أسواقهم ويكفونهم من الترفق ياديدهم مما لا يخلو رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفى الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه قول من جنوده أنصهم فى نفسك لله ولرسوله ولا مامك وأطهرهم حياء وأفضلهم حلما بمن يطمئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبوعلى الاقوياء من لا يشده العنف ولا يقده الضعف ثم الصق بنوى المروآت والاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جامع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما يفتقد الوالدان من ولدهما ولا يتفان فى نفسك شئ أقوى بهم ولا تحترن لطفنا تتعاهد بهم وان قل فإنه داعية الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم انك لا على جسمها فان اليسير من لطفك موضعا ينتفعون به والجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن أثر رؤس جنودك عندك من واساهم فى معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسهم ويسع من ورأهم من خاوف أهلهم حتى يكون همهم هموا واحدا فى جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاء أمورهم وقلة استنقال دولهم ووزك استبطاء انقطاع مدتهم فاسع فى آمالهم واصل من حسن التناء عليهم وتعيد ما أبلى ذوالبلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم ثم الشجاعة وتجرك الناكل ان شاء الله تعالى ثم عرفك بكل امرئ بينهم ما أبلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصم به دون غاية بلاءه ولا يدعونك شرف امرئ الى أن تعظم من بلاءه ما كان صغيرا ولا تضع امرئ أن تستصغر من بلاءه ما كان عظيما واردد الى الله ورسوله ما ضلعت من الخطوب وشبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم أحبا برأدهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم

في شيء فردوه الى الله والرسول فالرد الى الله الاخذ بحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته
 الجماعة غير المقررة ثم اخبر الحكم بين الناس افضل رعيته في نفسك ممن لا تفسق به الامور
 ولا تحكمه التصوم ولا يتدا في الزلة ولا يحصر عن الفتي الى الحق اذا عرفه ولا تشرف بنفسه على
 طمع ولا يكتفي بادي فهم دون أقصاء أو وقفهم في الشبهات وأخذهم بالحق وأقلهم تبرما براجعة
 الخصم وأصبرهم على تكشيف الامور وأصرهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهم مطراء ولا
 يستميلها غراء وأولئك قليل ثم أكثر ما هدق ضائه واقسع له في البذل ما يريح علة ويقل معه
 حاجة الى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصك لتأمن بذلك اغتيال الرجال
 له عندك فانظر في ذلك نظرا يبلغافان هذا الدين قد كان أسير في أيدي الاشرار يعمل فيه بالهوى
 وتطلب به الدنيا ثم انظر في أمور عمالك فاستعلمهم اختيارا ولا تولهم محاباة وأثرة فانهم جاع من
 شعب الجور والخيانة وقبح منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة والقدم في
 الاسلام المتقدمة فانهم أكرم أخلاقا وأصح اعراضا وأقل في المطامع اشراقا وأبلغ في عواقب
 الامور نظرا ثم أسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوتهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول
 ما تحت أيديهم ووجه عليهم ان خالفوا أمرك أو خانوا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وابتعث العيون من
 أهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاضدك في السر لا مورهم حدودهم على استعمال الأمانة والرفق
 بالريسة وتحفظ من الاعوان فان أحد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار
 عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسط عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته
 بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلده عار النعمة وتفقد أمر الخراج عما يصلح أهله فان في صلاحه
 وصلاحتهم صلاح لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج
 وأهله وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استعجال الخراج لان ذلك لا يدرك
 الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلا
 فان شكوا نقلا أو علة أو أقطاع شرب أو بالة أو أحاطة أرض اغتربها غارق أو أوجبهم عطش
 خففت عنهم بما ترجوا أن يصلح به أمرهم ولا يثقن عليك شيء خففت به الموتة عنهم فانه خسر
 يعودون به عليك في عمارة بلدك وتزين ولايتك مع استعجالك حسن شأنهم وتبجحك باستفاضة
 العدل فيهم معند افضل قوتهم بخسرت عندهم من اجراء لهم والثقة منهم بمعادوتهم اليه
 لما سبق من عدلك عليهم ورفقتهم بهم فربما حدث من الامور ما اذا هول فيه عليهم من بعد احوالهم
 طيبة أنفسهم فان العران يحتمل ما حمله وانما ياتي خراب الارض من اغوار أهلها وانما يعوز
 أهلها الانراف أنفسهم الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلنا نتفاههم بالغير ثم انظر في حال كتابك
 قول على أمورك خبيرهم واخص رسالتك التي تدخل فيها مكاييدك وأسرارك باجمعهم ولو خوه

صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجتري بها عليك في خلافك بحضرة ملاء ولا تنصربه
 الفضيلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يات خذلك
 ويعطى منك ولا يضعف عقدا اعتقدك ولا يهجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجول مبلغ قدر
 نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على
 فراستك وحسن الظن منك فان الرجال يعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم
 وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختيارهم عا ولوا الصالحين قبلك فاعمد لا حسنهم
 في العامة أثرا وأعرفهم بالامانة وجهها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولبن وليت أمره واجعل
 رأس كل من أمورك وأسامهم لا يقهره كبيرها ولا تشنت عليه كبيرها ومهما كان في كتابك
 من عيب فتعايت عنه ألزمته ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم
 والمضطرب بماله والمترقي يده فأنهم موانع وأسباب المرافق وجلبابهم من المتباعد
 والمطارح في برك وبجرك ومهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يمتزئون
 عليها فأنهم سلم لاختلاف بائنته وصلح لانتخبي غائلته وتققد أمورهم بحضرتك وفي حواشي
 بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشها قبيحا واحتكاك النافع وتحكما
 في البياعات وذلك باب مضر للعلمة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم منع منه ولكن البيع يعاسمها بموازين عدل وأسعار لا تتجفف بالفر بين
 من البائع والمبتاع فمن عارف حكرة بعد نيك اياه فكل به وعاقب من غيبر اسراف ثم الله في
 الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل اليأس والرمي فان في هذه
 الطبقة فأنعوا ومعترا واحفظ الله ما استخفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما
 من غلات صوا في الاسلام في كل بلد فان لا قصي منهم مثل الذي لا دنى وكل قد استرعت حقه
 ولا شغلنك عنهم بطر فأنك لا تعدو بتضييع النافعة لاجكالك الكبير اللهم فلا تشخص همك عنهم
 ولا تصرخ بخلك لهم وتققد أمورهم لا يصل اليك منهم ممن تقصمه العيون وتحقره الرجال ففرغ
 لا أولئك ثقنك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك أمورهم ثم اعمل فيهم ولا عذار الى الله سبحانه
 يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأدي حقه
 اليه وهد أهل البيت وذوى الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للسئلة نفسه وذلك على الولا
 ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية فصرروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعد الله لهم
 واجعل لذوى الحاجيات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتواضع فيه
 للذي خلقك وتقدم عنهم جليلك وأعوانك من أحراسك وشريك حتى يكلمك متكلمهم غير
 متعنت فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في غير موطن لن تقدر أمة لا يؤخذ الضعيف

فما أحقه من القوى غير متع ثم احتمل الخرق منهم والعبي ونح عنه الضيق والافقة يسط الله عليك
 بذلك أ كافي رحمة ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنياً وامنح في أجال واعذار ثم
 أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها الحاجة عمالك بما يعي عنه كمالك ومنها اسد راحات
 الناس عذرو روزنها عليك مما يخرج صدور أعوانك وأمضى لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه
 واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الاقسام وان كانت كلها
 لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك اقامة قرآنه
 التي هي له خاصة فاعط الله من بدلك في لك ونهارك ووف ما تقرت به الى الله سبحانه من ذلك
 كما لا غير مثاوم ولا منقوص بالغام من بدلك ما يبلغ وانا قد في صلاتك للناس فلا تكون مغفرا
 ولا مضيقا فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
 وجهني الى اليمن كيف أصلى بهم فقال صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً وأما بعد
 هذا فلا تطولن احتجابك عن رعيك فان احتجاب الولادة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم
 بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم المصغر
 ويقبح الحسن ويحسن القبح ويشاب الحق بالباطل وانما الولي بشر لا يعرف ما لو ارى عنه
 الناس به من الامور وليست على الحق سمك تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما أنت
 أحد رجلين اما امرؤ وسخت نفسك بالبذل في الحق فقيم احتجابك من واجب حق تعطي أو فعل
 كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسئلتك اذا أيسوا من بدلك مع أن أكثر
 حاجات الناس اليك مالا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلة أو طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي
 خاصة وبطانة فهم استكنار وتناول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مؤنة أولئك بقطع أسباب
 تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة ولا ينطعن منك في اعتقاد عقدة
 تضرم يلبسها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهناً ذلك لهم
 دونك وعيبه عليك في الدنيا والاخرة وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً
 محتسباً وافعال ذلك من قرباتك وخواصك حيث وقع وابتغ عافية بما ينقل عليك فان مخبة ذلك
 مجودة وان ظنت الرعية بك حيفاً فأعصر لهم بعذرِكَ وأعدل عنك فلتؤمنهم بأعمارك فان في ذلك
 اعتذارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفع صلحاً عاك اليه عدوك لله فيه رضا
 فان في الصلح دعة بخونك وراخ من همومك وأمن البلادك ولكن الحدركل الحد من عدوك
 بعد صلحه فان العدو زجراً فارب ليتغفل لغد بالخزم واتهم في ذلك حسن الظن وان عقدت بينك
 وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فخط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك

جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم
وتشتت آرائهم من تعظيم الأوفياء بالعهود وقدرهم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لا يستولوا
من عواقب القدر فلا تغدرون بدمتكم ولا تخسبن بعهدي ولا تختلسن عدوك فإنه لا يجترئ على
الله إلا جاهل شقي وقد جعل الله عهدهم ومنه أماناً لأفصاء من العباد برحمته وحرماً ليسكنون إلى
منعته ويستقيضون إلى حوارته فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقداً تجوز فيه
العمل ولا تعولن على لحن القول بعد التأن كبد والثوثة لتضييق أمر زمك فيه عهد الله إلى طلب
اتساعه بغير الحق فإن صبرك على ضيق أمر ترجوا نفعه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف
تبعته وإن تحيط بك فيه من الله طلبه لا تستقبل فيها ذكرك ولا آخرتك وإياك والدماء وسفكها
بغير حلها فإنه ليس شيء أدعى لتقمة ولا أعظم لتبعة ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مددة من سفك
الدماء بغير حقها والله سبحانه يقول الحكيم بين العباد فيما تأسفوا كوامن الدماء يوم القيامة فلا
تقوين سلطانك بسفك دم حرام فاذك بما يضعفه ويوهنه بل يزيد به وبقوله ولا عدرك عند
الله ولا عمدى في قتل العمد لأن فيه قود البدن وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو يدك
بعقوبة فإن الوركة وما فوقها مقتلة فلا تطمحى بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى إلى أوبى المقتول
حقهم وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يجيبك منها وحب الإطراء فإن ذلك من أوثق قرص
الشیطان في نفسه ليحقق ما يكون من إحسان المحسن وإياك والمن على رعبك والتزبد فيما
كان من فعلك وإن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فإن المن يسلل الاحسان والتزبد يذهب
بشور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه كبر مقتا عند الله أن تقولوا
مالا تفعلون وإياك والمجالة بالأمور قبل أوانها والتساقط فيها عندما مكانها أو الجباجة فيها إذا
تسكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت فضع كل أمر موضعه وأوقع كل عمل موقعه وإياك
والاستئثار بما للناس فيه أسوة والتغلبى عما تعنى به مما قد وضع للعبون أى الجواسيس فإنه مأخوذ
منك للعيرك ومحافل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك المظالم أملاك حية نفسك
وسورة خلدك وسطوة يدك وعقرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السلوة
حتى يسكن غضبك عملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر ههوىك بذكر المعاد إلى
ربك وإلّا واجب عليك أن تذكر ما مضى بل تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن
نبينا صلى الله عليه وسلم أو رضى في كتاب الله فتقتدى بما تشاهده مما عملناه فيها ونجتهد بنفسك
في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا واستوثقت به من الخلق لنفسى عليك لكي لا يكون لك علة
عندتسى عن نفسك إلى هواها وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطائه كل رغبة أن

يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإهامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الشهاد في العباد
وجيل الأثر في البلاد وعلم النعمة وتضعيف الكرامة وأن يختم في ذلك بالسمعة والشهادة أنا
إلى الله راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين

كتاب من إنشاء الفاضل ابن نباتة المصري عن ملكه صلاح الدين يوسف من مصر إلى معز
الخليفة بغداد بالبشارة عن فتح بلد من بلاد النوبة وانهم زام ملكها وعساكره

صلوات الله التي أعدها لوليائه وأدخرها وتحياته التي قذف بشمها شياطين أعدائه ودورها
وبركاته التي دعاه بها كل موحد فأجاب وانقشع بها غمام الغم وغللام الظلم فأنجذب عن أنجذاب
وزكاته التي هي للؤمنين سكن وسلامه الذي لا يعتري الموقنين في ترديده حصر ولا لكن على مولانا
عاقدة الأولية الإيمان وصاحب دؤر الزمان وساحب ذيل الاحسان وغالب حزب الشيطان الذي
زلزلت أمامه قدم الباطل وحلت خلافته ترائب الدهر العاطل واقتضت سيوفه ديون الدين من
كل غريم ما طل وأمضت غرب كل عزم للقوم مفلول وأطلعت غارب فبحم كل هدى آفل وشفعت
يقطبات استغفاره إلى غافر ذنب كل غافل وعلى آباءه الغاية والمفرج والملاذ في وقت الفرع والقائمين
بجفوق الله بقعد الناس والحاكين بعدل الله أذ عدم القسطاس والمستضئين بنوار الإلهام
الموروث من الوحي أذ عجز الاقتباس والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس خزان الحكم
وحفاظها ومعاني النعم وألفاظها واعلام العالوم المنشورة إلى يوم القيامة وكل إلى روح المنتشرة
بكلامه في الامامة ولا يفتنهم عمل الا اذا شذّبوا لآبائهم ولا يتألق صبح هداية الا اذا استصبح
الساري بدلائلهم الملول يقبل الارض على الشرف ومنزله ومرابع المجد ومعاقله ومجالس
الحد ومجال السجود ومختلف أبناء الرحمة المترلة ومرسى أطوار البسيطة المترلة ومقتر مباسم
الامامة ويجرم صاحب الكرامة ومكان جنوح أخضة الملائكة حيث يدخلون من كل باب
مسلمين وتبعهم ملوك الارض مستسلمين ومشاهد الاسلام كيوم أنزل فيه اليوم أكتلت لكم
دينكم ومعاقدة على الأولية فأما غيره فله قوله قاتلوا الذين يولونكم ويتأججوا بالناس جلي الاخلاص
الصادق عقيدته ونشاط الولاء السابق عقيلته وأرهق الإيمان الناصع مضاربه وأفسح المعتقد
الناصح مذهبهم فأعرب عن خاطر لم يحظر فيه لغير الولاء لا يخطر وقلب أعانه على ورود الولاء مصفاة
المصافاة فيه قطره والله سبحانه يزل عنه في شرف الثول عوائق التقدر وموانعه ويكشفه عن
قناع الاوار التي ليست همتة بجلادون نظرها قانعه ولكن توجه منصورا بجيش دعائه قبل جيش
لوائه وبعسكر اقباله قبل عسكر قتاله وبصل سلطانه قبل نصال أجنانه لاجرم أن كتاب الرعب

سارت أمام الكاتب وقواضب الحذر غمضت في جفونهم عيون القواضب ومارأوا لباء أمير المؤمنين الذين تجبه عوامن كل أمة وتداعوا بلسان النعمة وتصرفوا بسيد الخدعة وصالوا بسيف العزيمة متواخية ياتهم في الاقدام متألفة طويلا تم في طاعة الامام كلبينان المروض اسطاما وكلفنا المشير اعلاما وكنانها المانع حديد اوهاجا وكلليل الشامل عماجا عماجا وكنانها المتدافع اصحابا وكالمشط المطرد اصطحبا فخابصرت رياض المزهرة وغيابها الشجرة الادلت على أن السحاب الذي سقاهاهم كريم والانعام الذي غمرهم عظيم والذبا التي وسعتهم من عزمتهم تظعن وتقيم ولما علم العدو أن الخطب المظنون قد صرح خطابه والامل المندوع قد صفر وطابه راسل ورأى أن سل السيوف يغده وما كره له ان الخنف يغده وان دفع هارباهاتبا وخضع كاتبها كاتبا فخصى الملول قدماء وجد ظله وقد خاب من حل ظلمها وأجابه بانه ان وطى السباط برجله الاوطه يراسه وان قدم على الملول بأمله والا قدمه يياسه وان أظهر أثر التوبة والا قدم عليه الخد بسكرة الموت من كاسه فلم يخرج من مروعة تحتها مغاورة ومكاشرة ورامها مكابرة فاستخار الله في طلبه وانتهز فيه فرصة شغل قلبه بريسه ولم يغره ما أملى له في البلاد من تقلبه وسار ولم يزل مقصما ويقدم أول العسكر محتدما واذا الدار قد ترحل أهلها منها فبالوا وطفوا عن ساحاتها فكانهم ما كانوا وليسق الامور قد نيران رحلت فلوهم بنصر امها وأثافي دهم أعجبت المهابة ما ردشقيهم عن طعامها وغربان بين كنانها في الديار ما قطع من رؤس بني حامها وعوا في طير كانت تنظر من اسلاخهم فطر صيامها واعدت الرسل المنفذة لاقتناء آثارهم وأداء اخبارهم ذاكرة انهم لبسوا الليل حدادا على النعمة التي خلعت وغسلوا بعاء الصبح أطماع زنس كانت قد تطلعت وانهم طلوعوا الاوعار أوعالا والعقاب عقبانا وكانوا لمهايط الاودية سبيولا ولا على الشجر قضبانا قرأى الملول ان الكتاب قد بلغ أجله والعزم منهم قد نال أمه والقتل بهم قد أعمل متصله وان سيوف عساكر أمير المؤمنين منزهة أن تريق الادماء كفاتهم من الابطال وأن تلقى الابرحة أنفاسهم من الرجال وأصدره هذه الخدعة والبلاد من معرفتهم عارية والكلمة بانخفاضهم عالية عالياه ويد الله على أعدائه عاديه وأنفس المختل في لوقاق مهايته عاتية قرأى الملول أن يرتب بعدد الامير فلانا لبيدل الامان لسوقة أهل البلاد وحرارعيها ويفصل الحما كلبين متابعي السلطنة ومطامعيها وينسج مجال الاحسان لعاودي الموانين ومراجعيها فان مقام الملول ومن معه من عساكر تمتع الشمس من مطلعها وتردج رية البصر عن مدقعها مما يضرب بالقتال وينسفها ويحجف بالرعابا وينسفها فالجدها الذي جعل النصر لانا باعطاف اعتزاهم وأنامل الرب السار إلى الاعداء محرمة غيبات أعلامه والعساكر المناضلة بسلاح ولائه تغني باسمائها عن مرهقاتها والكاتب المقاتلة يشها بعلامته تقرأ كتب النصر من حملها

کتاب من انشاء العباد الاصفهانی

وهو عصری الفاضل بن نباتة ومن مشاهیر الطبقة الثالثة عن السلطان صلاح الدین یخبر فیة دیوان الخلافة بالانصر علی الافریج وازالتم عن بعض بلاد الشام حین کان فاصداً أن یحلیم عن بیت المقدس وتلك النواحي ولقد کتبنا فی الزبور من بعد الذکر أن الارض یرثها عبادی الصالحون الحمد لله علی ما أنجز من هذا الوعد وعلی نصرته لهذا الدین الحنیف من قبل ومن بعد وعلی أن أبری هذا الحسنة الی ما شتم علی مثلها کرام الصائف ولم یجدل عن مثلها فی المواقف فی الايام الامامیة الناصریة زادها الله غرراً ووضاحاً ووالی البشائر فیها بالفتوح غدو اور وواحاً ومکن سیوفها فی کل مازق من کل کافر ومارق ولا أخلاها عن سیرة سریه تجمع بین مصلحة مخلوق وطاعة خالق وأطال أیدی أولیائهم الصمیمی بالحقیقة حی الحقائق وأنجزها الحق وقذف به علی الباطل الزاهق وملکها هوادی المغارب ومرامی المشارق ولا زالت ارادتها فی الظلمات مضایح وسیوفها للبلاد مفلح وأطراف أسنتها الدماء الاعداء فوارح والحمد لله الذی نصر سلطان الدیوان العزیز وأیدیه وأغفر حنده القلب وأنجده وجلا به جلا ید الظالم وجعل بعد عسر یسراً وقد أحدث الله بعد ذلك أمراً وهون الامر الذی ما کان الاسلام یستطیع علیه صبراً وخطوب الدین بقوله ولقد مننا علیک مرة أخرى فالاولی فی عصر النبی صلی الله علیه وسلم والصحابیة والآخری هذه الی عتوفیها من رق الکاتبه فهو قد أصبح حراً والزمان کهیئة استدار والحق یمجته قد استنار والکفر قد ردت ما کان عنده من المستعار وغسل ثوب اللیل عما فجر فر من أنهار النهار وأقی الله بنیان الکفر من القواعد وشقی غلیل صدور المؤمنین برقراق ما مالور دات البوارد أنزل ملائکة لم تظهر للعیون للاحاطة ولم تحف عن القلوب الحافظة عزت سیمال اسلام مسومها وترادف نصره یمردفها وأخذت القری وهی ظلمة فتری مترفها کان یغنوا فیها فکم أقدم بها حیزوم وركض فاتبعه صحاب عجاج مرکوم وضرب فاذا ضربه کاب جراح مرقوم والافان الحرب انما عقدت سجالاً وانما جعت رجالاً وانما دعت خفافاً وثقالاً فلیس یوف تقابل سیوفا وزخوف تقابل زخوفا فیکون حد الحدید ید مذکراً وید مؤنثاً ویكون السیف فی الید الموحدة نغی بالضریه الموحدة وفی الید المثلثة لا یغنی بالضریر مثلثاً وذلك أنه فی فتین التقتا وعدوین لغیر مودة اعتسقتا وان هذه النصره انزوت عن ملائکة الله بحمد کراماتهم وان زویت عن البشر فقد عرفت قبلها مقاماتهم فما کان سیف یتقط من جفنه قبل أن ینبه الصریخ ولا کلن ضرب بطیر الهمام قبل ضرب برام الناظر ویسمعه المصیح فکم ذمیرة کانها هجرة الموت ویهما التاریخ وکم طعنة تخرهاضاب الحدید

ولها شامخ والحمد لله الذي أعاد الاسلام جديداً نوره بفسدان كان جديداً حبله مبيضا نصره
مخضر انضله متعافضه مجتمعا عليه واتخاذ يشرح من بيا هذا القطع العظيم والنصر الكرم
ما يشرح صدور المؤمنين ويخرج الجبور لكافة المسلمين ويكرر البشري بما أنعم الله به من يوم
النجس الثالث والعشرين من ربيع الآخر الى يوم الخميس منسلفه وثلاث سبوع ليل ونهية أيام
حسوما سخرها لله على الكفار فترى القوم فيها صرى كأنهم أعجاز نخل خاوية ورأيتهما إلى
الاسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية في يوم الخميس الاول ففتحت طبرية وفانضرى
النصر من بحيرتها وفضت على جسر الفرج فقضت فجعها بحيرتها وفي يوم الجمعة والبس كسر
الفرج الكسر التالى ما لهم بعده أفاعمة وأخذ الله أعداءه بأيدى أوليائه أخذ الله القري وهي ظالمة
وفي يوم الخميس منسحق الشمر ففتحت عكا بالامان ورفعت بها أعلام الايمان وهي أم البلاد وأخت
ارم ذات العباد وقد أصبحت كأن لم تغن بالكفر وكأن لم تنفقر من الاسلام وقد أصدر هذه
المطالعة وصليب الصليب مأسور وقلب ملاك الكفر الاسير جيشه المكسور مكسور والحديد
الكافر الذى كان فى الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار حديد اسلم يفرق خطوات الكفر
عن الاقدام وانتصار الصليب وكباره وكل من الممودة عمده والدير داره قد أحاطت به يد القضة
وأخذتها فلا يقبل فيه القناطير المنقطرة من الذهب والفضة وطبرية قد رفعت أعلام الاسلام
عليها ونكست من عكا مله الكفر على عقبيها وعمرت الى أن شهدت يوم الاسلام وهو خير
يومها بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير وقد غسل عن بلاد الاسلام بدماء الشرك ما كان تحالها
فلا ضرر ولا ضرر وقد صارت البيع مساجد جهنم آمن بالله واليوم الآخر وصارت
المذابح مواقف لخطباء المنابر واهتزت أرضها لوقوف المسلمين فيها وطلما ارتجت لمواقف الكافر
واقترت النصر عن نعر عكا بحمد الله الذى يسر فتحها وتسلمتها لله الاسلامية بالامان وعرفت
فى هذه الصفة رجبها وأما طبرية فاقترستها بيد الحرب فأنهت الحرب جرحها فالحمد لله جدا
لا تضرب عليه الحدود ولا تركى بازكى منه العقود وكأنه بالبيت المقدس وقد دنا الاقصى من
أقصاه وبلغ الله فيه الامل الذى علم أن يحصبه وأحاط بأجله وقضاء لكل أجل كتاب وأجل
العدو هذه الكتاب الجامع ولكل عمل ثواب وثواب من خطى بلاءه من ثبات نعمة الواسعة
والله المستكور على ما وهب والمسؤل فى ادامة ما استيقظ من جد الاسلام وهب

(فرمان من الحضرة الخديوية)

من انشا عبدا لله باشا فكري

قد صدر هذا فرمان لازم طاعته الواجب امثاله ومتابعته خطا الى كافة القضاة والحكام والمعاونين ونظار الاقسام وسائر معاونين والمشايع والحمد والمستخدمين بمديرية كذا زيد قدرهم ليكن معلوم اليكم بوصول امرنا هذا اليكم اتاجعلنا فلانا مديرا عليكم لما رأيناه فيه من الاهلية والصدقة وحسن الروية فامثلوا وأمر على الاصول المرعية وبادروا باداء أشغال المديرية لتفوزوا بزيادة التفاتنا اليكم ورضانا عنكم وقد علمتم قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وأنت أيها المدير الموماليه الموعول في حسن ادارة هذه المديرية عليه قد علمت رغبتنا في البر والسداد واتباع سبيل الرشاد وعمارة البلاد وراحة العباد ونشر لواء الامن والامان في جميع القرى والبلدان ومحبتنا للعدل وأهله وكرهتنا للظلم وقعله وشغفنا برأية الرعية وحسن حال البرية الذين هم وديعة ذى الجلال والاكرام في أيدي الولاة والحكام فاعمل أنت أيضا على حسب ذلك سالكا في جميع أحوالك أحسن المسالك واجتهد في حسن الادارة وتيسير أمور الزراعة والصناعة والتجارة ومزينة التقدي والعمارة وتأمين الطرق والجهات في جميع الحالات والاقوات وصيانة الاجانب المتوطنين في المديرية والمتردين عليها والاهالي المقيمين بها والواردين اليها وحسن نهو القضاة وفصلها وتوصيل الحقوق الى أهلها وأداء الاشغال الميرية وادارة أمور المديرية على حسب الاصول المعتبرة والقواعد المقررة ودم على الاستقامة والصدقة التامة والعدل بين الخاصة والعامة فان العدل سبب السلامة والظلم ظلمات يوم القيامة فقم على أقدام الاقدام وشرعن ساعد الاهتمام في اجراء ما شرعناه على الدوام باذلا كل جهدك واستطاعتك كما هو المأمول في حسن براعتك لتنال زيادة التفاتنا اليك ودوام اقبالنا عليك وليسالك أيضا الجميع على هذا المنهج البديع وليسعوا في اجراء ما شرعنا ويساعدوا في تنفاذ ما أوخضنا فبادروا بامثال هذا الواجب وبلغ الحاضر منكم الغائب نسأل الله الاعانة والعناية وحسن الهداية في البداية والنهاية

(صورة مقالة تقدمت من أهل الصعيد لولي النعم)

له أيضا

يا ملك الملوك ورب العظمة والجبروت تحمديك على سوابق نعمائك وسوابغ آلائك ونصلي ونسلم على خير أنبيائك وواسطة عقد أصفياك ونشكر لك على ما ألهمته حضرة أمير المؤمنين وخليفة رسول الامين وظلك المجدود على مفارق العالمين من تحويل وراثته مصر الى النسل

عزیزها الانغم ونحو بل أهلها بهذه المنة الكبرى جلائل النعم والفضل الاعم وهذا شئ طالما لهجت به ألسنتنا واستندت الى أقطاره أعیننا واشتغلت به خواطرنا واشتغلت عليه سرانرتنا فدللت عليها ناطقوا هزنا وما ذاك الا من فرط حبنا لاوطاننا السعيدة وولى أمرها وعلما بما يترتب على تلك البغية الحميدة لهذه الديار من اتساع خيرها وامتناع ضيرها وارتفاع قدرها واستكمال أسباب غناها ونفورها وعمادها في التقدم والتمكن وترقيتها في درجات حسن التمدن ومعمورية بلدانها ورفاهية سكانها الى غير ذلك من نعمات نافعها ومخاسن يارعه ترى العزيز أراد الله بقائه وخلقه في ملكه أنباء لا يزال أخذنا في أساليبها متوصلا اليها من خير ما يليها ولعل الله جعلت حكمته وعلت كلمته ما اخص هذا الجانب الخديوي بتلك المزية العالية بعد ما تناولت على قمتها الاعصر الخالية وشتت دون تعاطيها الا بدى المتناول وقصرت عن ترجيحها اللهم المتناولو الالماجل عليه جنابه الكريم وجعل حلية طبعه السليم من حبا الخير والنفع الخاصة والعامة وبذل في تقدم هذه الاوطان من بذلهم التامة ونحن لو أردنا بيان ما استفدناه من السرور والحظ والجور والانس والحضور لهذا الامر المبرور لوحدنا كل عبارة فاصرة عن المرام وكل راحة مقصرة عن ايفاء حق هذا المقام فنسأل الله لهم لاسير المؤمنين نصرا على العدا وملكا في أبدا سرمدنا ولا ينتهي الى مدا ونستوهبك لعزیزنا الاكرم وولى نعمتنا المعظم طول عمر يفتح فيه بدوام اقباله مسرورا بنجاح أعماله وبلوغ آماله وصحة أفعاله ما نحلى الاقوى بحيلة هلاله ويحلى البدنى حلة ملكه

(ومما كتبه صورة فرمان بنصب محافظ)

صدر هذا فرمان المطاع الواجب له القبول والاتباع خطابا الى الحكام والعلماء والقضاة والاعيان والوجوه والعمد ومشايخ البلدان وعموم الاهالى المتوطنين في محافظة كذا بجهات السودان ليكن معلوما بديكم بوصول هذا المنشور اليكم انه قد اقتضت ارادتنا تنصيب فلان محافظا عليكم لما توثقنا فيه من الدراية والاستعداد والسلوك في طرق الرشاد وبذل المهمة في أمور المصلحة ومن بذل الاجتهاد فامتثلوا وأوامره التي تصدر في صالح الصلحة واجتنبوا فواجبه واجتهدوا فيما يعود به عليكم من بذل العمارة لتسألوا حسن الرفاهية واعلوا بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم لتفوزوا بزيادة التفاتنا اليكم ورضا عنا عنكم وأنت أيها المحافظ قد علمت ما لدينا من الشغف باتساع دائر المذاينة وحصول الخير لجميع أهل هذه الايار الوطنية والميل الى دوام ارجاء العباد وتأمين السبل وتدبير البلاد فعليك رعاية ما يلزم ذلك واسلك في ادارة أشغال هذه المحافظة أحسن المسالك ودم على العبدل والانصاف واحذر من

الظلم والاحقاد وانظر الى قوله عليه السلام لامته كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ولكن
مهمنا بتصيل حقوق المصلحة في أوقاتها ورؤية جميع الاشغال على أحسن حالاتها ليدوم حسن
أنظارنا عليكم ونفوز بزماننا ثقتنا اليك اعلم ذلك واعمل به واحذر من مخالفة موجبه

(شرح قصيدة من سقط الزند)

غير يجدي ملتي واعتقادي * فوح باله ولا ترنم شاد
أجدي يجدي بمعنى أغنى يعني أى أن الميت إذا أتى عليه لم ينفعه ذلك ولم يغن عنه وكذلك لا ينفع
اليأس بكافه ولا يدعيه ما فات بهلاك المبكى عليه والشدة رفع الصوت يعنى لا ينفع رفع صوت
النادى في ندبه على الميت وترنمه وهو ترجيعه الصوت في ندبه ولا يباحه اليأس ولا يصرف ذلك
الحزن عن المندوب والشكل عن النادى

وشبهه صوت النسي اذا قيس * بصوت البشير في كل ناد
النسي بالتشديد الذى ينسى الميت أى يخبر بموته وهو بمعنى ناع فعيل بمعنى فاعل فهو عالم وعليم
أى اذا نظر الى حال الدنيا وسرعة زوالها وانه لا توفى بايامها يستوى عند ذلك النسي بالميت والنبأه
بالمولود انه مصير المولود الى القضاء والموت ومصير النبأه الى أن تتقلب نعيمها فالصوتان اذا متساها
أبكت تلكم الجملة أم غم * م على فرع غصنها المياد
مادت الشجرة اذا تحركت وتميلت والغصن المياد المتمايل لينا وغضارة يقول لاصحابه هل عندكم
حقيقة العلم بصدق الجملة ولذلك منها غناء أم بكاء أى وما يدريك حالها فعلل الذى تعتقد منها
غناء هو نياحة وبكاء منها على ما استعرت من فناءها وسرعة انقضاء أيام دنياها ولكل شئ فيم السوء
قال الشاعر

(وأرقتى بالرى فوح حمامة * ففتحت وذوالشعب والغرب ينوح)

(فوانحت وفرحها بحيث تراهما * ومن دون أفرأخى مهله فبح)

صاح هذى قبورنا تملأ الرح * ب قايين القبور من عهد عاد

صاح تقديره يا صاح ومعناه يا صاحبى ولا يجوز تزخيم المضاف الا في هذا وحده فإنه سمع من العرب
مرحبا والرحب بالضم السعة ورحب الارض سعتها والرحب بالفتح الواسع يقال بلد رحب
يقول لصاحبه منحيها هذاتى أرى قبور من مات على عهدنا وهى قد ملأت سعة الارض قايين قبور
من مات في الأزمنة القديمة أى قد اندرست ولم يبق منها آثار فكانت تتدرس قبورنا بقدم العهد
بها فكلنا ذنن الى اندراس واقضاء

خفف الوطأ ما أظن أديم الارض الامن هذه الاجساد

أديم الارض وجهها يقول لصاحبه لا تشدد لوطاً برحلك على الارض وامش عليها هو تافلت
أحب وجه الارض الامن أجساد الخلق الذين دفنوا ولبست أبدانهم واخلطت رعمهم بالتراب
فصارت أجسادهم أديم الارض

وقبح بنا وان قدم العه * دهوان الآباء والاجداد
أى اذا ظهر لنا أن رمم الاسلاف قد خالطت أديم الارض فلا يحسن بنا الهانة الآباء والاجداد بان
نطأ على أجسادهم جهلاً بقادروهم وان قدم العهد بهم وطالت عليهم الآباد والدهور
سران استطعت في الهواة ويدا * لا اختيار على رفات العباد
يقال استطاع يستطيع بمعنى استطاع يستطيع يحذفون التاء استغفالا لهامع الطاء وربما يقولون
استطاع يستطيع يريدون اطاع بطيع يزيدون فيه السين والمعنى أنه يأمرهم بحفظ حقوق
الاسلاف يقول ان استطعت أن تعشى في الهواة مشياً ويدا برفق وتؤد فافعل ولا تعش مرها
واختيار على ما يلي من عظام العباد واختلط أديم الارض

رب لحد قد صار لحد امرارا * ضاحك من تزاحم الاضداد
يصف قدم عهد الدهر وتناول أمده حتى ان المكان الواحد قد صار قبراً للوفى مرات وعاد أرضاً
صلباً وهو ضاحك من تزاحم الاضداد وتواردتهم عليه من مؤمن وكافر وصالح في دينه وطالح يعنى
كتم من الامكنة ما دفن فيه أشخاص مختلفة الاحوال والمكان منتهجب ضاحك من تباين أوصافهم
واختلاف سميتهم أى أن الدهر قديم العهد طويل الامد

ويدفن على بقايا دفين * في طوبى الازمان والآباد
آباد جمع أبد وهو الدهر أى وكمن دفن ميت بعد ميت قبله في قبره وقديمن من آثار الميت الاول بشيئا
في الازمان الطويلة والدهور الخالية وهذا تارة كيد للبيت الذى قبله في وصف قدم عهد الدهر
وتطاوله فاسأل الفرقدين عن أحسا * من قبيل وأنسامن بلاد
أى ان جهلت قدم عهد الدهر وتطاول أمده فاسأل هذين الكوكبين لضربك عن علما ووجدا
من قبيل أى من جماعة أنسا أى أبصر من بلاد قد خربت ولم يبق منها ولا من الجماعات باقية

كم أقام على زوال النهار * وأنا المديح في سواد
أى كم أقام الفرقدان وثبتا مع زوال النهار وذهابه يعنى كم زال النهار وهما بابتان لا يزولان وذلك
انه ليس للفرقدين طلوع وأقول لانهما الكوكبان المتضبان من نبات نعش الكبرى والعماد وانهما
حول القطب الشمالى لا تزايلانه وكم أضأ في سواد الليل للساثرين في الظلام مهتدين بأنارتهم
تعب كلهم الحياة فأعجب الامن راعب في ازدياد

أى ان الحياة القانية كلها تعب وعناء فى اوازها فلست أعجب الا من يرغب فى زيادة الحياة اذ هو راغب فى زيادة التعب والتعبى

ان حزننا فى ساعة الموت أضعا * فسرور فى ساعة الميلاد

أى السرور عند ولادة المولود لا تبقى بالحزن الحاصل عند موته يعنى اذا كانت الحياة تعرض للانقطاع والاتقضاء والزوال وسرورها منغصا بحزن الموت فينبغى أن لا يرغب فى الحياة ولا يتبسرورها خلق الناس للبقاء فضلت * أمة يحسبونهم للنقد

أى ان الناس انما تنفى أجسادهم بالموت فاما ما هو خاصة الانسانية وهى النفس الناطقة المطمئنة فانها تبقى بعد مفارقة الجسد لامنعة ولما مغذبة وهذا هو المذهب الحق ولم يقل بقنائه الارواح الا الدهريون يقولون ان الناس خلقوا للبقاء فى العار الاخرة دار الحياة والبقاء ومن ظن انهم خلقوا للقضاء والتفاد فقد ضل

انما يتقانون من دار أعما * الى دار شقوة وأورشاد

أى ان الموت هو تبديل الدار والنقل من دار الابتلاء بالاعمال والتكاليف الى دار السعادة وهى الجنة أو الى دار الشقاوة وهى النار

فجمعة الموت رقدة يسترخ فيها الجسم فى العيش مثل السهاد

أى النجعة بعد الموت فى البرزخ نوم يسترخ فيها الجسم من كذا لازم الحياة والعيش بعد البعث مثل الاتنباه من النوم

أبنات الهديل أسعدن أوعد * تغليل العزاء بالاسعاد

الهديل الذى كرم من الجمال والهديل اسم واحد من الجمال كان على عهد نوح عليه السلام قصاده جارح من جوارح الطير قالوا فليس من حمامة تهتف الا وهى نوح عليه قال الشاعر

(وامن تهتف به لنصر * بأسرع جابه لك من هديل)

يخطب الحمامة ويسألها المساعدة اياه فى الكماو التوح على المرنى أو الوعد اياه بالمساعدة يقول أسعدن فى النوح مصابا قليل العزاء أى الصبر والتسلى يعنى نفسه أو أبذل الوعد بالاسعاد اياه

ايه لله دركن فانت اللواتى تحسن حفظ الوداد

ايه أى هات وزديتون ولا يتون فاذا تون كان نكرة فتصويه أى هات حديثنا واذالم نون كان معرفة فتصويه أى هات الحديث يخطب الحمام فى المواقفة فى النوح والبكاء يقول لهن زدن فى النوح والبكاء مساعدة لى أكثر الله خيركن فانكن المعروفات بحسن حفظ حق الود وانما نسب الحمام الى الحفظ فى الوقت نوحهن على الهديل مع قدم العهد

مانسيتن هالكافى الاوانك * خال أوى من قبل هلك اياك

هذانأ كيد لحفظ الحمام الوداد أى لحماقتنكن على حق الوداد لم تنسين هالكا فيما مضى من الزمان هالكا قبل هالكا ايا دين نزار بن معد بن عدنان اشارة الى بكاء الحمام على الهديل وقد هلك في قديم الزمان قال نصيب

(فقلت أتبكى ذات طوق نذرت * هديلا وقد أودى وما كان نبع)

وحذف اليامن الخالى وهو لغة عند القراء وضرورة عند مسيو به

بيدأنى لأرضى ما فعلت وأطواقكن فى الاجساد

أى وان كنتن لم تقصرن فى النوح وحفظ العهد غيرأنى لأرضى فعلكن وأطواقكن فى اجسادكن أى كلن من حق نكلكن أن تنزعن الاطواق عن الاعناق لان التطوق من الزينة والثكل لا يليق بها التزين

فقلبن واستعرن جميعا * من قبص الدجى ثياب حداد

يقال تسلبت الناحية والثاكلة اذا نزع ثيابها ولبست سوادا أصر الحاتم أن ينزعن أطواقهن لانهم العذرية ويستعرن ثيابا سوداء تشبه لباس الليل المظلم سوادا وينحن على المرنى ثم غردن فى المآتم ولديكن بشعر مع الغواى الخراد

المآتم جمع مآتم وهو جمع النساء للنيادة والتغريد ترجيع الصوت والشعر الحزن بأصر الحاتم بترجيع الاصوات فى التنبية والنوح على المرنى مساعدة للنساء الحسان فى النياحة عليه حزنا وتفعيلا

فصد الدهر من أى جزأ لا وأبمولى بجى وخذن اقتصاد

الآواب الذى يرجع الى الله تعالى فى كل أحواله يوصف به الصالحون من الرجال أى فصد الدهر بأحدائه من هذا المرنى رجلا صاحب بجى أى عقل وحليف اقتصاد وهو الوقوف على القصد ومجاجة الاسراف

وفقيها أفكاره شذن لثمة عثمان مالم يشده شعر زياد

يقال شاد البناء اذا رفعه وأشد بذكره اذا رفع قدره والعمان اسم أى حنيفة رضى الله عنه والعمان بن المنذر ملك العرب كان عمدا وسال زياد وهو النابغة الذى يأتى وكان هذا المرنى فقيها على مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه والمعنى فصد الدهر من هذا المرنى رجلا فقيها مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه واستخرج من هذا المعنى أفكاره وأورث أباحنيفة صاحب مذهبه بذلك من الذكر والصيت وقوة المذهب مالم نورث مدائح النابغة للعمان بن المنذر من المآثر والذكر فالمرأى بعده المجازى قليل الخلاف سهل القياد

أراد بالعراقي أباحيفة رضى الله عنه لانه كوفي وبالحجازى الشافعى رضى الله عنه يقول ان المرنى قد أوضح الفقه ومهد القواعد واستخرج الادلّة والمأخذ فقل بسببه الاختلاف فى الفروع وصارت الاقاويل المختلفة قريبا بعضها من بعض

وخطيبا لوقام بين وحوش * علم الضاريات برّ النقد
النقاد صغار الغنم أى وعد الدهر بأحدثه رجلا ماهرا فى الخطابة والوعظ لوعظ السباع الضاربة علم الاسود والذئاب برّ الصغار من الغنم فلا تعرض لها بالافتراء لتأثير وعظه فى سباع الوحوش راوي الحديث لم يحوج الى المع * روف من صدقه الى الاسناد أى ورجلا محدثا يروى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم لصدق لهجته لا يطلب منه ذكر اسناد ما يرويه من الاحاديث

أنفق المرئاسكا يطلب العلم * هم يكشف عن أصله وانتقاد
أى صرف أيام عمره الى طلب العلم وهو فى طلبه وتعلّمه ناسك متعبد لا يشغله التعلم عن العبادة مجتهدا فى الكشف عن أصل العلوم والبحث عن الحقائق غير معرج على الطواهر منتقدا لاسانيد والروايات يتقن المدخول عنها

مستقى الكف من قلب زجاج * بغروب اليراع ماء منداد
قلوب زجاج يعنى المحبرة كانه من زجاج واليراع القصب واحده يراعة والقرب الحد والقرب الدلو والبيت يحتمل الوجهين يجوز أنملا لجعل المحبرة قلبيا جعل الاقلام غروبا أى دلا يستقى بها ويجوز أن يكون المراد به حد الاقلام أى أنفق العرق طلب العلم كاتبه العلام يستمد الخبر بغروب أقلامه وهى حدودها فأوهم معنى الدلاء بقرينة الاستقاء والقلب

ذائبان لا تلبس الذهب الاحمر * مرزهدا فى العسجد المستفاد
أى صاحب أنامل لا تلبس الذهب الاحمر زهدا أى لعدم زغبته فى اكتساب الذهب يصف زهده فى الدنيا

وتعأيم الحفيان ذاك الشخص ان الوداع أبسر زاد
يخاطب صاحبين مبالغين فى العناية بأمر المرنى ويأمرهما بتوديع شخصه وتشجيعه بالوداع والكرامة اذ لا أقل من الوداع

واغسلها بالدمع ان كان طهرا * وادفنها بين الحشى والقوادر
واسفها الدموع بكامله مقدارا يمكن أن تغسل به ان كان الدمع طاهرا ولا خال ذلك فان الدموع المسفوخة عليه عموما بالدماء لعظم المصائب وادفنها فى الاحشاء ابقاء عليه من التراب واحبوا ما لا كفان من ورق المصميف كبراعن أنفس الأبراد

أى انه انراة نفسه يستحق التكفين بأشرف ما يقدر عليه فكفناه بأوراق المصاحف اذ يكبر
عن أن يكفن بالأبراد النقيسة فأثره بورق المحفف اياته لشرف قدره
واناذا النعش بالقراءة والتسليم لا بالتحجب والنعاد
أى وشيعا جنازته بقراءة القرآن والتسليم لله تعالى والدعاء لا بالبكاء والنباحة لانها تنقل الى
كرامة الله تعالى فلا يناسب حاله البكاء والتعداد نفعال من عتدت المرأة اذا عتدت محاسن الميت
في نديتها عليه

أسف غير نافع واجتهاد * لا يؤدي الى غناء اجتهاد
أى الحزن على الميت لا ينفع التاكل عن نكله وكذلك الاجتهاد ومعالجة الحيل لا تغني في الفوت شيأ
طلما أخرج الحزين بحوى الحزن * ن الى غير لائق بالسداد
أى كثيرا قد جعل الحزن صاحبه على أن يعاطى من الاقوال والافعال ما يليق بالصواب
مثلا فانت الصلاة سليما * ن فأغنى على رهاب الجهاد
أى ربما يفعل الحزين في حزنه ما يخطئ الصواب كما أن سليمان عليه السلام لما عرض عليه الخيل
اشتغل بها ففاته صلاة العصر فحزن لذلك وغضب لله تعالى فقال ردوها على فطقق مسحا
بالسوق والاعناق فجعل يضرب سوق الخيل وأعناقها لانها كانت سبب فوت صلاته ومثل هذا
الفعل غير جائز لانه تعذيب من غير نفع ولا جناية وانما فعله سليمان عليه السلام لما علم أن الله
تعالى أباح ذلك له لمصلحة له فيه أى الاسف على فوات الصلاة هو الذى حدا سليمان على ما فعل
ويقال أنخ على حلقه بالسكين اذا عرضة عليه

وهو من سخرته الانس والجن بما صم من شهادته صاد
أى أن سليمان عليه السلام هو الذى سخر الله تعالى له الانس والجن كما أخبر الله تعالى بقوله في صورة
ص فسخرناه الرج تجري باهره الآية

خاف غدر الانام فاستودع الرج سبيلا تغذو بدر العهاد
اشارة الى بعض قصة سليمان عليه السلام حيث ولده ابن فلما بن عليه الناس واستودع الرج
لتحصنه فيكون بعده من أن يتطرق اليه الاتقات وتغذو العهاد وهى الامطار التى تتبع
بعضها بعضا

وتوخله النجاة وقدأبى فن أن الحام بالمرداد
المرداد والمرصد الطريق أى طلب سليمان عليه السلام النجاة لانه حيث أودع الرج لتحفظه
وتدفع عنه الغوائل مع أنه قد علم يقينا أن الموت بالمرداد أى عليه طريق كى لا يفوته أحد بل
هو برصد كل أحد

فرمته به على جانب الذكر * سى أم اللهم أخت الناد
 أم اللهم والله والناذ الباهية أى طلب سليمان نجاة بانه بتوديعه الريح فلم تدفع الريح عنه
 مخدوم الحمام وذلك أنا بانه مات قالت الريح جسده على كرسى سليمان فعلم أنه لا مرد له يوم
 القضاء وان الحذر لا يغنى عن القدر والى هذا التفسير صار بعضهم فى قوله تعالى ولقد فتنا سليمان
 وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب

كيف أصبحت فى محلك بعدى * يا حديرا منى بحسن افتقاد
 يسأل المرتضى عن حاله وانه كيف أصبح فى محل حاله هل ارتضى المقام وكيف صادف المطلع ثم
 قال ان ما يجتمعهم من أكيد الوداد يقتضى السؤال عنه والعناية بأمره والافتقاد طلب الانسان
 فى غيبته

قد أقر الطيب عنك بعجز * ونقضى تردد العواد
 أى قد اعترف الطيب بعجزه عن معالجتك فان دعا الموت لادواءه وانقطع عنك تردد من يعودك
 فى مرضك

وانتهى اليأس منك واستشعر الوجد * بان لا معاد حتى المعاد
 أى بلغ اليأس منك نهايته فلم يبق مطمع فى بقائك وعلم من حزن بقائك أن لا يعود لك البسه
 حتى القيامة

هجد الساهرون حولك للتمريض * ولا عين الهجاء
 أى طال ما سهر قومك حواليك يرضونك أى يخدمونك فى مرضك فلما أيسوا منك وفقدوك
 ناموا بعد مقاساة السهر فى تمريضك ثم ترحم لا عين النائمين لطول ما كبدا ومن السهر عريض
 أنت من أسرة مضوا غير مغرو * رين من عيشة ذات ضماد

الضماد والضماد أن تغذ المرأة خليلين فتصيب من هذا مرة ومن ذلك أخرى وأن يكون الرجل
 بينه وبين نساء أسباب قال أبو نؤيب

(تربدين كىما تضمدينى وخالدا * وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد)
 والضماد خصلة مذمومة تأبها نراه النفوس أى أن المرفى من معشر أذى كما لم يتدنسوا بعمالها وذناة
 وعيب ولم يغتروا بعيشة الدنيا وهى ذات ضماد تواصل كل واحد من بينها ولا تخلص الوصال معه
 كالرأى التى لها أخذان فانما تغرهم بودادها ولا تفى لاحد بموجب الود

لا يغركم الضميد وكونوا * فيه مثل السيوف فى الاغمد
 يتأسف لهم أن يؤثروهم التراب ويغير أعراسهم الطاهرة دفنهم فى الارض ويتمنى أن يكون مقامهم
 فى الارض والتراب مقام السيوف فى أغمد

نغزير على تخط الليالى * رم أقدامكم برم الهواى

الرم العظام البالية جمع رمة أى شديد على تأثير الأيام والليالى فيكم بالابلاء والتعبير حتى تختلط
عظام الأقدام البالية بعظام الاعناق أى يعم البلى في الاجساد فيخالط بعض أجزائها بعضاً

كنت خل الصبا فلما أراد الله بين وافقت رأيته في المراد

كان بين الرائي والمرئي صداقة وشغالة في عهد الحداثة والصبا فجعله خليل الصبا أى خليل عهد
الصبا فلما أراد الصبا أن يزول وافقه المرئي في ارادته الزوال فزال الصبا والخليل في عهده

ورأيت الوفاء للصاحب الا ول من شيمة الكرم الجواد

أى ووفيت للصاحب الاول يعنى الصباح حيث وافقته في الزيال فارتحلت لها رتميل الصبا ورأيت
الوفاء من أخلاق الكرام

ونخلعت الشباب غضافيا ليلتك أبلت مع الانداد

أى اخترمه المنون وهو في طرارة الشباب نخلع برد الشباب طريا قلبته عاش فيلبه مع الاقران
فأذهبا خيراتنا هين حقيقين بسقيلا روائح وغواد

خاطب الصبا والمرئي وجعلهما خيرا لذهابين اذ لا تغيب للرئي وازيه ولا بدل الصبا فهم ما خير
من ارتحل وولى وأحق وأولى بسقى السحب والرائح التي تروح بالعشى والغواى التي تفسدو
بالغداه أى هما أحق من يدعى الله بالسقى

ومراث لوأنهن دموع * لهون السطور في الانشاد

التقدير حقيقين بسقيلا روائح وغواد ومراث أى هما يستحقان ان يرثيا عبرات رفاق كالدموع
في الرقة والشعر يشبهه بالماء في الرقة والدمع أرق من الماء لانه بخار مصعد تصعيدا للورد
والمصعد أرق ما يكون من السائلات أى يحق لهما مراث لو سالت مسيل الدموع ونجسمت
رقتها لمت سطور كتابتها متى أنشدت

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاء الردى على ميعاد

زحل مع انه أعلى الكواكب السيارة مكانا لانه في الفلك السابع هو غير آمن من الهلاك بل هو
موجود بعلاقة الردى في قوله تعالى واذا الكواكب انثرت وقوله واذا النجوم انكدرت اذ كل شئ
هالك الا وجهه

ولتار المرئ من حدثان الدهر مطف وان علت في انتقاد

المرئ كوكب أحر كانه نار تنقد وهو أحد السيارات السبع وهو في الفلك الخامس يقول ان
حدثان الدهر يطفئ نار المرئ اذا حان حينه وان علت ناره وانتهت النهاية في التوقد والاشتعال

يعني لا تسلم نار المريح من مطفي من الردى يطفئها فلا أمان لها من الهلاك وخفف الهمزة في عطف اذ هو مهموز في الاصل

والثريا وهينة باقتراق الشمل حتى تعد في الافراد

الثريا منزل من منازل القبر وهو آخر الجمل وهو سبع كواكب مجتمعة واشتقاقها من الثراء وهو المال الكثير يقال رجل ثروان أى كثير المال وامرأة ثروى وتصفىها ثريا يقول ان الثريا وان غبرت أحق باباودهور الاتخصى مجتمعا شملها فلا يبدأ بتبلي باقتراف شملها حتى تبقى منفردة من ذويها

فليكن الحسن الاجل الممدود رغلا نف الحساد

الحسن أخو الميت يدعو له بطول البقاء يقول ان مضى المرنى لسيله فليمدأخوه في عمره رغمان آتف حساده أى الصافا لا توفهم بالرغام أى التراب أى مد الله فى أجل الباقي على صغر وكبر من الحساد

وليطب عن أخيه نفسا وابنا * أنخيه جرائع الابداد

أى ويلرزق طيبة النفس فى هذا الرزء عن أخيه المتوفى وأبناء أخيه الذين قد جرحت أبادهم بالم هذه المصيبة

واذا البحر غاض عني ولم أر * وفلا رى بادنا حار التمداد

التمداد المياه القليلة واحدها تمد جعل المرنى كالبحر وأبناءه كالتمداد بالنسبة الى البحر أى اذا غاض البحر ولم امتع يقاتره يمتأشنى غلى من مرأه والمصاحبة ياه فلا شفاء يرجى من المياه القليلة بعد أن غاض البحر

كل بيت للهدم ما تبني الور * قاء والسيد الرفيع العماد

أى كل بيت صائر الى الانهدام الذى تبنيه الورقاء وهى الجملة الضعيفة وينهاواه لإحكامه قال عبيد بن الابصر

(عبوا بامرهم حكما * عيت بيضتها الجمامة)

(جعلت لها عودين من * بشم وآخر من ثمامه)

والذى يبنيه السيد الذى يرفع ناه ويحكمه يعنى كل بناء الى زوال لا يبقى شئ منه الزاهى والحكم والفتى طاعن ويكفيه ظل السيد يرضب الاطناب والاوراد

أى أن الانسان راحل عن الدنيا لا أقامة لها والراحل المسافر يكفيه ظل الشجر وبغنيه ذلك عن ضرب الخيام فضلا عن تشييد الابنية

بان أعرس الاله واختلف لنا * من فداغ الى ضلال وهاد

أى أمر الاله ظاهر في تقديره وحكمه بالموت على العباد ولكن الناس مختلفون فبعضهم يدعوه بغيره
الفاصلة الى الضلال وهو أن يركن الى الدنيا ويحرص على جمع حطامها فيقتدى بغيره فيضل
ومنه من يهتدى في الدنيا فيدعوه بزهده الى الهدى فيصير هاديا

والذى حارت البرية فيه * حيوان مستحدث من جناد

أى والذى تحير الناس فيه ولم يهتدوا بقولهم لوجه أمر الحيوان المخلوق من الجناد وهو الذى
لاحياة فيه يعنى به آدم عليه السلام حيث خلق من التراب وهو جناد وقد تاهت العقول في نظريته
واللييب اللييب من ليس يغتر بكون مصيره للفساد

أى والعاقل الكامل من لا يصير مغترا بالحياة الفانية وكونه في دار عاقبة تاروال وفناء

(سقط الزند)

الباب التاسع في الجغرافيه والتاريخ

(ذكر مذاهب أهل مصر وتخلطهم منذ افتتح عربون العاصم رضى الله عنه أرض مصر
الى أن صاروا الى اعتقاد مذاهب الأئمة ررحمهم الله تعالى وما كان من الاحداث في ذلك)

اعلم أن الله عز وجل لما بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى كافة الناس جمعاء عربهم
وعجمهم وهم كلهم أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقبائل من أهل الكتاب كان من أمره صلى الله
عليه وسلم مع قريش ما كان حتى هاجر من مكة الى المدينة فكانت العجابه رضوان الله عليهم
حوله صلى الله عليه وسلم يجتمعون اليه في كل وقت مع ما كانوا فيه من ضلالت المعيشه وقلة القوت
فمنهم من كان يحترف في الاسواق ومنهم من كان يقوم على فحله ويحضر رسول الله صلى الله عليه
وسلم في كل وقت ومنهم طائفة عندما تجد أدنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت فاذا سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة أو حكم يحكم أو أمر بشئ أو فعل شئ أو عامه من حضر عنده
من العجابه وفات من غاب عنه علم ذلك الاخرى ان عرب من الخطاب رضى الله عنه قد خفي عليه
ما عليه جل بن مالك بن النابتة رجل من الاعراب من هذيل في ذيل الجحين وكان يقضى في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم من العجابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله
ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وخديفة بن البيان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء
وأبو موسى الأشعري وسلمان الفارسي رضى الله عنهم فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه تفرقت العجابه رضى الله عنهم فبعضهم من خرج لقتال مسيئة
وأهل الردة ومنهم من خرج لقتال أهل الشام ومنهم من خرج لقتال أهل العراق وبنى من العجابه

بالمدينة مع أبي بكر رضي الله عنه عدة فكانت القضية اذا نزلت بأبي بكر رضي الله عنه قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله وأسترسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل من يحضرتها من الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك فان وجد عندهم علم رجع اليه والاجتهد في الحكم وللمامات أبو بكر وولى أمر الامة من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففتحت الامصار وزادت تفرق الصحابة رضي الله عنهم فيما اقتحوا من الاقطار فكانت الحكومة تنزل بالمدينة أو غيرها من البلاد فاذا كان عند الصحابة الحاضر ين لها في ذلك أقرع رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه والاجتهد أمير تلك البلدة في ذلك وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبي صلى الله عليه وسلم موجود عند صاحب آخر وقد حضر المدني مالم يحضر المصري وحضر المصري مالم يحضر الشامي وحضر الشامي مالم يحضر البصري وحضر البصري مالم يحضر الكوفي وحضر الكوفي مالم يحضر المدني كل هذا موجود في الآثار وفيها علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات وحضور غيره ثم مغيب الذي حضر أمس وحضور الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضر وبغوته ما غاب عنه فحضى الصحابة رضي الله عنهم على ما ذكرنا ثم خالف بعدهم التابعون الاخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي تقدم ذكرها فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاويهم الا اليسير بما بلغهم عن غير من كان في بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم كتابع أهل المدينة في الاكثر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ثم أتى من بعد التابعين رضي الله عنهم فقهاها الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريح بمكة ومالك وابن المباحثون بالمدينة وعثمان بن عيسى وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بن سعد بمصر فخر واعلى تلك الطريق من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده فيما كان عندهم واجتهدهم فيما لم يجدوا عندهم وهو موجود عند غيرهم (وأما مذهب أهل مصر) فقال أبو سعيد بن يونس بن عبيد ابن منجم المغافري يكنى أبا أيوب رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر روى عنه أبو قبيل يقال انه كان أول من أقرأ القرآن بمصر وذكر أبو عمر والكندي أن أبا ميسرة عبد الرحمن ابن ميسرة وولى الملامس الحضرمي كان فقيها عقيقا شريفا ولا سنة عمر ومائة وكان أول الناس اقراء بمصر بحرف نافع قبل الحسين ومائة وثبت في سنة ثمان وثمانين ومائة وذكر عن أبي قبيل وغيره أن يزيد بن أبي حبيب أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام وفي رواية ابن يونس ومسائل الفقه وكانوا قبل ذلك انما يتعدون في الفتن والترغيب وعن عون بن سليمان الحضرمي قال كان عمر ابن عبيد العزيز قد جعل القضا بمصر الى ثلاثة رجال رجلان من الموالي ورجل من العرب

فاما العربي جعفر بن ربيعة وأما الموليان فيزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي جعفر فكان العرب
أنكروا ذلك فقال عمر بن عبد العزيز ما ذنبني أن كانت الموالى تسموا أنفسهم اصعدا وأنتم لا تسمون
وعن ابن أبي قتيبة كانت البيعة اذا جاءت للخليفة أول من يبايع عبد الله بن أبي جعفر وزيد بن أبي
حبيب ثم الناس بعد وقال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر عن حيوة بن شريح قال دخلت على
حسين بن شفي بن مانع الاصمعي وهو يقول فعل الله بقلان فقلت ما له فقال عمداى كتابين كان شفي
سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أحدهما قضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا والآخر ما يكون من الاحداث الى يوم القيامة
فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب قال أبو سعيد بن يونس يعنى بقوله الخولة والرباب مراكين
كبير من من سفن الجسر كناية يكونان تدرأس الجسر مما يلي الفسطاط يجوز من تحتها لكبرهما
المراكب وذكر أبو عمرو السكندى أن أباسعيد عثمان بن عتيق مولى عافق أول من رحل من أهل
مصر الى العراق في طلب الحديث وفي سنة أربع وثمانين ومائة انتهى وكان حال أهل الاسلام
من أهل مصر وغيرهما من الامصار في أحكام الشريعة على ما تقدم ذكره ثم كثر الترحل الى الآفاق
وتدخل الناس والتقوا وانتدب أقوام لجمع الحديث النبوى وتقييده فكان أول من دون العلم
محمد بن شهاب الزهري وكان أول من صنف وبوب سعيد بن عروبة والزبيد بن صبيح بالبصرة
ومعمر بن راشد باليمن وابن جرير بمكة ثم سفيان الثوري بالكوفة وحماد بن سلمة بالبصرة والوليد
ابن مسلم بالشام وجرير بن عبد الحميد بالري وعبد الله بن المبارك بمرور وخراسان وهشيم بن بشير
بواسط وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الابواب وجودة التصنيف وحسن التأليف
فوصلت احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده وقامت
الرجعة على من بلغه شئ منها وجعت الاحاديث المبينة لعمدة أحداث التواريخ المتأولة من الاحاديث
وعرف الصحيح من السقيم وزيف الاجتهاد المؤدى الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى تزلزل علمه وسقط العذر عن خالف ما بلغه من السنن بلاوغه اليه وقيام الرجعة عليه وعلى هذا
الطريق كان الصحابة رضى الله عنهم وكثير من التابعين يرسلون في طلب الحديث الواحد الام
الكثير يعرف ذلك من نظري في كتب الحديث وعرف سير الصحابة والتابعين فلما قام هارون الرشيد
في الخلافة وولى القضاء أبابوسف يعقوب بن ابراهيم أحد اصحاب أبي حنيفة رجه الله تعالى
بعد سنة سبعين ومائة فلم يقد بلاد العراق وخراسان والشام ومصر الامن أشار به القاضى
أبو يوسف رجه الله واعتنى به وكذلك لما قام بالاندلس الحكيم المرتضى بن هشام بن عبد الرحمن
ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بعداً اليه وتلقب بالمتصر في سنة ثمانين ومائة

اختص يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسى وكان قد حج ومع الموطن مالك الأوبيا وحمل عن ابن وهب وعن ابن القاسم وغيره علما كثيرا وعاد الى الاندلس فقال من الرياسة والحرمه ما لم ينله غيره وعادت القضاة اليه وانتهى السلطان والعامه الى بابته فلم يقلد في سائر أعمال الاندلس قاض الا باشارته واعتناؤه فصار واعلى رأى مالك بعد ما كانوا على رأى الاوزاعى وقد كان، مذهب الامام مالك أدخله الى الاندلس زياد بن عبد الرحمن الذى يقال له ب طور قبل يحيى بن يحيى وهو أول من أدخل مذهب مالك الاندلس وكانت أفر بقيه الغالب عليها السنن والامار الى أن قدم عبدالله بن فروع أبو محمد القارى مذهب أبى حنيفة ثم غلب أسد بن القرات بن سنان قاضى أفر بقيه بمذهب أبى حنيفة ثم لولى يحيون بن سعيد التنوخى قضاء أفر بقيه بعد ذلك نشر فهم مذهب مالك وصار القضاء فى أصحاب حنن دول يتصاولون الى الدنيا تصاول الفحول على الشول الى أن تولى القضاء بنو هاشم وكانوا مالكية فتوارقوا القضاء كما توارث الضياع ثم ان المعز بن باديين حل جميع أهل أفر بقيه على التمسك بمذهب مالك وترك ما عدا من المذاهب فرجع أهل أفر بقيه وأهل الاندلس كلهم الى مذهب مالك الى اليوم رغبة فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا اذا كان القضاء لا فناء فى جميع تلك المدن وسائر القرى لا يكون الا لمن تسمى بالفقهاء على مذهب مالك فاضطرت العامه الى أحكامهم وفتاواهم ففسا هذا المذهب هناك فشوا طبق تلك الاقطار كانشاء مذهب أبى حنيفة ببلاد المشرق حيث ان أباحامد الاسقرافى لما تمكن من الدولة فى أيام الخليفة القادر بالله أبى العباس أحمد قرر معه استخلاف أبى العباس أحمد بن محمد البارزى الشافعى عن أبى محمد الاكفانى الخنقى قاضى بغداد فأجيب اليه بغير رضى الاكفانى وكتب أبو حامد الى السلطان محمود بن سبكتكين وأهل خراسان أن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية فاشهر ذلك بخراسان وصار أهل بغداد حزينين وقدم بعد ذلك أبو العلاء ضاعد بن محمد قاضى نيسابور ورئيس الحنفية بخراسان فأناه الحنفية فنارت بينهم وبين أصحاب أبى حامد فتنة ارتفع أمرها الى السلطان فجمع الخليفة القادر الاشرف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن أن الاسقرافى أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصع والشفقة والامانة وكانت على أصول الدخول والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزى الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة والعدول بأمر المؤمنين عما كان عليه أسلافه من اشارة الحنفية وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزى وأعاد الامر الى حقه وأجرأ على قديم رسمه وحل الحنفيين على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمه والاعزاز وتقدم اليهم بأن لا يقلوا أباحامد ولا يقضوا الحقا ولا يردوا عليه سلا ما وخلق على أبى محمد الاكفانى وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة

ونظهر التسخيط عليه والآخر افي عنه وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وانصل بلاد الشام ومصر
(أول من قدم بعلم مالك) الى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جحج وكان قتيما روى عنه
الليث وابن وهب ورشيد بن سعد وتوفي بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة ثم نشره مصر
عبد الرحمن بن القاسم فاشتهر مذهب مالك بمصر أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر أصحاب مالك
بمصر ولم يكن مذهب أبي حنيفة رجة الله يعرف بمصر قال ابن نونس وقدم اسماعيل بن اليسع
الكوفي قاضيا بعد ابن لهيعة وكان من خير قضاتنا غير أنه كان يذهب الى قول أبي حنيفة ولم يكن
أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة وكان مذهب ابطال الاحباس فنقل أمره على أهل مصر
وسمّوه ولم يزل مذهب مالك مشتهرا بمصر حتى قدم الشافعي محمد بن ادريس الى مصر مع عبدا لله
ابن العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في سنة ثمان وتسعين
ومائة فحببهم من أهل مصر جماعة من أعيانها كبنى عبد الحكيم والربيع بن سليمان وأبي ابراهيم
اسماعيل بن يحيى المزني وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البوطي وكتبوا عن الشافعي مائة ألفه وعملوا
بما ذهب اليه ولم يزل أمر مذهبه يقوى بمصر وذكره ينشر قال أبو عمرو والكندي في كتاب أمراء مصر
ولم يزل أهل مصر على الجهر بالسلمة في الجامع العتيق الى سنة ثلاث وخسين ومائتين قال ومنع
أرجون صاحب شرطة فرماحم بن خاقان أمير مصر من الجهر بالسلمة في الصلوات بالمسجد الجامع
وأمر الحسين بن الربيع لإمام المسجد الجامع تركها وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين
ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في المسجد الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها أرجون قال وأمر
أن تصلى التراويح في شهر رمضان خمس تراويح ولم يزل أهل مصر يصلون ست تراويح حتى جعلها
أرجون خمسا في شهر رمضان سنة ثلاث وخسين ومائتين ومنع من الثوب وأمر بالاذان يوم
الجمعة في مؤخر المسجد وأمر بالتغليس بصلاة الصبح وذلك أنهم أسفروا بها وما زال مذهب مالك
ومذهب الشافعي رجهما الله يعمل بهما أهل مصر ويولى القضاء من كان يذهب اليهما أو الى
مذهب أبي حنيفة رجهما الله الى أن قدم القائد جوهر من بلاد أفريقيا في سنة ثمان وخسين
وثلاثمائة بجيش مولاه المعز لدين الله إلى عيـمه مد وبنى مدينة القاهرة فن حينئذ فساد بدار مصر
مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ما خلفه ولم يبق مذهب سواه وقد كان التشيع
بأرض مصر معروفا قبل ذلك قال أبو عمرو والكندي في كتاب الموالي عن عبد الله بن لهيعة أنه قال
قال يزيد بن أبي حبيب نبأنا بمصر وهي عالية فقلبتا عمانية وكان ابتداء التشيع في الاسلام
أن رجلا من اليهود في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه أسلم فقبل له عبد الله
ابن سبأ وعرف بابن السوداء وصار يتقل من الحجاز الى أمصار المسلمين يريد اضلالهم فلم يطق ذلك

فرجع الى كيد الاسلام وأهله ونزل البصرة في سنة ثلاث وثلاثين فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرح فأقبل عليه جماعة وما لوا اليه وأعجبوا بقوله فبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ على البصرة فأرسل اليه فلما حضر عنده سأله ما أنت فقال رجل من أهل الكتاب رغبت في الاسلام وفي جوارك فقال ما شئ بلغني عنك أنخرج عنى فخرج حتى نزل الكوفة فأخرج منها فاسارا الى مصر واستقر بها وقال في الناس العجب من يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدا يرجع وتحدث في الرجعة حتى قبلت منه فقال بعد ذلك انه كان لكل نبي وصى وعلى بن أبي طالب وصى محمد صلى الله عليه وسلم فني أظلم من لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن على بن أبي طالب وصيه في الخلافة على أمته واعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق فانهم ضا في هذا الامر وأبدؤا بالظعن على أمرائكم فأظهروا الامر بالعرف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعائه وكتب من مال اليه من أهل الامصار وكتبوه ودعوا في السراى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون الى الامصار كتباً يضعونها في عيب ولاتهم فكتب أهل كل مصر منهم الى أهل المصر الآخر بما يصنعون حتى ملؤا بذلك الارض اذاعة وجاء الى أهل المدينة من جميع الامصار فألوا عثمان رضى الله عنه في سنة خمس وثلاثين وأعلموه ما أرسل به أهل الامصار من شكوى عمالهم فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأسامة بن زيد الى البصرة وعمار بن ياسر الى مصر وعبد الله بن عمر الى الشام لكشف سائر المال فرجعوا الى عثمان الاعمار وقالوا ما أنكرنا شياً وتاخر عمار فورد اخبر الى المدينة بأنه قد استماله عبد الله بن السوداء في جماعة فأمر عثمان عماله أن يوافوه بالموسم فقدموا عليه واستشاروه فكل أشار برأى ثم قدم المدينة بعد الموسم فكان بينهم وبين على بن أبي طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب اعطائه أهاريه ورفع لهم على من سواهم وكان المخنفون عن عثمان قد ودعوا يوماً يخربون فيه بأمصارهم اذا سار عنها الاصرء فلم يتيأ لهم الوئوب وعند ما رجع الامر من الموسم تكتاب المخالفون في القدوم الى المدينة لينظروا فيما يريدون وكان أمير مصر من قبل عثمان رضى الله عنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري فلما خرج في شهر رجب من مصر في سنة خمس وثلاثين استخلف بعده عقبه بن عامر الجهني في قول الليث بن سعد وقال يزيد بن أبي حبيب بل استخلف على مصر السائب بن هشام العامري وجهل على الخراج سليم بن عزا الحبيبي فاتت زي محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف في شوال من السنة المذكورة وأخرج عتبة بن عامر من القسطنطين ودعا الى خلع عثمان ورضي الله عنه وأسرع البلاد وحرض على عثمان بكل شئ يقدر عليه فكان يكتب الكتب على لسان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ الزواجل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور

اليثيون وجوههم الى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلوح المسافر ثم يأمرهم أن يفرحوا
الى طريق المدينة بمصر ثم رسالون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم وقد أمرهم إذا لقهم الناس
أن يقولوا ليس عندنا خبر الخبر في الكتب فيجيب عرسول أولئك الذين دس فذلهم مكانهم فيلقاهم
ابن أبي حذيفة والناس يقولون تلقى رسول أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا القوهم
قالوا لهم ما الخبر قالوا لا خبر عندنا عليكم بالمسجد ليقرأ عليكم كتاب أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم فيجتمع الناس في المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير ثم يقوم القاري بالكتاب فيقول أنا أشكوا
الى الله واليكم ما عمل في الاسلام وما صنع في الاسلام فيقوم أولئك الشيوخ من فواح المسجد
بالبكاء فيبكون ثم ينزل عن المنبر ويتفرق الناس بما قرئ عليهم فلما رأوا ذلك شيعته عثمان
رضي الله عنه اعترضوا لمحمد بن أبي حذيفة وناذوه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة
وبسر بن أرطاة ومسلمة بن مخاض وعروة بن محزم الخولاني وقسم بن بجرة وحزرة بن سرح بن
كلال وأبو الكنود سعد بن مالك الأزدي وخالد بن ثابت القهفي في جمع كثير وبغوا سلمة
ابن محزمة النخعي الى عثمان ليخبره بأمرهم وأصنع بن أبي حذيفة فبعث عثمان رضي الله عنه سعد
ابن أبي وقاص ليصلح أمرهم فبلغ ذلك ابن أبي حذيفة فخطب الناس وقال لأن الكذا والكذا الكذا
قد بهت اليكم سعد بن مالك ليقبل بجماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التجادل بينكم فانظروا اليه
تخرج منهم مائة أو نحوها وقد ضرب فسطاطه وهو قائل فقاموا عليه فسطاطه وشجعوه وسبوه
فركب راحلته وعادوا رجعا من حيث جاء وقال ضربكم الله بالذل والفرقة وشئت أضركم وجعل
باسكم بينكم ولا أرضاكم بأمير ولا أرضاء عنكم وأقبل عبد الله بن سعد حتى بلغ جسر القزم
فإذا بجيال لابن أبي حذيفة فنعوه أن يدخل فقال ويلكم دعوني أدخل على جنسدي فأعلمهم
بما حدث به فأتى قد جئتهم بخبر فأبوا أن يدعوه فقال والله لو دبت آتى دخلت عليهم وأعلمتهم بما
حدث به فعمت فانصرف الى عسقلان وأجمع محمد بن أبي حذيفة على بعث جيش الى أمير المؤمنين
عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال من بشرط في هذا البيعة فسكر عليه من بشرط فقال
أنا أيكفيكم عنكم ستمائة رجل فتشترط من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس
وعلى جماعتهم عبد الرحمن بن عديس الباهلي وهم كاتبة بن بشر بن سليمان النخعي وعروة بن سليم
الليثي وأبو عروة بن بديل بن ورقاء الخزاعي وسودان بن ريان الاصمعي وذرع بن يشكر النخعي
وسبعين رجلا من أهل مصر في دورهم منهم بشر بن أرطاة ومعاوية بن خديج فبعث ابن أبي حذيفة
الى معاوية بن خديج وهو أرمد ليكرهه على البيعة فلما بلغ ذلك كاتبة بن بشر وكان رأس الشيعة
الأولى دفع عن معاوية ما كره ثم قتل عثمان رضي الله عنه في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين فدخل
الركب الى مصر وهم يرتجزون

خذه الملك واخذ بن أبي الحسن * اناغر الحرب احرار الوسن * بالسيف كي تخمد نيران الفتن
فلما دخلوا المسجد صاحوا انا للسنا قتله عثمان ولكن الله قتله فلما رأى ذلك الشبيعة عثمان
قاموا وعقدوا للمعاوية بن خديج عليهم ويايعوه على الطلب بدم عثمان فصار بهم معاوية الى الصعيد
فبعث اليهم ابن أبي حذيفة فالتقوا بدمعنا من كورة الهند فهاجم أصحاب ابن أبي حذيفة
ومضى معاوية حتى بلغ رقعة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليهم قيس
ابن حرملة فاقبلوا بجحر ناء اول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فقتل قيس وسار معاوية بن أبي سفيان
الى مصر فقتل سلطنة من كورة عين شمس في شوال فخرج اليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فنعوه
أن يدخلها فبعث اليه معاوية أنا لا نريد قتال أحد انما لجئنا نأكل القود لعثمان ادفعوا اليها فأنابه
عبد الرحمن بن عديس وكثارة بن بشر وهما رأس القوم فامتنع ابن أبي حذيفة وقال لو طلبت منا
جرا أرتب السرية بعثمان ما دفعنا اليك فقال معاوية بن أبي سفيان لابن أبي حذيفة اجعل بيننا
وبينكم رهنا فلا يكون بيننا وبينكم حرب فقال ابن أبي حذيفة فاني أرضى بذلك فاستخلف
ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن مخزومة وخرج في الرهن هو وابن عيسى وكثارة بن بشر
وأبو شهر بن ابرهة وغيرهم من قتله عثمان فلما بلغوا لدا سمع بهم معاوية وسار الى دمشق
فهمروا من السجن غير أبي شهر بن ابرهة فانه قال لأدخله أسيرا وأخرج منه أتقا وتبعهم صاحب
فلسطين فقتلهم واتبع عبد الرحمن بن عديس رجل من الفرس فقال له عبد الرحمن بن عديس
اتق الله في دمي فاني بايعت النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فقال له الشجر في الصحراء كثير
فقتله وقال محمد بن أبي حذيفة في الليلة التي قتل في صباحها عثمان فان يكن القصاص لعثمان
فستقتل من الغد فقتل من الغد وكان قتل ابن أبي حذيفة وعبد الرحمن بن عديس وكثارة بن بشر
ومن كان معهم من الرهن في ذي الحجة سنة ست وثلاثين فلما بلغ على بن أبي طالب رضى الله عنه
مصايب ابن أبي حذيفة بعث قيس بن سعد بن عباد الانصاري على مصر وجعل له الخراج والصلاة
فدخلها مستهل شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين واستلم الخراجة بجحر بتا ودفع اليهم أعطياتهم
ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وأحسن اليهم ومصر يومئذ من جيش على رضى الله عنه إلا أهل خربتا
الخارجين بها فلما ولى على رضى الله عنه قيس بن سعد وكان من ذوي الرأي جهده معاوية بن أبي
سفيان وعمر بن العاص على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فامتنع عليهم ما بالدهاء والمكايده
فلم يقدر ا على أن يلجأ مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضى الله عنه فكان معاوية يتحدث
رجالا من ذوي رأى قريش فيقول ما ابتدعت من مكايده قط أعجب الى من مكايده كذبها
قيس بن سعد حين امتنع منى قلت لاهل الشام لا تدعوا قيسا ولا تدعوا الى غزوه فان قيسا لنا شبيعة

تأتينا كتبه ونصيحته سرا ألاترون ماذا يفعل باخوانكم النازلين عنده بغير بنا يجرى عليهم
أعطيتهم وأرزاقتهم ويؤمن سر بهم ويحسن الى كل راكب يأتيهم منهم قال معاوية وطفقت
أكتب بذلك الى شيعتي من أهل العراق فسمع بذلك جواميس على العراق فأنها اليه محمد بن أبي بكر
وعبد الله بن جعفر فاتهم قيسا فكتب اليه بأمره بقتل أهل خربتيا وبخر بنات ومئة عشرة آلاف
فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب الى علي رضي الله عنه أنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ
منهم وقد رضوا مني بأن أؤمن سر بهم وأجرى عليهم أعطيتهم وأرزاقتهم وقد علمت أن هواهم
معاوية فلست بكاذهم بأمر أهون على وعليك من الذي أفعل بهم وهم أسود العرب منهم بشر
ابن أوطاة وسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج فأبى عاياه الاقتالهم فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب
الى علي رضي الله عنه ان كنت تهمني فأعزلي وابعث غيري وكتب معاوية رضي الله عنه الى بعض
بنو أمية بالمدينة أن عزى الله قيس بن سعد خيرا فإنه قد كف عن اخواتنا من أهل مصر الذين قاتلوا
في دم عثمان واكتبوا ذلك فأبى أخاف أن يعزله على أن يبلغه ما ينسبه وبين شيعتنا حتى بلغ عليا
رضي الله عنه ذلك فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة بديل قيس وتحول فقال علي
ويحكم انه لم يفعل فدعوني قالوا لنعزله فإنه قد بطل فلم ير الواهب حتى كتب اليه اني قد احتجت
الى قريب فاستخلف على عمالي وأقدم فلما قرأ الكتاب قال هذا من مكر معاوية ولولا الكذب
لمكرت به مكر ايدخل عليه بيته فولها قيس بن سعد الى أن عزل عنها أربعة أشهر وخسعة أيام
وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين ثم وليها الاشتر مالك بن الحارث بن عبد يغوث
النجفي من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك أن عبد الله بن جعفر كان اذا
أراد أن لا ينعى علي شيئا قال له بحق جعفر فقال له أسألك بحق جعفر الابن العبد الاشتر الى مصر
فان ظهرت فهو الذي تحب والا استرحته منه ويقال كان الاشتر قد نقل علي رضي الله عنه
وأبغضه وقلاه فولاه وبعثه فلما قدم قازم مصر لقي عياضيا العمال به هناك فشر به شره عسل فمات
فلما أخبر علي بذلك قال للبدن ولقم وسمع عمرو بن العاص بعث الاشتر فقال ان الله جنودا من عسل
أو قال ان الله جنودا من العسل ثم وليها محمد بن أبي بكر الصديق من قبل علي رضي الله عنهم وجمع له
صلاتها وخرجها فدخلها التصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين فلقه قيس بن سعد فقال انه
لا ينعى نعي لك عزله ابى ولقد عزلني عن غيري ولا يجوز فاحفظ ما أوصلك به يدم صلاح حالت
دع معاوية بن خديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أوطاة ومن صوى اليهم على ما هم عليه لا تسفهم
عن رأيهم فان أوتوا لم يفعلوا فاقبلهم وان تخلفوا عنك فلا تطلبهم وانظر هذا الحى من مضر
فانت أولى بهم منى فأن لهم جناحك وقرب عليهم مكانك وارفع عنهم حجابك وانظر هذا الحى

من مدبج فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم وأزل الناس من بعد على قدر منازلهم فان استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل فان هذا لا ينقصك ولن تفعل انك والله ما علمت لظفر الخيلاء وتحب الرئاسة وتسارع الى ما هو ساقط عندك والله موفقك فعل محمد بخلاف ما أوصاه به قيس فبعث الى ابن خديج والخارجة معه يدعوهم الى بيعته فلم يجيبوه فبعث الى دورا والخارجة فهدمها ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فغضبوا له الحرب وهو بالتهوض اليه فلما علم أنه لا قوله بهم أمسك عنهم ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية وأن ينصب لهم جسر أن تقوس بجوزين عليه ولا يدخلون الفسطاط ففعلوا ولحقوا بمعاوية فلما جمع على رضى الله عنه ومعاوية على الحكيم أغل على أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر فلما انصرف على الى العراق بعث معاوية رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه في جيوش أهل الشام الى مصر فاقبلوا قتالا شديدا انهزم فيه أهل مصر ودخل عمرو بأهل الشام الفسطاط وتغيب محمد بن أبي بكر فاقبل معاوية بن خديج في رهط من بعينه على من كان عشي في قتل عثمان وطلب ابن أبي بكر فقتلهم عليه امرأة فقال احفظوني في أبي بكر فقال معاوية بن خديج قتلتم عثمان رجلا من قومي في عثمان وأتركا وأنت صاحبه فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت فأحرقه بالنار فكانت ولاية محمد بن أبي بكر خمسة أشهر ومقتله لأربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين ثم تولى عمرو بن العاص مصر من بعده فاستقبل بولايته هذه الثانية شهر ربيع الاول وجعل اليه الصلاة والخراج وكانت مصر قد جعلها معاوية له طعمة بعد عطا جندھا والتفقه على مصلحتها ثم خرج الى الحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله بن عمرو وقتل خارجة بن حذافة ورجع عمرو الى مصر فاقامهم او تعاقبوا ملجئ عبد الرحمن وقيس وزيد على قتل على رضى الله عنه وعمرو ومعاوية رضى الله عنهما ولواء عدوا على ليلة من رمضان سنة أربعين فغضى كل منهم الى صاحبه فلما قتل على بن أبي طالب رضى الله عنه واستقر الامر لمعاوية كانت مصر جندھا وأهل شوكتها عثمانية وكثير من أهلها علوية فلما مات معاوية ومات ابنه يزيد بن معاوية كان على مصر سعيد بن يزيد الأزدي على صلاتها فلم يزل أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه منذ ولاد يزيد بن معاوية حتى مات يزيد في سنة أربع وستين ودعا عبد الله بن الزبير الى نفسه فقامت الخوارج بمصر في أمره وأظهروا دعوته وكانوا يحسبونه على مذهبهم وأوفدوا منهم وفد اليه فسار منهم نحو الالفين من مصر وسأله أن يعيهم بأمير يقومون معه وبأزرونه وكان كريب بن ابرهة الصباح وغيره من أشرف مصر يقولون ماذا نرى من العجب ان هذا الطائفة المكتتة بأمر فينا وتنتهى ونحن لا نستطيع أن نرد أمرهم ولحق بآل الزبير ناس كثير من أهل مصر

وكان أول من قدم مصر رأى الخوارج حجر بن الحارث بن قيس المذبحي وقيل حجر بن عمرو
ويكنى بابي الورد وشهد مع علي صفين ثم صار من الخوارج وحضر مع الحورية النهروان فخرج
وصار إلى مصر رأى الخوارج وأقام بها حتى خرج منها إلى ابن الزبير في أمانة مسلمة بن مخلد
الانصاري على مصر فلما مات يزيد بن معاوية وبويع بن الزبير بعده بالخلافة بعث إلى مصر
بعبد الرحمن بن جحدم الفهري فقدمها في طائفة من الخوارج فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم
واستمر ابن جحدم وكثرت الخوارج بمصر منها ومن قدم من مكة فأنظرهم وأقام في مصر التحكيم ودعوا
إليه فاستعظم الجند ذلك وابعه الناس على غل في قلوب الناس من شبيعة بن أمية منهم كرب
ابن ابرهة ومقسم بن بحره وزياد بن حنيفة التميمي وعابس بن سعيد وغيرهم فصار أهل مصر
حينئذ ثلاث طوائف علوية وعثمانية وخوارج فلما بويع مروان بن الحكم بالشام في ذي القعدة
سنة أربع وستين كانت شبيعة من أهل مصر مع ابن جحدم فكانت يومئذ حتى أتى مصر
في أشراف كثيرة وبعث ابنه عبد العزيز بن مروان في جيش إلى البصرة ليدخل من هناك مصر
وأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه فخر الخندق في شهر وهو الخندق الذي بالقرافة وبعث
بمراكب في البحر ليخالف إلى علات أهل الشام وقطع بعثا في البر وجهز جيشا آخر إلى البصرة
عبد العزيز بن المسيير منها فغزت المراكب وشجاعتها وانهم زمت الجيوش ونزل مروان عين
شمس فخرج إليه ابن جحدم في أهل مصر فتمحاربا واستحرق القتل فقتل من الفريقين خلق كثير
ثم ان كرب بن ابرهة وعابس بن سعيد وزياد بن حنيفة وعبد الرحمن بن موهب المغافري دخلوا
في الصلح بين أهل مصر وبين مروان فتم ودخل مروان إلى القسطنطينية لغرة جمادى الأولى سنة
خمس وستين فكانت ولاية ابن جحدم تسعة أشهر ووضع العطاء فابعه الناس إلا نفر من المغافر
قالوا لا نخضع لبيعة ابن الزبير فقتل منهم ثمانين رجلا قدمهم رجلا رجلا فضرب أعناقهم وهم
يقولون انافديا يعنابن الزبير طائعين فلم تكن تسكت يبعته وضرب عني الاكدر بن حزام بن عامر
سيدنهم وشيخها وحضر هو وأبوه فتح مصر وكانا من ثار إلى عثمان رضي الله عنه فتنادى الجند
قتل الاكدر فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه فضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفا وخشي
مروان وأغلق بابهم حتى أتاه كرب بن ابرهة وأتت عليه ردا عمو قال الجند انصر فوالله لا جارا
عطف أحد منهم وانصر فوالله إلى منازلهم وكان للنصف من جمادى الآخرة ويومئذ مات عبد الله
ابن عمرو بن العاص فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته إلى المقبرة لشغب الجند على مروان ومن
حينئذ غلبت العثمانية على مصر فظاهروا فيما يسبب على رضي الله عنه وانكبت السنة العلوية
والخوارج فلما كانت ولاية قرة بن شريك العبسي على مصر من قبل الوليد بن عبد الملك في سنة تسعين

خرج الى الاسكندرية في سنة احدى وتسعين فتهافتت السرا من الخوارج بالاسكندرية على القتل به وكانت عندهم نحو من مائة فعقدوا الرئيسهم المهاجر بن أبي المنى التميمي احدى بني فهم عليهم عند منارة الاسكندرية وبالقرب منهم رجل يكنى أبا سليمان فبلغ قرعة ما عزموا عليه فأثي لهم قبل أن يتفرقوا فامر بجسهم في أصل منارة الاسكندرية وأحضر قرعة وجوه الجند فسالهم فأقروا بقتلهم ومضى رجل عن كان يرى رأيهم الى أبي سليمان فقتله فكان يزيد بن أبي حبيب اذا أراد أن يتكلم بشئ فيه تقيته من السلطان تلفت وقال أخذوا أبا سليمان ثم قال الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان فلما قال عبد الله بن يحيى الملقب بطالب الحق في الحجاز علي مروان ابن محمد الجهمي قدم الى مصر داعيته ودعا الناس قبایع له ناس من تحبيب وغيرهم فبلغ ذلك حسان بن عتابة صاحب الشرطة فاستحضرهم فقتلهم - وقرعة بن سهيل الباهلي أمير مصر من قبل مروان بن محمد فلما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية بنى العباس في سنة ثلاث وثلاثين ومائة خدعت جرة أصحاب المذهب المرواني وهم الذين كانوا يسبون علي بن أبي طالب وتبرؤن منه وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ويخشون أن يطلع عليهم أحد الاطائف كانت بناحية الواحات وغيرها فانهم أقاموا على مذهب المروانية دهر احدثقوا ولم يبق لهم الا أن يديار مصر وجود البتة فلما كان في إمارة حميد بن قطبة على مصر من قبل أبي جعفر المنصور قدم الى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب داعية لآبيه وعمه فذكر ذلك لحفيد فقال هذا كذب ودرس اليه أن تقيب ثم بعث اليه من الغد فلم يجده فكتب بذلك الى أبي جعفر المنصور فعزل حميدا وسخط عليه في ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة وولي يزيد بن حاتم ابن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة فظهرت دعوة بني حسن بن علي عصر وتكلم الناس بها وابع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله وهو أول علوي قدم مصر وقام بأمر دعوة خالد بن سعيد بن ربيعة ابن جديش الصدفي وكان جده ربيعة بن حيدش من خاصة علي بن أبي طالب وشيعته وحضر البار في قبل عثمان رضي الله عنه فاستشار خالد أصحابه الذين يابغوا له فأشار عليه بعضهم أن يبيت يزيد ابن حاتم في العسكر وكان الامراء قد صاروا منذ قدمت عساكر بني العباس يزلون في المعسكر الذي بنى خارج القسطنطينية وأشار عليه آخرون أن يحوز بيت المال وأن يكون خروجه في الجامع ففكره خالد أن يبيت يزيد بن حاتم ونجش على اليمامة وخرج منهم رجل قد شهد أمرهم حتى أتى الى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وهو يومئذ على القسطنطينية فأنهم اليه يخرجون فخصي عبد الله بن يزيد بن حاتم وهو بالعسكر فكان من أمرهم ما كان لعشيرة من شوال سنة ١٤٥ فانهم زما ثم قدمت الخطباء رأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين في ذي الحجة

من السنة المذكورة الى مصر ونصبه في المسجد الجامع وقامت الخطباء فذكروا أمره وجل على بن محمد الى أبي جعفر المنصور و قيل انه اختفى عند عسامة بن عمرو بقرية طرمه فمضى بها ومات فقبر هناك وجل عسامة الى العراق فحبس الى أن رده الملهدي محمد بن أبي جعفر الى مصر وما زالت الشيعة على بمصر الى أن ورد كتاب المتوكل على الله الى مصر فأمر فيه بإخراج آل أبي طالب من مصر الى العراق فأخرجهم اسحاق ابن يحيى الختلى أمير مصر و فرق فيهم الاموال ليخرجوا بها وأعطى كل رجل ٣٠ دينارا والمرأة ١٥ دينارا فخرجوا لعشر خالون من رجب سنة ٢٣٦ هـ وقد مروا العراق فخرجوا الى المدينة في شوال منها واستمر من كان بمصر على رأى العلوية حتى ان يزيد بن عبد الله أمير مصر ضرب رجلا من الجندي شئ وجب عليه فأقسم عليه بحق الحسن والحسين الاعفاء عنه فزاله ٣٠ درة ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل فورد الكتاب على يزيد بضرب ذلك الجندي مائة سوط فضر بها وجل بعد ذلك الى العراق في شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين وتبع يزيد راوفاض فحمله الى العراق ودل في شعبان على رجل يقال له محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب انه يبيع له فأحرق الموضع الذي كان به وأخذته فأقر على جمع من الناس بإبعده فضر ببعضهم بالسياط وأخرج العلوي هو وجمع من آل أبي طالب الى العراق في شهر رمضان ومات المتوكل في شوال فقام من بعده ابنه محمد المستنصر فورد كتابه الى مصر بأن لا يقبل علوي ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من القسطنطين الى طرف من أطرافها وأن يمنعوها من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ومن كان بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب بينة وكتب الى العمال بذلك ومات المستنصر في ربيع الآخر وقام المستنصر فأخرج يزيد ستة رجال من الطالبين الى العراق في رمضان سنة خمس ومائتين ثم أخرج ثمانية منهم في رجب سنة احدى وخمسين وخرج جابر بن الوليد المدبلي بأرض الاسكندرية في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين واجتمع اليه كثير من بني مدح فبعث اليه محمد بن عبد الله بن يزيد بجيش من الاسكندرية فقهزهم ونظر بامعهم وقوى أمره وأما الناس من كل ناحية وضوى اليه كل من يوحى اليه بشدة ونجدة فكان عن أماء عبد الله المرسى وكان لصا خبيثا ولحق به جريح النصراني وكان من شرار النصارى وأولى بأسهم ولحق به أبو حرملة فيج التوبى وكان فائكا فعقله جابر على سمنهور ومخا وشرقيون وبنا فمضى أبو حرملة في جيش عظيم فأخرج العمال وجبى الخراج ولحق به عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي يقال له ابن الارقط فقومه أبو حرملة وضم اليه الاعراب ولادبا وبوصير وسمند فبعث يزيد أمير مصر بجمع من الاتراك في جمادى الآخرة فقاتلهم ابن الارقط وقتل منهم

ثم ثبوتاله فانهمز وقتل من أصحابه كثير وأسروهم كثير وخلق ابن الارقط بأبي حرمله في شريقون
فصار الى عسكر يزيد فانهمز أبو حرمله وقدم مزاحم بن خاقان من العراق في جيش فخار بآحرمله
حتى أسرى في رمضان واستأمن ابن الارقط فأخذ وأخرج الى العراق في ربيع الاول سنة ثلاث
وخمسين ومائتين ففر منهم ثم ظفريه وحبس ثم جل الى العراق في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين
بكتاب ورد على أحد بن طولون ومات أبو حرمله في السجن لاربع بقين من ربيع الآخر سنة ثلاث
وخمسين وأخذ جابر بعد سروب وجل الى العراق في رجب سنة أربع وخمسين وخرج في امرة
أرجون التركي رجل من العالوين يقال له بغالاكبر وهو أحد بن ابراهيم بن عبد الله بن طباطبا
ابن اسماعيل بن ابراهيم بن حسن بن حسين بن علي بالصعيد فخار به أصحاب أرجون وفر منهم فمات
ثم خرج بغالا صغره وهو أحد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين الاسكندرية وبرقة في جادى الاولى
سنة خمس وخمسين ومائتين والامير بومثنا أحد بن طولون وسار في جمع الى الصعيد فقتل في الحرب
وأتى برأسه الى القسطنطينية وخرج ابن الصوفي العالوي بالصعيد وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى
ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ودخل اسنا في ذي القعدة سنة خمس وخمسين ونهبا
 وقتل أهلها فبعث اليه ابن طولون بجيش فخار بوهفهم في ربيع الاول سنة ست وخمسين بهو
 فبعث ابن طولون اليه بجيش آخر فالتقى باخيم في ربيع الآخر فانهمز ابن الصوفي وترك جميع
 مامعه وقتل رجاله فاقام ابن الصوفي بالواحد سنتين ثم خرج الى الانميين في الحرمر سنة تسع وخمسين
 وسار الى اسوان لخاربة أبي عبد الرحمن العمري فظفريه العمري وبجميع جيشه وقتل منهم مقتلة
 عظيمة وخلق ابن الصوفي باسوان فقطع لأهلها ثلثمائة ألف نخلة فبعث اليه ابن طولون بعثا
 فاضطرب أمره مع أصحابه فمات منهم مضى الى عيذاب فركب البحر الى مكة فقبض عليه بها وجل
 الى ابن طولون فسجنه ثم أطلقه فصار الى المدينة ومات بها وفي اماره هارون بن بخارويه بن أحد
 ابن طولون أنكر رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيرا من أهل البيت فوثب اليه العامة
 فضرب بالسياط يوم الجمعة في جادى الاولى سنة خمس وثمانين ومائتين وفي اماره كالاغور على
 مصر كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون
 فاجتمع الناس في رمضان سنة خمس وثلثمائة الى دارد كاتشكروته على ما أذن لهم فيه فوثب الجند
 بالناس فنهب قوم وجرح آخرون ومحي ما كتب على أبواب الجامع ونهب الناس في المسجد
 والاسواق وأفطر الجند بومثنا وما زال أمر الشيعة يقوى بمصر الى أن دخلت سنة تسع وخمسين وثلثمائة
 ففي يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلشوم العالوية بسبب ذكر
 السلف والنوح قتل فيها جماعة من الفريقين وتغصب السودان على الرعية فكافوا اذ القوا أحدا

قالوا له من خالك فان لم يقل معاوية واللائطسوا به وسفوه ثم كثر القول معاوية خال علي وكان على باب الجامع العتيق شحيصان من العامة يناديان في كل يوم جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام معاوية خالي وخال المؤمنين وكتب الوحي ورد في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا أحسن ما يقولونه والافقد كانوا يقولون معاوية خال علي من هاهنا ويشيرون الى أصل الاذان ويقولون أبا جعفر مسلما الحسين فيقولون له ذلك في وجهه وكان بعصر أسود أصبح دأما معاوية خال علي فقتل بتيس أيام القائد جوهري والموردان غير بقيام بني حسن بمكة ومحاربهم الحاج ومنهم خرج خلق من المصريين في شوال فلقوا كافورا الانخسدي باليدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا معاوية خال علي فقبل أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبين وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة أخذ رجل يعرف بابن أبي الليث الملقب بنسب الى القشيع فضرب مائتي صوت ودره ثم ضرب في شوال خمسمائة سوط ودره وجعل في عنقه غل وجبن وكان يتقدم في كل يوم للملايخف عسه ويبصق في وجهه فمات في محبسه فحمل ليلا ودفن فحضر جماعة الى قبره لينبشوه وبلغوا الى القبر فقتلهم جماعة من الانخسدي والكافورية فأبوا وقالوا هذا قبر رافضي فثارت فتنة وضرب جماعة ونهبوا كثيرا حتى تفرق الناس وفي سنة ست وخمسين كتب في صفر على المساجد ذكر الصلابة والتفضيل فأمر الاستاذ كافورا الانخسدي بازالته فحدثه جماعة في اعادته ذكر الصلابة على المساجد فقال ما أحدث في أيامي ما لم يكن وما كان في أيام غيري فلا أزيله وما كتب في أيامي أزيله ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها ولم يدخل جوهري القائد بعساكر المعز الذين الله مصر وبني القاهرة فأظهر مذهب الشيعة واذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها حتى على خير العمل وأعلن بتفضيل علي بن أبي طالب على غيره وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسين والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم فشكله جماعة من أهل المسجد الجامع أمر بمحرم عمامة تشد في الطريق فأمر بها فحسبت فسر الرعية بذلك ونادوا بنادوا بالصلاة ونادوا معاوية خال علي وخال المؤمنين فأرسل جوهري بن خلفه ذلك رجلا الى الجامع فتأذى أيها الناس أقالوا القول ودعوا الفضول فانما حسبتا العجز رعيانة لها فلا ينطق أحد الاحت به العقوبة الموجهة ثم أطلق العجز وفدريع الاول سنة اثنتين وستين عزز سليمان بن عمرو المختص بجماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا معاوية خال علي بن أبي طالب فهم جوهري أن يحرق درجة الصيارفة لكن خشي على الجامع وأمر الامام بجمع مصر أن يجهر بالسهلة في الصلاة وكافوا لا يفعلون ذلك وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية وأمر في الموارث بالرد على ذوى الارحام وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم ولا يرث مع الولد الذكر والاثنى الا الزوج أو الزوجة والاخوان والحدة

ولا يرث مع الأم الأمن يرث مع الولد وخطب أبو الطاهر محمد بن أحمد قاضى مضر القائن جوهرًا
 في بنت وأخ وأنه كان قد حكم قديما للبنت بالنصف وللأخ بالباقي فقال لأفعل فلما ألح عليه قال
 يا قاضى هذا عداوة لغاطمة عليها السلام فأمسك أبو الطاهر ولم يزاجعه بعد في ذلك وصار صوم
 شهر رمضان والفطر على حساب لهم فأشار الشهود على القاضى أبى الطاهر أن لا يطلب الهلال
 لأن الصوم والفطر على الرؤية قد زال فانقطع طلب الهلال من مصر وصام القاضى وغيره مع
 القائن جوهر كما يصوم وافطروا كما يفطر ولم داخل المعز لدين الله إلى مصر ونزل بقصره من القاهرة
 المعز في آخر في رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فكتب على سائر الأماكن بمدينة مصر خیر
 الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وفي صفر
 سنة خمس وستين وثلاثمائة جلس على بن النعمان القاضى بجامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر
 وأملى مختصرأبيه في الفقه عن أهل البيت ويعرف هذا المختصر بالاختصار وكان جمعا عظيما
 وأثبت أسماء الحاضرين ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزير بالله زار بن المعز رتب في داره
 العلماء من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى لجمعهم الارزاق وألف كتابا في الفقه
 ونصب له مجلسا وهو يوم الثلاثاء يجمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وتجري بينهم
 المناظرات وكان يجلس أيضا في يوم الجمعة فيقرأ أمصنفاته على الناس بنفسه ويحضر عنده القضاة
 والفقهاء والقراء والنحاة وأصحاب الحديث ووجوه أهل العلم والشهود فإذا انقضى المجلس
 من القراءة قام الشعراء لئلا ساد هذا تمجدهم فيسه وجعل للفقهاء في شهر رمضان الأظهرة وألف كتابا
 في الفقه يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن أبى المعز بالله وهو محبوب على أبواب الفقه
 يكون قدره مثل نصف صحيح البخارى ملكته ووقفت عليه وهو يشتمل على فقه الطائفة
 الاسماعيلية وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه وبين يديه خواص الناس وعوامهم
 وسائر الفقهاء والفضلاء والأدباء وأقرب الناس به ودرسوا فيه بالجامع العتيق وأجرى المعز بالله
 لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلزمونه أرزاقا فانكفهم في كل شهر وأمر لهم ببناء
 دارا إلى جانب الجامع الأزهر فأنما كان يوم الجمعة تخلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى صلاة العصر
 وكان لهم من مال الوزير صلة في كل سنة وعدتهم خمسة وثلاثون رجلا وخلع عليهم العزير بالله
 في يوم عيد الفطر وجلهم على بغال وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة أمر العزير بن المعز بقطع
 صنلا التراب من جميع البلاد المصرية وفي سنة احدى وعشرين وثلاثمائة ضرب رجل بمصر
 وطيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله وفي شهر ربيع الاول
 بسنة خمس وعشرين وثلاثمائة جلس القاضى محمد بن النعمان على صكرسى بالقصر في القاهرة

لقرامة علوم أهل البيت على الزعم المقدم له ولاخيه بمصر بالمغرب فمات في الزجة أحد عشر رجلا
وفي جادى الاولى سنة احدى وتسعين وثلاثمائة قبض على رجل من أهل الشام سئل عن أمير
المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لأعرفه فاعتقه قاضى القضاة الحسن بن النعمان
قاضى أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على القاهرة المعزية ومصر والشامات والحرمين والمغرب
وبعث اليه وهو فى السجن أربعة من الشهود وسأله فأقر بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبى مرسل
وسئل عن على بن أبى طالب فقال لأعرفه فأمر قائد القواد الحسين بن جوهى بإحضاره فخلعه ورفق
فى القول له فلم يرجع عن انكاره رفته على بن أبى طالب فطولع الحاكم بأمره فأمر بضرب عنقه
فضرب عنقه وصلب وفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة قبض على ثلاثة عشر رجلا وضربوا
وشهروا على الجمال وحبسوا ثلاثة أيام من أجل أنهم صلوا صلاة الفجر وفى سنة خمس وتسعين
وثلاثمائة قرئ بجبل فى الجوامع بمصر والقاهرة والجزيرة بن تلبس النصارى واليهود والغيار والزناز
وغيارهم السواد غيار العاصين العباء سين وأن يشدوا الزناز وفيه وقوع وعش فى حق أبى بكر
وعمر رضى الله عنهما وقرئ بجبل آخر فيمنع الناس من أكل الملوخية الحبية كانت لمعاوية بن أبى
سفيان ومنعهم من أكل البقلة المسماة بالبحرير المنسوبة لعائشة رضى الله عنها ومن المتوكية
المنسوبة الى المتوكل والمنع من عجين الخبز بالرجل والمنع من أكل الدليس ومن ذبح البقر اذا
عاهة ما عدا أيام النحر فانه ذبح فيها البقر فقط والوعيد للخصاس متى باعوا عبدا أو أمة لذى وقرئ
سجل آخر بان يؤذن لصلاة الظهر فى أول الساعة السابعة ويؤذن لصلاة العصر فى أول الساعة
التاسعة وقرئ أيضا سجل بالمنع من عمل الفقاع وبيعه فى الاسواق لما يؤثر عن على بن أبى طالب
رضى الله عنه من كراهية شرب الفقاع وضرب فى الطرقات والاسواق بالجرس وفودى أن لا يدخل
أحد الجسم إلا بترز ولا تكشف امرأه وجهها فى طريق ولا تخلف جنازة ولا تبرج ولا يباع شئ
من السمك بغير قشر ولا يصطاده أحد من الصيادين وقبض على جماعة وجدوا فى الحمام بغير مترز
فضربوا وشهروا وكتب فى صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر
من ظاهره وباطنه من جميع جوانبه وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر والصخراسب السلف
ولعنهم ونقش ذلك ولون بالاصباغ والذهب وعمل ذلك على أبواب الدور والقياس وأكره للناس
على ذلك وتشارع الناس الى الدخول فى الدعوة فجلس لهم قاضى القضاة عبد العزيز بن محمد بن النعمان
فقدموا من سائر النواحي والضياغ فكان للرجال يوم الاحد وللتسايم يوم الاربعاء وللإشراف
وذوى الاقدار يوم الثلاثاء وازدحم الناس على الدخول فى الدعوة فمات عدة من الرجال والنساء
ولما وصلت قافلة الحاج منهم من سب العلمة وبطشهم ملايوصف فانهم أرادوا جل الحاج

على سبب السلف فأبوا خلعهم مكر ومشديد وفي جلدى الآخرة من هذه السنة فتحت دار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها القراء وحلت الكتب اليها من خزائن القصور ودخل الناس اليها وجلس فيها القراء والفقهاء والمجتمون والثناء وأصحاب اللغة والاطباء وحصل فيها من الكتب في سائر العلوم ما لم ير مثله مجتمعاً وأجرى على من فيها من الخدام والفقهاء الارزاق السنسية وجعل فيها ما يحتاج اليه من الخبر والاقلام والحبار والورق وفي يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلاثمائة كان من اجتماع الناس ماجرت به العادة وأعلن سبب السلف فيه فقبض على رجل نودى عليه هذا جزا من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم ومعهم الزعاع ما لا يقع عليه حصروهم بسببون السلف فلما تم النداء عليه ضرب عنقه واستهل شهر رجب من هذه السنة بيوم الاربعاء فخرج أمر الحاكيم بأمر الله أن يؤرخ بيوم الثلاثاء وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة قبض على جماعة ممن يعمل الفقاع ومن السماكين ومن الطباخين وكبست الجماعات فأخذت عدداً ممن وجدوا بغير مئزر فضرب الجميع لخالفتهم الامر وشهروا وفي تاسع ربيع الآخر أمر الحاكيم بأمر الله بمجموع ما كتب على المساجد وغيرها من سب السلف وطاف منولى الشرطة وألزم كل أحد بمجموع ما كتب على المساجد من ذلك ثم قرئ سهل في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة بأن لا يحمل شيء من النيزد والمزور ولا يتظاهره ولا يشئ من الفقاع والدينس والسمك الذى لا قشر له والتمرس العقن وقرئ جميل في رمضان على سائر المنابر بأن يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون صلاة الجنس الذين فيما جاءهم فيها يصاون وصلاة الفخى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون بخمس في التكبير على الجنائز المتخسون ولا يمنع من التبريع عليها المربعون يؤذن بجي على خير العمل المؤذنون ولا يؤذون من بها لا يؤذون ولا ينسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف والخالف منهم بما حلف لكل مسلم محتمد في دينه اجتاده والقرية معانده عنده كتابه وعليه حسابه وفي صفر سنة أربع مائة شهر جماعة بعد ما ضربوا بسبب بيع الفقاع والمواخي والدينس والتمرس وفي تاسع عشر شهر شوال أمر الحاكيم بأمر الله برفع ما كان يؤخذ من الجنس والزكاة والقطرة والجوى وأبطل قراءة مجالس الحكمة في القصر وأمر برد التشويب في الاذان وأذن للناس في صلاة الفخى وصلاة التراويح وأمر المؤذنين بأسرهم في الاذان بأن لا يقولوا حي على خير العمل وأن يقولوا في الاذان للفقير الصلاة خير من النوم ثم أمر في ثلثي عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربع مائة باعادة قول حي على خير العمل في الاذان وقطع التشويب وترك قولهم الصلاة خير من النوم ومنع من صلاة الفخى وصلاة التراويح وقبح باب الدعوة وأعيدت قراة المجالس بالقصر على ما كانت وكان بين المنع من ذلك

والاذن فيه خمسة أشهر وضرب في جمادى من هذه السنة جماعة وشهروا بيع الملوخيا والسملك
الذى لا قشر له وشرب المسكرات وتتبع السكرى فضيق عليهم وفي يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان
سنة إحدى وأربع مائة وقع قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى الى سائر اليهود والامناء بخروج
الامر العظيم بان يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الاحد وفي شعبان سنة اثنين وأربع مائة قرئ
مجل يشدد فيه السكر على بيع الملوخيا والفقاق والسملك الذى لا قشر له ومنع النساء من الاجتماع
في الماسم ومن اتبع الجنائز وأحرق الحياكم بأمر الله في هذا الشهر الزيب الذى وجد في مخازن
التجار وأحرق ما وجد من الشرط وجمع مبادئ السملك وحلقهم بالاعيان المؤكدة ان لا يصطادوا
ممكنا بغير قشر ومن فعل ذلك ضربت عنقه وأحرق في خمسة عشر يوما ألفين وثمانمائة وأربعين قطعة
زيب بلغ ثمن النفقة عليها خمسمائة دينار ومنع من بيع العنب الأربعة أربال فلاونها ومنع من
اعتصامه وطرح عنبا كثيرا في الطرقات وأمر بدوسه فامتنع الناس من الظاهر بشئ من العنب
في الاسواق واشتد الامر فيه وغرق منه ما حل من النيل وأحصى ما بالبحيرة من الكروم فقطف
ما عليها من العنب وطرح ما جمعه من ذلك تحت أرجل البقر لدوسه وفعل مثل ذلك في جهات
كثيرة ونحتم على مخازن العسل وغرق منه في أربعة أيام خمسة آلاف جرة واحد وخمسين جرة فيها
العسل وغرق من عسل النحل قدرا حدى وخمسين زيرا وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربع مائة
اشتد الانكار على الناس بسبب بيع الفقاق والزيب والسملك الذى لا قشر له وقبض على جماعة
وجدهم ذيب فضربت أعناقهم وسجنت عدتهم وأطلقوا وفي شوال اعتقل رجل ثم شهر
وفودى عليه هذا جزاء من سب أبابكر وعمر وبين الفتن فاجتمع خلق كثير بباب القصر فاستغاثوا
لا طاقة لنا بمخالفة المصريين ولا بمخالفة الحشوية من العوام ولا صبر لنا على ما جرى وكبروا قصصا
فصرقوا ووعدوا بالجهنم في غديبات كثير منهم بباب القصر واجتمعوا من الغد فصاحوا ونجحوا
فخرج اليهم قائد القوادعين فنهاهم وأمرهم عن أمير المؤمنين الحياكم بأمر الله أن يمشوا الى معانيهم
فانصرقوا الى قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقى وشكوا اليه فبصرهم من ذلك فخصوا وفيهم من سب
السلف ويعرض الناس فقرئ مجل بالقتل بالترحم على السلف من العجاجة والنهي عن الخوض
في ذلك وركب مرارة فرأى لوطا على قيسارية فيه سب السلف فأنكره وما زال واقفا حتى قلع وضرب
بالحرس في سائر طرقات مصر والقاهرة وقرئ مجل يتبع الاطواح المنصوبة على سائر أبواب القباسر
والخوانيت والدور والخانات والارباع المستقلة على ذكر العجاجة والسلف الصالح رجعهم الله
بالسب والعن وقلع ذلك وكسره وتعقبة أثره ومحو ما على الحيطان من هذه الكتابة وأزاله جميعها
من سائر الجهات حتى لا يرى لها أثر في جدار ولا نقش في لوح وخذرفيه من الخافض وهذا العقوبة

ثم انتقض ذلك كله وعاد الامر الى ما كان عليه الى أن قتل الخليفة الآخر بإحكام الله أبو علي المنصور ابن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد وثار أبو علي أحمد الملقب بكيفات ابن الاضل شاهنشاه بن أمير الجيوش واستولى على الوزارة في سنة أربع وعشرين وخمسائة وسجن الخافظ لدين الله بابا الميمون عبيد المجيد بن الامير أبي القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله وأعلن بذهب الامامية والدعوة للامام المنتظر وضرب دراهم نقشها الله الصمد الامام محمد ورتب في سنة خمس وعشرين أربعة قضاة اثنان أحدهما مامى والاخر اسماعيلي واثنان أحدهما مالكي والاخر شافعي حكّم كل منهم بذهبهم وورث على مقتضاه وأسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الصادق وأبطل من الأذان حتى على خير العمل وقولهم محمد وعلي خير البشر فلما قتل في الحرم سنة ست وعشرين عاد الامر الى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية وما برح حتى قدمت عساكر الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من دمشق عليها أسد الدين شيركوه وولى وزارة مصر الخليفة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن الامير يوسف بن الخافظ لدين الله ومات فقام في الوزارة بعده ابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في جادى الاخرة سنة أربع وستين وخمسائة وشرع في تغيير الدولة وازالها وجرى على العاضد وأوقع بأمراء الدولة وعساكرها وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ومدرسة للفقهاء المالكية وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وفوض القضاء لمدبر الدين عبد الملك بن دربان الماراني الشافعي فلم يستب عنه في اقليم مصر الا من كان شافعي المذهب فقتلهم الناس من حيثئذ بذهب مالك والشافعي واختفى مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية حتى فقس من أرض مصر كلها وكذلك كان السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن اقسقر خنفيافيه تعصب فنشر مذهب أبي حنيفة رحمه الله ببلاد الشام ومنه كثرت الخنيفية بمصر وقدم اليها ايضا عدة من بلاد الشرق وبني لهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة السيوفية بالقاهرة وما زال مذهبهم يتشرب ويقوى وفقهاؤهم تكثروا بمصر والشام من حيثئذ. وأما العقائد فان السلطان صلاح الدين جل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري تليد أبي علي الجبائي وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر كالمدرسة الناصرية بمجوار قبر الامام الشافعي من القرافة والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية بمجوار جامع عمرو بن العاص بمصر والمدرسة المعروفة بالقمحية بمصر وخانكا سعيد السعداء بالقاهرة فاسقر الحال على عقيدة الاشعري بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضا لادخال محمد بن توجرت رأى الاشعري اليها حتى انه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث ان من خالفه ضرب بعنقه والامر على ذلك الى اليوم ولم يكن في الدولة الا يوسية بمصر

كثير كالمذهب أى خنيفة وأحمد بن حنبل ثم اشتمر مذهب أبى حنيفة وأحمد بن حنبل فى آخرها فلما كملت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ولّى عصره والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعى ومالكى وحنفى وحنبل فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وسفاهة حتى لم يبق فى مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الأربعة وعقيدة الاشعرى وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والرباط فى سائر ممالك الاسلام وعودى من غذهب بغيرها وأنكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس أحد مالم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب وأفتى فقهاء هذه الامصار فى طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها والى هذا الى اليوم (من المقربرى)

فى آراء القدماء فى حقيقة بحيرة جزيرة العرب

اعلم أن بلاد العرب بالالة واسعة مساحة سطحيها تساوى ضعف سطح مملكة فرانسا تقريبا وقد قدر أهل هذا العصر من علماء أوروبا مسطحها بمائة وستة وعشرين ألف فرسخ مربع يحيط بها الماس من ثلاث جهات وتتصل من الجهة الرابعة بأفريقية وآسيا وهى منعزلة عنهم من الجهات الثلاث فى الجهة وحدها من الشرق والجنوب والغرب الخليج الفارسى وبحر الهندو البحر الأحمر ومن الشمال الغربى برزخ السويس وأما خط نهايتها من الشمال فبداة غزة وهى مدينة من أقدم فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط فيمر بجنوب بحيرة الجراميت وشرق نهر الاردن أى نهر الشريعة ثم ينددلك الخط من دمشق الى نهر الفرات حتى ينتهى الى الخليج الفارسى (١) وكان القدماء لا يعرفون وصف داخل بلاد العرب بل لم يكن لليونان والرومان ابداء راية تامة بتقسيمها الى أقسام حتى ان المؤرخ هيرودوتوس اليونانى الذى ساح كثيرا فى البلاد وجع كثيرا من القوائد

(١) اذا أردت ان تعرف جغرافية جميع بلاد العرب فراجع كتاب كل وترفد ذكر فى المجلد الثالث عشر من مؤلفه المطول أسماء جميع المؤلفين الذين كتبوا قبله فى هذه المسئلة وكتاب يابرا المنصن تخطيط بلاد العرب ومقدمة المؤلف بوشنغ الذى ذكرها جغرافية قسم آسيا وكتاب كلوس فرستر المؤلف الاكبر فى جغرافية بلاد العرب فى الارمان العتيقة والكتاب المسمى بالاجمات الجغرافية والتاريخية المتعلقة ببلاد العرب تأليف موسيو جومار (سنة ١٨٣٩ ميلاديه بمدينة باريس) فانه يحتوى بغاية الدقة والضبط على تلخيص مؤلفات الانجلى فى هذا الزمان المتعاقبة بجغرافية بلاد العرب

وراجع أيضا حقيقة ٢٤٨ من المجلد الثانى من ترجمة تأليف هينلدا التسموى الى اللغة الفرنسية وفى وصف القيموس أى العالم ١٨

النافعة المتعلقة باخلاق قدماء كل من المصريين وأهل ازربيجان قد اقتصر على ذكر عبارات قليلة في بحيتجزيرة العرب عند الكلام عليها ثم جاء بعده كل من ايرانيستينس واغاثرشيدس وبليناس وأريان بنفخهمزقوسراامشدة واسترابون وديودورالسيبيلياني فدوونالنافي شأهمأقواند أكثرعماذ كرمذلك المأوخ ولكنهم عزوا في غالب عباراتهم إلى بلاد العرب ما يجلب اليهم من محصولات الهندستان التجارة

والظاهر أن بطليموس القاذي كان أعلم المؤلفين الاقدمين جميعا بحقيقة حال بلاد العرب ولامه تيسره الوقوف على اخبار صحيحة في شأنها من حيث ان قربها من االة مصر جعلها مفتوحة لمن أراد ان يعرف حقيقة حالها من سكان شواطئ النيل ومع ذلك فما وصل اليها من تقسيماتها ليس الا جهتا واولا لم يقم تقسيمه احدث من علماء الجغرافية من الغرب حيث قسم بلاد العرب الى ثلاثة أقطار كبار وهي الحجاز ونجد والعين وهي ثلاثة أسماء تدل في الواقع ونفس الامر دلالة كافية على طبيعة الاقطار المسماة بها بالنظر الى تخطيطها العام فاما القسم الاول وهو الحجاز فجعله شاملا للبحيتجزيرة التي بين الخليجين المتفرعين من البحر الاحمر في نهايته الشمالية وأما الثاني وهو نجد فجعله ممتدا من شرقي هذين الخليجين الى حدود الشام وميزو بتامة أي (جزيرة النهرين دجلة والفرات) ومن الجهة الشرقية من مبدأ طول الخليج الفارسي الى بحر الهند وأما ما عداهما أعني الجزء الجنوبي من بلاد العرب فجعله عبارة عن بلاد اليمن وعذ في اى زمانه ستة وخسين قوما مختلفا ومائة وستا وستين ما بين مدن وميناء وقرى منها ست مدائن كبيرة وخمس مدائن ماو كية (١) ولم تنق كلمة المؤلفين في تحديد امتداد هذا القسم الثالث فقد بالغ بعضهم في تقدير مبالغة خارجة عن حد القياس وحصره الآخرون بين الجبال المجاورة للاقيانوس الهندى (بحر الهند) وانه ليسهل على الانسان ادراك الاختلاف الذي بين هذين القولين بمجرد امعان الفكر والنظر في تلك المسئلة من غير اعتبار ما قبل فيها انها الحق وأقول ان آراء العرب في تقسيم تحديد تلك البحتجزيرة هو الاحسن فانها توافق جميع مادون من وآراء العرب في سائر الاصر وتطابق شكل البلاد مطابقة تامة

فاما حدودها العامة فهي الحدود التي قد أسلفنا ذكرها غير أنها لا تشمل على رأيهم بحتجزيرة طورسينا ولا صحارى كالمه والشام كما يطم من ترجمة جغرافية الادريسي (٢)

(١) لا بأس بأن نقابل ما ذكره بطليموس القاذي في المقالة الخامسة والمقالة السادسة من جغرافيته بما ذكره استرابون في المقالة السابعة عشر من جغرافيته اه

(٢) راجع تحقيقى ١٣٠ و ١٤٧ وما بعدهما من ترجمة الخواجه أيبديورتل كجاب جغرافية الادريسي اه

(فذكر ما اختاره العرب في تقسيم بلادهم والكلام على بحيثجزيرة طورسينا

وصحارى الشام وكلده وغيرهما وبلاد العرب الحقيقية)

أما بحيثجزيرة طورسينا فهي منحصرة قماين خليج السويس وخليج ايلة وتتمس من جهة الشمال الى البحر الميت (أى بحيرة اسفلتيت) وكانت برارها الرحبة مسكنا للعربين بعد خروجهم من مصر ثم صارت فيما بعد اقليار ومايا يسمى بفلسطين الثالثة

وكانت مدينة بتره (١) كرسى حكومته وكانت جبال طورسينا وحوار وعرب بحال لليلة من الزفائع والحوادث العظيمة المذكورة في التوراة وأما صحارى الشام والجزيرة وكلده وتعرف المواضع الثلاثة الآن بصحارى دمشق وحلب وبغداد وبصرى) فانها تنقسم سكانا لثلاثى (أسا الصغرى) وبلاد الفرس (الهمج) من الوصول الى بحيثجزيرة العرب وكان اقفاؤها أرضها يقتضى زهاء المائتين الف فاحين فيها لولم يكن بها طريق للارين بالتاجر فان المرو من تلك المفاوز كان يختصر الطريق اختصارا كبيرا للتجار الناقلين لمحمولات الهندستان الى بلاد أوروبا وكذلك طريق التجار الناقلين الى الامم الشرقية لمحمولات اليونان وبلاد ايطاليا وسان ذلك ان الانسان اذا سافر من مصب نهر الفرات على طريق مستقيم الى دمشق يصل من هناك بسهولة الى مينات البحر الابيض المتوسط يختلف ما اذا سافر في النهر المذكور صاعدا جهة جبال ارمينية فانه يجبر على اجتيازها ولا بد له ايضا من المرور بطول جميع الاناضول فتكون مصاريق ذلك السفر حسيمة جدا فهذا هو السبب الاكبر في كون مدينة بلمرة أى (تدمر) المبنية في تلك الصحراء عتيها كانت في سالف الزمان ذات أهمية عظيمة جدا فكانت تجتمع القوافل التجارية وتحقق الامنية للتعولات من المتاجر ولما خرب الجيوش الرومانية صارت العربان بالتسريح هم أصحاب الحكم على هاتيك الطرق الموصلة قماين المشرق والمغرب ولما كانوا متعودين على المعيشة البدوية اى التزول والترحال

(١) قد عثرنا على تخطيط عجيب الوصف لجبل مدينة بتره أو بطره في ضمن تاريخ الماليك سلاطين مصر والشام الذى يدونه العلامة المغربي وترجمه الخواجه كتر ميرا الى اللغة الفرنسية فراجع من ترجمته صحيفة ٢٣٦ وما بعدها من القسم الثالث من المجلد الثانى وقد كانت بطر مفتاح الطريق المادى وسط صحراء بلاد العرب وكانت القوافل المسافرة من دمشق الى مكة أو الى الرجعة من مكة وسائر جموع التجار وجميع الجيوش التى كانت تنافر من تحت بلاد الشام الى تحت بلاد مصر لا بد لها من ان تهاجر من المرو من جنب هذه المدينة أو من ضواحيها واذا كان رجل واحد يقعد وسط ديين العرب التى فى تلك الاراضى المنقطعة كان يمكنه ان يقطع الدرب على مائة فارس فلا يستطيعون المرور به وراجع ايضا اذا اردت تخطيط هذه الولاية كتاب الخواجه بركارسمى تخطيط الارض القلعة وكتاب ارباى وكتاب منجل بالغة الانكليزية فى الكلام على مصر والنوبة وكتاب بكره دسمى بالساحة فى بلاد الشام وغير ذلك من الكتب التى دونتها الا فرج

عارفين حقيقة قواهم الحربية صاروا ملوكا يتصرفون كما شاؤوا في تلك البقاع التي لم ينازعهم فيها أحد بعد ذلك ثم ظهر في تلك الاقطار تدرجاً بملك الحيرة والابصار وقبيلة النبط (١) ذات الشوكه وقبائل غسان

وفي خلف تلك البراري من جهة الجنوب بلاد العرب الحقيقية وتنقسم الى ثمانية أقاليم (الاول) اقليم الحجاز وهو في الجنوب المشرق من بحيرة طور سيناء وبطول ساحل البحر الاحمر (الثاني) اقليم اليمن وهو في جنوب الحجاز (الثالث) اقليم حضرموت وهو على ساحل البحر الهندي وفي شرق اليمن (الرابع) اقليم مهرة وهو في شرق حضرموت (الخامس) اقليم عمان ويتصل به من جهة الشمال الخليج الفارسي ومن الجنوب والشرق بحر الهند وحده من الجنوب الغربي اقليم مهرة (السادس) اقليم الحسا ويسمى أيضاً اقليم البحرين بسبب أهمية الجزر التي تجاوره ولا تمتداده بطول الخليج الفارسي من ابتداء اقليم عمان الى نهر الفرات (السابع) اقليم نجد وهو في جنوب بحار الشام وشاغل جميع الجزء الاوسط من بحيرة العرب أعنى ما بين الحجاز والحسا واقليم اليمامة أو العروص الذي كان به مدينة هجر وغالبه هضاب رملية (الثامن) اقليم الاحقاف وهو بين عمان والحسا ونجد وحضرموت ومهرة واننا نعرف الآن وصف جميع هذه الاقاليم على حد سواء لان السياحين (٢) من الفرنج وإن وصلوا الى تخطيط بعض تلك الاقاليم لم يجدوا سبيلاً الى تخطيط البعض الآخر وهناك ما نعت كبر من ذلك وهو اننا نألف والرسوم التي عملها الاورنج الى أيامنا هذه في خصوص بلاد الحجاز واليمن اللذين تفرغوا لها أكثر من غيرهما لم تزل مشحنة على مواطن كثيرة خلية من القطيط بل لم تن حدودهما بالضبط والدقة الا بعد الجهد

(١) قد ذكرنا الخواجة كثير في تذكرته التي ضمنها الكلام على النبط (وطبعها وأشهرها سنة ١٨٣٥ ميلادية) فوائدها أكمل وأتم ما حكى في شأن هؤلاء القوم وكان استمداده اليها من كلام المقرئ والمعيد وعربان خلدون وغيرهم

(٢) راجع صحيفة ٩٣ من كتاب الخواجة جو مار المسمي بالابحاث الجغرافية وكتاب تخطيط بلاد العرب تأليف الخواجة بركهرد وقد ذكرنا الخواجة ابريس فيما نرى من مطبوع ترجمته لمكبر بركهرد المذكور أكثر من ثلاثين سياحة وصقبة لمؤلفين من الفرنج منها ما هو باللغة البرتغالية أو اللاتينية أو الفرنسية ومنها ما هو بالامانية أو الانكليزية وغير ذلك تتضمن تخطيط بحيرة العرب وأخبارها ويمكن أن نعلم من هؤلاء السياحين المخاطرين بأنفسهم في هذا العصر الاخيرة الخواجة سيتران أكبر مخاطر حيث لم يخش من اظهار الدخول في دين الاسلام حتى وصل الى الجولان في داخل البلاد العربية وكذلك انقطا نسيرويه الذي صار من أحد خليجي بلاد العرب الى الخليج الاخر وكذلك موسيو ونسزو والخواجة ياديه والخواجة بركهرد الذي سمى أولهم نفسه باسم الشيخ منصور والثاني باسم الشيخ علي والثالث باسم الشيخ ابراهيم وغير ذلك من الفرنج المتكبرين بلوغ مقصدهم وهي معرفة بلاد العرب حتى المعرفة

حتى ان الفرنج كانوا يجبهون أيضاً في هذا العنصر الاخير وجود بلاد درجة سجنى عسرا وهي متصلة بكل من الاقلين المذكورين ويعمرها قوم أولوعزم واقدام (١) على الحرب فإذا كان هذا حال معرفتهم بسواحل البحر الاحمر الذى يسهل الدخول فيه بسبب وضعه الطبيعي فما بالك بدخول بلاد العرب الذى لم يطلع على جميع طوله الا فرنجي واحد وهو (الخواجه سينزان) مرة واحدة حيث جابه من الخليج الغربى الى الخليج الشرقى أى من سواحلها الجنوبية والشرقية التى قد شرعت الانحطالاً فى أخذ رسمها فى الجلة (٢)

فى تخطيط الحجاز

أقول ان وصف الحجاز يجذب النفوس ويشوقها اليه أكثر من غيره لاشتماله على أعظم مدائن بلاد العرب وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة اسماء قديما يثرب فاما مكة وهى التى كان فيها مسقط رأس النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكانت تسمى فى قديم الزمان مكوراية فلهم من منذ عدة قرون كانت محل الفتح الى الناس وتقصد للعبادة فى هيكل الكعبة وأمام حجر اسود يقولون انه نزلت به ملائكة من السماء فى زمن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأما المدينة المنورة فلا بد لها من أن تكون مقارنفة لمكة ولما كان هاتان المدينتان منشأتين داخل تلك الاراضى لم يكن لهما من الارض المحيطة بهما ما يكتفى فى قوت سكانهما فكانتا يستمدان ما يلزم لهما من المؤونة من مدينتين آخريين على البحر الاحمر كاتامي: تين لهما الاولى ينبع وهى المينا الموصلة الى المدينة والثانية جده وهى المينا الموصلة الى مكة ويتخلل أرض الحجاز كيسان رمال وأكام خضبة وهى الساكن المعنادة للقبائل وحولها قرى وضباع وفى تلك الاكام قلاع ذات ملحاً أمين عند هجوم الاعداء عليهم وينتج عن حداثتهم بعض خبواب وأغاروكلا للواشى وعيون ما نابغة وبقرى احدى تلك الاكام

(١) ان المسبوج وماز هو الذى قدمه فى كتابه المسمى بالابحاث الجغرافية وهو الذى روى خبرها ولا بأس بأن يقابلها القارئ بالخرطة التى صورها الخواجه قلندى فى ضمن الاطلس الذى ضمه الى وصف سياحته فى الشرق وأنراجع أيضاً خرطة البحر الاحمر من فوق فى مرحلة تصوي رسيمو رسيماى الانكليزى وغير ذلك من الخرائط وكذلك تأليف مسيو كامينيه المسمى بالسياحة فى بلاد العرب الذى اشتهر سنة ١٨٤٠ ميلاده (الموافق سنة ١٢٥٦ هجرية)

(٢) راجع من الكتب المسمى بجبال جمعية الجغرافيين عند بوناردن كلامن المجاهد الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع فقد ذكر فيها فوائد وأخبار مفيدة تتعلق بالاستكشافات التى فعلتها أخصباط بحار الدولة الانكليزية واما الخريطة التى ذكرها الفيلان استانفرد بلز ورث هينس للسواحل الجنوبية من بلاد العرب أو لها أو أجلها فائدة وراجع أيضاً سياحة الخواجة كروتيدان من مدينة نخا الى مدينة صفاة وسياحة الخواجة ولستفى سواحل عمان وغير ذلك

مدينة الطائف وهي بستان مكة التي لقوا كهة شهرة عظيمة ويلقب بالجزائر أرض تهامة وهي البلاد المتمدنة من سفح الجبال الى البحر وفيها مدينة قنفذة غير أن علماء الجغرافيا لا يلقون اسم تهامة الا على جميع الساحل لمقابلته بنجد الذي معناه المحل المرتفع المتجوز في داخل الارض ويقولون ان تهامة انجاز غير تهامة عسير وتهامة العين التي بنجد مبدؤها من خولان الى عدن (١)

في وصف اقليم اليمن

يطلق لفظ اليمن على الجزء الجنوبي من جزيرة العرب وانما يسمى بذلك لشهرته للبركة واليمن وفي شمالة بلاد عسير ولما كانت سكانه تخالط على الدوام كلا من المصريين والاثيوبيين والفرس وجميع الامم التي تنافس سفنها في بحر الهند سلكو اوطار بقة منتظمة في حكومتهم من منذ احقاب وكان القدماء يسمونهم بنجر بكسر الجاء وسكون الميم وفتح المثناة الفتحية ولم يكن لهم اشتغال بالفلاحة والتجارة ومع ذلك فلم يعثروا على محصول أرضهم الحقيقي الا في آخر الزمان الا وهو البن الذي قد عمت تجارته جميع أسواق الدنيا فلو كان عندهم مهارة أكثر مما هم عليه في استعمال دواليب الفلاحة والانتها وكان لهم اختراع طريقة في ارض وسقيها أحسن من الطريقة التي اعتادوها لآدمهم أن يزدوا أيضا محصول البن الذي هو ينبوع غناهم فان اعتدال مزاج ذلك القطر وارتفاع اراضيه ووطوبتها تعين على نمو شجرة البن أكثر من نموها في غيره من البلاد بل فيه الآن عدة تمدن أصل رفاهيتها تجارة البن فقط وهي مخا وحديد ولديه وعدن وكان يقل أيضا من مينات جزيرة العرب تبر ومواد عطرية زكية الرائحة الى البلاد الاجنبية ولكن العرب يستدون من جزائر بحر الهند معظم المعادن النفيسة والبهارات الزكية التي يعيشون بها الى البلاد الاخرى بواسطة الخليج العربي والخليج الفارسي وتعد أيضا في جملة المدائن التي مدينتها السماة أيضا مارب ومدينة صنعاء التي كانت تنافس مكة مدة قرون عديدة في الاختصاص بلقب تخت جزيرة العرب حتى ان المولاي الذين كانوا حاكمين على اليمن وهم التابعة ومن خلفهم عليها من عمال الفرس والحشبة كانوا يتخذونها دار اقامتهم وهي الان أيضا دار اقامة أقوى أمراء اليمن شوك

(١) قد وصف لنا الاسكان مدينة عدن التي هم الان يستولون عليها بانها قرية متهممة ليس فيها من السكان الاستوائية نفس (كل من جهة النواحي هين في العجيفة ١٣ من كاه) وان الانسان اذا طاف برأس مريخ شاهد ما على بعد وهي عاصمة من جهة البراكام محدودة القلال والجزء الشرقي منها مطلى على البحر وتجاهها على خط مستقيم جزيرة صغيرة محصنة تسمى جزيرت سر وهي المحامية والممانعة بتحصيناتها من خليج أوجون عدن وان مدينة عدن محصنة بوضعها على بقايا البحر الاخر فأحسن وضعها وانه ليسل تجديدا الاستحكامات القديمة التي كانت تحصن بها في القرن السادس عشر بعد الميلاد لمنع البرتغاليين من الوصول الى مقاصدهم وراجع صحيفة ٤٨٤ من المجلد الاول وصحيفة ٧١ من المجلد الثاني من تأليف النواحي لافيتو الذي سماه بتاريخ استحكامات البرتغاليين وقتوحاتهم وغير ذلك من الكتب

في وصف اقليم حضرموت ومهرة و عمان والمحسا والاحقاف ونجد

أما اقليم حضرموت الذي منه مدينتا ظفار وشيبان فإنه يتصل باليمن ومزاج فطره مكرزاجه قريبا ويشترك معه في مزايده الطبيعية وكان القدماء يرغبون في كبرية في العود الفاقل الذي ينتج في ذلك الاقليم . وأما اقليم مهرة فإنه أقل منه خصوصية فتستعير سكانه وسائل معيشتهم واحتياجاتهم من البلاد الاخرى والبحر في هذا المكان كثيرا السمك جدا حتى انه ليحصل من سمكه ما تقنات به الموالين فضلا عما يقنات به الناس . وأما اقليم عمان فإنه بالنظر لوضعه تجاه الهندستان كان يمكن أهله أن يستجلبوا منها جميع محصولاتها لو كان عندهم شيء يصلح للقايشة . ولكن من سوء حظ الاقليم المذكور انه لا ينتج منه الا قليل من النحاس والاسرب والتمر وقليل من البقول ومن ثم لم يحظ بالظهور التجاري العظيم الذي كان يكسبه له حسن وضعه بلا شك . وأما اقليم المحسا فيشتمل جميع ساحل الخليج الفارسي من اشداء أرض عمان الى بصرى ويدومنه للسافرين في البحر تجاه سواحل أسواق المناظر كآبة وخرابا غير أنه اذا جاء فصل غوص البحر لأخراج اللؤلؤ تغير جميع منظره وصار مرمى كرتجارة عظيمة . وسبب ذلك أن القبائل الساكنة عادة في داخل البلاد تبادر في ذلك الاوان بالمجي الى سواحل البحر ليتخاطبوا ويتعاملوا مع سكان السواحل وسكان جزائر البحرين فينزل اذئذ المدينة القلطيف والمحسا والقطا وجرين (بكسر الجيم وفتح الراء وتسليل المنة القسية) أنواع من ذوى الحاجات والهرج وقلة الاتظام بعد ان كانت قبل هذا الفصل خالية من السكان فاذا انقضى زمان غوص اللؤلؤ رحلت تلك القبائل وتركزت تلك المدائن وذهب التجار مبتاعهم الى أسواق الهندستان وبلاد الفرس ولا يصير اقليم المحسا بعد ذلك الا بلقعا رجا (١)

والى هنا قد فرغنا من الكلام على السنة أقاليم البحرية من حيث جزيرة العرب وهي اقليم الحجاز واليمن وحضرموت ومهرة و عمان والمحسا . وأما الاقليمان الباقيان فيمندان في داخلها الاول اقليم الاحقاف الذي هو اية مقفرة يلقون بها في بعض الكتب أرض العيامة وحاله مجهول بالكيفية عند الانرج . والثاني اقليم نجد ونعرف انه يشتمل على عدد كثير من الواحات وأن فيه مراعى نفيسة وأن خيله وبجالة مشهورة بالقوة لأن هنما البلاد لم يصفها أحد في الزمن السالف ووصفا تاما (٢) غاية الارب في تاريخ العرب

(١) راجع صحيفة ٢٩٤ من كتاب نياجر السمي مخطوط بلاد العرب ويمكن أن يبلغ القارئ في ذلك الكتاب على توضيحات كثيرة مفصلة تتعلق بمصولات بلاد العرب وتجارتها

(٢) قد نسي نياجر في صحيفة ٢٩٦ من كتابه على شهرة اقليم العروض ومدينة الحميرية في بلاد نجد وعلى شهرة اقليم البحرين المنتهى الى بلاد اليمن والمشتغل على ندية العيامة

ذكر فتح مصر

قيل في هذه السنة فتحت مصر في قول بعضهم على يد عمرو بن العاص والاسكندرية أيضا وقيل فتحت الاسكندرية سنة خمس وعشرين وقيل فتحت مصر سنة ست عشرة في ربيع الاول وبالجملة فينبغي أن يكون فتحها قبل عام الرمادة لأن عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القلزم من مصر إلى المدينة والله أعلم وقيل غير ذلك وأما فتحها فانه لما فتح عمر بن المقدس وأقام به أياما وأمضى عمرو بن العاص إلى مصر واتبعه الزبير بن العوام فأخذ المسلمون باب اليون وساروا إلى مصر فلقبهم هناك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الاسقف بعنه المقوقس لمنع بلادهم فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل اليهم لانهجوا حتى نهدوا اليكم ولينزلوا أبو مريم وأبو مريم فكفوا وخرجوا إليه فدعاهما إلى الاسلام أو الجزية وأخبرهما بوضعية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر بسبب هاجر أم احماس عيل عليه السلام فقالوا قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلى الانبياء آمنا حتى ترجع اليك فقال عمرو مثلي لا يخدع ولكني أؤجلكم ثلاثا لتتظنوا فقالا زدنا فزادهم يوما فرجعوا إلى المقوقس فأبى أن يطبوا أن يجيئهما وأمر بمناديتهم فقال لاهل مصر أمان نحن فسبحه الله أن تدفع عنكم فلم يقبلا عمرا إلا بالبيات وهو على عدة فلقوه فقتل اوطبون وكثير من معه وانهمز الباقيون وسار عمرو والزبير إلى عين الشمس وبها جمعهم وبعث إلى فرما ابرهة بن الصباح وبعث عوف بن مالك إلى الاسكندرية فنزل عليها قيل وكان الاسكندرو فرما أخوين ونزل عمرو بعين الشمس فقال أهل مصر لملكهم ما تريد الا قتال قوم هزموا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم فلا تعرض لهم ولا تعرضنا وذلك في اليوم الرابع وناهذوهم وقاتلوهم فلما التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا جال المسلمون فذهرهم عمرو فقال لهم رجل من اليمن انالم تخلق من حديد فقال له عمرو أسكت انما أنت كلب قال فانت أمير الكلاب فنادى عمرو بإصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأجابوه فقال تقدموا فبكم نصر الله فتقدموا وفيهم أبو بردة وأبو بردة وتبعهم الناس وفتح الله على المسلمين وظفروا وهزموا المشركين فارتقى الزبير بن العوام سورها فلما أحسوه فحقوا الباب لغزو وخرجوا اليه مصالحين فقبل منهم ونزل الزبير عليهم عبوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم ففقدوا وصلها بعدما أشرفوا على الهلنكة فاجروا ما أخذوا عنوة مجرى الصلح فصار وادمة وأجروا من دخل في صلحهم من الروم والنوبة مجرى أهل مصر ومن اختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه واجتعت خيول المسلمين بمصر وثبوا القسقاط ونزلوه وجاء أبو مريم وأبو مريم إلى عمرو وطلبوا منه السبايا التي أصيبت بعد المعركة فطردهما فقالا كل شيء أصبتموه منذ فارقناكم إلى أن رجعنا اليكم ففي ذمة فقال عمرو لهما أغيرونا علينا وتكونون في ذمة قالوا نعم فقسم عمرو بن العاص السبي على الناس

وتفرق في بلدان العرب وبعث بالانخاس الى عمر بن الخطاب ومعها وفد فاخبروا عمر بن الخطاب
بجألهم كله وبما قال أبو مريم فرد عمر عليهم - بي من لم يقاتلهم في ثلث الايام الاربعة وترك سي
من قاتلهم فردوهم وحضرت القبط باب عمرو وبلغ عمر أنهم يقولون ما أثارت العرب ماراً بمنزلنا
دان لهم تخاف أن يطعمهم ذلك فأمر بجزور فطجعت ودعا أمراء الاجناد فاعلموا أنهم قاتلهم فحضر
عندهم وأكلوا كلاً عرياً تشكوا وحشوا وهم في العباء بغير سلاح فازداد طمعهم وأمر المسلمين
أن يحضروا الغد في باب مصر واحد يتهم فقهوا وأذن لاهل مصر فقرأوا شيأ غير ماراً وأبالامس
وقام عليهم القوام بالوان مصر فأكلوا أهل مصر فارتاب القبط وبعث أيضاً الى المسلمين
تسلطوا للعرض غدا وأذن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم علمت حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب
نخشيت أن تهلكوا فاجبت أن أركم حالهم في أرضهم كيف كانت ثم حالهم في أرضكم ثم حالهم
في الحرب فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم بما ألوا في اليوم الثاني فأردت
أن تعلموا أن ماراً يقيم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع الى عيش اليوم الاول
فتفرقوا وهم يقولون لقد رمتكم العرب برجلهم وبلغ عمر ذلك فقال والله ان حرب لثنية ما لها سطوة
ولا صورة كسورات الحروب من غيره ثم انعرا سار الى الاسكندرية وكان من بين الاسكندرية
والفسطاط من الروم والقبط قد تجتمعوا وقالوا نغزو قبل أن يغزووا ويروم الاسكندرية فالتفوا
واقتتلوا فزهمهم وقتل منهم مقتله عظيمة وسار حتى بلغ الاسكندرية فوجد أهلها معدن لقتاله
فأرسل المقوقس الى عمرو يسأله الهدنة الى مدة فليجيبه الى ذلك وقال لقد لقينا ملككم الاكبر
هرقل فكان منه ما بلغكم فقال المقوقس لاصحابه صدق فتحن أولي بالانذان فاعقلوا في القول
وامتنعوا فقاتلهم المسلمون وحصروهم ثلاثة أشهر وقتحها عمرو وعنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة
وقيل ان المقوقس صالح عمر على اثني عشر ألف دينار على أن يخرج من الاسكندرية من أراد
الخروج ويقيم من أراد القيام وجعل فتح عمرو جندا ولما فتحت مصر غزوا النوبة فرجع المسلمون
بالجراحات وذهب الحدق لجود قريتهم فسموهم رماة الحدق فلما لوى عبد الله بن سعد بن أبي سرح
مصر أيام عثمان صالحهم على هدية عتروس في كل سنة ويهدى اليهم المسلمون كل سنة طعاما مسمى
وكسوة وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعدهم ولا قال امور وقيل ان المسلمين لما انتهوا الى بلعيب
وقد بلغت سباياهم الى اليمن أرسل صاحبهم الى عمرو اني كنت أخرج الجزية الى من هو أبغض
الى منكم فارس والروم فان أحببت الجزية على أن ترد ما سبيتم من أرضي فعلت فكتب عمرو
الى عمر يستأذنه في ذلك ورفعا الحرب الى أن يرد كتاب عمرو فوردا الجواب من عمر لعمري جزية قائمة
أحب اليها من غنمة تقسم ثم كانهم لم تكن وأما السبي فان أعطاك ملككم الجزى على أن تخيروا

من في أيديكم منهم بن الاسلام ودين قومه فن اختيار الاسلام فهو من المسلمين ومن اختيار دين قومه فوضع عليه الجزية وأما من تفرق في البلدان فأنا لا نقدر على ردهم فأفعل فعرض عمرو ذلك على صاحب الاسكندرية فأجاب اليه فجمع السبي واجتمعت النصارى وخبروهم واحدا واحدا فن اختيار المسلمين كبروا ومن اختيار النصارى جزوا وصار عليه جزية حتى فرغوا وكان من السبي أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن فاختار الاسلام وصار عربا فزيد وكان ملوك بني أمية يقولون ان مصر دخلت عنوة وأهلها عبيدنا ندير عليهم كيف شئنا ولم يكن كذلك
(من تاريخ الكامل لابن الاثير)

ذكر فتوح الشام

قبل في سنة ثلاث عشرة وجه أبو بكر الجنود الى الشام بعد عودهم من الحج فبعث خالد بن سعيد بن العاص وقيل اغاسير لما سير خالد بن الوليد الى العراق وكان أول لواء عقده الى الشام لواء خالد ثم عزله قبل أن يسير وكان سبب عزله أنه ترص بيعة أبي بكر شهر بن ولقي على بن أبي طالب وعثمان بن عفان فقالوا يا أبا الحسن يا بني عبد مناف أغلبت عليها فقال على أم مغالبة ترى أم خلفه فأما أبو بكر فلم يقدح عليه وأما عمر فاضطغن عليه فلما ولأه أبو بكر لم يزل به حتى عزله عن الامارة وجعله ردها للمسلمين بتيمة وأمره أن لا يفارقها الا بأمره وأن يدعوه من حوله من العرب الامن ارتد وأن لا يقا تل الامن فأناله فاجتمع اليه جوع كثيرة وبلغ خبره الروم فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهرا وسليج وغسان وكلب ونظم وجزاد فكتب خالد بن سعيد الى أبي بكر بذلك فكتب اليه أبو بكر أقدم ولا تقمغن فصارا اليهم فلما ذنا منهم تفرقا فأنزل منزلهم وكتب الى أبي بكر بذلك فأمره بالاقدام بحيث لا يؤتى من خلقه فصار حتى جازة قليلا وينزل فصار البيطريق الروم يدعي باهتان فقاتله فهزموه وقتل من جنده فكتب خالد الى أبي بكر يستمدد وكان قد قدم على أبي بكر أوائل مستغفرى الين وفيهم ذوالالكلاع وقدم عكرمة ابن أبي جهل فيمن معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو فكتب لهم أبو بكر الى أمراء الصدقات أن يسئلوا من استبدل فكله مستبدل فسمى جيش البذل وقدموا على خالد بن سعيد وعندها اهتم أبو بكر بالشام وعناه أمره وكان أبو بكر قد رد عمر بن العاص الى عمله الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأه اياه من صدقات سعد بن زيد وعنده وغيرهم قبل ذهابه الى عمان ووعدته أن يعود الى عمله بعد عودته من عمان فأخبره أبو بكر عدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عزم على قصد الشام كتب له اني كنت قد رد ذلك على العمل الذي ولأه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به أنرى انجاز المواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته وقد أحبت أن أفرغك لما هو خيرك في الدنيا والاخرة

الآن يكون الذي أنت فيه أحب إليك فكتب اليه عمرواني سهم من سهام الاسلام وأنت بعد الله
 الراعي بها والجامع لها فانتظر أشدها وأخشائها وأفضلها فارم به فأمره وأمر الوليد بن عقبة
 وكان على بعض صدقات قضاة أن يجعلا العرب ففعلا وأرسل أبو بكر إلى عمرو وبعض من اجتمع اليه
 وأمره بطريق سماه الى فلسطين وأمر الوليد بالاردن وأمدّه بعضهم وأمر يزيد بن أبي سفيان
 على جيش عظيم هو وجه وور من انتدب اليه فعميل بن عمرو في أمثاله من أهل مكة وشبهه ما شيا
 وأوصاه وغيره من الامراء فكان مما قال ليزيد اني قد ولّيتك لابلوك وأجريك وأخرجك فان
 أحسنت ردتك الى علك وزدتك وان أسأت عزلتك فليكن بقوى الله فانه يرى من باطنك مثل
 الذي من ظاهرك وان أولى الناس بالله أشدهم تولياله وأقرب الناس من الله أشدهم تقرب اليه
 بعله وقد ولّيتك عمل خالد فاياك وعبيد الجاهلية فان الله يغضها ويغض أهلها واذا قدمت على
 جندك فاحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه واذا وعظمتهم وأوجز فان كثير الكلام ينسى
 بعضه بعضا واصح نفسك بصلح للناس وصل الصلوات لاوقاتهما باتمام ركوعها وسجودها
 والشخشع فيها واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل بنهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم
 جاهلون به ولا ترينهم فيروا خلك ويعلموا علك وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من
 محادثتهم وكن أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرّك لعلائيك فيخطأ أمرك واذا استشرت
 فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خرك فتوثق من قبل نفسك واسم بالليل
 في أعضائك تأنك الاخبار وتكشف عندك الاستار وأكثر حركك ودهم في عسكرك وأكثر
 مفاجأتهم في محاربتهم بغير علم منهم بك فمن وجدته عقل عن محرمه فأحسن أدبه وعاقبه في غير افراط
 وأعقب بينهم بالليل واجعل التوبة الاولى أطول من الاخيرة فانها أيسر هماله قريها من النهار
 ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجئ فيها ولا تسرع اليها ولا تتخذ لها مدفعا ولا تففل عن أهل
 عسكرك بنفسه ولا تجس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكف بعلائيتهم
 ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء واصدق اللقا ولا تلجئ فيجيب الناس واجتنب
 الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر وسجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدهم
 وما حبسوا أنفسهم له وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعاً لولا الامر ثم ان أبا بكر استعمل
 أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع وأمره بمحصر ومارأى عبيدة على باب من البلقاء فقاتله أهله
 ثم صاحوه فكان أول صلح في الشام واجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين فوجه اليهم يزيد
 ابن أبي سفيان بأمامة الباهلي فهزمهم فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد ثم أنوا
 الدائن فهزمهم بأمامة أيضاً ثم مرج الصفر استشهد فيها ابن خالد بن سعيد وقيل استشهد فيها خالد

أيضا وقيل بل سلموا ونهزم على ما نذكره وذلك أنه لما سمع توجيه الامراء بالجنود بادبقتال الروم فاستبطلوه باهان فأتبعه خالد ومعه ذوالكلاع وعكرمة والوليد فقتل مرجع الصقر فاجتمعت عليه مسالحي باهان وأخذوا الطرق وخرج باهان فرأى ابن خالد بن سعيد فقتله ومن معه فسمع خالد فانهمز فوصل في هزيمته الى ذى المروة قريب المدينة فأمروه أبو بكر بالمقامهم وبقى عكرمة في الناس ردء المسلمين يمنع من يظلمهم وكان قد قدم شرحبيل بن حسنة من عند خالد بن الوليد الى أبي بكر بالشام وذب معه الناس واستعمله على عمل الوليد بن عقبة فأتى شرحبيل على خالد بن سعيد ففصل عنه بعض أصحابه واجتمع الى أبي بكر ناس فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان وأمروه باللقاء بأخيه يزيد فلما لم يحالف فصل عنه ساقى أصحابه فأذن أبو بكر لخالد بدخول المدينة فلما وصل الامراء الى الشام نزل أبو عبيدة الجابية ونزل يزيد بالبقاء ونزل شرحبيل الاردن وقيل بصرى ونزل عمرو ابن العاص العرب فبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل وكان بالقدس فقال أرى أن تصالحوا المسلمين فوافقا لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب اليكم من أن يغلبكم على الشام ونصف بلاد الروم فتفرقوا عنه وعصوه فجمعهم وسار بهم الى حصن فنزلها وأعد الجنود والعساكر وأراد اشتغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة خنذه لتضعف كل فرقة من المسلمين عن يازاته فأرسل تذارق أخاه لايه وأمته في تسعين ألفا الى عمرو وأرسل حجة بن تودر الى يزيد بن أبي سفيان وبعث القيقار بن نسطور في ستين ألفا الى أبي عبيدة ابن الجراح وبعث الدراقص فحوش شرحبيل فهاجم المسلمون وكتبوا عرا ما لراى فأجابهم ان الراى لنا لا اجتماع فان مثلنا اذا اجتمعنا لا تغلب من قلة فان تفرقنا لا تقوم كل فرقة به بمن استقبله الكثرة عدونا وكتبوا الى أبي بكر فأجابهم بمثل جواب عمرو وقال ان مثلكم لا يؤتى من قلة وانما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب فامرسوا منها فاجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل واحد منكم باصحابه فاجتمع المسلمون باليرموك والروم أيضا وعليهم التذارق وعلى المقدم حجة وعلى المجنبه باهان ولم يكن وصل بعد اليهم والدراقص على الاخرى وعلى الحرب القيقار فنزل الروم وصار الوادى خنذا قالهم وانما أرادوا أن يأنس الروم بالمسلمين لترجع اليهم قلوبهم ونزل المسلمون على طريقهم ليس للروم طريق الاعليم فقال عمرو وأبشروا حصر الروم وقاموا بمحصور بخير وأقاموا صفر اعليم وشهرى ربيع لا يقدر ون منهم على شئ من الوادى والخندي ولا يخرج الروم خربة الا دليل عليهم المسلمون

ذكر فتح دمشق

قيل ولما هزم الله أهل اليرموك استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشيرين كعب الجري وسار حتى نزل بالصفر فأما الخبر أن المهزمن اجتمعوا بفعل وأما الخبر أيضاً أن المدد قد أتى أهل دمشق من حص فكتب إلى عمر في ذلك فأجابته عمر بأمره بأن يمد دمشق فانها حصن السليم وبيت ملكهم وأن يشغل أهل خل بجمل تكون بازائهم وإذا فتح دمشق صار إلى خل فإذا فتح عليهم سار هو ونخالة إلى حص وترك شرحبيل بن حسنة وعمرabalاردن وفلسطين فأرسل أبو عبيدة إلى خل طائفة من المسلمين فنزلوا في سلعها وبق الروم الماء حول خل فوحت الأرض فنزل عليهم المسلمون فكان أول محصور بالشام أهل خل ثم أهل دمشق وبعث أبو عبيدة جنداً فقتلوا بين حص ودمشق وأرسل جنداً آخر فكتبوا بين دمشق وفلسطين وسار أبو عبيدة وخالد فقدموا على دمشق وعليها نسطاس فنزل أبو عبيدة على ناحية ونخالة على ناحية وعمر على ناحية وكان هرقل قريب حص فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصاراً شديداً وقاتلواهم بالحرف والجهايق وجاءت خيول هرقل مغيثة دمشق فجمعها خيول المسلمين التي عند حص فقتل أهل دمشق وطمع قيم المسلمون وولد للبطريق الذي على أهلها مولود فصنع طعاماً لكل القوم وشربوا وتركوا ما وقفهم ولا يعلم بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد فإنه كان لا يشام ولا يسم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء وكان قد اتخذ جبلاً كهية السلايم وأوهاقاً فلما أمسى ذلك اليوم نهض هو ومن معه من جنده الذين قدم عليهم وتقدمهم هو واتبعه عمار بن عمرو ومذعور بن عدى وأمثاله وقالوا إذا سمعتم تكبيراً على السور فارقوا إليها واقتصدوا الباب فلبوا وصل هو وأصحابه إلى السور لقوا الحبال فعلق بالشرف منها جبلاً من قصده فيهما القعقاع ومذعور وأتت الحبال بالشرف وكان ذلك المكان أحسن موضع بدمشق وأكثر ما قصده المسلمون ثم اتخذ خالد وأصحابه وتركة ذلك المكان من بحمة وأمرهم بالتكبير فكبروا فأغارهم المسلمون إلى الباب وإلى الحبال وانتهى خالد إلى من يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوابين وأغار أهل المدينة لا يدرون ما الحال وتشاغل أهل كل ناحية بجاليهم وفتح خالد الباب وقتل كل من عنده من الروم فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا الصلح فقبل منهم وقصوا إليه الباب وقالوا له ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ودخل أهل كل باب بصلح بما يليهم ودخل خالد عنوة فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا قتلوا منها وهذا صغروا تركها فاجروا ناحية خالد بجري الصلح وكان صلحهم على المقامة وقدموا معهم الجنود التي عند خل وعند حص وغيرهم من هورده المسلمين وأرسل أبو عبيدة إلى عمر بالفتح فوصل كتاب عمر إلى أبي عبيدة بأمره بإرسال جنود العراق نحو العراق إلى سعد بن أبي وقاص فأرسلهم وأمر عليهم هاشم بن عتبة المرزبان

وكأنوا قد قتل منهم فأرسل أبو عبيدة عوض من قتل وكان من أرسل الاستروغره وسار أبو عبيدة
الى الخل (من تاريخ الكامل لابن الاثير)

فصل في بيان الطريقة التي سلكها الرومانيون لادخال جميع الامم تحت طاعتهم

كانت مشورة السنن برومة في إنشاء تلك السعود التي يحصل فيها عادة الاهمال والفتور لم تزل
على الحزم والتبصر في مدة ما كانت الجيوش الرومانية ترعب جميع أهل الارض كانت تلك
المشورة بقي من انخفض على انخفاضه ولا تتركه يرتفع

وبعد أن كانت مشورة استحال الى محكمة يفصل فيها جميع دعاوى الامم وخصوصا ماتهم فكانت
في اخر كل حرب هي التي تحكم بالثواب والعقاب على مستحقه وتأخذ جزأ من أراضى الامة المغاوبة
وتعطي لمعاذهم وترتب على ذلك شيئا أحدهما أنهما ربطت برومة ملوكا من شرهم قليلا
وترجو خيرهم كثيرا وثانيهما أنها أضعفت آخرين لارجو منهم خيرا وتخشى منهم شرا

وكانت تستعين بأمر تعاهدهم على محاربة العدو وكانت تبثدي بما يضعف شوكة الملوك الذين
يسعون في تخريب الممالك فقد أغروا الايتوليين على فيلبس فهزموه ثم مروا هذه الامة لكونها
انضمت الى انطيوخوس واستعانوا باهل جزيرة رودس على هذا الملك فهزموه وبعد أن كافأوهم
على ذلك مكافآت يينة عاملوهم عاؤزتهم النمل والهوان الى الابد متعللين بانهم طلبوا الصلح
من برشاوش ملك مقدونيا

وكأنوا اذا تكاثرت عليهم جموع الاعداء في آن واحد يهادنون الاضعف فيفرح بنيل هذا المرام
ويرى تأخير دماره من أجل النعم عليه وكان من دأب تلك المشورة أنها حين اشتغال الرومانيين
بحرب جسيم تقضى عايلصل اليهم من أنواع الاساقفة تلازم الصمت منتظرة أن العقوبة واذا
أرسلت اليها أمة من الامم المذنبين امتنعت من عقابهم وأثرت على عقوبة هؤلاء المذنبين
كونها تعد الامة التي منها هؤلاء الجماعة مذنبية حتى يأتي وقت يعود فيه الانتقام من تلك الامة
بالمشفقة عليهم

ولما كانوا يضرون لاعدائهم من الشر ما لا يطاق كان يندرا التعزب عليهم وذلك لان من كان بعيدا
عن الخطر لا يجب القرب منه

ولهذا كان لا يندوهم أحد بالحرب الا نادرا وأما هم فكانوا دائما يقدمون عليه الا في الوقت
اللائق وعلى الوجه الملايم ومع من يليق بهم التصدي لخر به ومن الامم العديدة التي أغاروا عليها

قل من لا يتحمل منهم أنواع الاساءة لو أرادوا ابتعادهم على الصلح وكانت عادة ملوك الرومانيين انهم يسلكون في مخاطباتهم مع الامم الاجنبية مسلك السيادة عليهم فلذا كان سفراؤهم الى الامم التي لم تكن الى ذلك الوقت دخلت تحت طاعتهم ولم تذق طعم بطشهم ووصولهم مجز وامن قبل بساءة معاملتهم فكان هذا وسيلة لتحقيق الحرب معهم (ومن هذا القبيل حربهم مع الملشيين)

وكانوا ايضا اذ عقدوا صلحا لا يعقدونه الا وهم مضطرون الىيانة والغدر فانهم لما كانوا مصممين على تعميم الاغارة والتغلب لم يكن عقدهم للصلح في الحقيقة الا مجرد مزاكات ومهادنات وكانوا دائما يشترطون في عقدوهم الصلحية شروطا تنفضي بالدولة التي تقبلها الى الخراب والدمار فكانوا يشترطون اخراج المحافظين من الحصون والقلاع أو تقليل عدد العساكر البرية أو أخذ خيولهم أو فيلهم وإذا كان لهذه الامة المصالحة قوة بحرية بحرية وها على احراف سفنها بل رعا لزوهابا السكنى في داخل الاراضى البعد عن السواحل

وكانوا بعد تدبير جيوش الملك الذي حاربوه يسعون أيضا في نفاد خزائنه بضرهم عليه مغارم خارجة عن حدة العادة وأخرجوا مقررا متعللين بان ذلك الزام له بدفع ما أنفقوه في مصارف الحرب فكان هذا ضربا من الظلم بحيز ذلك الملك على ظلم رعيته واضرارهم الموجب لكرهاتهم له وحقدتهم عليه وكانوا اذا منحوا الصلح الملك أخذوا أحد اخوته أو اولاده رهينة وكفالة على دوام الصلح فكان ذلك وسيلة لهم على اعادة الفتنة بملكهم متى أحبوا ذلك ان من أخذوه رهينة ان كان ولي عهد المملكة أربها الملك به وأخافوه وان لم يكن ولي عهد بدل كان من أثار ب الملك غير الدين جعلوا آلة في تحريض الاهالى على العصيان والخروج عن الطاعة

وصكان من خرج من الامراء والاهالى عن طاعة ملكه عاهدوه وأخفوه بقلب معاهد الامة الرومانية فمذا يجعانون له حرمة لا تهتك ويترتب على ذلك ان لا يامن أحد من الملوك أياما كان في العظم وعلا الدرجة على بقا رعيته تحت طاعته بل ولا على عائلته وبخاصة

ولقب معاهد الامة الرومانية مع كونه في الواقع نوعا من الاستعباد كان مرغوبا للناس رغبة نامة (فن ذلك ما ذكره المؤرخ بوليبس من أن بعض الملوك قرب للاكهة قريانا شكر الهم على التحاف الرومانيين له بهذا اللقب) وذلك ان حليفهم كان يعلم ان لا أحد يتعدى عليه غيرهم وكان يقدم بنفسه مقتضيات توجب طامعه في تخفيف الاسلحة عنه حيث لم يكن هناك خدمة للرومانيين لا باذال راعبون في محالفتهم سوقه وملكه بالقيام بها ولا ذاعة الا ارتكبوا رغبة في هذا اللقب

وكان معاهد الرومانيين على شروط مختلفة فبعضهم كان منضم الهم عزابا وخصايص مقسما معهم عظمهم وعاشائهم كاللاطينيين والهريقيين ومنهم من كانت معاهدته بالحقوق بهم

كالقبائل التابعة لهم ومنهم من كان مجرد الاحسان والانعام عليه كالملاك مسفينسسه وأومينه وأطالوس حيث كانوا سيبيا في تأسيس ممالكهم واتساعها ومنهم من عاهدتهم بالطوع والاختيار وهؤلاء كان يسترضيهم الرومانيون بتداول المحالفات عليهم كما فعل مصر وبثينة وقبادوقه وأغلب مدن اليونان ومنهم من عاهدوهم بطريق القهر والغلبة وأجر وأغلبه قانون الاستعلاء كالملاك فيليبش وانطيوخوس وذلك انهم كانوا لا يمنحون الصلح عدوهم بدون معاهدة بمعنى ثمنهم كانوا لا يدخلون أمة من الامم تحت طاعتهم الا ويجعلونها واسطة في اضعاف أمة أخرى

وكأنوا اذا بقوا لبعض المداثر على الحرية يبادروا بانقاع الاختلاف بين أهلها وجعلهم حريين أحدهما يقوم بحماة قوانين بلده وحررتها والاخر يقترب للرومانيين ويحامي عن اطلاق تصرفهم وحيث كان هذا الحزب هو الأقوى دائما لم يكن في هذا المدينة من الحرية الامحزب الا محزب الاسم

وكأنوا في بعض الاحيان يتغلبون على بعض ولايات متعلين بان لهم فيها حق الوراثة فمن ذلك انهم دخلوا بلاد آسيا وبثينة وليبيا بموجب وصية الملك اطالوس وفيقوم مديد بن فيلباتور وابيون ووصلت اليهم حكومة مصر بوصية الملك القيروان

ولاجل جعل كبار الملوكة دائما ضعافا كانوا يمنعونهم من معاهدة معاهديهم أي الرومانيين (كما وقع لانطيوخوس) ولما كانوا لا يابون معاهدة من جاور من الامم ملكا قوى الشوكة كان ذلك الشرط المقرر في معاهدتهم الصلحية وهو منع كبار الملوكة من معاهدة معاهديهم لا يفي لهذا الملك المعاهدين

وكأنوا ايضا اذا ظهر واعي ملك من عظماء الملوكة يشترطون عليه أنه لا يسوغ له أن يقدم على الحرب مع معاهديهم وهم في الغالب مجاوروه اذا وقع منهم موجب ذلك بل يفوض للرومانيين فصل هذه الدعوى فيكونون حكامين به وينأخصامه فكان ذلك يفضي به الى التجرد عن القوة العسكرية

ولاجل أن تكون هذه القوة مقصورة عليهم كانوا يجردون عنها نفوس معاهديهم فكانوا متى علوا أنهم وقع لهؤلاء المعاهدين أدنى مشاجرة بعثوا اليهم رسلا يجبرونهم على الصلح ويتضح لك ذلك بالوقوف على ما وقع منهم في كيفية قنائهم الحرب اطالوس ملك برغامه مع رزيس ملك بثينة

وكان اذا فتح بعض الملوكة فتوحا فقدت به كاهو الغالب قوته جاء اليه على حين غفلة سفين من الرومانيين وزعمه من يده وكثيرا ما وقع منهم ذلك ومنه طردهم لانطيوخوس من مصر بمجرد الكلام كاهو مقرر في التواريخ ولما كانوا يعرفون حق المعرفة استعداد امم أوروبا وصلاحتهم للحرب جعلوا من الاصول أنه لا يسوغ لاي ملك من ملوكة آسيا أن يدخل بلاد أوروبا ولأن يسترضي أمة من أممها أياما كانت (وكان أول صدور هذا المنع لانطيوخوس قبل الحرب

حيث منعه أن ينتقل إلى أوروبا ثم صار ناعاما لجميع الملوك) وكان أقوى باعث لهم على حرب مريدات أحد ملوك آسيا هو مخالفتهم لمانعته واسترقاؤه لعض المتبرين بتلك البلاد وكانوا متريزا وأحرار بين أمتين من الأمم ولولم يكن لهم أدنى معاهدة أو مشاورة مع أحدهما بادروا بال دخول معهما في ميدان الحرب وأخذوا يناصر الأضعف منهما كطائفة الثوار في الثورة الفرنسية الرحلة الزلزالية سابقا وقد ذكر المؤرخ دينيس القرناصي أن من عاند الرومانيين قديما اغتاله من استغاث بهم أياما كان

ولم تكن هذه العواطف الرومانية مجرد حوادث جزئية حاصلة بالصدفة والاتفاق بل كانت بموجب أصول مستقرة ويظهر لذلك مجرد التأمل فإن ما سلكوا عليه من الأصول في انضراهم إلى الممالك العظيمة هو في الحقيقة عين الأصول التي جروا عليها في مبدأ أمرهم واستعملوها في انضراهم ما جاورهم من المدن الصغيرة

فقد استعانوا بالملك أوسينة ومسينية على استرقاء فيليني وأنطوكوس كما استعانوا باللاتينيين والهريتيقيين على الاستيلاء على الواسيين والطوسكانيين وجبروا القرطاجيين وملكوا آسيا على التسليم في سفنهم الحرية كاجبروا الملك أنطوكوس على تسليم مراكبه التجارية لهم وقطعوا العلائق السياسية والروابط المدنية التي كانت بين الأجزاء الأربعة من مقدونيا كما قطعوا علائق الارتباط بين المدن اللاتينية الصغيرة وأبطالوا اتحادها وانتابها كذاذ كره قبوله في الكتاب السابع من تاريخه

وكان أعظم الأصول عندهم قرارا ونباها هو التفريق بين الأمم وإبطال اتحاد المدن فإن جمهورية الاتحائيين في بلاد مورة كانت متجمعة من عدة مدن حرة فأمرت مشورة السنن بأن كل مدينة من الآن فصاعدا تحكم نفسها بقوانينها الخاصة بها وأن لا تدخل تحت حكومة مشتركة

وكانت جمهورية البيوسسيانيين أيضا من هذا المنابة لكن لما كان بعضهم في حرب الرومانيين مع برشاوش ما تلا إلى حرب هذا الملك وبعضهم ما تلا إلى الحزب الروماني فأبطل الرومانيون الفريق الذي انضم إليهم بالترحيب والاکرام على أن ينقض ما بينه وبين الفريق الآخر من الاتحاد والائتام هذا ولو كان بعض ملوك عصرنا (هولويزر الرابع عشر ملك فرنسا) جرى على تلك الأصول الرومانية بأن أعان بعض مجاوريه من الملوك (هوا كس الثالث ملك الإنكاز) حين خلع عن سر برملكه وأمدته بمدادات عظيمة لينت على ملكة وحصر حكومته في الجزيرة التي قبضت على طاعته لكان غمز في هذه الملكة التي كان في وسعها تعطيل أغراضه ومصلحه يعود عليه بالنفع العامة ولترتب على مصائب معاهدته من الفوائد العظيمة ما يجبل عن الحضر (ويكون ذلك مصداق قول القائل مصائب قوم عند قوم فوائد)

وكان اذا حصلت مشاجرة في دولة من الدول بادرا رومانيون بفصل الدعوى بين الخصمين فكانوا يتفقون بذلك أنه لا يعادهم الا الفريق المحكوم عليه بالعقاب فاذا كانت المشاجرة في شأن الحكومة بين اميرين كلاهما من فخذ الملكة كانوا في بعض الاحيان يقدونهم جميعا تلك الحكومة (كواقع ذلك لئلا ارياراطس وهو لوفرنة في مملكة قبادوقه) فاذا كان أحدهما قاصرا لم يبلغ رسده ولوه الحكومة وجعلوا تحت كفالته يوصف كونهم أرباب الزعامة لاهل الارض وذلك أنهم بلغوا مبلغ كونهم جعلوا جميع الامم سوقة وملاو كارية لهم من غير أن يعلم أحد على التحقيق بأى وصف من أوصاف الاستحقاق وصلوا الى هذه الدرجة فكان من الموقور في الانهان أن مجرد السماع بهم يكفي في اقياد الامم اليهم

وكانوا لا يقدمون أبدا على محاربة دولة بعيدة عنهم الا اذا عثروا على معاهدة أممية قريبة من هذه الدولة التي يريدون شحاربتها لضموها الى العساكر المبعوثه من طرفهم لهذا الغرض وذلك أنهم لما كانوا لا يرسلون الى القتال الا جيشا قليلا من العساكر كانوا يحافظون على وضع جيش آخر في الاقليم الاقرب الى بلاد العدو وابقاء جيش ثالث بمدينة رومة ليكون مستعدا للتفير فكانوا بهذا الطريقة لا يعرضون الى القتال من عساكرهم الا القليل بخلاف العدو فكان يعرض جميع عساكره الى الخطر (وكان ذلك من العوايد الجارية عندهم في الاقدام على الحروب كما هو مقرر في التواريخ ويعرف ذلك بالوقوف على حرمهم مع المقدونيين)

ولما كانت ألقاظهم بالدقيق فيما تقبل التصرف والتأويل في معانيها كانوا يحبون ذلك في مخالفة ظاهرها فقد خربوا مدينة قرطاجه فائين انالهم نعدا لا يحفظ المدينة الداخلية دون المصر يتمها وكذلك غروهم للاثولييين حين قالوا في المشاركة اناتركا أمرنا لامانة أعدائنا فغدروا بهم وأولوا ذلك فائين ان معنى ترك الأمر للعدو يشمل خسران جميع الاشياء والاشخاص والاراضى والمدن والهيما كل بل والمقابر

وربما كانوا يؤثرون شروط المعاهدة ويصرفونهم عن معناها الاصلى بتأويلات اختيارية من عند أنفسهم فانهم لما أرادوا اضعاف أهل جزيرة رودس قالوا انالهم نعطهم مملكة ليقياعلى سبيل الهبة واعتاد ذلك من قبيل الوديعة عند الحب والمعاهد

وكان اذا عقد بعض أمر اجبوشهم الصلح مع العدو لا تقاد جيشه الذي أشرف على الهلاك كانت مشورة السنن التي لاتضع على هذا الصلح صحتها تغتم فرصته وتجعله وسيلة لاستقرار الحرب كواقع لبوغورطة أحد ملوك العرب فانه حجز جيشا من الجيوش الرومانية ثم خلى سبيله بعقد معاهدة بينهم وبينه فنقضوها وعادوا الى قتاله ووجهوا اليه نفس العساكر الذين خلى سبيلهم

وكتلاً النوميطيون فانهم لما أوقعوا عشرين ألفاً من الرومانيين في ورطة أشرفوا بها على الموت جوعاً وجلبتهم على طلب الصلح ونجوا به من تلك الشدة فسخ الرومانيون هذا الصلح عديته رومة وخافوا العهد العامة وهتكوا حرمة حقوق الدول حيث وجهوا لقتالهم القنصل الذي عقد ذلك الصلح ووضع امضاءه عليه (وقد سلكوا هذا المسلك أيضاً مع علقم من الامم)

وربما كانوا يعتقدون الصلح مع بعض الممالك على شروط صحيحة مقبولة حتى اذا وفي بها زادوا عليه شروطاً أخرى صعبة ينعذر عليه الوفاء بها فيجبر بذلك على تجديد الحرب معهم فن ذلك ما فعلوا مع الملاك يوغورطة فانهم بعد أن شرطوا عليه أن يسلم لهم قتلته وخيوله وخزائنه والمتحصين اليه وسلم لهم ذلك طلبوا منه أن يسلم نفسه اليهم وحيث أنه لم يبق للملك من المصائب ما هو فوق ذلك لم يبق ثم شرط للصلح

وقصارى أهرهم انهم صاروا يحكون على الممالك بالعقوبات على صغارهم وكبارهم التي جنوها على أنفسهم ولا حق فيها لخلق وانهم صاروا يقيضون الشكاوى من كل من كان له مشاجرة مع الملك فيليبس ويعتدون وكلاء من طرفهم لاجل منع الظلم وإبقاء الامن والاطمئنان بين رعاياه وأحضروا الملك برشاوش عندهم واتهموه بأنه قتل بعض الناس وتشاجر مع أهل المدن المحالفة لهم ولما كان غاراً بالجنرلات عندهم على حسب ما يطلبونه اليهم من الذهب والفضة التي كانوا يفتنونها عند النصره كان هؤلاء الجنرلات اذا ظهروا على أمة من الامم لا يتركوا لها شيئاً من أموالها فبذلك كانت مدينة رومة تزداد غنى الغنى والثروة بحيث كان في وسعها عقب كل حرب أن تشرع في آخر وكانت الامم المتحابة أو المتحالفة مع الرومانيين تبذل جميع أموالها في الهدايا العظيمة التي كانت تهاديهم بها اما لبقاءها وخطوتها عندهم أولاً لاجل ازدياد ذلك مع أنها الوارثتهم لكفأها في غلبتهم والظهور عليهم نصف ما بذلته اليهم (بخلاف ما كانت تهديه مشورة السنن الى ممالك هؤلاء الامم فإنه كان واهياً فانها وذلك ككربى أوقضيب من العالج أو خلعة من خلع الولاية)

ولما صاروا سادات الدنيا جعلوا لانفسهم الحق في جميع أموالها فكان سلهم للاموال عند الفتح والانتصار أقل في الظلم من سلهم لها بالاحكام ووضع القوانين ألا ترى أنهم لما حملوا ثروة بطليموس ملك قبرص وكثرة خزائنه وضعوا قانوناً الجابة لعارضه عليهم أحد قضائهم من بحاي الامة ورؤوا به هذا الملك وهو على قيد الحياة وضبطوا ملكه مع كونه حليفهم

فما قليل طمع الاحاد استوعب ما لبقاء طمع الدولة وأنفقه فكان القضاء والحكام يبعون للملك الحيف والجور على الناس فن ذلك أنا شين متنافسين بذل جميع أموالهم الشراء عناية الملك الغير محققة وأن يكون لهم ما ظهر ا على خصم آخر في من أمواله شيء لم يذله في شراء تلك العناية

لانه لم يكن عندهم من العدل ما يكون غالباً عند أرباب السلب والنهب مما يحملهم عادة على الرفق والتقوى في صناعتهم وارتكاب ذنوبهم وبالجمله فكانت الحقوق على اختلافها شرعية أو غصبيه لا تثبت الا بالرشوة فلذا كان الامراء يجردون الهياكل عن زينة أو يأخذون أموال أغنياء الاهالى لاجل تحصيل تلك الحقوق ويرتكبون ما يقدرون عليه من الذنوب والجنايات لاعطاء جميع أموال العالم للرومانيين

وبعد أن ماذكر كان يريد بأش الرومانيين لكن لم يكن ثم شيء أنفع لرومة في اظهار بأسهم من انطباع هيبتهم في قلوب أهل الارض وذلك انها بدأت باسكات الملوك والزامهم الصحة حتى صيرتهم كالبله ولم يكن معهم احدى قوة قوتهم وصولتهم بل كانت تقع في أعراضهم فكان الملك منهم يخشى خطر الحرب معها واذا خطر فقد عرض نفسه للاسر أو القتل أو عار الهزيمة فكان هؤلاء الملوك أولو العز والسود ورجد العيش لا يتجاسرون أن يشخصوا بابصارهم الى الامه الرومانية فخلامنها ووجلا من بأسها فاتى بهم تلك الى فتور الهمة واضعلال القوة وصاروا ينتظرون بصبرهم وذلمهم وقتا ينقضى فيه ما لحقهم من المدة والتعب (فكانوا سيدلون غاية جهدهم في اخفاء شوكتهم وثورتهم عن الرومانيين كما ذكر الماورخ ديون)

هذا وأنتس عن اطلاع على كتابي هذا أن يتأمل سلوك الرومانيين في فتوحاتهم فانهم بعد أن هزموا أنطيوخوس صاروا لاولاً في بلاد أفريقيا وآسيا واليونان مع أنهم في الحقيقة لم يأخذوا الا أنفسهم مدسنة من مدنها فكسبهم ما كانوا يقبحون الممالك الاليعطوها غيرهم ومع ذلك لم يزلوا اولاداً متمكنين مما قصدهم بحيث كانوا اذا تصدوا لمحاربة ملك من الملوك حملوه أعباء الحرب مع أهل الدنيا حتى كانوا كأنهم أنقوا اظهرهم جميع أثقال الارض

وذلك أنه لم يكن جانب لهم وقت الاستلاب بانفسهم على البلاد التي قصوها فانهم لو حفظوا المدن التي أخذوها من فيليبس لتعلقت بها آمال اليونان وتوجهت اليها أطباعهم ولوا أخذوا بعد الحرب البونيقي الثاني مع القرطاجيين أو بعد سربهم مع أنطيوخوس أراضى من أفريقيا وآسيا لتعذر عليهم أن يحفظوا مثل هذه الفتوحات التي كانت يومئذ قليلة الثبات (فكانوا لا يعرضون فيها قبائلهم للخطر بل كانوا يوثرون على ذلك ايقاع الغيرة المستقرة بين القرطاجيين وأهالى مسينييه والاستعانة بكل منهم على قمع المقدونيين واليونان وادخالهم تحت الطاعة)

وانما كانوا ينتظرون وقتا تكون فيه جميع الامم متعوده على الطاعة والانقياد مع كونهم أحراراً وأحلفاء قبل أن يحكموهم بوصف كونهم رعايا ويدخلوهم بالتدريج تحت حكم الجمهورية الرومانية من غير أن يشعروا بذلك

وبذلك عليه مشارطتهم مع اللاتينيين بعد نصرتهم في واقعة بحيرة ريحلية فانما كانت من الاصول التي نبتت عليهم اشوكتهم وليس فيها كلمة تشعربان لهم السلطة على اللاتينيين ومثل هذه الطريقة بولسة في الفتح فكثروا اذا نظروا على أمة لا يحكون عليها من أول وهلة بل يقتصرون على إضعاف شوكتها باشتراطهم عليها شروطا تطفئ بهم جنتها وتضعف صولتها على وجه غير محسوس فاذا رأوا منها أنها أخذت في الارتفاع خفضوها وبالعوا في اذلالها فتصير بذلك من جلة رعاياهم من غير أن تشعربا الوقت الذي استرعوه فيها فلم تكن مدينة رومة في الحقيقة منوزية ولا جمهورية وانما كانت بمنزلة رأس جسم أعضاءه جميع أم الدنيا

هذا ولو توسع الاسبانويون على هذا المتوال بعد فقههم لبلاد مكسيكه وبلاد بر وبارم يقيم لما اضطرروا الى تدمير ما قصوم من الممالك في حفظ جميع بلادهم دفعة واحدة ومن جنون الفاتحين كونهم يريدون أن جميع الامم التي استولوا عليها تسلم بقوانينهم ويتفقوا بأخلاقهم وعواظهم لان ذلك لا ثمرة فيه لان الانسان قابل للطاعة والانتقاد على اختلاف أنواع الحكومة وليس اختلافها مانعا من ذلك

وهذا بخلاف ما كانت عليه مدينة رومه فانما كانت لاتضع قوانين عامة لجميع الامم بل كان لكل قانون يخصه كان لا يوجد بين هؤلاء الامم ما يوجب الخطر على الرومانيين من العلاقات والروابط التي تربت عليها الفشل في الحكومة فلم يكن يجمع تلك الامم الا بجد الطاعة والانتقاد للامه الرومانية وكان يطلق عليها اسم الرومانيين وان لم يكونوا من بلدة واحدة

فان قيل ان الممالك المؤسسة حكومتها على القوانين الاتزامية لم تثبت قط على حالة واحدة بل كانت دائما مضطربة لاشوكتها ولاصولها فالجواب أن منتهج الرومانيين في حكمهم الممالك كان مبنيا لمنتهج من عداهم بالكلية وقصارى الامر أن منتهجهم منشوء القوة والشجاعة بخلاف من عداهم فنشأ منتهجهم الضعف وعدم الحزم وكان للرومانيين تشديد عجيب في الاسترعاء والاستبعاد كما أن الآخرين كان لهم افراس شديد في الاستبداد والاستقلال فكانت حكومة البلاد التي فتحها الامم الجرمانية يبدأ بعبادتهم ولم يكن للملك فيها الا مجرد الحق بخلاف الرومانيين فكان الامر بالعكس (من كتاب برهان البيان وبيان البرهان)

فصل في فتوحات الامبراطور يوستيانوس وحكمه

لما كان الداخل في الاقاليم الرومانية من اجناس الاقوام المتنوعة والامم المختلفة كثير بدون أن يكون هم ما تنازبه أمة منهم عن الاخرى أففى بهم ذلك الى أن اذاح بعضهم بعضا وكان الغرض

البوليتيقي اذناك من جانب الرومانيين تحريض هؤلاء الاغراب على الفشل وايضا ذات البين فيما بينهم وكان الحصول على ذلك اقرب شئ لما كان قائما به هؤلاء الاقوام من القفظة والغلط والطع فأدى ذلك الى ايوارهم بالهزيمة بعضهم بعضا قبل تمكنهم من الاستيطان وصبر ورتهم له وان استوطن منهم البعض فهو القليل النادر وهذا هو السبب في كون الامبراطورية المشرقية بقيت بعد تبدد المغربية مدتها الزمان

وايضاً من جهة أسباب انقراض الامبراطورية المغربية قبل المشرقية أن الاقطار الشمالية لما تقطعت بحللاء الاقوام عنها وقل أهلها صار لا يقدم على البلاد الرومانية من يتقوم منها الجند كما كان ذلك في مبدأ الأمر وذلك لانه عقب اغارة الغوطة والهونة لاسيما بعد موت ملكهم تاتلا كان حرب الرومانيين لهاتين الامتين ولمن جاء بعدهم بدون قوة حاسمة ولا شوكة فاصه كائنهم جند واحد وجيش طارد ثم عرقت وتشتت شملها وتقسمت فرقا وأحرابا وملا متباينة تأبى اتلاقا بينها واستحجابا فهذا داخلهم الضعف والاضمحلال وفقد البأس وحصول الاختلال حيث نفر قواش غربى في ولاياتهم التي انتكسوها وبلادهم التي للاستيطان استنجسوها في ثم صاروا هدفالا لغارات وغرزالاستقبال الغارات بعد أن كانوا هم المغيرين ومغلوبين بعد أن كانوا الغالبين فانتهز بومند الامبراطور يوسنيافوس الفرصة في إنشاء ملك وتصدى للغلبة على بلاد أفريقيا واطاليا واعادها للطاعة وقد فعل القرن سادى نظير ذلك مع الوندال وبنو غوثية والامبارديه والعرب حيث انتهزوا فرصة اختلالهم فغار بهم وسلبوا البلاد من أيديهم واعادوها لملكهم ولما كان هؤلاء الامم في قبضة الرومان ودخل دين النصرانية عند الرومان وسرى اليهم منهم النصر كان مذهب اريوس هو المتسلك به في الحكومة الرومانية فأرسل الملك والنس من طرفه دعاء اريوسية الى هؤلاء الامم ليدعواهم الى النصر ولم يكن أرسل اليهم غيرهم قبل ذلك ففي إنشاء المذتين نصرهم واستيطانهم ألقي هذا المذهب عند الرومانيين وانتسخ وكاد أن لا يكون له أثر وعده رطقة وخروجوا واعتدالا ومع ذلك فلم تزل الامم المتخيرة متمسكة به وبجربة العمل على مقتضاه فبهذه الطريقة نفرت منهم نفوس الناس فلم يكن لهم أن يستميلوا قلب أحد اليهم من الاهالى حيث وجدوا جميع الاهالى على الدين الارثوذكسى وهو الدين الاصلى الذى لاهرطقة فيسه فلم ينجحوا في الاغارات ولا في استوعاء الخوفاة وايضا لما لم يكن عندهم معرفة بقتل المهاجرة على المدن الحصينة ولا المعاقلة المثبتة بل ولا اقتدار على المدافعة ولا همة على الممانعة تركوا أسوار المدن الحصينة التي تحت أيديهم تهتدم ولم يحافظوا على استحكام بناء محكم فقد نصبر وروس في تاريخه انه لما ذهب أمير الجيوش الرومانى السمي باليزيس الى بلاد ايطاليا وجد أسوارها على هذا الحال

وكذلك أسوار مدن أقر بقمه خريم الملك جنس ريق كاهنهم ونيزانجا بعد أسوار مدن مملكة اسبانيا
فأصدا بذلك اضعاف أهلها وتكن استيلائه عليهم

ولما استوطن أغلب أمم الجهة الشمالية وهم الوندال في الولايات الجنوبية من الامبراطورية كان
مبدأ أمرهم أن ورثوا عن أهلها الرخاوة والجن فعباقريهم صاروا لا يقدرون على تحمل مشاق
الحرب ورجل السلاح كيف لا وقد قترت هممتهم وحدث شوكتهم يومئذ بانهم ما كهم على اللذات
وطوع أمر الشهوات التي صارت عندهم اذ ذلك من الضروريات اللازمة لهم للرأفة في الاطعمة
والمأكل واتباع الزخرفة في الملابس الفاخرة والتزين بزى النساء والمداومة على التعم في الحمامات
وسماع الحان الآلات والنزهة في المنتزهات والبساتين والتفرج في الملاعب

قال المؤرخ ملكوس وأمن يومئذ الرومانيون من تعذيب هؤلاء الامم عليهم وتنجيرهم منهم حيث
امتنعوا عن امداد الجنود العديدة الذين كانوا دائما في زمن ملكهم جنس ريق مستعدين للقتل
العدو وندارك وبهم كان يجب جميع العالم من سهولة فتوحاته وسرعة نجاح مشروعاته

وكان الفرق الكاثنيومسذين قرنان الرومان وقرنان الغوطه والوندال هو أن الرومانيين كانوا
ذوى مهارة جيدة في الرمي بالنشاب والسهم لكثرة تمرينهم عليه بخلاف الوندال ومن معهم فكانوا
لا يستعملون في حروبهم الا السيف والرمح ولذلك كان يشق عليهم محاربة العدو وهم على البعد منه
وكان ذلك الفرق سببا باعثا على بعض ما أعان الجنرال بلتيروس

وكان يحصل من الهوة مساعدة جيدة للرومان في بعض فتوحاتهم عند الشدائد لاسيما في عهد
الامبراطور يوستنيانوس كيف لا وقد تناسل منهم أمة البرث الذين ضاهوهم في فن الحرب ودخلوا
في خدمة الرومان أعوانا لهم في الحروب ومن وقت هزيمة قائد جيوشهم أتيليا والمخطاط شوكتهم
ووقوع الفشل والشقاق فيما بين أغلب أولاده من بعدهم وكانوا يدخلون في خدمة الرومانيين
مساعدين لهم وكانوا يكونون عساكرهم الخيالة

وكانت تتماز كل أمة من هؤلاء الامم الخشنة عماعداها بنوع من الحرب تختص به وتنوع أسلحتها
المختلفة باختلاف أجناسها فكانت أسلحة الغوطه والوندال منحصرة في السيف وكانوا يطلقون
في التزال متى كان السيف في أيديهم وأما الهوة فكانوا أرباب نشاط عجيب في الرمي بالنشاب
وكانت الصوبة أعظم من غيرها في البسادة وأما اللانيون فكانوا يحبون جل كثير من الأسلحة
وأما الهيريديون فكانوا خفايا في الحرب فكان الرومانيون يختارون من تلك الامم من وافق
مقصودهم وغرضهم وبهذه الطريقة كانوا يحاربون كل أمة على حدها مستعينين عليها بكثرة الامم
وعزايها التي أسلفنا ذكرها

ومما يستوجب العجب أن أعظم الامم انجاعا وقبائل في خارج البلاد هم أضعفهم قوة واقتدارا
وانهم من أكبر أخطاء أن يستدل على قوتهم بكثرة قنوحاتهم فان الامم المتبررين بل أفواج القبائل
المولدين منهم كانوا على طول هذه المدة المدينة من مستمر غاراتهم اما هازنين واما مهزومين كل على
حسب الاطوار والوقائع وأنه بينما كانت أمة من ذوات الشوكة عظيمة في تردد من عمل الحرب
أو عازمة عليه كانت طائفة من الطفوش الرحالة التزلة اذا وجدوا بلدة خالصة لهم مجازها دخلوها
فغنوا فيها الفساد وأنه أمكن لامة الغوطة الذين طالموا لولا الفرار أمام كثير من الامم لعدم لياقة
أسلحتهم أنهم تغلبوا فيما بعد على بلاد ايطاليا والقوقلة واسبانيا ووطنوها وهاجروا أمة الوندال من
بلاد آسيا لضعف قوتهم فغبروا الى أفريقيا وأسسوا لهم فيها مملكة عظيمة

ولم يتيسر ليوستينافوس أن يجهز في واقعة حرب هؤلاء الوندال في بلاد أفريقيا الا تخمين سفينة فقط
حتى انه لما أرى بهم القائد يليزير على البر لم يجد باقيا معه من عدد العساكر سوى خمسة آلاف
رجل لا غير فاعظم حراة كان في هذا المشروع مع أن القيصريون كان قد أرسل عليهم قبل ذلك
عسكرة بحرية اشتملت على جميع سفن بلاد المشرق الرومية وكان فيها من العدة مائة ألف محارب
وما قدر مع ذلك على أن يفتح بلاد أفريقيا أبدا بل أسقط في يديه أن قد ضاع المملكة هدرًا

وهيات أن تلقى أمثال تلك العسكرة البحرية بالجسيمة ولاتلك الحيوش البرية العظيمة فانها حيث
كانت تذهب بكل عمارية الدولة وتخرتها كانوا اذا بعدت عليهم الشقة أو أصابهم بعض المصيبة
لا يجدون من يمد لهم يد الا عانة ولا ما يجبر به ذلك خلاهم وانا فقد بعض الشيء فلا معول على ما بقي منه
فان السفن الحربية وسفن الحولة والخيالة والمشاة والذخائر وجميع المهمات الحربية كالشيء
الواحد بحيث لو فقد منها البعض لاخل بالهيئة الاجتماعية الكلية و يبطل بذلك عملها وان تراعى
الشروع في الحرب لوقت فرصة للعدو دائما في أن يكون على أهبة من القوة والاقتدار على ملتحق
عدوه ومع أنه كان من النادر دائما أن يتدنوا غزوة في فصل معتدل كانت تغشاهم أيام الرواعد
والخطر لا يتظارهم كثيرا من اللوازم لم يتيسر تجهيزها الا بعد أشهر من تعلم ميادها فاستولى يليزير
على أفريقيا والذى أعانه كثير على ذلك هو أنه قد تزود بجانب عظيم جدا من الذخائر من جزيرة
صقليا بنا على مشارطة حصلت بينه وبين أما لارونطة ملكة الغوطة حتى انه لما أرسل هذا القائد
من بعد ذلك للهجوم على بلاد ايطاليا وتبين له أن أمة الغوطة يستمدون مؤنتهم من جزيرة صقليا
المدكورة كان أول مشروعه أنه تغلب عليها فاعوز هؤلاء الغوطة أعداءه وأجاءهم وصار هو
في سعة الرخاء من كل شيء أراد

وقلبي بلير على كل من قرطاج ورومة وراوية وبعث بمالوك القوطه والوندال في حبال الاسر الى مدينة القسطنطينية فسمرت فيها انذاك مواكب النصر وألوه الفخر بعد ان كان قد تنوى عهدها وأفل طالع مجدها زمانطوبلا باضمحلل الدولة الرومية وذهب بهجتها وعكن انتساب أقوى أسباب نجاح هذا الرجل العظيم وموجب فلاحه الى ما كان متصفاه به من كريم الخلال وعظيم الخصال فان هذا القائد حيث كان خيرا بأصول الاولين من الرومانيين وطرائق سيرهم نشأ على يده جيش من العساكر على نسق الجنود الاولى الرومية عزما وانقيادا وقد تطفى ذل الاسر والاستعباد في العادة على جميع أجناس الفضائل في الرجال أو يعموها بالكلية منهم الا هذا البطل الجليل القدر فان حكومة القيصر يوستينيانوس الطاغانية (أى المؤسسة على الظلم والجور) لم تكن لتخفف قدره العالى العظيم ولا تهم عقله السامى الفخيم وأعاد على شرف حكمهم هذا الملك أيضا أعلى الحرير رئيس فان هذا المحارب حيث برى في داخل السراية كان أقرب بالناس منزلة اليه وأحظاهم بالأمانة لديه لان الملول من عاداتهم دائما أنهم يعدون جلساءهم وأولياء محضرتهم من أصدق الناس اليهم وأوفاهم بما اليم ولكن عدم استقامة يوستينيانوس واسرافه وغائلته فيه وسي جوره وشدة ولوعه بالبساء والتغير والتعبد وتبدل مقاصده وحكم قاس ثقل على الرعية عبوه وكبرا استعالت فيه مدته كانت كل هذه مصائب حقيقية ونوب حادثة على الدولة الرومانية مخزوجة بنجاح لا طائل تحتها ويظهر فخار باطل

وترتب على تلك الفتوحات التي لم يكن جل القصد منها تقوية المملكة وتعبئدشوكها بل لموجب أحوال خصوصية اقتضتها أنها ذهبت بكل ما هنالك فانه بينما كانت الجيوش الرومانية مشغولة بتلك الفتوحات أنت أمة أجنبية فعبرت نهر طونه ونحرت كلا من اقليم ايليريا ومقدونيا واليونان وشسن أهل فارس الانارة في أربع مرات سواء على بلاد مشرق الرومان حتى لقد أسوها بقرح مالدانهم دواء وكلما كانت تلك الفتوحات الرومية سريرة الحصول متيسرة كانت أوهى أساسا وأقل ثباتا فانه ما استنم فتوح بلاد ايطاليا وأفرقة حتى أغار عليها العدو فانيا ولزم التصدي للعانة فتحها مرة أخرى

وتزوج يوستينيانوس من تياترو اللعب بالمرأة طامعا عرضت فيه نفسها للتيقصة فكان لها عليه السلطان البالغ وامرأة ما ان لها من معادل في كتب التواريخ وحيث كانت لاتزال دائما تشوب جد المصالح الميرية بما فيه حظوظ نفسها وأهلها شات جنسها أخت برنق النصرات العظيمة وشانت أنجح المساعي السعيدة

وقد أباحوا في كل عصر وأوان تعدد الزوجات في بلاد المشرق لاضعاف ما للنساء على الرجال في الديار الأور وباو يمتن السلطة والاقتدار ولكن شرع التزويج واحدة الجارى اذ ذلك حكمه في مدينة القسطنطينية قد جعل لهذا الجنس على الرجال سلطانا حتى كان ذلك في بعض الاحيان سببا للضعف وقوة الحكومة في الدولة الرومية

وكان أهل مدينة القسطنطينية دائما وأبدا منقسمين الى حزبين حرب الزرق وحرب الخضضر وذلك ناشئ ليس الا عن ميل بعض المتفرجين في مناصب اللعب ومحافل الطرب الى بعض المقيمين دون بعض حتى كان لابسوا الاخضر من سواقي العربيات يتنازعون مع لابسى الازرق منهم فصب السبق في مبادىء السباق مغايرة بعضهم في بعض ويقترض كل من الفريقين لذلك ويحتد الى شدة التغيظ والغضب

وكان يعظم التفافهم والشقاق أو يقل بين هذين الحزبين المنتشرين انذاك في جميع مدن المملكة الرومانية بحسب أهمية المدن وصغرها أعنى تخلى جزء عظيم أو قليل من أبناء البلد فيها

ولكن هذا التفرق والشقاق بين الامة وان كان في العادة لازما ضروريا بالحكومة الجمهورية لحفظها وتأديبقائها لم يكن الا شوما على الحكومة الملوكية حيث لا يترتب عليه في العادة دائما التغيير والحكام لا إقامة الشرائع وابطال الجور والتعدي

وحيث كان القيصر يوستينيانوس يتصردا على الزرق وبأبى كل انصاف وعمل الخضضر أغرى هو نفسه كلا من الفريقين وبذلك قوى جانبهم وحرضهم على البغضاء بينهم

ولم يزل يوشد ذلك بدأ بهم وهذا مساقهم الى أن عدلوا عن الشريعة وأبوا حكم القضاة في المدينة فأما الزرق فصاروا لا يخشون للشرائع واجبا لان الامبراطور كان يحميمهم منها وبطل احترام الحزب الاخضر لها حيث عجزت عن حمايتها لهم كالسابق

وانتقضت اذ ذلك مما بينهم جميع روابط المحبة والقرابة واتقى الواجب والشكر وصارت العائلات يدمر بعضهم بعضا بأيديهم فكل سارق أو قاتل كان من حزب الزرق أو مقتول كان من حزب الخضضر

وزاد على هذا الحكومة الخارجة عن حد التميز والمعقولية انها كانت أشد قساوة وجورا فانه ما كنى الامبراطور يوستينيانوس ابتلاؤه جميع رعاياه بنظم عم الخاص والعام حيث كلفهم ما يعي به المتحمل من الغرامات والبص الخارجة عن الحد أن صار يقهرهم ويستوجب حشرهم بجميع أنواع الجور والتعدي في خصوص مصالحهم الذاتية

ولأصدق بيادى رأى مذكروه وكوب فى تاريخه السرى من وصف هذا الملك لأنما ذكره هذا المؤرخ فى مصنفاته الآخر من أعظم النناء وأجل المدح فيه يضعف عندى سند تاريخه السرى المذكور اذ يصفه لنا فيه بأنه من بلد الطغاة على الجور وأعظم حكام

ولكننى أعتقد أمرين برجحان عندى صحة دليل التاريخ السرى على غيره الاول ملائمة نص هذا التاريخ أتم الملائمة لما تبدى على هذه المملكة من عظم الضعف فى أواخر أيام هذا الحكم وأحكام الملوك التى بعده والثانى وهو أثبات لم يزل الى الآن ينشأ قوانين هذا الامبراطور وشرائعه التى تغيرت فيها القواعد الفقهية فى ظرف سنوات قلائل أكثر مما تغيرت فى الثلثة سنة الأخيرة من حكومة الملوك الفرنساوية ميلاد أوروبا وتلك التغيرات حاصل أغلبها من أمور قليلة الاهمية جدا حتى لا يعلم ما السبب الذى حمل هذا الامبراطور المشرع على تغيير الحكم فيها اللهم إلا أن يرجع فى تأويل ذلك الى تاريخه السرى ويقال ان هذا القيص كان يبيع بئس المال كلاً أو أواخره وأحكام شرائعه

ولكن الذى أضر كبريا بوقام السياسة فى الحكومة هو ما عزم عليه هذا القيص من أن يصير جميع الناس على شرعة واحدة ورأى مشترك فى أمر الديانة بصدأ حوالا لاتوافق مقتضى الحال اقتضت أن جل همته فى ذلك صارت سدى ومحض اعتداء باطل

وذلك أن الرومانيين كانوا قد حصنوا ملكتهم وأيدوا بحجتها بدخال جميع مذاهب الديانة وطرق العبادة فيها فلما أن أبطلوا اتباع هذا الامر جميع المذاهب غير الحاخكة فيها واحدا بعد واحد آل أمرها فيما بعد الى أن لا شئ من لازم الحصانة

وكانت اذ ذلك تلك المذاهب عبارة عن أمم كاملة ختم من يقوى على دينهم بعد فتح الرومانيين لهم كالسامرية واليهود وآخرون تفرقوا شيعا فى بعض الولايات كاتباع موبستان فى ولاية افرنجية والمناوية والسبائية والارياوسية فى أقاليم آخر وما عدا هؤلاء عروب عظيم من أهل البادية لم يزلوا على عبادة الاوثان معاندين بدين لهم موافق لشهوة طباعهم فلما سحق يوستانيوس تلك المذاهب سواه بسيفه وأحكام شرائعه وكان اجباره لهم على العصيان والخروج عليه اجبارا على قطيعتهم وتبديش لهم صير عداة اقاليم من بعدهم الى البوار وظن أنه بذلك قد أكثر عدد المؤمنين بدين المسيح على أنها أقل عدادا للناس

وذكر المؤرخ روكوب فى تاريخه ما نصه انه باقراض الامة السامرية صار اقليم فلسطين من بعدهم خلافا قرا والذي يسترحب الحبب فى هذا الواقعة هو أنهم سعوا فى اضعاف قوة الدولة غيرة على الدين فى جهة من المملكة ساغ غليش العرب بعد عقد دول الدخول منها لاشهاد دين الاسلام فيها فهذهموا قرا عند دينهم ومن قوه

ومن الخلاف المزمع أنه بينما كان الامبراطور يوستينيانوس يلتزم غاية التدقيق في موافقة الحدود الدينية والعقائد اللاهوتية كان هو نفسه لا يتفق مع الامبراطورة زوجته في أوجب المسائل التوحيدية فكان يعتمد في ذلك على ما يقوله مجمع مدينة خلدونيا وكانت هي تتصر للناقضين لقولهم قال المؤرخ نايواجره سواء كانت مناقضتهم لها خلاص نعمة أو ابتغاسو واقعتها ومن قرأ تاريخي مزركوب واطلع على مبادئ يوستينيانوس من الحصون والقلاع التي أنشأها هذا الملك في جميع جهات المملكة خطر سبيله البتة أن دولة هذا الملك كانت جليلة القدر عظيمة الشأن بخلاف الواقع كلية

ودليل ذلك أن الرومانيين في مبدأ الامر لم يكن عندهم شيء من تلك الحصون مطلقا فكانوا يجمعون جل اعتقادهم في تحصين المملكة على عدة الجنود حيث كانوا يرتبونهم على طول شواطئ الانهار ويتنقلون عليها من مسافة الى أخرى أبراجا يسكن العساكر فيها للمحافظة

ولكنه لما صارت لهم جنودهم عاطلة وجية جيوشهم باطلة أولم يكن عندهم في أغلب الاحيان عساكر أبدا وقصرت الثغور عن حماية الداخل احتاج الامر الى احكامها وتحصين مقامها فكثرت حينئذ عند حصونهم الحصون وقلت الجنود وكثرت أماكن التحفظ وقل الامان وحيث تعددت سكنى الغلاء لايجوز الا ما كن الحصينة أشدوا حصونا في جميع الجهات فكان مثل المملكة يومئذ كمثل بلاد فرانس في زمن الدولة النورمندية لم تضع قط مثل ضعفها حين صارت جميع قراها محصنة بالاسوار

فليست حينئذ جريدة أسماء القلاع والحصون التي أسسها الامبراطور يوستينيانوس في زمانه وملاها المؤرخ بروكوب صفحات كاملة من كتابه سوى مجرد أدلة شاهدة بضعف شوكة المملكة الرومانية يومئذ
(من كتاب برهان البيان وبيان البرهان)

ذكر خلافة هرون الرشيد

وبيع بالخلافة في سنة سبعين ومائة كان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفقهاءهم وعلمائهم وكرامتهم كان يحج سنة ويفر سنة كذلك مدة خلافته الا سنين قليلة قالوا كان يصلي في كل يوم مائة ركعة وحج ماشيا ولم يحج خليفة ما شيا غيره وكان اذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أجمع ثلثائة رجل بالنفقة السابعة والكسوة الطاهرة وكان يشبه في أفعاله بالتصور الا في بذل المال فانه لم ير خليفة أيسع منه بالمال وكان لا يضيع عنده احسان محسن ولا يؤخر وكان يحب الشعر والشعراء ويميل الى أهل الادب والفقه ويكرم المراف في الدين وكان يحب المدح لاسيما من شاعر فصيح ويجزل العطاء عليه

وكان يتواضع للعلماء قال أبو معاوية الضرير وكان من علماء الناس أكلت مع الرشيد وما نصب على يدي المارجل فقال لي يا أبا معاوية أتدري من صب الماء على يدي فقلت لا يا أمير المؤمنين قال أنا فقلت يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا أجلا للعلم قال نعم

في أيامه خرج يحيى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب

(شرح كيفية الحال في ذلك) كان يحيى بن عبدالله قد خاف مملحي على أخويه النفس الزكية وأبراهيم قبيل ياخري فغضى إلى الديلم فاعتقدوا فيه استحقاق الإمامة وبيعوه واجتمع إليه الناس من الأمصار وقويت شوكته فأغتم الرشيد لذلك ونذب إليه الفضل بن يحيى في خسين ألفا وولاه جرجان وطبرستان والري وغير ذلك فتوجه الفضل بالجند فلفط يحيى بن عبدالله وحذره وخوفه ورغبه فمال يحيى إلى الصلح وطلب أمانا بخط الرشيد وأن يشهد عليه فيه الفضل والفقهاء وجلة بني هاشم فأجابه الرشيد إلى ذلك وبشرته وكتب له أمانا بليغة بخطه وشهد عليه فيه القضية والفقهاء ومشايخ بني هاشم وسوا الأمان مع هذا ويحلف فقدم يحيى مع الفضل فلقبه الرشيد في أول الأمر بكل ما أحب ثم حبسه عنده واستغنى الفقهاء في نقض الأمان عنهم من أفتى بيمينته فحاجه ومنهم من أفتى بطلانه فأبطله ثم قبله بعد ظهور آية له عظيمة

شرح الآية التي ظهرت في قضية يحيى بن عبدالله

حضر رجل من آل الزبير بن العوام عند الرشيد وسعى يحيى وقال أنه بعد الأمان فعل وصنع ودعا الناس إلى نفسه فأحضره الرشيد من محبسه وجمع منه وبين الزبيرى وسأله عن ذلك فأنكر فوافقته الزبيرى فقال له يحيى إن كنت صادقا فاحلف فقال الزبيرى والله الطالب الغالب وأراد أن يمين اليمين فقال له يحيى دع هذه اليمين فإن الله تعالى إذا مجده العبد لم يجعل عقوبته ولكن احلف لي بيمين البراءة وهي عيني عظمي صورته أن يقول عن نفسه برئ من حول الله وقوته ودخل في حول نفسه وقوته أن كان كذا وكذا فلم يسمع الزبيرى هذه اليمين ارتاع لها وقال ما هذه اليمين الغربية وامتنع من الحلف بها فقال له الرشيد ما معنى امتناعك أن كنت صادقا فإما تقول فاحلفك من هذه اليمين حلف بها فخرج من المجلس حتى ضرب برجله ومات وقيل ما انقضت النهار حتى مات فخملوه إلى القبر وحطوه فيه وأرادوا أن يطمروا القبر بالتراب فمكثوا كلما جاءوا التراب فيه ذهب التراب ولا ينظم القبر فعملوا أنها آية سماوية فسقفوا القبر وراحوا وإلى ذلك أشار أبو فراس بن جعدان في ميمته بقوله

ياجاهدا في مساوهم بكتهم * عذر الرشيد يحيى كيف ينكتهم
ذاق الزبيري غب الخنث وانكشفت * عن ابن فاطمة الاقوال والتهم

ومع ظهور مثل هذا لآية العظمة قتل يحيى في الحبس شرقية وكانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها قاراً ورونقاً وخيراً وأوسعها رقعة مملكة جبي الرشيد معظم الدنيا وكان أحد عماله صاحب مصر ولم يجمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندما والمغنيين ما يجمع على باب الرشيد وكان يصل كل واحد منهم أجر لصلته ويرفعه إلى أعلى درجة وكان فاضلاً شاعراً راوياً للخيار والآثار والأشعار صحيح الذوق والتميز بهيما عندنا خاصة والعامة قبض على موسى بن جعفر عليهما السلام وأحضره في قبة إلى بغداد فخنسه نيدار السندي بن شاهك ثم قتل وأظهر أنه مات حتف أنفه

(شرح كيفية الحال في ذلك) كان بعض خصام موسى بن جعفر من أقاربه قدوشى به إلى الرشيد وقال له إن الناس يحملون إلى موسى خمس أموالهم ويعتقدون أمامته وأنه على عزم الخروج عليك وأكثر في القول فوقع ذلك عند الرشيد بوقع أهمه وأقلقه ثم أعطى الواشي مالا أحاله به على البلاد فلم يتبع به وما وصل المال من البلاد إلا وقد مرض مرضة شديدة ومات فيها وأما الرشيد فإنه حج في تلك السنة فلما ورد المدينة قبض على موسى بن جعفر وجعله في قبة إلى بغداد فخنسه عند السندي بن شاهك وكان الرشيد بالرقعة فأمر بقتله فقتل قتلاً خفياً ثم أدخلوا عليه جماعة من العدول بالكسح فليشاهدوا مظهرها أنه مات حتف أنفه صلات الله عليه وسلامه ومات الرشيد بطوس وكان خرج إلى خراسان لمحاربة رافع بن الليث بن نصر بن سيار وكان هذا رافع قد خرج وخلع الطاعة وتغلب على سمرقند وقتل عاملها أو ملكها وقويت شوكة فخرج الرشيد بنفسه إليه فمات بطوس في سنة ثلاث وتسعين ومائة

شرح حال الوزارة في أيامه

لما بويع بالخلافة استوزر كاتبه قبل الخلافه يحيى بن خالد بن برمك وظهرت دولة بني برمك من حينئذ (شرح أحوال الدولة البرمكية وذكر مبدئها وما لها) كانوا قد جمعوا على دين النجاشي ثم أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامهم وهذه الدولة البرمكية كانت غرة في جبهة الدهر وتاجاً على مفرق العصر ضربت بجمارها الأمثال وشدت إليها الرجال ونيطت بها الآمال وبذلت لها الدنيا أفلاًزاً بكادها ومنحتها ما أوفر أسعادها فكان يحيى وشبهه كالنجوم زاهرة والبحور زاخرة والسيول واقعة

والغيوث ماطرة أسواق الآداب عندهم نافقة ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية والدنيا في أيامهم عامرة وأبهاء المملكة ظاهرة وهم ملجأ اللهيئ ومعتصم الطريد ولهم يقول أبو نؤاس

سلام على الدنيا إذا ما تقدمت * بنى برك من رأتين وغاد

(ذكر وزارة يحيى بن خالد الرشيد) لمجلس الرشيد على سرير المملكة استوزر يحيى بن خالد بن برك وكان كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافة فنقض يحيى بن خالد أعباء الدولة أتم نهوض وسد الثغور وتدارك الخلل ووجي الأموال وعز الأطراف وأظهر رونق الخلافة وتصدى لملهمات المملكة وكان كاتباً بليغاً لبيماً أديباً شديداً صائب الآراء حسن التدبير ضابطاً لما تحت يده قوي على الأمور جواداً يسارى الرمح كرماً وجوداً ممدحاً بكل لسان حلماً عفيفاً وقوراً مهيباً وله يقول القائل

لا ترائى مصاحفاً كفى يحيى * انى ان فعلت ضيعت مالى

لوعيس الخيل راحة يحيى * لسخت نفسه يذل النوال

ومن آراء يحيى السديقة ما قاله للهادى وقد عزم على أن يتخلع أحامهرون من الخلافة ويباع لابنه جعفر بن الهادى وكان يحيى كاتب الرشيد وهو يترى أن يتولى هرون الخلافة فيصير هو وزير الدولة فخذاً للهادى يحيى ووهب له عشرين ألف دينار وحادثه في خلعه هرون أخيه والمبايعه بلجفر ابنه فقال له يحيى يا أمير المؤمنين ان فعلت جئت الناس على نكت الايمان ونقض العهد وتجرأ الناس على مثل ذلك ولو تركت أخاك هرون على ولانة العهد ثم بايعت بلجفر بعدة كان ذلك أوكد في بيعته فتركه الهادى ذلك مدة ثم غلب عليه حب الولد فأحضر يحيى مرة ثانية وفاوضه في ذلك فقال له يحيى يا أمير المؤمنين لو حدث بك حادث الموت وقد خلعت أخاك وباعته لا ينك جعفر وهو صغير دون البلوغ أفترى كنت خلافته تصح وكان مشايخ بني هاشم يرضون ذلك ويسلمون الخلافة اليه قال لا قال يحيى فدع هذا الامر حتى تأتية عفواً ولو لم يكن المهدي بايع لهرون لوجب أن تابع أنت له لتلا تخرج الخلافة من بني أليك فصوب الهادى رأيه وكان الرشيد بعد ذلك يرى هذه من أعظم أيادي يحيى بن خالد عنده

ومن مكارمه قيل ان الرشيد لما كتب البرامكة واستأصل شأفتهم حرم على الشعراء أن يرثوهم وأمر بالمؤاخذه على ذلك فأجتاز بعض الحرس بعض الخربات فرأى انساناً واقفاً في يد رقيقة فيها شعر يتضمن رثاء البرامكة وهو ينشده ويبكي فأخذته الحرس وأتى به الى الرشيد وقص عليه الصورة فاستحضر الرشيد وسأله عن ذلك فاعترف به فقال له الرشيد أما سمعت تقرأهم لا فعلن بك ولا صنعن فقال له أمير المؤمنين ان أدت لى في حكاية حالى حكيتها ثم بعد ذلك أنت ورأيت قال قل

قال اني كنت من اصغر كتاب يحيى بن خالد وأرقهم حالاً فقال لي يوماً اريد أن تضيفني في دارك يوماً
فقلت يا مولانا نادون ذلك وداري لا تصلح لهذا قال لابد من ذلك قلت فان كان لابداً فهلني مدة
حتى اصليح شأني ومنزلي ثم بعد ذلك أنت ورايك قال كم أمهلك قلت سنة قال كثير قلت فشمهورا قال نعم
فخصيت وشزعت في اصلاح المنزل وتميئة أسباب الدعوة فلما تهيأت الأسباب أعلمت الوزير بذلك
فقال نحن غلام عندك فخصيت وتميأت في الطعام والشراب وما يحتاج اليه فحضر الوزير في غد
ومعه ابنا جعفر والفضل وعدة يسيرة من خواص اتباعه فنزل عن دابته ونزل واداء جعفر والفضل
ومن معه وقال يا فلان انا جئت فنجعل لي بشي فقال لي الفضل ابني الوزير يحبه الفرار بريح المشوية
فجعل منها حاضر فدخلت وأحضرت شيئاً لكل الوزير ثم قام ثمشى في النار وقال يا فلان فرحنا
في دارك فقلت يا مولانا هذه هي داري ليس لي غيرها قال بل لي غيرها قلت والله ما أملك سواها
فقال ها وبأشياء فلما حضر قال له افتح في هذا الحائط باباً خضى ليفتح فقلت يا مولانا كيف يجوز
ان يفتح باب الى بيوت الجيران والله أوصي بحفظ الجدار قال لا بأس في ذلك ثم فتح الباب فقام الوزير
وأبناؤه فدخلوا فيه وأجمعهم فخرج منه الى بستان حسن كثير الاشجار والماء يتدفق فيه وبه
من المقاصير والسكن ما يروق كل ناظر وفيه من الآلات والفرش والخدم والجواري كل جميل
بديع فقال هذا المنزل لجميع ما فيه لك فقبلت يده ودعوت له وتحققت القصة فاذها هو من يوم حادثني
في معنى الدعوة فقرأ رسل واشترى الاملاك المجاورة لي وعمرها داراً حسنة ونقل اليها من كل شيء
وأنا لا أعلم وكتب ارى العمارة وأحسب البعض الجيران فقال لابني جعفر يا بني هذا منزل وعيال
فالساد من أين تكون له قال جعفر فقرأ عطية الضيعة الفلانية بعانيها وسأكتب له بذلك كتاباً
فالتفت الى ابني الفضل وقال له يا بني فمن الآن الى أن يدخل دخل هذه الضيعة ما الذي ينفق فقال
الفضل على عشرة آلاف دينار أجعلها اليه فقال فاجعلها ما قلتما فكتب لي جعفر بالضيعة
وجعل الفضل الى المال فأثرنت وارتفعت حالي وكسبت بعد ذلك معه ما لا طائل إلا أنا أنقلب فيه
الى اليوم فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد فرصياً أعكن فيها من الناء عليهم والدعاء لهم الا انتهزتها ما كافاة
لهم على احسانهم ولن أقدر على مكافأته فان كنت قاتلي على ذلك فأفعل ما بدا لك ففرق الرشيد ذلك
وأطلقه وأذن لجميع الناس في دنائهم

فيل ان هرون الرشيد ج مع يحيى بن خالد بن برمك ومعهم واداء الفضل وجعفر فلما وصلوا الى المدينة
جلس الرشيد ومعهم يحيى فأعطيا الناس وجلس الامين ومعهم الفضل بن يحيى فأعطيا الناس
وجلس المأمون ومعهم جعفر فأعطيا الناس فأعطوا في تلك السنة ثلاث أعطيات ضربت بكثرتها
الامثال وكافوا اسمونه عام الاعطيات الثلاث وأثرى الناس بسبب ذلك وفي ذلك يقول الشاعر

أنا بنو الآمال من آل برمك * فيا طبيب أخبار ويا حسن منظر
 لهم رحلة في كل عام إلى العدا * وأخرى إلى البيت العتيق المستر
 إذا زلوا بطحاء مكة أشرقت * يبعي وبالفضل بن يحيى وجعفر
 فظلم بغداد وتجاوزنا الدجى * بمكة ما نحو ثلاثة أفر
 فما خلقت إلا لجود أكفهم * وأقدامهم إلا لآعواد منبر
 إذا راض يحيى الأمر نلت صعا به * وناهيك من راع له ومدبر
 كان يقول يحيى ما خاطبني أحد إلا هبته حتى يتكلم فإذا تكلم كان بين اثنين إمامان يزيد هينته
 أو تضعل وكان يقول المواعيد شبك الكرام يصيدون بها حملا لحرار كان يحيى إذا ركب
 يعد صريرا في كل صرعة ما تادروهم يدفعها إلى المتعرضين له

سيرة ولده الفضل بن يحيى

كان الفضل من كرام الدنيا وأجواد أهل عصره وكان قد أُرِضَته أمه روث الرشيد وأرضته أمه
 الرشيد وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة
 كنت لك خيرا إن أكرم حوة * غدتك بئدي والخليفة واحد
 لقد نذت يحيى في المشاهد كلها * كجزان يحيى حالنا في المشاهد
 ولما الرشيد خراسان فخرج إليه أبو الهول الشاعر مادحا معتذرا من شعر كان بهجابه فأنشده
 نرى نحوهم من غصبة الفضل عارض * له لحمة فيها البوارق والرعذ
 وكيف ينالم الليل ملبق فراشه * على مدرج يعتاده الأسد الورذ
 وما إلى إلا الفضل بن يحيى بن خالد * من الجرم ما يخشى على مثله الحقد
 جدد بالرضى لا أبتغي منك غيره * ورأيك فيما كنت عودتي بعد
 فقال له الفضل لا أحمل تفريقك بين رضاي واحسانى وهما مقرونان فإن أردتهم معا والا
 فدعهم معا ثم وصله ورضى عنه

حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كنت قد ريت جارية وثقفتها وعلمتها حتى برعت ثم أهديتها
 إلى الفضل بن يحيى فقال لي يا اسحق إن رسول صاحب مصر قد وردني إلى بئسائي حاجة أفرحها عليه
 فدع هذه الجارية عندك فأننى سأطلبها وأعلمه أنى أريد هاته سوقي يحضر اليك ويساومك فيها
 فلا تأخذ فيها أقل من خمسين ألف دينار قال اسحق فغضبت بالجارية إلى منزلي فجاءني رسول صاحب
 مصر وسألني عن الجارية فأخرجتها إليه فبذل فيها عشرة آلاف دينار فامتعت فصعدا إلى عشرين
 ألف دينار فامتعت فصعدا إلى ثلاثين ألفا فلم يملك نفسي حتى قلت له بعثك وسلت الجارية إليه
 (٢٣) القطع المنتخب (جزء ثالث)

وقبضت منه المال ثم اتيت من الغد الى الفضل بن يحيى فقال يا اسحق بكى بعت الجارية قلت بثلاثين ألف دينار قال ألم أقل لك لا تأخذ منه أقل من خمسين ألفا قلت فذلك أبى وأمرى والله ما ملكت نفسي منذ سمعت لفظه ثلاثين فقيسم ثم قال ان رسول صاحب الروم قد سألنى أيضا حاجة وسأطرح عليه هذه الجارية وأدله عليك فخذ جاريته وانصرف الى منزلك فاذا ساموك فيها فلا تأخذ منه أقل من خمسين ألف دينار

فأخذت الجارية وانصرفت الى منزلى فأنا فى رسول صاحب الروم وسامونى فى الجارية فطلبت خمسين ألفا فقال هذا كثير ولكن تأخذ منى ثلاثين ألفا فوالله ما ملكت نفسي منذ سمعت لفظه ثلاثين ألفا حتى قلت له بعته ثم قبضت المال منه وسلمت الجارية اليه ومضيت من الغد الى الفضل بن يحيى فقال ما صنعت وبكى بعت الجارية يا اسحق قلت بثلاثين ألفا قال سبحان الله ما أوصيتك أن لا تأخذ فيها أقل من خمسين ألفا قلت جعلت فداك والله انى لم اسمع قوله ثلاثين ألفا استرخت جميع أعضائى ففعلت وقال خذ جاريته واذهب الى منزلك فى غد يبعى اليك رسول صاحب خراسان فقرو نفسك ولا تأخذ منه أقل من خمسين ألفا قال اسحق فأخذت الجارية ومضت الى منزلى فجاءنى رسول صاحب خراسان وسامونى فيها فطلبت خمسين ألفا فقال لى هذا كثير ولكن تأخذ ثلاثين ألفا فقيمت نفسي وامتنعت فصعد معى الى أربعين ألف دينار فكاد عقلى يذهب من الفرح ولم أعلم أن أقوله بعته فأحضر المال وأقبضته وسلمت الجارية اليه ومضيت من الغد الى الفضل فقال لى بكى بعت الجارية قلت بأربعين ألفا والله لما سمعته ما نكد عقلى يذهب وقد حصل عندي جعلت فداك مائة ألف دينار ولم يبق لى أمل فأحسن الله جزاءه فأهر بالجارية فأخرجت الى وقال يا اسحق خذ جاريته وانصرف قال اسحق فقلت هذه الجارية والله أعظم الناس بركة فأعتقها وتزوجها فولدت لى أولادى

قيل ان محمدا بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس خضر يوما عند الفضل بن يحيى ومعهم سق في جوهر وقال له ان حاصل قد قصر عما أحتاج اليه وقد علانى دين مبلغه ألف ألف درهم وانى أستحي أن أعلم أحدا بذلك وأنت أن أسأل أحدا من التجار أن يقرضنى ذلك وان كان معى رهن فى بالقيمة وأنت أبى الله لك تجار يعاملونك وأنا أسألك أن تقرض لى من أحدهم هذا المبلغ وتعطيه هذا الرهن فقال له الفضل السمع والطاعة ولكن فجع هذا الحاجة أن تقيم عندي هذا اليوم فاقام عنده ثم ان الفضل أخذ السق منه وهو محتوم بخته وأرسل معه ألف ألف درهم ونفذ الدراهم والسق الى منزله وأخذ خط وكيله بقبضه فاقام محمدا فى دار الفضل الى آخر النهار ثم انصرف الى داره فوجد السق ومعهم ألف ألف درهم فسر بذلك سرورا عظيما فلما كان من الغد

بكر الى الفضل ليُسكركم على ذلك فوجهه قد بكر الى دار الرشيد فضى محمد الى دار الرشيد فلما علم الفضل به خرج من باب آخر ومضى الى دار الرشيد فضى محمد اليه واجتمع به وشكره على فعله وقال اني بكرت اليك لاشكر لك على احسانك فقال له الفضل اني فكرت في امرك فرأيت ان هذا الالف ألفا التي حملتها امس اليك تقضى بهاديتك ثم تحتاج اليه فتقرض فبعد قليل بعادوك مثلها ففكرت اليوم الى أمير المؤمنين وعرضت عليه حاله وأخذت لك منه ألف ألف درهم أخرى فلما حضرت الى باب أمير المؤمنين خرجت أنا وباب آخر وكذلك فعلت لما حضرت الى باب أبي لاني ما كنت أوثر أن ألفا لك حتى يحمل المال الى منزلك وقد سجل فقال له محمد بأى شئ أجازيك على هذا الاحسان ما عندي شئ أجازيك به الا اني ألزمتها بالامان المؤكدة وبالطلاق والعناق والحج ما أتق على باب غيرك ولا أسأل سواك قالوا وحلف محمد بما قاموا كذبه وكتب بها خطه وأشهد به عليه أنه لا يفتى سب غير الفضل بن يحيى فلم تذهب دولة البرامكة وولى الفضل بن الربيع الوزارة بعدهم احتاج محمد فقالوا له لو ركبك الى الفضل بن الربيع فلم يفعل والتمز باليمين فلم يركب الى أحد ولم يقف على باب أحد حتى مات

سيرة جعفر بن يحيى البرمكي

كان جعفر بن يحيى فصحا بليذا كيا فطنا كريما حلما وكان الرشيد يأنس به أكثر من أنسه باخيه الفضل لسهولة أخلاق جعفر وشراسته أخلاق الفضل قال الرشيد يوم يحيى بأبي ما بال الناس يسمون الفضل الوزير الصغير ولا يسمون جعفر بذلك فقال يحيى لان الفضل يخلفني قال فضم الى جعفر أعمالا كإعمال الفضل فقال يحيى ان خدمتك ومنادمتك تشغلانه عن ذلك فجعل اليه أمر دار الرشيد وسمى بالوزير الصغير أيضا

قال الرشيد يوم يحيى قد أحببت أن أنقل ديوان الخاتم من الفضل الى جعفر وقد استعجيت من مكانتي في هذا المعنى فكتب أنت اليه فكتب يحيى الى الفضل قد أمر أمير المؤمنين بأعلى الله أمره أن تحول الخاتم من عيشك الى شمالي فأجاب الفضل قد سمعت لما أمر به أمير المؤمنين في أني وما نقتات عني نعمة صارت اليه ولا غرت عني رتبة طلعت عليه فقال جعفر لله در أني ما أكرس نعمة وأظهر دلائل الفضل عليه وأقوى منه العقل عنده وأوسع في البلاغ نذره

فقال ان جعفر بن يحيى البرمكي جلس يوما للشرب وأحب الخلوة فأحضر ندما الذين يأنس بهم وجلس معهم وقد هيئ المجلس ولبسوا الثياب المصبغة وكانوا اذا جلسوا في مجلس الشرب والهوا لبسوا الثياب الحر والمفر والخضر ثم ان جعفر بن يحيى تقدم الى الحاجب أن لا يأتين لانهم من خلق الله تعالى سوى رجل من الندماء كان قد تأخر عنهم اسمه عبد الملك بن صالح

ثم جلسوا يشربون ودارت الكاسات وخفقت العيذان وكان وجل من أطارب الخليفة يقال له عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وكان شديد الوفا والدين والحشمة وكان الرشيد قد التمس منه أن ينادمه ويشرب معه وبذل له على ذلك أموالا جليلة فلم يفعل فاتفق أن هذا عبد الملك بن صالح حضر إلى باب جعفر بن يحيى ليخاطبه في حوائج له فظن الحاجب أنه هو عبد الملك بن صالح الذي تقدم جعفر بن يحيى بالأذن له وأن لا يدخل غيره فأذن الحاجب له فدخل عبد الملك بن صالح العباسي على جعفر بن يحيى فلما رآه جعفر كداعقه يذهب من الحياء وفطن أن القضية قد اشتمت على الحاجب بطريق استنباه الاسم وفطن عبد الملك بن صالح أيضا للقصة وظهر له الخلل في وجه جعفر بن يحيى فابسط عبد الملك وقال لأبأس عليكم أحضروا لنا من هذه الثياب المصبغة شيئا فأحضر له قميص مصبوغ فلبسه وجلس يباسط جعفر بن يحيى ويمارجه وقال استقوني من ثيابكم فسقوه رطلا وقال ارفقوا بنا فليس لنا عاتق هنا ثم باسطهم ومازحهم وما زال حتى ابسط جعفر بن يحيى وزال عنه انتباهه وحيأوه ففرح جعفر بذلك فرحاشيدا وقال له ما حاجتك قال جئت أصلي عليك الله في ثلاث حوائج أريد أن تخاطب الخليفة فيها أولاها أن علي دينامبلغة ألف ألف درهم أريد قضاءه ثانيا أريد ولاية لا يشرى فيها قدره وثالثها أريد أن تزوج ولدي بنة الخليفة فإنها بنت عمه وهو كفولها فقال جعفر بن يحيى قد قضى الله هذه الحوائج الثلاث أما المال ففي هذه الساعة يحمل إلى منزلك وأما الولاية فقد وليت ابنك مصر وأما الزواج فقد تزوجته فلانة بنة مولانا أمير المؤمنين على صمد أقبلغه كذا وكذا فأنصرف في أمان الله فراح عبد الملك إلى منزله فرأى المال قد سبقه ولما كان من الغد حضر جعفر عند الرشيد وعرفه ماجرى وأنه قد ولاء مصر وزوجها بنته ففجأ الرشيد من ذلك وأمضى العقد والولاية فخرج جعفر من دار الرشيد حتى كتب له التخليد بمصر وأحضر القضية والشهود وعقد العقد

وقبل أن جعفر بن يحيى كان ينيه وبين صاحب مصر عداوة ووحشة وكان كل منهما محبا بالآخر فرز بعض الناس كتابا عن لسان جعفر بن يحيى إلى صاحب مصر مضمونه أن حامل هذا الكتاب من أخص أصحابنا وقد أثار التفرج في الخيار المصرية فأريد أن تحسن الالتفات إليه وبالغ في الوصية ثم أخذ الكتاب ومضى إلى مصر وعرضه على صاحبها فلما وقف عليه تعجب منه وفرح به إلا أنه حصل عنده ارتباب وشك في الكتاب فأكرم الرجل وأثر له في دار حسنة وأقام له ما يحتاج إليه وأخذ الكتاب منه وأرسله إلى وكيله يبعده وقال له قد وصل شخص من أصحاب الوزير بهذا الكتاب وقد ارتبب به فأريد أن تنقص لي عن حقيقة الحال في ذلك وهل هذا خط الوزير أم لا

وأرسل كتاب الوزير بحجة مكتوبة الى وكيله فاجاب الوكيل الى وكيل الوزير وحديثه بالقصة وأراه الكتاب فأخذوه وكيل الوزير ودخل الى الوزير وعرفه الحال فلما وقف جعفر بن يحيى على الكتاب علم أنه من ورعيه وكان عنده جماعة من ندائه ونوابه فرمى الكتاب عليهم وقال لهم أهدأ خطي فتأملوه وأنكروه كلهم وقالوا هذاه من ورعي الوزير فعرفهم صورة الحال وأن الذي زور هذا الكتاب موجود بمصر عند صاحبها وأنه ينتظر عودا لاجواب بتحقيق حاله وقال لهم ما ترون وكيف ينبغي أن نفعل في هذا فقال بعضهم ينبغي أن يقتل هذا الرجل حتى نخسف هذه المسألة ولا يرجع أحد يتجرأ على مثل هذا الفعل وقال آخرون ينبغي أن تقطع عينه التي زور بها هذا الخط وقال آخرون ينبغي أن يوجع ضربا ويطلق حال سبيله وكان أحسنهم محضرا من قال ينبغي أن تكون عقوبته على هذا الفعل حرمانه وأن يعرف صاحب مصر بحاله ليحرمه فكيفه من العقوبة أنه قد قطع هذه المسافة البعيدة من بغداد الى مصر ثم يرجع خائبا فلما فرغوا من حديثهم قال جعفر سبحان الله أليس فيكم رجل رشيد قد علمتم ما كان ينبغي وبين صاحب مصر من العداوة والمجانبة وإن كل واحد منا كانت تمنعه عزه النفس أن يفتح باب الصلح فقد قبض الله لتأرجلنا فتح بيننا باب المصالحة والمساكنة وأزال بيننا تلك العداوة فكيف يكون جزاؤه ما ذكرتم من الاساءة ثم أخذوا القلم وكتب على ظاهر الكتاب الى صاحب مصر سبحان الله كيف حصل الشك في خطي هذا خط يدي والرجل من أعز أصحابي وأريد أن تحسن اليه وقعدا الى سريرا فاني مستأنق اليه محتاج الى حضوره فلما وصل الكتاب وفي ظاهره خط الوزير الى صاحب مصر كاد يطر من الفرح وأحسن الى الرجل غاية الاحسان وواصله بمال كبير وتحف جيلة ثم ان الرجل رجع الى بغداد وهو أحسن الناس حالا فحضر الى مجلس جعفر ووقع يمين الأرض ويكي فقال له جعفر من أنت أختي قال يا مولانا أنا عبدك وصنيعتك المزور الكذاب المتجرب فعره جعفر وبش به وأجلسه بين يديه وسأله عن حاله وقال له كم وصل اليك منه فقال مائة ألف دينار فاستقبلها جعفر وقال لازمتا حتى نضاعفها لك فلا زمة مدة فكسب معهم مثلهما

وما زالت دولة البرامكة في علو وارتفاع وتزايد حتى انهم عرف عنهم الدنيا أمانة تدل على انهم اوف دولتهم حدث بختنوش الطيب قال دخلت يوما على الرشيد وهو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام وكان البرامكة يسكنون بجذائه من الجانب الآخر بينهم وبينه عرض دجلة قال فنظر الرشيد فرأى اعتراك الخيل وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال جري الله يحيى خيرا تصلى للامور وأراحني من الكد ووفرأوقاني على اللذة ثم دخلت اليه بعداوقات وقد شرع يتغير عليهم فنظر فرأى الخيل كآرتها للمرة فقال استبدي يحيى بالامور وني فالحلقة على الحقيقة له وليس لي منها الاسمها قال فعلت أنه سينكحهم ثم ينكحهم عقيب ذلك

شرح السبب في نكبة البرامكة وكيفية الحال في ذلك

اختلف أصحاب السير والتواريخ في ذلك فقيل كان سبب ذلك أن الرشيد كاف جعفر بن يحيى قتل رجلاً من آل أبي طالب قهر جعفر من ذلك وأطلق الطائي وسعى إلى الرشيد بجعفر فقال له ما فعل الطائي قال هو في الحبس قال الرشيد بجحائي فقطن جعفر فقال لا وحياتك ولكن أطلقته لأنى علمت أنه ليس عندكم مكره فقال له الرشيد نعم ما فعلت فلما قام جعفر قال الرشيد قتلتني الله ان لم أقتلك ثم نكبتهم

وقيل إن أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع مازالوا يسعون بهم إلى الرشيد ويذكرون له استبدادهم بالمالك واحتجازهم للأموال حتى أغروا صدره فأوقع بهم وقيل إن جعفر والفضل ابني يحيى ظهر من سمان الأدلال ما لا يحتمل نفوس الملوكة فنكبتهم لذلك وقيل إن يحيى بن خالد بن وهبة يطوف حول البيت ويقول اللهم ان كان رضائي في أن تذل بني أهلي ومالي وولدي فاسلني إلا الفضل ولدي ثم ولي قتيلاً مشى قليلاً عاد وقال يارب إنه سمع عني أن يستنني عليك اللهم والفضل فنكبتهم الرشيد بعد قليل وقيل غير ذلك

شرح مقتل جعفر بن يحيى والقبض على أهله

كان الرشيد قد حج فلما عاد من الحج سار من الحيرة إلى البصرة في السفن وجعل يشرب ويركب جعفر ابن يحيى إلى الصيد وجعل يشرب ناره ويلهو أخرى وتحف الرشيد وهذا ما تأتبه وعنده يحيى شوبع الطيب وأبو زر كارا لا يعي يقنيه فلما أظلم المساء دعا الرشيد مسروراً الخادم وكان مبغضاً لجعفر وقال انهب بخني برأس جعفر ولا تراجعني فوافاه مسرور بغيرانه وهم عليه وأبو زر كان يقنيه

فلما بلغه فكل فتى سياقى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فلما دخل مسرور قال له جعفر بن يحيى لقد سررتني بمجيئك وسوتني بدخولك على بغيرانه فقال الذي جئت به أعظم أجبا أمير المؤمنين إلى ما يريد بك فوقع على رجله فقبله ما وقال له عاود أمير المؤمنين فإن الشراب قد جله على ذلك وقال دعني أدخل دارى فأوصى فقال الدخول لا سئل إليه وأما الوضوء فأوصى بماء الكافورى ثم جله إلى منزل الرشيد وعذله إلى قبة وضرب عنقه وأتى برأسه على ترس إلى الرشيد وبينه في نطع وجه الرشيد فقبض على أبيه وأخوته وأهله وأصحابه وجسمهم بالرقعة واستأصل شأفتهم ومن ظريف ما وقع في ذلك ما رواه العرائى المؤرخ قال حدثت فلان قال دخلت الديوان فنظرت في بعض نواكر النوايب فوجدت فيها أربعة بمائة ألف دينار

ثم خلعة لجعفر بن يحيى الوزير ثم دخلت بعد أيام فرأيت تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نفط وبنواري
لاحراق جثة جعفر بن يحيى ففجيت من ذلك ثم استوزر الرشيد بعد البرامكة الفضل بن الربيع
وكان حاجبه

وزارة أبي العباس الفضل بن الربيع

فكان حاجبا للصور والمهدي والهادي والرشيد فلما نكب الرشيد البرامكة استوزره بعدهم
كان الفضل بن الربيع شهما خيرا باحوال الملوك وآدابهم ولما ولي الوزارة هموس بالادب وجمع اليه
أهل العلم فحصل منه ما أراد في مدة يسيرة وكان أبو نواس من شعرائه المتقطعين اليه فمن شعره
في آل الربيع

عباس عباس اذا اضطرر الوفي * والفضل فضل والربيع ربيع
وما زال الفضل بن الربيع على وزارته الى أن مات الرشيد بطوس فجمع الفضل العسكر وما فيه
ورجع الى بغداد انتهت ذكر خلافة هرون الرشيد
(من كتاب الفري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية)

ذكر خلافة محمد الأمين

وبويع محمد بن هارون في اليوم الذي مات فيه هارون الرشيد وهو يوم السبت لاربع ليل خلون
من جادى الاول بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة وتقدم بيعته رجا الخادم وكان القيم بيعته
الفضل بن الربيع وكان محمد يكنى بأبي موسى وأمه زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر وكان مولده
بالرصافة وقتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوما ودفنت جثته ببغداد وحمل رأسه الى
نواصان وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وكان أصغر من المأمون بستة أشهر وكانت أيامه
من خلعه الى مقتله سنة ونصفا وثلاثة عشر يوما حبس فيها يومين

ونذكر جلاله من أخباره وسيره ولما عما كان في أيامه

قبض الرشيد والمأمون عمرو وبعث صالح بن الرشيد رجا الخادم مولى محمد الأمين الى محمد فأنايا الخبر
في اثني عشر يوما الى مدينة السلام يوم الخميس لل نصف من جادى الآخرة وذكر العتي وغيره
ان زبيدة رأت في المنام ليلة علققت محمد كان ثلاث نسوة دخلن عليها وهي مجلس فقعدا ننتان
عن يمينها وواحدة عن يسارها فدفنت احداهن فجعلت يدها على بطن أم جعفر ثم قالت ملك
عظيم البذل ثقيل الحمل فكنا الامر ثم فعلت الثانية فكفعلت الاولى وقالت ملك ناقص الجدد

مغالول الحد ممدوق الود تجوز أحكامه وتخونه أيامه ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت قصاب عظيم الايلاف كثير الخلاف قليل الانصاف قالت فاستيقظت وأنافزة فلما كان في الليلة التي وضعت فيها محمدا دخلن علي وأنا نائمة كما كن دخلن ففقدن عند رأسي وتظرن في وجهي ثم قالت احداهن شجرة نضرو وريحانة حسنة وروضة زاهرة ثم قالت الثانية عين غدقة قليل لبثها سريع فناؤها بجمل ذهابها وقالت الثالثة عدول نفسه ضعيف في بطشه سريع الى غشه مزال عن عرشه فاستيقظت وأنافزة بذلك وأخبرت بذلك بعض قهارمقي فقالت بعض ما يطرق النائم ثم وعبت من عبت التوايع فلما تم فصله أخذت مرقدى ومحمد أمانى في مهبه اذ بهن قد وقفن على رأسي وأقبلن على ولدى محمد فقالت احداهن ملك جبار متلاف مهادر بعيد الامار سريع العثار ثم قالت الثانية ناطق مخصوص ومحارب مهزوم وراغب محروم وشقي مهموم وقالت الثالثة أحفروا قبره ثم شقوا ظهره وقدموا أكفانه وأعدوا جهازه فان موته خير من حياته قالت فاستيقظت وأنا مضطربة وجهه وسألت مفسرى الاحلام والمتجيمين فكل بخبر في سعادته وحياته وطول عمره وقلبي بأني ذلك ثم زجرت نفسي وقلت هل يدفع القدر أو يقدر أحد أن يدفع عن أحبابه الاجل

ومات أبو بكر بن عياش الكوفي وهو ابن ثمان وتسعين سنة بعد موت الرشيد بثمانى عشر ليلة ولما هم محمد بخلع المأمون شاور عبد الله بن حازم فقال له أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول الخلفاء نكت عهده ونقض ميثاقه واستخف بيمينه فقال أسكتك أبوك فبعد الملك بن صالح كان أفضل منك رأيا حيث يقول لا يجتمع خيلان في أجرة وجمع القواد وشاورهم فابعوه في مراده الى أن بلغ الى هرمته بن حازم فقال يا أمير المؤمنين لن يتحكك من كذبك ولن يغشك من صدقك ولا تخبر القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكت العهد فينكثوا عهدهك وبيعك فان الغادر مخذول والناكت مغالول ودخل على بن عيسى بن ماهان فقبسهم محمد وقال تكن شيخ هذه الدعوة وباب هذه الدولة لا يخالف امامه ولا يوهن طاعته ثم رفعه الى موضع ما رفعه اليه فيمضى وكان على بن عيسى أول من أجاب الى خلع المأمون فسيره في جيش عظيم نحو المأمون فلما قرب من الرى قيل له ان طاهر بن الحسين مقيم بها وقد كان يظن أن طاهرا لا يثبت له فقال ما طاهر الا شوكة من أعصابى وشرارة من نارى وما مثل طاهر يؤمر على جيش وما بينه وبين الامين الا أن تقع عينه على سوادكم فان السخيل لا تقوى على نطاح الكاش والهاب لا تقدر على لقاء الاسند فقال له ابنة ابنت طلائع وارتمو مضع العسكر فقال ليس طاهر يستعده بالمكاييد والتحفظ ان حال طاهر يؤدى الى أمر بن امان أن تحصن بالرى فينبه أهلها أو يكفونا مؤتمسه

أو يخلها وينذر راجعاً وقد قرب حيواناً منه فقال له ابنه ان الشرارة ربما صارت ضراماً فقال ان طاهراً ليس قرناً في هذا الموضع وانما يحترس الرجال من أقرانها وسار على بن عيسى وبث عساكرهم الى رنين ما عليه طاهر من الجذد وأهبة الحرب وضم الاطراف فعدل الى رستاق من رستاق الري متياسراً عن الطريق فنزل وانبسط عساكره وأقبل طاهر في نحو من أربعة آلاف فارس فاشرف على عساكر على بن عيسى وتبين كثرتها وعدة ما فيها فعلم أن لاطافه به بذلك الجيش فقال لخواصه ومن معه فجعلها خارجية وكردس خيله كراديس وصمد في نحو القلب في سبعمائة من الخوارزمية وغيرهم من فرسان خراسان وخرج اليه من القلب العباس بن الليث مولى العهد وكان فارساً فاصفاه طاهر وضم يديه على سيفه فألقى عليه وكان على بن رزون كتب أرجل وتما على رأسه الرجال وتنازعوا في خاتمه ورأسه فذبحه رجل يعرف بطاهر بن الرابي وقبض آخر على خصلته من شعر لحينه وآخر على خاتمه وكان سبب هزيمة الجيش ضربة طاهر بسيفه جميعاً العباس بن الليث وبذلك سمى طاهر هذا اليمينين لجمعه يديه على السيف

وذكر أحمد بن هشام وكان من وجوه القواد قال جئت الى مضرب طاهر وقد توهم أني قتلت في المعركة ومعي رأس على فقال البشري هذه خصلة من رأس على مع غلاي في الخلافة فطره قدمه ثم أتى بجثته وقد شدت يده ورجله كما يفعل بالدواب اذا ماتت فأمر به طاهر فألقى في بئر وكتب الى ذي الرياستن فسكران في الكتاب أطل الله بقالك وكتب أعدائك كتابي اليك ورأس على بن عيسى بين يدي وخاتمه في أصبعي والحمد لله رب العالمين فسر المأمون بذلك وسلم عليه في ذلك الوقت بالخلافة وقد كانت أم جعفر لا تعلق من الرشيد فشاو بعض مجالسيه من الحكماء وشكوا ذلك اليه فاشار عليه بان يغيرها فان ابراهيم الخليل عليه السلام كانت عنده سارة فلم تكن تعلق منه فلما وهبت له هاجر علفت منه باسماعيل فغارت سارة عند ذلك فعلق باسحاق فاشترى الرشيد أم المأمون فاستخلاها فعلقته بالمأمون فغارت أم جعفر عند ذلك فعلقته بعمد وقد قدمنا التنازع في ذلك أعنى قصص ابراهيم واسماعيل واسحاق وقول من ذهب الى أن اسحاق هو المأمور بذبحه ومن قال بل اسماعيل وما ذكر كل فريق منهم وقد تناظر في ذلك السلف والخلف فن ذلك ماجرى بين عبدالله بن عباس وبين مولاة عكرمة وقد قال عكرمة من المأمور بذبحه فقال اسماعيل واحتج بقول الله عز وجل ومن وراء اسحاق يعقوب ألا ترى أنه بشر ابراهيم بولادة اسحاق فكيف يأمره بذبحه فقال له عكرمة أنا أنا وأخذت ان الذبيح اسحاق من القرآن واحتج بقول الله عز وجل وكلنا يجتنبك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبيك من قبل ابراهيم واسحاق فنعمته على ابراهيم أن نجاه من النار ونعمته على اسحاق أن فداه بالذبح

وكانت وفاة مكرمه مولى ابن العباس سنة خمس ومائة ويكنى أبا عبد الله ومات في اليوم الذى مات فيه كثير غرة فقال الناس مات عظيم الفقهاء وكبير الشعراء وفيها كانت وفاة الشعبي وذكر إبراهيم بن المهدي قال استأذنت على الامين يوما وقد اشتد الحصار عليه من كل وجه فأتوا أن ياذنوا لي بالدخول عليه الى أن كاثرت ودخلت فأذا هو قد تطلع الى دجلة بالشباك وكان في وسط قصره بركة عظيمة لها محترق الى الملاء في دجلة وفي المحترق شبك حديد فسلت عليه وهو مقبل على الماء وانخدم والغلمان قد انتشروا الى تفتيش الماء وهو كالواله فقال لي وقد نيت بالسلام وكررت لا تؤذوني فقرطني قد ذهبت في البركة الى الدجلة والمقرطه سمكة كانت قد صيدت له وهي صغيرة فقرطها حلقتي من ذهب فيها حيتا در قال فخرحت وأنا مؤيس من فلاحه وقتلوا رندع من وقت لكان هذا الوقت وكان محمد في نهاية الشدة والقوة والبطش والهاموا لجمال الآله كان عاجز الرأى ضعيف التدبير غير مفكر في أمره

(وحكى) انه اصطحب يوما وقد كان خرج أصحاب البليد والحراب على البغال وهم الذين كانوا يصطادون السباع الى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوتى والقصر فاحتالوا في السبع الى أن أتوا به في قفص من خشب على جبل يمتد خط بياب القصر وأدخل يخل في صحن القصر والامين مصطحب فقال خلوا عنه وشيلاوياب القفص فقبل له يأمر المؤمنين انه سبع هائل أسود وحش فقال خلوا عنه فشاووا ياب القفص فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور فزار وضرب بنبيه الى الارض فتهارب الناس وغلقت الابواب في وجهه وبقي الامين وحده جالساً موضعه غير مكثرت بالاسد فيقصده الاسد حتى دنا منه فضرب الامين بيده الى مرفقة ارمية فامتنع منه بها ومد السبع يده اليه ف جذبها الامين وقبض على أصل أذنيه وغرزه ثم هزه ودفع به الى خلف فوقع السبع ميتا على مؤخره وتبال در الناس الامين قائداً أصابعه ومفاصل يديه قد زالت عن مواضعها فأتى بجبر فرد عظام أصابعه الى مواضعها وجلس كأنه لم يعمل شيئاً فشقوا بطن الاسد فاذا امرأته انشقت عن كبده

وحكى أن المنصور جلس ذات يوم ودخل اليه بنوه اشمن من أهله فقال لهم وهو مستبشر أعلمتم أن محمدا المهدي والى البرحلة ولذكر وقد سمينا موسى فلما سمع القوم ذلك وجوا وكأنيما في في وجوههم المادون بصحروا جوابا فنظر اليهم المنصور فقال لهم هذا موضع دعائهم ثم وأراكم قد سكتتم ثم استرجع فقال كآني بكم لما أخبرتكم تسميتي يا موسى اغتممت به لان المولود السمي بموسى بن محمد هو الذى على رأسه تختلف الكلمة وتنتهب الخراف وتضطرب الملك ويقتل أبوه وهو الخلوغ من الخلافة ليس هو ذلك ولا هذا زمانه والله ان جد هذا المولود يعنى هارون الرشيد

لم يولد بعد قال فدعوا له وهنوا وهنوا المهدي وكان هذا موسى الهادي أخ الرشيد وكان العهد الذي كسبه الرشيد بن الأمين والمأمون وأودعها الكعبة أن الغادر منهم ما خرج من الأمراء منهم ما غدر بصاحبه وانحلافة للقدور به

(من كتاب مروج الذهب)

ذكر خلافة المعتصم

وبويع المعتصم في اليوم الذي كانت فيه وفاة المأمون على عين البسديون وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين واسمه محمد بن هارون ويكنى بأبي اسحاق وكان ينسب إلى العباس بن المأمون في ذلك الوقت تنازع في المجلس ثم افتاد العباس إلى بيعته والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين وأمه أساحية اسمها مارية بنت شبيب وقيل أنه بويع سنة تسع عشرة ووفى بسر من رأى سنة تسع وعشرين وهو ابن ست وأربعين سنة وعشرة أشهر فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وقبره بالجوسق

ذكر جل من أخباره وسيره ولع مما كان في أيامه

واستوزر المعتصم محمد بن عبد الملك إلى آخر أيامه وغلب عليه ابن أبي دؤاد ولم ير لمحمد بن عبد الملك في أيام المعتصم والوائق إلى أن ولي المتوكل وكان في نفسه عليه شئ فقتله وكان المعتصم يحب العمارة ويقول إن فيها أمورا حمودة فأولها عمران الأرض التي يحيي بها العالم وعلما به أن كواخرها وتكثر الأموال وتعيش البهائم وترخص الأسعار ويكثر الكسب وتسع المعاش وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك إذا وجدت موضعا متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاعتي بعد سنة أحدهم درهما فلا تؤامرني فيه وكان المعتصم ذابا من شدة في قلبه فذكر أجد بن أبي دؤاد وكان به أنساقا فلما أنكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوما وعنده ابن ماسويه فقام المعتصم فقال لي لا تبرح حتى أخرج اليك فقلت ليحيى بن ماسويه ويحك أني أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ونقصت قوته ونهبت سورته فكيف ترامأت قال هو والله زبرة من زبر الحديد الآن في يده فأسا يضرب بها تلك الزبرة فقلت وكيف ذلك قال كان قبل ذلك إذا كل السمك اتخذته صبغا من انخل والكراويا والكبون والسداب والكرفس وانخل ذلك الصباغ فدفع أنى السمك واضراره بالعصب وإذا كل الروس اتخذته أصباغ تدفع أناها وتلطفها وكان في أكثر أموره بلطف غذاه ويكثر مشورتي فصار اليوم إذا أنكرت عليه شيا خالفني وقال أأ كل هذا على رغم أنف ابن ماسويه قال وهو خف السرير يجمع ما نحن فيه فقلت ويحك ليحيى أدخل أصبعك في عينيه

قال جعلت فداك ما أقدر أراته ولا أجترى عليه في خلاف فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم فقال لي ما الذي كنت فيه مع ابن ماسويه قلت ناظرته يا أمير المؤمنين في لونك الذي أراه حائلا وفي قلة طعامك الذي هدد جوارحي وأفعل جسمي قال فما قال لك قلت شكاً أنك كنت تقبل ما يشربه عليك وكنت ترى في ذلك على ما يحب وانك الآن تخالفه قال فما قلت له أنت قال جعلت أصراف الكلام قال فضحك وقال هذا بعد ما دخل في عيني أو قبل ذلك قال فارفضت عرفاً وعلت أنه قد سمع ما كافيته ورأى ما قد دخلني فقال يغفر لك يا أجد لقد فرحت بما ظننت أنه آخرتك إذا سمعته وعلت أنه نوع من أنواع الانبساط والبسط وكان المعتصم بأنس بعلي بن الجندب لاسكا في وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة أهل السواد فقال المعتصم يوماً لمحمد بن حماد اذهب بالعداء إلى علي بن الجندب فقل له يتهيا حتى يراملني فأناؤه فقال له إن أمير المؤمنين يأمر بك أن تراه فتهيا لشروط من أملة الخلفاء قال علي بن الجندب وكيف أتهيا أيها في رأسا غير رأسي أشتري لحية غير لحيتي أأزدي في قامتي أنا تهني وفضله قال لست تدري بعد ما شروط من أملة الخلفاء ومما عدلهم فقال علي بن الجندب وما هي هات يا من تدري قال له ابن حماد وكان أديبا ظريفا وكان يرسم الحجاب شرط المعادلة الامتناع بالحديث والمذاكرة والمناولة وأن لا يترق ولا يسعل ولا يتنخخ ولا يخط وأن يتقدم الرئيس في الركوب اشفاها عليه من الميل وأن يتقدمه في النزول فتي لم يفعل المعادل هذا كان سواء والمثقلة الرصاص التي تعدلهم القبة واحدا وليس له أن ينام وأن نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتسقط ومراعاة حال من هو معه وما هو رآه كانهم ما إذا ناما جميعا فالجانب لا يشعر بميله كان في ذلك ما لا يخفاه وعلي ابن الجندب يتظر إليه فلما أكثر عليه في هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد آخرها اذهب له فقل له ما راملناك الأمن أمه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئتني به فإياه فقال يا علي أبعث اليك تاملني فلا تفعل فقال ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءني بشروط حسان الشاشي وخالويه الهاكي فقال لا تترق ولا تنعل كذا وافعل كذا وجعل يخط في كلامه ويرفع من صاداته ويشير بيديه ولا تسعل ولا تعطس وهذا لا يقوم لي ولا أقدر عليه فان رضيت أن أزالملك فان جاءني القساء فسوت عليك وضربت وإذا جاءك أنت فأده فاقسو واضطروا فلا فلس بيني وبينك عمل فضحك المعتصم حتى خفس برجائه وذهب به الضحك كل مذهبه وقال نعم تاملني على هذه الشريطة قال نعم وكرامة فزامله في قبة على بغل فسار ساعة وبوسط البر فقال علي يا أمير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى قال ذلك اليك أنا شئت قال يحضر ابن حماد فأمر المعتصم بإحضاره فقال له علي تعال حتى أسارك فلما دنا منه فسأله وناولته

وقال أجدد بيبشي في كفي فانظر ما هو فأدخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما أرى شيأ
ولكني لم أعلم ان في جوف ثيابك كنيفا والمعتصم قد غطي فيه بكبه وقد ذهب به الخنك كل مذهب
ثم جعل يفسوفا متصلا ثم قال لابن جاد قلت لي لا تسعل ولا تنزق ولا تنخط فلم أفعل ولكني أنزرا
عليك قال فانصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارة ثم قال للمعتصم قد نجت القدر
وأريد أخرى فقال للمعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه وبلك يا غلام الأرض الساعة أموت
ودخل على بن الحنيد الاسكافي يوم اعلى المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه وزهله يا علي مالي لأراك
وبلك أنسيت العجبة وما حفظت المودة فقال له حينئذ بالغ الكلام الذي أريد أن أقوله قلته أنت
ما أنت الا ابليس ففعلك ثم قال لا تجشني قال آه كم أجي مقلأ أصل أنت اليوم نبيل فكأنك من
بنى مادية وبنومارية أناس من أهل السواد يضربهم أهل السواد الامثال لكبرهم في نفوسهم
فقال له المعتصم هذا سندان التركي وأشار الى غلام على رأسه يدمم مذبذبة وقال له يا سندان
اذا حضرت فأعطني وان أعطاك رقعة فأوصلها الي وان حملك رسالة فآخري بها قال نعم يا سيدي
وانصرف فأقام أياما ثم جاء يطلب سندان فقالوا هو نائم فانصرف ثم عاد فقالوا هو داخل ولا تصل
اليه فالصرف وعاد فقالوا هو عند أمير المؤمنين فاحتمل حتى دخل عند المعتصم من جهة أخرى
فضاحكه ساعة وعاتبه وقال له يا علي ألك حاجة قال نعم يا أمير المؤمنين ان رأيت سندان اتركى
فاقرئه مني السلام ففعلك وقال ما حاله قال حاله انك جعلت بيني وبينك انسانا رأيتك قبل ان اراه
وقد اشتقت اليه فأنا لك ان تبلغه مني السلام فقلب المعتصم الخنك وجمع بينه وبين سندان
وأكد عليه في مراعاة أمره فكان لا يمنع منه وعبر المعتصم من سر من رأى من الجانب الغربي
وذلك في يوم مطير وقد تبع ذلك ليلة مطيرة وانفرد من أصحابه واذا جارا قد نزل وروى بما عليه من
البسولة وهو الشولة الذي وقده التناثر بالعراق وصاحبه شيخ ضعيف واقف ينظر انسانا يمر
فيه عينه على حله فوقه عليه وقال مالك يا شيخ قال قد نزلت جاري وقع عنه هذا الحمل وقد بقيت
أظن انسا يا عني على حله فذهب المعتصم ليخرج الجمار من الطين فقال جعلت فداك تنفد
ثيابك هذه وطيبك الذي أشمه من أجل جاري هذا قال لا عليك فنزل واحتمل الجمار بيد واحدة
وأخرجه من الطين فبهت الشيخ وجعل يتظر اليه ويتعجب ويترك الشغل بحماره ثم شد عنان فرسه
في وسطه وأهوى الى الشولة وهو حزن مان فحملها فوضعهما على الجمار ثم دنا من غدير فغسل يديه
واستوى على فرسه فقال للشيخ السوادى رضى الله عنك وقال بالنبطة اسعل فرمى بالجوافة
وتفسير ذلك فديك يا شاب وأقبلت الخمول فقال لبعض خاصته أعط هذا الشيخ أربعة آلاف
درهم وكن معه حتى تجاوز به أصحاب المسلخ وتبلغ به قريته وفي سنة تسع عشرة ومائتين

كانت وفاة أبي نعيم الفضل بن زكين مولى طلحة بن عبد الله بالكوفة وبشر بن غياث المريسي
وعبد الله بن رضاء العراق وفيها ضرب المعتصم احمد بن حنبل غائبة وثلاثين سوطلا ليقول بخلق
القرآن وفي هذه السنة وهي سنة تسع عشرة ومائتين قبض محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد
ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وذلك لخمس خاوند من ذى الحجة ودفن ببغداد في الجانب
الغربي بقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وصلى عليه الوائقي وقبض وهو ابن خمس وعشرين
سنة وقبض أبوه علي بن موسى الرضا ومحمد بن سبع سنين وغائبة أشهر وقيل غير ذلك وقيل ان
أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معهم من المدينة الى المعتصم سمته وانما ذكرنا من أمره ما وصفنا
لأن أهل الامامة اختلفوا في مقدار سنه عند وفاة أبيه وفي سنة تسع عشرة ومائتين أخاف المعتصم
محمد بن عبد القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله وكان بالكوفة
من العبادة والزهد والورع ونهاية الوصف فلما خاف على نفسه هرب فصار الى خراسان قتيلا
من مواضع كثيرة من كورها كمر وسرخس والطالقان ونسا فكانت له هناك حروب وكواثر
وانقاد اليه والى امامته خلق كثير من الناس ثم جله عبد الله بن طاهر الى المعتصم فحبسه في أنوح
اتخذ في بستان بسر من رأى وقد توزع في محمد بن القاسم فمائل يقول انه قتل بالسهم ومنهم
من يقول ان ناسيا من شيعته من الطالقان أو ذلك البستان فتأقوا الخدمة فيسه من غرس وزراعة
واتخذوا سلاما من الحبال والبود والطالقانية وتقبوا الانوح وأخرجوه فذهبوا به فلم يعرف له خبر
الى هذه الغاية وقد اتفاد الى امامته خلق كثير من الزيدية الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين وثلاثين
وثلاثمائة ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمدا لم يمت وأنه حي يرزق وأنه يخرج فيلأ هاء عدلا
كما ملئت جورا وأنه مهدى هذه الامة وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم
وكثيرين كوزخامان وقول هؤلاء في محمد بن القاسم فحولوا رافضة الكيسانية في محمد بن الحنفية
وتحومن قول الواقفية في موسى بن موسى بن جعفر وهم المطورة بهذا تعرف هذه الطائفة من
بين فرق الشيعة وكان المعتصم يحب جميع الاثران وشراعه من أيدي مواليتهم فاجتمع لهم منهم
أربعة آلاف فالبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والخلمية المذهبة وأبانهم بالزى عن سائر
جنوده وقد كان اصطنع قوما من حوفي مصر من خوف اليمن وحوفي قيس فسماهم المغاربة
واستنفذ رجال خراسان من القراعنة وغيرهم من الاشروسية فكثر جيشه وكانت الاثران
تؤذى العوام بمدينة السلام بحجرتها الخيول في الاسواق وما يشال الضعفاء والصبيان من ذلك
فكان أهل بغداد يهاجروا بعضهم فقتلوا وعند صدمته لامرأاً وشيخ كبيراً وأوصى أوصى رفرعزم
المعتصم على النخلة منهم وأن ينزل في قضا من الارض فنزل الرذان على أربعة قرا من بغداد

فلم يستطع هواءها ولا اتسع له هواؤها فلم يرزل يشقل ويتقوى المواضع والا ما كن الى دجلة وغيرها حتى انتهى الى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموضع وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول اخذنا من دجلة قبي هناك قصرا وبني الناس وانتقلوا عن مدينة السلام وخط من السكان الاليسير

ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعد البناء فيه خرج يتقوى المواضع فانهى الى موضع سامرا وكان هناك للنصارى دير عاى فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع فقال يعرف بسامرا قال له المعتصم وما معنى سامرا قال نحتها في الكتب السالفة والام الماخية انها مدينة سلم بن فوح قال له المعتصم ومن أى بلاد هي والإمام ضاف قال من بلاد طبرهات والها نضاف فنظر المعتصم الى فضاء واسع تسافر فيه الابصار وهو اطيب وأرض خصبة فاستمرها واستطاب هواها وأقام هناك ثلاثا ثم غاص في كل يوم فوجد نفسه تنوق الى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية فعلم ان ذلك لن ياتى نيرا الهوا والتربة فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فاشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار وارزاد لينا قصره موضعها فأسس بنيانه وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسر من رأى والها يضاف التين الوزيرى وهو أعذب الاثيان وأرقها قشرا وأصغرها حبا لا يطفه تين السلم ولا تين اهان وحلوان فارتفع البنيان وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الامصار ونقل اليها من سائر البقاع أنواع الغروس والاشجار جعل للآثار قطائع متحدة وجاورهم بالفراغة والاشروسية وغيرهم من مدن خراسان على قدر قربهم منهم في بلادهم وأقطع أشناس الترك وأصحابه من الاثر الموضع المعروف بكرخ سلمرا من الفراغة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمرى والجسر واخطت الخطوط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب وأقر دأهل كل صناعة يسوق وكذلك التجار قبي الناس وارتفع البنيان وشيدت الدور والقصور وكثرت العمارة واستنبتت المياه وجرى من دجلة وغيرها وتسامع الناس أن دار ملك قد انبثقت قصودها وجهازوا اليها من أنواع الامتعة وما ينتفع به الناس وغيرهم من الحيوان وكثر العيش واتسع الرزق وشملهم الاحسان وعهم العدل وكان يدمعوا صفنا فيها فعلة المعتصم سنة احدى وعشرين ومائتين واشتد أمرها بك وسار عساكره فحوتلك الامصار فدق العساكر وكسر الجيوش فسير اليه المعتصم بالجيوش وعليها الاقشين وكثرت حروبه واتصلت وضاق بابك في بلاد حتى انفض جمعه وقتل رجاله وامتنع بالجبل المعروف باليد من أرض الران وهي بلاد يابك وبه يعرف الى هذا الوقت فلما استشعر يابك نزليه وأشرف عليه هرب من موضعه وزال عن مكانه فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبغهم من خواصه وقد تزيارى السفر وأهل التجارة والقوافل فنزل موضعا من بلاد أرمينية

على بعض المياه والقرب منهم راى غم فابتاعوا منه شاة وساما واشرا منى من الزاد لهم فغضى من
فوره الى سهل بن سنباط فأخبره الخبر وقال هو يابك لاشك فيه وقد كان لاقشين مهارب يابك
من موضعه وزال عن جبله خشى أن يعصم بعض الجبال المنيعه أو يتحصن ببعض القلاع
أو يتضاف الى بعض الامم الفاطنية ببعض تلك الديار فيكثر جمعه ويتضاف اليه فلال عسكره
فيرجع الى ما كان من أمره فاخذنا الطرق وكاتب البطارقة في الحصون والمواضع من بلاد ارمينية
واذربيجان والران والبيلقان وضمن في ذلك الرغائب فلما سمع سهل بن سنباط من الراعى ما أخبره
به سار من فوره فبين حضر من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذى به يابك فترجل له ودنا منه
وسلم عليه بالملك وقال له أي الملك قم الى قصرى الذى فيه وليك وموضع يتعك فيه الله من عدوك
فسار به الى أن أتى قلعتيه وأجلسه على سريره ورفع منزلته ووطأ له منزله ومن معه وقدمت
المائدة وقعد بياكل معه فقال له يابك بجعله وقلة معرفته بما هو فيه ومادفع اليه أمثلك يأكل معى
فقام سهل عن المائدة وقال أخطأت أيها الملك وأنت أحق من احتل عنده اذ كانت منزلك ليست
بمنزلة من يأكل مع الملوك وجاءه بحداد وقال له مدزجلك أيها الملك وأوقفه بالحديد فقال له يابك
أغدرا ياسهل قال يا ابن انديشة انما أنت راى غم وبقر ما أنت والتدبير للآل ونظم السياسات وقيد
من كان معه وأرسل الى الاقشين يخبره الخبر وأن الرجل عنده فسر ح اليه الاقشين باربعة آلاف
فارس عليهم الحديد وعلهم خليفة يقال له بوماده فتسله ومن معه وأتى به الى الاقشين ومعه
ابن سنباط ففرع الاقشين منزله سهل وخلع عليه وجعله ووجه وقاديين يديه واسقط عنه الخراج
فأطلقه وأطلقت الطيور الى المعتصم وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير
ومهم الفرح وأظهروا السرور وبنت الكتب الى الامصار بالفتح وقد كان أفى عساكر السلطان
فسار الاقشين يابك وتقل بالعساكر حتى أتى سرمن رأى وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين
وتلقى الاقشين هارون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ونزل بالموضع المعروف
بالقاطول على خمس فراسخ من سامرا وبغى اليه بالفضل الاثني وكان قد جعله بعض ملوك الهند
الى المأمون وكان فيلا عظيما قد جلل بالدياجح والاحمر والاخضر وأنواع الحرير الملون ومعه نافقة
عظيمة ثيبية قد جللت بمالوصفا وجل الى الاقشين دراعة من الدياجح الاحمر منسوجة بالذهب
قد برص صدرها بانواع الباقوت والجوهر ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك
بالوان مختلفة وقد نظم على القلنسوة كثير من اللؤلؤ والجوهر وألبس يابك الدراعة وألبس أخوه
الآخرى وجعلت القلنسوة على رأس يابك وعلى رأس أخيه نحوها وقدم اليه الفيل والى أخيه النافقة
فلما رأى صورة الفيل استعظمه وقال ما هنما الهابة العظيمة واستحسن الدراعة وقال هذه كرامة

ملك عظيم جليل الى اسير فقد العز ذليل أخطأه الاقدار وزالت عنه الحدود وتورطه المهن
انها الفرحة تقتضى ترحه وضربه المصاف صفين في الخيل والرجل والسلاح والحديد والرايات
والبنود من القاطول الى سامرا سدوا واحد متصل غير منفصل وبابك على الفيل وأخوه ورامه
على الناقة والفيل يحظر بين الصفيين وبابك يتطر الى ذات العين وذات الشمال ويعز الرجال
والعدد ويظهر الاسف والحنين على ما فاته من سفك دماهم غير مستعظم لما يرى من كثرتهم وذلك
يوم الخميس اليثين خلمان صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين واربعمائة الناس مثل ذلك اليوم ولا مثل
تلك الزينة ودخل الافشين على المعتصم فرفع منزلته وأعلى مكانه وأتى بابك فطوف بين يديه فقال
له المعتصم أنت بابك فلم يجب وكزها عليه مرارا وبابك ساكت خال اليه الافشين وقال الوبل لك
أمير المؤمنين يجا طبعك وأنت ساكت فقال نعم أنا بابك فسجد المعتصم عند ذلك وأمر بقطع يديه
ورجله (من كتاب مردج الذهب)

ذكر خلافة المنتصر بالله

وبويع محمد بن جعفر المنتصر في صبيحة ليلة التي قتل فيها المتوكل وهي ليلة الاربعاء ثلاث خلون
من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وبكى بأبي جعفر وأمه وأولادها فقال لها اجلسي رومية
واستخلفي وهوا بن خمس وعشرين سنة وكانت عته بالقصر المعروف بالجعفرى الذى أحدث
بناه المتوكل ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين وكانت خلافته ستة أشهر

ذكر جل من أخباره وسيره ولع مما كان في أيامه

كان الموضوع الذى قتل فيه المتوكل هو الموضوع الذى قتل فيه سيرويه أباه كسرى ابرويز وكان الموضوع
يعرف بالمخورة وكان مقام المنتصر بعد آيه في المخورة سبعة أيام ثم انتقل عنه وأمر بقرب
ذلك الموضوع وحكى عن أبي عباس محمد بن سهل قال كنت أكتب لعقاب بن عتاب على ديوان
جيش الشاكبة في خلافة المنتصر فدخلت الى بعض الاروقة فاذا هو مقروش بساط وسجود
ومسند ومصلى ووسائد بالحجرة والزرق وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس وكاتب بالفارسية
وكتبت أحسن القراءات الفارسية واذا عن عين المصلى صورة ملك وعلى رأسه تاج كأنه ينطق فقرأت
الكتابة فاذا هي صورة سيرويه القاتل لا ييهاب ويز الملك ملك ستة أشهر ثم رأيت صورة لولد شتى
ثم انتهت الى النظر الى صورة عن يسار المصلى عليها مكتوب صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قتل
ابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ملك ستة أشهر فحجبت من ذلك وانفاقه عن عين مقعد المنتصر
وعن شماله فقلت لا أرى يدوم ملكه أكثر من سنة أشهر فكان والله كذلك فخرجت من الرواق

الى مجلس وصيف وبغا وهما في النار الثانية فقلت لوصيف أعجز هذا الفراش أن يفرش تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذي عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه ابرويز وعاشية أشهر بعد ما قتل جفرع ووصيف من ذلك وقال علي بابو بن سليمان النصراني خازن القرش فخلل بين يديه فقال له وصيف لم تجد ما يفرش في هذا اليوم تحت أمير المؤمنين الا هذا البساط الذي كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة مالك الفرس وغيره وقد كان ناله آثار الدماء قال سألتني أمير المؤمنين المنتصر عنه وقال ما فعل البساط فقلت عليه آثار دماء فاحشة وقد عزم أن لا أفرشه من ليلة الحادثة فقال لم لا تفعله ونطويه فقلت خشيت أن يشيع الخبر عند من يرى ذلك البساط من آثار الحادثة فقال ان الامر أشهر من ذلك يريد قتل الازلي لا يسه المتوكل فطوبى له وبسطناه تحته فقال ووصيف وبغا انا قام أمير المؤمنين من مجلسه فخذوا حرقه بالنار فلما قام حرق بحضرة ووصيف وبغا فلما كان بعد أيام قال لي المنتصر افرش ذلك البساط الفلاني فقلت وأين ذلك البساط فقال وما الذي كان من امره فقلت ان وصيفا وبغا امراني باحراقه قال فسكت ولم بعد في أمره شيأ الى أن مات

(من كتاب مروج الذهب)

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله

الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز بن تزار بن المعز الدين الله أبي تميم معد وليا القصر من القاهرة المعزية ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثلاثمائة في الساعة التاسعة والطالع من برج السرطان سبع وعشرون درجة وسلم عليه بالخلافة في مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء ثامن عشر من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة وسار الى القاهرة في يوم الأربعاء سائر أهل الدولة والعزيز في قبسة على ناقه بين يديه وعلى الحاكم دراعة مصمت وعمامة فيها الجوهر ويده رمح وقد تقلد السيف ولم يقبل من جبيع ما كان مع العساكر شئ ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ في جهاز أبيه العزيز بالله ودفعه ثم بكر سائر أهل الدولة الى القصر يوم الخميس وقد نصب للحاكم سرير من ذهب عليه مرتبة مذهبة في الايوان الكبير وخرج من قصره راكبا وعليه معمة الجوهر والناس وقوف في حصى الايوان فقبلوا له الارض ومشوا بين يديه حتى جلس على السرير فوقف من رصمه الوقوف وطس من له عادة ان يجلس وسلم الجميع عليه بالامامة واللقب الذي اختبره وهو الحاكم بأمر الله وكان سنه يومئذ احدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام

فجعل أبا محمد الحسن بن عمرا الكاظمي واسطة ولقبه بأمين الدولة وأسقط مكوسا كانت بالاحل ورد الى الحسين بن جوهري القائل لا يريد والانشاء فكان يتخلفه ابن سورين وأقر عيسى بن نسطورس

على ديوان الخاص وقلد سليمان بن جعفر بن فلاح الشام نخريج بكونتكن بدمشق وسارمها
للدافعة سليمان بن جعفر بن فلاح قبلغ الرملة وانضم اليه ابن الجراح الطائي في كثير من العرب
واقام ابن فلاح فانهزم وفر ثم أسر وحمل الى القاهرة فاكرم واختلف أهل الدولة على ابن عمار
ووقعت حروب ات الى صرفه عن الوساطة وله في النظر أحد عشر شهرا غير خمسة أيام فلم يداره
وأطلقت له رسوم وجرايات وأقيم الطواشي برجوان الصقلي مكانه في الوساطة لثلاث بقين
من رمضان سنة تسع وثمانين وثلثمائة فعمل كاتبه فهد بن ابراهيم يوقع عنه ولقبه بالرئيس
وصرف سليمان بن فلاح عن الشام بجيش بن الصمصامة وقلد فحل بن اسماعيل الكاظمي بدمشق
وقلديانس الخادم برقة وميسورا الخادم طرابلس وعين الخادم غزة وعسلان فواقع جيش الروم
على قامية وقتل منهم خمسة آلاف رجل وغزا الى أن دخل مرعش وقلد نوظيفة قضاء القضاة
أبا عبد الله الحسين بن علي بن النعمان في صفر سنة تسع وثمانين بعد موت فاضل القضاة محمد
ابن النعمان وقتل الاستاذ برجوان لاربع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلثمائة
وله في النظر ستان وثمانية أشهر غير يوم واحد

وردا النظر في أمور الناس وتبديل المملكة والتوقيعات الى الحسين بن جوهر ولقب بقلد القواد
تفخذه الرئيس فهد واتخذ الخاظم مجلسا في الليل يحضر فيه عدة من أعيان الدولة ثم أطلقه ومات
جيش بن الصمصامة في ربيع الآخر سنة تسعين وثلثمائة فوصل ابنه تركه الى القاهرة ومعه
درج بخط أبيه فيه وصية وثبت بما خلفه مفعلا وان ذلك جميعه لامير المؤمنين الخاظم بامر الله
لا يستحق أحد من أولاده منه درهما وكان مبلغ ذلك جميعه نحو المائتين ألف دينار واثنين عشرين
ومتاع وودوا بقدأ وقف جميع ذلك تحت القصر فأخذ الخاظم الدرج ونظره ثم أعاده الى أولاد جيش
وخلع عليهم وقال لهم يحضروا الدولة قدوقفت على وصية أبيكم رجا الله وما وصى به من عين
ومتاع فخذوه هنيأ مباركالكم فيه فانصرفوا بجميع التركة

ومنع الناس كافة من مخاطبته أحد ومكاتبته بسيدنا ومولانا الأمير المؤمنين وحده وأبجدم
من خلف ذلك وفي شوال قتل ابن عمار وفي سنة إحدى وتسعين واصل الخاظم الركوب في الليل
كل ليلة وكان يشق الشوارع والازقة وبالغ الناس في الوقيد والزينة وأنفقوا الاموال الكثيرة
على الماكل والمشارب والغناء واللهو وكثر فقرهم على ذلك حتى خرجوا فيه عن الحد فنع الناس
من الخروج في الليل ثم منع الرجال من الجالوس في الحوانيت

وفي سنة خمس وتسعين أمر النصارى واليهود بفسد الزناير ولبس الغيار ومنع الناس من أكل
المواخيا والجرحير والتوكيسة والدلبنس وذبح الأبقار السلمية من العاهة الا في أيام الاضحية

ومنع من بيع الفقاع وعلمه البتة وأن لا يدخل أحدا لحمام الا بتزير وأن لا تكشف امرأه وجهها في طريق ولا خلف جنازة ولا تبرج ولا يساع شئ من السمك بغير قشر ولا يصطاد ما أحسن الصيادين وتبيع الناس في ذلك كله وتشدد فيه وشرب جماعة بسبب مخالفتهم ما أمروا به ونهوا عنه مما ذكر وخرجت العساكر لقتال بني قرقم من أهل الجيرة وكتب على أبواب المساجد وعلى الجامع بمصر وعلى أبواب الحوانيت والحجر والمقابر بسبب السلف ولعنهم وأكره الناس على نفس ذلك وكتبته بالاصباح في سائر المواضع وأقبل الناس من سائر المواضع فدخلوا في الدعوة وجعل لهم يومان في الأسبوع وكثرا لزدحام على ذلك ومات فيه جماعة

ومنع الناس من الخروج بعد المغرب في الطرقات وأن لا يظهر أحدهم البيع ولا شراء فخلت الطرق من الحارة وكسرت أواني الجور وأريق من سائر الاماكن واشتد خوف الناس بأسرهم وقويت الشناعات وزاد الاضطراب فاجتمع كثير من الكُتاب وغيرهم تحت القصر وضجوا اسألون العفو فكُتبت عدة أمانات لجميع الطوائف من أهل الدولة وغيرهم من الباعة والرية وأمر بقتل الكلاب فقتل منها ما لا يحصى حتى فقدت وفقت دار الحكمة بمصر ورجل اليها الكتب ودخل اليها الناس واشتد الطلب على الركابية المستخدمين في الركاب وقتل منهم كثيرا ثم عفا عنهم وكب لهم أمانات ومنع اتساع كافة من الدخول من باب القاهرة وهم ركاب ومنع المكارين أن يدخلوا بمحرمهم الى القاهرة ومنع الناس من المشي ملاصق القصر وقتل قاضي القضاة حسين بن النعمان وأحرق بالنار وقتل عدلين الناس كثير ضربت أعناقهم

وفي سنة ست وتسعين خرج أبو ركوته يدعوا الى نفسه وادعى أنه من بني أمية فقام بأمره بنو قرة لكثرة ما وقع بهم الحاكيم وبايعوه واستجاب له لوائه ومزانه وزنانه وأخذ برقة وهزم جيوش الحاكيم بمرمرة وغنم ماعهم فخرج لقتاله القائد فضل بن صالح في ربيع الاول وواقع فانهزم منه فضل واشتد الاضطراب بمصر وزادت الاسعار واشتد الاستعداد للحاربة أي ركوته ونزلت العساكر بالبيزة وسار أبو ركوته فواقع القائد فضل وقتل عليه من معه فغنم الامر واشتد الخوف وخرج الناس قبائل في الشوارع خوفا من هجوم عساكر أي ركوته واستمرت الحروب فانهمز أبو ركوته في ثالث ذي الحجة على الفيوم وبعه القائد فضل بعد أن بعث الى القاهرة ستة آلاف رأس ومائة أسير الى أن قبض عليه في بلاد النوبة وأحضر الى القاهرة فقتل بها وخلص على القائد فضل وسيرت البشائر بقتله في الأعمال

وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة أمر بمحوسب السلف فحصى سائر ما كتب من ذلك وغلت الاسعار لنقص النبل فانه بلغ ستة عشر أصبعاً من سبعة عشر ذراعاً ثم نقص ومات بنحو تكيين في ذي الحجة

واشد الغلاء في ثمان وتسعين وولى على بن قلاح دمشق وقبض جميع ما هو محبس على الكنائس وجعل في الديوان وأحرق عدة صلبان على باب الجامع بمصر وكتب إلى سائر الاعمال بذلك وفي سادس عشر رجب قرمالك بن سعيد الفارقي في وظيفة قضاء القضاة وتسلم كتب الدعوة التي تقرأ بالقصر على الاولياء وصرف عبدالعزير بن النعمان عن ذلك

وبوقت زيادة النيل واستسقى الناس مرتين وأمر بإبطال عدة مكوس وتعذر وجود الخبز لغلائه وقتله وفتح الخليج في رابع نوت والماء على خمسة عشر ذراعا فاشتد الغلاء وفي ناع محرم وهو نصف نوت نقص ماء النيل ولم يوف ستة عشر ذراعا فنع الناس كافة من النظار بالبقاء ومن ركوب البحر للتفريج ومنع من بيع المسكرات ومنع كفة من الخروج قبل ان يجز وبعد العشاء الى الطرقات واشتد الامر على الكافة لشدة ما دخلهم من الخوف مع شدة الغلاء وتزايد الامراض في الناس والموت

وتزايدت الامراض وكثر الموت وعزت الادوية وأعيدت المكوس التي رفعت وهدمت كنائس كانت بطريق المقس وهدمت كنيسة بحارة الر ومن القاهرة ونهب ما فيها وقتل كثير من الخدام والكتاب والصقاله بعدما قطعت أيدي بعضهم من الكتاب بالساطور على خشبة من وسط الذراع وقتل القائد فصل بن صالح في ذي القعدة وفي حادي عشر صفر صرف صالح بن علي الرونباري وقرر مكاته ابن عبدون النصراني الكاتب ولقب بالكافي فوقع عن الحاكم ونظر وكتب بهدم كنيسة القمامة وجدديدوا يقال له الديوان المخربر رسم من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم وكثرت الامراض وعزت الادوية وشهر جماعة وجدد عسلهم ففزع وما وخبيا ودلنس وترمس وضربوا وهدم دير القصر واشتد الامر على النصارى واليهود في الزامهم ليس الغيار وكتب بإبطال أخذ الخمس والنجوى والفطر وفر الحسين بن جوهر وأولاده وعبدالعزير بن النعمان وفرأوا القمام الحسين بن المغربي وكتبت عدة أمانات لعدة طوائف من شدة خوفهم وقطعت قراءات مجالس الحكمة بالقصر ووقع التشديد في المنع من المسكرات وقتل كثير من الكتاب والخدام والفراشين وقتل صالح بن علي الرونباري في شوال

وفي رابع المحرم سنة احدى واربعمائة صرف الكافي بن عبدون عن النظر والتوقيع وقرر بدله أحمد بن محمد القشوري الكاتب في الوساطة والدقارة وحضر حسين بن جوهر وعبدالعزير ابن النعمان الى القاهرة فأكرمهم صرف ابن القشوري بعد عشرة أيام من استقراره وضرب عنقه وقرر بدله زرعة بن عيسى بن نسطورس الكاتب النصراني ولقب بالشافي ومنع الناس من ركوب المراكب في الخليج وسدت أبواب الدور التي على الخليج والطاغات وأضيف الى قاضي القضاة

مالت بن سعيد النظر في المظالم وأعيدت مجالس الحكمة وأخذ مال النجوى وقتل ابن عبدون وقبض ماله وضرب بجاعه وشهروا من أجل بيعهم للملوحيا والسكك الذي لا قشر له وبسبب بيع النيدز وقتل الحسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان في جادى الآخرة في سنة إحدى وأربعمائة وأحيط بأموالهما وأبطلت عدة مكوس ومنع الناس من الغناء واللهو ومنع بيع الغنيات ومن الاجتماع بالصحراء وفي هذه السنة خلع حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح طاعة الخاكم وأقام بأبوالفتوح حسين بن جعفر الحسنى أمير مكة خليفة ويايعوه ودعا الناس إلى مبايعته وقاتل عساكر الخاكم

وفي سنة اثنتين وأربعمائة منع من بيع الزبيب وكتب بالمنع من حله وأتى في بحر النيل منه نبي كثير وأحرق منه كثير ومنع النساء من زيارة القبور فلم يرفى إلا عياد بالقباب امرأه واحدة ومنع من الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج من بيع الغنبل الأربعة أربطال فنادونها ومنع من عصره وطرح كثير منه وديس في الطرقات وغرق كثير منه في النيل ومنع من حله وقطعت كروم البحيرة كلها وسير إلى الجبهات بذلك

وفي سنة ثلاث وأربعمائة غلا السعر وازدحم الناس على الخبز وفي ثمانين ربيع الأول منها هاج عيسى بن نسطور من فأمر النصارى بلبس السواد وتعليق الصلبان الخشب في أعناقهم وأن يكون الصليب ذراعا في مثلها وزنته خمسة أربطال وأن يكون مكشوقا بحيث يراه الناس ومنعوا من ركوب أنفيل وأن يكون ركوبهم البغال والحمير بالسروج الخشب والسيور السود بغير حلقة وأن يشدوا الزناير ولا يستخدموا مسلولا يشتر وأعيدوا لأمة وتبعته آثارهم في ذلك فاسلم منهم عدة وقرروا حسين بن طاهر الوزان في الوساطة والتوقيع عن الخاكم في تاسع وعشرين ربيع الأول منها ولقب بأمين الأمناء ونش الخاكم على خاتمه بنصر الله العظيم العالي ينتصر الامام أبو على وضرب جاعة بسبب اللعب بالشطرنج وهدمت الكنائس وأخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع وكتب بذلك إلى الأعمال فهدمتها وفيها الحق أبو الفتوح بمكة ودعا للخاكم وضرب السكة باسمه وأمر الخاكم أن لا يقبل أحد له الأرض ولا يقبل ركابه ولا يمد عند السلام عليه في المواقب فان الانجلاء إلى الأرض لمخلوق من صنيع الروم وان لا يزداع على قولهم السلام على أمير المؤمنين ورجع الله وبركانه ولا يصلى عليه أحد في مكانته ولا مخاطبته ويقتصر في مكانته على سلام الله ونحياته ونواحي بركانه على أمير المؤمنين ويدعى له بما يتفق من الدعاء فقط لا غير فلم يقل الخطباء يوم الجمعة سوى اللهم صلى على محمد المصطفى وسلم على أمير المؤمنين على المرتضى اللهم وسلم على أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين اللهم اجعل أفضل سلامك على عبدك وخليفتك ومنع من ضرب الطبول والأبواق حول القصر فصاروا يطوفون بغير طبل ولا بوق وكثرت انعامات الخاكم فتوقف أمين الأمناء حسين بن طاهر الوزان في امضائها فكتب إليه الخاكم بخطه بعد البسملة

الحمد لله كما هو أهله

أصبحت لأرجو ولا اتقي * إلا الهى وله الفضل

جسدى نبى وامامى أبى * ودينى الاخلاص والعذل

المال مال الله والخلق عباد الله ونحن امانؤه فى الارض اطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام
وركب الخاك كم فى يوم عبد القطر الى المصلى بغير زينة ولا حناء بولأمة سوى عشرة أفراس تقاد
بسر ورج ولحم محلاة بفضة خفيفة وبثود ساذجة ومظلة يضاء بغير ذهب وعليه سياض بغير طراز
ولا ذهب ولا جوهر فى علمته ولم يقرش المنبر ومنع الناس من سب السلف وضرب فى ذلك وشهر
وصلى صلاة عيد الفطر كما صلى صلاة الفطر من غير أمة ونحر عنه عبد الرحيم بن الياس بن أجد
المهلبى وأكتر الخاك من الركوب الى الصخر ابعثناه فى رجليه وفوطه على رأسه

وفى سنة أربع وأربعمائة أزم اليهود أن يكون فى أعناقهم جرس اذا دخلوا الى الحمام وأن يكون
فى عنق النصارى صلبان ومنع الناس من الكلام فى التجموع وأفنى المنجمون من الطرافات وطلبوا
قتنسيوا ونفوا وكثرت هبات الخاك وصداقاه وعنته وأمر اليهود والنصارى بالخروج من مضر
الى بلاد الروم وغيرها وأقيم عبد الرحيم بن الياس ولى العهد وأمر ان يقال فى السلام عليه
السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وصاوي مجلس عكان فى القصر وصار الخاك كم يركب
بدراعة صوف يضاء وتعم برفوطه وفى رجليه حذاء عربى بقبالين وعبد الرحيم تنولى النظر
فى أمور الدولة كلها وأفرط الخاك كم فى العطاء وربما كان أخذ من الضباع والاملاك لاربابها

وفى ربيع الأول أمر بقطع يدى أبى القاسم الجرجاني وكان يكتب للقائد عين ثم قطعت يد عين فصار
مقطوع اليد بن وبعث اليه الخاك كم بعد قطع يديه بالاف من الذهب والثياب ثم بعد ذلك أمر بقطع
لسانه فقطع وأبطل عدة مكوس وقتل الكلاب كلها وأكتر من الركوب فى الليل ومنع النساء من
المشى فى الطرافات فلم تراه فى طريق البيت وأغلقت جاماتهن ووزع الاساكفة من عمل خفافهن
وتعطلت حوانيتهم واشتدت الاشاعة بوقوع السيف فى الناس فتماروا وغلقت الاسواق فلم يسع
شئ ودعى لعبد الرحيم بن الياس على المنابر وضربت السكة باسمه بولاية العهد

وفى سنة خمس وأربعمائة قتل مالك بن عبيد القارى فى ذى قعدة سنة خمس وأربعمائة فى قضاء القضاة
ست سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وبلغ اقطاعه فى السنة خمسة عشر ألف دينار وتزايد ركوب
الخاك كم حتى كان يركب فى كل يوم عدة مرار واشترى الحجير وركبها بدليل خليل وفى جادى الاخرة
منها قتل الحسين بن طاهر الزمان فكانت عدة نظره فى الوساطة ستين وشهرين وعشرين يوما
فأمر أصحاب الدواوين بزيادة يومين وصار الخاك كم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير عمامة

ثم أقام عبد الرحيم بن أبي السيد الكاتب وأخاه أبا عبد الله الحسين في الوساطة والسفارة وأقر في وظيفة قضاء القضاة أحمد بن محمد بن أبي العوام وخرج إلحاحكم عن الحدي في العطاء حتى أقطع نواتية المراكب والمشاعلية وبني قرة فمما أقطع الاسكندرية والبحيرة ونواحيها ثم قتل ابن أبي السيد وكانت مدة فطرهما اثنين وستين يوما وقلد الوساطة فضل بن جعفر بن الضرات ثم قتله في اليوم الخامس من ولايته وغلب بنو قرة على الاسكندرية وأعمالها وأكثرا إلحاحكم من الركوب في يوم ست حمرات مرة على فرس ومرة على جار ومرة في محفة تحمل على الأعناق ومرة في عشارى على النيل بغير عمامة وأكثر من اقطاع الجند والعبيد الاقطاعات وأقام هذا الرئاستين قطب الدولة أبا الحسن على بن جعفر بن فلاح في الوساطة والسفارة وولى عبد الرحيم بن الياس دمشق فسار إليها في جادى الآخرة سنة تسع وأربعمائة فأقام فيها شهرين ثم هجم عليه قوم فقتلوا جماعة من عنده وأخذوه في صندوق وجأوه إلى مصر ثم أعيد إلى دمشق فأقامهم إلى ليلة عيد الفطر وأخرج منها

ولما كان اليلتين بقيتا من شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة فقد إلحاحكم وقيل إن أخته قتله وليس بصحيح وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وكانت مدة خلافته خسا وعشرين سنة وشهرا وكان جوادا سفاكا قتل عددا لا يحصون وكانت سيرته من أعجب السير وخطبه على منابر مصر والشام وأفريقية والحجاز وكان يشتغل بعلوم الأوائل ويطرف في النجوم وعمل رسدا واتخذ بيتا في المقطم ينقطع فيه عن الناس لذلك ويقال أنه كان يعتريه جفاف في دماغه فلذلك كثرت ناقضه وما أحسن ما قال فيه بعضهم كانت أفعاله لا تفلح ووساوسه لا تؤول

وقال المسبج في محرم سنة خمس عشرة وأربعمائة قبض على رجل من بني حسين نارب الصعيد الأعلى فأقر أنه قتل إلحاحكم بأمر الله في جله أربعة أنفس تفرقوا في البلاد وأظهر قطعة من جلدة رأس إلحاحكم وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فقيل له قتلتها فأخرج سكيناً يضرب بها فؤاده وقتل نفسه وقال هكذا قتله وقطع رأسه وأنفذه إلى الحضرة مع ما وجد معه وهذا هو الصحيح في خبر قتل إلحاحكم لا ما يحكيه المشاركة في كتبهم من أن أخته قتله والله أعلم (من كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاممار لتقي الدين المقرري)

ذكر ملك صلاح الدين دمشق وغيرها

في هذه السنة سلب أربع الأول ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب دمشق وحصن وجاءه وسببه أن شمس الدين بن الداية المقيم بجلب أرسل سعد الدين كشكين يستدعي الملك الصالح بن نور الدين من دمشق إلى حلب ليكون مقامه بها فسار الملك الصالح إلى حلب مع سبعه آلاف من كشكين

ولما استقر بحلب وتمكن كشتكين قبض على شمس الدين بن الداية وأخوته وقبض على الرئيس ابن النشاب وأخوته وهوريث حلب واستبد سعد الدين بتدبير الملك الصالح فخاف ابن المتقدم وغيره من الأمراء الذين بدمشق فكاتبوا صلاح الدين واستدعوه ليلكوه عليهم فسار جريدة في سبع مائة فارس ولم يلبث ووصل إلى دمشق فخرج كل من كان به من العسكر والتقوه وخدموه ونزل بدار والده أيوب المعروفة بدار العقيق وعصت عليه القلعة وكان فيهما من جهة الملك الصالح خادم اسمه ريحان فراسله صلاح الدين واستماله فسلم القلعة إليه فصدد اليهم صلاح الدين وأخذ ما فيهما من الأموال ولما ثبت قدمه وقرر أمر دمشق استخلف بها أخاه سيف الاسلام طغتكين ابن أيوب وسار إلى حصن مستهل بجادى الأولى

وكانت حصن واحة وقلعة بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة في إقطاع نحر الدين مسعود بن الزعفراني فلما مات نور الدين لم يكن نحر الدين مسعودا المقام بمحصر واحة لسوء سيرته مع الناس وكانت هذه البلاد بغير قلاعها فان قلاعها فيها ولادة لنور الدين وليس أنحر الدين معهم في القلاع حكم الأبارين فان قلاعها كانت له أيضا ونزل صلاح الدين على حصن في حادى عشر بجادى الأولى وملك المدينة وعصت عليه القلعة فنزل عليهما يضيق عليهما ورحل إلى حاة فلما مد يدها إلى مستهل بجادى الأخيرة من هذه السنة كان بقلعتها الأمير عز الدين جرديك أحد الملوك النورية فامتنع في القلعة فذكر له صلاح الدين أنه ليس له غرض إلا حفظ بلاد الملك الصالح عليه وأتمها هو نائبه وقصده من جرديك السير إلى حلب في رسالة فاستخلفه جرديك على ذلك وسار جرديك إلى حلب برسالة صلاح الدين واستخلف في قلعة حاة أخاه فلما وصل جرديك إلى حلب قبض عليه كشتكين وسجنه فلما علم أخوه بذلك سلم القلعة إلى صلاح الدين فلكها

ثم صار صلاح الدين إلى حلب وحصرها وبها الملك الصالح فجمع أهل حلب وقاتلوا صلاح الدين وصدوه عن حلب وأرسل سعد الدين كشتكين إلى سنجان مقدم الامام عليه أموال الأعظمية ليقاتلوا صلاح الدين فأرسل سنجان جماعة ووثبوا على صلاح الدين فقاتلوا دونه واستمر صلاح الدين محاصرا لحلب إلى مستهل رجب ورحل عنها بسبب نزول الفرنج على حصن وساروا إلى حصن فرحل الفرنج عنها ووصل صلاح الدين إلى حصن وحصر قلعتها وملكها في الحادى والعشرين من شعبان من السنة ثم سار إلى بعلبك فلكها

ولما استقر ملك صلاح الدين لهذه البلاد أرسل الملك الصالح إلى ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستخذه على صلاح الدين فجهاز جيشه بحبة أخيه عز الدين مسعود بن مودود زنكي وجعل مقدم الجيش أكبر أمرائه وهو عز الدين محمود ولقبه سلغنداز وطلب أخاه الأكبر

عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار يسير في التجهة أيضا فامتنع مضابغة لصالح الدين فسار سيف الدين غازي وحصره بسنجار ووصل عسكر الموصل بحجة مسعود بن مودود وسلغنداز الى حلب وانضم اليهم عسكر حلب وسار الى صلاح الدين فارسل صلاح الدين يدل حص وجاة وأن يقرب يده مشق ويكون فيها نائباً للملك الصالح فلم يجيبوا الى ذلك وساروا الى قتاله واقتتلوا عند قرون حاة فانهم زعم عسكر الموصل وحلب وغنم صلاح الدين وعسكرهم أموالهم وتبعهم صلاح الدين حتى حصرهم في حلب وقطع حينئذ خطبة الملك الصالح بن نور الدين وأزال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة فراسدا صلاح الدين في الصلح على أن يكون الله ما يده من الشام وللملك الصالح ما بقي بيده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب في العشر الاول من شوال من هذه السنة وفي العشر الاخير من شوال ملك السلطان صلاح الدين قلعة بادرين وأخذها من صاحبها نفر الدين مسعود بن الزعفراني وكان نفر الدين المذكور من أكابر الامراء النورية

ذكر انهزام سيف الدين غازي صاحب الموصل من السلطان صلاح الدين

ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسمائة وفيها عاشر شوال كان المصافاة بين السلطان صلاح الدين وبين سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي بل السلطان فهرب سيف الدين غازي والفساكر التي كانت معه فانه كان قد استعبد بصاحب حصن كيفا وصاحب مارد بن وغيرهما وقت على سيف الدين غازي الهزيمة حتى وصل الى الموصل مرعوبا وقصد الهروب منه الى بعض القلاع فثبت وزيره وأقام بالموصل واستولى السلطان صلاح الدين على أنقال عسكر الموصل وغيرهم وغنم ما فيها ثم سار الى زاية وحصرها وتسليمها ثم سار الى منبج فحصرها في آخر شوال وكان صاحبها قطب الدين بن سال بن حسان النجفي شديدا بغض لصالح الدين وقتلها عنوة وأمر بنال وأخذ جميع موجوده ثم أطلقه فسار بنال الى الموصل فأقطعها سيف الدين غازي مدينة الرقة ثم سار السلطان صلاح الدين الى عزاز ونازلها ثلاث ذى القعدة وتسليمها احدى عشرين الحجة فوثب اسماعيلي على صلاح الدين في حصاره عزاز فضر به بسكين في رأسه فخرجه فأمسك صلاح الدين الاسماعيلى وبقي يضر به بالسكين فلا يؤثر حتى قتل الاسماعيلى على تلك الحال ووثب آخر عليه فقتل وثالث فقتل أيضا وشجا السلطان الى خيمته مذعورا وأعرض جنده وأبعد لمن أنكره منهم وللهالك السلطان عزاز رحل عنها ونازل حلب في منتصف ذى الحجة وحصرها وبها الملك الصالح وانقضت هذه السنة وهو محاصر لحلب فسأله في الصلح فأجابه اليه

وأخرجوا اليه بقناصيرة لنور الدين فأكرمها وأعطاهاشيا كثيرا وقال لها ما ترومين فقالت أريد قلعة عزاز وكانوا قد علموا هذا ذلك فسلحها السلطان اليهم واستقر الصلح ورحل السلطان من حلب في العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين
(من كتاب التاريخ لأبي الفداء المعروف بصاحب جادة)

الباب الثامن في الزاجم

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتني
الشاعر المشهور وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار والله أعلم
(٣٠٣ - ٣٥٤ هجرية)

هو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه وجال في أقطاره واشتغل بفنون الادب ومهر فيها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطالعين على غريبها وحوشها ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ أباعلى الفارسي صاحب الايضاح والتكلمة قال له يوما كم لنا من الجوع على وزن فعلى فقال المتني في الحال جعلى ونظري قال الشيخ أبوعلى فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجدهن الجعنين ثالثا فلم أجده وحسبك من يقول في حقه أبوعلى هذه المقالة وجعلى جمع جعلى وهو الطائر الذي يسمى القبيج والظري جمع ظريبان على مثال فطران وهي دويبة منتنة الرائحة وأما شعره فهو في النهاية ولا حاجة الى ذكر شيء منه لشهرته لكن الشيخ تاج الدين الكندي رحمه الله كان يرويه بيتين لا يوجدان في ديوانه وكانت روايته اهما بالاسناد الصحيح المتصل به فأجبت ذكرهما لغرابتهما وهما

أبعين مفتقر اليك نظرتني * فأهتني وقد فتني من حائق
لست المألوم أنا المألوم لائني * أنزلت آمالي بغير الخالق

ولما كان بمصر مرض وكان له صديق يشاء في علته قلبا لبل (١) انقطع عنه فكتب اليه ووصلني وصلا الله معتلا وقطعتني مبالا فان رأيت ان لا تعجب العجالة الى ولا تكدر الصحة على فعلت ان شاء الله تعالى والناس في شعره على طبقات فمنهم من يرجعه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجع أبا تمام عليه وقال أبو العباس أحمد بن محمد النامي الشاعر كان قديقي من الشعر زاوية دخلها المتني وكنت أشتهي أن أكون قد سبقته الى معينين فالهما ماسبق اليهما أحدهما قوله

وماني الدهر بالارزاء حتى * فؤادي في غشله من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام * تكسرت النصال على النصال
والآخر قوله في جحفل صر العيون غباره * فكانما يبصرن بالآذان

(١) ابل أي برئ من مرضه وحسنت طاله بعد الهزال كما يؤخذ من الصحاح والقاموس

واعنى العلماء عبودانه فشرحوه وقال لى أحد المشايخ الذين أخذت عنهم وقف له على أكثر من أربعين شرحا بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا ديوان غيره ولا شك أنه كان رجلا مسعودا ورزق في شعره السعادة التامة وانما قيل له المتنبي لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حصن نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبس به طويلا ثم استنابه وأطلقه وقيل غير ذلك وهذا أصح وقيل أنه قال أنا أول من تنبأ بالشعر ثم التحق بالامير سيف الدولة ابن حمدان في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ومدح كافور الاخشيدى وأقبح حور بن الاخشيد وكان يقف بين يدي كافور وفي رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بجحاجين من مماليك وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاء وفارقه ليلى عبيد البحر سنة تسعين وثلاثمائة ووجه كافور خلفه وراحل الى جهات شتى فلم يلق وكان كافور وعد بولاية بعض أعماله فلما رأى تعالى في شعره وجموه بنفسه حافه وعوتب فيه فقال يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما يدعى الملكة مع كافور فيحبكم قال أبو الفتح بن جنى النحوى كنت قرأت ديوان أبي الطيب المتنبي عليه فقرأت عليه قوله في كافور القصيدة التي أولها

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب * وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب
حتى بلغت الى قوله

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة * ولا أشتكى فيها ولا أتعجب
وبى ما يزد الشمر عني أفله * ولكن قلبي يابسة القوم قلب

فقلت له يعز على كيف يكون هذا الشعر في مدح غير سيف الدولة فقال حذرناه وأندرناه فما نفع
ألس القائل فيه

أحال جود أعط الناس ما أنت مالك * ولا تعطى الناس ما أنا قائل

فهو الذى أعطانى كافورا بسوء تدبيره وقلة تمييزه وكان اسيف الدولة يجلس بحضره العلماء كل ليلة فيسكمون بحضرته فوقع بين المتنبي وبين ابن خالويه النحوى كلام فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كل معه فشبجه وخرج ودمه يسيل على ثيابه فغضب وخرج الى مصر وامتدح كافورا ثم رجع عنه وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلى فأجزل جائزته ولما رجع من عنده فاصدا بغداد ثم الى الكوفة في شعبان لثمان خاف من عرشه فأتاك بن أبى الجهل الاسدى فى عهده من أصحابه وكان مع المتنبي أيضا جماعة من أصحابه فقاتلهم فقتل المتنبي وابنه محمد وغلظه مقلع بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية وقيل جبال الصافية

من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بين مامسافة ميلين وذكرا بن رشيد في كتاب
العدة في باب منافع الشعر ومضاره أن أبا الطيب لما فرحين رأى الغلبة قال له غلامه لا يتحدث
الناس عنك بالفرار أبدا وأنت القائل

فالتخليل والليل والبسداء تعرفني * والحرب والضرب والقرطاس والقلم
فكرزاجها حتى قتل وكأسبقتله هذا البيت وذلك يوم الأربعاء استبقين وقيل لثلاث بقين
وقيل لليلتين بقينا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وقيل إن قتله كان يوم الاثنين
لثمان بقين من شهر رمضان وقيل لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة ومولده في سنة
ثلاث وثلاثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة فنسب إليها وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو
جعفي القبيلة بضم الجيم وسكون العين المهملة وبعدها ناء وهو جعفي بن سعد العسيرة بن مذج
واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان واثنا عشر له سعد العسيرة لأنه كان
يركب فيها قبل في ثمانمائة من ولده وولد له من ولده قال عسيرة في مخافة العين عليهم
ويقال إن أبا المنبي كان مقامه بالكوفة ثم انتقل إلى الشام بولده ونشأ ولده بالشام وإلى هذا أشار
بعض الشعراء في هجو المنبي حيث قال

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينما يبيع في الكوفة الما * وحينما يبيع ماء الحميا
ولما قتل المنبي زناه أبو القاسم مظفر بن علي الطبرسي بقوله

لا زعي الله سرب هذا الزمان * اندها ما في مثل ذلك اللسان
ما رأى الناس نال المنبي * أى ثان يرى بكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيش وفي كبرياء ذى سلطان
هو في شعره نبي ولكن * ظهرت مجزاته في المعاني

والطبرسي يفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها سين مهملة هذه النسبة إلى مدينة في البرية
بين نيسابور وأصبهان وكرمان يقال لها طبرس ويحكى أن المعتز بن عباد الخمي صاحب قرطبة
واسيدلية أنشد يوما في مجلسه بيت المنبي وهو من جملة قصيدته المشهورة
إذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بهامعي المطى ورازه

وجعل يردده استحسناله وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهب بن الأندلسي فأنشده ارتجالا
لئن جلد شعرا بن الحسين فأنما * تجيد اعطيا يا ألهاتفتخ اللهها
تبا عجايا القريرض ولودرى * بأنك تروى شعره لتألهها

وذكر الأقبلي أن المتنبي أنشد سيف الدولة بن خندان قصيدته التي أولها
 ليكل امرئ من دهر ما تعودنا * وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
 فلما عاد سيف الدولة إلى داره استعاده أياها فأنشدها قاعدا فقال بعض الحاضر بن يزيد أن يكيد
 أبا الطيب لو أنشدها قائما لامنع فان أكثر الناس لا يسمعون فقال أبو الطيب أما سمعت أولها
 * لكل امرئ من دهر ما تعودنا * وهذا من مستحسن الاجوبة وبالجملة فسمع نفسه وعلقه متهمة
 وأخباره وما جريته كثيرة والاختصار أولى واسم ولده محمد بضم الميم وفتح الحاء المهملة والسنب
 المهملة المشددة وبعد هادال مهملة (من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو العلا المعري

(٢٦٣ - ٤٤٩ هجرية)

أبو العلا أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر
 ابن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدى بن غطفان
 ابن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف
 ابن قضاعة التنوخي المعري اللغوي الشاعر

كان متفهما من فنون الادب قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرة وعلى محمد بن عبدالله بن سعد النحوي
 بعلب وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة وله من النظم لزوم ما لا يلزم وهو كبير
 يقع في خمسة أجزاء أو ما يقاربها وله سقط الزند أيضا وشرحه بنفسه وسماه ضوء السقط وبلغني ان
 له كتابا اسمه الايك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب المائة جزء في الادب أيضا وحكي
 لي من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف وقال لا أعلم ما كان يعوزه بعده هذا
 المجلد وكان علامة عصره وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي والخطيب أبو زكريا
 التبريزي وغيرهما وكانت ولادته يوم الجمعة عشرين من شهر ربيع الاول سنة ثمان مائة
 سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بالمعرة وعمره من الحدرى أول سنة سبع وستين عشى بغيره يباض
 وذهبت اليسرى جملة قال الحافظ السلفي أخبرني أبو محمد عبدالله بن الوليد بن عزب اليايادي أنه
 دخل مع عمه علي أبي العلا بن وبرة فراه قاعدا على سجادة بلد وهو شيخ قال فدعاني ومسمع على رأسي
 وكنت ضيقا قال وكان في أنظر إليه الساعة وإلى عينيه احداهما نادرة والاخرى غائرة جدا وهو
 مجذرا لوجه تحف الجسم والمفرغ من تصنيف كتاب الامع العزري في شرح شعر المتنبي وقرئ
 عليه أخذ بالجماعة في وصفه فقال أبو العلا كأنما نظر المتنبي إلى تلحظ الغيب حيث يقول

أنا الذي نظر الاعشى إلى أدنى * وأسمعت كلماتي من به صمم

واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب وديوان البحري وسماه عبث الزليد وديوان المنبي وسماه معجز أحد وتكلم على غريب أشعارهم ومات بها وما أخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والتفدى بعض المواضع عليهم والتوجيه في أما كن نظائم ودخل بغداد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخلها ثمان مائة تسع وتسعين وأقام بها سنة وسبعة أشهر ثم رجع إلى المعرة ولزم منزله وشرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الأفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار وسمى نفسه رهن الحبسين للزوم منزله ولذهب عينيه ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تدبنا لانه كان يرى رأى الحكماء المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يذبحوا الحيوان ففيه تعذيب له وهم لا يرون الأيلام مطلقا في جميع الحيوانات وعمل الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ومن شعره في الزوم قوله

لا تظلمن بالله لك ربسة * فلم البالغ بغيره مغزل

سكن السما كان السماء كلاهما * هذا المرع وهذا أعزل

توفي يوم الجمعة ثالث وقيل ثاني شهر ربيع الأول وقيل ثالث عشر سنة تسع وأربعين وأربعمائة بالمعرة وبلغني أنه أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت

هذا جناء أبي علي * وما جنبني على أحد

وهو أيضا متعلق باعتقاد الحكماء فانهم يقولون بإيجاد الولد وإخراجه إلى هذا العالم جنابه عليه لانه يتعرض للحوادث والآفات وكان مرضه ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير من عمه فقال لهم في اليوم الثالث كتبوا عنى فتناولوا الدوى والأقلام فألقى عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي أحسن الله عزاءكم في الشيخ فانه ميت فقلت في يوم ولما توفي رثاه تليذه أبو الحسن علي بن همام بقوله

ان كنت لم ترق الدماء زهاده * فلقد أرقك اليوم من جفني دما

سيرت ذكرك في البلاد كأنه * مسلك فسامعه تضيق أوقافا (١)

وأرى الخبيج اذا أراد البيلة * ذكرالك أشر فدية من أحراما

وقد أشافني البيت الأول إلى ما كان يعتقده مبتدئين به من عدم الذبح كما تقدم ذكره وقبره في ساحة من دور أهل وعلى الساحة باب صغير قديم وهو على غاية ما يكون من الإهمال ولولا القيام بمصالحه وأهله لا يحتفلون به والتنوخي بفتح التاء المنة من فوقها وضم النون المخففة وبعد الواو خامسة وهذه النسبة إلى تنوخ وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديما بالبحرين وتحالفوا على التناصر

(١) قوله مسلك إلى آخره في بعض النسخ * مسلك بضمخ منه معا أوقافا * ولعل ذلك أوفق تأمل

وأقاموا هناك فسموا تنوخا والتنوخ الإقامة وهذه القبيلة إحدى القبائل الثلاث التي هي
 نزارى العرب وهم بهراء وتنوخ وقطب والمعري بفتح الميم والذين المهجلة وتشديد الزاء نسبة
 إلى معرة النعمان وهي بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة وشزر وهي منسوبة إلى النعمان
 ابن بشير الأنصاري رضي الله تعالى عنه فإنه تديرها فنسبت إليه وأخذها الفرخ من المسلمين في محرم
 سنة اثنتين وتسعين واربعمائة ولم تزل بأيدي الفرخ من يومئذ إلى أن فتحها عماد الدين زنكي بن آق
 سنقر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ومن على أهلها بأمرهم
 (من كتاب وقفيات الاعيان لابن خلكان)

الاصبهاني صاحب كتاب الاغانى (٢٨٤ - ٣٥٦ هجرية)

أبو الفرخ علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان
 ابن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي
 الكاتب الاصبهاني

صاحب كتاب الاغانى وجده مروان بن محمد المذكور آخر خلفاء بني أمية وهو اصبهاني الاصل
 بغدادى المنشأ كان من أعيان أدبائها وافراد مصنفها روى عن عالم كثير من العلماء يطول
 تعدادهم وكان عالما بإيام الناس والانساب والسير قال التنوخى ومن المتسعين الذين شاهدناهم
 أبو الفرخ الاصبهاني كان يحفظ من الشعر والاغانى والاختصار والآثار والاحاديث المسببة
 والنسب ما لم أرقط من يحفظ مثله ويحفظ دون ذلك من علوم آخر منها اللغة والحجرات والحرفات
 والسير والمغازي ومن آلة المندمة شيئا كثيرا مثل علم الجوارح والبيطرة وتقف من الطب والنجوم
 والاشربة وغير ذلك ولشعره يجمع اتفاق العلماء واحسان الطرفاء الشعراء والمصنفات المستحقة
 منها كتاب الاغانى الذى وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في باب مثله يقال انه جمعه في خمسين سنة وجعله
 إلى سيف الدولة بن جندان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه وحكى عن الصاحب بن عباد أنه كان
 في أسفاره وتمقلانه يستحب حمل ثلاثين جملا من كتب الادب ليقلعها فلما وصل إليه كتاب
 الاغانى لم يكن بهذا ذلك يستحب سواء استغناه به عنها ومنها كتاب القيان وكتاب الاماء الشوارع
 وكتاب الديارات وكتاب دعوة الأطباء وكتاب مجرد الاغانى وكتاب أخبار بختنخلة البرمكي
 ومقاتل الطالبيين وكتاب الحانات واداب القرياء وحصل له ميلاد الاندلس كتب صنفها إلى أمية
 ملوك الاندلس يوم ذلك وسيرها اليهم ثم راجع الانعام منهم سرائق ذلك كتاب نسب بني عبد شمس
 وكتاب أيام العرب ألف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف في ما ثار العرب ومثالبها

وكتاب جهرة النسب وكتاب نسب بني شيخان وكتاب نسب المهالبة وكتاب نسب بني تغلب ونسب
بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين وغير ذلك وكان منقطعاً الى الوزير المهلب وله فيه مدائح في ذلك قوله

ولما اتجعت الانذين بظلمه * أعان وماعني ومن وامنا

وردنا عليه مقترين فراشنا * وردنا داه مجدين ذا خصنا

وله من قصيدة يهنته ببولود جاع من سرية رومية

اسعد بولود أناك مباركا * كالسدر أشرق جف ليل مفر

سعد لوقت سعادة جاءت به * أم حصان من نبات الأصفر

متجج في ذروني شرف العلا * بين المهلب منقاه وقصير

شمس الصبي قرنت الى بدر الدجى * حتى اذا اجتمعا أتت بالمشتري

وكتب الى بعض الرؤساء وكان مريضاً

أبا محمد المحمود يا حسن الشاد حسان والجود يا بحر الندى الطامى

حاشاك من عود عود اليك ومن * دواء داء ومن المسام الآلام

وشعره كثير ومحاسنه شهيرة وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وفي هذه السنة مات البهري

الشاعر وتوفي يوم الاربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة ببغداد وقيل سنة سبع

وخمسين والاول أصح وكان قد خطط قبل أن يموت رجاء الله تعالى وهذه أسمى ست وخمسين مات

فيها عالمان كبيران وثلاثة ماوله كبار فالعالمان أبو الفرج المذكور وأبو علي القالي والملائي الثلاثة

سيف الدولة بن جلدان ومعز الدولة بن بويه وكانوا الاخشيدي وهومذكور في ترجمة كل واحد

(من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور

(٣١٦ - ٣٨٣ هجرية)

ويقال له الطبري خزي أيضاً لأن أباه من خوارزم وأمه من طبرستان فركب له من الاسمين نسبة كذا

ذكره السمعاني وهو ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ وأبو بكر المذكور

أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير كان أماً ما في اللغة والانساب أقام بالشام مدة وسكن

بنواحي حلب وكان يسافر اليه في عصره ويحكى انه قصد حضرة صاحب ابن عماد وهو بأرجان

فلما وصل الي بابته قال لاحد صحابه قل للصاحب علي الباب أحد الادباء وهو يستأذن في الدخول فدخل

الحاجب وأعلمه فقال للصاحب قل له قد أئزمت نفسي أن لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ

عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع اليه

(٢٧) القطع المنتخب (نسخة ثالث)

وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء فدخل المحجب فأعاد عليه ما قال فقال الصاحب
هذا يكون أبابكر الخوارزمي فأنزل في الدخول فدخل عليه فعرفه وانبط له وأبو بكر المذكور
له ديوان رسائل وديوان شعر وقد ذكرنا له في كتاب القيمة وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء
من نظمته فنحن ذلك قوله

رأيتك أن أسرت خيمت عندنا * مقبيا وأن أعسرت زرت لما

نمأت الابدان قل ضوعه * أغب وان زاد الضياء أقاما

ومن شعره أيضا

يا من يحاول صرف الراح يشربها * ولا يفك لما يلقاه قسرا

الكاس والكيس لم يقض امتلاؤهما * ففرغ الكيس حتى تملأ الكاس

وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي

أبو بكر له أدب وفضل * ولكن لا يدوم على الوفاء

مودته إذا دامت لخل * فنحن وقت الصباح إلى المساء

وملحه ونواده كثيرة ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها في منتصف شهر رمضان سنة
ثلاث وثمانين وثلاثمائة وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أنه توفي سنة ثلاث وتسعين والله أعلم
رحمه الله تعالى وكان قد فارق الصاحب بن عباد غير راض فعمل فيه

لاتحمدن ابن عباد وان هطلت * يدها بالجوهر حتى أنجل الدنيا

فانه خطرات من وسواسه * يعطى ويمنع لا يجلا ولا كرما

فبلغ ابن عباد ذلك فلما بلغه خبر موته أنشد

أقول لركب من خراسان قافل * أمات خوارزميكم قيل لي نعم

فقلت اكبوا بالخص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من كفر النعم

قلت هكذا وجدت هذين البيتين منسوين إلى أبي بكر الخوارزمي المذكور في الصاحب ابن عباد
ذكر ذلك جماعة من الأدباء في مجاميعهم وفي هذا كراتهم ثم تطرأت في كتاب مجمع الشعراء تأليف
المرزباني فوجدت في ترجمة أبي القاسم الأعشى واسمه معاوية بن سفيان وهو شاعر راوية بغدادى
أحمد غلمان الكسائي اتصل بالحسن بن سهل يؤدب أولاده فعتب عليه في شيء فقال بهجوه

لاتحمدن حسنا في الجودان مطرت * كفاء غزرا ولا تذمه ان زرما

فليس ينفع ابقاء على نسب * ولا يجود لفضل الحمد مقتبما

لكنها خطرات من وسواسه * يعطى ويمنع لا يجلا ولا كرما

والله أعلم بذلك وقد تقدم الكلام على الخوارزمي ونظيره في فتح الطاء المهملة والباء الموحدة
وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعدها زاي وقد سبق في أول الترجمة الكلام على سبب هذه النسبة
(من كلب وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني

الحافظ المعروف ببديع الزمان

(٣٥٣ - ٢٩٨ هجرية)

صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفاتحة وعلى منواله نتيج الحرير مقاماته واحتذى حذوه
واقتنى أثره واعترف في خطبته بفضل له وأنه الذي أرشده إلى سبيل ذلك المنهج وهو أحد الفضلاء
الفصحاء روى عن أبي الحسين أحمد بن فارس صاحب المجل في اللغة وعن غيره وله الرسائل البديعة
والنظم المليح وسكن هراة من بلاد خراسان في رسائله الماء إذا طال مكثه ظهر خبثه وإذا سكن
منه تحركت تنه وكذلك الضيف لقاؤه إذا طال ثاؤه وينقل ظهه إذا انتهى محله والسلام
ومن رسائله حضرته التي هي كعبة المحتاج لا كعبة المحتاج ومشرع الكرم لا مشرع الحرم ومعنى الضيف
لامني الخفيف وقبله الصلوات لا قبله الصلاة ولهم من تعزية الموت خبط قد عظم حتى هان
ومس قد خشن حتى لان والذي لقد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجبت حتى صار
أصغر ذوقها فلتنظر عنة هل ترى الائمة ثم انظر يسرة هل ترى الاحسرة ومن شعره من جملة
قصيدة طويلة

وكليحك بك صوب الغيث منسكا * لو كان طلق المحيا يطر الغيا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطق * والبيت لو لم يصد والبحر لو عذب

ومن شعره في خد همذان ثم وجدت همالاني العلاء محمد بن حنبل الهمداني

همذان لي بلد أقول بفضل * لكنه من أفج البلدان

صيانته في القبح مثل شيوخه * وشيوخه في العقل كالصبيان

وله كل معنى ملج حسن من نظم ونثر وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة مسموما بمدينة هراة
رجه الله تعالى ثم وجدت في آخر رسائله التي جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست
مما مثله هذا آخر الرسائل وتوفي رحمه الله تعالى بهراة يوم الجمعة الحادي عشر من جادى الآخرة
سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة قال الحاكم المذكور وبمعت الثقة يحكون انه مات من السكتة
وعجل دفنه فافاق في قبره وسمع صوته بالليل وأنه يش عنه فوجدوه قد قبض على لحية ومات
من هول القبر (من كلب وفيات الاعيان لابن خلكان)

ترجمة ابن خلكان

هو من بيت كبير بناحية اربل مدينة بالعراق على الشاطئ الشرقي من نهر دجلة بالقرب من الموصل من جهتها الشرقية وذكر ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية فيمن توفي من الاعيان سنة احدى وعشرين وستمائة فقال

ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربلي الشافعي أحد الأئمة الفضلاء والسادة العلماء والصدور الرؤساء وهو أول من جدد في أيامه قضاة القضاة من بقية المذاهب فاستقلوا بالأحكام بعدما كانوا يكونون من نوابه وقد عزل ابن الصائغ ثم أعيد إلى الحكم بعد سنين ثم أعيد بن الصائغ وفي التدريس بعد عدة مدارس لم يجتمع لغيره ولم يبق معه في آخر وقته سوى الامينية وبيد ابنه كمال الدين موسى تدريس التجميعية وكانت وفاته بالدرسة التجميعية المذكورة يوم السبت آخر النهار السادس والعشرين من رجب ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة وقد كان له نظم حسن رائق ومحاضرة في غاية الحسن وله التاريخ المفيد الذي وصفه بوفيات الاعيان من أكبر المؤلفات وقال المؤلف نفسه في ترجمة أم المؤيد النقيب ابورية مانصه ولنا منها اجازة كتبناها في بعض شهور سنة عشر وستمائة ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة اربل بـدرسة سلطان الملائكة المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله وقال أيضاً في ترجمة عبد الأول السجزي انه سمع صحيح البخاري سنة احدى وعشرين وستمائة بمدينة اربل على الشيخ الصالح ابن هبة الله الذي ذكر بعد انه توفي في محرم أول السنة المذكورة وكان والد المؤلف متولى التدريس بـدرسة الملائكة المعظم المذكورة الى أن توفي سنة عشر وستمائة كما ذكره هو في ترجمة أحمد بن كمال الدين وخرج المؤلف من بلد اربل سنة ٦٢٦ كما ذكره هو في ترجمة عيسى بن منبجر ودخل حلب في أواخر السنة المذكورة وأقام فيها سنين وكان في سنة ٦٣٣ مقبلاً دمشق وفي سنة ٦٣٧ كان مقبلاً بمصر كما ذكره في ترجمة أحمد بن قطان الأربلي وذكر أيضاً بعض أحواله مع السلطان بيبرس في خاتمة هذا التاليف وبالجملة فمن تبسع كتابه هذا ونصفحه يعلم أحوالها وطوارقها وتقلاتها ثم رأيت ابن الكتيبي صاحب كتاب فوات الوفيات المتوفى سنة ٧٦٤ ترجمه فقال

مولانا قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان الأربلي الشافعي تولى قضاء الشام ثم عزل عنه بابن الصائغ ثم عزل ابن الصائغ بعد سبع سنين وكان يوماً مشهوداً وجلس في منصب حكمه ونكلم الشعراء فقال الشيخ رشيد الدين القافري

أنت في الشام مثل يوسف في مصر * وعندي أن الكرام جناس
ولكل سبع شئدا ودوبعد السبع عام فيه يغاث الناس
وقال سعد الدين الفارقي

أذقت الشام سبع سنين جذبا * غداة هجرته هجرا جبيلا
فلما زرت من أرض مصر * ملدت علي من كفيك نبلا
وقال نور الدين بن مصعب

رأيت أهل الشام طرا * ما فهم قط غير راض
فالهم الأخير بعد شر * فالوقت بسط ولا انقباض
وعوضوا فرحة بحزن * مذ أنصف الدهر في التقاض
وسرهم بعد طول غم * قدوم قاض وعزل قاض
فكلهم شاكرك وشاك * بحال مستقبل وماضي

وكان له ميل إلى بعض أولاد الملوك وله فيه أشعار رائعة يقال إنه أول ما زار بسط له الراحة وقال له
ما عذري أعز من هذه طاعيا ولما فشا أمرهما وعلم به أهل منعهما ركب فقال ابن خلد كان

ياسادني أني فقتت وحقكم * في حكمكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجردوا بالوصال تعظفا * ورأيتم هجري وفرط تحبتي
لا تمنعوا عيني للقرينة أن ترى * يوم الخميس جالك في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي * ألقاه من كذا اذ لم تركب
لرحمتي ورثتي في من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبي
ومن البليلة والرزية أني * أفضى وما ندرى الذي قد حل بي
قسما بوجهك وهو بند طالع * وبليلى طرتك التي كالغيب
وقامة لك كالقضب يركب من * أخطارها في الحب أعظم مركب
وبطيم مبسك السهمي البارد * هذب التميز للؤلؤ والاشنب
لولم أكن في رتبة أرى لها الشهد القديم صيانة للصب
لهتكت سري في هواك وانلى * خلع العذار ولو ألح موتي
لكن خشيت أن تقول عواذلي * قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم قديتك حرفة قد فاربت * كشف القناع بحق ذيك النبي
لاتفطن بحبك الصب الذي * جزعته في الحب أ كدر مشرب

قال القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي كان الذي هو القاضى شمس الدين بن خلكان
الملك المسعود بن الظفر صاحب حجة وكان قد تيممه حبه وكنيت أنا عنده في العادلية فتحدثنا في بعض
الليالى الى أن راح الناس من عنده فقال أنت ههنا وألقى على فروة وقام بدور حول البركة
في بيت العادلية ويكرهذين البيتين الى أن أصبح ونوضاً ناو صلينا واليبتان المذكوران هما

أنا والله هالك * آيس من سلامتى

أو أرى القامة التى * قد أقامت قيامتى

ويقال انه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه فاستعفاه فألح عليه فقال يقولون انك تكذب
في نسبك وتأكل الحشيشة وتحب الصبيان فقال أما النسب والكذب فيه فإذا كان لا بد منه
كنت أنت نسب الى العباس أو الى علي بن أبي طالب أو الى واحد من الصحابة وأما النسب الى قوم
لم يبق لهم بقية وأصلهم قوم مجوس فانيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم وإذا كان
ولا بد فكنت أشرب الخمر لانه أذى وأما محبة الغلمان فاني قد أجيبك عن هذه المسئلة وذكرا صاحب
كمال الدين بن العديم ونسبه الى البرامكة ومن شعره أيضا

وسرب نبياء في غدير نخالههم * بدور بأفق الماء تبدو وتغرب

يقول عذولى والغرام مصاحبي * أما لك عن هذى الصباية مذهب

وفي دمك الملول خاضوا كثرى * فقلت لهدعهم يحضوا ويلعبوا

وقال أيضا مضمنا

كم قلت لما أطلعت وجناته * حول الشقيق الغض روضة اس

أعذاره السارى الجول بجده * مافى وقوفك ساعة من باس

وقال أيضا

للبيدا العارض في خده * بشرت قلبي بالسوق المقيم

وقلت هذا عارض عطر * نجلة في فيه العذاب الاليم

وقال أيضا

وما سر قلبي منذ شطبت بك النوى * نعسيم ولا هو ولا منصرف

ولانقت طعم الماء الاوجده * سوى ذلك الماء الذى كنت أعرف

ولم أشهد الذات الاتكفا * وأى سروري يقتضيه التكلف

وقال أيضا

أجبا بنا لولقيتم في أقامتكم * من الصباية ما لقيت في طعنى

لا أصبح اليصر من أنفاسكم يسا * والبر من آدمى ينشق بالسفن

وقال أيضا

تثقلولي والديار بعيدة * تخيل لي أن الفؤاد لكم مغنى
وناجا كقولبي على البعد والتوى * فأوحشتمو لفظا وانسبتم معنى

وقال أيضا

أنظر الى عاوضه فوقه * لما طاه يرسل منها الختوف
تعاين الجنة في خده * لكن تحت ظلال السروف

وقال في ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف

ملاك بلدتنا بالحسن أربعة * بحسنهم في جميع الخلق قد فتكوا
تملكوا مهج العشاق وافتكوا * بالسيف قلوب ولولا السيف ما ملكوا

وقال أيضا

الإياس أرا في فقه دعر * يقامى في السرى حزننا وسهلا
قطعت نفا المشيب وجزت عنه * وما بعد التقا إلا المصلى

وقال أيضا

أى ليل على الحب أطاله * سائق الطعن يوم زم جماله
بزجر العيس طاولا يقطع المهمة عسفا سهوله ورماله
أيها السائق المجد ترفق * بالطايا فقد ستم الرحاله
وأختها هنمسة وأرحها * قد براها فرط السرى والكلاله
لا تطل سيرها العنيف فقد بترح بالصب في سراها الاطاله
قد تركتم وراءكم حلق وجد * باديا في محلكم اطلاله
يسأل الربع عن ظباء للصلى * ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب * غير أن الوقوف فيها علاله
هذه سنة المحين ييكو * ن على كل منزل لا محاله
باديارا لا حبل لازالت الأد * مع في ترب ساحبك مناله
وعشى التسم وهو عليل * في مغائبك ساحبا أناله
أبر عيش مضى لنا فيك ما أسرع عننا ذهابه وزواله
حيث وجه الشباب طلق نصير * والتصابى غصونه ميله
ولنا فيك طيب أوقات أنس * ليتنا في التمام نلقى مثاله
وبأرجاء جولة الرجب سرب * كل عين تراه تهوى جماله

من فناء بديعة الحسن تروى * من جفون لسانها مقتاله
ورخم الدلال حاول الغاني * تنسني أعطافه محتاله
ذوق وام نود كل غصون البان لو أنهما كى اعتداله
وجهه في الظلام بدر غام * وعذاراه حوله كالهاله
نظيرة تهر العيون جمالا * وغزال تغار منه الغزاله
يا خليلي اذا أتيت بالجر * عاوناً أنت ووضه وظلاله
قف به ناشدا فؤادي فلي ثم توار أخشى عليه ضلاله
وبأعلى الكتيب بيت أغض الطرف عنه مهابة وبخلاله
كلما جشته لاسأل عنه * أظهر الفتي غيرة وتباله
أنا أدري به وأصكن صونا * أنعمى عنه وأبدى جهاله
منزل حبسه على قديم * في زمان الصبا وعصر البطاله
يا عرب الحب اعذروني فاني * ما تجنبت أرضكم عن ملاله
حاش لله غير أني أخشى * من عدو يسبي فينا المقاله
فتأخرت عنكم فأنعمامن * طبقكم في المنام بهدي خياله
أتمنى في النوم زور خيال * والأمانى اطاعها قتاله
يا أهبل النقا وحق ليالى السوصل ما صوب في عليكم ضلاله
لي مذهبتمو عن العين نار * ليس تخبروا وأدمع هطاله
فصلوا ان شئتموا أو فسدوا * لاعد منا كرو على كل حاله
وقال أيضا

يارب ان العبد يخفى عيبه * فاستر بجلتك ما بدا من عيبه
ولقد أذاك وماله من شافع * لذنوبه فاقبل شفاعة شبيهه
وقال أيضا

أعدمتي بالجوى يا هاتر المقل * فصم وحدى على ما بى من العال
وملت عني الى الواشى فلا عجب * والغصن مازال مطبوعا على الميل
يا واحد الحسن على زورة حلما * وهابدي ان نوبى قد جفامقلى
يا حيرة بأعلى الخيف من أضمر * خيقو بجفاكم في الهوى أملى
وملتمو بجميل الصبر عن ذنف * أجمل ما يننى سرعة الاجل
تجربى عليه متى غبتم مدامعه * وما عسى ينفع الباكي على طالم

وقال أيضا

أيا غادرا خانت موافق عهده * لقد جرت في حكم الغرام على الصب
وأفصيته من بعد أنس وصحبة * وما هكذا فعل الاحبة والعصب
قلته أيام تقضت خيمنة * بقربك والذات في المنزل الرجب
وأذ أنت في عيني ألد من الكرى * وأشهى إلى قلبي من البارد العذب
قلهني على ذلك الزمان الذي غدت * عليه دموع العين دائمة السكب
ومد مسرت ترضيني بقول علق * وتظهر لي سلا أشد من الحرب
ثبتت عنائي عن هوال زهانة * وإن كنت في أعلى المراتب من قلبي
لا أني رأيت القلب عند ضائعا * تغذبه كيف اشتهت بلا ذنب
ولم تحفظ الود الذي هو بيننا * ولم ترع أسباب المودة والحب
ولا أنت في سيد الحب إذا غدا * تغلبه الاشواق جنبا إلى جنب
ولأنت ممن رعوى لمقاتي * فاشقني قلبي بالشكية والعقب
ولارمت منك القرب الاجفوني * وأبعدني حتى أبست من القرب
وأصعبت لوائتي ومدت قوله * وضيعت ما بيني وبينك بالكذب
فلم يسق لي واقه فيك ارادة * كفا في الذي فأبيت فيك من الحب
ولأني في حبك ما عشت رغبة * أي الله أن تسبي فؤادي أو تصبي
ومن ذا الذي يقوى على حمل بعض ما * تجرعه بالذل من خلقك الصعب
فلا ترج مني بعد هذا حسن صحبة * فحسبي سلوا بعض ما قلته محسبي
فلا تمنيني فد قطعت مطامعي * وخفقت حتى في الرسائل والكتب

وقال في المعنى

أيام عرضا عني بغير جنابة * أما تستحي من فرط تهمك والعجب
سأزك فاصنع ما تشاء فإنه * محاذرة التقيج - حبك من قلبي
(من كتاب وفيات الاعيان)

ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) (١٣٣١ - ١٤٠٥ م)

هو محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي قاضي القضاة ونسب سلفه الى وائل بن حجر من عرب اليمن وكانوا زلزالا شيديلة فعند الحادثة بالاندلس انتقلوا منها عن نياضة وشهرة واستقروا بتونس وأما المترجم له فهو رجل فاضل حسن الخلق بجم الفضائل باهر الحاصل رفيع القدر ظاهر الحياء أصيل المجد وقور المجلس خاصي الرأي على الهمة عزوف عن الضيم صعب المقادة قوي الجاش طامح لقن الرئاسة خاطب للحظ متقدم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا سيد البحث كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط مغري بالتجمل جواد حسن العشرة مبدول المشاركة مقيم لرسم التعين عاكف على رعي خلال الاصاله مفخر من مفاخر النجوم المغربية قرأ القرآن بيلده وتادب بآييه وانصرف من افرريقية منشئه بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحدائنه وأقامته لرسم العلامة بحكم الاستنبابة عام ثلاثه وخمسين وسبع مائة وعرف فضله وخطبه السلطان منفق سوز العلم والادب أبي عنان فارس بن علي بن عثمان واستحضره بمجلس المذاكرة فعرف حقه وأوجب فضله واستعمله على الكتابة أوائل عام ستة وخمسين ثم عظم عليه خل الخاصه من طلبه الحضرة لبعده عن حسن التأني وشغوفه بشغوب الفهم وجودة الادراك فاغروا به السلطان فاصابه شدة تخصه منها أبجله الى أن أفضى الامر الى السعيد ولده فاعتبه قيم الملك لخدمته وأعادته الى رسمه وذات الدولة الى السلطان أبي سالم وكان له به الاتصال قبل تنوع المحنة بمأ كد حظونه فقلده ديوان الانشاء مطلق الجرايات محررا للسهم نبيه الرتبة الى آخر أيامه ولما ألفت الدولة مقادها بعد له الى الوزير عمر بن عبد الله مدبر الامر وله اليه وسيلة وفي حليته شركة وعنده حق رايه تفصيله عما ارتقى اليه أمله فساء ما بينهما مما آل الى انفصاله عن الباب المرنى وورد على الاندلس في أول ربيع الاول عام أربعة وستين وسبع مائة واهتزله السلطان وأركب خاصته لتلقيه وأكرم وفادته وخلع عليه وأجلسه بمجلسه ولم يدخر عنه برا وما كلة ومرا كبة ومطايبة وله التاريخ الكبير الذي ممد ديوان العبر وكتاب المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر وقد عرف في آخره بنفسه وأطال وذكر أنه لما كان بالاندلس وحظي عند السلطان أبي عبد الله شتم من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض فقوض الرجال ولم يرض من الإقامة بحال ولعب بكرنه صواب الحجة الاقدار حتى حل بالقاهرة فالحزنية واتخذها خيرا دار ونولها قضاء القضاة ثم قدم على غرناطة فأكرمه غاية الاكرام وأعادته الى الديار المصرية ولقد كان ابن خلدون هذا من بهائ الزمان ولهم التنظيم والنثر ما يري بعقود الجمان مع الهمة العلية والتجبر في العلوم النقلية والعقلية وكانت وفاته بالقاهرة

(من كتاب نفح الطيب للقريري)

تقي الدين المقرئ (٧٦٠ - ٨٤٥ هـ) (١٣٥٨ - ١٤٤١ م)

هو أحمد بن عبد الصمد الشيخ الامام العالم البارع عمدة المؤرخين وعين المحدثين تقي الدين المقرئ البعلبكي الاصل المصري الدار والوفاة نشأ بالقاهرة وتفق على مذهب الحنفية ثم تحول شافعي بعد مدة طويلة وتفق وبرع وصنف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم وكان ضابطا مؤرخا مفننا محمدا معظما في الدول وفي حربية القاهرة أول ولايته من قبل الملك الظاهر رقوق عوضا عن شمس الدين محمد النجاشي ثم عزل بالقاضي بدر الدين العيتابي ثم ولىه اعنه أيضا وولى عدة وظائف دينية وعرض عليه قضاء دمشق في أوائل الدولة الناصرية فأبى أن يقبل ذلك وكان اما ما مفننا كتب الكتب الكثيرة بخطه وانتقى أشياء وحصل القوائد واشتد ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ وغيره حتى صار به يضرب المثل وكان له بحسن شتى ومحاضرة جيدة الى الغاية لاسيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك وكانه نقطعا في داره ملازمة العبادة قل أن يتردد الى أحد الا للضرورة وقرأت عليه كثيرا من مصنفاته واستفدت به واستفدت منه وكان كثير الكتابة والتصنيف وصنف كتب كثيرة من ذلك إمتاع الاسماع في ستة مجلدات وهو كتاب نفيس وله كتاب الخبر عن البشر ذكر فيه القبائل في أربعة مجلدات وعمل له مقدمة في مجلد وكتاب السالك في معرفة دول الملوك في عدة مجلدات يشتمل على ذكر ما وقع من الحوادث الى يوم وفاته وله تاريخه الكبير المقتفي في تراجم أهل مصر الواردين اليها ولو كل هذا التاريخ تجاوز الثمانين مجلدا وله كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاكثار في عدة مجلدات وهو في غاية الحسن وكتاب مجمع الفوائد ومنبع العوائد كل منه نحو الثمانين مجلدا كالتذكرة وكتاب شذور العقود وكتاب الاوزان والاكيل الشروعية وكتاب ازالة النعيب الغناء في معرفة الخصال في الغناء وكتاب المقاصد السنية في الاجسام المعدنية وله عدة تصانيف آخر ولمزل ضابطا حافظا للوقائع والتاريخ الى أن توفي ودفن بالقاهرة

(من كتاب المنهل الصافي لابي الحسن)

Bibliotheca Alexandrina



0413450